المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومي للترجمة

# رمسيس الثاني

## فرعون المعجزات

تأليف: كريستيان ديروش نوبلكور
ترجمة: فاطمة عبد الله محمود
مراجعة وتقديم: محمود ماهر طه

925

المشروع القومى للترجمة

# رمسيس الثانى

# فرعون المعجزات !

تأليف : كريستيان ديروش نوبلكور
ترجمة : فاطمة عبد الله محمود
مراجعة وتقديم : محمود ماهر طه




٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٩٢٥
- رمسيس الثانى
- كريستيان ديروش نوبلكور
- فاطمة عبد الله محمود
- محمود ماهر طه
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب

**Ramses II : La Véritable Histoire**

**Christiane Désroches Noblecourt**



شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

# المحتوى

# مقدمة المراجع

إنها حقًا رحلة شيقة ممتعة اصطحبت فيها عالمة الآثار الفرنسية كريستيان ديروش نوبلكور القارئ لفترة مجيدة من التاريخ المصرى القديم فى مختلف مناطق مصر من خلال شخصية متعددة الجوانب .. إنه الملك رمسيس الثانى .. هذا الكوكب الساطع فى سماء الحضارة الفرعونية .. شخصية لم تتكرر فى العالم القديم أو الحديث .. فهو بحق فرعون المعجزات .. عبقريته فاقت كل الحدود .. ملك محارب وقائد شجاع .. سياسى محنك .. بنَّاء ليس له نظير .. رب أسرة فاقت مشاعره الرقيقة الأسرية الحدود المعتادة ، فهو ابن بار وزوج حبيب وأب حنون .. ملك متدين بكل المقاييس .. بهرت شخصيته جميع المؤرخين عبر التاريخ .

أما عن رمسيس الثانى رجل السياسة .. فهو بارع فى خططه .. أدار إمبراطورية كبيرة بذكاء فذ .. بهر العالم القديم بانتصاراته العديدة .. وبالرغم من ذلك لم يكن دمويًا أو جبارًا .. قبل السلام وهو فى مركز القوة بعد انتصاره فى معركة قادش عندما طلب منه عدوه ملك الحيثيين ذلك .. ثم قوى دعائم هذا السلام بالمصاهرة ، وموقعًا على أول معاهدة سلام فى العصر القديم .

إذا تحدثنا عن نشاط رمسيس الثانى فى العمارة .. فهو موضوع يستوعب عشرات المجلدات .. فلا يوجد حاكم فى تاريخ مصر عبر التاريخ من قام ببناء كل هذه الآثار .. فيمكننا أن نقول إنه لا توجد أى منطقة بمصر دون أن نجد بها منشآت عليها اسمه .. وهذا يعنى إعمار شامل لكل البلاد صاحبه ازدهار فى الفنون وتقدم فى الحضارة والعمران السكانى .. ومن العجيب أن ذلك لم يثقل أعباء ميزانية الدولة بل زاد الرخاء فى عصر امتلأت فيه خزائن مصر مما يشير إلى حسن إدارته .

ومع كل الرخاء الذى نعمت به البلاد .. لم يخلد رمسيس الثانى إلى الراحة والدعة .. لكنه خرج بنفسه على رأس جيوشه مع أولاده فى مقدمة المحاربين ليؤمن حدود مصر ويوطد سلطانها شمالاً وجنوبًا وتدعيمًا لأعظم إمبراطوريات العالم القديم .. وكمحارب مغوار تعرض للخطر والموت فى معركة قادش الشهيرة والذى كان بشجاعته وإيمانه الفضل فى تحقيق النصر .. ومن دلائل إيمانه القوى أنه بعد هذا الانتصار لم يرجع الفضل إلى نفسه ولكنه أرجعه إلى الإله .

أما عن علاج مومياء رمسيس الثانى .. فقد اختلفت الآراء والأقاويل حول ضرورة سفرها إلى باريس وأسباب الإصرار على ذلك .. هل هو الاعتقاد الخاطئ بأنها تخص فرعون موسى ؟ وهل فعلاً تم علاجها كما يجب ؟ وهل حقًا رفع الملك رميسيس الثانى يده فى أثناء فك الأربطة من على مومياته تمهيدًا لفحصها عارية بمعنى توقفوا عن ذلك ؟ وهل الاستعانة بجهاز يعمل بالكهرباء بصفة مستمرة للحفاظ على المومياء وإذا توقف لأى سبب طارئ فيه خطر عليها .. هل ذلك صواب أم خطأ ؟ كل هذه الأسئلة يطرحها العديد من الباحثين دون إجابات شافية عنها حتى الآن .

لكن هل حقًا رمسيس الثانى هو فرعون موسى أو فرعون الخروج كما يشاع أحيانًا ؟ فى الواقع هذا موضوع غير محسوم علميًا وقد يكون خطأ متصورًا من أعداء مصر للتقليل من قيمة رموزها مثل هذا الملك العظيم بتكفيره .. أو قد يكون جهلاً وحبًا فى الإثارة .. إنها فقط مجرد تكهنات غير علمية فلا يوجد لدينا أى دليل أو إثبات أثرى أو دينى أو تاريخى على الإطلاق ينفى أو يؤيد ذلك .

أما عن أفضال الملك رمسيس الثانى على أحفاده المصريين فى العصر الحديث فهى كثيرة ، قد تكون غائبة عن وعى الكثير منا .. فبالإضافة إلى كونه رمزًا وطنيًا تفتخر مصر بتاريخه وعبقريته فإن المنشآت والآثار التى تركها رمسيس لأحفاده كثيرة جدا شملت كما ذكرنا كل مناطق مصر .. أنشئت حولها مناطق سياحية رائعة تسحر آثاره الزائرين من جميع أنحاء العالم مما يدر دخلاً قوميًا كبيرًا مستمرًا .. ولعل

أشهرها على سبيل المثال لا الحصر ما تزخر به مدينة الأقصر مثل آثاره فى معابد الكرنك والأقصر والرمسيوم ومعابد النوبة .

لكن ماذا قدمنا نحن لتخليد رمسيس الثانى .. إنه القليل بالنسبة لأفضاله فلا يوجد إلا شارع واحد فقط فى القاهرة باسمه . أما عن الكتب التى صدرت باللغة العربية عن حياة وأمجاد رمسيس فلا يوجد إلا كتاب واحد فقط مترجم عن الإنجليزية لمؤلفه " كتشن " .. حقيقة نحن فى احتياج شديد للعديد من الكتب والمؤلفات التى تتحدث بصدق عن أعلامنا ورموزنا القومية .. فهم ليسوا عظماء فى تاريخ مصر القديم فقط بل هم عظماء تاريخ الإنسانية فى كل عصورها مثل أحمس الأول وتحتمس الثالث وأخناتون ورمسيس الثالث وغيرهم ، هذا ولا نجد كتباً مبسطة تتناول رموزنا القومية نقدمها لأطفال مصر وشبابها . حقيقة فى كثير من الأحيان تنتابنى الغيرة والأسى عندما أجد فى مكتبات أوروبا وأمريكا مئات الكتب التى تصدر سنوياً والتى تتحدث بفخر وإعزاز عن رموزهم التاريخية أو حتى عن أعلام الفراعنة باللغات الأجنبية فى حين نفتقر نحن كثيراً إلى ذلك .

أما عن وسائل الإعلام من إنتاج أفلام روائية على الشاشة الفضية أو الشاشة الصغيرة التى تروى قصص حياة الفراعنة فهناك تجاهل تام لهؤلاء العظماء أعلام مصر القديمة ، فالسينما الغربية قدمت عشرات الأفلام الروائية عن رموزهم القومية مثل الإسكندر الأكبر ونابليون وغيرهما فى حين أنهم لم يقدموا عملاً روائياً واحداً عن أمجاد أى ملك من ملوك الفراعنة العظماء ، فالجدير للقيام بهذا العمل هم القائمون على صناعة السينما فى مصر .. ولعل شخصية ثرية بالأحداث التاريخية والإنسانية مثل رمسيس الثانى تستحق أن تكون أولى هذه السلسلة من الأفلام .

أما عن مؤلفة هذا الكتاب الذى بين أيدينا فهى كريستيان ديروش نوبلكور من أنشط وأشهر علماء المصريات فى فرنسا ، لعبت دوراً كبيراً فى إنقاذ معابد النوبة عند إنشاء السد العالى حيث قامت كثيراً بالدعاية لمصر فى وسائل الإعلام العالمية .. وكان لها أثر فعال فى دعم نشاط اليونسكو أثناء فك أحجار المعابد ونقلها لمستوى

أعلى وإعادة بنائها .. ولقد اشتركت مع خبراء مركز تسجيل الآثار المصريين فى تسجيل آثار النوبة ورأست الجانب الفرنسى المشترك مع مركز التسجيل فى أعمال تنظيف وتسجيل مقابر الملكات والأمراء بوادى الملكات ومقبرة رمسيس الثانى بوادى الملوك ، وكذلك الرمسيوم المعبد الجنازى الخاص بهذا الملك . ولقد كانت شخصية رمسيس الثانى وآثاره هى الموضوعات السائدة فى معظم أبحاثها الأثرية والعلمية ، ويعد كتابها هذا الذى بين أيدينا الآن من أروع ما كُتب عن هذا الملك .

وجدير بى أيضًا أن أشيد بالسيدة فاطمة عبد الله محمود التى تمتاز كثيراً عن غيرها من المترجمين بمقدرتها البالغة على ترجمة أهم وأصعب الكتب والمراجع التى تتناول تاريخ وحضارة مصر الفرعونية من اللغة الفرنسية إلى العربية بأسلوب جذاب ودقة بالغة ، ويرجع ذلك إلى حبها الشديد لآثار مصر القديمة ، التى قدمت حتى الآن ما يزيد عن عشرين كتابًا مترجمًا تتحدث عن أمجادها .

أخيراً .. أرجو أن يكون هذا الكتاب بداية لسلسلة طويلة تتحدث عن حياة وأعمال عظماء ورموز التاريخ المصرى على مدى العصور القديمة والحديثة .

وعلى الله قصد السبيل .

المراجع

**دكتور محمود ماهر طه**

# إهـــــداء

إلى أساتذة فن الكتابة عن الرعامسة :

سير آلان جاردنر

شارل كونتز

ياروسلاف تشرنى

كنت كيتشن

## لماذا أكتب مرة أخرى عن رمسيس؟!

لا ريب أن هذا الكتاب يتطابق تمامًا مع الحقائق التاريخية التى توصلنا إليها حتى يومنا هذا: وسوف نجد أنه لا يهدف مطلقًا إلى إعطائنا "بانوراما" كاملة عن الحياة اليومية فى مصر إبان عهد رمسيس الثانى، حيث يطغى الخيال غالبا فى هذه الحال على الواقع الفعلى ... فإننى أهدف هنا، فى حديثى معكم، إلى الإحاطة، بأقصى ما يمكننى بالظاهرة الخارقة للمألوف المسماة بـ "رمسيس الثانى"!!.. والتى تبدو جذابة ومبهرة للبعض !!.. ولكن هناك بعض العقول المتحفظة، ترى أن ظاهرة رمسيس الثانى هذه تتراءى فائقة الغموض والتعقيد: خاصة، عندما يصطدمون فى أثناء بحثهم ودراستهم بالتشدق اللغوى بالغ التفخيم والتقريظ الذى أفعمت به النصوص المصرية القديمة الرسمية. إنهم يرون أن هذه الكتابات مثقلة أكثر من اللازم بعبارات المديح والتمجيد المبالغ فيها، والموجهة أساسًا إلى ملك مصر ... بل ومفعمة بالمبالغة الفائقة فى وصف فتوحات وانتصارات هذا الفرعون!

لقد حاولت، فى معظم الأحوال أن أبدد الأوهام والترهات حول ما أثير عن موضوع: "انتقام توت عنخ آمون".. وكذلك الأمر بالنسبة لبعض الدراسات الجامحة للغاية التى تقول "إن الفراعنة كانوا يمتلكون زمام علوم غامضة مبهمة" لم يكشف عنها النقاب أبداً!!.. والأمر نفسه أيضا فيما يتعلق بـ "سر الأهرام".

وهكذا الحال فى موضوعنا هذا، حاولت جاهدة، أن أقدم بطلنا رمسيس الثانى، تقديما علميا فعليا .. حيث لا يُفرد مكان لأى خيال أو تعدٍ للواقع ... لقد عملت على وصف رمسيس الثانى العظيم ورسم صورته، من خلال خطوط كبرى بارزة. وهذا بالفعل عين ما فعله، منذ فترة قريبة، بعض زملائى العلماء: من خلال أبحاث محددة، مختصرة إلى حد ما، نُشرت فى كتب موجزة. وفى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى الزميل "نيقولا جريمال[١]"، أو "كلود فاندرسلين[٢]". وهناك كذلك من ألفوا كتبا ضخمة تتناول سيرة وحياة هذا الفرعون رفيع الشأن. وفى هذا المجال، تستوجب الإشارة والإشادة بكتاب "كنت أ. كيتشن[٣]".. وإنه لضليع ومتمكن فعلاً فى بحثه هذا ... المدعم بعدد هائل من الكتابات المعاصرة المتعلقة بهذا الملك فائق التميز، وبأسلافه وأجداده المباشرين[٤].

ولاشك أن ذاك المرجع الأساسى قد عاد بنفع أكيد على بحثى هذا، بل وفائدة كبرى أيضًا. بل علىَّ أن أضيف: أن دراسة التسلسل التاريخى، المتعلقة بتتابع أحداث حكم هذا الفرعون، والتى قام "كيتشن" أيضا بوصفها، هى الأفضل والأجدى .. ولقد استعنت بها، وعملت على تطبيقها فى عملى هذا.

وقد تبادروننى بطرح هذا السؤال: "لماذا تكتبين مرة أخرى عن حكاية رمسيس الثانى؟!!".. وسوف أجيبكم قائلة: "ربما أن الظروف المواتية الأفضل – أو تسلسل الأحداث – قد ساعدتنى على الحصول دائمًا على أدلة جديدة خاصة ببطلنا العظيم هذا .. هذا البطل الذى نود جميعا التوصل إلى مكنون وخبايا شخصيته. ولذلك، فإننى، على مدى ثلاثين عامًا كاملة، عكفت على ارتياد أعداد كبيرة من معابده ونصبه ومنشآته .. وحاولت جاهدة كشف أسرار وجودها وكينونتها.

والجدير بالذكر، في مجالنا هذا، أنه في حوالى عام ١٩٥٤، كانت مصر قد قررت إقامة مشروع "السد العالى"، رغبة منها فى إعداد بحيرة عظمى .. هى "بحيرة ناصر": بهدف الاحتفاظ بمياه فيضان النيل السنوية للاستفادة بها فى متطلبات الحياة بأرض وادى النيل. ولعلنا نتذكر، أن الكثير من المعابد التى ترجع إلى حقبات تاريخية مختلفة، والتى كانت تصطف على ضفتى النوبة المصرية، كانت مهددة بالغرق.. وهكذا، عملت على دراسة أحوال هذه المنشآت الدينية الأثرية الكبرى، ومحاولة العمل على إنقاذها، على مدى عشرين عامًا كاملة. وخلال هذا العمل الضخم، شعرت باهتمام خاص، نحو معابد ونصب رمسيس الثانى .. وكان قد شيدها بالمنطقة الواقعة ما بين الشلالين الأول، والثانى لنهر النيل.

وقتئذ، بدأت تتراءى فى مخيلتى الكثير من علامات الاستفهام الكبرى؛ فمثلا: فى هذه المنطقة غير المأهولة تقريبا بالسكان؛ حيث ينتقل معظم رجالها الأشداء إلى مصر البلد الكبرى للعمل وكسب رزقهم .. لماذا عمل فرعوننا العظيم على تشييد أو حفر سبعة معابد فخمة مهيبة على مساحة لا يقل مداها عن (٣٩٠) كيلو متر؟!! إنها بالتحديد: "بيت الوالى"، و"جرف حسين"، و"وادى السبوع"، و"الدر" و"محا وإبشك" (وهما معبدان كهفان فى "أبو سمبل")، و"أكشا" (شمال السودان). ها أنا أجد نفسى أمام لغز محير فعلا، تحتم الضرورة كشفه والإحاطة به .. ألا وهو: السبب الأساسى الفعلى لإقامة هذه المنشآت الدينية الضخمة، إبان تلك العهود الموغلة فى القدم؛ حيث لا شأن لعامة الشعب بهذه المعابد مطلقا؛ خاصة أن هدف وجودها الأساسى هو: الحفاظ على الميكانيكية والحيوية الإلهية .. فقط لا غير!!

هاهى فرصة مواتية، قد أتيحت لى .. فسوف أجاور، فى كثير من الأحيان، هذه المعابد الهائلة النائية، البعيدة تماما عن العمران؛ التى تعانى، بشكل ما من الإهمال واللامبالاة: فلم يكن أحد ليفكر أبدا فى زيارتها؛ حتى علماء المصريات أنفسهم .. منذ إنشاء السد الأول، فى أوائل القرن!

أخيرا، كُلت جهودنا بالنجاح. وتم بالفعل نقل المعابد من موقعها الساحلى على ارتفاع ١٢٠ متر فوق سطح البحر: واحتلت مكانا آخر قاصيا ناحية الغرب، عند نهاية

السواحل النوبية الآمنة من خطر فيضان المياه: بحيث تستقر على ارتفاع ١٨٠ مترا فوق سطح البحر.

عندئذ ، استهللت، مع مجموعتي المكونة من زملائي الفرنسيين التابعين أساسا للمركز القومي للبحوث الفرنسي (CNRS) [٥]، وبعض الإخوة المصريين المبعوثين من مركز تسجيل الآثار المصرية (CEDAE)[٦] ، معاودة البحث والتحرى والتنقيب عن فرعوننا العظيم المتفرد المتميز: رغبة منا فى كشف حقيقة الرسالة التى أراد بعثها، عبر العصور والأجيال، من خلال معبده الرائع الفائق الإبداع: "معبد ملايين السنين"، أو بمعنى أدق: الرمسيوم[٧].

ربما أننى قد استطعت كشف بعض الأسرار والغموض الهائمة فى جنبات هذا المنشأ الدينى المهيب. بل لقد أعانتنى أيضا بعض الأطلال المجاورة، على تخيل وإعادة تكوين بناء بيت الولادة "المامیزی" المنفصل تماما عن المعبد، والمجاور له فى الحين ذاته. وكان "رمسيس" قد شيده من أجل أمه "توى"، وأيضا "نفرتارى"، زوجته الملكية المعظمة.

هناك أيضا "وادى الملكات": كان مجرد جبانة خاصة بالأمراء إبان عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولكنه، تحول بعد ذلك، إلى موقع لدفن رفات سيدات أسرة الرعامسة المعظمات وبعض الأمراء. وبهذا المكان أيضا، تمكنت من جمع عدد لا يستهان به من المعلومات القيمة. ولقد أتيحت لى الفرصة كذلك لإعادة اكتشاف مقبرة الملكة المعظمة "توى"، أم الفرعون. وبالقطع، ساعد ذلك للغاية على توضيح وكشف الكثير من المظاهر التاريخية الغامضة. وأخيرا، هاهى مقبرة فرعوننا العظيم "ملك الملوك"، القائمة "بوادى الملوك"، والتى كانت قد وقعت ضحية لأعمال السلب والنهب فى الأزمنة القديمة .. هاهى أيضا قد أدرجت فى برنامج بحثنا وتنقيبنا ودراستنا.

فى عام ١٩٨٥، تراءى حافز ودافع جديد عمل على زيادة تقاربى من رمسيس: فها هو وزير الثقافة الفرنسى "ميشيل جى" مع نظيره المصرى يكلفنى بمهمة تنظيم وإعداد معرض، فى باريس، عن أى فرعون من فراعنة مصر بحيث أستعين، بمجرد

الآثار القائمة بالمتحف المصرى بالقاهرة .. فقط لا غيرا... عندئذ، بل على الفور، تراءت أمامى شخصية رمسيس بن سيتى، كأفضل المرشحين لسرد تاريخه المجيد .. هذا الملك الذى استمر فى فعالية فائقة فوق عرش مصر على مدى سبعة وستين عامًا؛ يضاف عليها سنوات مشاركته لأبيه فى الحكم!!.. ونحن إذا دققنا الملاحظة سوف نجد: أنه من خلال كافة الأسرات المصرية البالغ عددها ثلاثون أسرة، تميزت فترة حكم رمسيس الثانى (دون غيره من كافة الملوك) بسهولة تتبع مراحلها على مدى السنين .. هاهى فرصة جديدة أخرى تتاح أمامى لجمع أكبر عدد ممكن من المعلومات الحديثة من النوبة وطيبة: خاصة على مقربة من منشآت ونصب هذا الفرعون. وبالتالى، سأتمكن من الإجابة على الكثير من الأسئلة والاستفهامات المتراكمة على مدى سنوات عديدة.

خلال فترة الإعداد، بالمتحف المصرى بالقاهرة، من أجل إقامة هذا المعرض (والذى قام بعد ذلك بجولة فى كندا والولايات المتحدة الأمريكية)، شعرت بقلق شديد للحالة المتردية المتدهورة التى كانت تعانيها مومياء هذا الفرعون الطاعن فى السن. وقد دعانى ذلك إلى اتخاذ عدة خطوات نجحت من خلالها فى الحصول على تصريح لأجل علاج رفاته الرفيعة القدر فى باريس: وقد أوشكت على التحلل والفناء. ولقد استمر فحص ثم علاج رمسيس الثانى سبعة أشهر كاملة؛ فى "متحف الإنسان"؛ ولاشك أنه تحسن تحسنا ملموسا خلالها! ولا ريب أن العلاج الذى أجرى لهذا الفرعون الجليل فى باريس، قد خلصه من فيروس خطير يسمى بالـ Daedalea Biennis ومع ذلك، فإن التحليلات الطبية المتعددة التى أجريت له، قد كشفت لنا عن أسرار عجيبة الشأن حقا.. من المستحيل أن تفصح عنها أية كتابات أو نصوص مصرية قديمة: فهى عادة تبدو متحفظة وكتومة للغاية عندما يتعلق الأمر "بالفرعون" شخصيا !!

وهكذا، فإن حصيلة هذا السنوات المديدة من الدراسة والأبحاث قد ساعدتنى كثيرا على جمع؛ ثم إضافة دعامات جديدة لهذا الكيان العملاق العظيم الهائل ... رمسيس الثانى!..

إذن، والحال هكذا، لم يكن الأمر ليستدعى مطلقا، اللجوء إلى التخيل أو الاستنباط من أجل إعادة تشكيل وتصوير شخصية أكثر ملوك العهود القديمة تميزاً وإثارة للعجب والإبهار.. رمسيس العظيم. عموماً، إننى لو كنت قد لجأت، ولو بقدر ضئيل إلى الخيال، فإن ذلك، كان سيعتبر من ناحيتى .. خيانة له وانعداماً للوفاء والإخلاص!

ربما أنه ما زالت هناك بعض الغيوم والظلال القاتمة الضئيلة .. ومع ذلك، فها هنا فى هذا البحث تتجلى الحقيقة الدافقة المبهرة بحياة رمسيس .. إنها حقيقة مفعمة بالجاذبية الخلابة الساحرة، تفوق، كما سنرى، أى خيال أو وهم أو روايات ، مهما كانت حبكتها أو إبداعها!!..

حقيقة رمسيس: "ملك الملوك" بلا جدال!

# الفصل الأول

# آخر معجزات رمسيس

## شهر يولية ١٢١٣ قبل الميلاد: فى بداية عام جديد

هاهو اليوبيل(*) الرابع عشر للفرعون قد تم إحياؤه. ولوحظ أن هذا الملك، خلال كافة احتفالات هذه المناسبة، وقد تعدى وقتئذ، العام التسعين من عمره، لم يغادر قصره المعروف باسم "بر – رمسيس": كان هذا المقر القائم شمالا هو بالقطع شيء من السحر والإبهار!!.. وفى أجوائه المترامية نشأ العديد من أبناء رمسيس وتقدموا فى السن ثم تواروا نحو "العالم الآخر" .. خاصة أن أباهم الملك قد امتد به العمر إلى أرذله؛ وما زال يتقدم فى سنوات حياته، ويعانى من آلام شيخوخته! لقد توفى العديد من أبنائه الواحد فى إثر الآخر. وربما، أنه، فى حالته الراهنة هذه قد يصعب عليه تذكر أسماءهم: فهاهو الآن، على سبيل المثال، يخلط ما بين ابنه المدعو "مرى أتوم" (الذى انتقل إلى عالم أوزيريس السفلى عندما ناهز أبوه الفرعون عامه الواحد والسبعين)، والأمير رمسيس، القائد العسكرى الباسل الذى لحق بأخيه هذا بعد حوالى أربعة أعوام. وفى ذاك الحين، كان أبوهما رمسيس العظيم ما زال فوق عرش مصر منذ خمسين عامًا!! وبعد حوالى ثلاث سنوات، وقد قارب الفرعون عامه الثامن والسبعين، فقد ابنا آخر هو "ست حر خبش إف": وهو الابن البكرى للزوجة الملكية

(*) يوبيل: يعنى المراسم الفخمة المهيبة التى يتم خلالها تدعيم وتثبيت سلطة الفرعون ونفوذه فوق عرش مصر .. بعد مضى ثلاثين عاما على حكمه.

المعظمة نفرتاري، التي كانت قد انطلقت هي الأخرى نحو عالم "الغرب الجميل" .. عند أوزيريس!.. أما المحنة الأخيرة، فهي، بدون شك: وفاة ابنه المفضل لديه (وكان ترتيبه الثاني عشر بالنسبة لبقية إخوته المرشحين لتولي الحكم)؛ ثم تبعه إلى العالم السفلي ابنه المسمى "خع إم واست" العالم الحكيم الورع، كبير كهنة "بتاح" في منف. ووقتئذ كان رمسيس العظيم ما زال متربعا فوق عرش مصر منذ خمسة وخمسين عامًا ؛ وقد بلغ الثمانين من عمره!!

والآن هاهو قد تحدد وريث محتمل جديد للحكم: إنه الأمير "مرنبتاح"؛ وترتيبه الثالث عشر. وقد أنجبه الفرعون من زوجته الملكية الثانوية "إيزيس نفرت". وعندئذ، رأى المقربون من "رمسيس" أن الضرورة تحتم مضاعفة إيقاع مناسبات إحياء اليوبيل العظيم المجدد لحيوية الملك وإنعاشه. فقد وجدوا أن الأمر يستلزم إقامتها، بعدئذ، كل سنتين: حتى يكتسب الفرعون من خلالها المزيد من التوقد وتوهج الشباب!.. وهكذا، وعلى مدى السنوات العشر الأخيرة، تتابعت، في إثر بعضها بعضا احتفالات اليوبيل الملكية (أعياد السد)؛ بداية من العاشر وحتى الرابع عشر منها!.. وكان "وزير الجنوب" المدعو "نفر رنبت" هو المكلف بتنظيمها وإقامتها؛ ويعاونه في ذلك: "حوري" أحد أحفاد الفرعون. إذن، والحال هكذا، لم يكن من المستبعد أبدا أن هذا الملك الذي يزهو بانتصارات ومفاخر أسطورية، أن يصل به العمر إلى عامه المائة وعشر على غرار الحكماء المقدسين؟!.. عموما، كان الجميع يتوقعون ذلك!!

وهكذا، كانت الآمال والأماني تتجدد عند بداية كل عام جديد، في كافة أنحاء المملكة. فهاهو فصل الصيف "شمو" القائظ الحرارة على وشك الانتهاء. وتوارت الآن الأربعة أشهر الشديدة القيظ حيث كانت تربة مصر تعاني من الجفاف التدريجي. وأخذ أفراد الشعب يتوثبون ويتطلعون إلى وصول المياه العذبة النقية، أي مياه الفيضان .. وهي تصل عادة في نهاية الأيام الخمسة، بآخر أشهر هذا الفصل. ويعرفها المصريون باسم: "الإضافية"؛ أما الإغريق، فقد أطلقوا عليها عبارة: "أيام النسيء [١]".

إنها قطعا أيام رهيبة يخشى بأسها. فخلالها، يتجدد مولد أعضاء عائلة أوزيريس فى جنبات "نوت"، القبة السماوية. وحينئذ، قد تقع أية كوارث أو مخاطر وبيلة، ولذلك، كان المصريون، فى هذه الحال، يراعون ملازمة ديارهم وعدم مغادرتها. ثم يضاف إلى ذلك، ما قد تسببه السهام المدمرة القاتلة التى تطلقها الإلهة "سخمت"، وقد تتسبب فى إصابة المصريين بمرض الطاعون، والنفثات الملوثة (أى الملاريا).. حقا إن "سخمت" تشن هجماتها فجأة وعلى حين غرة.. وحقيقة أن هذه الإلهة تتراءى بجسد أنثوى جذاب جميل؛ ولكن تعتلى كتفيها رأس لبوءة كاسرة ضارية؛ كما تتسم بتضارب وثورة واحتدام عواطفها!

ومع كل ذلك، كان شعب مصر يتوقع فيضانًا غزيرا دافقا فى بداية هذا العام السابع والستين من حكم رمسيس العظيم. وكالمعتاد دائما، كان "الوزير الأعلى" يقوم، على التوالى بتقديم تقريره إلى الملك عن أحوال نهر النيل: بداية من شهر مايو، أى وقت التحاريق، عندما تكون المياه فى أدنى مستوياتها. وتتم عندئذ، مراقبة دقيقة لمدى منسوب مياه النهر، فى مواقع متباينة بأرض وادى النيل. كما يركز الاهتمام بوجه خاص، فى هذا الشأن، بداية من منطقة "جبل السلسلة": فهناك يكون النيل قد عبر، فى نهاية مساره، أرض النوبة .. حيث يصل إلى مصر! وعلى مقربة من اللوحات الكبرى بمعابد الرعامسة المحفورة بنفس صخور الجرف الجبلى الغربى، كانت القرابين تلقى بمياه النيل، حتى تعود بالخصب والازدهار على شعب مصر.

## الفيضان يتدفق

عشية هذا الموعد المنتظر على أحر من الجمر (وهو "أمسية رع")، كانت تقام احتفالات ضخمة تفيض بالورع والحيوية. فترى كافة النصب والمنشآت الكبرى، وجميع البيوت على أرض مصر، وهى تتجاوب مع تألق النجوم والكواكب الساطعة المنيرة، بإضاءة المئات من المصابيح الصغيرة أمام أبوابها. وكذلك، ففى هذا اليوم الأول من أول أشهر فصل "آخت"، هاهو فيضان النيل يتدفق هادرا، وقد صاحبه جو

قائظ الحرارة عملت على تلطيفه بعض الشيء الرياح الموسمية الرطبة، إنها تهب من ناحية الشمال، وتعمل، أحيانا على رسم غضون وتجاعيد فوق صفحة النهر الرقراقة، بل وتحد أيضا من اندفاع مياهه الدافقة نحو البحر.

من بعيد، كانت تتراءى أصوات ما، كأنها همسات خافتة .. إنها فى الواقع أنغام القيثار، المنسابة فى نعومة ورفق من أعماق المعابد، وهى تستقبل عودة مولد العالم من جديد. ولكن ترانيم وأهازيج الغناء والمرح الغامر كانت تصدح بوضوح تام فى كافة جنبات مصر. وفى جميع المدن والقرى، كان يتم تحطيم الجسور الطينية التى كانت تعمل على سد القنوات الجافة .. حتى تستطيع المياه المندفعة الهادرة المتدفقة لتوها أن تنتشر ثانيا فى كافة أنحائها. وحينذاك، كان الغرين الثرى بالحديد المخضب باللون الأحمر يغمر تدريجيا الحقول وكافة الأراضى الزراعية، بعد وصوله من نهر عطبرة بأثيوبيا.

ترى الآن أرض مصر قاطبة وقد تحولت إلى ما يشبه البحر، تتهادى على صفحته مئات من المراكب والقوارب المزينة بالزهور والرايات والشرائط الملونة؛ تنتقل من مكان إلى آخر على أنغام الطبول والمزامير المزدوجة. فاليوم هو أول العام الجديد. وارتدى كل المصريين أجمل ثيابهم الجديدة وكأنهم فى عيد[٢] فعلى. إنهم يهرعون لغرف بعض من هذه المياه الجديدة المنعشة ليشربونها، أو ليحتفظوا بكميات منها فى جرار حيث تتصفى من شوائبها. وأحيانًا، كانوا يصدرون كميات منها إلى خارج حدود المملكة .. باعتبارها نمطًا من الطلاسم والتعاويذ التى تساعد على الإخصاب والازدهار. وعادة، كان أفراد الشعب فى مثل هذه المناسبة يحتسون كميات ضخمة من "النبيذ الجديد"، الصادر من منطقة الدلتا والفيوم؛ بالإضافة إلى الرحيق والإكسير النادر، الأعلى جودة الذى كان يجلب عادة من جزيرة "سهيل"، على مقربة من أسوان. فإن موعد فيضان النيل، كان يتطابق مع فترة جنى العنب .. وهكذا، كان المصريون، يحتفلون احتفالا حارا صاخبا بأول أيام الشهر الأول بالعام الجديد .. أى شهر "توت"، الخاص بالنشوى والثمالة (تخ Tekh) !!

فوق أسطح المعابد، وقبيل بزوغ الفجر، قام الكهنة بوضع التمثال الصغير الخاص بالطقوس الشعائرية، بعد أن أخرجوه من ناووسه المغلف تماما برقائق ذهبية. إنه الآن، يبدو وقد استدار بوجهه ناحية الشرق .. وهكذا، فإن قُبلة الشمس لحظة شروقها، سوف تشحن هذا التمثال بالطاقة الإلهية اللازمة. ها نحن نرى أن مولد العام الجديد قد أعلن عنه فوق كافة أسطح أماكن العبادة، بداية من هذا الشروق الاستثنائى للشمس: حيث تبزغ، مرة واحدة فى العام، فى منطقة ما بالسماء، فى المكان التى تتراءى فيه نجمة الشعرى اليمانية "سوتيس" (سيريوس) واضحة للعيان .. بعد فترة خسوف مداها سبعون يوما. والجدير بالذكر، أن هذه النجمة، التى لم تزل معروفة لنا حتى عصرنا الحالى هى أكثر النجوم تألقا وبريقا ضمن مثيلاتها ببرج "الكلب الكبير". وهى تصور غالبا على هيئة كلبة صغيرة ذات ذيل منحنى الطرف. ولقد درج المصريون على تبادل تماثيلها الدقيقة كهدايا فى أول أيام العام الجديد. وقد ساد هذا التقليد بداية من فترة ما قبل التاريخ وحتى عصر الاحتلال الرومانى لمصر. وكان ذلك يتم خاصة عند اشتداد قسوة حرارة الجو: حيث يقال: "إنها حرارة الكلبة الصغيرة Canicula.

وقتئذ، فى غياهب أسرار القصر الملكى، هاهو جمع كبير من كبار الأطباء، قد تجمعوا مكتوفى الأيدى حول الفرعون، وهم يرونه على وشك لفظ أنفاسه الأخيرة!!.. وتجدر الإشارة إلى أنهم كانوا قد سافروا، مرارا وتكرارا، بأمر من الفرعون لمعاودة الكثير من حكام دول آسيا، الذين كانوا يتوقون بشدة للاستعانة بعلاج ورعاية هؤلاء الممارسين البارعين!...

الآن، هاهو الملك المعظم، الذى اعتاد أفراد شعبه، منذ أمد طويل، على مناداته حبا وألفة وتدليلا باسم "سيسو[٢]"، الآن يعانى سكرات الموت .. ومع ذلك، فإن هذا الإنسان الذى يقاسى وقتئذ لحظات الاحتضار، كان يجسد لمصر قاطبة، ولجميع الشعوب التى خضعت لعظمتها وسيادتها: "شمس مصر المتألقة، وجبل الذهب والإلكتروم، وغذاء أهل مصر وقوتها، ومن اختاره رع على متن مركب الشمس، والإله

المكتمل، ابن آمون، الصورة المكتملة للإله رع، وكوكب السماوات، وشمس الملوك، وقرص الشمس الذى يسطع بنوره على كافة البلدان، والثور القوى الشكيمة، حامى مصر وراعيها، الذى يخضع لسطوته ونفوذه كافة البلاد الأجنبية، المكلل بالانتصارات، ملك القطرين"!!

## مات الملك

لقد افتقد الفرعون كل قواه الجسدية .. بل إنه لا يستطيع التحكم فى حواسه السبع المقدسة القائمة فى رأسه ( عيناه، وأذناه، وفتحتا أنفه، وفمه ). إنه يئن تحت وطأة آلام وأوجاع لا تحتمل تسببت فى انحناء قوامه الفارع الممشوق إلى الأمام!.. وفى هذه اللحظة، هاهو ملك مصر العليا والسفلى "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، ابن الشمس "رمسيس مرى آمون" على وشك أن يلفظ آخر أنفاسه .. لقد حدث ذلك بالتحديد فى اليوم التاسع عشر من أول أشهر فصل الفيضان، فى عشية يوم الاحتفالات بالعام الجديد!!.. حالما انتشر خبر وفاة الفرعون، فى ذاك الحين الذى كانت تعم خلاله مظاهر البهجة والفرح، حيث استدعت الضرورة نشره فى كافة أنحاء مصر، سرعان ما تحولت أهازيج وأغانى الفرح والسرور بالسنة الجديدة إلى صرخات حزن وأسى ولوعة!!.. ومع ذلك،، كان من الصعب على أهل مصر تصديق هذا الخبر!.. ولكن هاهو ابن الإله الخالق فوق الأرض، بطل الأبطال فى شرخ شبابه وفتوته، الصورة المجسمة للقوة العاتية، الذى أنجب عددا كبيرا من الأبناء، ومن كفل النماء والخير والخصوبة لكافة أنحاء مصر، هذا الذى وفر لهذا البلد سنوات مديدة من السلام والأمان، الصقر الأعظم .. هاهو الآن قد حلق منطلقا نحو السماوات العليا. وبذا، فإن جسده الإلهى، سوف يقترن ويمتزج بالطاقة الأولية التى انبثق منها.

حول مخدع الفرعون المحتضر، تجمع آخر أبنائه الذين أنجبهم من زوجاته الملكات المعظمات، وكذلك من زوجاته الثانويات، بالإضافة أيضا إلى عدد كبير من

أحفاده، يتقدمهم ولى عهده الثالث عشر: "مرنبتاح"، الذى كان قد تقرر توليته العرش من بعده؛ وهو ابنه من زوجته الثانوية "إيزيس نفرت" .. ومن الواضح أن الملك، فى لحظاته الأخيرة هذه، كان غير قادر على التذكر .. فهاهى قد تلاشت من ذاكرته ذكرى محبوبته الوحيدة نفرتارى، حلم شبابه الجميل، أولى زوجاته الملكيات المعظمات، التى أنجبت له أوائل أبنائه الأمراء الذين رشحوا فى الماضى لخلافته... إن نفرتارى قد تركته وحيدا وتوجهت، منذ حوالى أربعين عاماً .. إلى "العالم الآخر"!!.. وترى أيضاً، الملكة "بنت عنات"، ابنته الكبرى وشقيقة مرنبتاح، وقد تقدم بها العمر: لاشك أنها قد حضرت قبل هذا الحدث الجلل من مقر سيدات الأسرة المالكة بالفيوم. وقد اصطحبتها عندئذ، الأميرة "حنوت مى رع"، إحدى الأميرات الوريثات لعرش مصر.

لقد هرع الكثيرون من كبار موظفى القصر نحو مخدع مليكهم فى لحظات احتضاره. ولا ريب أن العديد منهم، لم يعاصروا أبدا فترة صبا وشباب "رمسيس العظيم". وربما قد يستثنى من ذلك: "كبير كهنة آمون"، ويدعى "باك ان خونسو" الطاعن جدا فى السن. أما عن "الوزير الأعلى" السابق "باسر"، فقد توفى من زمن بعيد. والجدير بالذكر، أنه هو الذى تشرف، فى الماضى، فى مناسبة تتويج رمسيس، بمهمة تثبيت تاجى الملكية فوق رأسه: إنهما يمثلان الربتين الراعيتين: "نخبت" الصقر، و"وادجيت" الكوبرا.

كان "باسر"، قد تقدم به العمر، وما زال يشغل وظيفة "كبير كهنة آمون"، يعتقد أن الفرعون يتحتم عليه القيام بالدورة نفسها التى يؤديها الإله الخالق. وهكذا، كان يتذكر، أن تلك المراسم التى أسهم بها وهو فى ميعة شبابه وصباه قد جاءت خلال هذا الفصل المبارك "آخت" حيث يصل الفيضان إلى أرض مصر: منذ حوالى سبعة وستين عاما .. ولا شك أن "حابى" الذى يهب الفيضان الغامر الوفير، قد عمل على توجيه وتحديد المصير الدنيوى لأكثر مريديه ورعا وتعبدا .. رمسيس الثانى.

لاريب أن طول سنوات عمر رمسيس الثانى المديدة قد أضافت المزيد إلى قصة حياته الأسطورية الجليلة. وربما، أنه فى إطار هذه الأسرة التاسعة عشرة القائمة،

كان الأمر يتطلب التوغل فى جنبات محفوظات "أرشيف" المعابد، أو فى أعمق أعماق خبايا وأسرار "بيوت الحياة"، أملاً فى العثور على بعض الوثائق والمستندات التى سجل عليها: أن "بيبى الثانى" بالأسرة السادسة قد توفى بعد أن أصبح معمرًا لمائة عام من عمره!!.. ولكن، فى حالتنا هذه، فإن خلفاء "سيسو" (اسم تدليل رمسيس الثانى!) سوف يرجعون خاصة إلى طول مدى حكمه .. ويتمنون من شغاف قلوبهم أن يحاكونه فى ذلك. ولذلك، نجد أن رمسيس الرابع، قد نقش فوق إحدى لوحاته المكرسة فى أبيدوس: أنه يرغب "أن يتواءم مدى بقاءه على عرش مصر مع امتداد فترة حكم رمسيس العظيم، الإله الأكبر .. حيث حكم هذا البلد طوال سبعة وستين عامًا!".

## عاش الملك

إن وفاة أى فرعون قد تجر فى أعقابها نوعا من الانفصام وتقلقل النظام القائم. وبالتالى، تحتم الضرورة، فى المقام الأول تلافى الاستتباعات والعواقب الناجمة عن هذا الحدث الأليم. ولذا، والحال هكذا، فإن الأمير "مرنبتاح" وقد ناهز الخمسين من عمره، وأمضى بالإضافة لذلك فترة مديدة من المشاركة فى الحكم بجوار أبيه رمسيس؛ لكى يتلافى تلك الأخطار الوبيلة: فقد سارع، وفقا للمألوف، إلى تتويج نفسه ملكا على عرش مصر؛ مؤجلا مراسم التنصيب التى لا يتحتم أداؤها إلا بعد فترة الحداد الطويلة الأمد، بالإضافة إلى الطقوس الجنازية المهيبة الفخمة التى تستمر أوقاتًا لا نهائية!

وفى نفس أمسية الوفاة، استقبل الكهنة المحنطون جثمان الملك من أجل البدء فى تجهيزه وإعداده على مدى سبعين يوما كاملة. وفى نهاية هذه المدة، تكون رفات المتوفى قد تحولت إلى: "أوزيريس" آخر .. وبالتالى، يستطيع القيام برحلته فى غياهب "العالم الآخر" طلبا للخلود والأبدية. عندئذ، كانت تستهل فترة الحداد الصامت .. فالآن، وداعا للصراخ الثاقب الحاد الذى تطلقه النائحات الباكيات، وأيضا لتأوهات

الحزن والشجن من جانب الرجال وهم جالسون القرفصاء وقد أحنوا رءوسهم فوق ركبهم .. والآن، جاء دور السجود والركوع والخشوع الورع .. فهاهو "مرنبتاح"، وجميع الأمراء، وكبار رجال المملكة، قد أطلقوا لحاهم، معبرين قصدا، عن عدم الرغبة في الاعتناء بمظهرهم الخارجي!

## المُحنطون

من أجل أن تتم أولى عمليات تطهيره، نقل "رمسيس"، بداية، إلى مقصورة صغيرة تسمى بـ "خيمة التطهير"، على مقربة من معبد "بتاح". وهناك، في وسط جوقة من مرتلي التعازيم والرُقى، تم سكب بعض المياه المنعشة على الجثمان الملكي(٤). ثم قام الكهنة، بعدئذ، بوضعه فوق مائدة التحنيط، في مكان يعرف بـ "الموقع الطاهر"، أي: "الأويت". والآن، وفي غياهب وأسرار هذا المكان الغامض، وبإشراف ومسئولية "القائم الأعلى على الأسرار"، ممثلا للإله "أنوبيس" "رئيس البيت" و"رب التحنيط"، بدأ القائمون بهذه الشعائر بانتزاع مخ وأمعاء المومياء!!.. وربما قد يبدو ذلك بمثابة جريمة انتهاك جسدي؛ ولكنه، على أية حال أمر ضروري للغاية. وكانوا، من قبل قد غسلوا جسد الملك المتوفى بالماء المذاب به كمية من النترون. بعد ذلك، أجريت فتحة بالجانب الأيسر لملك مصر العظيم المسجى أمامهم فوق المائدة، بواسطة سكين منحوت من حجر الظران، أو الحجر الزجاجي الأسود (الأوبسيديان)، أو "حجر أثيوبيا". وكان الغرض من ذلك هو سحب مختلف الأعضاء الداخلية من أماكنها: وبدورها، بعد غسلها جيدا، تم تحنيطها أيضا. وهاهو القلب، قد أعيد إلى مكانه بداخل القفص الصدري؛ بالإضافة أيضا إلى الكليتين اللتين أرجعتا إلى موقعهما. ("فإن الإله الخالق يسبر أغوار القلب والكليتين"). وفضلاً عن ذلك، قد تجدر الإشارة إلى: أن المصريين كانوا يؤمنون بأن القلب هو مقر الضمير وموقعه؛ وبالتالي، يتحتم مروره بعدة اختبارات وتجارب عديدة ومحن شديدة في "يوم الحساب"(٥). ويتساوى في ذلك كافة

البشر والفرعون على حد سواء. وبالنسبة للأحشاء والأمعاء، فمن المقرر، بعد تحنيطها، وضعها بداخل توابيت صغيرة ذهبية الصنع تمثل شكل المتوفى تماما. بعد ذلك، يتم إدخالها، بهذه الحال، فى أوانى من المرمر: بحيث يتطابق كل عضو منها مع "أحد أبناء حورس الأربعة"؛ وهم، حابى، وأمست، ودواموتف، وقبح سنو إف[٦]. ويلاحظ أن أغطية هذه الأوانى الأربع المنحوتة من المرمر تمثل هؤلاء الآلهة الأربعة، فى صورة الملك المتوفى. وفيما يتعلق ببطن أو جوف هذه الأوانى، فهى وفقا للطقوس، تخضع لحماية ورعاية هؤلاء الربات الإناث الأربع: إيزيس، ونفتيس، ونيت، وسرقت؛ ارتباطا مع الجهات الأصلية الأربع .. وبعد إحكام السدادات على هذه الأوانى، تم وضعها، بدورها فى صندوق مرمرى الصنع أيضا: نقشت، فوق زواياه الأربع نقوش بارزة تمثل الإلهات الأربع أنفسهن المثلات فوق الأوانى .. وعلى ما يبدو، أن كل ذلك، كان فى نهاية الأمر، يوضع بداخل مقصورة صغيرة حقيقية، مشيدة بالخشب المغلف برقائق الذهب: وترى، مرة أخرى، عند كل من زواياه تماثيل للإلهات الأربع المذكورات أعلاه!! .. ويتراءى واضحا أن هذه الإضافات تبدو على قدر فائق الأهمية بالنسبة للمومياء: إنها ضرورية للغاية من أجل إعادة التكوين النفسى والروحانى للملك المتوفى. ولذلك، فمن اللازم أن تصاحبه فى مقبرته، وقد أحاط بها الأثاث الجنازى من كل جانب!

الآن، تقتضى الضرورة إغراق الجثمان فى حوض ملىء بالنترون[٧]؛ ثم إخراجه بعد ذلك، وتنظيفه، بكل عناية ودقة بأجود أنواع نبيذ النخيل وأفخرها. بعدئذ، يتم وضعه فوق سرير من القش الرقيق الناعم، حتى يرشح ويصفى تماما من سوائله؛ ويتحقق تجفيفه كلية. وأخيراً، وبعد أن يخلص جسد الفرعون العظيم مما كان يشوبه من دنس ونجاسة، يقوم المختصون بنقله إلى "بر- نفر" أو "بيت الحيوية والإنعاش". وفى هذا المكان، وبإشراف رئيس المحنطين، أى بالتحديد: "المستشار الإلهى"، يبدأ الخبراء مهمة تحنيط "رمسيس ملك الملوك". وذلك بلفه بأجود وأرقى وأدق لفائف الكتان؛ الذى تم نسجه خصيصا فى ورش "الحريم الكبير": حيث تقيم سيدات الأسرة المالكة؛ فى "مى ور" بالفيوم، على مقربة من بحيرة قارون .

ولاريب أن هؤلاء النساجات الملكيات المذكورات، كن يستلهمن، فى مهمتهن هذه، نفس ما فعلته الربة إيزيس: حيث قامت بغزل الشرائط النفيسة المقدسة الخاصة بالإلهة "نفتيس"، لكى تكون شبكة واقية وحامية من أية شرور وأضرار.. فلاشك أن مهنة الغزل والنسج تفعم بالقداسة والسمو، وتنبثق أساسا من السحر الإلهى[٨].

على ما يبدو، أن الكهنة القائمين بلف جثمان الفرعون باللفائف، قد عملوا، مسبقًا، على محاولة إعادة تقاسيم الوجه والجسد، من خلال حشو الفراغات التى خلت وأصبحت خاوية بسبب انتزاع الطبقات الدهنية. وذلك بحشوها بكتل صغيرة من نسيج الكتان!.. ثم أعادوا تشكيل الشفتين أيضا. وتحت الجفنين المغمضين، ثبتوا عينين صناعيتين رائعتين!.. وبالنسبة للأنف، فقد لوحظ أن غضروفه قد دمر تماما، وذلك بسبب اختراقه عدة مرات بالصنارات الصغيرة المعقوفة اللازمة لاستخراج مخ "ملك الملوك"!!.. ولذلك، عمل الكهنة المحنطون، على حشوه تماما بكمية ضخمة من الفلفل الأسود. وخلال ذلك، كان "الكاهن – المرتل"، وقد أمسك ببردية سجلت عليها تلك الطقوس أو الشعائر المقدسة، لا يتوقف عن ترتيل ما تتضمنه من تعاويذ ووصفات لحماية ووقاية المتوفى!!..

وبواسطة حلقة ذهبية، تم تثبيت القلب تثبيتًا تاما بالناحية اليسرى، أعلى القفص الصدرى: وهذا الأخير بدوره مليء كلية بطحين أوراق الطمباق البرى المخلوط بالراتنج المصمغ الزكى الرائحة. بالإضافة لذلك، وضمن مجموعة الأعشاب الأخرى التى حشى بها هذا الجزء من جثمان الفرعون، أضيفت أيضا كميات ضخمة من رءوس نبات البابونج، مع عدد كبير من التمائم الذهبية أو المصنوعة من الطين النضج المصقول بلون "الفيروز".. وهكذا تضوعت المومياء بعطر وأريج كافة هذه النباتات ليضفى عليها وقايته السحرية وحمايته[٩].

وأخيرًا، فمثله كمثل أوزيريس الذى اغتاله "إله الشر"، ثم ألقى به فى اليم، حيث افتقد عضوه الذكرى المخصب، لأن سمكة القنوم قد ابتلعته، هاهى المومياء، من

خلال مشهد درامى صامت، يتم استئصال عضوها الذكرى .. حيث تجرى له عملية تحنيط خاصة، ويعاد ثانيًا إلى نفس مكانه الأصلى .. تحسبا لعودة الحياة والحيوية مستقبلا إلى جسد الفرعون.

## هكذا تم تحنيط رمسيس

هاهم الفنانون والحرفيون فى ورش الصياغة يهرعون إلى إبداع وإنجاز المصوغات والحلى الجنازية الخاصة بفرعون مصر العظيم: قلائد مستطيلة مزينة بأشكال الجعارين رمزا للبعث الأولى. وهناك أيضا مراكب إلهية؛ بالإضافة إلى أشكال تمثل الربات الراعيات الحاميات وقد أحطن بالعين "وادجيت" تعبيرا عن الاكتمال الحيوى المرتقب. وترى أيضا تماثيل للإله أوزيريس: واقف وقد أمسك بصولجان السلطة الملكية؛ وكذلك هاهى حلى فى هيئة "صدرية تصور بوابات المعابد الكبرى القائمة على جانبى الربتين إيزيس ونفتيس، وهما تقومان بإعداد عملية إضفاء الحيوية والحياة على العمود "جد". هاهو إذن كل شىء قد جُهز تماما: بالإضافة طبعا إلى عدد لانهائى من التمائم والطلاسم، وتماثيل كبيرة تجسد بعض الآلهة المجنحة المصنوعة من رقائق ذهبية خالصة: وكان الهدف منها، هو إدماجها فى ثنايا الضمادات التى لفت بها المومياء .. فى أماكن معينة ومحددة انتزعت منها أعضاؤها.

ويلاحظ أن الكهنة القائمين بهذه المراسم، كانوا، فى أثناء تثبيتهم للتمائم والطلاسم، أو وضع الحلى بالمومياء الملكية، يرتلون أدعية وصلوات خاصة. ويرى حزام مصنوع من الذهب واللآلئ الكريمة المتعددة الألوان لكى يثبت فوق بطن الملك خنجره الأسطورى ذو المقبض الذهبى المزين برأسى صقر متعارضين. إنه الخنجر نفسه الذى درج تصويره من خلال تماثيل الفرعون .. وخاصة بتمثاله العملاق فى منف .. أما عن أطراف أصابع يدىْ وقدمىّ هذا الملك الجليل فقد أُلبست جميعها، لحمايتها، بأغطية ذهبية!!.

وكذلك، زينت جميع أصابعه بالخواتم الذهبية المرصعة بالأحجار النفيسة. ونجد أن أكثرها تناغما وتناسقا قد حليت بنقوش تمثل العين الإلهية، أو زهرة اللوتس وقد انبثقت منها الشمس المتألقة، أو الجعل: وبالنسبة لهذا "الموتيف" (النموذج) خاصة، فقد تم إبداعه فوق محور متحرك صغير: بحيث يستعمل الوجه الداخلى كختم أو طابع؛ ونقشت عليه إحدى الصيغ السحرية الواقية؛ واسم الفرعون وصورته.

وعن شعر "رمسيس" فهو يتميز بطوله وملمسه الناعم المخملى إلى درجة تثير العجب والدهشة. وحقيقة، خطه الشيب بسبب التقدم فى السن؛ ولكن على ما يبدو، كانت قد تمت صبغته بطبقة رقيقة من الحنة (وكذلك الأمر بأصابع اليدين والقدمين). كما يتراءى واضحا أن شعر الفرعون لم يصب بالصلع، بالرغم من أنه قد بلغ من العمر عتيا!!.. كما أحيط رأسه الملكى بشريط رفيع من الذهب ومع ذلك، فقد تبين استحالة تتويج جبينه بشكلي الإلهتين المنتصبتين البدائيتين ، أنثى النسر والكوبرا ، اللتين تساعدان على إعادة تكوين[١٠] المتوفى، فى هيئته الشبابية المزدهرة المتوهجة .. فمن الواضح أن شكل هذين الرمزين الإلهيين كان فائق البروز. وبالتالى، لم يتناسب مع وضع القناع الذهبى ثقيل الوزن مباشرة فوق الضمادات الملتفة حول رأس وصدر المومياء[١١]. ولم يجد الكهنة المختصون مفرا من دس هذين الشعارين بداخل ثنايا الضمادات، بين ساقى المومياء الملكية!

ولكن، فى الحين ذاته، نجد أن هذين الحيوانين (أنثى النسر والكوبرا) الممثلين للملكية والمزينين لجبهتى التابوت الأول والثانى فى هيئة مومياء، قد توجا بتاج "المبرعين[١٢]" المجدول بأوراق نبات "البرسيا" وبراعم زهور اللوتس الأزرق اللون. وذلك، فإن "رمسيس"، بداية من رحلته العجيبة المفعمة بالأحداث الأسطورية فى إطار العالم السفلى كان يتلقى الدعم والعون، الذى يحقق له شرعية ألوهيته الشمسية: والتى سوف تزداد رسوخا وتأكيدا من خلال المحاكمة الإلهية.

وأخيراً، هاهو جثمان "ملك الملوك" يُحزم كلية، بداخل كفنه، بواسطة أربطة مستطيلة من الكتان الرقيق الناعم .. وفي النهاية، يتم وضعه بداخل عدة توابيت متعاقبة بداخل بعضها بعضا.. وقد صنعت خصيصا على هذا المنوال لتتطابق تماما مع الطقوس الجنازية(١٢).

## توابيت ومقاصير

في هذا الحين، وجهت الدعوة لجميع أفراد عائلة الفرعون، بحضور "عملية وضع موميائه بداخل توابيته". وهنا، قامت الملكات المعظمات بإحاطة عنق وكتفي مليكهن المتوفي بأكاليل الزهور المجدولة مع أوراق نبات البرسيا. وحقيقة إنهن قمن بذلك منذ الصباح الباكر حتى تكون هذه الزهور والنباتات يانعة نضرة: ولكن، لاشك أنها قد بقيت جافة ومحتفظة بشكلها على مدى آلاف السنين .. خاصة إذا لم تلامسها لفحات الهواء .. بعد ذلك، قام الكهنة المختصون بإلباس مومياء الفرعون القناع الصدري المصاغ من الذهب الخالص؛ ثم أرقدوها بداخل التابوت الأول، المصنوع هو الآخر من الذهب الصب. ونفس هذا الأخير، وضع بدوره في تابوت آخر من الخشب المغلف برقائق ذهبية مطعم بزخارف من العجائن الزجاجية المماثلة في هيئتها لحجر "الفيروز" النفيس؛ وباللازورد الكريم والعقيق. وفي نهاية الأمر، هاهو تابوت ثالث فائق الضخامة، على أتم استعداد ليتلقى في قلبه كل هذا "التداخل" غريب الشأن!... وعن هذا الأخير الأكبر حجما، فقد قُد من الخشب المغلف بطبقة من الذهب. واتخذ نفس هيئة وشكل التابوتين السابقين. وقد زينت جوانبه بترصيعات بديعة تمثل جناحين هائلين عملاقين توفران الحماية والرعاية الإلهية الواهبة "لنفثات الحياة الأبدية".

هكذا، أصبح رمسيس على أتم استعداد للانطلاق إلى الجبانة الملكية .. حيث يلتقي بأجداده العظام الراقدين في أعماقها منذ أوائل "الدولة الحديثة".

قبيل الانتهاء تماما من إعداد مومياء الفرعون "ملك الملوك"، و"وداعه الوداع الأول"، حرص "مرنبتاح"، الملك الجديد، على التوجه، فى زيارة طارئة إلى طيبة، وكذلك إلى الضفة اليسرى، حيث يقع مقر أبيه رمسيس؛ وأيضا، تفقد ساحة المعبد اليوبيلى، الرمسيوم، حيث كانت تقام العديد من الاحتفالات السنوية لدعم وتأكيد السلطة الملكية(١٤). فقد وجد "مرنبتاح" أن الضرورة تحتم عليه التيقن تماما من أن الاحتفالات الجنازية المهيبة الكبرى، التى ينظمها "وزير الجنوب" "نفر رنبت"، وهو أيضًا "عمدة مدينة طيبة"، سوف تقام على أكمل وجه وفقا للطقوس التقليدية العريقة وبمظاهر الفخامة والأبهة اللائقة.

## رمسيس يغادر عاصمته!

شرق الدلتا، على ضفاف "مياه رع"، بالقرب من "بر- رمسيس"، هاهى السفينة الضخمة التى لا يقل طولها عن ستين ذراعًا، وكانت قد شيدت خصيصا من أجل جناز الفرعون .. ما تزال راسية على رصيف الميناء. وكان قد لزم الأمر تزويدها بمظلة ضخمة لأجل حماية توابيت الملك وجثمانه. إنها تبدو وكأنها نعش هائل مزين: فقد زخرفت بفروع باسقة من نبات البردى، إيماء إلى المستنقعات الأولية فى بدء الخليقة ... وها هى "روح" رمسيس تطرقها وتجوب أنحاءها. وترى أعداد من النساء الناحبات وقد أحطن بمكان مراسم الجناز الملكى، ويعملن على مواساة وتعزية آخر زوجات رمسيس الثانى المعظمات. إنهن يبدون جالسات القرفصاء أو واقفات، وقد رفعن أذرعهن نحو السماء .. ويتأهبن على مدى الرحلة من شرق الدلتا وحتى مدينة طيبة، لتقديم عرض مأساوى يكاد يقطع طيات القلب تعبيرا عن الحزن والأسى!!

على رأس هذا الموكب الجنازى النهرى، تشاهد سفينة "مرنبتاح" الخاصة، وهى تمخر عباب النهر. وفى إثرها ينساب الرفاص الخاص بقطر السفينة الجنازية: وهو،

بدوره مزود بشراع عريض ضخم أفقى الشكل؛ وألحق به قاربان، زينا بزخارف متعددة الألوان. ولا ريب أن هذه المركب القاطرة تؤازر وتدعم عمل وفعالية مجاديف السفينة الجنازية الضخمة. بل هي تعمل، بالإضافة لذلك، على دعمها ومعاونتها في مجابهة التدفق المائى بالشهر الثالث من فصل الفيضان (= أكتوبر ١٢١٣ قبل الميلاد) الذى أثقلت مياهه بالغرين الغزير، وتفاقمت خطورة تياراته.

وبالنسبة لبقية سفن هذا الأسطول الهائل، فقد حملت بالأثاث الجنازى الخاص بالملك. والبعض منها، استقبل على متنه، الكثير من أعضاء العائلة الملكية، وكبار موظفى المملكة، والكهنة الجنازيين .

بداية من تحرك هذا الموكب الجنازى الضخم، سارع سكان السواحل، والفلاحون، وأعداد غفيرة من المدنيين، وقد أعلموا بخبر مروره المعظم، للتجمهر والتجمع على ضفاف النهر: فإن المنظر الذى يتراءى أمام أعينهم كان مثيرا للعجب والإبهار ... حقيقة أن فخامة الموكب ومهابته قد سحرا ألباب الناظرين واستولى على أفئدتهم !!.. وهناك، على مقربة من مياه النهر، كانت تتعالى صيحات ونحيب النساء الحزينات المتأسيات .. بل إن البعض منهن، كن يُهلن التراب فوق رءوسهن تعبيرا عن شجنهن .. وهن يرددن في نهاية كل أغنية جنازية يصدح بها الملاحون، بعض المقاطع الغنائية الحزينة التقليدية !.. من الواضح تماما أن هذا المشهد برمته يعبر عن امتداد الوجود الأبدى اللانهائى لرمسيس العظيم .. الذى ما زال حتى تلك اللحظة يهيمن على مصر بأثرها!!

لقد لزم الأمر توقف الموكب الجنازى لمدة يومين عند مدينة "أبيدوس"، أو بالأحرى "معبد أوزيريس": حيث يجب أن يندمج رمسيس فى جنباته ويلتحم به .. فالأمر يستدعى التماسه لعفو وتسامح هذا الإله الذى مات شهيداً!.. وبعد انتهاء الطقوس الأولية المتعلقة بالتنصيب، صعد "الكاهن الأكبر" المدعو "ونن نفر" وابنه "حورى" إلى متن السفينة الملكية لكى يصاحبا مليكهم حتى "وادى الملوك" (البستان الأعظم).

وهناك، ناحية الجنوب، عند مشارف معبد آمون المترامى المدى، وبرصيف الميناء الذى ارتفعت به مياه الفيضان، يرى "الكاهن الأكبر باكن خونسو" وكافة مرؤوسيه من الكهنة وهم يحيطون بمرنبتاح: ويتقدمون لاستقبال الفرعون المتوفى وحاشيته.

من المؤكد أن فناء هذا المعبد الملكى الهائل فسيح الأرجاء، ومقدمة القاعة المعمدة قد تم فى أرجائها مشهدا تمثيليا أوليا لمحاكمة الملك المتوفى... ولاريب أن الحكم النهائى الذى صدر فى نهايته من جانب كبار معاصرى رمسيس: قد رشحه ليكون ضمن المبرئين الصالحين فى "العالم الآخر". والآن، يبدو الأسطول الجنازى النهرى وقد ازداد ضخامة ومهابة؛ حيث لحقت به عندئذ مراكب كبار موظفى طيبة ووجهائها. وهاهو يتقدم لقوة دفع المجاديف على صفحة مياه الفيضان الهادر الفائقة المدى .. التى غطت تماما الجانب الغربى من طيبة.

الأسطول الجنازى شارف الآن؟، موقع التماثيل الضخمة العملاقة المجاورة لمعبد أمنحتب الثالث، جنوبا ("ممنون").؛ لقد تعداه، ليصل مباشرة إلى مرسى الرمسيوم: هاهى منطقة "الأمنتت": حيث يطرق المتوفون مجاهل غموض وأسرار وخبايا مجال "الإلهة العظمى حتحور"... وفى غياهب المعبد اليوبيلى، أدى الكهنة بعض المشاهد الجنازية التمثيلية الصامتة الموغلة فى القدم: صاحبتها عدة أغانٍ، ورقصات: (خاصة تلك المتعلقة بـ "مو" و"بوتو").. إشارة إلى أهمية الحج إلى تلك المدن المقدسة.

### نحو الجبانة الملكية!

فى فجر هذا اليوم المحدد؛ اتخذ الموكب الجنازى طريقه نحو مقابر "الأجداد والأسلاف".. ووقتئذ، كانت مياه الفيضان ما تزال تغمر معظم أنحاء أرض وادى النيل حتى مشارف الصحراء. ولذلك، عاد الموكب الجنازى المهيب إلى سلوك الطريق النهرى ثانيا: لكى يرسو إلى أقرب مكان، يوصله إلى "الجبل": وهناك، استمر الجهد والعمل

المضنى لساعات مديدة من أجل نقل التوابيت المتعددة المتداخلة فى بعضها بعضا .. الهائلة الثقل. بالإضافة أيضا إلى النعش الملكى؛ والجرارات الضخمة؛ وقطعا الحاويات ثقيلة الوزن المستوعبة للأوانى الكانوبية، وكافة قطع الأثاث الجنازى (مقاعد، وصناديق كبيرة، ومركبات، وأسرة كبيرة خاصة بالتحولات المتعددة المزينة بأشكال حيوانية، وأوانى من المرمر حاوية للدهانات زكية الرائحة والعطور، وسلال من أجل الأقمشة والبياضات، وصناديق مليئة بالحلى والمجوهرات الشعائرية، وأدوات من كافة الأنواع والاستعمالات، وأجهزة متباينة متعددة، وألعاب مختلفة الأنماط، وملابس فاخرة، وجواهر نفيسة، وعصى وأقواس وجعبات للسهام، وأوانٍ وجرار ضخمة مليئة بأجود أنواع النبيذ الواردة خصيصا من الأقبية الملكية[١٥]، وتماثيل شعائرية صغيرة ذهبية أو مغطاة بطبقة من القار. وهناك أيضا الكثير من التماثيل المكونة من ثلاثمائة خمسة وستين شكل صغير : بعدد أيام العام؛ تمثل الملك فى هيئة مومياء (إنها" الأوشابتى")؛ وقد توج بمختلف التيجان، لمساعدته على ولوج العالم الأوزيرى؛ وهناك، يبعث ثانيًا فى نهاية كل دورة سنوية، شأنه كشأن حورس الجديد.

بالإضافة لكل هذه النفائس النادرة، كانت هناك: قرابين حيوانية محنطة بداخل توابيتها الخاصة. وقد قام بمهمة حملها ونقلها: كبار رجال المملكة، وموظفوها المهمون، وأصدقاء الفرعون، وحاشيته وخدمه.

هاهو الموكب الهائل الفخيم يتحرك!!

الآن، تتراءى الزحافة الضخمة حاملة للنعش الملكى، وتجرها عدة ثيران عاتية القوة !.. وهاهم بعض الكهنة يتقدمونها ويرشون الأرض أمامها بكميات من اللبن... وفى بطء واضح، يسير خلفهم المعزون متجمعين وراء الوزيرين الكبيرين ذوى الرءوس الصلعاء. وكذلك، يتقدم "أصدقاء الشعيرة التسعة" وهم يتكئون على عصى طويلة، وقد عصبوا رءوسهم بعصابات الحداد بيضاء اللون ، فى إثرهم، يسير حاملو أفرع البردى الطويلة، ثم يعقبهم عدد كبير من الناحبات النائحات،

وقد لُطخت أثوابهم بالتراب الذى كن يهلنه فوق رءوسهن. إنهن مشعثات، منكوشات الشعر، وهن يعبرن ثانيا، بالعويل والصراخ الشديد، عن حزنهن وأساهن ...

وأخيرا، وصل الموكب اللانهائى إلى موقع "وادى الغرب"، حيث كان "نب ماعت رع" أى "أمنحتب الثالث"، قد شيد "مأواه الأبدى". وهاهو الموكب يتقدم فى ذاك الطريق الصخرى الوعر: ترى على جانبيه اللوحتان اللتان كان "باسر" قد أمر بنقشهما فوق الصخور الجيرية خلال الفترة التى شغل فى شبابه بها وظيفة "وزير الجنوب" والقائم بمهمة الإشراف على إعداد مقبرة مليكه.. من ناحية، مثلت البقرة حتحور، "ربة الغرب"، وقد اعتلى رأسها قرنان يحتضنان قرص الشمس الذى تعتليه ريشتا نعام. أما بالجانب الآخر، فيرى المشهد نفسه؛ ولكن هاهو "باسر" قد مثل راكعا على ركبتيه أمام صورة الإلهة "حتحور"، وقد ضمت بين قرنيها قرص الشمس المتوج بريشتى صقر عاليتين: رمز الربة "ساتت". إن الصورة الأولى لحتحور تمثلها وهى تستقبل فى أحضانها الملك المتوفى، فى جنبات الجبانة الغربية. أما شكلها الآخر، فإنه، بخلاف ذلك، ينقله إلى مرحلة البعث الكونى، بشرق طيبة: وتنبئ عن ذلك النجمة المتألقة المتوهجة فى إطار السنة الشمسية.

بهذا الموقع، تم استبعاد الدواب التى تجر المركبة الجنازية. وهكذا، تكفل كبار موظفى البلاط الملكى بأنفسهم بسحب النعش فوق زحافة .. حتى مدخل الجبانة الملكية.

## مقبرة الفرعون

لقد تم وضع التخطيط الخاص بمقبرة رمسيس[١٦]، بعد تتويجه بفترة وجيزة: إنها، بدون شك، تتشابه مع تلك الخاصة بأمنحتب الثانى: فهى، عامة، قد خططت

بشكل مثلث. ولا تتطابق كثيرا بالتخطيط الكهفى(*) الذى يتم حفره فى قلب الجبل نفسه وفقا لمحور واحد: مثل طراز مقبرة سيتى الأول والد رمسيس الثانى؛ وكذلك كشأن نظيرتها الخاصة بمرنبتاح: الخليفة المباشر لهذا الأخير .. ولكن، لماذا عساه ابتعد رمسيس عن اتباع "المحور الشمسى" ؟!!

بالنسبة للتابوت الجنازى الهائل الضخامة المنحوت من المرمر، فقد تم إدخاله المقبرة حالما انتهت كافة الأعمال بداخلها. وبدت جدران هذه المقبرة شبه الكهف، وقد زينت بمشاهد تمثل الملك في حوارات دائمة مع آلهة العالم السفلى، وتراءت نقوشها البارزة فائقة التألق والتوهج أمام أعين حاملى الشعلات لإنارة المكان، بغرض تنسيق الكنز الجنازى. أى بالأحرى، الأثاث الخاص بهذا الفرعون الذى عقد لتوه زواجه الإلهى مع "الربة العظمى" التى استقبلت فى أحشائها مومياءه الملكية!!

بداخل المقبرة الملكية، تتوالى الدهاليز والممرات وراء بعضها بعضا. وزينت جدرانها بنقوش تعبر عن مختلف تحركات الشمس. والجدير بالذكر أن الفرعون المتوفى يتماثل عندئذ بهذا الكوكب المنير، خلال ساعات الليل الاثنى عشر .. وفى نهاية الأمر يقود تعاقب الممرات المشار إليها آنفا، إلى القاعة الأولى ذات الأعمدة الأربعة. إنها "قاعة المركبة". تجاورها اثنتان أخريان، حيث يضع الكهنة المختصون مركبتى الملك: أولاهما مكسوة تماما برقائق ذهبية. وعلى متن كل منهما، سوف يقوم "الملك الشمسى" بتبديد الغيوم الملبدة الضارة؛ ويجوب، منتصرا ظافرا مواقع "الشيطان" لدحره وتدميره!!.. وكأن هذا الفرعون صورة مسبقة للإله الإغريقى الأسطورى "أبوللو"!!

بعد ذلك، نرى الممرات تتكرر وتتوالى ثانيا. أما جدرانها، فقد زينت بنقوش دقيقة منمنمة. وهى تسرد، من خلال رسومها الملونة، تلك المراسم الغامضة السرية الخاصة

(*) المقبرة – الكهف : مشتقة من اللغة الإغريقية Syrinx (ناى مصنوع من البوص). هكذا كان الإغريق يسمون مقابر الفراعنة فى طيبة.

بفتح عينى وفم المومياء، وأيضا تماثيل الملك المتوفى. وعند نهاية هذه الأروقة، تقع قاعة مستطيلة الشكل؛ تعرف باسم: "قاعة الحقيقة". ومهمتها الحفاظ على توازن الشبكة السحرية الواقية الغامضة التى تحيط بجثمان الملك المعظم: حيث قد تمت تبرئته واعتباره من الصالحين المرضى عنهم؛ وبالتالى، سوف يتم بعثه وإنعاشه من جديد بفضل النفثات الإلهية...

بعد تلك القاعة المشار إليها، نلاحظ أن تخطيط المقبرة – الكهف قد تحول فجأة إلى هيئة زوايا قائمة. ومن خلال باب صغير بأحد جوانب "قاعة الحقيقة"، نجد أنها تتصل بحجرة القبو الكبرى، أو بالتحديد "حجرة الذهب": وهى المركز الرئيسى للمقبرة، وقد دُعمت بثمانية أعمدة: يجاورها ثلاث مجموعات من الغرف الملحقة المتفاوتة المساحات والأهمية .. وبدخولك "القاعة الذهبية"، سوف ترى أن الحجرة الصغيرة التى على يمينها، قد زخرف أحد جدرانها، بمشهد "كتاب بقرة السماء". وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأسطورة قد ظهرت للمرة الأولى، من خلال نقوش مقصورة خاصة بالملك توت عنخ آمون. وهى تمثل أهمية قصوى: فليس من المستبعد أبدا أنها بمثابة النسخة المصرية لموضوع "الطوفان" .. ويتمثل مشهدها، فى صورة بقرة ضخمة، زرقشت بطنها بنجوم وكواكب عديدة. ولا ريب أن هذا الحيوان يمثل القبة السماوية؛ تمخر عباب السماوات يجاورها: "مركب رع" .. أو الشمس الغاربة.

وتقول الأسطورة، إن البشر قد دبروا مؤامرة ما ضد رب الأرباب هذا. ورأى هذا الأخير أن الضرورة تحتم عقابهم: فأرسل إليهم الإلهة حتحور، فى صورة لبوءة ضارية كاسرة متعطشة لسفك دمائهم والانتشاء بها. ولكن "رع" رأى أن الضرورة تحتم عدم إبادة البشرية .. وبالتالى، عمل على سكب كميات هائلة من الجعة الحمراء اللون (مثل الدماء ..) فوق الأرض.. وهكذا، انتشت حتحور تماما بعد تجرعها لهذا الشراب .. وثملت تماما .. وسلم البشر من بطش وضراوة هذه الإلهة .. واستتب النظام والأمن ثانيا..

ومع ذلك، فها هو رب الأرباب قد أصابه السأم والضجر من غدر البشر وشرهم، فتركهم وصعد إلى السماوات العليا، حيث قامت ابنته "نوت" البقرة المرصعة بالنجوم،

بحمله فوق ظهرها لتوصيله .. وأعلن الإله الخالق بقوله: "لم آمر أبدا بأن يكونوا أشرارا .. ولكن، هاهى قلوبهم تتمرد على أوامرى(١٧)".

وعن الغرفة الصغيرة التالية الجانبية الواقعة يمينًا، فقد زخرفت نهايتها بكوة دقيقة تتضمن الجزء السفلى لتمثال ما (لاشك أنه يمثل الإله أوزيريس).

لقد اكتظت هذه الحجرات عن آخرها بنمط من الأثاث الشعائرى غريب الشأن، والأوانى الكانوبية المحتوية على أحشاء المتوفى، والتماثيل الصغيرة (أوشابتى)، وأشكال أخرى تمثل بعض الأرباب من أجل مصاحبة تناسخات وتبدلات الميت، والعديد من المراكب والزوارق المتباينة الأشكال والأحجام؛ وكافة العناصر اللازمة لهذا الكنز الجنازى، كمثل: الدهانات العطرية، والملابس الفاخرة، وأدوات الزينة، والقرابين الغذائية، ونموذج مصغر يمثل "أوزيريس وهو يفلح الأرض ويزرعها"، وتماثيل لرمسيس من الخشب، المكسوة بطبقة من القار أو الذهب، وتمثال للكلب الأسود العملاق "أنوبيس": رمز دخول عالم الأبدية؛ تحت إشراف وهيمنة ربه وسيده .. أوزيريس(١٨)!

بقلب "القاعة الذهبية"، ها هى الحاوية الضخمة المصنوعة من المرمر قد تلقت التوابيت المتداخلة المتباينة الخاصة بمومياء الفرعون العظيم. وفى هذه الأثناء، تم تثبيت المومياء فى وضع رأسى أمام مدخل المقبرة: حتى تجرى لها، فى نهاية الأمر، آخر الشعائر الجنازية؛ أى: شعيرة "فتح الفم والعينين(١٩)".. حتى تستطيع استعادة كافة حواسها!

ويحتم الأمر، قيام خلفاء الملك فوق العرش بأداء ذلك الطقس. وبذا، يرى "مرنبتاح"، وقد ارتدى جلد الفهد وتوج رأسه بالتاج "خبرش" المحلى بريشتى النعام، وقد انتعل خفين مصنوعين من الجلد الأبيض اللون: إنه الآن، يستعين بعدة أدوات، وُضعت خصيصا بجواره فوق حامل صغير. ويتبين لنا، أن الحركة النهائية التى تختتم هذا "الوداع الأخير" للمتوفى، يتحتم أداؤها بواسطة بلطة، فى شكل فخذ بقرة .. إنها ترمز، بشمال السماوات العليا إلى: "الدب الأكبر".

# الفصل الثانى

# وقائع مغامرات مومياء الملك

## وداع الفرعون

بالرغم من تأوهات وأنين "الأرملة الملكية المعظمة"، وتشبثها بساقى مومياء زوجها، "هذا المسافر مليح الوجه وسيم القسمات المتوجه مباشرة نحو أرض الأبدية"؛ ورغما عن نواحها وتوسلاتها إليه بألا يتركها وحيدة .. هاهم الكهنة يأخذون المومياء، ويثبتون فوق رأسها وكتفيها القناع الذهبى .. ثم يرجعون إلى المقبرة – الكهف، ويضعون ثانيًا هذا الرفات الملكى بداخل توابيته المتداخلة فى بعضها بعضا. ويقومون بعد ذلك، على التوالى بتثبيت أغطيتها فوقها .. ثم، فى بطء وتأنٍ ينزلون الغطاء الحجرى المرمرى ثقيل الوزن فوق الحاوية الكبرى. بعدئذ، نرى الكهنة وهم يغطون الوعاء الجنازى الضخم بما يتضمنه من توابيت ومومياء الفرعون، بخيمة رقيقة ناعمة من الكتان الشفاف المبرقش بزخرفة من الزهور الذهبية. وقد ثبتت، عند أركانها الأربع بواسطة أوتاد مكسوة برقائق ذهبية. ويتبين، أنه قد أزمع إقامة الأربع مقصورات[(١)] الإلهية فوق تلك الكتلة الجنازية هائلة الحجم.

وبالفعل، ثبتت، بصفة مبدئية حول "القاعة الذهبية"، أمام الجدران المسجل فوقها بضعة فصول من الكتب المقدسة، كمثل كتاب: "العالم الآخر"، أو نظيره السامى رفيع القيمة: "كتاب الأبواب"، ثبتت عدة لوحات من الخشب المذهب: لقد زخرفت هذه "اللوحات بنصوص ورسوم جنازية تتعلق بالطقوس الملكية. وكان من

المزمع أن تجمع فيما بينها وتحيط بمجموعة توابيت الملك. بل هي تقوم بدور مهم آخر، ضمن العديد غيره، ألا وهو: الإيماء، من خلال أشكالها المتجسدة، إلى المقاصير اللازمة لمصير المتوفى ومستقبله: فها هما نسختان متطابقتان، تمثلان المقصورة الموغلة في القدم الخاصة بالأم الأولية لمنطقة الجنوب، وتدعى: "نخبت"، الإلهة الصقر. ثم هناك مقصورة ثالثة تتشابه بمعبد "وادجت"، الكوبرا، *العريقة*؛ وهي *الإلهة الأم* للجنوب. ولاشك أن هاتين الإلهتين، تستطيعان، والحال هكذا، مصاحبة المتوفى طوال فترة رحلته "بالعالم السفلي"؛ بل وتشعان أيضا بألوهيتهما وقدسيتهما على كل جزء من "جهازه الجنازي" .. وأخيراً، فإن المقصورة الرابعة، من المفترض أن تستوعب في جنباتها *الثلاث الأوائل*: وبذا، نجد أنها قد أقيمت على هيئة الذهب الخاص بالعيد "سد[٢]": أي بالتحديد، عيد الاحتفالات باليوبيلات الكبرى التي تتجدد كل ثلاثين عامًا من حكم الفرعون القائم فوق العرش. ولا ريب أن هذه المقصورة الرابعة، سوف تعمل خاصة على إنعاش المتوفى وتجديد حيويته وقوته بصفة دائمة!

ولا ريب أن الموكب الجنازي الملكي كان قد تضاءل بشكل ملحوظ. فلم يعد هناك سوى القائمين الرئيسيين بأداء الطقوس. وهاهم يخرجون من المقبرة – الكهف، محاولين، بقدر الإمكان، عدم التعثر أو السقوط في البئر العميق الذي حفر على مقربة من المدخل. والغرض منه مزدوج: الإيماء إلى المستنقع الذي يتحتم على المتوفى المرشح للأبدية والخلود عبوره. بالإضافة لذلك، فله فائدة أخرى، ألا وهي: جمع مياه الأمطار الغزيرة والسيول .. إنها حقيقة تسقط على فترات متباعدة، ولكنها عنيفة ومدمرة ...

في أثناء عبورهم للدهليز المستطيل المؤدي إلى باب الخروج، شاهد الكهنة، عدة نقوش بارزة تمثل مختلف مراحل مراسم "فتح الفم والعينين" .. وأخيراً، وقبيل خروجهم مباشرة، توقفوا للحظات أمام نص "صلوات رع" .. لكي يرتلوا بعض مقاطعها وترانيمها.

بالمحيط الخارجى، فى الهواء الطلق بأجواء الوادى الرحب، أقيمت خيمة كبرى تراصت فى أنحائها أعداد ضخمة من المقاعد والمناضد: حيث يتشارك الأمراء وكبار رجال المملكة ووجهاء القوم فى الوليمة الجنازية الكبرى. وقد تزين كافة هؤلاء المدعوين بعقود من الزهور الطبيعية .. التى تتعلق رمزيا بطقوس البعث الجديد وشعائره. ومن هذا المنطلق نفسه، أهدى إليهم أيضا باقات من زهور اللوتس طيبة الرائحة. وربما أن هذا الاحتفال الجنازى كان يتحقق أساسا من خلال احتساء بعض النبيذ القوى: وهكذا تتأجج النشوى والحيوية لدى الآلهة كذلك. وإضافة لذلك، هاهى بعض الشعائر التى تعمل على استدعاء "حتحور" الرهيبة الكاسرة (والساحرة أيضا)، ربة الموت، والحب على حد سواء؛ قد اختتمت فى نهاية الأمر ببعض الرقصات والأغنيات. ونجد أيضا، فى هذا الصدد، بعض المشاهد الرمزية، الأكثر تحفظا، وشاعرية: رسمت فوق أحد عناصر الأثاث الجنازى .. حيث تمثل أرملة المتوفى فى الدور نفسه الذى قامت به الإلهة إيزيس بعد موت زوجها أوزيريس. لقد عملت هذه الربة على إيقاظه من سبات الموت، وأعادت إليه ذكورته؛ حتى يخصبها بنطفة الشمس الوليدة . عموماً، وبصفة مبدئية بحتة، فإن حتحور وإيزيس، من خلال تلك الشعائر، تمثلان معا: مظاهر متعددة ومتباينة لرمز واحد عظيم الشأن.

وأخيراً، بدأ الموكب يتحرك لمغادرة الجبانة الملكية. وفى طريقه، مر بمدخل القبو الجماعى (kher-en-ahaou) [٣]وبأعمق أعماقه، كان رمسيس العظيم قد عمل على حفر العديد من المقاصير الصخرية الصغيرة، فى هيئة طبقات متتالية تحت سطح الأرض: وكرسها من أجل أبنائه الكثيرين؛ ومنهم: "أمون حر خبش إف"، ورمسيس، إلخ ...

لا ريب أن مصر قد عاشت فترة سلام ووئام طويلة الأمد، فى إثر المعاهدة التى أبرمت مع الحيثيين فى العام الواحد والعشرين من حكم رمسيس. ومع ذلك، فإن الحال قد اختلف وتباين تماما فى عهد خلفاء رمسيس، هذا الملك العظيم .. رمسيس

ملك الملوك!.. ولاشك أن رمسيس الثالث[٤]، إبان الأسرة العشرين، قد نجح فى إنقاذ المملكة من خطر داهم رهيب: يفوق بكثير التحالف العسكرى الذى تم ما بين "مواتالى" وحلفائه المعادين لمصر. ولكن، بالرغم من ذلك، فى ذاك الحين، وجدت مصر نفسها هدفا لبعض عمليات التسلل المريب الغامض من جانب الليبيين. بالإضافة لذلك، عانى هذا البلد، وقتئذ من فترات جفاف شديدة، بسبب انخفاض منسوب النيل بشكل ملحوظ .. وبالتالى، تأثرت المحاصيل، وتضاءلت .. ويضاف إلى كل ذلك، ما اتسمت به "السلطة المركزية" وقتئذ من اضمحلال وتداعٍ. وكذلك، بدت "الإدارة" على قدر واضح من التهاوى واللافاعلية! .. إذن، والأحوال هكذا، تردت مصر إلى أدنى مستوى أخلاقى : أتاح ارتكاب الكثير من الانتهاكات والظلم.

## سلب ونهب المقابر الملكية

بمنطقة طيبة خاصة، حيث كان يتحتم على السلطات المحلية أن تتصدى للصوص وخائنى الأمانة؛ بل وتحاول أيضا معالجة معالم القحط والبؤس؛ نشطت عمليات السلب والنهب للمقابر الملكية: فهى بمثابة أقبية زاخرة بكنوز هائلة. وهكذا، نجد أن مقبرة رمسيس الثانى قد وقعت ضحية جريمة محاولة انتهاك خلال العام التاسع والعشرين من حكم رمسيس الثالث. بل لقد تمكن بعض اللصوص من اقتحامها، قبيل اعتلاء رمسيس التاسع للعرش[٥]. وهكذا حدث أيضا بالنسبة لمعبده اليوبيلى؛ أى "الرمسيوم" حيث تمكنت بعض العصابات من سلب الكثير من متعلقاته الثمينة وأدواته النادرة!

كانت الضرورة تحتم إذن، اتباع أساليب قمع وردع صارمة. واستدعى الأمر أيضا استجواب مقترفى حوادث السلب والنهب هذه: ويمكن الإشارة خاصة إلى شخص يدعى "باى كا من". ولا ريب أن المختصين، كانوا يحاولون بذلك، إرغام الجناة على الاعتراف والإقرار بجرائمهم؛ وكذلك، لكى يصرحوا بأسماء شركائهم فى الإثم ..

والغريب فى الأمر، أن كافة المقابر التى أحطنا بها علما، حتى يومنا هذا، خاصة الواقعة بالوادى "الفسيح"، قد عانت من أعمال التعدى والسرقة. ولكن، يستثنى من ذلك، المقبرة ضئيلة الحجم الخاصة بتوت عنخ آمون!!..

ومن المؤسف، أن معظم المومياوات الملكية، قد جردت من كافة متعلقاتها وزينتها الجنازية النفيسة. بل إن هذه الرفات السامية رفيعة القدر قد قام اللصوص، بأسلوب همجى شرس بنزع ضماداتها ولفائفها عنها؛ حتى يتمكنوا من الاستيلاء على مصوغاتها ومجوهراتها الثمينة، وكسوتها المصاغة من رقائق ذهبية. بل لقد تمادى هؤلاء الناهبون السالبون إلى درجة تفريغ الأوانى البديعة المصنوعة من المرمر مما تحتويه من دهانات نادرة وعطور!.. لقد اعترف بعض هؤلاء الجناة أنهم قد تجرعوا بعضا من النبيذ المعتق القوى الخاص بفراعنة مصر!!

عندئذ، والحال هكذا، قرر كل من الكهنة وحاكم طيبة العمل على جمع معظم المومياوات الملكية، وتخبئتها فى أعماق أكثر مقابر وادى الملوك روعة وجمال: إنهما بالتحديد، مقبرتا كل من سيتى الأول؛ وأمنحتب الثانى: بحيث تفرض رقابة(٦) مشددة دائمة على مدخل كل منهما. لأن أغلبية مومياوات الفراعنة الذين حكموا مصر بداية من الأسرة الثامنة عشرة وحتى الأسرة العشرين، قد عوملت بكل عنف وشراسة؛ ولم يتبق حولها سوى بقايا مهملة ومدمرة من أثاثها الجنازى(٧) النفيس رفيع القيمة. ولكنها، على أية حال، قد أعيد دفنها مرة ثانية ... ولكن بدون أية مظاهر أبهة أو فخامة .. فالأحوال القائمة لم تكن تسمح أبدا بذلك!!

خلال حكم الملوك – الكهنة بالأسرة الحادية والعشرين، أى بعد انقضاء حوالى قرنين: كانت المومياوات الملكية قد أصبحت عارية تماما!!.. وبالتالى، تم تدثيرها بأكفان مصنوعة من نسيج الكتان الرخيص خشن الملمس. أما عن عناصر الزينة والمجوهرات الكريمة التى سرقت منها؛ فقد استعيض عنها بعقود وأكاليل من الزهور الطبيعية وأوراقها (بوجه خاص نبات البرسيا واللوتس الأزرق اللون). وعلى ما يبدو، أن فريق "منقذى" رفات هؤلاء الفراعنة الأمجاد، قد اضطروا إلى الاستعانة ثانيا

بالتوابيت الملكية التى لم يلحقها تدمير أو ضرر فائق .. فعلى سبيل المثال، وضع جثمان رمسيس الثانى بداخل تابوت فى حالة لا بأس بها بالرغم من أنه قد انتزعت عنه الطبقة الذهبية التى كان قد كُسى بها أساسا: إنه خاص بمومياء جده الأكبر رمسيس الأول!...

على ما يبدو، أن عملية الإنقاذ هذه، قد تمت فى اليوم الخامس عشر من ثالث أشهر فصل "البرت" (شتاء - ربيع)؛ تحت إشراف الكاهن الأكبر "حريحور"؛ إبان فترة الحكم الخاطفة لرمسيس التاسع: فى أطراف عام (١٠٩٠) قبل الميلاد.

بعد فترة ما، وبالرغم من الحراسة (المتهاوية إلى حد ما)، تمكن بعض اللصوص من اقتحام مقبرة سيتى الأول، بهدف الاستحواذ على بقايا كنوزها المنهوبة .. وللمرة الثانية، تعرضت مومياء "رمسيس العظيم" لأعمال العنف والشراسة. وهاهو "كاهن آمون الأكبر" المدعو "بى نجم" الأول، يلجا ثانيا إلى ترميمها وإصلاحها فى العام العاشر من الحكم: وقد سجل بالفعل هذا التاريخ المحدد فوق كفن المومياء عند مستوى الصدر .. وربما أن الكهنة، فى تلك الآونة خاصة، قد وضعوا بين يدى التابوت الملكى المجسم فى هيئة مومياء، صولجانين متواضعين صُنعا من خشب النخيل؛ بالإضافة أيضا إلى السوط والخطاف رمزا الإله أوزيريس .. وكان ذلك مجرد إيماء بسيط إلى الرموز والشارات الفخمة رفيعة المستوى المصاغة من الذهب الخالص والعجائن الزجاجية المشتقة من حجر اللازورد النفيس.

## الخبيئة الملكية

يتبين إذن أن مقبرة سيتى الأول الصخرية لم تكن أبدا فى مأمن من السطو والنهب. ولكن يلاحظ أن تلك الخاصة بأمنحتب الثانى قد تحققت لها النجاة من أيدى اللصوص؛ وتم اكتشافها فى عام ١٨٩٨ بفضل تنقيبات "فيكتور لوريه". وكانت الضرورة تستدعى إيجاد مكان آمن سرى لكى تكون تلك الرفات البائسة فى مأمن تام

بداخله .. وحبذا، إذا كان نائيا بعيدا عن موقع الجبانة الملكية: خاصة أنها تتسم بحدودها المقفلة وبعدها الفائق المدى ..

وهكذا، توصل المسئولون إلى المكان المرغوب المتطابق للمتطلبات اللازمة: فى قلب نطاق مستدير الشكل مترامى الأطراف مجاور للسهل الشرقى القريب من الجبل الذى تتوجه "القمة المقدسة": وهى تتراءى فى هيئة هرم طبيعى فى مواجهة "وادى طيبة". ووقع الاختيار على القبر(٨) الذى، على ما يعتقد، قد سلب ونهب من أمد بعيد. وهو خاص بملكة ضئيلة الشأن: "إين حابى". والجدير بالذكر أن الملكة القائمة، قد عملت فى الماضى على تخبئة مومياء الفرعون أمنحتب الأول؛ زوجها المؤله فى أعماق نفس هذا القبر؛ خاصة أن هذا الملك، هو رب الجبانة الملكية..

ومن أجل تضليل اللصوص، حتى لا يكتشفوا ذاك المخبأ، لجأ القائمون، لإتمام هذه المهمة، إلى اختيار أكثر الدروب سرية وقصراً، ووعورة وخطورة. أى أنهم فضلوا المرور عبر قمة الجبل المشار إليه آنفا؛ ونأوا تماما عن سلوك الطريق طويل المدى، الواضح تماما للعيان: حيث إنه يؤدى إلى "الوادى"، ويمر بموقع "الدير البحرى" .. وفى نهاية الأمر تمت عملية الانتقال الخطير هذه على مدى ثلاث ليالٍ حالكة!!. وتثبت بعض الكتابات المنقوشة فوق فخذى التابوت الممثل لشكل مومياء؛ حيث يرقد رمسيس "ملك الملوك"، أن هذه المهمة السرية قد نفذت فى العام العاشر، بالشهر الرابع من فصل "البرت"، باليوم السابع عشر من عهد الفرعون "سى أمون" (٩٧٩-٩٦٠ ق.م).

هاهو رمسيس الثانى وقرناؤه من الملوك يتقدم فى طريقه، وفى معيته أكثر رجال الكهنوت قدرا وأهمية، ومنهم: "عنخ إف إن خونسو" و"نس با كا شوتى" ، ورئيس إدارة أختام الجبانة الملكية. ولقد روعى تطابق هذا الحدث المهم مع مناسبة تشييع جنازة "كاهن آمون الأكبر" المدعو "بى نجم": حيث دفن فى ذاك الموقع مع أثاثه الجنازى الخاص. وعندئذ، تم تسجيل ونقش محضر جديد فوق قمة تابوت "رمسيس". ومن خلاله، نعرف أن الطقوس الجنازية قد أقيمت بواسطة مجموعة جديدة من الكهنة،

ومنهم: "جد خونسو إيو غف عنخ" و"ونن نفر"، و"إف إن أمون" بالعام العاشر، في ذات الشهر الرابع؛ ولكن باليوم العشرين.

من المؤكد أن هذه "الخبيئة" تختلف تماما وكلية، مع ذاك القصر السفلى الأسطورى الروعة والفخامة،! ذى الجدران المنقوشة بالأشكال الإلهية، والمخلوقات فوق الطبيعية الممثلة لتحولات وتناسخات "ابن الشمس" (رمسيس) فى العالم الانتقالى: حيث يمر بمختلف الصعوبات والمحن والاختبارات فى المجال السفلى .. وبداية، أخذ الكهنة ينزلون التوابيت بداخل بئر لا يقل عمقه عن اثنتى عشر متراً؛ وعرضه متران. بعد ذلك، قام هؤلاء النقالون العتالون (إذا جاز التعبير) بالتوغل داخل دهليز يصل محيطه إلى (١,٤٠م) على (١,٨٠م)، منحوت بنفس صخور جبل طيبة الجيرية. وبعد مسيرة يصل مداها إلى سبعة أمتار ونصف، انعطفوا بمقدار زاوية قائمة؛ لكى يدخلوا ممرا آخرا لا يقل طوله عن ستين متر؛ وينتهى عند درجات خمس: من خلالها يمكن الوصول إلى قبو مستطيل الشكل، مداه ثمانية أمتار، عارٍ تماما من أية نقوش أو رسوم!!.. علينا إذن، تصور مدى العناء والصعوبات التى عاناها هؤلاء الكهنة "الحمالون"، لكى يدخلوا مجموعة التوابيت رهيبة الثقل هذه .. بل وينتقلوا بها من مكان إلى آخر بداخل هذه الخبيئة الخارقة للتصور!!!

بعد حوالى ألفين وثمانمائة وثلاثين عامًا !!

هاهى إذن قد توقفت مؤقتا معاناة رمسيس الثانى المثقلة بالمحن والعراقيل، فى طريقه نحو الأبدية والخلود: لم يتعد هذا التوقف سوى ألفين وثمانمائة وثلاثين عامًا!.. بعد ذلك، عادت المصائب تتوالى عليه من جديد فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى: بسبب انتهاكات وسطو اللصوص الجدد المعاصرين الطامعين فى كنوز تلك المنطقة، التى أفعمت بها أقبية نبلاء وأمراء "طيبة".

بعد مرور ستة وثلاثين عامًا على فك رموز النصوص الهيروغليفية بفضل العالم الفرنسى شامبليون (١٨٢٢)؛ هاهو "أوجست مارييت"، قد أنعم عليه بلقب "باشا"(٩)

الرفيع : حيث قام بتأسيس أول جهاز لحماية الآثار الفرعونية فى هذا البلد: وهكذا، استهل المفتشون التابعون "لمصلحة الآثار" المصرية عمليات المراقبة المشددة والقمع والردع لجرائم السلب والنهب ضد الجبانات الملكية رفيعة القدر: وقطعا: كان المستفيدون من وراء هذه الانتهاكات والسرقات .. تجار نفائس وكنوز هذا الماضى الفرعونى شبه الأسطورى؛ وهواة جمع "الأنتيكات".

قبيل ترك "مارييت" لمنصبه بفترة وجيزة، كانت منطقة "طيبة" ما تزال تُدر لهواة جمع الآثار وبائعى الأنتيكات، فى الفترة ما بين (١٨٧١-١٨٧٤)، مجموعات متتالية من النفائس: سلبت وانتزعت من كنوز المقابر الملكية[١٠]. بل ويضاف إليها أيضا الكثير من البرديات التى ترجع إلى الأسرة الحادية والعشرين!.. وعندئذ، أوكل "مارييت" بمهمة إجراء تحقيقات وتقصيات لاثنين من معاونيه، هما: المفتش الأثرى هـ. بروجش، وأحمد بك كمال. وانبثق التحقيق، بتاريخ ٦ يولية ١٨٨١ عن اكتشاف عصابة من لصوص المقابر الأثرية ضمن أعضاء إحدى عائلات "القرنة" (غرب طيبة). بل واكتشف أيضا موقع "خبيئة الدير البحرى" الشهيرة: حيث كان أفراد العصابة، كلما أرادوا، يغترفون ويسحبون بوفرة هائلة .. وكأنهم أمام خزينة بنك هائل زاخر بالآثار الرائعة .. لبيعها!!

قطعا، خلال تلك الفترة المشار إليها، تمكن أفراد العصابة، من خلال سطوهم على "الخبيئة"، من سرقة قدر كبير من محتوياتها النادرة التى لا تقدر بثمن؛ ومنها: أوانٍ رائعة من الطين المحروق المصقول باللون الأزرق الغامق، المزينة برسوم بالحبر الأسود، تمثل أشكالا زهرية، وبعض خراطيش رمسيس الثانى، التى كانت قد أنقذت من أعمال السلب السابقة: حيث قام الكهنة بوضعها بجوار مومياء الفرعون. وتبدو هذه الأوانى، فى هيئة Situle (*) لم تزل تحوى بداخلها بعض الأقمشة التى استعملت فى تحنيط الملك.

(*) Situle آنية خاصة بأداء الشعائر، ذات عنق طويل عريض، وقاع بيضاوى الشكل. وقد زودت بمقبض.

بعد وقت وجيز من اكتشاف "خبيئة الدير البحرى"، وجه المفتشون - المحققون اهتمامهم ونشاطهم نحو أسواق بيع الآثار المنهوبة .. ولاشك أن هذه الحصيلة الثمينة رفيعة القيمة، هى كل ما توصل إلينا حتى يومنا هذا من كنز الأثاث الجنازى الخاص برمسيس العظيم ملك الملوك!!.. عموماً، هى حاليا فى متحف اللوفر بباريس .. حيث كان قد تم التحفظ عليها منذ عام ١٩٠٦!!

إن هذا المشهد المؤلم المؤسف فعلا يفوق الوصف والخيال!!.. فهاهو هذا الشهيد الضحية: أعظم فراعنة "الدولة الحديثة"، قد كُدس وكُوم، كيفما كان، فى قاع قبو كئيب قميء بفناء "الدير البحرى" المترامى المدى!!

اقتضى الأمر التصرف سريعا: لتلافى احتمال تدخل الفلاحين أهل هذه المنطقة، أو البدو القائمين بها منذ أجيال بعيدة، حيث أقاموا مساكنهم فوق موقع المقابر الأثرية العريقة .. وعلى الفور، أرسلت حكمدارية القاهرة [١٢] بعض فرق النجدة. وهكذا، تمت عملية استخراج التوابيت الملكية، الهائلة الثقل والضخامة، فى فترة لا تزيد عن ثمانٍ وأربعين ساعة .. فى وضح النهار!!.. وتم نقلها جميعا بتاريخ الحادى عشر من سبتمبر. وبعد مضى ثلاثة أيام، وصلت السفينة المبعوثة من جانب "ماسبيرو".. وانطلقت سريعا حاملا نقلت على متنها الشحنة الأثرية النادرة .. نحو القاهرة!

انتشر خبر هذا الاكتشاف الجليل الكبير، كمثل ومضات البرق!. وبالقطع، أصيب ناهبو وسارقو الآثار بخيبة أمل رهيبة!.. ولكن، هاهم الفلاحون، بالمنطقة الواقعة ما بين الأقصر وقفط، عند مشاهدتهم للسفينة وهى تمخر عباب النهر؛ مثلهم كمثل أسلافهم فى الماضى البعيد، أمام مواكب الجنازات الملكية المهيبة الجليلة، يعبرون عن إجلالهم وتوقيرهم .. بل وحزنهم أيضا!.. فها هى النساء الفلاحات على ضفاف النيل يطلقن نحيبهن وعويلهن، ويهلن الأتربة فوق شعورهن.. أما الرجال، فراحوا يطلقون أعيرة نارية بهذه المناسبة العظمى .. فها هو رمسيس الثانى يستعيد تكريم شعبه وإجلاله له!!

## رمسيس فى القاهرة

بمصاحبة عدد من أفراد ونبلاء عصره، انتقل رمسيس الثانى إلى "متحف بولاق[١٣]". وكان "وزير الأعمال العامة" وقتئذ، إسماعيل باشا أيوب قد أمر بأن تجهز به لاستقبالهم قاعة كبرى. ثم، ها هو وزير آخر، محمود باشا فهمي، قد أصدر أوامره بإعداد اثنتى عشرة خزانة عرض زجاجية لأجل حماية أكثر لمجموعة المومياوات ملائمة للعرض. وأخيرا، قام الكولونيل "سكوت مونكريف" بالعمل على فك الحظر عن الاعتمادات المالية اللازمة: "لكى تكسى بالخشب معظم الجدران التى تستند عليها تلك المومياوات"!

من المؤكد أن التأخر والبطء الواضح فى إنجاز عملية حفظ تلك المومياوات الملكية حفظا مؤقتا قد نالها ببعض الأضرار. وإضافة لذلك، علينا أن نضع فى الاعتبار أيضا أعمال العنف والتدمير التى ارتكبها ضدها لصوص المقابر. ومع ذلك، فإنها حتى ذاك الحين، لم تكن قد تعرضت بعد لمضار البيئة وهجماتها، أو شراسة الميكروبات والجراثيم. ولاشك أن الفضل فى ذلك، كان يرجع إلى درجة الجفاف الكامل فى منطقة جبل "طيبة": ولكن..

ولكن، بعد ذلك، ها هو رمسيس العظيم راقد (فى بولاق) على مقربة من النيل، متعرضا لأقصى أنواع الرطوبة الضارة.. خاصة فى وقت الفيضان.

أخذت المخاطر فى التتابع الواحدة بعد الأخرى. فها هى واقعة جديدة يتعرض لها الفرعون العظيم: أراد خديو مصر، محمد باشا توفيق، بالرغم من التقارير والإثباتات الرسمية، التى سجلت فى الماضى فوق التوابيت، أن يتيقن من صحة هوية المومياوات؛ وبصفة خاصة تلك الخاصة برمسيس الثانى. وهكذا تحتم الأمر ببدء عملية "تجريدها من كسوتها"!!

وهكذا، ففى اليوم الأول من شهر يونية ١٨٩٦ (= ٢٨ شعبان ١٣٠٣ هـ)، فى تمام الساعة التاسعة صباحا، بدأت مراسم هذا الحدث، بحضور حوالى سبعة عشر

وزيرا وعدد من كبار شخصيات المملكة. واعتبر "جاستون ماسبيرو" ومساعده "إميل بروجش"، و"أوربان بوريانت" بمثابة "قائدى أوركسترا هذا الحفل"!!.. ووفقا لتقرير "ماسبيرو" فى هذا الصدد: فى خلال ربع ساعة فقط، تم خلع الأربطة الكتانية المائلة إلى اللون الأحمر، والأكفنة المثبتة بواسطتها. وبدا واضحا خشونة ورداءة نوع الأقمشة التى دثر بها كهنة الأسرة الحادية والعشرين مومياء "ملك الملوك"!!.. ولكن، فوق الجزء المغطى لصدر الملك، هاهو اسمه مسجلا بكل وضوح، وفقا لما كان قد أمر به الكاهن "حريحور" .. وبذلك، تأكدت تماما هوية المومياء .. إنها لرمسيس الثانى.

وتجدر الإشارة إلى أن القدر القليل المتبقى من الأربطة الأصلية التى أفلتت من تدمير اللصوص، تبين أنه من أجود أنواع الكتان وأكثرها رقة ونعومة. بل إن "ماسبيرو" نفسه قد طابقها "بقماش الموسلين الهندى فائق الشفافية، اللين، الناعم الرقيق الملمس"!!

فى عام ١٩٠٧، قام الكاتب الفرنسى الكبير "بيير لوتى" بزيارة "المتحف المصرى" الحالى، حيث كانت قد نقلت إليه كافة محتويات "بولاق". وبناء على طلب "لوتى" تم إرشاده، فى أثناء الليل، إلى الطابق الأول: بالقاعة التى استقبلت المومياوات الملكية. وأمام مومياء رمسيس الثانى .. وعلى ضوء المصباح الخافت الذى كان يمسك به "ماسبيرو"، أنصت "لوتى" لهذا الأخير، وهو يحكى له قائلا: فى نفس اللحظة، التى أخرج الفرعون من مكمنه أمام خديو مصر، اجتاح كبار الحاضرين انفعال وشعور غامر، لدرجة أنهم أخذوا يتدافعون ويتكالبون مبتعدين وكأنهم قطيع مضطرب .. لمجرد رؤية "الفرعون" عن قرب! ويضيف "بيير لوتى": "لقد فاقت شهرة هذا الملك الآفاق، منذ استقراره "بالمتحف المصرى بالقاهرة" .. وفى يوم ما، وعلى حين غرة، وبشكل مفاجئ، وأمام عدد من الحراس، الذين أصابهم الرعب والهلع، وأخذوا يولون الأدبار هاربين وقد تعالى صراخهم .. رفع رمسيس العظيم إحدى يديه عاليا!! .. ولم يقبل خفضها أبدا حتى هذه اللحظة!!.. وبمرور الوقت، لوحظ أن شعر الفرعون

الأملس الناعم الذى تخللته شعيرات بيضاء وشقراء؛ وكذلك معظم أجزاء جسده، قد تراءت بها كائنات جيفية دقيقة فائقة العدد وغزيرة . وهنا، استدعى الأمر أن يأخذ رمسيس العظيم حماما بمادة الزئبق[١٤]!!".

في نفس القاعة التى شاهدها بها "بيير لوتى"، استقرت المومياوات الملكية جليلة القدر، بعيدا عن أنظار المتطفلين والفضوليين .. فقد مُنع عامة الشعب من دخولها. ولكن، مما يثير الدهشة والعجب؛ فى يوم ما، من عام ١٩٣٥، وبدون إبداء الأسباب، وبعد رحيل "بيير لاكو"، رئيس مصلحة الآثار المصرية، تم استبعاد الرفات الملكية إلى قاعة ما، بالبيت الذى غادره لتوه هذا الموظف الكبير!.. وعندما شغل مهام وظيفته "دريتون"، فوجئ بتلك المومياوات سيئة الحظ، وقد أسندت إلى إحدى جدران القاعة المذكورة؛ بذاك المنزل الذى كان قد أقيم عند مدخل المتحف، ليكون مقرا لكل رئيس للمتحف.

وسارع دريتون إلى نقلها للضريح، الذى كان خاليا وقتئذ، وأعد لاستقبال الزعيم سعد زغلول. بعد ذلك، عندما صدر قرار رسمى بإرجاع هذا الموقع إلى صاحبه .. عادت المومياوات الملكية رفيعة الشأن إلى "المتحف المصرى".

وقتئذ، استطاع عدد ضئيل من كبار الزوار، وبعض علماء المصريات، أن يُمتعوا أنظارهم برؤيتها .. عند رفع الستائر البنفسجية اللون المنسدلة فوق خزانتها الزجاجية القائمة فى قاعة ممنوعة تماما على الجمهور !

## رمسيس يلزمه علاج ... حالا

ولكن، هاهى "دراما" جديدة: منذ حوالى عشرين عامًا، قررت الهيئة المختصة بالمتحف المصرى، عرض المومياوات الملكية ثانيا أمام الزائرين. وعلى ما يبدو، أن النفثات الرطبة المنبعثة من الجمهور المشاهد، قد عملت على زيادة حدة خطورة الأحوال البيئية فى هذا العرض: القائم بداخل أماكن زجاجية غير صماء. بعد ذلك،

تعددت مطالب العلماء المختصين بضرورة تصوير أجساد، ورءوس وأسنان هؤلاء الفراعنة الأموات، بالأشعة النافذة ( راديوجرافى ). وتمت الاستجابة لهذا المطلب: ولكن، دون تطبيق وتوافر أحوال الحفظ والوقاية، عند إجراء مثل هذه العمليات العلمية الدقيقة. وبالتالى، تعرضت المومياوات الملكية لاحتمال تعرضها للتلف والعطب المدمر. ولوحظ، بوجه خاص، أن الروائح المنبعثة من مومياء رمسيس لا تتشابه مطلقا مع عبق نبات الراتنج والدهانات العطرية التى ضمخ بها فى الماضى عند بداية تحنيطه!

خلال إقامتى بالقاهرة من أجل الإعداد لمعرض "رمسيس العظيم" (فى باريس ١٩٧٦)، حاولت التوصل إلى معرفة أسباب هذه الظاهرة عجيبة الشأن .. وخلال تلك الآونة، لم تكن وسائل البحث والدراسة متوافرة بالقاهرة. وبذلك، أوصانى بعض المسئولين المصريين، بمحاولة علاج رمسيس الثانى فى باريس. وهكذا، استتب الأمر على الاستعانة بأكبر الأخصائيين خبرة ودراية، "ل. بالو"، "رئيس متحف الإنسان بباريس"؛ وأيضا "ج. دورست"، مدير "متحف التاريخ الطبيعى".

كان الأمر يستدعى إذن ضرورة القيام بهذه المهمة؛ ومصاحبة أحد عظماء فراعنة مصر، خارج حدودها وأراضيها؛ لكى يقوم "باستشارة كبار الأطباء المختصين بفرنسا"!!. ولكن، كانت الضرورة تقتضى، فى المقام الأول، من أجل تحقيق ذلك، الحصول على موافقة الرئيسين: أنور السادات، وفاليرى جيسكار ديستان؛ وبالإضافة لذلك، أن تتحمل الحكومة الفرنسية مسئولية حماية أمن وسلامة رمسيس .. ملك الملوك.

وفى نهاية الأمر، هاهو ملكنا المعظم، وقد أحاطت به كافة سبل الرعاية والوقاية من جانب أفراد الهيئة الطبية التقنية (فنية) الذين أوفدوا خصيصا من جانب "متحف التاريخ الطبيعى" و"متحف الإنسان": من أجل إعداده لرحلة العلاج!... وقد طالبت وأصررت أن تجهز لسفر فرعون مصر العظيم: طائرة عسكرية فرنسية .. وبالفعل استقل الملك طائرة من طراز "بروجيه" الفرنسى ذات الطابقين.

بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٧٦، غادر رمسيس المتحف المصرى بالقاهرة واستقل سيارة نقل ضخمة ورافقته مجموعة كبيرة من الجنود لحراسته تحت قيادة ضابط مصرى .. يدعى رمسيس!! أما عن الطريق المتسع فائق المدى، المؤدى إلى المطار .. فهو .. ميدان رمسيس!! ويومئذ، بلغت سرعة الرياح حوالى مائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة. ومن المؤكد، والحال هكذا، بدت الظروف غير مواتية لرحلة طيران يقوم بها مسافر جليل رفيع الشأن: خاصة أن الاهتزازات والتقلقلات قد تلحق ضررا بالغا بتوازنه وجسده!!

عموماً، لقد اعتمدنا كثيرا، فى هذا الصدد، على "عنصر المعجزات" .. خاصة، أن بطلنا السامى المنزلة، خلال فترة كفاحه وانتصاراته، قد حظى بقدر كبير من المعجزات!.. وهكذا، مرة أخرى، واتاه الحظ الحسن. فقد لاحظنا، عند لحظة إقلاع الطائرة، أن الرياح قد توقفت بغتة وعلى حين غرة!!!.. وهنا، انتهزت هذه الفرصة المواتية، وطلبت من ربان الطائرة أن يحلق بالفرعون الجليل فوق الأهرام .. وأمام كل ما حدث، لاحظت أن "رئيس المعامل الكيميائية" بالمتحف المصرى بالقاهرة، الدكتور شوقى نخلة، الذى لم يفترق عن رمسيس لحظة واحدة، خلال تواجده "بمتحف الإنسان" .. كان لا يكاد يصدق عينيه، ويصيح منبهرا: "معجزات فعلية فى زمننا المعاصر؟!!".

ها هو إذن "رمسيس"، إثر وفاته بحوالى (٣١٩٠ عام)، يخرج من غياهب ظلمات مقبرته .. ويحلق عاليا بطائرته فوق إحدى عجائب الدنيا السبع، التى بقيت صامدة على مر العصور والأجيال ... الأهرام!!

والجدير بالذكر، أن "طائرة رمسيس" هذه قد قطعت مساحة البحر الأبيض المتوسط فى سرعة فائقة. وبالتالى، اضطررنا للتوقف قدرا لا يستهان به بمدينة Istres مراعاة للتوقيت الذى حدده تماما "البروتوكول" ، وفى تمام الساعة الخامسة، وصل رمسيس العظيم إلى القاعدة العسكرية الجوية "بورجيه - دوينى" حيث استقبل استقبالا جديرا بجلاله وسمو منزلته.

## رمسيس فى باريس

ها هو الحرس الجمهورى الفرنسى يقدم مراسم التشريف للضيف العظيم، أمام كل من: مدام أليس سونييه سيتيه مبعوثة رئيس الجمهورية، وقائد القوات المسلحة، وسفير مصر وقتئذ حافظ إسماعيل. إذن، يحق للحكومة المصرية التأكد تماما أن فرنسا قد استقبلت بكل ما يجب من إجلال وتوقير أكثر الفراعنة عراقة وصيتًا، عند وصوله إلى أراضيها .. فور وصوله إلى باريس فى رحلة علاج واستشفاء.

عبر الطريق الذى اتخذه الموكب الملكى نحو "متحف الإنسان": شعرت برغبة عارمة، بأن نقوم، بمصاحبة رمسيس الثانى، بدورة كاملة حول مسلة الكونكورد. إنها أحادية الحجر، قدت من الجرانيت الوردى؛ وهى إحدى إبرتين عملاقتين حجريتين، كان رمسيس العظيم قد أمر بنصبهما أمام معبد الأقصر: إنها مغطاه تماما بنصوص وكتابات تاريخية ورموز وشعارات. وكان محمد على (باشا) قد أهداها لفرنسا .. ربما لأن "جان فرانسوا شامبليون"، قد كشف لمصر أسرارا وحقائق تاريخية من ماضيها المجيد لا يقل مداها عن ثلاثة آلاف عام!!

## الفرعون .. وهيئة طبية من مائة وعشرة طبيب معالج

على مدى سبعة أشهر كاملة؛ أى بداية من ٢٦ سبتمبر ١٩٧٦ (فى فصل الفيضان مرة أخرى!)، وحتى ١٠ مايو ١٩٧٧، استقبلت باريس ضيفها الجليل. وهكذا، فعل أيضا "متحف الإنسان"، الواقع ما بين ميدان "تروكاديرو" و"برج إيفل".

لقد خصصت للفرعون قاعة كبرى معقمة. ومن أجل التوصل إلى كشف الفيروسات المهاجمة للمومياء الملكية، ووضع خطة لإنقاذها، والعمل أيضا على تجميلها وتحسين مظهرها، عمل رئيس المتحف على جمع ما لا يقل عن مائة وعشرة

مساعد له: تطوعوا جميعا لأداء هذه المهمة. ومنهم ثلاثة وستون باحثًا علميا فى مختلف العلوم(١٥). والجدير بالذكر، أنه اعتبارا لتوصيات الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمان والضمان الواجب اتخاذهما، تم اتباع أكثر الوسائل والسبل الطبية دقة وتركيبا وصعوبة: لمحاولة "سؤال" هذا القادم رفيع الشأن القادم من غياهب التاريخ!..

لقد، عرفنا أن طول قامة هذا الملك لا تقل عن ١,٧٥ متر. وأنه ربما قد توفى فى حوالى الخامسة والثمانين من عمره المديد (ولكن الأحداث التاريخية تبين أن هذا الفرعون قد انتقل للعالم الآخر وقد ناهز تسعين عامًا!). وتقول كذلك إن رمسيس كان مصابًا بـ "اللوكوديرم" أى: بياض البشرة.

وخلال عملية تحنيطه، قام الكهنة المحنطون بحشو قفصه الصدرى بالكثير من المواد المطهرة القاتلة للجراثيم: على ما يبدو، أنهم قد استعانوا بأوراق "النيكوتيانا" بعد فرمها فرما ناعما. وقد وجد الأطباء المعالجون، فى حنايا القفص الصدرى كمية ضخمة من النيكوتين؛ استعملت، بدون شك خلال عملية التحنيط. وقد أثار ذلك الكثير من العجب والدهشة لدى فريق الأطباء المعالجين: فإن ذلك النبات (النيكوتيانا) لم يكن قد عرف بعد فى مصر!!.. كما عثر على مئات الآلاف من حبوب لقاح أحد نباتات عائلة البابونج فى تجويف الصدر، بالإضافة أيضا إلى بعض من نبات القويصة، والحوذان، المخلوط بكمية من صمغ الكثيراء، وكمية من أوراق التليو مضافًا إليها بعضًا من نبات الصُنار .. بل وفوق كل ذلك، شىء من حبات لقاح القطن البرى: وكل ذلك، يتم زراعته بأرض وادى النيل. ومن خلال الفحوص بالمنظار الداخلى، فى تجويف البطن، تكشفت بعض بقايا نسيج من الخيوط الزرقاء اللون والذهبية: أى اللونان اللذان يرمزان عادة لفراعنة مصر. وفوق عنق "ملك الملوك"، تراءت آثار قشارة نوع من البصيلات من فصيلة النرجس الساحرة العبق.

سمح التصوير الإشعاعى للفكين، وتفحص الضروس الأمامية الطاحنة، بدحض ورفض بعض الملحوظات السابقة السريعة التى تمت عند اكتشاف المومياء الملكية. فقد تبينا الآن، أن الفرعون كان يعانى من آلام شديدة بأسنانه. بل

أصيب فى وقت متأخر بأضرار بالغة بفكيه. وخلاف ذلك، وبفضل عدد من الفحوصات بأشعة إكس: شوهد انسداد شبه كلى بشرايين مخ رمسيس!.. ولذا، والحال هكذا، فلابد من أن "رمسيس العظيم" كان يعانى صعوبة فائقة فى التحرك والمشى؛ وانحناء شديداً إلى الأمام، وهو يتوكأ على عصاه الضخمة الطويلة !!.. فلاشك أنه قد أصيب، إبان السنوات العشرين الأخيرة من حكمه، بما يعرف بالتهاب المفاصل الروماتزمى Spondylarthrite ankylosante .

إليكم إذن حقيقة مثيرة للأسف والشجن: بقاعة العلاج فى "متحف الإنسان"، حيث نقلت المومياء قبيل تعريضها للإشعاع، راعيت تغطية أحد الجدران بصورة مكبرة للغاية تمثل الفرعون على متن عربته الحربية وقد انطلق بها انطلاق الرياح العاتية: نقلا عن نقش بارز بالقاعة الكبرى بمعبد أبو سمبل الكبير!.. لاشك أن المقارنة هنا تستحوذ على الأفئدة وتثير العجب: خاصة عند تأمل بروفيل المومياء، بهذا الأنف الضخم، المعقوف، والذقن القصير البارز بعض الشيء؛ ثم النظر إلى "بروفيل" رمسيس ملك الملوك عندما ناهز الثلاثين ربيعا من عمره، وقد صور فى أراضى النوبة المصرية .. على بعد حوالى ١٣٥٠ كم، ومنذ أكثر من ٣٢٠٠ عام!!

وربما تبدو هذه الحقيقة الأخرى جديرة أيضا بالاهتمام. فلعلنا نعرف أن رمسيس قد تم تحنيطه بداية، بمنطقة شمال مصر، على مقربة من عاصمته "بر-رمسيس". وقد عملت ذرات الرمال، الصحراوية - البحرية أصلا، الملتصقة بشعر المومياء ، على تكملة المعلومات التى قمنا بجمعها، والمحددة تماما للموقع الذى حنطت فيه جثمان الملك: لاشك أنه الدلتا؛ بعيدا عن نهر النيل. فلم يعثر أبدا، فى حنايا المومياء الملكية على أية حبوب لقاح نباتات مائية. بل، على ما يعتقد، أن هذا المكان كان أكثر قربا من الحقول الزراعية: فهذا ما تؤكده حبوب لقاح الغلال.. ولكن، خلاف كل ذلك، ها هى قد تكشفت كذلك آثار بعض حبيبات حجر (المرو) "الكوارتز"؛ ومصدرها قطعا المواد الثقيلة فى "مصر العليا": إنها تقدم لنا الإثباتات عن المكان

المفترض، على ضفة "طيبة" اليسرى: حيث حاول كبار الكهنة علاج وتضميد مومياء الفرعون مما ألم بها من سوء وضرر بفعل ناهبى وسالبى النواويس السفلية الملكية.

## كشف غير منتظر فائق الأهمية!

هيا بنا الآن نتناول موضوعا على قدر كبير من الأهمية: بحيث نراعى الالتفات جيدا للأبحاث المتقدمة التى أجريت على شعر رمسيس الثانى: إنه ما زال حتى الآن ناعم الملمس، حريرى، أملس. ويدا لنا، بعد تمشيطه برقة وليونة، متموجا تموجا طبيعيا، تنتهى أطرافه فى هيئة بوكلات عريضة الشكل؛ انسيابية متناسقة، بديعة التناغم. ويلاحظ "ماسبيرو"، أنه فور فك ضمادات الفرعون، تبين أن شعره قد خطه الشيب؛ ثم صُبغ بعد ذلك بالحناء. وهذا أمر لاشك ولا نزاع فيه مطلقا .. ولكن، ها هو مبرر آخر لاحمرار لون شعر رمسيس الثانى – كما رأيناه حاليا – خاصة عند جذوره: لا يستبعد أبدا أن اللون الطبيعى لشعر رمسيس الثانى هو: الأحمر!..

ربما أن هذا الفرعون الجليل، كان يتمتع بشعر أحمر اللون (وراثة عن أجداده المباشرين). ولاشك أن هذا الاكتشاف يعد فائق الأهمية. فمن المعتقد، فى مصر القديمة، أن من يتصفون – لسوء حظهم – بشعور حمراء، أى بلون الصحراء القاحلة الجدباء وجلود حيواناتها الضارية، كانوا يعدون كمخلوقات جهنمية، أو بالأحرى تيفونية، أتباع "تيفون" (المدمر كالأعاصير) مصر القديمة: الإله "ست"!.. وانتقاصا لشأنهم وتحقيرا لهم، كان عامة الناس يطلقون عليهم اسم "الأشكال الشقراء". ومن خلال صفحات "كتاب الأحلام"، يتبين أن أحلامهم ورؤاهم تفسر بمفردها، فى باب خاص، باعتبارها .."أحلام أقران ست"!.

ومع ذلك، ففى بداية الأسرة التاسعة عشرة؛ أدمج حكما اثنان من الفراعنة بين عهدى ملكين يدعيان: "رمسيس". وهذان الفرعونان أطلق على كل منهما اسم: "سيتى" (أى: الموالى لـ "ست"). وعلينا إذن أن نلاحظ مدى المغالاة فى التفاخر والتباهى

الصادق الذى أبداه "ثانى" الملكين المسمى باسم "رمسيس" تجاه الإله "ست" بل لقد صرح أن أجداده الأوائل ينحدرون أساسا من نفس عنصر "ست" الإله!!. بل لقد تمادى "رمسيس" إلى درجة إدماج إلهه "ست" بالإله "بعل" معبود الآسيويين. ولعلنا، نعرف أن "ست" يتبدى من خلال الأسطورة الشمسية؛ ليس فقط باعتباره تجسيدا للقلاقل والاضطرابات اللازمة لتعاقب وتوالى الفصول، ولتوازن القوى الكونية: بل خاصة، باعتباره نصير وحليف كوكب الشمس. ولذلك، كان يصعد معه فوق مركبه، لحمايته من الشيطان.

وفى واقع الأمر، أن "ست" لا يجسد الشيطان بكل معنى الكلمة. ولكن الشيطان الفعلى الحقيقى هو: "أبوفيس"، الثعبان العملاق الرهيب. إن "ست" ليس مجرد شر لابد منه؛ بل هو، بالأحرى: المظهر الإلهى الديناميكى والمحرك الطبيعى الفائق القوى الذى يفيض بخيراته وهباته على مصر قاطبة.

ترى، هل اضطر رمسيس الثانى، لطمأنة شعبه، إلى تجريد ذاك الرأى المنذر الوبيل مما يتضمنه من أفكار مسبقة؟!! أو بالأحرى الذى تثيره عادة لون شعره الأحمر النارى؟! وبالتالى، فبدلا من تغطيته أو إخفائه، حاول أن يجعله مقبولا، فارتقى، وسما به إلى مرتبة الصفات الإلهية؟! .. ربما.

علينا إذن أن نتمعن للحظات وننظر مليا إلى سياق تاريخ هذا الملك. بداية، يتحتم توخى الحذر ومتابعة الاستنتاجات التى قدمها ثلاثة عشرة من الأخصائيين فى مجالنا هذا؛ ومنهم: مهندسو وأطباء "معامل الهوية القضائية"، و"مؤسسة النسيج بفرنسا"، و"شركة لوريال": وجميعهم صرحوا مؤكدين تماما، عن يقين وثقة: أن رمسيس الثانى يتمتع بشعر أحمر اللون .. طبيعى. وهكذا، علينا أن نقر تماما بأهمية هذا الاكتشاف غير المتوقع، المفاجئ فعلا. فلا ريب أنه يلقى الضوء على اختيارات ومواقف رمسيس الثانى العظيم، التى كانت تتسم غالبا بالعنفوان والشراسة!.. بالفعل، عمل "ملك الملوك" هذا على بلورة وإبراز سمته الطبيعية هذه (شعره الأحمر طبيعيا)؛ بل وحول هذا المظهر الشؤم الضار إلى سمة من الألوهية والقدسية. ولاشك أنه حقق بذلك

نصرا ونجاحا لا يستهان به!! لم يحاول الفرعون الجليل أبدا، إخفاء ظاهرة قد تعتبر، في حقبات زمنية أخرى بمثابة إعاقة أو عيب خلقي .. بل لقد حفز شعبه على اعتبار لون شعره الأحمر المميز (الطبيعي)، بمثابة دليل واضح بين عن منبته الإلهي المقدس .. كسليل للإله "ست". ولا ريب أن ذلك يعد كإرث خير وطيب أورثه له آباؤه وأجداده العظام .. أول من اتصفوا بشعورهم الحمراء في إطار عائلته الملكية!!

قطعا، لم يفصح رمسيس الثاني، بكل وضوح وجلاء عن ظاهرته الجسدية هذه، من خلال النصوص والكتابات. بل عمل، بشكل أو بآخر، وبمنتهى الذكاء و"الحرفنة" (إذا جاز التعبير) على بلورة ظاهرة احمرار شعره، في صورة هبة إلهية أنعم بها عليه خصيصا الإله "ست" باعتبارها انبثاقًا مهما من كوكب الشمس نفسه!!.. لاشك إذن، أن "صانع المعجزات" هذا، رمسيس العظيم، كان يدير، بكل مهارة ومقدرة، نمطا من الدبلوماسية – النفسية – المثيرة للإعجاب!!.

## آلام وأوجاع مومياء رمسيس

عند تقديم التماسي للحكومة المصرية، للتصريح "بمعالجة" مومياءه، تعهدت، بألا تتم أية دعاية أو "بروباجندة" حول وجود الفرعون الجليل في باريس. بل وقدمت أيضا تعهدا، بألا تجرى أية تجارب على رفاته رفيعة القدر .. وكذلك، أجزمت بأن كافة الأبحاث والدراسات اللازمة لكشف الآلام والأمراض، التي هاجمته .. سوف تجرى من الخارج فقط.

وهكذا، فإن القماش الخشن الغليظ الملمس الذي أرقد فوقه رمسيس بداخل تابوته عند قدومه من مصر، قد تم تقسيمه إلى عدة جزيئات، وزعت على كل من الأخصائيين القائمين بالعلاج. وفي نهاية الأمر، نجح أحد المهندسين الكيميائيين، مصري الأصل المتمرن بـ " Laboratoire de cryptogamie بمتحف التاريخ الطبيعي؛ ويدعى: "م. موشاكا" في اكتشاف الميكروب، ضمن حوالي ستين غيره،

الفائقة فى نشاطها الفطرى، الحديثة البالغة التكاثر. ويعرف هذا الميكروب باسم Doedalea Biennis وقد انتشر هذا الفطر بدرجة بالغة فوق ظهر الفرعون!

## معالجة الملك

ساعد هذا الإثبات على إعداد وتجهيز المعالجة اللازمة. وقد روعى تماما عدم اللجوء للاستعانة بالغاز، أو المواد الكيميائية، التى قد تلحق الضرر بالمومياء الملكية. ولم يتبق حينذاك، سوى الاستعانة بأشعة جاما (كوبالت ٦٠). والجدير بالذكر أن التجارب التى أجريت على مومياوات سابقة، تحفظ بمتحف الإنسان؛ وكانت قد عولجت "بمركز الدراسات النووية فى جرينوبل" بأسلوب التعقيم بالراديو. وبعد أن جهزت تماما رفات رمسيس، أعيد إرقادها بداخل تابوتها الذى تم ترميمه وإصلاحه؛ حيث كان كهنة الأسرة الحادية والعشرين قد حفظوها. بعدئذ، وضعت بداخل خزانة "زجاجية" صماء غير نافذة تماما، صنعت خصيصا لهذا الغرض: وقام بتوجيه الإشعاعات عليها عدد من مهندسى "هيئة الطاقة الذرية"، ومركز الدراسات النووية بسكلاى.

فى عشية يوم إجراء تلك العملية، حضر الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان، بمرافقة الوزيرة "أليس سونيى سيتيه"، لتحية فرعون مصر الجليل. فها هو قد استعاد كامل عظمته وعليائه، ورونقه وبهائه. وعبر هؤلاء الضيوف الكبار عن تهنئتهم وتقديرهم، لكل من قاموا، بكل حماس، بمعالجة وحماية هذا الضيف رفيع الشأن سامى المنزلة.

مثلما جاء فرعون مصر، ها هو يستهل رحلة عودته إلى القاهرة، على متن طائرة فرنسية حربية، من طراز "ترنسال". وفى هذه المرة أيضا، كنت فى معيته بمرافقة كبير الأطباء "بالو"؛ وكذلك المهندس "تاسينى": الذى قام بحسابات دقيقة لإجراء عملية معالجة مومياء الملك بالإشعاع. وكنت قد طالبت فريق منجدى المفروشات بمتحف

اللوفر بتنفيذ مفرش بديع رائع الجمال، لتغطية الصندوق الضخم الحاوى لمومياء رمسيس بداخل خزانتها الزجاجية الصماء.. فها هو غطاء فائق الإبداع من المخمل الأزرق بلون اللازورد، وقد بُطن ببطانة حريرية ذهبية اللون: إنهما اللونان المميزان للملكية الفرعونية. وناحية الرأس، وعند موقع القدمين، طرز بالخيوط الذهبية النباتان الشعاران لمصر القديمة: الزنبق، والبردى، اللذان يرمزان إلى الوالدتين الأوليين، والراعيتين للملكية، اللتان تظلان برعايتهما على الفرعون .. حتى لحظة بعثه وخلوده.

ها هو رمسيس قد استعاد صحته وعافيته، وعاد ليحتل مكانه بين أهله وأقرانه فى قلب المتحف العتيق بالقاهرة .. ولاشك أنه ينتظر هذا القبر المتوقع إعداده؛ الذى سوف يضمه بكل الإجلال والتوقير اللائق .. وهناك سوف يحيط به معظم الفراعنة الذين تولوا حكم مصر إبان تلك الأسرات التى حققت للدولة الحديثة ازدهارها وتألقها.

## الفصل الثالث

# مشرق أسرة جديدة

### بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة

هاهو توت عنخ آمون (حوالى ١٣٤٠-١٣٣٠ قبل الميلاد) آخر خلفاء الملوك الذين أضفوا على مصر مظاهر الازدهار والتألق، فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة، قد انتقل، لتوه إلى العالم الآخر. قطعا، لم يكن أى منهم يتماثل أو يتطابق فى عظمته وجسارته مع هؤلاء الملوك الفراعنة بأوائل "الدولة الحديثة": أى أمراء الجنوب الذين انتصروا على الغزاة الهكسوس وطردوهم من مصر شر طردة: إنهم، سقنن رع، وكاموسى، وأحمس (١٥٥٠-١٥٢٥). ثم، فيما بعد هاهو تحتمس الثالث المنتصر الباسل يتجلى ويحتل الصدارة (١٤٧٩-١٤٢٥). لقد خاض هذا الفرعون المقاتل ما لا يقل عن سبعة عشرة معركة حربية "بآسيا". وحقق بذلك لمصر قوة وسيطرة وسيادة لا نزاع فيها مطلقا. وأتاح لها سدا منيعا ضد الهجمات والاعتداءات من ناحية الشرق.

خلال فترات الهدوء والاستقرار، عملت حتشبسوت الملكة - الفرعون (١٤٧٩-١٤٥٧)، على إصلاح وترميم النصب والمنشآت التى تحولت إلى أطلال. وأسبغت على وطنها بهجة الحياة ورونقها. بل وأقامت علاقات سلم وطيدة وتعاملات تجارية، مع الكثير من بلاد "العالم". وبعد انتصارات وغزوات الملك المقاتل القوى البأس، "العملاق الرياضى" (أمنحتب الثانى)، لم تعد هناك ضرورة لأية معارك أخرى

بهدف الحماية والوقاية. ثم، هاهو قد استهل "العهد الذهبى"، أو بالأحرى حكم أمنحتب نب ماعت رع (١٣٨٦-١٣٤٩). لقد سادت فى عصره كل عناصر الجمال والإبداع، والفخامة والرفاهية منقطعة النظير، والابتكارات الفنية فائقة الدقة والشفافية .. بل وازدهر نمط من الروحانية والتصوفية، فى محاولة واضحة للتحرر من القوانين العقائدية ثقيلة الوطء .

ولكن، بالرجوع إلى تاريخ تلك الفترات التليدة، يلاحظ أن مؤرخينا الحديثين، وهم يتناولون مفاخر وانتصارات ملوك مصر الشجعان المنتصرين، قلما يذكرون مديحا أو إطنابا واضحا صريحا إزاء "الزوجات الملكيات".. بالرغم من أن هؤلاء السيدات النبيلات قد قمن، بالفعل بدور فائق الأهمية!!.. ولكن، الملوك الفراعنة لم ينسهن أو يتغافلن عنهن أبدا. فهاهو أحمس قد شيد من أجل أمه "إعح - حتب"، لوحة رائعة فى منطقة أبيدوس: حيث سجل عليها تمجيده وتعظيمه للدور الرئيسى المهم التى قامت به هذه الملكة الجليلة إبان اندلاع المعارك ضد المحتلين الهكسوس. بل وأثبتت جدارة ومهارة فى إدارة شئون المملكة باعتبارها شريكة لابنها الفرعون فى حكم مصر. وأبدت فطنة وقوة بصيرة وحماس لا نظير لها وهى تحفز وتشجع جنود مصر المقاتلين. وهكذا، نرى أن ابنها الفرعون المقاتل المنتصر، قد أنعم عليها بأول وسام عسكرى تناله امرأة!!.. إنه: ذبابات الشجاعة الثلاث[1].

بعد ذلك، يتراءى واضحا أن معاصرى حتشبسوت، لم يوجهوا أبدا لومهم إلى هذه الملكة الفرعون أو اتهمونها بأنها مجرد مغتصبة للحكم، أو على أسوأ تقدير زوجة أب شرسة لتحتمس الثالث!!.. ومع ذلك، فإن بعض علماء المصريات يفعلون ذلك فى أيامنا هذه!.. إن حتشبسوت، فى واقع الأمر، كان يحق لها فعلا أن تتبوأ مكانة فرعون مصر فهى ابنة الملك من زوجته الملكية المعظمة؛ بالإضافة إلى كونها: الأميرة الوريثة للحكم. أما عن الصبى تحتمس (الثالث مستقبلا)، فكان يعد بمثابة "ابن طبيعى" (أى: شرعى!)، أنجبه الملك من إحدى محظياته. وبكل جدارة واستحقاق، قامت حتشبسوت بمهام منصبها كوصية على الفتى اليافع تحتمس؛ بكل ما تتميز به من

فطنة وحصافة. وهكذا، نجحت فى إعداده وتأهيله لتحمل مسئوليات حكم قوى الأسس متين البنيان.

وكذلك، يتبين أن أمنحتب الثالث، خلال فترة حكمه قد حقق إنجازاته الرائعة وانتصاراته الهائلة، بفضل ما أبدته زوجته من فعالية وإيجابية ونبوغ، فى مجالات الفنون التشكيلية، والأفكار المعاصرة لتلك الحقبة[٢]. وأيضا، مارست هذه الملكة تأثيراتها للغاية فى مجال حركة "التعديل" الذى تغلغل فى أعمق أعماق حكم ابنهما أمنحتب الرابع - أخناتون (١٣٥٦-١٣٤٠).

لقد حاول هذا الأخير، من خلال تجربته المذكورة، الابتعاد تماما عن المفهوم الثرى "المكثف" المتعلق بالإله الخالق. ولكنه، فى الحين ذاته، عمل على الدنو والاقتراب من حقيقة "كونية" محددة .. أو بتوضيح أكثر: "المغامرة العمارنية" التى انتهجها هذا "المصلح"، كان من المحتمل ألا تنكسر أو تجابه حربا عنيفة إذ كان قد توافر لها ما يلى: اقترانها بفكر سياسى خلاق، حريص على تحقيق الأمن والأمان فيما وراء حدود مصر. وذلك، من خلال الحفاظ على أواصر المعاهدات السابقة، وأيضا، توافر الحماس والتوقد للتصدى لبعض القوى الأجنبية المعادية.

## انتهاء سلالة

ربما أن إسدال الستار على حكم أخناتون ونهايته؛ هذا الفرعون، الذى حاول البعض الانتقاص من قدره وهيبته؛ فأطلقوا عليه لقب: "المارق"، بل والأثيم أيضا؛ قد وضع كلمة "النهاية" على سلالة كافة الملوك الذين تسموا باسم: أمنحتب. وتجدر الإشارة إلى أن الأمير تحتمس، الابن الأكبر لأمنحتب الثالث، قد توفى فى ميعة صباه. أما عن الابن الثانى (أى أخناتون)، فقد انتقل لتوه إلى العالم الآخر. وعن الوريث الثالث للعرش، فهو ملك قليل الشأن، يكاد يكون عديم الذكر، ويدعى "سمنخ - كا - رع": ربما قد مكث فى حكم مصر حوالى سنتين فقط، أو كان مجرد شريك على العرش (١٣٤٢-١٣٤٠).

وبالنسبة لآخر السلالة، فقد تربى وترعرع فى مدينة "أخيتاتون" (تل العمارنة)، التى أسسها المصلح الدينى، وكان يسمى وقتئذ بـ "توت عنخ آتون". واضطر للصعود فوق العرش وهو لم يناهز بعد العاشرة من عمره (١٣٤٠-١٣٣١)، وعمل أساتذته ومعلميه، "آى"، والقائد الأعلى "حور محب" على إقامة علاقات دبلوماسية مع كهنة آمون، الذين كانوا يشعرون بغبن وإهانة عميقة للغاية: وذلك، بسبب انقطاع أواصر الصلة تماما بين العرش وبين الإله راعى الأسرات: بأمر من أمنحتب الرابع "أخناتون"!.. وهكذا، عمل هذان الاثنان على إغلاق معابد "البدعة الدينية". ثم سرعان ما أمرا بتفكيكها. وتقول بعض النصوص أيضا، إن الملك الصبى، قد "احتفل بتتويجه فى هليوبوليس الجنوب (هيرمونثيس أو "أرمنت")" جنوب طيبة. وهنا، بدل اسمه إلى: توت عنخ آمون[٣].

بقى توت عنخ آمون بالحكم حوالى عشر سنوات، أو لنقل إنه كان يحكم مصر عن طريق نائب عنه أو وسيط؛ وتوفى توت عنخ آمون فى العام العاشر من حكمه. وحينئذ، خلفه الوزير المسن "آى" (١٣٣١-١٣٢٧)، ولا تذكر بصدده أية مفاخر أو انتصارات: كان الأمر بمثابة فترة انتقال خاطفة!

## فرعون – القائد

هاهو القائد الأعلى حور محب يرتقى عرش مصر (١٣٢٧-١٢٩٥) [٤]. ترى، هل كان يحق له أن يكون ملكا؟!.. ربما قد تسمح بذلك، بسالته النادرة ومقدرته القتالية الفائقة؛ وأيضا ما يقدمه هذا "القائد" من دواعى الأمن والأمان، بضمان قوة شخصيته وعزيمته، لمصر التى كانت تفتقد وقتئذ وجود ملك قدير ومحنك عسكريا. وقد استقر حور محب فى "منف" على مقربة من الحاميات، التى كانت فعالة ونشطة فى الماضى البعيد. وخلال حكم توت عنخ آمون الباهت، استطاع حور محب قمع بعض حركات التمرد والثورات فى "كنعان"، على مقربة من حدود مصر الشرقية. بل وسارع أيضا إلى نجدة بعض حلفاء الفرعون القدماء الملتمسين حمايته ودفاعه.

وربما أن حور محب قد نجح فعلا فى إقامة رابطة "أسرية"، تتسم بالمرونة إلى حد ما: فقد تزوج من الأميرة "موت نجمت"، شقيقة نفرتيتى ساحرة الجمال. ولعلنا نعرف أن هذه الملكة، قد ارتبطت بأمنحتب الرابع بعاطفة حب عارمة قوية. ولكننا، لم نلم تماما بأصلها الفعلى وجذورها ونسبها. إنها قطعًا مصرية المنبت: فإن مرضعتها المدعوة "تى"، وهى من نبيلات البلاط الملكى، كانت متزوجة من قائد "فرقة الفرسان" الملكية؛ ثم أنعم عليه بعد فترة ما بمنصب الوزير الأعلى. إنه "آى" الذى خلف توت عنخ آمون على العرش.

كان الفرعون حور محب مفعما للغاية بالروح العسكرية والإدارية. وهكذا، قام بإعادة استتباب النظام ودواعى الأمان فى جنبات مصر التى كانت تعانى، وقتئذ من التهاوى والاضمحلال. ولاريب أن المرسوم الذى أصدره ضد كافة المخلين بواجبات وظائفهم [٥] والأمانة؛ يبين بوضوح فائق، مدى ما تردت إليه مصر من تدهور ولامبالاة منقطع النظير، واستهتار بين خطير للغاية، وفساد، وازدراء للقانون!!

لقد أحكم هذا الفرعون البارع قبضته تماما على كافة الأمور فى مصر. وهكذا، استعاد هذا البلد هيبته واحترامه فى عيون البلاد الأجنبية. كان حور محب ينتقى معاونيه ومساعديه بدقة بالغة، وبصيرة ثاقبة. وضمن هؤلاء، لفت أنظار الملك، بوجه خاص، أكثرهم تفوقا ونبوغا. إنه ضابط شاب يدعى "با - رعمسو"؛ سرعان، ما أصبح قائدا للفرق العسكرية. وهو ابن شخص يدعى "سيتى"، منبته[٦] الأصلى، منطقة الحدود الشرقية بالدلتا، الخاضعة لرعاية الإله "ست" ومنه اشتق اسمه: "سيتى".

إنها المنطقة نفسها التى تمركزت بها مدينة "أواريس"، حيث اتخذها الغزاة الهكسوس عاصمة لهم. تحديدا، يقع هذا المكان على مشارف "بحر رع" (أكثر فروع النيل قربا من الدلتا)، فى اتجاه قلعة "ثارو"، عبر "طريق حورس[٧]": أى بنقطة انطلاق الطريق الساحلى العابر لبلاد "كنعان". وهناك، موثل "ست" بالإله "بعل" معبود الآسيويين. قطعا إن شعب هذه المنطقة كان يتضمن جنسيات متباينة ومتنوعة، ولكن، كان هناك أيضا المواطنون الأصليون. وكذلك، تواجدت فئات منحدرة من جذور

الهكسوس، الذين اندمجوا تماما منذ أمد بعيد مع الأهالى الفعليين: وقد انحدروا أساسا من بلاد كنعان وبعض البقاع الأخرى النائية .. لاريب إذن أن مَن يضفى على ابنه مباركة وحماية الإله "ست"، كان يبغى من وراء ذلك إبراز جذوره ومنبته المحلى؛ وأيضا، الإشارة لروابطه العائلية.

على ما يبدو، أن الضابط الشاب "با - رعمسو" كان، إلى حد ما، أحدث سنا من مليكه. وقد تدرج فى كافة مراحل السلك العسكرى على مقربة من الفرعون. ونجد أن هذا الأخير كان يبذل قصارى جهده، واضعا فى المقام الأول إعادة القوة والصلابة اللازمة للجيش .. ليكون قادرا على الدفاع عن مصالح مصر وأمنها خارج حدودها. ولقد تخطى "با - رعمسو" كافة المناصب العليا التى شغلها أبوه من قبل: فها هو، على سبيل المثال، يشغل الآن: وظيفة "كبير مشرفى الحظائر الملكية". بعد ذلك، كان من الطبيعى، إلحاقه أيضا ضمن النبذة المختارة المميزة من قائدى العربات الحربية. ثم أنعم عليه، بعد ذلك برتبة "القائد الأعلى لكتيبة العربات": وهنا، كرمه حور محب بأكثر المناصب سموا وعلو شأن، ألا وهو: "المبعوث الملكى بالبلاد الأجنبية": لنقل المراسلات الملكية الدبلوماسية. وأخيرا، فهو يحظى أيضا برتبة "القائد الأعلى": وعندئذ، بوأه الفرعون مهمة قيادة قلعة "ثارو(٨)": إنها بمثابة تمركز حدودى تمر به كافة الحملات العسكرية المنطلقة نحو بلاد المشرق. وأخيرا، وفوق كل ذلك، فهاهو منصب جديد آخر: "الرئيس الأعلى لمصبات النيل": أهله لمسئولية، تحقيق الأمن والأمان لمصر؛ شرقا، وشمالا، وغربا.

## الوزير الأعلى با - رعمسو

تراءى، بكل وضوح أن "با - رعمسو" كان يقوم بكافة هذه المهام والمسئوليات بجدارة وبراعة باهرة. وقد دفع ذلك الفرعون حور محب إلى الإنعام عليه بهذا اللقب الرفيع: "الوزير الأعلى" لمعاونته ومساندته(٩) فى إطار المملكة. بل وأضاف له أيضا

هذه الوظيفة العليا: "النائب الأعلى بكافة أنحاء مصر": شمالا وجنوبا. ولذلك، كان "با – رعمسو" مسئولاً أيضا عن مراقبة وتتبع أعمال الفك والفصل، والتغيير والتبديل، والتجديد المعمارى بمعبد الكرنك. ففى واقع الأمر، كان حور محب يحاول جاهدا عدم إثارة غضب وحقد كبار كهنة آمون عليه: ولذلك، أمر بتفكيك كافة أجزاء هذا المعبد الفخم مترامى المدى، وكل المقصورات التى كانت قد أقيمت، من قبل، إجلالا وتعظيما لقرص الشمس "آتون": وكل ما شيده بالناحية الشرقية من الكرنك أمنحتب الرابع – أخناتون، فى بداية حكمه.

على ما يعتقد، أن قدرا كبيرا من هذه التفكيكات[١٠] والتغييرات، قد تم دفنها أسفل الصرح الذى شيد إبان عهد حور محب (الصرح التاسع).. وفقا لأوامر "با – رعمسو". ولذلك، فقد أنعم عليه الفرعون بهذا التكريم السامى: السماح له، بأن يقام عند قاعدة البرج الشرقى للصرح المذكور: تمثالان يصورانه جالسا القرفصاء، ومرتديا الثوب الفضفاض ذا العقد العريض الخاص "بالوزير الأعلى".. واعتبر ذلك بمثابة هبة ملكية.

وأخيرا، هاهو "با – رعمسو" يتوج بأرفع المناصب نبلا وسموا .. "الأمير الوريث للعرش"!!.. وهكذا سطر أجمل ما قدر له!!.. إنه، صراحة، وبكل وضوح، قد اختير لخلافة حور محب: أو بالأحرى رفيق الكفاح والسلاح سابقا لأبيه سيتى، القائد المتواضع لإحدى الفرق العسكرية!.. ولنعلم أيضا، أن الفرعون حور محب لم ينجب وريثا له. وبالتالى، والحال هكذا، فهاهو ابن بديل متوهج حماسا وتوقدا: با – رعمسو!.. وعلى ما يعتقد، أن "سيتى" هو الآخر، فى تلك الآونة قد أنعم عليه بلقب "مساعد الوزير[١١]".

أقيمت احتفالات كبرى بمناسبة هذا التنصيب الملكى. وتلقى "با – رعمسو" خلالها الخاتم – الختم الذى يحمل ألقابه ووظائفه المتعددة، بحضور كبار موظفى المملكة. وانطلقت أغنيات ورقصات الفرح والبهجة فى كل مكان؛ بل ورافقته حتى منزله الفخم: حيث تعددت وتألقت مظاهر السرور والابتهاج العائلى. وتجدر الإشارة

إلى أن زوجته النبيلة تدعى "سات رع"، أما ابنه، فاسمه سيتى[١٢] تطابقا مع اسم جده. وكان "سيتى" الشاب هذا متزوجا من الفتاة الجميلة "توى"، ابنة "رايا" أحد ضباط كتيبة العربات الحربية، وأمها إحدى مغنيات آمون "رويا". وقد أنجب هذان الزوجان الشابان طفلة صغيرة، أطلقوا عليها اسم "تيا". وتدل بعض بقايا النقوش والكتابات فوق جدران معبد الكرنك، أنهما ربما قد أنجبا طفلا آخر[١٣]، ولكنه، توفى فى مقتبل صباه.

عموما، ومهما كان الحال، هاهما قد رزقا بطفل جديد: ووفقا للعرف والتقاليد، سمياه بنفس اسم جده: رمسيس .. ومن المؤكد، أن "با – رعمسو"، بداية من هذه الفترة قد اقتصر على اسم "رعمسو" فقط: وألغى منه حرف الإشارة "با" .. فقد وجده على شيء من التواضع والشعبية.

## تنصيب رمسيس الأول

فى عام ١٢٩٥ ق.م، كان رمسيس، ابن سيتى وتوى قد ناهز ربيعه الخامس، فى الوقت نفسه الذى غادر فيه الفرعون حور محب هذه الحياة الدنيا. ولا ريب أن هذا الصبى قد حضرْ مناسبة تتويج جده، فرعونا على "قطرى مصر جنوبا وشمالا"، أى أول من تسمى باسم "رمسيس مين بحتى رع". هاهو إذن الجد الأول – المؤسس للأسرة الجديدة .. أسرة الرعامسة، التاسعة عشرة.

بداية، فكر "مين بحتى رع" فى الأسلوب الذى يستطيع، من خلاله، الاندماج تماما فى سلالة الملوك الفراعنة السابقين، ولذلك، وقع اختياره على هذا الموقع الذى سوف يحفر به مقبرته فى صخور الجبل: فى نطاق الجبانة الملكية التى تشرف عليها وتحميها "*القمة المقدسة*"، "*الوادى الرحب*" (بالمصرية القديمة: "تا سخت عات": يعرف حاليا باسم: "وادى الملوك")، غرب طيبة. كان يعتقد، أن عمال طائفة "موقع الحقيقة[١٤]" (ست – ماعت أى: دير المدينة) التى كان قد أسسها مؤسس

الأسرة الثامنة عشرة، سيجدون الوقت الكافى لإعداد قبره – الكهف العميق الذى سيستقبل، فى يوم ما رفاته. وبالإضافة لذلك، لجأ إلى هذا الاستحداث: باعتباره المؤسس الأول للأسرة مع زوجته الملكة المعظمة "سات رع"، أراد أن تحظى مليكته هذه بقبر صخرى بجبانة خاصة باستقبال ملكات هذه الأسرة الجديدة .. ولم يحدث ذلك أبدا من قبل.

أوكلت إلى الأمير "سيتى" مهمة العثور على المكان المناسب تماما لهذا الغرض. ووقع اختياره على وادى متسع رحيب يطل على سهل طيبة الغربى، غرب "وادى الملوك"، أى "ست نفرو". وقد سمى ذاك الموقع الجديد، فى وقتنا الحالى "وادى الملكات". كان عبارة عن جبانة سبق استغلالها لحفر مقابر عدد ضئيل من كبار موظفى المملكة، وبعض الأمراء الصغار بالأسرة السالفة. لم يكن هذا المكان الجبلى يحظى بإشراف وحماية تلك القمة التى تتراءى فى هيئة هرم طبيعى، إيماء إلى العضو المُنسل الخلاق. بل كان يهيمن عليه "الكهف المقدس" المكرس للجوهر الأنثوى الرفيع الجلالة: حتحور .. التى تستقبل فى أحضانها جميع المتوفين.

ثم، هاهو الفرعون الجديد يستهل أحد مشاريعه الذى كان يزمع تنفيذها منذ توليه منصب "الوزير الأعلى"، ألا وهو: استكمال الأعمال المعمارية التى كان قد بدأها أمنحتب الثالث، فى الكرنك. ومن هذا المنطلق أيضا، كان يبغى أن يعبر، أمام كهنة طيبة، الذين، بدون أدنى شك، شعروا بالإهانة والإحباط، فى عهد المغامرة العقائدية العمارنية .. عن عودة ديانة آمون. وأمام صرح أمنحتب (ثالث صرح فى عصرنا هذا)، يتبين أن الساحة الكبرى، قد أنشئ بوسطها فى نهاية حكم "حور محب"، ممر يصطف على جنباته اثنتا عشرة أسطون فارعة الارتفاع: وقد توجت بتيجان بردية الشكل، ومتفتحة. إنها تتقارب شبها بتلك الخاصة بتوت عنخ آمون، فى الأقصر .. وهكذا عمل الفرعون على تكملة سلسلة الأساطين هذه. بل وبدا يقيم بجوارها عددا آخر أقل ارتفاعا، بقمم بردية الهيئة مقفلة: والجدير بالذكر أن تلك الأعمال المعمارية، قد بدأت من ناحية الجناح الشمالى. ولقد أتم هذا المشروع، كل من ابنه "سيتى"، ثم

حفيده، رمسيس الثاني: وكان الهدف منه: تشييد قاعة مترامية المدى تمثل غابة فسيحة الأرجاء ينبثق في جنباتها نبات البردي الفارع الطول .. وهذا، ما يمكن مشاهدته، حاليا، بمعبد الكرنك الهائل الضخامة. وربما أن أعمال الزخرفة، لم تكن قد استكملت تماما. ولكن، على أية حال، فإن الجدران التي كان حور محب[١٥] قد نقش عليها في الماضي أسماءه وألقابه، قد كشطت، لتستقبل تلك الخاصة بالفرعون القائم!

## الأمير سيتي .. كوكب فوق الأرض!

اعتبرت "منف" وقتئذ، بمثابة العاصمة العسكرية. وفي أجوائها، عمل "القائد الأعلى" حور محب الذي اعتلى العرش، على إعادة تنظيم، كافة الشئون والأحوال المتهاوية المضمحلة. ولا ريب أن "سيتي" كان يساعد ويؤازر أباه بكل عزم وقوة. خاصة أن هذا الأخير، كان قد ناله الإرهاق والإجهاد من جراء عمله العسكري طويل الأمد الذي كُلل بالنجاح والفاعلية الفائقة.

في واقع الأمر، كان "سيتي" يقوم، بجوار أبيه، بمهمة الشريك في العرش. وهكذا، نراه يعلن متفاخرا متباهيا: "في الوقت الذي كان يتالق فيه باعتباره رع-الشمس، عند الفجر المشرق، كنت أبدو بجواره وكأنني نجم فوق الأرض[١٦]". كما أراد سيتي أيضا أن يبين عن سطوته ونفوذه في نطاق البلدان التابعة والموالية لمصر: إنها تضم أجناسًا من "الخارو " Kharou، و"الجاهي" Djahi، و"الفنخو " Fenkhou .. وجميعهم كانوا قد بينوا عن تمردهم وعدم وفائهم لوطنه حالما ظهرت عليه معالم الضعف والتراخي، من قبل ذلك. بل كان الأمر يتوجب أيضا جباية الضرائب والجزى، بشكل منتظم: من حكام المدن الأجنبية الخاضعة لملكته. فهم ملزمون بذلك تجاه عرش مصر!.. بل خاصة، إزاء معبد آمون العظيم، في بداية كل عام. وهكذا، يلزم الأمر أيضا، بالنسبة لحكام المدن المصرية نفسها. بل وحتمت الضرورة كذلك، أن يقدم جميع هؤلاء قسطا من جهدهم وعملهم[١٧] للفرعون.

قطعًا، سوف نتبين، فيما بعد، إلى أى مدى حاول رمسيس العظيم، أن يستعرض أمامنا، بكافة الطرق والأساليب، نبوغه المبكر الخارق للمألوف. وهكذا، فلن نتعجب الآن، عندما نعلم أن "سيتى"، قد عمل على مساهمة ابنه الصبى هذا، الذى لم يناهز السابعة من عمره فى تلك الغزوة التى شنها على البلاد الآسيوية الممتدة بطول ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب فينيقيا (شعوب الفنخو). ولقد ساعدت مجموعات الأسرى الذين اقتنصوا فى كنعان، ومعهم زوجاتهم وأبناؤهم، على زيادة عدد الخدم العاملين فى معبد "بوهن" (على مقربة من الشلال الثانى، بالنوبة السفلى المصرية). وقطعًا، كان "سيتى" قائدا أعلى لتلك الحملة. وبهذه المناسبة أمر هذا الأمير بإقامة لوحتين تذكاريتين بمناسبة هذا الحدث(١٨). فى ذاك الحين، كان رمسيس الأول يقيم فى منف، إبان العام الثانى من حكمه: للإشراف، باهتمام ودقة متناهية على أعمال تأسيس عاصمته الجديدة، بر - رمسيس (أى: مقر رمسيس).

## رمسيس الأول .. فى وادى الملوك

بعد أن تيقن تماما رمسيس الأول من تثبيت ابنه الشريك الرسمى معه فى الحكم .. انطلق توا إلى "العالم الآخر". ولم يكن قد أمضى سوى عامين فوق العرش(١٩). ولكن، فى واقع الأمر، إنه قد أسهم مع حور محب فى تحمل عبء السلطة وممارستها بفاعلية طوال عدة سنين. وقد تم دفن رمسيس الأول "من بحتى رع" فى وسط "البستان الكبير"، بمقبرة لم تستكمل بعد، لا ترقى إلى مستوى ما أراده لها من ضخامة وفخامة. ولكن، على أية حال، نقش على جدرانها بعض مقتطفات من مصنف جديد عن النصوص الجنازية الملكية، وهو "كتاب البوابات". وعلى ما يبدو، أنه قد أسهم فى تحريره إبان عهد حور محب. ويرى هذا النقش الزاهى الألوان، فوق خلفية من اللون الرمادى المائل إلى الزرقة: إنه ما زال حتى يومنا هذا يعبر عن رشاقة ورقة رفيعة المستوى.

وسرعان ما لحقت به زوجته "سات رع"، إلى مملكة أوزيريس السفلى. وقد أعد قبرها ضئيل المساحة فى نطاق "ست نفرو" (وادى الملكات): حيث زين، على وجه السرعة، ببعض الرسوم والنقوش السوداء الخطوط، المضاف إليها عدة لمسات حمراء اللون.

وهاهو عصر الرعامسة على وشك الانبثاق.

## الفصل الرابع

# مشاركة الأمير رمسيس
# فى حكم سيتى الأول ( ١٢٩٤ - ١٢٧٩ ق.م)

### مثال الأب

أجمع كافة علماء المصريات على أن الأمير "سيتى" النابغة الشجاع، الذى توج بالتاج الملكى وقد ناهز الثلاثين من عمره، كان يزمع إقامة مشاريع عظمى؛ هيأ لها الكفاءات المبهرة لتنفيذها على أجمل وجه. بداية، كان عليه استقطاب وجذب مختلف فئات الكهنوت، لكى يتحقق التوازن الخاص بأنبياء آمون "طيبة". وهكذا، نراه، فى مناسبة ما قد قرن اسمه بهذه الصفة: "المفضل لدى بتاح"، حتى تزداد عرى ارتباطه "بمنف". كما أعلن أيضا أنه "صورة رع" (فوق الأرض)، وأنه الكيان المضىء المتلألئ المعبود فى هليوبوليس. ثم، لم يهمل، مع ذلك لقب: "الثور القوى الشكيمة الذى يتجلى فى طيبة": ويلاحظ أنه قد اقتبسه من أحد مثله العليا.. تحتمس الثالث المحارب الباسل الجسور.

وفى ذات الحين، لم ينس "سيتى" أبدا تلك الإنجازات والإبداعات المعمارية الرائعة الخاصة بأمنحتب، فرعون "تى"، ملك العصر الذهبى والسحر والجمال. كما استعان بأكثر الفنانين مهارة ونبوغا. ومنح ثقته لكبار المعماريين خلفاء عصر البناء والتشييد العريق. بل لقد بذل قصارى جهده لكى يتفوق على أعمال أسلافه وأجداده. وقد تجلى ذلك بكل وضوح من خلال منشآته فى "أبيدوس". ثم بدا بعد ذلك فى تكملة بناء قاعة الأساطين الكبرى بالكرنك. وفى رحاب "البستان الفسيح"، اعتبرت مقبرته –

المقصورة فى باطن الأرض: الأكثر عمقا، والأعظم فخامة وأبهة فى إطار "الوادى" كله. لاشك أن عهده بمثابة "عصر النهضة"، من كافة جوانبه وأبعاده. عموما، سوف نرى أن معظم كتاباته ونصوصه المؤرخة، كانت تسبقها تلك العبارة.

بدون أدنى شك، هناك، ضمن الكثير من عناصر "خطته" فائقة المدى، سبب محدد، دفع رمسيس الثانى لأن يتوج حكمه بشعار ورمز "المولد والبعث الجديد". أولا، كان رمسيس مأخوذا، مبهورا بمجد وانتصارات سلفه الشجاع الجسور "تحتمس" (الثالث). وهكذا، أزمع، قبل كل شىء ، إعادة غزو بلاد "عمورو" (السورية): وكانت مصر قد فقدتها خلال عصر العمارنة. وخلاف ذلك، نجده قد استعان بهذا الفأل الحسن بالنسبة لملكه وتأسيس "أسرته": وهكذا، كان يومئ، ويوجه الأنظار دائما إلى هذا المضمون: تجدد مصر وبعثها ثانيا، متجسد ومتبلور من خلال تعاقب دورة نجم الشعرى اليمانية (ما بين ١٣١٤-١٣١٣ ق.م): وخلالها، توفى حور محب، واعتلى عرش مصر رمسيس الأول!

وموعد حدوث هذه الظاهرة: عندما يتلاقى ويتصل كل من التقويم الشمسى الخاص بالمعابد وأوجه النشاط الزراعية (يعادل ٣٦٥ يوم و $\frac{١}{٤}$ اليوم ، ما بين كل فترة فيضان وأخرى)؛ والتقويم المتعلق بالشئون الإدارية، (حيث لا يحسب الـ $\frac{١}{٤}$ يوم): الذى يفقد، بالتالى يوما كاملا كل أربع سنوات. وحتى تتطابق تماما هاتان الدورتان، كانت الضرورة تستدعى مرور (١٤٦٠ يوم) (٣٦٥×٤ سنوات). عندئذ، بمثل هذه المناسبة، يعتبر أول العام بمثابة يوم معجزة: فإن التقويمين المذكورين، يتم الاحتفال بهما فى أول يوم من أول أشهر الفصل الأول من العام "فصل الآخت[(١)]". ويومئذ، عند انبثاق الفجر، تتجلى معًا كل من النجمة "سوتيس" (الشعرى اليمانية)، والشمس، فى نفس اللحظة، بفرق طفيف جدا، .. إيذانا بوصول الفيضان الوشيك!!

إنه قطعا يوم المعجزات .. ينبئ عن فترة يعمها الخير والنماء، حيث "يعود كل شىء إلى وضعه الطبيعى وتوازنه"، تيمنا وتفاؤلا بالرعاية والمباركة الإلهية لمصر عامة،

ولمليكها خاصة. ومن المؤكد أن "سيتى" قد عرف تماما كيف يستغل هذا الحدث فوق الطبيعى الذى يرتبط به ارتباطا وثيقا. ولاريب أن مثل هذه الأجواء المشبعة بالديناميكية والقوى الطبيعية، قد تركت بصماتها على طفولة رمسيس وصباه الغض. فها هى لوحة نادرة دقيقة الحجم؛ توجد حاليا بمتحف اللوفر، تمثله جالسا فوق وسادة صغيرة، واضعا أحد أصابعه فى فمه، وقد تدلت على جانب وجهه خصلة الشعر المميزة للطفولة، باعتباره صبيا صغير السن. وهو يرتدى مئزرا طويلا ذى كسرات (بليسيه)، وكأنها أشعة الشمس؛ تطابقا "بالموضة" العمارنية؛ ويتميز رداؤه بارتفاعه عند مستوى الظهر. ونرى أن العُصابة الملكية التى تحيط بجبينه قد زينت، وقتئذ، بالحية الراعية الحامية للفرعون. وأمامه، يشاهد اسم تتويجه: "أوسر ماعت رع"، معبرا، على ما يبدو، عن اعتلائه الفعلى للعرش .. منذ طفولته اليافعة!.. وكذلك، توجد لوحة أخرى فى متحف اللوفر: إنها من حجر "الشست" الأخضر اللون؛ تقول لنا: "إن صاحبها؛ هو المعلم – المربى،الذى تكفل بمهمة تعليم "جلالة الملك" وهو ما زال فرخًا صغيراً بداخل البيضة".

كان هذا "الأستاذ"، شابا على درجة رفيعة من القدر؛ ويدعى "ثيا" بن "آمون واح سو"، وقد عين "كاتب لمائدة سيد القطرين". فهو إذن "رئيس التموينات بالبلاط الملكى". ولعلنا نعلم أن هذا الإدارى الكبير، قد أصبح، فيما بعد، أحد المسئولين المهمين عن "معبد ملايين السنين" الخاص بالملك(٢). ومن المؤكد، أنه عرف كيف يكتسب رضاء وتقدير العائلة المالكة. فقد أصبح صهرا لسيتى الأول، أى بالتالى، سلف الفرعون المقبل: حيث صرح له بالزواج من الأميرة "ثى يا". وربما أن عائلته كانت مقربة للغاية من حور محب قبل وفاته: يرى فوق هضبة سقارة(٣)، نصبان جنازيان متجاوران تماما: أولهما خاص بحور محب خلال تبوئه رتبة القائد الأعلى، وثانيهما يتعلق بهذين الزوجين النبيلين الشابين.

اعتبرت مادة الجغرافيا، بمثابة العلم الذى تفوق فيه التلميذ الصغير (رمسيس) تفوقا ملحوظا: كان كبار موظفى البلاط الملكى، والضباط والفرسان، والوزير الأعلى، يتحدثون مع الفرعون عن الحملات الحربية التى أرسلت إلى منطقة الشرق الأدنى.

وألم الصبى اليافع رمسيس إلماما تاما بكل ما يتعلق بمدن مقاطعات: كنعان، وخارو، وجاهى، وأوبى (جنوب سوريا)، والقلاع والحصون التى تستوجب الضرورة استعادتها فى بلاد "عمورو". بل وأحيط علما بأن المحاربين "الحوريين" الذين يعيشون فى "ميتانى" قد ذاقوا مرارة الهزيمة على يدى "تحتمس الثالث - من خبر رع"، من خلال غزوته الثامنة الآسيوية. كما سمع عن مدينة "ينوان". وقيل له إن مدينة "بيت شان" تتضمن بعض الكتابات التى تشير إلى الانتصارات العسكرية التى حققها ذاك الفرعون الباسل.

وعرف الشاب رمسيس أيضا، أن الأمر يلزم قمع الاضطرابات والقلاقل فى "الجليل"، وأصبح، وهو فى سنه اليافع هذا، قادرا على التمييز ما بين قبائل "الشاسو" المشاغبين المشاكسين، وبعض عشائر "العبرانيين"، الذين كانوا يقبلون أحيانا المساهمة فى جنى كروم العنب الملكية. وفى ذات يوم من الأيام، سمع الوزير "نب آمون" يتحدث عن الحملة الكبرى المزمع القيام بها لإصلاح وترميم القلاع والحصون والآبار المصرية التى تمتد بطول الطريق التجارى الهائل على الساحل الفينيقى، عبر "صور"، و"صيدون"، و"جبيل"، و"سيميرا". وأخيرا، هاهو، يتطرق إلى سمعه اسم أكثر أعداء مصر خطورة وشراسة؛ أى الحيثيون. وفى أجواء البلاط الملكى، كان الجميع يقولون إن القتال سوف يكون لا نهائيا ومريرا .. وهاهو الأمير اليافع يتوق وهو فى عمره الغض هذا، إلى المشاركة فى حملات الردع والتأديب الكبرى التى يقوم بها فرعون مصر!

سرعان ما أتيحت هذه الفرصة المرتقبة. فها هى النصوص تخبرنا قائلة: بداية، أنعم على الأمير الصغير رمسيس، وهو لم يتعد بعد عامه العاشر، بلقب شرفى: "القائد الأعلى للقوات المحاربة". وعندما ناهز الثانية عشرة، فإنه، على ما يبدو، قد شارك أبيه فى شن حملة ردع ضد الليبيين، أى "التحنو"؛ وكذلك هؤلاء المسمون "الماشاواش"، بغرب الدلتا. وبعد فترة وجيزة، قرر "سيتى" خلال العام الخامس من حكمه، السماح لابنه، الذى كان قد شارف على عامه الثالث عشر، بالمشاركة فى

القتال ضد الحيثيين: الذين حاولوا غزو "أناتولى" فى شمال سوريا. إذن، لقد سنحت الفرصة لمحاولة إستعادة "عمورو" بالإضافة إلى مدينة قادش، التى كان تحتمس الثالث "من خبر رع" قد استولى عليها فى الماضى.

قطعًا، لقد تركت كل هذه المعارك بصماتها واضحة على الأمير رمسيس. فقد انبهر وسلب لبه وهو يشارك فى الهجوم على قلعة قادش. وشعر بتأثر بالغ فى أثناء حضوره إقامة إحدى لوحات النصر، فى تلك المدينة التى سقطت فى قبضة المصريين. وكم كان يشعر بالفخر والزهو بأبيه الفرعون؛ إنه الخليفة الشجاع المغوار لأسرة حديثة. لقد أثبت سمو منبته وقدسيته؛ فقد "استعاد الشعلة". واستطاع هذا الفرعون المنتسب أصلا إلى الإله "ست"، أن يعيد إلى العرش، ما كان قد غزاه تحتمس الثالث من أجل مصر. ولكن، هذا الانتصار، لم يدم طويلا. فها هو يواجه قوة وشراسة الحيثيين المتعاظمة، بقيادة حاكم شاب صلب العزيمة قوى البأس، يدعى، "مواتالى"؛ إنه أمير خاتى "خيتا". وسرعان ما تمكن هذا الأخير من استرجاع الحصن، الذى أدمج ثانيا بالأملاك الحيثية. وتوقف الصراع، بإبرام اتفاقية مؤقتة.

ومع ذلك، فإن الشاب اليافع؛ رمسيس الأحمر الشعر؛ المندفع الحاد الطباع، بذقنه البارزة إلى حد ما التى تنم عن الصلابة وقوة الإرادة، وقد ورثها عن أمه الملكة "توى"، لم يبعد عن خاطره أبدا هذا الإخفاق الذى منيت به مصر. بالرغم من أن أبيه الفرعون، قد تيقن من استقرار الأحوال والمواقع؛ من أجل تحقيق الثبات التجارى وازدهار بلده، بالمناطق الداخلية عامة والساحلية خاصة؛ وحتى تخوم "صور" جنوب فينيقيا.

## طفولة أمير فائق الموهبة والنبوغ

ربما يكون من الصعب أحيانا تفهم وإعادة تكوين تاريخ الأحداث، خاصة عندما تتراءى إثباتاتها الموغلة فى القدم مفعمة بعبارات التفاخر والتعاظم والأساطير. وغالبا

ما نجد، أن الكثيرين حتى يومنا هذا، يرون أن رمسيس يميل فى تعبيراته وكتاباته، إلى أسلوب المغالاة والزهو الفائق ثقيل الوطء . بل هناك من يجدونه مصابًا "بجنون العظمة"!!.. وعلينا إذن، لكى ننأى بعيدا عن هذا الرأى الصارم القاطع المفتقد للمرونة والتفهم، أن نضع فى اعتبارنا عاملين رئيسيين. العامل الأول: ضرورة الرجوع إلى الحقبة التى دارت بها الأحداث المعنية، ووضع طلاقة وذلاقة لسان سكان أرض مصر فى اعتبارنا. أما العامل الثانى: فهو سياسى خاصة، ويرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية رمسيس كإنسان، وأيضا، بحساباته وتطلعاته فى إطار برنامجه، الذى دأب على تحقيقه طوال حياته؛ ألا وهو: أن يعمل، قبل أى شىء آخر ، على تجسيد وفرض وجوده وشخصه فوق كافة المعايير .. باعتباره إنسانًا خارقًا للطبيعة، خلق لتحقيق الانتصارات والمفاخر.

وهكذا، سوف يتكشف لنا: أن هذا الفرعون، يبدو مسيطرا متسلطا، ولكنه؛ فى ذات الحين طيبا خيرا، يحظى بالإلهام الإلهى؛ فهو من صلب الإله وجسده. وقد يقال إنه يتسم بالتطلع الزائد والانتهازية البالغة، هذا الملك الأحمر الشعر، الذى لا يميل إليه حورس كثيرا، إنه ينبثق من كيان الإله "ست". ومع ذلك، فهو ابن الشمس فوق الأرض، محبوب آمون؛ جملة القول .. فرعون المعجزات!!

إذن، والحال هكذا، كيف يمكن إذن عدم التشدق والتفاخر عند التحدث عن طفولته فوق – الطبيعية باعتباره صبيا فائق النبوغ والموهبة .. استطاع، منذ نعومة أظفاره أن يساند أبيه الفرعون ويؤازره؟!!.. ومن هذا المنطلق الفكرى نفسه، حُرر هذا النص التكريسى المسهب الشهير، بأبيدوس .. والذى يتحتم علينا غالبا الرجوع إليه. إن رمسيس الثانى هو الذى أملاه بنفسه وأمر بنقشه عند مدخل المعبد الذى أسسه سيتى، فى النطاق الأوزيرى، بهذه المدينة المقدسة. يبدو واضحا، أن رمسيس وجد أمامه الفرصة مواتية تماما، فى إطار هذا الموقع الذى يرتاده أكبر عدد ممكن من المصريين الحجاج، لكى يبوح بمكنون قلبه وفكره للأجيال اللاحقة!

إذا نظرنا للنص المذكور بمعناه الحرفى المحدود، فقد نتصور، بكل سهولة أن هذا الطفل المعجزة، قد خرج لتوه من مهده الصغير، ليتلقفه أبوه مباشرة ويجلسه بجواره فوق العرش!!.. عموما علينا، أن نحسب حساب ما قرأناه بالنص .. ولا نبدى تشككا كاملا .. ولكن سوف نحاول أن نقلل من وهج وتأجج الغلواء والتباهى. وبذا، فعند قراءتنا لهذا المكتوب الفائق الأهمية، فيما يتعلق بتاريخ المشاركة فى الحكم(٥)، وبالنسبة لرمسيس نفسه، سوف يتكشف لنا ونتفهم، أن "سيتى" الأول قد أراد فعلا تأكيد وتدعيم أثر "أسرته" الوليدة هذه. وبالتالى، ارتقى إلى أرفع مدى فيما يتعلق بتنشئة وإعداد وأهمية الأمير الوريث. إذن، لاشك مطلقا أن ذاك الحدث قد وقع فعلا. ومع ذلك، فعلى ما يعتقد أن رمسيس كان وقتئذ، أكبر سنًا!

ربما أن النضوج المبكر الذى اتسم به ابنه، قد حث "سيتى الأول" على منحه، رسميا بعض المسئوليات: وهكذا، لن يستطيع أى فرد آخر النزاع فى حقه لارتقاء العرش. ولا يستبعد أبدا، أن "سيتى"، فى موقعه هذا، قد استلهم مما أغدقه "حور محب" على "با رعمسو": حيث أنعم على خليفته المختار هذا، لقب: "الأمير الوريث لعرش مصر قاطبة"!

## المشاركة فى الحكم

لابد من أن هذا الحدث قد تم إبان فترة السلام التى أعقبت إبرام اتفاقية السلام مع زعيم الحيثيين "مواتالى": ربما فيما بين العام السابع والثامن الحكم. وعلى ما يبدو، أن الأمير رمسيس، كان قد ناهز، وقتئذ، عامه الرابع عشر. فها هو إذن فرعون مصر، أمام جميع كبار رجال المملكة وممثلى الشعب المصرى المتجمعين كلهم بالفناء الفسيح المحيط بمعبد "بتاح" .. يعلن عن تنصيب ابنه ملكا بجواره وشريكا معه فى الحكم.

نرى أن رمسيس، فيما بعد، قد تناول هذا الحدث، بنوع من المبالغة والتفخيم اللفظى؛ الذى قد يثير شيئا من الشك. ونجده هنا يتفنن فى التعبير عن أحقيته

الشرعية، فيقول: "إننى منبثق من رع .. الإله الأعظم. ذلك الذى جعلنى أشب وأنمو، وكنت طفلا يافعا، حتى تبوأت العرش. لقد وهبنى هذا البلد، وكنت لم أزل فى البيضة. لقد خر كبار القوم ساجدين (يشمشمون الأرض) أمامى عندما بوئت مكانة الابن البكرى، أى الأمير الوريث فوق عرش جب. وعندما تجلى أبى على الملأ، كنت طفلا يافعا بين ذراعيه. وها هو يتوجنى ملكا، حتى أتأمل تألقه (نفرو - تلألأ) وأنا فى قيد الحياة بجانبه. عندئذ، اقترب منى الحجاب، لكى يضعوا التاج المزدوج فوق رأسى[٧]. وها هو يتحدث بصددى، وهو ما زال حيا فوق الأرض: دعوه ينظم ويعدل هذا البلد!.. امنحوه الفرصة لإدارته!.. اجعلوه يتجلى أمام الشعب.. هكذا كانت عباراته .. لأن حبه لى كان كامنا فى حناياه. ولقد أنعم على بسكن ملحق بالحريم الملكى؟، وكأنه قصر رائع فخم. وانتقى لى زوجاتى .. ومحظياتى ..".

## لماذا التبرير؟!

من خلال بعض الإلماحات غير القابلة للتصديق فى هذا النص: نلمس، بكل وضوح، إلحاح رمسيس لتصوير حدث تنصيبه، وكأنه إثبات وإقرار، منذ النشأة الأولى، باعتباره "الأمير الوريث للعرش". ويبدو لى ذلك على شىء من المغالاة؛ ربما لتراءى بعض الشك فى هذا الموضوع؟!

من المؤكد تماما أن تحرير هذا النص قد استلهم من ذاك المتعلق بتتويج حتشبسوت، القائم بالمعبد اليوبيلى الخاص بهذه الملكة، فى الدير البحرى. وهناك، ترى هذه الفرعون، فى أثناء قيام أبيها الفرعون، أمام كبار موظفى المملكة بإعلانها ملكا على مصر. ومع ذلك، نلاحظ هنا اختلافًا رئيسيا[٨]. فإن تحتمس الأول قد انتظر حتى تصير ابنته الصغيرة فتاة شابة متفتحة من أجل تتويجها؛ ولم تشترك معه فى الحكم خلال طفولتها اليافعة. ولكن، بالنسبة لرمسيس، فقد قدم لنا هنا باعتباره ظاهرة غير مسبوقة ولا مثيل له فى نبوغه المبكر. إنه يصر ويؤكد بأنه قد "حظى بمكانة الابن البكرى، والأمير الوريث فوق عرش جب": وكأنه يريد أن يبين حصوله

مسبقا على الامتيازات اللازمة لذلك. وأمام قائمة ضخمة بأسماء الفراعنة، "الأجداد"، فى "أبيدوس"، مثل "رمسيس" الأمير الصغير بصحبة أبيه، وهو يعبر لهم عن إجلاله وتعظيمه.

لقد استمر هذا الإصرار من جانب رمسيس لكى يبرر شرعية توليه الملك، حتى العام الثالث من حكمه. وها هو يقول على لسان حاشيته، بهذا النص المسجل فوق لوحة "كوبان": "وأنت مازلت فى داخل البيضة كنت تضع المشاريع بصفتك الأمير الوريث. وكنت تحاط علما بمشاكل القطرين وأنت طفل غض صغير، قد تدلت على جانب وجهك خصلة الشعر المعبرة عن الطفولة. وأصبحت قائدا للجيش، وأنت صبى فى العاشرة من عمره".

منذ وقت بعيد، قدم عالم المصريات الأمريكى الكبير بشيكاغو، "جيمس هنرى بريستد" نظرية فى هذا الصدد. لقد اعتمد، من خلالها على بعض النقوش البارزة فوق الحائط الخارجى لقاعة الأساطين بالكرنك. فبإمعان النظر بهاء تكشف له ما يلى: خلف "سيتى" تراءى شكل أمير صغير(٩)، كُحت وطرق لتحل مكانه صورة للأمير رمسيس!!.. ويرى العالم "بريستد"، أن هذا الإحلال، ربما كان هو الدليل على اغتيال رمسيس لأخيه الأكبر، حتى يستولى هو على العرش بدلا منه!!.. وفى رأيى أن هذه الفرضية تبدو واهية وغير مقنعة؛ خاصة إذا رجعنا للمشهد الجدارى بمعبد "سيتى" الجنازى بالقرنة؛ أى بالتحديد صورة مناسبة تتويج رمسيس بيد الإله آمون، بحضور "سيتى الأول" .. حيث يبدو التفاهم والتوافق كاملا بين الأب وابنه فى هذا الشأن.

ربما أن كافة التبريرات الآنفة الذكر كانت موجهة أصلا لأحد المشرئبين لاعتلاء العرش؛ الذى لا ينتمى أساسا إلى عائلة رمسيس. ولا يعدو أن يكون سوى حفيد مغمور لأواخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة .. عموما، ومهما كان الأمر، فإن تطريق وكحت صورة هذا الأمير مجهول الشأن، بعد أن نقشت بالفعل فوق جدران الكرنك .. يبين قطعا عن الانتصار والفوز النهائى لعائلة الرعامسة(١٠).

عموما، علينا أن نقر، بأن الأمير الصغير رمسيس، قد توج بالتاجين ولقب بأسماء تتويجه، خلال تلك المناسبة المشار إليها آنفا. فمن العرف السائد، بداية من هذه الحقبة: عندما تشير النصوص إلى الأمير المشارك فى الحكم، يتحتم حصوله على اسم تتويجه مثله كمثل أى فرعون فى هذه المناسبة. وربما تعد هذه الكتابات التى سجلها فى سيناء، بداخل مناجم الفيروز، المدعو "أشو حب سد"، أحد حجاب الملك سيتى الأول، كمثال رائع لذلك: "متعت بالمديح والثناء أيا فرعون، الثرى بالفرق العسكرية والعربات الحربية، "مين ماعت رع" سيتى الأول وابنه الملكى "أوسر ماعت رع[11]" (كم هو فائق القوة النظام الكونى الذى يسيطر عليه رع)، المفضل لدى حتحور .. رمسيس الثانى[12]".

## عالم الأمير الشريك فى الحكم

يتبين أن القصر الخاص بالشريك فى الحكم قد شيد فى مدينة منف. وسرعان ما أحاط عدد كبير من السيدات النبيلات الجميلات المتزينات بالحلى الأنيقة الفاخرة بزوجتى الفرعون المعظمتين. ولا ريب أن كلا من "سيتى" و"توى" هما اللذين قاما باختيار هؤلاء السيدات رفيعات الشأن؛ وقد عاونهما فى ذلك، بطبيعة الحال، "المشرف العام على الحريم الملكى"، "حور مين[13]".

لم تصل إلى علمنا أية معلومات تساعدنا على معرفة منبت وأصل هاتين الملكتين ساميتى المنزلة. وحتى يومنا هذا، لم تشر أية وثيقة أو كتابات عن أسماء ذويهما وأقربائهما. بل لم يومئ أى نص إلى صفاتيهما وكنيتيهما. وكل ما نعرفه أن إحداهما تدعى "نفرتارى"، والثانية: "إيزيس نفرت".. أى اسمان مصريان فعلا. الأولى، استحوذ جمالها وسحرها على قلب رمسيس الثانى ووجدانه، فراح يغنى ويشدو بحبه لها وهيامه بها. ولكنها على ما يبدو، لم تتمتع بصحة وحيوية وافرة. وقد احتلت نفرتارى مكانة رفيعة عالية بجوار مليكها. ولكن، على ما يعتقد، أنها سرعان ما توفيت

فيما بين عامى (٢٤-٢٥) من الحكم. أما الزوجة الثانية، "إيزيس نفرت"، فقد امتد بها العمر حتى ما بعد السنة الأربعين من عهد الفرعون.

سرعان ما أنجبت كل من الزوجتين الملكيتين لرمسيس أول أبناءهما. فها هى نفرتارى قد وضعت ابنا، أطلق عليه اسم "آمون حر ونم إف" (= آمون قائم على يمينه). أما إيزيس نفرت، فقد أنجبت وليدة صغيرة، سميت: "بنت عنات" (أى: ابنة الربة عنات). ترى، لماذا، وضعت إيزيس نفرت طفلتها الصغيرة تحت حماية ورعاية إلهة آسيوية؟!.. هل تراها هى شخصيا إحدى أميرات سوريا؛ تمت تربيتها وتنشئتها بالحريم الملكى؟! .. عموما، ليس فى حوزتنا حاليا أية إثباتات للإجابة على هذا السؤال. ولكن، علينا أن نلاحظ إلى أى مدى تغلغلت عبادة الآلهة الآسيوية فى إطار العادات والتقاليد المصرية. هذا، بالإضافة إلى الحملات العسكرية المتعددة التى شنتها مصر فى بلاد "كنعان" و"عمورو" وخلاف ذلك، فإن أعدادا كبيرة من الأجانب قد وفدوا إلى مصر واستقروا بها منذ عدة أجيال. بل ومارسوا فيها العديد من المهن والحرف والصناعات. فمن المؤكد أن أبناء وادى النيل هؤلاء، الشديدو التعلق والوفاء لوطنهم هذا، وإخلاصهم الكبير له، لم يكونوا كارهين للأجانب. كما نرى أن "رمسيس" فى فترة صباه، ثم على مدى مرحلة بلوغه قد أحيط بعدد من كبار الموظفين المصريين الأصل؛ أضيفت إليهم أيضا شخصيات أخرى من عناصر أجنبية.

قطعًا، إن "باسر[١٤]"، ابن الكاهن الأكبر "نب نترو"، الأصغر سنا ضمن حجاب "سيتى"، وأنعم عليه بلقب "المؤتمن على أسرار الربتين"، أى حارس التاجين الملكيين، قد عاصر فعلا مناسبة تنصيب الأمير الشاب، رمسيس. وربما أنه، قام بنفسه، بوضع البسشنت فوق رأس الوريث الملكى. وعلى مقربة من رمسيس، كان هناك أيضا "آمون إم إيبت[١٥]" صديق الطفولة. وعلى عكس هؤلاء المذكورين آنفا، نجد أن "عشا حب سد"؛ الذى سجل عبارات التمجيد والمديح لمليكه، فوق صخور جبل "سيناء"، لم يكن مصرى المنبت. ومع ذلك، فقد حظى بمنصب رفيع القدر، هو: "مبعوث الملك بكافة البلاد الأجنبية". أما عن القائد العسكرى الأعلى "أورحيا"؛ وأصله من شمال سوريا،

فقد سمى ابنه بهذا الاسم الكنعاني: "يويا". ومن أقدم القائمين بخدمة الفرعون عهدا: "رئيس الرسامين بمعبد الكرنك"؛ واسمه: "ديديا". وكان جده الأكبر "بيدو بعل" قد وفد من "كنعان" إلى مصر، منذ أجيال بعيدة(١٦).

## أوجه نشاط الشريك فى الحكم

إبان العام الثامن من الحكم، سارع رمسيس المشارك فى العرش، بفحص ودراسة الرسائل التى كان يتلقاها أباه من "آمون إم إيبت"، "نائب الملك فى النوبة". وكان الأمر يتعلق ببوادر حركة تمرد وعصيان فى بلاد "كوش" (السودان حاليا)؛ بأراضى "إيرم"، غرب الشلال الثالث. ولذا، فخلال شتاء عام ١٢٨٧ قبل الميلاد، أعد سيتى هذا التخطيط الإستراتيجي؛ الذى أتاح لإحدى فرق العربات الحربية المصاحبة لكتائب المشاة، قمع وسحق المتمردين، فيما لا يقل عن سبعة أيام!!.. وفى نهاية الأمر، ووفقا للأوامر العليا الصادرة من طيبة، شوهد رمسيس، وهو يتابع من موقعه فى هذه المدينة، جحافل أسرى الحرب، الذين تراوحت أعدادهم إلى ما يقرب من ألف أسير، ومعهم غنائم هائلة من المنتجات الأفريقية. وربما أن عمليات الردع هذه، لم تكن واسعة المدى بالقدر الكافى؛ لكى يتمرس الأمير الشاب الشريك فى الحكم لمجابهة المعارك الحربية التى نشبت فيما بعد بالسنوات اللاحقة .. ضد أعداء ألداء يتسمون بالعنف والضراوة، ويحظون بتنظيم عسكرى فائق التكامل.

على مدى العام التاسع من عهده، اهتم الفرعون "سيتى" اهتماما خاصا فائقا بمراقبة أعمال بناء معبده فى أبيدوس. ولكى ييسر ويسهل عمليات الحصول على الذهب اللازم لإعداد هذا النصب الضخم، عمل على تحسين ودعم الظروف التى يعيشها عمال المناجم الملحقين بحملاته الصحراوية: النجاح فى حفر بئر عميق، بالصحراء، فيما بين "إدفو"، والبحر الأحمر، بمنطقة وديان "مياه" و"عباد". وبالتالى، أتيحت الفرصة لإعداد (المعبد الكهف) "سبيوس" "الرديسية" القائم تحت صخور الجبل.

وهكذا، أوكل "سيتي"، إلى ابنه رمسيس مسئولية الإشراف على برنامجه المعماري المترامي المدى. فهناك، على سبيل المثال، مهمة تشييد قصر بر- رمسيس، بشرق الدلتا، وسلسلة المعابد التي أراد إقامتها بكافة أنحاء مصر؛ وكذلك عدد من النصب والمنشآت في "طيبة". وكانت ترى، على الضفة اليمنى، بالكرنك، في نطاق الأملاك الملكية المترامية الأبعاد، المكرسة للإله آمون: أعمال بناء قاعة الأساطين الكبرى. أما بالضفة اليسرى، فقد أخذ يتجسد ويعلو شامخا معبده الخاص بملايين السنين في "القرنة": حيث خصص، غربا مكانا لذكرى ومراسم رمسيس الأول. ولعلنا لا ننسى، في هذا المجال أن حفيد هذا الأخير، تواطؤا مع أبيه (سيتي)، قد عمل على زخرفة جدران هذا المكان بمشاهد تمثل تتويجه الشخصي أمام الإله آمون!!

بمعاونة "باسر"، الذي كان قد أنعم عليه حديثا بمنصب "وزير الجنوب"، ركز رمسيس اهتماما خاصا على القبو - الصخري الهائل الضخامة الذي كان يجهز من أجل "سيتي الأول". وقد تم إكمال الأعمال المعمارية جميعها بقدر من المواد اللازمة لزخرفتها وتجميلها. كما شمل هذا الاهتمام أيضا محاجر الجرانيت بأسوان، من أجل صناعة التماثيل والمسلات؛ ونقلها عبر نهر النيل. وركز "رمسيس" الإشراف، والمراقبة كذلك لكميات الذهب المصنع الوارد إلى مصر، لكي يقوم الفنانون بصياغة تمثال من هذا المعدن النفيس لأبيه الفرعون.

بكل تأكيد، أن كل هذا التفقد والتفحص، الذي تم في الفترة الواقعة ما بين العام التاسع والعاشر من الحكم (كان قد ناهز، تقريبا عامه الثامن عشر)، أتاحت للأمير - الشريك في العرش فرصة الاقتراب من طائفة الحرفيين في طيبة. إنهم على درجة كفاءة وبراعة فائقة. وهكذا تمكن سموه من تبين مدى إبداع أعمالهم. ولعلنا نلاحظ أن أعمال وإبداعات هؤلاء الحرفيين - الفنانين قد بقيت دائما وأبدا مفتقدة لأسماء مبدعيها هؤلاء. ومع ذلك، نرى أن مشرق عصر الرعامسة، قد تخلى إلى حد ما عن ذاك العرف السائد. فها هي بضعة أسماء لفنانين أخذت تتراءى من طيات النسيان وغياهب المجهول: وقد كشفت عنها أساسا، تلك التنقيبات التي اكتشفت "قرية

الحرفيين" العاملين فى بناء المقابر الملكية بطيبة: إنها "ست ماعت"، أى المعروفة حاليا باسم "دير المدينة[١٧]". واستمر الأمير رمسيس فى مصاحبة "باسر"؛ الذى كان قد كلف، ضمن الكثير غيره، بمهمة الإشراف على إعداد الأثاث الفاخر لمعبد الكرنك، والكنوز الملكية الجنازية. وكان مسئولاً أيضا عن المقبرة الملكية، وبالتالى، عن "طائفة الحرفيين" والفنانين القائمين بإعدادها. وهكذا، وجد "رمسيس أوسر ماعت رع" الفرصة مواتية، لكى يشاهد "سن نجم" فى أثناء ممارسته لعمله؛ وكذلك، "رئيس الحرفيين" البارع الشاب، المدعو: "نفر حتب".

## وادى الملوك

تحت إدارة وإشراف "سن نجم"، أخذ الحرفيون يعملون فى بناء مقبرتى كل من "سيتى الأول" و"توى". ويتبين أن التصميمات والخرائط، التى عرضت على الفرعون، فى هذا المجال، كانت تختلف اختلافا كليا عن تلك المتعلقة بمقابر الأسرة الملكية عند بدايتها. فبالنسبة لسيتى، بدت مقبرته على هيئة قبو - كهفى، لا يقل مداه عن مائة متر طولا[١٨]: يمتد، ويتعمق بداخل الصخور الجيرية الجبلية فى منطقة "وادى الملوك". أما عن "الزخارف"، فهى أساسا تتعلق بالملوك دون سواهم من البشر: مضمون الكتب الجنازية، المبينة عن مختلف مراحل الشمس التى تعمل على إنعاش وتجديد حيوية الملك المتوفى خلال ساعات الليل. وفى ذات الحين، نرى الطرقات والدروب الغامضة المبهمة المكتظة بمختلف الأرباب، التى تؤدى، من خلال تعرجاتها وانحناءاتها، إلى البعث الجديد. وها هو الثعبان العملاق "ميحن" فائق الاستطالة المتموج الجسد يتأهب للظهور: لقد تحددت ثنياته بواسطة تنقلات قرص الشمس المتوهج المتأجج. وفى ذات الحين، كان يدور حوار دائم بين الفرعون والأرباب القائمين فى هذا المكان السفلى. وفوق جدران الممر المتعمق طولا، أزمع نقش كافة مراحل المراسم المتعلقة "بفتح عينى وفم" المومياء.

أخذ رمسيس يتفحص المشاهد المصورة فوق أوراق البردى التى عرضها عليه "رئيس الرسامين"؛ لكى يتم نقلها فوق الجدران. وكان القلاعون، فى أغلب الأحيان، يؤدون عملهم بواسطة أدوات مصنوعة من حجر الظران؛ وقطعا، كانت الضرورة تقتضى يوميا، شحذها. وهاهم الآن، هؤلاء العاملون قد أتموا حفر الممر والحجرات. وهنا، أصبح المجال متاحا أمام "الكاجا[١٩]" المكلف بتغطية الجدران بطبقة من الجص الرقيق الناعم. لقد تملك رمسيس العجب والدهشة، عند ملاحظته عدم رؤية أية آثار للرماد الناتج من الشعلات اللازمة لإنارة مكان العمل. وهنا، سارع الرسامان "باشد" و"باكى" بالإيماء له عن كمية الملح الذى يضعونه حول النيران لمنع تصاعد أية أدخنة. وفوق طبقة الجص الناعمة الملساء، كان على الكاتب المختص برسم الأشكال[٢٠]، أن يستهل رسم الخطوط الأولية. عندئذ، فإن النحات (أى: "حامل المقص")، سوف يتبعه فورا للبدء فى عمله: حيث يجسم ويبلور "الزخارف" والنصوص بشكل بارز واضح الرقة والدقة. بعد ذلك، يضفى عليها لمسات من التألق.

ها هى ثلاثة مشاهد، تبدو فكرتها ذات سمات أولية واضحة، قد لفتت، بوجه خاص أنظار رمسيس: بداية، بقرة هائلة الضخامة منتصبة على قوائمها الأربعة. وتحت بطنها، بدت بعض المراكب سارية فى عبورها؛ وأسفلها بعض الأفراد فى وضع السير. هنا، قام "نب نترو"، والد صديقه "باسر"، وكان، فى العام الحادى عشر قد أنعم عليه بلقب "كبير كهنة آمون"، بشرح ما يراه الملك قائلا: إن الأمر يتعلق هنا بصور من "كتاب بقرة السماء"؛ ومن خلال نصه، يحكى أن البقرة كادت أن تهلك وتفنى، بسبب نقص ورعها وتدينها .. ولكنها، فى نهاية الأمر أنقذت بفضل الغفران والتسامح الإلهى.

ثم ها هى صورة أخرى تمثل أربعة أشخاص، متباينى الأجناس، وتختلف ملابسهم عن بعضهم بعضا. إنهم يمثلون مشهدا لأربعة أعراق مختلفة؛ ضمنها: المصريون. ولاريب أن أولى مظاهر التعبير عن هذا الاتجاه الفنى الإنسانى قد تبدى واضحا جليا: فوق جدران مقبرة "رعموزا"، فى طيبة، فى حقبة الملكية المشتركة فيما

بين أمنحتب الثالث، وأمنحتب الرابع (أخناتون). ومن خلالها، نرى المصرى، والأفريقى، والآسيوى، والليبى، متجاورين بجانب بعضهم بعضا؛ ويوجهون تبجيلهم وتوقيرهم للملك الشاب رمسيس(٢٢).. ومن المؤكد أن رمسيس كان على يقين، أن هذا الاتجاه الفنى المبتكر المستحدث، كان ضمن العديد من التيارات الفنية الأخرى التى أطلقها ورعاها "ملك التوحيد".. أو بالأحرى، هذا الذى يعمل كهنة آمون، بأقصى جهدهم، على إلقائه فى غياهب النسيان .. ها هو رمسيس، فى قرارة نفسه، ودون أن يعبر عن ذلك مطلقا، قد سحر وفتن بتلك "المغامرة العمارنية" .. ولذلك، أصر على دمج هذا المشهد خاصة .. بالديكور العام!!

وأخيرا، ها هو المشهد الثالث الذى أثار إعجاب وانبهار الأمير الشاب الشريك فى الحكم: تصوير توالى الزمن محددا بواسطة النجوم والكواكب الممثلة تحت جسد الإلهة "نوت" المدد، إنها، بالتحديد، القبة السماوية وقد جسدت فى هيئة امرأة .. هاهو، بلا شك تكوين فائق الأبعاد، هذا السقف الفلكى التمثيل، سوف يعتلى "الحجرة الذهبية"، أو بالأحرى، تلك التى ستستقبل مومياء الفرعون، محاطا بكل زينة ونقوش وفخامة العناصر المتعلقة بخلوده وأبديته. ولقد تقرر الانتهاء تماما من مقبرة "سيتى" فى خلال السنوات الثلاث التالية(٢٣).

## وادى الملكات

تقدم رمسيس ناحية الجنوب، لزيارة "ست نفرو" (وادى الملكات)، حيث دفنت "أول زوجة ملكية معظمة" بالأسرة. ولزم الأمر قيامه بالإشراف على بداية حفر المقبرة التى ستخصص لأمه؛ والتى كان يكن لها كل التوقير والتبجيل "توى". وكان قد استقر رأيه مسبقا على اختيار موقع مقبرتها هذه فى أواخر المسطح الصخرى الذى يبدو وكأنه يتلاشى متجها صوب "الكهف المقدس"، الذى يشرف على الوادى كاملا.

اتسم تخطيط المقبرة بخطوطه الهندسية فائقة التناغم والتناسق. وبدا في هيئة مستويين، يؤدى كل منهما، بواسطة سلمين متواليين، إلى قاعتين سفليتين رئيسيتين. ويبدو أن الأخيرة، وهى فائقة الاتساع، ومدعمة بأربعة أعمدة مثبتة بالصخور، هى التى سوف تستقبل جثمان الملكة. أما عن فكرة "الزخارف" الدينية، الفائقة التنوع، وكذلك النصوص، فقد اقتطفت من "كتاب الموتى". وكان رمسيس على يقين بأن أمه تكن إعزازا بالغا للملكة الجميلة فائقة الرقة والتألق "نفرتارى"، زوجته وأم أول أبنائه المدعو "آمون حر ونم إف". وبذا، انتهز فرصة وجوده وتفقده لهذا الموقع: فحدد، بجوار مقبرة أمه، المكان الخاص بحبيبة قلبه وفؤاده .. نفرتارى.

ها هو الأمير المتوج على عرش مصر، بعد فترة غياب مديدة بالجنوب، قد عاد أخيرا إلى منف: حيث وجد عائلته فى قمة ازدهارها. وإيزيس نفرت، بالإضافة إلى ابنتهما "بنت عنات"، وطفلهما الوليد رمسيس، قد وضعت مولودا جديدا، بادى الصحة والعافية. وتيمنًا برحلته الحديثة إلى "طيبة"، وربما تباركا أيضا باسم أحد أعمامه الأوائل[٢٤]، سمى مولودهما "خع إم واست"، ويعنى: "الذى يتجلى فى طيبة". وبدت إحدى بناته التى كانت نفرتارى قد وضعتها حديثا، وتدعى "مريت آمون"، وهى ما زالت طفلة رضيعة، وقد اكتسبت جمال ورقة وسحر أمها. فى هذا الحين، كان رمسيس قد ناهز العشرين من عمره. وبدا واضحا شدة تأثره بما شاهده خلال فترة إقامته بمصر العليا: بصحبة صديقه "باسر"، وكبار مصممى المعابد الفخمة الهائلة المدى؛ وأكثر الفنانين براعة وكفاءة فى مدينة طيبة. أما عن "سيتى الأول" فكان يداوم على تكملة برنامجه المزمع: أضاف إليه المشروع الخاص بأكبر قاعة أساطين شهدتها مصر قاطبة. بل بالإضافة لذلك، وخلال العام الحادى عشر من عهده، أصدر أوامره بأن تشيد واحدة أخرى فى نطاق معبد "جبل برقل"، الخاص "بآمون نباتا" (كوش – السودان[٢٥]).

قطعًا، لم ينس رمسيس أبدا منطقة "مياه رع"؛ أى الفرع الشرقى للنيل، فى الدلتا، على مقربة من البحيرة التى طارد "أحمس" الهكسوس عندها فى الماضى

البعيد. وهناك، عمل "سيتى" على توسيع وتطوير القصر الصغير الخاص بأبيه. وسارع رمسيس إلى معاونة ومساندة أبيه من أجل إضفاء الفخامة والروعة على هذا السكن الملكى. وكانت مدينة منف تضم فى جنباتها، أكثر حرفيّ صناعة "القيشانى" مهارة وكفاءة. كما تقع فى أنحائها أكثر الورش الفنية شهرة واقتدارا: حيث أمر الشريكان فى العرش بإعداد قطع القرميد والبلاطات المصقولة بألوان مختلفة ومتباينة؛ ولكن، مع كثرة وزيادة استعمال اللون الأزرق الفيروزى(٢٦). ومنها، صنعت إطارات أبواب ونوافذ ذاك القصر المشار إليه. وبواسطة عناصر ومواد أخرى مشابهة، تم تبليط أرضية السرادق الملكى، حيث كان "جلالة" الفرعون يعقد اجتماعاته. كما ألحق هذا المكان بمطالع لدخوله، اصطفت على جانبيها بعض التماثيل - المجموعة الواقية المحصنة، المصنوعة من نفس المواد البراقة المتلألئة.

## الشريك فى العرش محاربا

وقتئذ، بدا واضحا أن السلام الذى أبرم فى الماضى بين مصر وممتلكاتها الخارجية، الخاضعة لها، قد أصبح هشا واهيا. فهذا ما بينته بالفعل تقارير مبعوثى الفرعون: كانت هناك دلائل على احتمال وقوع بعض الاضطرابات والقلاقل الطفيفة المقبلة؛ سواء بالجنوب، أو الشرق .. إذن، كان الأمر يحتم الإسراع فى إخمادها وسحقها. وسرعان ما أوكل "سيتى" إلى ابنه، الذى كان قد بلغ وقتئذ الثانية والعشرين من عمره، مهمة قيادة حملة وقائية صغيرة إلى "كنعان"؛ وبالأراضى التى يرتادها عشائر البدو "الشاسو". وبالتأكيد، أنه كلفه أيضا، فى حوالى العام الثالث عشر والرابع عشر من الحكم، بمسئولية الإنابة عنه رسميا لاستقبال الجزى والضرائب الآتية من بلاد "واوات"؛ و"كوش" بوجه خاص (النوبة السفلى والعليا).

ازداد الدور الذى يؤديه الشريك الشاب فى أهميته بشكل فائق؛ لدرجة أنه قد حظى بالسماح له الإشارة إلى ذكرى تنصيبه ملكا فوق جدران "المعبد - الكهف

نصف الصخرى" الذى حفر بالجرف الغربى، على بعد ستين كيلو متراً جنوب أسوان؛ ويعرف حاليا باسم: "بيت الوالى[٢٧]". فها هو رمسيس ممثل فوق الجدران باعتباره فرعون كامل الأهليات. وكذلك بالفناء الفسيح المكشوف، زخرف الجدار الشمالى بنقوش بارزة تستوعب المعارك التى شنها هذا الملك المحارب على الآسيويين والليبيين. ثم يرى أيضا فى أوج عنفوانه وشبابه معتليا عربته الحربية، ويهم بالقضاء على أحد الأعداء .. الذى أصابه الرعب والهلع مسبقا، وهو يرى الأسد الكاسر المصاحب للفرعون .. يثب للانقضاض عليه!! وبمكان قصى من المشهد نفسه، ترى إحدى القلاع الآسيوية خلال مهاجمتها ودكها.

ونرى أيضا مشهدا أكثر ثراء فى تفاصيله الفائقة الواقعية: إنه السجل المستطيل، من خلال نقوشه البارزة، التى كانت ملونة فى الماضى البعيد. وهو يصور، بداية من يسار إلى يمين الجدار الجنوبى، أحداث المعركة التى خاضها الملك الشاب فى النوبة العليا. أولاً، يطالعنا منظر مهاجمة إحدى القبائل الأفريقية السمات: ومطاردة قوات فرعون مصر لها بقيادة "رمسيس" واقفا، مقاتلا فوق عربته الحربية. وللمرة الأولى، يلاحظ أنه قد اصطحب معه اثنين من أبنائه. أولهما، الأكبر سنا، هو "آمون حر ونم إف"، ابنه من نفرتارى، وكان قد ناهز العام الخامس من عمره؛ أما الآخر، "خع إم واست"، فهو يصغره بعام واحد. وقد وقف كل من هذين الصبيين اليافعين فوق عربته الخاصة، بصحبة قائد العربة وحامل السلاح. ويبدو واضحا أن هجمات الجيش المصرى قد تسببت فى تشتت وتفكك جحافل الأعداء المتمردين، كلية. فها هو أحد جرحاهم محمولا على الأكتاف؛ والرجال والصبيان يفرون مسرعين إلى قراهم: حيث تقوم النساء بإعداد الطعام خارج بيوتهن!

كما تقدم لنا المشاهد أيضا، مناظرا لمواكب لا نهائية لتقديم الضرائب والجزى، وقد حملها أو ساقها أمامهم مبعوثو البلاد الخاضعة والتابعة لمصر: هاهى بعض الحيوانات الأفريقية؛ سباع، وزراف، وفهود ونمور، وغزلان، وقردة طويلة الذيل .. بالإضافة إلى كميات هائلة من المنتجات المبهجة المزينة لحياة المصريين: أنياب الفيلة،

ريش النعام، خشب الأبنوس، أثاث مصنع محليا وفقا للطراز المصرى البحت، جلود وفراء الحيوانات، توابل، وكافة أنواع الأحجار شبه الكريمة، وأخيرا كميات من مسحوق الذهب، وأعداد من الحلقات الذهبية الضخمة؛ بالإضافة أيضا إلى "قطع مجوهرات جاهزة" للزينة. ونجد أن الأميرين الصبيين ابنى رمسيس هما اللذين يتقدمان موكب الكنوز والثروات. وكان يصاحبهما "نائب الملك فى النوبة"، "آمون إم إيبت" الطاعن فى السن؛ ويصوره المشهد وقد خر راكعا أمام رمسيس: الجالس فى عظمة وشموخ فوق عرشه. وكذلك "الوزير باسر"، كان يصاحب ابنى رمسيس الصغيرين بمقدمة هذا العرض.

ترى، هل وقعت بالفعل هذه المعركة ببلاد النوبة، فى ذاك الحين؟!!.. أم أن المشهد المشار إليه برمته، لا يعدو أن يكون سوى مجرد إيماء وتذكرة للحملة التأديبية، التى توجهت، فى العام الثامن، إلى بلاد "إيرم" (كوش)؟!.. من الواضح أن السمة السودانية البادية تماما على ملامح وقسمات الأهالى المولين الأدبار تحدو بنا إلى الاقتناع بهذه النظرية!

ففى العام الثامن من الحكم، كان الشاب رمسيس قد تزوج لتوه، أى أنه لم ينجب بعد أى أطفال.. ولكن، ربما، أنه فى لحظة تكوين تلك المشاهد المشار إليها، قد خلط ما بين هاتين الفترتين: تلك المتعلقة بالعام الثامن حيث اندلعت الأحداث العسكرية آنفة الذكر، وتلك الواقعة ما بين العام الثالث عشر والرابع عشر: حيث كان الأخيران قد ناهزا، على التوالى، العام الخامس ثم الرابع!!.. وكذلك يبدو الأمر بالنسبة للوقائع المجسمة فوق الحائط الشمالى .. إنها، بلا ريب، مجرد إيماء إلى الحملات الآسيوية والليبية التى كان قد شارك أبيه فى خوضها وهو ما زال صبيا غضا!!

## ارتقاء قمة السلطة

ها هنا إذن الدرس التاريخى الذى قدمه لنا أول المعابد الرئيسية السبعة الذى نقش على جدرانه منشور أو بيان عام لتوليه الوشيك للسلطة؛ وأيضا إيذانا بأفول نجم

"سيتى الأول"، وقد تهاوت صحته واضمحلت بشكل واضح: فنحن إذا توغلنا بأعمق أعماق "المعبد – الكهف" المذكور آنفا، المحفور أساسا فى صخور الحجر الرملى الجبلية، سوف يتراءى لنا رمسيس ممثلا، واقفا، منفردا، وهو يعبر عن ورعه وإجلاله لبعض الآلهة الماثلة أمامه. ثم نراه، بعد ذلك، يقدم القرابين الملكية السامية المجسمة فى هيئة "ماعت"، رمز التوازن والديناميكية أو القوى الطبيعية المحركة فى كافة المجالات: إنها بمثابة الشغل الشاغل دائما لأى فرعون .. وعليه السهر على تواجدها وفعاليتها دائما وأبدا.

وحتى لا يجهل أحد مطلقا منبته الإلهى، مثل رمسيس نفسه، لمرتين متتاليتين، بداخل "قدس الأقداس"، فى صورة "طفل – ملك"؛ ولكنه، فى ذات الحين، بدا متوجا رأسه "بالخبرش" الملكى؛ وفى نفس الحين، يرضع، على التوالى، من ثدى "إيزيس"، ثم "عنقت" الربة الكاسرة الرهيبة المسيطرة على منطقة الشلالات. إذن، والحال هكذا، ووراءه مثل هذه الخلفية الإلهية، وبعد قيامه بكل تلك الانتصارات والمفاخر .. هل يجرؤ أحد على القول بأنه غير جدير بتاجى مصر؟!!

إبان العام الخامس عشر من حكمه، غادر "سيتى الأول" هذه الحياة الدنيا. لقد توفى هذا الفرعون فجأة، وبدون مقدمات، وكان قد أشرف على عامه الخمسين. والجدير بالذكر، أن رمسيس كان قد أكمل الخامسة والعشرين من عمره، فى حوالى أواخر الشهر الثالث من فصل "الشمو" (فصل الصيف قائظ الحرارة).

## الفصل الخامس

# مراسم التنصيب

### • رمسيس • فرعونا

"سيتى – مين ماعت رع"، خليفة "القائد الأعلى"، "المشرف الأول على عربات الملك" المدعو "با – رعمسو"، الذى بوأه "حور محب" وريثا لعرش مصر ولقب باسم رمسيس الأول، ها هو قد توفى: فيما بين العام الرابع عشر والخامس عشر من الحكم. والآن، يستدعى الأمر أن يقوم ابنه وشريكه فى الحكم، رمسيس الجديد، بتثبيت وتدعيم مكانته كوريث جديد بالانتساب إلى عائلة من القادة البواسل الشجعان: تمرسوا على ضراوة القتال والنظام الملكى الصارم. إنه يواجه الآن المرحلة الأخيرة من أجل استحواذه الكامل على العرش، بعد أن شغل وظيفة "الشريك" فى الحكم منذ نعومة أظفاره. عليه إذن، أن يخوض تحديات وصعوبات مراسم التنصيب؛ ويُلم بخبايا وأسرار المهمة الملكية العليا.

فى عشية وفاة أبيه، أى اليوم السابع والعشرين من ثالث أشهر الصيف "الشمو"، من مشرق الفجر، سرعان ما أعلن تنصيبه على عرش مصر. والآن، فإن الضرورة تستدعى الانتظار مالا يقل عن سبعين يوم على الاحتفال الفخم المهيب الذى سيقام فى "المرج الفسيح" (أى "وادى الملوك"). وعندئذ، سوف يتم دفن الملك المتوفى، تحديدا، فى بداية الشهر الثانى من فصل "الفيضان": منتصف شهر أغسطس وفقا لعصرنا الحالى(١).

## حان الوقت لشحذ وصهر شخصيته

كل شيء أصبح معدا الآن، في منف وهليوبوليس، من أجل "رمسيس" الذى سبق تتويجه ملكا من قبل. وحاليا، فهو يستعد لممارسة تجربة الإعداد والتلقين العقائدى فائقة الفاعلية، بالغة الأثر: وهنا سوف يصبح، بكل معنى الكلمة السيد المطلق والحائز الفعلى للتاج المزدوج. ولكن، ومهما كان الأمر، فإن الفرعون، باعتباره بشرا، فهو يتعرض لتقلبات وتحولات الزمن في هذه الحياة الدنيا: أى أن حياته محدودة. ومع ذلك، فهو يحظى بطبيعة مزدوجة: إنه: ينعم بالتألق والإشعاع الإلهى، والكونى على حد سواء. والجدير بالملاحظة أن مراسم التتويج (أى: الـ "خع" وتعنى بزوغ الشمس)، هى التي تحدد البداية الحقيقية لسنوات حكمه

خلال الليلة السابقة لعودة ظهور القمر، وفجر يوم التتويج، أخذ رمسيس يتفكر فيما ينتظره من مصير. قطعا، هو ابن فرعون عظيم. ولكنه كان يشعر أن الأمر يقتضى ما يلى: فور انتهاء المراسم والاحتفالات، عليه أن يكرس نصا مسهبا مطولا (مائة وستة عشر سطرا!..)، لكى يبين من خلاله، بكل التفخيم والتعظيم، حقه الذى لاجدال فيه مطلقا لتولى عرش حورس.

ترى، هل عساه كان يريد أن يقنع ويوارى بعض الأحوال المبهمة التى طرأت، حينما كان أبوه قد أنعم عليه بلقب الشريك فى الحكم[٢]؟!!.. أو ربما كان يهدف أساسا، لأن يخفى فى طى النسيان المنبت العسكرى الذى انحدرت منه عائلته؛ وهى أصلا من منطقة متاخمة للحدود، لا تتميز بنقاء العرق؟!.. ثم هناك أيضا أمر غير مؤكد تماما، أو بالأحرى حداثة وفرادة أصله: فها هما اثنان من أجداده المباشرين قد تسموا باسم "سيتى": الذى لم تتضمنه أبدا قائمة الأسماء الملكية المصرية منذ بداية العصر الفرعونى. إن هذا الاسم العلم يشتق أساسا من ذاك الخاص بالإله "ست". وقد استعين به، على ما يبدو، للمرة الأولى فقط، على مدى تاريخ مصر كله[٣]، بداية من عهد أمنحتب الثالث[٤]، ثم فى أوائل عصر العمارنة .. بالإضافة لذلك، فإن احمرار

شعر رمسيس، قد وضعه حتما فى فئة الأشخاص المنتمين إلى الإله "ست". وفضلا عن هذا، يتبين أن بعض أسلافه وأجداده، وهم من كبار موظفى المملكة، كانوا على علاقات وثيقة بالمحيط المقرب من ملك التحديث والانقلاب الدينى بالعمارنة: "أخناتون"!!.. ولعل الكثيرون حول "رمسيس"، كانوا يتذكرون جيدا أن عمه الأول، "خع إم واست[٥]" كان متزوجا من السيدة "تا إم واج سى" رئيسة "الحريم" وشقيقة "نائب الملك فى النوبة" المدعو: "حوى" .. صديق طفولة أخناتون[٦]!!.

ولعلنا نعلم، أنه بنهاية عهد حور محب، لم يبد ملوك مصر الجدد كراهية أو بغضاء فعلية ضد عصر العمارنة. ولقد علمنا، بالفعل، أن رمسيس خلال فترة شراكته فى العرش، قد أمر، سرا، فيما يتعلق بزخرفة جدران "المعبد - الكهف" نصف الصخرى فى منطقة "بيت الوالى"، باتباع أسلوب "النقوش الغائرة" .. وهو من استحداثات فنانى العمارنة الشهيرة. فهم يرون، أن هذا النمط الفنى يضفى على الأشكال المنحوتة على الجدران نوعا من التلاعب الشمسى بالظلال والأضواء؛ وقطعًا، يجعل ذلك المشاهد المصورة[٧] أكثر حيوية وواقعية.

## رمسيس .. فرعونًا

وجد رمسيس أن الضرورة تحتم عليه عندئذ أن يتوخى الحذر الشديد؛ خاصة فيما يتعلق بنفوذ وسطوة كهنة آمون - الكرنك. بل لقد اهتم اهتماما بالغا، بالعمل دائما وأبدا للحفاظ على استتباب التوازن اللازم بين هذه القوة الفعلية وبين العبادات الخاصة بمظاهر إلهية أخرى. ودأب على شحذ شخصيته وصياغتها بدقة متناهية. بل وأزمع اللجوء، إذا استدعى الأمر، إلى أكثر الأساليب جرأة وجسارة، حتى يتقبل الجميع التغيرات اللازمة لتطوير وتنمية وطنه .. خاصة أن هذه الاستحداثات تتطابق مع بلدان العالم الخارجى المنفتح على مصراعيه أمامه.

وجد "الفرعون" أن كل شىء يعتمد وقتئذ على مصداقيته تجاه أفراد شعبه: فهم يستشعرون فعلا بما يتحلى به من "جاذبية" دافقة؛ وهى من أهم صفاته كملك صالح

خير. وكانت الضرورة تستدعى إذن، أن يجيد إعداد حبكة وصياغة أسطورية. بل وتحتم الأمر، أن يفوق، بفضل انتصاراته وحروبه شبه الأسطورية، ما اتسم به أجداده وأسلافه من أمجاد ورفعة شأن .. إذن، ها قد آن الأوان لكى يعمل لتحقيق ذلك!!.. كما تكشف له، أن الأحوال القائمة تتيح له الفرصة لخوض هذا التحدى.

لعلنا نعلم أن دورة نجمة الشعرى اليمانية تعود كل ألف وأربعمائة وستين عاماً. وقد استهلت فى عام ١٣١٣ قبل الميلاد[٨]؛ وكانت قد أتاحت لسيتى الأول أن يدعم موقفه ويقويه بفضل ما يعرف بـ "تجدد المولد[٩]": لكى يزيد من استتباب نفوذه وسطوته. وأزمع رمسيس الاستعانة إلى أقصى مدى؛ وبشكل محسوس وملموس للغاية، بتلك الفرصة الكونية المواتية. وقد تبين الفرعون، أن الفرق ما بين عام ١٣١٣[١٠]، وبين عام تتويجه ١٢٧٩، لم يتعد أربعة وثلاثين عاما (مع اعتبار تطابق التقويمين العامين الساريين وقتئذ). كما أن التقويم المدنى يفقد يوما واحد كل أربع سنوات: وبالتالى، فإن كلا التقويمين لم يختلفا عن بعضهما البعض، فى مناسبة تتويجه، إلا ببضعة أيام قليلة .. بالتحديد، حوالى أسبوع فقط!!.. وهكذا، نرى، أن رمسيس، قد اعتبر، عن جدارة الفرعون الوحيد الذى حظيت مصر فى بداية عهده .. بهذه الظاهرة الكونية الباهرة الاستثنائية!!!

وخلاف ذلك، كان قد تمكن، قبيل وفاة أبيه، من دحر وهزيمة جحافل الغزاة الشرادنة المتحالفين مع الليبيين، أى "جنود البحر[١١]"، فى معركة بحرية خاطفة: وهم يحاولون اجتياح الدلتا .. ولاشك أنه اقتنص منهم أعدادا هائلة كأسرى حرب. وأوكل بهم إلى كبار ضباطه المصريين، لكى يجعلوا منهم، فى أسرع وقت ممكن جنود مرتزقة بارعين، أوفياء لمليكهم الجديد، رمسيس .. فيالها من معجزة!!

هكذا إذن خطط الفرعون برنامجه المستقبلى. ولكنه، مع ذلك، كان يبدو متأهبًا متوثبا فى انتظار الأحداث الكبرى التى طالما تاق إليها وانتظرها بأحر من الجمر؛ حالما تم تلقينه وإعلانه بالأسرار المهيمنة على العالم قاطبة: "فإن السماء سوف ترتعد، والأرض سيجتاحها الارتعاش حالما يمسك بمقاليد عرش رع". وهناك بضعة نقوش

بارزة، قليلة العدد، تبقت لنا حتى يومنا هذا فوق جدران المعابد، التى ترجع إلى "الدولة الحديثة": إنها تصور الفصل الأول والتتابع الأساسى فى نطاق مراسم التتويج، أى: عملية تطهير الملك المقبل، وتثبيت التاجين فوق رأسه بأيدى الآلهة الراعية للملكية. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المصادر المكتوبة المتعلقة بهذه المراسم الجوهرية الأهمية بالنسبة للملكية، يتحتم بقاؤها سرا فى طى الكتمان؛ وتحاط طقوسها أيضا فى الحفظ الصون.

ولاريب أن أداء طقوس الجرى العقائدى، كان يكرر خلال الاحتفالات بتدعيم وتثبيت السلطة الملكية. وهى تقام فى بداية كل عام، بنطاق "معابد ملايين السنين" الخاصة بالملوك. وقد استهلت هذه الطقوس بداية من أوائل "الدولة الحديثة"، وربما قبلها بفترة ما. عموما، ولحسن الحظ، تشير إحدى البرديات المحفوظة حاليا بمتحف بروكلين(١٢) بنيويورك إلى تلك المراسم.

## الملك يتطهر

بداية من بزوغ الفجر، أقبل الكهنة المختصون بأداء الشعائر إلى القصر الملكى. عندئذ، كان رمسيس قد استيقظ من نومه. فاصطحبوه، وهو جالس فوق مقعد محمول إلى باب صرح المعبد(١٣): وهناك، كانت تؤدى (إذا جاز التعبير)، "طقوس تعميد" الفرعون: إنها بمثابة المرحلة التمهيدية فى نطاق المراسم. ولابد من أن تقام هذه الشعائر بحضور عدد من كبار موظفى المملكة. وعلى ما يبدو، أن الملكة لم تحضر هذه المناسبة.

ها هم أربعة من الكهنة: أحدهم يرتدى قناع الصقر حورس، والآخر ذاك الخاص بإبيس - تحوت، وثالثهم وضع قناع "ست"، الممثل لحيوان لم تحدد بعد هويته، ولكنه، على أية حال قد يشبه رأس الـ Oryctérope، وأحيانا الحمار. ثم هاهو أخيرهم يتمثل بالإله دون عاوى (أى: المنبسط الجناحين). إنهم جميعا يحيطون بالملك

من ناحية الجنوب والشمال، والشرق والغرب. وبواسطة إناء ذهبي ذي مقبض، أخذوا يسكبون فوق رأس "أوسر ماعت رع" وكتفيه الماء المقدس؛ وقد صور بالنقوش والرسوم من خلال انبثاق متقطع مكون من العلامتين "عنخ" و"واس"، المعبرتين معا عن الإشعاع الشمسي (وفي ذات الحين، كان "حورس" يغسل له وجهه، و"ست" يدلكه). هكذا إذن تطهر رمسيس بواسطة الرشات المقدسة المنبعثة من الاتجاهات الأصلية الأربعة. بعد ذلك، كان عليه، لمرات تسع، أن يدلك ويضمخ بالزيوت العطرية المقدسة؛ فهي حماية مؤكدة ضد هجمات الشر والأذى. إنها بمثابة دهانات منبثقة من المقاصير والمعابد الإلهية بكل من "مصر العليا" و"السفلى". كما أنها تضفي على جسد الفرعون الحماية السحرية الفعالة من جانب الربة إيزيس:

– الدهان العطري المقدس الأول يمنح بشرة الفرعون تألقا إلهيا.

– أما الدهانان الاثنان التاليان فهما يجعلان الملك متطابقا مع الإله الشمسي الجالس فوق منصة ذات درجات.

– وعن "الدهان" الرابع والخامس (إذا جاز التعبير) فهما يومئان إلى المركبين الشمسيين، اللتين تقومان، ليلا ونهارا، بنقل كوكب الضياء والحياة.

– وبالنسبة للدهان السادس، فهو يجعل الفرعون متشابها بآتوم.. إلخ.

– وأخيرا، نجد أن الدهان التاسع يعود بالفائدة على المئزر الملكي خاصة: الذي يشير إلى وظيفة[١٤] الفرعون.

وتتضمن كافة تلك الدهانات العطرية المقدسة، قدرا من تراب المعادن الرئيسية[١٥]. إنها تغطي الآن جسم الملك بأكمله؛ وهو يمر بمرحلة تحولاته وتبدلاته. بل هي تفعمه أيضا بالتوثب والحيوية الدافقة المنبعثة من المواد الأولية.

## الفرعون يرضع اللبن المقدس

سوف تبدأ الآن مرحلة ثانية من الشعائر: ويمكن أن ترى من خلال مشهد الإرضاع الذى يمثل أحيانا، من خلال النقوش البارزة فوق جدران المعابد: حيث يصور الفرعون، عن قصد، صغير الحجم؛ ولكنه يرتدى الملابس الملكية؛ وتقوم بإرضاعه إحدى الإلهات الإناث. وعند أداء هذا المشهد أداءً صامتًا، يتحتم التأكيد تماما على الجوهر الذى تولد منه رمسيس؛ الذى رضع من ثدى الربة الإلهية؛ وبالتالى، يكون قد تلقى "ماء الحياة[١٦]". ومن هذه اللحظة، يتلاشى من كيان الفرعون ومضمونه أية آثار بشرية!

## الملك يتزين بالمجوهرات والحلي؛ ويثبت التاجين على رأسه

بداخل قدس الأقداس، يمسك مؤدى الطقوس المكلف بتجهيز الفرعون بشريط مستطيل من الكتان الأحمر اللون: فوقه، رسم بالحبر، ثلاثون شكلا لتيجان بيضاء اللون، وثلاثون صورة لتيجان حمراء اللون. ويكمل هذا المنظر، بشكل للإله "بتاح" سيد منف والراعى لليوبيلات الملكية. وعلى ما يبدو، أن أهداب هذا الشريط يجب عقدها ستين عقدة؛ ثم يتم وضعه على رقبة رمسيس. بعد ذلك، يوضع بين يدى الملك صولجانان، هما: العنخ والواس، وهما بمثابة رموز شمسية؛ يستعان بهما أيضا لكتابة عبارة اللبن الإلهى. إنهما حقا يفعمان بالرمزية والإيحاء: فقد استعملها أمنحتب الرابع (أخناتون)، للتعبير عن المضمون والمفهوم الشمسى[١٧]. بالإضافة لذلك، يرى "أوسر ماعت رع"، وهو يتلقى عنصرين من عناصر تزين الجبهة: الإكليل "سشت"، وقد ثبتت به الحية الحامية، وكذلك العصابة "شسب"، ثم الـ "مى عنخ"، الذى يمنح الحياة الإلهية. وأخيراً، تم وضع الكثير من التعاويذ والطلاسم فوق الشريط الكتانى أحمر اللون.

قطعا، كان رمسيس سيتلقى أيضا نعلين طاهرين تماما، مصنوعين من الجلد الأبيض؛ وخاصة مقمعة البلاد الأجنبية، التى تؤكد وتثبت خلال المواكب الشعائرية،

سيادته وهيمنته على قوى الشر. ولعلنا نتذكر تلك المشاهد الوقائية، حيث تصور فئات من مختلف الأعراق وقد هاجموا مصر محاولين غزوها: ولكن، ها هو الفرعون يروعهم ويدحرهم، ويشهر مقمعته الضخمة فى وجوههم. ومن هؤلاء المعتدين، تتراءى أشكال الأفريقيين والآسيويين. والجدير بالذكر أنه قد عثر على مقمعتين طرفهما السفلى منحنى، وتبدو فوقهما نقوش ممثلة لهذين النمطين البشريين المذكورين آنفا. والاثنتان، كانتا ضمن الأثاث الجنازى الخاص بتوت عنخ آمون[١٨].

وفى نهاية الأمر، يبدأ القائمون بالشعائر بإلباس الفرعون الملابس الخاصة بهذا الاحتفال. وحقيقة أن هذه المناسبة تبدو ثرية للغاية برموزها وشعاراتها؛ ومع ذلك، فلم يكن الأمر يتعلق هنا بارتداء رمسيس أحد الثياب الفخمة المصنوعة من الكتان، ذات الثنيات المتعددة (بليسيه)، التى شاعت وانتشرت فى البلاط الملكى بداية من حكم تحتمس الرابع، ثم أمنحتب الثالث. فعلى ما يبدو، أن "طرز" الأزمنة الموغلة فى القدم، هى، بوجه خاص، المتبعة فى حالتنا هذه. ولذلك، ها نحن نرى، "أوسر ماعت رع"، عارى الجسد، ويهم بارتداء مئزرا على الطراز الملكى الذى كان يفضله "نعرمر[١٩]" أول فراعنة العصر التاريخى!

الآن، بدا رمسيس جالسا، وقد أحاط به ثانيا كل من حورس وتحوت (أو "ست")، فوق مقعد عريق الطراز قائم فوق منصة: قطعا كان الكهنة يقومون فى هذه الحال بدور الأرباب؛ حيث يقدمون له تاج الجنوب الأبيض، وتاج الشمال الأحمر؛ وهكذا يتلقى رمسيس البسشنت المكون باندماج هذين التاجين[٢٠]. وعن الربتين (أو الوالدتين) الأوليين، "نخبت" (غالبا ما تمثل فى هيئة أنثى النسر)، و"وادجيت" (الكوبرا المقدسة)، فقد مثلت دورهما كاهنتان: تعملان معا على موازنة "البسشنت" فوق رأسه[٢١].

يظهر عندئذ، عدد من الكهنة وقد غطوا رءوسهم بما يشبه رأس النسر، وأيضا رأس الكلب: إنهم يجسدون آلهة مقاطعة "بى[٢٢]"، و"نخن[٢٣]": ويبدأوا، من خلال حركات منظمة بأذرعهم، يعبرون عن استقبالهم للملك: إنهم يومئون بذلك، إلى أسلافه

وأجداده الأوائل. بعد ذلك؛ فى نطاق المقصورة المجسدة لشكل المعبد البدائى الخاص بالإلهة "نخبت"، وهو "بر ور" (أى: البيت الكبير)، وكذلك بالإلهة "وادجيت" وبالشمال أى: "بر نسر" (بيت الشعلة) أو "بر نو"، حيث كانت تقدم بعض التيجان الشعائرية للملك. وقد تم وضعها، على التوالى فوق رأسه. وضمنها يرى التاج "آتف" الخاص بـ "رع"، الذى ترتفع على جانبيه ريشتا نعام عاليتان؛ وكذلك عصابة الرأس "سشد"؛ ثم التاج "حنو"؛ والتاج الذى يبدو فى هيئة شعر مستعار: "الإيبس"؛ وأخيرا أغطية كتانية، منها: "النمس".

فى النهاية، ها هو "آمون" سيد الكرنك، يقوم، شخصيا بوضع "الخبرش" المصنوع من جلد النعام. وموازنته تماما فوق رأس الملك الجديد. وربما أن هذا التاج الأخير، قد لا يتناسب مع اسمه الدارج: "خوذة الحرب"!.. وفيما بعد، اعتاد الفرعون على ارتدائه يوميا، خاصة أنه يعبر عن "وظيفة آتوم"؛ الذى منحها لمن يتولى العرش[٢٤]. وهكذا يبين لنا المشهد الإله آمون جالسا فوق عرشه، وهو يتوج الملك الراكع أمامه على ركبتيه، ومديرا له ظهره، حتى يتمكن هذا المعبود من وضع يده فوق كتفه.

منذ الآن فصاعدا، من خلال التحولات التى أسبغتها عليه الطقوس والشعائر الخاصة هذه، أصبح الفرعون .. خارج نطاق الزمن الدنيوى!.. ويحق له أن توجه إليه هذه العبارات: "لقد أنعم عليك بالأرض طولا وعرضا، ولن ينازعك عليها أحد مطلقًا".

## وضع البروتوكول

يتكون بروتوكول الفرعون من خمسة أسماء كبرى تستوعب برنامج حكمه. وعادة، يقوم بإعداده الكاتب الملكى فى "بيت الحياة" "ساموت[٢٥]". وفى هذا الصدد؛ يجب مراعاة ما يلى:

(أ) "اسم الراية": الذى يسجل فوق صورة تمثل فناء القصر الملكى الذى يعتليه شكل يجسد الصقر حورس. وقد اختيرت هنا صفة الثور القوى المفضل لدى "ماعت".

(ب) بعد ذلك، تحت رعاية وحماية الوالدتين المختصتين بالوصاية على الملك؛ ويرمز إليهما بواسطة، النسر والكوبرا، ها هو يصبح: "الذى يضفى حمايته على مصر، ويخضع البلاد الأجنبية".

(جـ) ويتراءى كذلك لقب "حورس الذهبى". ويومئ إلى "أنه سيحظى بسنوات عمر مديدة وفيرة، وانتصارات عظمى".

أما عن الاسمين الأخيرين فقد أدمج كل منهما بداخل خرطوش بيضاوى الشكل إشارة إلى "شنو" المستدير، تطابقا بالمدار الشمسى:

(د) فها هو الخرطوش الأول، قد سبق بلقب "ملك الجنوب والشمال": وهو بمثابة تشابه واضح مع الاسم الذى خلع عليه، عندما توج شريكًا فى الحكم مع أبيه: "أوسر ماعت رع"؛ إن "ماعت" لعظيمة شديدة البأس بفضل الشمس. وخلال السنوات اللاحقة، أضاف إليه رمسيس، هذه العبارة: "ستب ان رع"، أى من اختارته الشمس[٢٦].

(هـ) وعن الخرطوش الثانى: فهو يحوى اسم مولده: "رع مسس": وكانت أمه قد نطقت به فى لحظة وضعه. وبعد ذلك، حوله هذا الملك إلى "رع مسُّو".

ولقد أسر "الكاهن الأعظم"، إلى هذا الفرعون الذى تحول، بذلك، بواسطة طقوس وشعائر موغلة فى القدم: بأن الأسماء الخمسة العقائدية الشرعية الرئيسية اللازمة لاستيعاب شخصية الملك الفوق دنيوية، قد جمعت للمرة الأولى خلال حكم الملك "بيبى الثانى"، فى أواخر "الدولة القديمة". ولاشك أن هذه الأسماء العظمى، كانت، ستوجه، من خلال مرسوم ملكى، إلى كافة مقاطعات مصر.

من خلال كافة هذه الطقوس والشعائر الدينية، التى أجريت فى إطار مراسم طويلة المدى، شعر رمسيس بحماس وتأجج لا مثيل له، وكأنه انتقل إلى عالم مغاير تماما عن الحياة الدنيا. وهكذا، حانت اللحظة المناسبة، لكى ينقل إليه ذاك الإرث الفائق القدم والعراقة.

## انتقال الإرث العريق إلى رمسيس

ها قد استهل تضميخ جسد الفرعون بعطر اللادن العبق الرائحة. بعد ذلك، علقت فى عنقه بعض التمائم الواقية لحمايته من الشرور والأضرار. وقد صاحبت هذه الشعائر بضعة عبارات من ترانيم حورس. ويتبين أن أكثر هذه الطقوس أهمية، هو "التعميد" (إذا سمح التعبير بذلك). ويتبين هنا أن مؤديه هو خليفة "سيتى" نفسه ... رمسيس!!

هنا، كان يتحتم عليه ابتلاع شكل رمزى صغير، مصنوع من لباب الخبز الصالح للأكل: وتشير إليه العلامة الهيروغليفية الدالة على مضمون "الوظيفة" (إياوت laout(*)) . وكانت قد رسمت، مسبقا فوق يده، بواسطة صمغ الراتنج المبلل باللعاب. وعندئذ، كان عليه أن يعلن قائلا بأن سلطة الحكم ونفوذه قد أصبحت فى قبضته:

الرمز إياوت رسم على يده.

الرمز إياوت صنع من لباب الخبز الممضوغ. ولن يهبه لأى كائن بشرى آخر! وعندما يتلقى الشعار إياوت سوف يقول لمرات أربع: "إن شعار إياوت الخاص بحورس، قد أصبح ملكا له". وكذلك، قد امتلك سلطة الحكم! "لقد دعم وقوى بواسطة إياوت حالما أكله[٢٧]".

(*) الرمز laout يعنى عبارة ، وظيفة .

فى هذا الحين، كان الأمر يقتضى الإيماء إلى الحقبة السالفة إبان الحكم السابق. وبهذه المناسبة، تم إعداد فطيرة مكونة من مقدار من "تربة الحقول العضوية التى غمرتها مياه الفيضان"؛ المضاف إليها أيضا مختلف العناصر المعدنية. وفى الوقت ذاته، علقت فى عنق رمسيس بعض الرموز الملكية، المبينة عن النفوذ والهيمنة التى خلعت عليه: أشكال تمثل الصقر، والنحلة[٢٨]، والصولجانات. ثم أرشد الفرعون لتقديم قرابين مكونة من الأشكال الإلهية الممثلة "لبيت الحياة" بالمعبد؛ من الصلصال، فى هيئتها الحيوانية، وقد اندفعت النيران المتأججة من أفواهها.

ها هو الليل قد أرخى سدوله. ولزم الأمر إذن، أن يخضع رمسيس لفترة من الحضانة: فهى ستؤهله لطرق مجال حياة جديدة: ملكه!.. ولذلك، فقد أعد له مخدعا خاصا فى قلب "قدس الأقداس". وسلم لهذا الملك أربعة أختام خشبية. اثنان منها يحملان اسم "جب[٢٩]"، وآخر نقشت عليه صورة "نيت[٣٠]"، أما الأخير، فهو يفصح عن اسم "ماعت". وقد نوهت الكتابات: أن هذه الأختام قد "وضعت" تحت رأس الملك عندما خلد إلى النوم" .. عموما، كان "أوسر ماعت رع"، قد غاب، عندئذ، فيما يشبه السبات العميق!!

بعد هذا الفصل لتمثيل الموت الظاهرى الرمزى، تجىء الصحوة: إنها تحيطه بأجواء سحرية خارقة للمألوف. بداية، وقبل كل شىء، وضع هذا الملك الجديد، فوق "عرش سرى غامض مشيد على كتلة حجرية ضخمة"؛ لحمايته، على ما يبدو، من أى أذى أو شر. والآن، كان على رمسيس أن يمسك بإحدى يديه الفطيرة المصنوعة من الطينة العضوية، وباليد الأخرى طائر "السنونو". ثم يرى أحد القائمين بالطقوس، وقد أحضر الصقر الممثل لحورس. ولقد انحصر دور طائر "السنونو" فى توجيه اللعنة والفناء إلى من يتجاسر على النيل من حورس والإساءة إليه. أما عن الصقر، فقد ارتكزت مهمته فى إعلان حورس - نفسه - بأن إرثه قد نقل: عليك أن تعلم حورس بأن الفرعون قائم هنا، ومنكب على تدعيم وتثبيت وضعه.

وأخيرا، وحتى تتحقق الحماية لهذا المعتلى الجديد لعرش مصر، ويقدر له مصير مفعم بالمجد والانتصارات، هاهى شعيرة أخرى سوف تؤدى: إنها تتبلور من خلال تدمير وإفناء كافة القوى الضارة المؤذية: ويعبر عنها بواسطة قطع رأس أنواع متتالية من مجموعتين نباتيتين. ولكن، يتحتم، بداية، أن يستنشق الملك عبيرها، قبيل استئصال رأس كل منها. ووقتئذ، كان الملك قد ألبس رداء من الكتان الأحمر اللون المكسو كلية بالتمائم الواقية!..

الآن، رجع رمسيس إلى "بيت الحياة": حيث يتلقى القربان المكون من تسعة طيور حية، متباينة الأنواع. وفى ذات الحين، علق فى عنقه شكل لصقر من الذهب الخالص، ونسر من المسحوق المزجج المصقول اللامع، وقط من حجر الفيروز النفيس. وضمن مجموعة الطيور المشار إليها آنفا، يرى: الصقر، والنسر، والحدأة وأوزة النيل، والطائر "مسيت"، والسنونو، والكركى؛ وجميعها توفر له الحماية والوقاية. وفى لحظة ما، كان يتم بسط جناحى كل من الصقر، ثم النسر، خلف رقبة الفرعون (وقد خلدت هذه الشعيرة خاصة بواسطة التمثال الشهير الممثل لخفرع؛ المحفوظ حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة).

## شجرة الإشد وامتداد عمر الفرعون

نحن الآن أمام مشهد مهيب جليل خاص بالتتويج، ويتم عادة فى غياهب المعبد وغموضه: إنه بلا شك، أكثر الطقوس أهمية وخطورة شأن فى إطار الملكية المصرية كاملة. وتقتضى الضرورة إعادته فى أول كل عام، من خلال خطوطه الرئيسية؛ حتى تتجدد فعاليته. وبالنسبة لرمسيس، لاشك أن المرحلة الأولى منه، قد استهلت فى "منف". ومن المؤكد، أن هذه الطقوس الدينية قد اختتمت فى هليوبوليس: بأحد الفناءات المقدسة، حيث تينع وتزدهر شجرة "الإشد" البديعة (البرسيا)، وتجد أفضل عناية. وكان المصريون على علم بأن ثمار أشجار البرسيا، التى تنمو على ضفاف

القنوات المائية، تنضج تماما قبيل وصول الفيضان .. وكأنها تحتفل بمناسبة أول العام الجديد!..

ضمن ما ينص عليه مضمون التنصيب الملكى: أن تكتب أسماء الفرعون المكتسبة وأسماؤه الشخصية فوق ثمار الشجرة المقدسة(٣١). وهنا، يبدو رمسيس جالسا فوق العرش الفائق القدم أمام شجرة البرسيا: وقد بدت ثمارها، بمناسبة عام التتويج هذا، يانعة وفائقة الحجم بدرجة لا مثيل لها. وخلفه، يرى تجسيد للإله "آتوم"، رب الأرباب المنبثق من نفس ذاته: إنه يطمئن الفرعون، ويؤكد له استمرارية سلطته ونفوذه على كافة أنحاء الأرض. وبذا، فقد أمسك "رب النشأة الأولى(٣٣)"، بقلمه(٣٢)، فى حركة سامية جليلة، وأخذ يكتب فوق إحدى الثمار وقد أسندها بيده، اسم تتويج الملك: "أوسر ماعت رع – ستب إن رع". وفى المواجهة، بدت "سشات"، ربة الكتابات وسيدة الكتب – وقد تبعها "تحوت" الذكاء الإلهى – وهى تؤدى نفس الشعيرة فوق ثمرة أخرى. وفى ذات الحين، كانت هذه الإلهة تمسك بيدها الأخرى رمز اليوبيلات التى سوف تمتد "لملايين السنين". ولقد مثل هذا المشهد فوق إحدى جدران القاعة الفلكية بالمعبد الملكى الخاص بملايين السنين فى الرمسيوم. وكذلك، كرر رمسيس ثانيا بشىء من التغييرات، فى المعبد – الكهف الخاص به فى أبو سمبل: حيث يرى الفرعون راكعا على ركبتيه أمام الشجرة المقدسة، وهو يتلقى مباركة الإله "حورآختى" ورمز "أعياد السد" (اليوبيلية). وخلفه، يشاهد "تحوت" وهو يكتب اسمه الملكى "أوسر ماعت رع" فوق ثمار شجرة الإشد(٣٥).

بعد مغادرتها الساحة المقدسة، تشاهد معالم الاحتفالات بكافة أنحاء مصر. وبدون شك، كان الملك قد أدى هذه المراسم التى يحضرها جميع أفراد الشعب: وهو يصرع الثور الوحشى، ويطارد طيور النعام الكاسرة؛ وأيضا وهو يصوب سهامه الخاطفة كوميض البرق، لتخترق أهدافا ثقيلة سميكة بعيدة المدى. بعد ذلك، يرى الفرعون وهو يستعرض نفسه راكبا عربته المكسوة تماما برقائق الذهب؛ وكأنه الشمس الساطعة المتألقة؛ بين تجمعات مواطنيه، الذين ازدادت مشاعر بهجتهم

وسرورهم، لما أسبغه عليهم هذا الفرعون الجديد من رأفة وحلم ورحمة: حيث أصدر قرارا بتخفيض بعض أحكام عقوبات السجن القاسية.

## أعياد الأوبت الكبرى

سرعان ما عاد الفرح والسرور ثانيا بين أفراد الشعب بعد انقضاء الأيام الخمسة عشرة التي يتم خلالها الاحتفال بالعام الجديد: أو بالتحديد بعد وصول الفيضان. ففي هذا الوقت خاصة، تقل أوجه نشاط المصريين بسبب اندفاع مد الفيضان المفعم بالخير والخصب على حقولهم. ولذلك، والحال هكذا، فقد تقرر إحياء أعياد "الأوبت" الكبرى، التي تستمر طوال ثلاثة وعشرين يوماً؛ بشهر سبتمبر في هذا العام، بمدينة طيبة(٣٦).

بهذه المناسبة، كان كافة أهالي ضفاف النيل يتجمعون على الشواطئ للتمتع بمشاهدة عرض وموكب مهيب فخيم للمركب الإلهية: إنها تتألق روعة وأبهة وثراء لا مثيل له أبدا!!.. وها هي تحمل على متنها تمثالا للإله آمون. ويتبعها في هذا العرض، مركبتين لكل من الربة "موت" والإله "خونسو"، الابن. وعادة، كان الموكب الهائل يتحرك بداية من معبد الكرنك، إلى نظيره بالأقصر، القائم جنوبا: وهناك، بأعماق المعبد، كان إله طيبة يحتفل، على مدى إحدى عشر يوما، بزواجه من الإلهة "موت" رفيقته، ويجدد "الكا" الخاصة به.

ها هي المراكب الإلهية تنساب فوق مياه القناة الموازية لنهر النيل؛ لأنها أكثر قربا من الكرنك. وقد تم وضعها وتثبيتها فوق سفن نهرية ضخمة: يقوم بسحبها، على مدى ثلاثة كيلومترات، جموع الموالين الورعين والجنود. ومن الواضح، أنها، طوال هذه الرحلة كانت موضع إعجاب وانبهار وولاء الجميع(٣٧)..

على ضفتي النيل، راحت الجموع الحاشدة تصدح بأغانيها وتؤدي رقصاتها في مرح وبهجة غامرة. وامتلأت محال بيع المشروبات عن آخرها، بالفاكهة، والزهور،

والشراب المتنوع الأصناف. وهناك، عند الساحة، ترى المراكب المقدسة، محمولة فوق محفات خاصة على أكتاف الكهنة، ثم توضع، الواحدة بعد الأخرى فى مقصوراتها الخاصة، بمواجهة الصرح الخاص بأمنحتب الثالث: حيث نهاية صف الأساطين الكبرى التى شيدها "توت عنخ آمون"، وأكملها "حور محب".

فى ذاك الحين، كان "كبير كهنة آمون" قد توفى لتوه. ولذا، قرر رمسيس الثانى، أن يقوم شخصيا بقيادة ورئاسة احتفالات التبجيل والإجلال الكبرى هذه. وهكذا، سارع هذا الفرعون بارتداء الزى الكهنوتى الرسمى المصنوع من جلد الفهد. ولكن، مما يثير الدهشة والعجب؛ وهو أمر لم يحدث أبدا من قبل فى إطار حوليات مصر القديمة، أن الكتابات المصاحبة للمشهد الممثل (المذكور آنفا)؛ قد لقبته بأنه: "كبير أنبياء آمون، ملك الجنوب والشمال، رمسيس أوسر ماعت رع[٣٩]"!!

ها هو إذن الملك الشاب المتأجج حمية وتوقدا، الشديد البأس، وقد دعمت وقويت إرادته الفولاذية المتوثبة بواسطة تحولات وتغيرات مراسم تنصيبه، قد استهل، بداية من هذا اليوم، وعلى مدى الثلاثين عام الأولى من حكمه، نشاطا فائقا للمألوف .. ولا نهائى الحدود!! وخلال فترة الزواج الإلهى الغامض المفعم بالأسرار والإبهام، بداخل "قدس الأقداس" بمعبد الأقصر (إيبت رسيت) أى: "معبد الجنوب"، أصدر الملك أوامره بفتح القاعات السرية الخاصة بأرشيف "بيت الحياة"، فى معبد آمون[٤٠]. وكان هدفه: كشف الحقيقة الغامضة المتعلقة بالإشعاع والتألق الإلهى التى تحظى به مدينة طيبة، أو "أرض النشأة الأولى للخلق؛ النطاق الخاص بآمون رع". وهناك، عرف أن عين الإله الخالق اليمنى هى هليوبوليس الجنوبية "أرمنت" (هيرمونثيس)؛ وأن عينه اليسرى هى هليوبوليس الشمالية.

لاريب أن هذه النظرية التركيبية، قد بينت عن مرحلة جديدة ومتفردة فى إطار البرنامج الذى خططه الفرعون[٤١].

## أعظم البنائين .. رمسيس

بمصاحبة زوجته الملكة المفضلة إلى قلبه، نفرتارى، التى باركها الإله وأنعم عليهما بابنهما البكرى، بدأ الفرعون يتأهب لإحياء عيد الإله "مين"، الكفيل الضامن لحصاد وفير غامر. بل لقد فكر الملك فيما هو أكثر من ذلك: فقد استدعى مهندسيه المعماريين، وأمرهم، بوضع تخطيط خاص بفناء واسع المدى؛ يتضمن ممرات وأروقة تزخر بالتماثيل؛ وتتشابه أيضا بمقاصير المراكب الموجودة أمام معبد الأقصر. كما أزمع بأن يقفل هذا الفناء المقدس بصرح هائل[٤٢]؛ ويزينه من ناحية الساحة الكبرى بتماثيل عملاقة ومسلتين[٤٣] كبيرتين.

بالإضافة لذلك، سارع "أوسر ماعت رع" أيضا، إلى عمل تخطيط لمعبده اليوبيلى المقبل، على ضفة طيبة اليسرى. ورأى أن أنسب مكان هو المجاور للنصب الصغير، الذى كان قد قرر، قبيل وفاة أبيه، تشييده من أجل أمه الملكة المعظمة "توى": وأصبح يحلو له حاليا أن يطلق عليها اسم: "موت – توى": إيماء حصيفا من ناحيته، بأنها تنبثق من نفس جوهر زوجة آمون.

## اختيار كاهن أكبر جديد لآمون الكرنك

"آمون" ذلك المعروف بأنه المظهر المستتر للإله الخالق (آمون = المستتر): والذى يحتم الأمر العمل، رسميا على تجديد قواه وحيويته كاملة: ولكن، مع المراعاة الفائقة من جانب الملك، السيطرة على سطوته وشكيمته الكهنوتية الرهيبة .. وبذلك، فقد استدعت الضرورة اختيار "كاهن أكبر" جديد، بعد وفاة "نب نترو[٤٤]"؛ الذى قام رمسيس بوظيفته خلال الاحتفالات بعيد "الأوبت". وها هم كبار المحيطين بالفرعون الشاب يقبلون بكل سرور لحضور مراسم اختيار المرشحين الجدد لذاك المنصب.

على ما يبدو، أن آمون شخصيا، هو الذى يقوم باختيار خادمه الجديد: من خلال وسيط الوحى، حيث تمت، فى نهاية الأمر، موافقته على المدعو "نب ونن إف" من بين كافة المرشحين. وعندئذ، كان على هذا الشخص المنتخب، التخلى عن كافة وظائفه ككاهن أكبر لأنوريس فى "ثيس"، ولحتحور فى "دندرة"، لكى يرأس، بكل كفاءة ومقدرة السلك الدبلوماسى الدينى تحت هيمنة ونفوذ رمسيس فى الكرنك.

الآن، حان الوقت لرجوع المراكب المقدسة إلى الكرنك: وذلك، عن طريق البر، حيث تصطف على جانبيه مقصورات – استراحة. وبها توضع تلك المراكب الإلهية؛ وقد فتحت ستائرها؛ لكى تمتع أنظار الجموع الحاشدة بمناظر تلك التماثيل الصغيرة المكسوة برقائق من الذهب الخالص والمرصعة بالأحجار النفيسة؛ والتى تعد بمثابة الحاوية المادية للقوة الإلهية المستترة الخفية.

نشاهد الآن المراكب المقدسة ثقيلة الوزن وهى تتلألأ ساطعة، محمولة فوق محفات على أكتاف الكهنة، وقد ارتدوا أثوابا كتانية مستطيلة بيضاء اللون؛ وبدوا حليقى الرءوس تماما. فى حين كانت الخيول التى تجر العربات الملكية بهذا الموكب الضخم تحاول الدوران يمينا ويسارا. وعادة، كانت نفرتارى تصاحب الفرعون دائما فى غدواته وروحاته. وكذلك، هاهم أبناؤهما الأمراء الصغار قد ركبوا مركباتهم الصغيرة الخاصة، تحت رعاية وحماية سائقيها بقيادة وإشراف معلم الفروسية الملكى، المدعو "أمون إم إيبت"، صديق الفرعون الحميم. والجدير بالذكر، أنه قد حظى، فى السنوات الأولى من الحكم بلقب "الرئيس الأعلى لإسطبلات الخيول".

## منشآت ونصب أخرى

لاشك أن "أوسر ماعت رع"، لم يكن ليستطيع، خلال تلك الفترة الجوهرية من حكمه، أن يجوب كافة أنحاء المملكة. ولذا، فقد كلف نائبه فى النوبة، "إيونى"، بأن يستهل، فى الجنوب، مرحلة إنشائية جديدة: إيماء إلى بداية اعتلائه لعرش مصر.

وبالإضافة لذلك، استقر رأيه نهائيا على اختيار المقر الرسمى لنائبى الملك: "عنيبة" (ميعام) فى أراضى النوبة السفلى. والتى اعتبرت بمثابة المدينة - المستودع لكافة النفائس والكنوز الواردة من أفريقيا. ولكن، كانت الضرورة تقتضى أيضا أن تتوغل سطوة الفرعون ونفوذه وتتقدم أكثر من ذلك فى الجنوب، أى "النوبة العليا"، (أو النوبة السودانية): كان المصريون يطلقون عليها اسم: "بلد كوش الخسيس". وهكذا، فإن العاصمة الجديدة "عمارة"، التى كان سيتى قبيل رحيله، قد أوكل إلى "آمون إم إيبت" بمهمة تأسيسها، على الضفة الغربية، أخذت تزداد ازدهارا وتألقا.

وبشمال الشلال الثانى، كلف "أوسر ماعت رع" نائبه، بالبدء فى مشروع كفيل بإثراء البرنامج الضخم الذى أزمعه هذا الملك المتأجج توثبا وحمية: ومن خلاله، استلهم، فى ذات الحين، من منشآت ونصب أمنحتب الثالث؛ كما ارتكز على أسس معمارية مبتكرة ومستحدثة. وكان هدفه الأساسى من وراء ذلك، أن يبرز عظمة وفخامة حكمه، والنسب الإلهى الأكيد الذى ينتمى إليه هو وزوجته الملكة المعظمة: وما يسبغانه على مصر من خير وجود وحماية. وقد كلف "إيونى" بمهمة اختيار الموقع المناسب لحفر معبدين كهفين مقدسين: تعبيرا عن الانتساب الكونى الذى يتمتع به كل من الملك والملكة؛ بحيث يفوقا مضمون وفحوى رسالة معبدى "صولب" و"سيدنجا"، اللذين كانا قد شيدا فى السودان، بأمر من "أمنحتب - نب ماعت رع" وزوجته الملكة المقدسة "تى": وحيث أُحييت العديد من يوبيلات الملك.

وقع اختيار "إيونى" على موقعين جبليين صخريين بارزين، يتطابقان تماما مع رغبات "أوسر ماعت رع". إنهما، على التوالى، موقع "محا"، وعلى مسافة غير بعيدة منه شمالا، آخر معروف باسم "إبشك"، حيث تعبد وتبجل الربة حتحور.

وأخيرا، تمت الزيارة إلى مدينة "طيبة"؛ وكان الهدف منها: معبد الكرنك. وتجدر الإشارة إلى أن الأعمال الإنشائية التى كان قد بدأها "سيتى - مين ماعت رع" كانت قد توقفت منذ وفاة هذا الملك؛ وكذلك بسبب احتفالات التتويج؛ ثم تلك الخاصة بعيد "الأوبت". وكذلك، فقد سارع رمسيس إلى استكمالها فوراً: وذلك، حتى تستطيع قاعة

الأساطين الكبرى، المزمع إقامتها، استيعاب طقوس أمون المهيبة الفخمة. ولاشك أنه كان يعتمد فى هذا الصدد خاصة على حسن إدارة "نب ونن إف" وكفاءته؛ بل ومقدرته أيضا على التصدى لأية تجاوزات محتملة من جانب عالم الكهنوت القوى البأس القائم وقتئذ.

## أولى مراحل حكمه

قبيل مغادرته "طيبة" حرص الفرعون على الاجتماع بكبار مساعديه الأوفياء. ومنهم: رئيس الخزانة الملكية، والقائم الأعلى بجبى الضرائب والجزى، والمشرف الأول على الدخل العام؛ ثم كبار موظفيه المختارين أساسا ضمن أصدقاء شبابه؛ وبعضهم، كنوا ينتمون إلى أصول آسيوية (كثيرا ما كان أبوه سيتى يقسم باسم المعبود "بعل"!!). وأوكل الفرعون إلى "باسر"، وزيره الأعلى، بمهمة إعلامه بكافة منتجات مصر قاطبة؛ وأيضا بمختلف فئات موظفيه الفائقى العدد، المستخدمين "بالإدارة الملكية". وأخيراً، فقد أسند إليه أيضا مهمة على قدر فائق من الأهمية القصوى؛ خاصة أنه يعتبره بمثابة وسيطه الفعلى العامل على نشر العدل والإنصاف: أن يقدم له، يوميا، تقريرا عن إنجازاته وأعماله، وأيضا عن أحوال نهر النيل.

# الفصل السادس

# السنوات الأربع الأولى من الحكم

ها هو رمسيس قد نصب فى "منف"، مقر، "بتاح"، رب اليوبيلات؛ ثم توج فى طيبة من جانب آمون شخصيا؛ وكذلك دعم بهليوبوليس وظيفة "آتوم" التى حظى بها هذا الفرعون. ولم يتبق الآن سوى أن يؤكد وجوده فوق عرش حورس، فى النطاق المقدس الجليل الخاص بأوزيريس: "أبيدوس": حيث يقع النصب الفخيم الذى لم يكتمل بعد، الخاص بأبيه: "سيتى".

## تعيين كبير كهنة آمون

استدعت الضرورة أيضا، إكمال قاعات المعابد المكرسة لمؤسس "الأسرة"، رمسيس – نب بحتي رع". ولقد تواءمت كافة الأحوال، وهو فى طريق عودته ناحية الشمال، لكى تكون "أبيدوس" بمثابة أهم مراحل تنقلاته: فهناك، كان عليه، أن يقوم شخصيا بإبلاغ "كاهن آمون الأكبر" الجديد، المدعو "نب ونن إف"، بهذا القرار السعيد من جانب الوصى الإلهى: أن يكون مساعد الفرعون المقرب ومعاونه فى إطار "طيبة" فائقة الأهمية خطيرة الشأن.

خلال هذا العام الأول من حكمه، فى اليوم الثالث والعشرين من ثالث أشهر فصل "الآخت" (الفيضان)، ها هو رمسيس يتجلى، وقد صحبته، كالمعتاد نفرتارى؛ ثم أفراد

العائلة المالكة، وكبار شخصيات حاشيته، و"مجلس الثلاثين"، "بشرفة التجليات" بقصره المقر الملكى المجاور للمعابد الكبرى. ومن خلال عباراته الفخمة المتعاظمة قصدا وعنية، أعلن الاختيار السعيد المبهج من جانب الإله "لخادمه الأعلى" (نب ونن إف)، أمام الجمع المحتشد المصغى إليه فى تيقظ واهتمام بالغ. ولاشك أن هذا الحدث الكبير الذى يعد بالنسبة لهذه الشخصية الدينية بمثابة نقطة الذروة فى إطار مهنته؛ قد سجل بحذافيره فوق جدران مقبرته الخاصة: فإنه قد اختير وميز على جميع أنبياء الآلهة وكافة كبار موظفى "بيت آمون"؛ بل إضافة إلى ذلك، على كافة شخصيات البلاط الملكى وقائد الجيش(١).

(بداية من السطر السادس إلى السادس عشر فى الكتابات الأصلية). قال له جلالة الملك: "منذ الآن فصاعدا ستصبح كاهن آمون الأعلى: إن كنوزه وصوامع غلاله، سوف تخضع جميعها لختمك. إنك الرئيس الأعلى لمعبده؛ والإدارة قائمة تحت سلطتك. أما أملاك (: معبد) حتحور، ربة "دندرة"، فإنها ستكون منذ الآن، تحت هيمنة ابنك(٢)؛ بالإضافة أيضا إلى وظائف أسلافك..".

" .. ولقد جمعت أمام آمون، جميع أفراد الحاشية الملكية، وقائد الجيش. وعندئذ، ذكرت إليه أسماء أنبياء الآلهة وكبار شخصيات بيته، وهم ماثلون فى مواجهته".

"فلم يرض (الإله) عن أى منهم. ولكنه وافق عندما ذكرت اسمك. إذن، احتضنه بقوة، فهو قد رغب فيك. وإننى على يقين بأنك قادر على ذلك .. لاشك أن آمون إله قوى شديد البأس، لا نظير ولا مثيل له. إنه يسبر أغوار القلوب. ويكشف أعماق الأرواح، إنه الفطنة والذكاء العارف بمكنون القلوب".

(من السطر الثانى والعشرين إلى الثالث والعشرين) بعدئذ، سلمه جلالة الملك خاتميه ؛ والختمين الذهبيين وعصاه المصنوعة من الإلكتروم: باعتباره قد أصبح "كاهن آمون الأكبر" و"رئيس البيت المزدوج الخاص بالفضة والذهب"، و"المشرف الأسمى على صوامع الغلال المزدوجة"، والقائم الأعلى بأمور الأشغال، و" المهيمن على

كافة الطوائف المهنية فى طيبة". ولقد أرسل مبعوث ملكى لكى يعلن فى كافة أنحاء المملكة، أن "بيت آمون" يقع تحت مسئوليته، وأن جميع الموظفين تحت نفوذ "نب ونن إف"[٣] هذا.

## نُصب أبيدوس ومنشآتها

من خلال مروره على كافة النصب المكرسة لأوزيريس، متوجها نحو "درج الإله الأعلى "، حيث تكاثرت، منذ أمد بعيد، لوحات العباد الورعين، تبين رمسيس: أن هذا الموقع هو الأكثر مناسبة وملاءمة لأداء فريضة الحج: لكى يترك فى نطاقه، للأجيال اللاحقة، دلائل وإثباتات تاريخه الشخصى الخارق للمألوف؛ باعتباره كائنًا وإنسانًا متفردًا مميزًا عن بقية البشر. وهذا هو، ما حاول جاهدا تجسيمه وبلورته. وبالتالى، قرر رمسيس أن يعزى إلى والده، التصريحات المفعمة بالإطناب والتمجيد الفائق، فى إطار الكتابات الإهدائية، التى سردت فيما قبل بخصوص طفولته[٤]. وهكذا، كان من الطبيعى جدا، أن يصدر أوامره، بإكمال المعبد الذى رغب فيه "سيتى" قبيل موته. وأن تؤدى فيه مراسم الطقوس الدينية كاملة.

ولكن، قطعا، لم ينس أيضا بناء معبده الخاص فى هذا المكان المقدس. ولعلنا يجب أن نومئ خاصة إلى هذا الأمر: كان من المزمع تشييد هذا البناء كلية من الحجر الجيرى؛ فى حين أن كافة نصب ومعابد رمسيس، بأماكن أخرى، قد بنيت من الحجر الرملى. وبالإضافة لذلك، تقرر أن تتبع نقوش معبده هذا، الأسلوب الكلاسيكى: وليس "نقوش غائرة"، كما هو الحال فى منشآته الأخرى.

نرى إذن، أن هذا الابن الموقر المبجل لذكرى أبيه "سيتى"، قد مد رقعة تمجيده وإجلاله هذا إلى الأسلاف والأجداد الذى حاول أن يتوافق ويتطابق معهم. وها هى أيضا واقعة جديدة فى إطار بحثه عن الشرعية: اهتم اهتماما بالغا بإصلاح وترميم المقابر الموغلة فى القدم الخاصة بأوائل ملوك مصر الغابرين: فى حين أن أبناءهم

وأحفادهم الفعليين لم يفكروا أبدا فى هذا الأمر!.. ونجد أنه قد كون جهازا خاصا لمراقبة تلك الإصلاحات والترميمات والإشراف عليها، والتأكد تماما من توزيع القرابين كما يجب.

إن ابنه الثانى عشر "خع إم واست"، قد سار على نفس منواله، بعد ردح من الزمن: فقد كان شغوفا ومولعا للغاية بالأعمال المعمارية: وبالتالى، أولى اهتماما وفعالية فائقة للمنشآت والنصب فائقة القدم المهدمة، فى نطاق جبانة سقارة والجيزة. بالإضافة لذلك، حرص رمسيس، فى إطار مقبرة "سيتى"، حيث كانت بعض جدرانها لم تزخرف بعد، أن يمثل فى طفولته، بجوار أبيه: أمام القائمة الضخمة المتضمنة الملوك المصريين الأسلاف والأجداد .. حتى يؤكد ويدعم، فى إصرار وقوة أحقيته فى عرش مصر!!

## الإنشاءات فى بر - رمسيس

عاد الفرعون إلى بر - رمسيس. وهناك وجد أن أعمال التكبير والتضخيم قد ازداد مداها. وهنا، جمع كل مهندسيه المعماريين: وأصدر إليهم أوامره بأن يخططوا قلب هذه المدينة بواسطة أربعة قصور هائلة الضخامة والفخامة. إن شمال المدينة الجنوبية "أواريس" التى احتلها الهكسوس فى الماضى يتضمن معبد "ست"، وأطلال معبد "سيتى": الذى تحتم الضرورة توسيعه. وكان مرفأ العاصمة المقبلة المقرر إقامتها، على مقربة من هذا المكان: يقع عند ملتقى فرع النيل المعروف باسم "مياه رع"، غربا، و"بحيرة أواريس"، شرقا، عبورا ببحيرة المقر. وقد ارتبطت هذه الأخيرة بذكرى الموقعة الحربية البحرية ما بين المحرر البطل المصرى أحمس والغزاة الهكسوس.

هكذا، بدت بر - رمسيس وقد أحاطتها المياه. وبقلب هذه المدينة الكبرى الحديثة، وعند الأطراف الأربعة للشريانين الحيويين العظيمين المتقاطعين معًا، أصدر رمسيس

أوامره ببناء قصره الخاص، وثلاثة معابد: ناحية الشمال، معبد بتاح، يتاخمه آخر مكرس للإلهة "سخمت"؛ وشرقا، نصب لعبادة آمون؛ وقبالته، غربا، معبد الإله رع، الأكثر أهمية وفخامة. وأخيرا، مجال فائق الاتساع لحماية القصر الهائل. كما أمر بإقامة ثكنات عديدة حول معظم أنحاء هذا الموقع. أما عن المسئول الأعلى لتنفيذ هذا البرنامج المعماري، ولتوسيع أبعاد القصر أيضا، فهو على ما يبدو، "رئيس الأعمال"، المدعو، "ماى". وكان من قبل، يشغل رتبة عسكرية رفيعة الشأن. وقد تابع مهام مهنته طوال حكم رمسيس فى إطار مدينة هليوبوليس؛ وكذلك، فى عهد "مرنبتاح" خليفة الفرعون وابنه الثالث عشر. من الواضح إذن، أنه كان شابا صغيراً، عندما ميزه واختاره "أوسر ماعت رع"، لكفاءته ونبوغه الفائق. وكان بالفعل إنسانا حى الضمير، مدققًا إلى أقصى حد: لدرجة أنه قد صاحب عماله ومعاونيه إلى محاجر الجرانيت فى أسوان: حيث استخرجت أحجار معظم مسلات مدينة بر - رمسيس. ولكنه، ربما كان أقل تأدبا واحتراما، عندما لجأ إلى انتزاع بعض الكتل الحجرية المكونة لكسوة هرم خفرع بالجيزة .. لكى يستعين بها فى بناء نصب ومنشآت مدينة رمسيس الجديدة!!

كان الأمر يقتضى أيضا توسيع مدى البساتين والحدائق ساحرة الجمال المحببة للغاية إلى قلب رمسيس. وكذلك، تحتم إقامة مزارع جديدة أخرى حيث تستزرع أشجار التفاح، والكمثرى، الواردة أصلا من الشرق الأدنى .. ويتغنى بجمالها وروعتها الشعراء!

## تراتيل للنيل

أوشك فصل الفيضان على العودة، فى أواخر هذا العام الأول من حكم رمسيس. وهكذا سنحت الفرصة لتكريس تراتيل كبرى للنيل: لكى تحظى مصر بعودة الفيضان الثرى الخصيب. ولذلك، أعدت لوحة ضخمة فى الجانب الصخرى "بجبل السلسلة". إنه

المكان الذى يصل إليه الفيضان من النوبة لينهمر على أراضى "مصر العليا"، شمال أسوان، حيث يضيق النهر، وتصطف على جانبيه محاجر الحجر الرملى.

نحن الآن فى العام الأول من الحكم، فى الشهر الثالث من فصل "الشمو" (الصيف)، فى اليوم العاشر(٦) (قبل يوليه بشهر واحد). وبهذه المناسبة(٧) ألقيت بالنهر كميات وفيرة مزدهرة من القرابين (تماثيل صغيرة، زهور بردى، ومأكولات).

## منشآت فى طيبة

كان رمسيس الثانى يبدى رضاء بالغًا عند اطلاعه على التقارير التى يقدمها له "باسر" بصفة دورية. وهكذا، كان هذا الفرعون يستطيع متابعة تطور أعمال اقتلاع الصخور فى "وادى الملوك"، من أجل حفر مقبرته الخاصة: بالمكان الذى وقع عليه اختياره إبان تشييع جنازة أبيه "سيتى". ففى العام الثانى من عهده، أقيمت طقوس خاصة احتفالا بأول ضربة أزميل فضى فى صخور الحجر الجيرى الناعمة الملمس. كما أحيط الملك علما بأن أعمال التوسيع لأنحاء معبد "الأقصر" قد قارب على الانتهاء. وأيضا قدمت محاجر جرانيت أسوان أحجارا بديعة وردية اللون لصناعة التماثيل العملاقة الخاصة بالفرعون: التى سوف تنتصب قائمة ما بين الأعمدة. وحيث ستتراءى هذه الأشكال الملكية الضخمة، التى لا يقل ارتفاعها عن سبعة أمتار وقد أضفت حمايتها على تماثيل نفرتارى، الأقل حجما .. ثم بعد ذلك، على تلك الخاصة ببنات الفرعون البكريات.

ها هى الزخرفة الجدارية قد قاربت على الانتهاء. فالمشاهد الدينية تزين الواجهة الداخلية للصرح الأول الذى اكتمل بناؤه تماما. وعلى ما يبدو، أن التقرير المتعلق بهذا القسم من المعبد قد حرر فى حوالى عام ١٢٧٧ قبل الميلاد. وها هى المسلات التى أهدى محمد على (باشا) إحداها إلى فرنسا قد نصبت أمام الصرح (٩) . ولكن من الواضح أن واجهة هذا الصرح، المجابهة لناحية الكرنك حيث يقبل، سنويا، موكب عيد

الأوبت العظيم[١٠]، لم تكن قد تم رسم شخوصها بعد. وقد أوشك المختصون على إعادة تخطيط الطريق الواسع المدى الواصل ما بين معبد الكرنك وواجهة الأقصر الجديدة. كما تقرر تكملة صف تماثيل أبى الهول المتاخمة لهذا الممر الهائل المهيب الخاص بالمواكب الدينية .. وكان قد سبق إصلاحه أيضا من قبل، فى عهد توت عنخ آمون.

فى واقع الأمر، أن مصر قاطبة قد تحولت وقتئذ إلى ساحة عمل وإنشاءات مترامية الأطراف. وفى كافة التجمعات الكبرى، كانت تشاهد تركيبات فائقة الإتقان والدقة مكونة من كتل خشبية مثبتة بواسطة حبال مستوردة من "حلفا". وكان صدى المدقات يتناغم مع صوت تربيع وتقصيب القواعد الحجرية: التى ترفع، بعد ذلك بواسطة جرارات فوق منحدرات رملية قائمة بامتداد الجدران الجارى بناؤها.

## فى أعماق صحراء كوبان ... بئر لإرواء ظمأ عمال المناجم

أهم الأخبار التى تلقاها الفرعون، فى هذا العام الثالث من حكمه كانت من "وزير الخزانة الملكية" (وكان قد عين فى العام الثانى)، ويدعى "بنيت"؛ بخصوص مناجم الذهب. ولاريب مطلقا، أن مصر، فى ذاك الحين، كانت تمر بفترة ثراء وفخامة هائلين. وكذلك كانت مناجم الذهب الواقعة على مقربة من "وادى الحمامات"، ما بين "إدفو" والبحر الأحمر، تدر حصيلة وافرة للغاية من هذا المعدن النفيس. وقد تحقق ذلك خاصة، بفضل تحسين أحوال الإمداد بالمياه الصالحة للشرب: وكان "سيتى الأول"، قد حقق ذلك؛ من خلال أحد الآبار فى قلب تلك المنطقة الصحراوية القاحلة. بل وحاول، فيما بعد؛ ولكن دون جدوى التنقيب عن المياه الجوفية فى النوبة السفلى، "بوادى العلاقى"، المؤدى إلى مناجم ذهبية أخرى.

على بعد حوالى مائة وعشرين كيلو متراً جنوب أسوان، كان هذا الوادى يحظى بحماية قلعة حصينة منيعة: تألقت أهميتها وفعاليتها منذ "الدولة الوسطى". وفيما بعد،

شيد تحتمس الثالث، هذا المحارب الباسل معبد حورس – باكى[١١] (كوبان): إنه أحد المظاهر الإلهيـة الأربعة لحورس النوبى، مع تجلياته الأخرى فى "ميعام" (عنيبة)، و"بوهين" (وادى حلفا)، و"أبو سمبل" (محا): حيث كان رمسيس المؤله يجسد حورس المحلى[١٢]. ومرة أخرى، ها هو "أوسر ماعت رع" يحاول التطابق مع أمجاد وانتصارات الفرعون المقاتل المنتصر تحتمس الثالث: فقرر أن يترك هو أيضا بصماته الشخصية فى هذا الموقع. وكان المعبد الذى شيده تحتمس الثالث، قائما على ضفة النيل اليسرى: وهنا، قام رمسيس ببناء معبد جديد فى قلب الساحة المحصنة المنيعة على الضفة اليمنى للنهر: حيث اكتشفت أطلاله فيما بعد .. لاشك إذن، أنه أراد إكمال مسيرة أسلافه وأجداده العظام. بل رغب أيضا فى التفوق على مفاخر وانتصارات أبيه .. فهو الابن الإلهى المفضل .. وبالتالى، قادر على التحكم فى المقدر!!

يتبين، أن "سيتى" قد تعمق فى أعمال الحفر إلى مائة وعشرين ذراعًا؛ ولكنه، على ما يبدو، قد اضطر للتوقف فى أعمال التنقيب هذه. والآن، ها هو نائب "أوسر ماعت رع" يقترح على هذا الملك المكلل بالعناية الإلهية أن يعيد، من جانبه تلك المحاولات الماضية. وأكد له، أن النجاح سوف يكون حليفه. وقد عثر خلال القرن التاسع عشر على مقربة من قرية كوبان، غير بعيد عن قلعة "باكى" الحصينة بالطريق الصحراوى القاحل الرهيب المؤدى إلى مناجم الذهب: على لوحة ذات أهمية قصوى[١٤].. فقد احتفظت لنا، حتى الآن، بنص ذى فائدة كبرى من عدة جوانب. وحقيقة أن هذا السرد، هو بمثابة شاهد إثبات على حدث فائق الأهمية على مستوى التاريخ الاقتصادى فى حكم رمسيس. ولكنه، مع ذلك، يقدم لنا أيضا نموذجا جليا وواضحًا عن المغالاة الفائقة فى عبارات التقريظ والمديح الموجهة للفرعون؛ بل يتبين إلى أى مدى يمكن أن تصل مظاهر وكلمات التملق والتزلف!

وفى هذا الصدد، وبالرغم من أن استعمال عبارات التفخيم والإجلال كانت سائدة إبان "الدولة الحديثة" فى إطار النصوص الملكية المقرظة المادحة .. نجد أن رمسيس الثانى هو الفائز الأول فى هذا المجال بلا جدال!!

## لوحة كوبان

من خلال عبارات منتقاه، استطاع الفرعون الرجوع إلى موضوعه المفضل، ألا وهو: الإشادة بنبوغه الفذ المبكر؛ وأيضا تحديد وذكر تعليقات وتنويهات كبار رجال حاشيته فى هذا الصدد. وأخيرا، تكشفنا أيضا أحد العناصر التى يميل إلى الاستعانة بها من خلال "حملة الدعاية الخاصة به" هذه .. أن يصور نفسه فى هيئة إنسان مكلل بالعناية الإلهية .. أو بالأحرى .. إنسان المعجزات! .. وربما أن أبيه "سيتى" قد عجز عن استكشاف المياه فى عمق يزيد عن مائة وعشرين ذراعًا. أما هو، رمسيس، فإنه بمجرد الالتفات إلى هذه المعضلة .. فسرعان ما تراءى حلها، وعلى أحسن وجه!.. عموما، لندعه يتحدث بنفسه؛ فلا شك أن حديثه هذا، سوف يبين، ما بين سطوره، عن بعض الأحداث المهمة، أو عن "بانوراما" (إذا صح التعبير) الإدارة الملكية. ولا ريب أن "لوحة كوبان"، تعد فعلا بمثابة المثال النموذجى الفريد، فى إطار الأدب التقريظى والسياسى فى أوائل حكم بطلنا العظيم هذا.

"(الفرعون القوى البأس يقدم نفسه بنفسه) فى العام الثالث من الحكم فى الشهر الأول من الفصل الثانى (البرت: الشتاء)، اليوم الرابع، تحت هيمنة جلالة حورس، الثور الفائق القوة، من تفضله "ماعت"، المنبثق من كيان "الربتين"، حامى حمى مصر، الذى يجعل البلدان الأجنبية تنحنى أمامه، حورس الذهبى، المفعم بالسنوات المديدة، العظيم بانتصاراته، ملك مصر العليا والسفلى "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، ابن الشمس رمسيس، المفضل لدى آمون.

.. الذى يتجلى فوق عرش حورس فى دنيا الأحياء، مثل أبيه رع، كل يوم. الإله المجسد، سيد مناطق الجنوب، حورس إدفو، ذو الريش المتلألئ، الصقر الرائع الذى قُد من الإلكتروم. إنه يزود عن مصر ويحميها بجناحه، ويوفر الظلال للبشر، وكأنه جدار حامٍ جسور منتصر .. إنه يجسد "الإله المزدوج" (حورس وست معًا)، الذى اعتبر يوم مولده مناسبة فرح وسرور فى السماوات العليا. وقد أعلنت الأرباب

جميعا: إنه يحمل نطفتنا بداخله!.. وأضافت الإلهات: لقد تولد من داخلنا لكي يمارس ملكية رع .. إنه الثور الكاسر في مواجهة بلد كوش - الخسيس؛ إنه يسحق المتمردين في أقصى بلاد السود. إن نعليه تزلزل كيان سكان الكهوف .. إن الرعب الذي يسببه قد وصل مداه إلى بلاد "كارويّ". واسمه قد ذاع صيته بين البلدان، لما حققه من انتصارات. والذهب يخرج من حنايا الجبل عند سماعه اسمه، وهكذا كان الأمر بالنسبة لأبيه أيضا. إنه "حورس" سيد "باكي" (كوبان)، الذي يحظى بمشاعر الحب في بلاد الجنوب، كمثل "حورس" في بلاد "ميعام"[١٥]، ورب "بوهن" (وادي حلفا)[١٦] ..".

## أحد مشاريع الفرعون

" في أثناء وجود "جلالته" في منف (حت كا بتاح)، مؤديا للطقوس من أجل آبائه وجميع من انبعثوا من أراضي الجنوب والشمال، خاصة أنه كان يتلقى منهم القوة والانتصار، وعمراً مديداً يقدر بملايين السنين ... في يوم ما، وقد جلس جلالته فوق عرشه العظيم المصاغ من الإلكتروم، وهو يتجلى بالتاج الذي ترتفع على جانبيه الريشتان؛ ويقوم بإحصاء المناطق التي تدر الذهب، ويضع تخطيطات من أجل حفر بعض الآبار في طريق معدوم تماما من المياه. وكان قد سمع من قبل بوجود كميات ضخمة من الذهب في منطقة "أكاييتا"، حيث يفتقر الطريق إلى الماء تماما.. إن نصف مجموعة الأفراد القائمين بتنقية الذهب هم الذين كانوا يرجعون منها، ضمن كل من كانوا يتوجهون إليها!!.. لقد كانوا يموتون عطشا وهم في طريقهم إليها، ومعهم حميرهم التي يسوقونها أمامهم. وسواء في الذهاب أو الإياب، فإنهم، لا يجدون مطلقا ما يملئون به قربهم .. ولذلك، لم يكن في الإمكان إحضار الذهب من تلك المنطقة، بسبب نقص المياه".

## رمسيس يستدعى أمراء البلاط الملكى

"عندئذ، أصدر جلالته أمره إلى حامل الختم الملكى الماثل بجواره: قم باستدعاء أمراء البلاط الملكى، فإن جلالتى يريد التشاور معهم، بخصوص تلك المنطقة، ليقرر كيفية اتخاذ الإجراءات اللازمة". وعلى الفور، سمح لهم بالمثول أمام الإله المجسد، وهم يرفعون أيديهم عاليا تبجيلا وإجلالا لـ"كا" الخاصة به؛ ويهتفون له ويخرون راكعين أرضا، أمام طلعته البهية. أخذ (الفرعون) يشرح لهم طبيعة ذاك البلد. كما استمع لآرائهم بخصوص افتتاح أحد الآبار فى المكان المشار إليه آنفا".

## إجابة أمراء البلاط الملكى

قالوا أمام جلالته: إنك تماثل رع فى كل ما تنجزه. فإنك إذا رغبت فى شىء ما خلال الليل، فسرعان ما يشرق الصباح. فلقد أحطنا علما بعدد كبير من المعجزات منذ أن توجت ملكا على عرش القطرين .. إن كل ما يخرج من فمك، يتماثل بعبارات حورآختى. إن لسانك لشبيه بكفتى الميزان. إن شفتيك أكثر دقة من الميزان الدقيق للغاية الخاص بتحوت[17] .. ما هو المكان الذى لم تطرقه؟!.. لا يوجد بلد ما لم تصل إليه. وكل شىء يصل إلى أذنيك منذ أن مارست السلطة على أرض مصر .. كنت فى الماضى تضع المشاريع والخطط وأنت مازلت فى البيضة، وتقوم بدورك كوريث للملك[18]. لقد وضعت تحت إمرتك شئون "القطرين"، وأنت طفل صغير؛ قد تدلت خصلة الشعر[19] على جانب وجهك. ولم يشيد أى نصب أو منشأ إلا من خلال سطوتك ونفوذك .. لقد تبوأت مرتبة القائد الأعلى للجيش حينما كنت صبيا يافعًا لا يتعدى عمره عشر سنوات!.. إنك إذا قلت للماء: اخرج من ثنايا الجبل!.. فسرعان ما ينهمر المد بعد كلماتك هذه .. فأنت رع المجسد وخبرى فى هيئته الفعلية. إن المذاق فى فمك؛ والذكاء بقلبك. ومقر لسانك هو معبد ماعت. والإله يستقر فوق شفتيك .. إنك باقٍ إلى الأبد. ووفقا لما تريده، سوف تنفذ أوامرك، وكل ما تقوله، يُنصت إليه .. أيا فرعون، مليكنا!".

## مقابلة نائب الملك فى النوبة

"فيما يتعلق ببلاد "أكاييتا"، تحدث نائب الملك فى مملكة كوش الخسيئة، قائلا لجلالة الفرعون: إن هذا الذى وقع يرجع إلى عصر الإله. فهناك، كان البشر يقضون نحبهم من شدة الظمأ. ولذلك، رغب كل من الملوك الأوائل فى حفر بئر هناك[٢٠]، ولكن، لم تكلل جهودهم بالنجاح. وكذلك الأمر، بالنسبة للملك مين ماعت رع (سيتى الأول)، مر هو الآخر بنفس تلك التجربة:حيث أصدر أوامره، خلال فترة حكمه بحفر بئر لا يقل عمقه عن مائة وعشرين ذراعًا[٢١].. ولكن، لم يجدِ ذلك نفعا، فلم تنبثق فى ذاك الطريق أية قطرة ماء!!.. ولكن، بالنسبة لك، فإنك إذا طلبت من أبيك "حابى" رب الآلهة: اجعل المياه تنساب من بين جنبات الجبل، فسوف يمتثل امتثالا تاما لكل ما تقول؛ كمثل كافة المشاريع التى قدمت إلينا، فإن آباءك، جميع الآلهة، يحبونك، أكثر من حبهم لأى ملك وجد قبل رع!".

## وسر ماعت رع يقرر حفر البئر

"قال جلالته للأمراء: كم هو صائب ما ذكرتموه؛ فمن المعروف أن المياه لم توجد أبدا بهذا البلد، منذ عهد الإله!.. سوف أحفر بئرا، هنا، ليوفر الماء، يوميا، مثلما هو الحال فى وادى النيل.

وجه جلالته كلامه لرئيس الكتبة الملكيين: فلتجعل الشهر وكأنه يوم واحد. عندئذ، قام رئيس الكتبة الملكيين بتحرير رسالة إلى نائب الملك فى البلد الخسيس، كوش، وفقا لما حدد له .. [ هل عساها المياه الكامنة فى البلد السفلى سوف تنصت إليه؟.. وعندئذ، استهل حفر البئر..]"

## خطاب من نائب الملك فى بلد كوش الخسيس للفرعون

"أحضر المراسلون خطابا موجها من نائب الملك فى مدينة كوش الخسيئة، يقول: ها قد اكتمل حفر البئر. إن ما ذكره جلالته قد تحقق: لقد اندفعت المياه من عمق يصل إلى اثنتى عشر ذراعًا[٢٢]، وأربعة أذرع عمقا. إن ذلك لم يحدث أبدا منذ عصر الإله .. لقد أفعم قلب زعيم أكاييتا بالسرور الفائق .. فإن المياه القائمة فى العالم السفلي قد سمعته يحفر للعثور على المياه فى جوف الجبل".

## تعميـد البئر

"أمر الملك بإضفاء اسم على هذا البئر. وهكذا، سمى: بئر رمسيس مريت آمون، القوى بانتصاراته".

وربما علينا التوصل إلى معرفة المبرر الذى جعل الفرعون يخلع على هذا البئر المعجزة اسم "مولده" الشخصى، وليس اسم تتويجه!!

ثم ها هى معجزة أخرى!.. ولكنها، تتعلق بوقتنا المعاصر: عندما وزعت المواقع، على الدول التى هبت لتلبية نداء إنقاذ النوبة (قبل أن تغرقها مياه السد العالى) للقيام بتنقيباتهم: وقع اختيار زملائنا الروس على منطقة "وادى العلاقى"، وموقع "أكاييتا": واختتمت أبحاثهم باكتشاف آثار ذاك البئر الشهير، حيث ما زال يحمل اسمه هذا: خنمت رمسيس مرى آمون قن ناخت[٢٣].

استدعت الضرورة العمل على إثراء كنوز "آمون"؛ وذلك من خلال مضاعفة إنتاج مناجم الذهب فى النوبة. ولكن، على ما يبدو، كان هناك واعز آخر يدفع "أوسر ماعت رع" لتحقيق ذلك. فمثله كمثل أسلافه، محررى مصر العظام، كان يتحتم عليه تطوير وتنمية الجيش.. حيث انبثق منه هو شخصيا. وجد الفرعون أن منح الأراضى والمكافآت الذهبية، لاشك سوف يوفر له أفضل ضمان لإخلاص المحيطين به. وكذلك،

فإن الكثير من الفرق العسكرية الأجنبية المنبت، والمرتزقة الليبيين، والشرادنة، والنبالين النوبيين الأوفياء، كانوا يكونون أغلبية فيالق الجيش الكبرى.

## المعركة السورية الأولى

في العام الرابع من حكمه، كان "أوسر ماعت رع" قد ناهز عامه التاسع والعشرين. وها هي رسائل "رجال مخابرات" الملك ("الأذن"!) في منطقة الشرق الأدنى، وقد جمعها معا "وزيره الأعلى"، تتفق على: أن ملك "عمورو"، المدعو "بنتشيما"، منذ أن أبرمت المعاهدة بين "سيتي الأول" وملك الحيثيين، "مواتالي"، لا يخشى أي عمل عسكري من جانب مصر؛ لتيقنه بأنه يحظى بتعضيد ومساندة حاميه وراعيه القوي الحيثي البعيد عنه: وبدا، حينئذ، الوقت مناسبا للغاية، للعمل على استعادة هذه المقاطعة؛ والتأهب أيضا لمحاصرة مدينة "قادش": فإن رمسيس لم يقتنع أبدا بالتخلي عنها .. فهي إحدى أملاك مصر منذ عهد تحتمس الثالث.

إنها تقع على ضفاف نهر العاصي، قريبة جدا من جنوب شرق نهر الكلب. ولا ريب، أنها بمثابة موقع إستراتيجي فائق الأهمية، بشمال – شرق جبيل. ولذلك، انطلق "أوسر ماعت رع"، على رأس جيشه، نحو سوريا، خلال صيف ١٢٧٥ قبل الميلاد؛ مجهزا لمجابهاته ضد الحيثيين(٢٤) في "الأناضول" ("خاتي" أو "خيتا")؛ وكانوا ما زالوا يمثلون تهديدا لمصر؛ بل إنهم، تمكنوا من قبل، من الاستحواذ على بعض المدن السورية الخاضعة لحماية الفرعون.

عبر رمسيس "كنعان"؛ مارا بغزة، وتقدم بمحاذاة "عسقلان"؛ وغادر "مجدو" الواقعة شرقا، بالداخل، ثم وصل إلى "صور" على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وصعد في اتجاه جبيل. وتجدر الملاحظة أن كل من هذه المدن كانت تتضمن حاميات مصرية(٢٥)؛ وهكذا يسرت له مراحل تقدمه. ولاشك، أنه استولى أيضا على إرقاتا ، حيث يصب نهر الكلب في البحر. بعدئذ، تقدم متوغلا ناحية الشرق في أراضي

"عمورو": وتمكن، بكل سهولة من دحر وهزيمة ملكها "بنتشيما"، الذى، على ما يعتقد كان قد بوغت وفوجئ بهذا الهجوم الشديد الخاطف كالبرق .. وسرعان ما تحول إلى تابع موالٍ لمصر!!.. ولكنه، فى الحين ذاته، كان يخفى علاقاته مع سيده السابق ملك الحيثيين؛ معبرا له عن ولائه الذى لا يخلو من الخسة والدناءة.

ها هو "أوسر ماعت رع" قد مهد الطريق أمامه؛ بل وفرض الجزى والضرائب على مدينة "بنتشيما" وأيقن تماما من صواب وسلامة إستراتيجيته؛ ورجع آفلا عبر طرق "فينيقيا". وفى جبيل، غير بعيد من المدينة التى كان قد أسسها من قبل عند مروره بهذه المنطقة وأطلق عليها هى الأخرى اسم: "بر - رمسيس" (بوادى الأرز)، أقام لوحة تذكارية إحياء لانتصاراته، على مقربة من "نهر الكلب": فى العام الرابع، فى الشهر الثالث من "الآخت" (فصل الفيضان) فى اليوم الثانى. بل ونصب الفرعون أيضا، تمجيدا لنصره الباهر، لوحتين أخريين: منهما واحدة على مقربة من "صور"؛ ومما يؤسف له حقا، أن النصوص المسجلة عليهما قد لحقها ضرر بالغ.

## الاستعداد لمعركة سوريا الثانية

قبيل مغادرته "عمورو"، وخلال إعداده لحملته العسكرية المقبلة، قام رمسيس بمعاونة إحدى فرقه المحاربة المكونة من جنود جدد فائقى الإعداد رفيعى مستوى التدريب، وهم من النياريين لاستعادة مركز قيادتهم فى منطقة إرقاتا. وكانوا، أساسا، مكلفين بلقاء جيشه عند قدومه لمجابهة الحيثيين.

بعد مغادرته لمصر بحوالى ستين يوما، ها هو رمسيس يعاود مروره أمام حصن "ثارو" (القنطرة)، قبل وصوله إلى مقره الرسمى على ضفاف "مياه رع" المتألقة اخضرارا وازدهارا. لقد أزمع أن يكرس حوالى خمسة أشهر - أى ما بين الشهر الثالث من فصل "الآخت" (الفيضان) فى العام الرابع من حكمه، والشهر الثانى من "الشمو" (الصيف)، حيث الجو الحار فى أوجه - للإعداد والتجهيز لشن حملته

الكبرى: من أجل إعادة غزو ومواجهة الحيثيين .. ولاشك أنه كان يضطرم تأججا وحماسا لتحقيق رغبته هذه!

وعن زوجتيه الملكيتين المعظمتين، نفرتارى وإيزيس نفرت، وكذلك الملكة الأم "توى" المعظمة وقد أفعمت فخرا واعتزازا بهذا الابن الذى سلك ظافرا منتصرا على نفس نهج أبيه؛ وأيضا سيدات البلاط الملكى الجميلات الفاتنات والأبناء الملكيين، فقد توجهوا جميعا، إبان فضل الفيضان إلى "الفيوم" حيث أملاك الحريم الملكى الكبير. وقطعا، طراوة بحيرة قارون (مى - ور)، ومباهج صيد الطيور، والأسماك، والنزهات الطويلة المدى، على متن السفن النيلية، وممارسة مختلف الرياضات فى الهواء الطلق، وسباقات العربات بالنسبة للأمراء الشباب، حيث يتدربون على إطلاق السهام، كانت كلها بمثابة فرصة مفضلة للاسترخاء .. لا تتاح كثيرا فى إطار البلاط الملكى!.. وغالبا ما كان الأمراء يقومون بزيارة حقول الكروم، المختلفة تماما عن نظيرتها فى الدلتا؛ ويشاهدون أماكن عصر العنب، التى تنتج عصيرا ذهبى التألق من أجل إعداد نبيذ مسكر. وبالنسبة للأميرات الصغيرات، فكن يتدربن على أعمال النسج والغزل فى المشاغل الملكية، التى تديرها وتهيمن عليها الملكة الأم المعظمة. وغالبا، كانت هذه الأماكن تقدم منتجاتها الرائعة البديعة من الثياب لأفراد العائلة المالكة. بل وتوفر أيضا مصنوعات نفيسة قيمة من الأقمشة الهفهافة الفائقة الرقة، التى تقدم غالبا لملوك البلاد الأجنبية. وكذلك، استدعى الأمر تأهب بعض أفراد العائلة الملكية، للانضمام للحملة العسكرية الكبرى المزمع انطلاقها: فلاشك أن رمسيس يود كثيرا تواجد العديد منهم حوله حتى يمتعوا أنظارهم بهذا المشهد الذى لا ينسى أبدا .. هزيمة أعداء مصر!

لقد أحيط الفرعون علما، أن أعداءه، لكى يقاتلونه، قد هبوا لتكوين - تحالفا ضخما مع الدول المتحدة معهم أو الخاضعة لهم. وهكذا، أعدوا، لمجابهته، جيشا هائلا ضخما، متنافرا ومتباين التكوين، غير منظم تمام التنظيم. ومع ذلك، فإن نواته الصلبة، الواضح تنظيمها بدقة تامة، هى كتيبة المركبات الحربية الخاصة بالحيثيين. ولابد من أن زعيمهم "مواتالى" قد استعان بكافة موارده المالية، لكى يحقق تلك التحفة

العسكرية الفعلية المكونة من مقاتلين متعددى الأصول والأعراق. كما بينت المعلومات السرية التى تلقاها "أوسر ماعت رع" عن أن معسكر العدو يتكون من جيشين هائلى الضخامة: كل منهما لا يقل عدد جنوده عن عشرين ألفًا. وعن كتائب الفرسان الحيثين، فهى تزيد عن ألفين وخمسمائة مركبة حربية!!

ولكن، بالنسبة له هو شخصيا، رمسيس فرعون مصر العظيم، ما هو مدى قواه ومقدرته؟!.. وهل عساه يستطيع حقا، فى خلال بضعة أشهر، أن يكون قادرا على مجابهة مثل هذا التحالف الرهيب؟!!.. يبدو جليا واضحا .. أن رمسيس كان متيقنًا تماما من ذلك. بل وواثقا كل الثقة.

## الجيش المصرى خلال الأسرة التاسعة عشرة

لقد أجمع المهتمون بتاريخ الجيش المصرى أنه قد أفصح تماما عن أسلوب تكوينه وتنظيمه. ومع ذلك فلم يعرف حتى الآن، سوى القدر اليسير من فنونه وأساليبه الحربية .. أى تكتيكاته. ولا جدال مطلقا، أن "أوسر ماعت رع"، كان يحظى فى تلك الحقبة بجيش محترف ماهر وعلى أعلى درجات التدريب والتأهيل. وخلاف ذلك، اعتبر جنوده كموظفين "معينين يتلقون رواتب محددة". وكان هناك أيضا "المشرف الأعلى على الكتبة العسكريين": ومهمته تنحصر فى تسجيل المعدات والعتاد العسكرى أمام جلالة الفرعون، وتنظيم الأفواج الجديدة من الجند المستجدين، والإهابة بكل جندى أن يلتزم بواجبه فى إطار كتيبته[٢٧] بأكملها. وحول الفرعون، أى: "القائد الأعلى للجيش"، كانت تصطف "هيئة أركان الحرب": إنها تتكون من كبار القادة، سواء كانوا ينحدرون من منبت ملكى، أو من خلصاء الملك وحاشيته المؤهلين البارعين، ثم بعض كبار الضباط ذوى الرتب الشرفية.

منذ أن دخلت أرض مصر أنماط الأقواس المركبة؛ وكذلك الجياد، فى أواخر احتلال الهكسوس، أصبح رماة الرمح وسائقو العربات الحربية المصريين يثيرون

الرعب والهلع فى نفوس الأعداء. كان ضباط العربات العسكرية ينتمون إلى طبقة الأمراء والنبلاء. وكان البعض منهم يرتدون خوذات ودروعًا لحماية جذوعهم. ويتحتم على المقاتلين المستجدين المسلحين بتلك الأسلحة المتحركة، شراء مركباتهم. ولاشك أن تدريباتهم وتأهيلاتهم كانت تتسم بالصرامة والصلابة المتناهية. وكانوا يؤدون مناوراتهم العسكرية تحت قيادة "القائم مقام الأعلى لكتيبة العربات" وكبار "المشرفين على إسطبلات الخيول" (الثكنات العسكرية تسمى: حظائر الخيول).

## الفيالق الأربعة بجيش المشاة

ربما أن "سيتى – مين ماعت رع"، خلال حروبه فى سوريا، لم يستعن إلا بثلاثة فيالق فقط من جيشه، هى: "فيلق رع"، والثانى الخاص "بآمون"، ثم الثالث الذى يحمل اسم "ست". ومع ذلك، فها هى بعض الدلائل، التى ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة، جاءت بالسرد الخاص بمعركة "مجدو" إبان حكم تحتمس الثالث، تفصح عن أن الفرعون، كان يقود أربعة فيالق. وعن رمسيس الثانى "أوسر ماعت رع"، فإنه، قطعا، كان يهيمن بالفعل على أربعة فيالق: تكون القوى اللازمة للحملات التى نظمت لشن معركة استعادة مدينة "قادش". وتتكون كل من فيالق المشاة الأربعة هذه من خمسة آلاف جندى. وعن الفرق التى تكونت من أهالى شمال الدلتا، فكان شعارها الإله "ست". وبالنسبة للفيلق المتمركز بالطرف الجنوبى من الدلتا، فإن لواءه يحمل رمز "رع". وفرقة "بتاح"، تكونت من الجنود الجدد فى منطقة "منف". وأخيرا، نجد أن طيبة، قدمت، من جانبها "فرقة آمون": التى كانت تتأهب دائما للتحرك فى اتجاه "النوبة العليا" (السودان).

كل من هذه الفرق كانت تخضع "لقائد أعلى". وتتضمن فى نطاقها، فرقا أصغر حجما يبلغ عدد أفراد كل واحدة؛ مائتين وخمسين جنديا؛ يقودها "قائد أعلى يرأس فيالق الحملة" التى تحمل راية الفيلق: متميزة خاصة بها. ويتبين أن هذا العلم[٢٩] كان

يميزها عن بعضها بعضا، من خلال رمز يومئ أساسا إلى صفاتها ومميزاتها الخاصة ("الأسد المهاجم"؛ المدجج بالسلاح، أو "من يحبه آمون"، إلخ.. إلخ). كما تنقسم الفرقة الصغيرة بدورها إلى خمسة أقسام، بكل منها خمسون جنديا: ويهيمن على كل قسم ضابط يحمل رتبة "قائد الخمسين". وتجدر الإشارة إلى أن الالتحاق بمختلف الفرق العسكرية كان يتم من خلال طلب رسمي (ينشر) من جانب المختصين في كل مقاطعة. وعادة ما يضاف إلى المعينين الجدد حوالى "عُشر" عدد أفراد العاملين بالمعابد!!.. ولم يكن ذلك أمر مستساغ بين عامة الشعب[٣٠].

## الإشراف الإدارى، وإعداد الجند

بدا الإشراف الإدارى، وقتئذ، على أكمل وجه؛ ويقع غالبا تحت نفوذ أحد كبار الموظفين المدنيين. وقد زود كل فيلق أو فرقة بكاتب مكلف بشئون عدد الجند وحجم الجيش؛ وبآخر مسئول عن التموين والتزود. ولاريب أنهم كانوا يختارون من أكثر طبقات المجتمع رفعة وقدرا. ويساندهم فى عملهم هذا عشرون كاتبًا عسكريا: يتركز عمل كل منهم فى سد متطلبات واحتياجات مائتين وخمسين مجندا؛ بل هم مسئولون أيضا، عن إعداد ومؤن الجيش. وربما أن هذا المثال الآتى الذى يقدمه بعض الكتبة، والذى يعبر عن موضوع توزيع الطعام[٣١] ما بين جنود إحدى المعارك العسكرية فى سوريا؛ يفصح لنا عن ضخامة نسبة الجنود المرتزقة الأجانب المعينين بالفيالق والفرق. وها نحن نرى أن الوحدة التكتيكية تتكون من:

"الجنود المصريون الماثلون أمامك، عددهم ١٩٠٠ وخلاف ذلك، يوجد ٥٢٠ من الشرادنة[٣٢]، و ١٦٠٠ القهق[٣٣]، و ١٠٠ من الماشواش[٣٤]، و ٨٨٠ من السود ومجموعهم ٥٠٠٠، دون أن يضاف إليهم ضباطهم".

ولعلنا لاحظنا أن الـ ١٩٠٠ جندى مصرى، يقابلهم ٣١٠٠ من المرتزقة لإكمال حجم الفيلق أو الفرقة .. أى ما يعادل حوالى ثلثى العدد الكلى!!

## الجنـود .. تتحرك

كانت كتـائب المشاة تتحرك فى هيئة صفوف منتظمة. وهم يرتدون دروعا مستطيلة الشكل (ولكن الشرادنة دروعهم مستديرة الهيئة) وخوذات. بالقطع، إنهم ليسوا بكتائب هجومية. فهم لا يسلحون بأسلحة فتاكة، وكل ما لديهم: خناجر، وفئوس، وبلط، وحراب صغيرة. ولكن، على خلافهم، نجد أن النبالين ورماة الرماح يشكلون كيانا على أرفع مستوى من الفاعلية والإنجاز: يتكون من عدة كتائب. وهم يقاتلون بواسطة القوس المركب المدمر الآثار إلى أقصى مدى: إنه فائق المقدرة على الإصابة من بعد يتراوح ما بين خمسين أو ستين مترا! وقد يصيب هدفه من حوالى مائة وخمس وسبعين مترا!.. وربما قد ينجح أبطالهم البارزين من إصابة هدفهم الذى يصل مداه إلى خمسمائة مترا!!

أما عن كتيبة العربات، فهى تتكون من عدة أقسام: بكل منها خمسون عربة حربية؛ وبدوره، يتضمن كل قسم خمسة وحدات تكتيكية؛ بكل وحدة: عشرة عربات[٣٣]. وتستوعب كل مركبة من هذه المركبات: سائقا، ومحاربا. وعادة، يتم الهجوم فى هيئة صفوف متتالية؛ ولاشك أن قوته وفعاليته تكمن فى عامل السرعة الخاطفة، وليس فى التسلح. وغالبا تتطابق رتبة ضباط العربات، بالألقاب المعاصرة الحالية: "ميجور" أو "كولونيل".

## الترسانة، ومراكز الدعم والمساعدة

تضمنت "منف"، فى كافة أطرافها وتخومها[٣٦]، ترسانات لصناعة المركبات الحربية وصيانتها. فى ذاك الحين، كانت المنشآت والمراكز العسكرية التى دعم بها رمسيس موقفه، والتى كان قد استهلها جزئيا "سيتى الأول"؛ تمتد على جانبى الطريق المؤدى إلى الاتجاه الشرقى: خاصة، أن مصر، فى تلك الآونة أيضا، كانت هدفا لتهديد وخطر جديد من جانب الحيثيين. فبداية، ها هو مركز تسلح، قد أقيم بقلب

قلعة "ثارو"، بأعالى منطقة "القنطرة"، عند حدود شرق الدلتا: إنه بمثابة حصن حدودى لمصر على الطريق المؤدى إلى آسيا وكان يتولى حمايته "القائد الأعلى لكتيبة المركبات الحربية" و"مراسل الملك بالبلاد الأجنبية" (هذه الوظيفة الأخيرة من أرفع وأسمى المراتب شأنا فى إطار الجيش المصرى[٣٧].

ويلاحظ أن كافة الحملات المتوجهة ناحية "الشرق"، كانت الضرورة تقتضيها، إجباريا عبور حدود مصر من ذاك الموقع المشار إليه آنفا؛ وتمر به أيضا عند رجوعها. وإذا توغلنا قليلا ناحية الجنوب، سوف يطالعنا "وادى طميلات": إنه الممر الذى يسلكه الآسيويون نحو مصر – قادمون من شمال سيناء. وفى هذا الموقع ذاته، أقيمت قلعة ثكو[٣٨] المصرية: إنها بمثابة "القيادة العامة" الأمنية المكلفة بمراقبة قبائل البدو الوافدين إلى "الدلتا" لرعى قطعان أغنامهم ومواشيهم. على مدى حوالى مائة وستين كيلومترًا ؛ فى إثر المعارك التى شنها "سيتى الأول"، زود الطريق المؤدى من "الدلتا" إلى "غزة"، بما لا يقل عن اثنتى عشر مركزا محصنا لحماية الآبار المائية. وتخضع أهم هذه المواقع الإستراتيجية لمسئولية ضابط يحمل رتبة "قائد الكتيبة". وخلال الأسرة الثامنة عشرة، تمركزت بعض الحاميات العسكرية المصرية على مقربة من الساحل، فى جبيل وصور. وفى أواخر هذه الأسرة نفسها، ثبتت حامية فى "القدس" بغرض حماية جبال "جودى". وكذلك الأمر بالنسبة "للجليل"؛ فقد استقبلت هى أيضا مقرا صغيرا للحراسة من أجل مراقبة القوافل المتجهة إلى الأردن. وتجدر الملاحظة أن قوات المراقبة والحراسة بتلك الحاميات، ربما قد تطول إقامتها بمراكزها هذه، حتى ست سنوات متتالية .. وقد يعد ذلك، كنوع من العقوبات!

كان هناك أيضا نمط من "القيادات العليا" أو مقار "أركان حرب". وتعتبر "غزة" كأوضح مثال على ذلك: حيث امتدت فعاليتها وإشعاعها حتى مدينة "أسدرالون[٣٩]". كما أصبح "وادى البقاع" الواقع فى شمال دمشق بمثابة "قيادة عليا" مصرية. ومن أجل تموين الفرق العسكرية، واعتبرت "يافا" مركزًا مهما لتخزين الغلال. وبها أيضا، فى عهد الملوك الرعامسة، أقيم مخزن لحفظ المركبات العسكرية. وأخيرا، كانت قلعة "مجدو" هى المسئولة عن محصول وادى أسدرالون.

وطبيعى جدا، أن كافة عناصر الجيش، خلال الحملات الحربية، كانت تتجمع فيما بينها. وحينئذ، كان على مختلف البلدان المحتلة أن توفر لها الاحتياجات الغذائية للجنود والعلف اللازم لجياد العربات، وغيرها من الدواب والحيوانات .. وأهمها أسد الفرعون المستأنس! وعند رجوعهم إلى أرض مصر، كان جنود مختلف الكتائب، يوزعون على مواقع ثكناتهم، ثم منازلهم.

## التأهب لحملة سوريا الثانية

فى العام الخامس من حكمه، كان "أوسر ماعت رع" يزهو بقوة بأس جيشه الذى ازداد على ما يبدو، حرفية وجسارة: فها هو الملك إذن، وقد ناهز عامه الثلاثين يتأهب لعبور مدينة "كنعان" للوصول إلى الحيثيين فى "عمورو".

لاريب أن مشاغله العسكرية، لم تكن لتعوقه أبدا عن حسن إدارة شئون بلده. وبذا، فوفقا لالتماس وزيره "باسر"، استهل، "جلالته" الاحتفال بتعيين "رعموزا"، الأديب المثقف، "كاتبا" أعلى فى "موقع الحقيقة" (أى: "ست ماعت": دير المدينة حاليا). وهكذا دعمت الشئون الإدارية المتعلقة بالجبانات الملكية السامية القدر الواقعة بغرب طيبة.

فى ذاك الحين، كان رمسيس على وشك أن يشن معركة، اعتبرت، حتى يومنا هذا، أول معركة كبرى فى إطار العصور القديمة كلها. بل إن التعليقات والتأويلات بصددها، ومعظمها ذكرها "أوسر ماعت رع" شخصيا، قد احتفظت لنا بمعلومات تاريخية مباشرة: سواء كتابة أو تصويرا. ولعلنا نعلم، أن تحتمس العظيم، الذى احتفظ رمسيس الثانى دائما بذكرى انتصاراته ومفاخره، كان يزهو هو أيضا بأنه قد جابه أحد زعماء "قادش"، الذى كان قد حاول التحصن فى مدينة "مجدو(٤٠)" بشمال جبل كرمل وشرق وادى أسدرالون. وفى واقع الأمر، كما بين "لويس كريستوف": لم تقم معركة، بكل معنى الكلمة فى "مجدو". ففى نهاية صولات وجولات ومناورات باهرة

من جانب تحتمس الثالث، وقرار أعدائه فى تشتت وارتباك بالغ، تمكن هذا الفرعون من احتلال القلعة طوال سبعة أشهر كاملة. ولم يتم أسر أمير "قادش" وزعيمها .. بل تمكن من الانسحاب دون أى مساس بهيبته كمحارب!

ولكن، وبكل تأكيد أن المواجهة ما بين الجيش المصرى والتحالف الذى كونه الحيثيون ، بالفعل أول معركة عظمى فى تاريخ مصر القديمة.

## الفصل السابع

# معركة قادش

ترى، لماذا اكتسبت هذه المواجهة ما بين جيوش الفرعون رمسيس وكونفيدرالية الحيثيين أهمية قصوى؟!

كان الأمر يتعلق بمقدرة أى من الملكين، "مواتالى"، أو "أوسر ماعت رع - ستب إن رع" على جعل وطنه يتبوأ المكانة العليا فائقة النفوذ والقوة: فيما بين "دجلة والفرات" والبحر الأبيض المتوسط. حتى يكون مالكا فى قبضة يده كافة مقاليد التبادلات التجارية .. وبالتالى، يرتقى قمة أعظم قوة عالمية فى ذاك العصر!

بداية من الأسرة الثامنة عشرة، حاول الفراعنة بكل ما فى وسعهم، أن يتمركزوا ويثبتوا وجودهم، رغما عن مقاومة الميتانيين، فى وادى نهر العاصى وخاصة فى قلعة "قادش" (حاليا: تل نبى متد) التى تسيطر على موقع العبور نحو نهر "الفرات". وربما أن خطر الميتانيين وتهديدهم قد تلاشى قبيل عصر الرعامسة: حيث استتبت قواعد السلام، خاصة من خلال زيجات بعض الملوك الفراعنة - ومنهم أمنحتب الثالث - بأميرات من مدينة "هانيجالبات[١]". ووقتئذ، أصبحت هذه المنطقة تحت إدارة وإشراف حكام مصريين مكلفين بوجه خاص، بتوفير شىء من التناغم والتناسق فيما بين الأمراء المحليين المتعددين: الذين يسددون بصفة دورية ضرائبهم للبلاط الملكى الفرعونى.

ولكن سرعان ما تفسخ إلى حد ما، هذا التنظيم: فإن مصر، إبان عهد "أخناتون"، لم تكن تحكم قبضتها تماما على قواعدها الآسيوية. وهكذا، انتهازا

لفرصة هذا التداعى والتخاذل الواضح، حاول "الحيثيون"، وهم بعيدون تماما عن مصر، أن يجدوا لأنفسهم مكانا مرموقا، فى منطقة "الشرق الأدنى"، المتأججة دائما بالنزاعات والخلافات: المكونة أساسا من أعداد هائلة من الولايات المتفرقة. وهكذا، بدت عملية إخضاعها ميسرة للغاية؛ الواحدة فى إثر الأخرى:

"إن أمراءها عديمو الذمة والأمانة، يفتقرون إلى أى رؤى سياسية شاملة. يغار كل منهم من الآخر لما يتمتع به من استقلال وامتيازات وهمية. لقد فضلوا الإقرار بسيادة فرعون ناء بعيد عنهم أو ملك من الحيثيين، على مقاتلة كل منهما، واختيار أحد أمرائهم يخضعهم لسيطرته وجبروته[٢]".

إذن، والحال هكذا، تمكن إمبراطور الحيثيين المدعو "سوبيلوليوما"،المعاصر للفرعون حورمحب، من الاستيلاء، بكل سهولة على سوريا وعمورو. ولم يجد أى معارضة أو مجابهة من الميتانيين. ولكن مصر جابهت ذلك فى "وادى البقاع". ولاريب أنها، فى تلك الحقبة، لم تكن قادرة بعد ذلك على مواجهة تقدم الحيثيين الرهيب نحو حدودها. ولكن، لحسن الحظ، وفجأة، توفى "سوبيلوليوما"!. ومرة أخرى، أصبحت نقطة الارتطام الإستراتيجية بين القوتين الجديدتين العظميين، المصرية والحيثية فى تخوم مدينة قادش!.. وها هى فرصة مواتية أخرى: أن خليفة "سوبيلوليوما"، ويدعى "مورسيل"، كان على ما يبدو يكن بعض المشاعر الجميلة تجاه مصر!

ربما أن القلاقل الواضحة، منذ بداية عهد "سيتى الأول"، كانت تنجم خاصة من "الشاسو": إنهم شراذم من البدو الذين يغيرون على الطريق الواقع ما بين "القنطرة" و"غزة"، ويخضع لمراقبة مصرية عسكرية. بل وتمكنوا أيضا من الاستيلاء على بعض القلاع المسئولة عن أمن وأمان الطريق. ولكن، ها هو "سيتى الأول" قد نجح فى طردهم منها[٣]. ومع ذلك، فعند اختراقه "لكنعان"، اضطر لمجابهة من جانب الحيثيين: وقبل أن يتم الاتفاق الفعلى بين الطرفين، نجح "سيتى الأول"، بفطنته وذكائه، فى أن يصارع كلا من هاتين الجبهتين كلا على حدة. وهكذا، تمكن من السيطرة على جزء كبير من الأراضى الفلسطينية: لقد أرسل "فيلق آمون" لمقاتلة

حماس" زعيم "الجليل". وكذلك، انتصرت كتيبة "رع" على جحافل "بيشان". وأخيرا، سحقت "فرقة ست" شرانم ينوان.

إذن، على ما يعتقد، عمل "سيتى الأول" على كشف خبايا وأجواء تلك الحروب الآسيوية أمام ابنه الصغير رمسيس[٤] (لا يستبعد أبدا أنه توغل حتى أراضى صور، أو ربما فى "أوجاريت". وبعد وفاة أخناتون، يبدو أن ملك "نخمت" قد تزوج من أميرة عمارنية!)

كما اضطر "سيتى الأول" أيضا، وبنجاح باهر، من دحر إحدى ثورات "العابيرو" (سنتحدث عنهم لاحقا): إنهم مجرد سكان جبال بمنطقة يارموت وترقا إل[٦]. وهكذا؟، وجد الفرعون أن فلسطين وكنعان لا تشكلان له أية مشكلة. ولكن، بعد فترة وجيزة، وجد "سيتى" نفسه مضطرا للعودة إلى "وادى نهر العاصى". وفى بلاد "خاتى"، كان "مواتالى" قد خلف "مورسيل الثانى" على العرش. وانطلق محاربا سيتى الذى سرعان ما أحرز نصرا فائقا فى "قادش". وهكذا تم الاستيلاء عليها للمرة الثانية، بعد عهد تحتمس الثالث؛ بفضل شجاعة المصريين. وتبين أن المدعو "بنتشيما"، ملك "عمورو"، قد أقر بسيادة الفرعون وسلطته. ومع ذلك، فسرعان ما وقعت "قادش" ثانيا بين براثن "مواتاى". كما أسر الحيثيين "بنتشيما" الدنىء المخادع!

ففى بداية حكم رمسيس الثانى، كان "مواتالى" الذى يناهزه فى العمر مازال متربعا فوق عرش "خاتى". ومن منطلق عاصمته "بوغازكوى"، تبين له أنه أكثر قربا من "أوسر ماعت رع – ستب إن رع" من المناطق التى سوف تدور فى نطاقها ثانيا المعارك الحربية. وبالتالى كان يمكنه أن يصدر أراء صائبة فائقة التحديد بخصوص مواقع الالتحام والتقاتل. ولاشك أن ذلك قد عاد عليه بتفوق ملحوظ على فرعون مصر.

وربما أن "مواتالى"، لكى يخمد تيقظ رمسيس وقوة انتباهه، خلال المعركة الأولى التى شنها هذا الأخير فى سوريا، لم يشارك فى مقاتلته أو مجابهته: حتى يوهم هذا

الفرعون بأنه لا يأبه مطلقا بتطلعاته وأهدافه. وهكذا، وجد الوقت الكافى، لكى يتمكن، سواء بواسطة التهديد أو الرشوة"، من استقطاب وتعاون ما يزيد عن عشرين ولاية صغيرة بآسيا الصغرى وشمال سوريا!!

والآن، ها هى معركة حتمية ولا مفر منها قد اندلعت ما بين المملكتين العظميين؛ وقد تربعت كل منهما فوق أعلى قمم بأسها وعنفوانها[٧]. ولاشك أن كل من الغريمين، كان يتوثب ويتطلع إلى خوض هذا الصراع العسكرى الهائل: لاريب أنه أثرى وغمر بالمعلومات "دفاتر محفوظات كل من هاتين البلدين. ويمكننا، حتى يومنا هذا، الاطلاع عليها كاملة من خلال الوثائق المصرية القديمة فقط. ولكن، مما يؤسف له، أنه لم يعثر عليها بعد فى "الأناضول": بخلاف رسالة واحدة باللغة المسمارية بعثها رمسيس إلى "هاتوسيل الثالث[٨]". بالجانب المصرى، يلاحظ أن رمسيس قد أصدر أوامره بأن تكون النشرة التاريخية، المحررة فى هيئة تقرير وقائعى عسكرى الأسلوب، مسجلة بداخل معابده الرئيسية. وقد عثر بالفعل على عدة نماذج لها فوق جدران معابده الخمسة: فى أبيدوس، والأقصر، والرمسيوم؛ وفى معبدين آخرين بالنوبة، وبالمعبد الكبير فى أبو سمبل، وأخرى فى منطقة الدر[٩]. وقد زودت هذه النشرة الإخبارية[١٠] (إذا جاز التعبير) بنقوش غائرة مصورة لمراحل المعركة، على مساحات مترامية الأطراف: حيث يزخر التكوين الفنى الهائل الضخامة بمشاهد تمثل صراع المحاربين ومفاخر وانتصارات رمسيس: إنه قطعا استحداث فعلى وواقعى فى إطار الأسلوب الفنى التصويرى التقليدى القديم. حيث كانت المشاهد، توزع دائما، منذ العصور الغابرة فى هيئة صفوف زخرفية؛ لتحليل وتنفيذ، جميع مراحل القتال[١١].

وقد زود هذا التصوير المبتكر المستحدث الخاص بالمعركة الحربية، بالنسبة للمعابد الأربعة القائمة بالعاصمة، بسرد مستقل، مسهب للغاية (بالرغم من إيجازه الواضح فيما يتعلق ببعض التفاصيل المهمة!)، ذى اتجاه أدبى واضح المعالم. وعلى ما يبدو، أن "أوسر ماعت رع – ستب إن رع" شخصيا، هو الذى أملاه فى العام التاسع

من حكمه على أحد كتبته المدعو "بنتاؤور". وحقيقة أن معبد أبو سمبل الضخم، قد سجلت على جدرانه نسخة مختصرة للغاية ومعبرة عن تلك "النشرة الإخبارية". ومع ذلك، فهو لا يتضمن النص الأدبي. وحاليا، مازالت ثلاث برديات تحتفظ لنا بذكرى هذا النص الذى خطه "بنتاؤور[١٢]" (وفقا لما أملاه له الفرعون).

إذن، ما دامت المستندات متوافرة، يمكننا الآن التحدث عن ذاك الحدث التاريخى الذى عاشه رمسيس. وربما أن الضرورة تحتم، أن نترك المجال لـ "أوسر ماعت رع - ستب إن رع" نفسه. بل علينا أيضا أن نسجل اللحظات المميزة المختارة التى أراد هذا الفرعون إبرازها وإلقاء الضوء عليها. أو على عكس ذلك، تلك التى أراد التغاضى عنها وعدم ذكرها.

## معركة قادش الثالثة[١٣]، كما جاءت بملحمة بنتاؤور

"هنا يستهل انتصار ملك مصر العليا والسفلى، أوسر ماعت رع - ستب إن رع، ابن رع، رمسيس مرى آمون .. حيث أحرزه فى بلاد "خاتى[١٤]"، و"نهارينا[١٥]"، وبأراضى إرثو[١٦]، و بيداسا[١٧]، وأيضا منطقة "داردانى[١٨]"، وبقاع "كشكش[١٩]"، وبلاد "ماسا[٢٠]"، وأراضى "قرقيشا[٢١]" و"لوكا[٢٢]"، وقرقميش[٢٣]، وقدى [٢٤]، وكافة مناطق نوخاشش[٢٥]، وقادش[٢٦]، وأوجاريت[٢٧]، وموشانيت[٢٨]، (ألف: لم تذكر[٢٦]) .. كان جلالته سيداً متألقًا شبابا .. متوقداً حمية وحماسا .. أعضاؤه فائقة القوة .. قلبه بالغ الفتوة والنشاط .. شدته وعنفوانه تضارع تلك التى يتجلى بها "مونتو" .. يتمتع بمظهر متكامل كمثل آتوم .. تبتهج الأنفس وتُسر لرؤية جماله ووسامته .. إنه يسمو ويعلو بانتصاراته .. ولم يكن أحد يعلم باللحظة التى سيخوض فيها القتال .. كان بمثابة الجدار المتين لرجال جيشه .. بل هو درعهم عند القتال، إنه نبال ورامى حراب لا مثيل له أبدا. إنه أكثر جسارة من مئات الأفراد متجمعين .. وكأنه نيران فى لحظة اضطرامها .. إن مليون رجل يعجزون عن الوقوف فى مواجهته .. الخوف لم يعرف إليه سبيلا؛ وكأنه أسد كاسر فى وادى ضوارى الصحراء .. إنه لا يتحدث كأى

متباهٍ مزهو بنفسه[٣٠].. لقد أنقذ جيشه فى يوم القتال .. وأرجع جميع تابعيه إلى مأواهم، وأغاث جنود المشاة .. إن قلبه ليضارع جبلا من النحاس".

## انطلاق الجيش

"عندما أتم جلالته إعداد فرق مشاته، وكتائب عرباته، والجنود الشرادنة الأسرى الذين كان جلالته قد عاد بهم بعد انتصاراته بقوة ذراعه؛ وعهد إليهم بخطة المعركة، ها هو جلالته ينطلق متوجها نحو الشمال، وقد صحبته فيالق مشاته ومركباته الحربية .. وكان انطلاقه مؤرخا بالعام الخامس، فى ثانى أشهر فصل الصيف (أواخر مايو)، فى اليوم التاسع".

"عبر جلالته حدود قلعة "ثارو"، مفعما بقوة البأس كمثل مونتو عند تجليه. إن كافة البلاد الأجنبية قد ارتجفت رعبا عند مواجهة جلالته. وسارع زعمائهم إلى تقديم غنائمهم. أخذ الجيش يمر بالطرق الجبلية الضيقة، وكأنه يتوجه إلى مصر".

## من ثارو إلى قادش

"بعد مرور بضعة أيام، وصل جلالته إلى "بر- رمسيس مرى آمون"، القائمة فى وادى الأرز. ومضى جلالته فى طريقه نحو الشمال، وكأنه "مونتو" رب "طيبة"، وعبر نهر العاصى[٣١]، ومعه "كتيبة آمون" الأولى، التى منحت النصر لـ "أوسر ماعت رع - ستب إن رع"".

## تحالف زعيم قادش المهزم

وصل جلالته عند مدينة قادش، فى حين كان الخسيس المنهزم زعيم قادش قد جاء وجمع كافة البلاد الأجنبية حتى أقصى أطراف البحر.

"ها قـد اندفـعت كـافـة أقطار "خـاتى"، ونهـارينا، وأرض أرزاو، و"داردانى"، وكشكـش، وماسـا، وبيـداسـا، وأويـن، وقـرقـيشـا، ولوكـا، وقيـزوّوادنا (كـودى)، وقرقميش، وأوجاريت، وكادى، وكل قطر نوخاشاشى، وموشانت، وقادش. إنه لم يدع أى بلد من البلاد يمتنع عن ذلك، حتى الأكثر بعدا؛ فإن زعمائهم قد تحالفوا معه. إن كل فرد بمصاحبة فرق مشاته وعرباته، قد فاق أية حدود. ها هم يندفعون فى جنبات الجبال والوديان. إنهم كمثل الجراد، بسبب أعدادهم الهائلة.

ولكنه كان يفتقر إلى المال الذى يمكن أن يحصل عليه من أملاكه ليمنحه للبلاد الأجنبية؛ حتى يجيئوا للقتال معه.

## موقع الجيش المصرى

"الآن، هاهو الدنىء المنهزم زعيم "خاتى"، بصحبة الكثير من الأمم الأجنبية، قد تجمعوا معا، وتأهبوا بشمال - شرق مدينة قادش. أما جلالته، فقد كان منفردا وحيدا، بمصاحبة أتباعه. وكانت كتيبة آمون تسير وراءه. وعن كتيبة رع، فقد عبرت المعبر القائم عند التخوم الجنوبية لمدينة "شبتونا[٣٣]"، على بعد حوالى ٥ , ١٠ كم[٣٤]، من موقع تمركز جلالته. وبالنسبة لكتيبة "بتاح"، فهى بجنوب مدينة "أروناما". وكانت "فرقة ست" تسير بمحاذاة الطريق. (بالإضافة لذلك)، كان جلالته قد نظم قوته الضاربة[٣٥]. لقد تكتلوا عند ضفة مدينة "عمورو".

## هجوم الآسيويين

"ولكن المنهزم النذل، زعيم خاتى، كان يتوسط جيشه المرافق له؛ ولكنه لم يتقدم للقتال، لهلعه من جلالته. ومع ذلك، فقد أطلق رجالا وعربات تفوق كثرتهم الوصف، وكأنهم (حبات) رمال. إن كل عربة[٣٦] من العربات كانت تتضمن على متنها ثلاثة

رجال، مدججين بالسلاح وبمعدات. لقد تجمعوا معا لكى يختبئوا خلف مدينة قادش؛ والآن، ها هم يندفعون من ناحية جنوب قادش، ويقطعون جيش رع من وسطه، فى أثناء تقدمه. فلم يجد مكانا يستعد فيه للمهاجمة والقتال. ولذلك، فقد، تشتت وتفرقت كتائب مشاة ومركبات جلالته، فى حين أن جلالته كان فى شمال مدينة قادش، على الضفة الغربية لنهر "العاصى". واندفع البعض لإخبار جلالته بالهجوم!

"عندئذ، تجلى جلالته، بكل جلاله وعظمته كمثل أبيه مونتو. وارتدى على ظهره لوازم المعركة، ولبس مشدة[٣٧]. كان يتطابق تماما مع "بعل". إن العربة الكبرى التى استقلها جلالته، هى: "النصر فى طيبة[٣٨]"، إنها من مقتنيات الإسطبل الهائل الخاص بـ"أوسر ماعت رع – ستب إن رع"، المفضل لدى آمون".

## الصدام

"هنا، انطلق عدوًا بكل قوته واخترق زمرة المنهزمين من أهالى خاتى: كان وحيدا منفردا تماما، لا يجاوره أحد مطلقا[٣٩]. وأخذ جلالته يلتفت حوله، وتبين أن ألفين وخمسمائة مركبة تحيط به، مكونة من أحسن وأمهر مقاتلى مهزومى خاتى والكثير من المناطق المتحالفة معه، كمثل: أرزوا وماسا وبيداسا؛ وقد استقل كل ثلاثة رجال من رجالهم، عربة للمقاتلة. فى حين لم يتراءى أى ضابط كبير بمصاحبتى، ولا راكبو العربات، ولا جنود الجيش المشاة، ولا لابسو الدروع؛ لقد تشتت وتفرقت فرق مشاتى ومركباتى أمامهم، ولم يبق واحد لمقاتلتهم"!

## اللجوء لآمون

"فى هذه اللحظة التى لم يرى خلالها أى منفذ ومنقذ بشرى، اتجه نحو الذات الإلهية الذى يقود كتيبتها. ولقد حذا حذوه الكثير من الملوك اللاحقين ..

هل يقتضى دور الأب تجاهل ابنه؟!.. هل عساى أخطأت فى حقك؟!.. إننى لم أعارض أبدا ما أمرتنى به!.. آمون.. ألا تبالى بهؤلاء الآسيويين الأنذال الجاهلين لحقيقة الإله؟!.. ألم أشيد من أجلك العديد من النصب، وملأت معبدك بغنائمى؟.. ألم أبنى لك بيت ملايين السنين الخاص بى؟.. لقد أهديت لك كافة البلدان معا لإثراء قرابينك.. وعملت على تكريس أضحيات لك مكونة من عشرة آلاف رأس ماشية وكافة أنواع الأعشاب العطرية .. وأقمت لك صروحا هائلة، حيث قمت شخصيا، برفع سارياتها، وأحضرت لك عدة مسلات من إلفنتين. بل لقد قمت بدور قالع الحجارة، وقدت من أجلك سفنا عبر الأخضر الفسيح المدى[٤٠]، لكى أجلب لك منتجات من البلاد الأجنبية .. إذن، أسدى صنيعا طيبا لمن يلتجئ إليك!".

## تلبية النداء

"لقد التجأت إليك، أيا أبى آمون، وأنا فى خضم آلاف مؤلفة لا أعرفهم مطلقا. لقد تكتلت جميع البلاد الأجنبية ضدى .. وأنا بمفردى .. لا أحد بجانبى .. لقد تخلت عنى كتيبة مشاتى الهائلة العدد. ولم يحاول أحد من راكبى العربات ملاقاتى!.. ولم أتوقف أبدا عن مناداتهم، فلم يسمعنى أحد منهم".

ولكن، فجأة، تراءى لرمسيس أن آمون قد أنصت إليه. وهنا، نجد أن التماسه قد تغيرت لهجته: فقد أصبح أكثر انتعاشا وثقة بنفسه، وكأنه قد حظى بالعناية الإلهية. فهتف جزلاناً:

"لقد تبينت أن آمون أكثر فائدة من آلاف الجنود المشاة، ومن مئات الآلاف من راكبى العربات؛ بل من عشرات الآلاف من الإخوة والأبناء الذين يجمعهم قلب واحد!.. أيا آمون، إننى لم أصرف نظرى عن إرادتك. انظر، لقد ابتهلت إليك عند تخوم البلاد الأجنبية، فوصل صوتى إلى جنوب مدينة هليوبوليس[٤٤]. لقد وجدت آمون عندما استدعيته .. ها هو ينادينى من خلفى، وكأننا واقفان وجها لوجه: "إننى معك، فأنا

أبوك، ويدى ترافقك، إننى أكثر نفعا وفائدة من مئات الآلاف من البشر. إننى رب الانتصار".

سمع رمسيس رسالة آمون، واطمئن بوجود الحماية الإلهية؛ فتأكد أن معجزة ما قد تمت لتوها.

## المعجـزة

"وجدت ثانيا أن قلبى قد أصبح قويا. وشعرت بالبهجة تغمر قلبى .. لقد أصبحت مثل "مونتو". وها أنا أطلق رماحى وسهامى يمينا وأقتنص الأسرى على يسارى، وأمام أعينهم، بدوت وكأننى ست فى أرض المعركة. وشاهدت الألفين وخمسائة مركبة، التى كانت تحيط بى، تنهار أمام عربتى الحربية. لم يكن أحد منهم يملك يداً ليقاتلنى بها: لقد تداعت ووهنت أذرعهم جميعا .. أصبحوا عاجزين عن إطلاق السهام .. وغدو غير راغبين فى الإمساك بحرابهم! وأغطستهم فى الماء كما تغطس التماسيح .. وبذرت الموت فى شرازمهم، كما يحلو لى .. ومن كان منهم يسقط أرضا .. فلا يمكنه القيام أبدا".

## هجـوم المدافعين الحيثيين

ولكن زعيم "خاتى" الدنىء كان يقف فى وسط كتيبة مشاته ومركباته؛ وهو ينظر إلى قتال جلالته، منفردا تماما، بدون أى مشاة أو مركبات .. وسارع (زعيم "خاتى") إلى استدعاء الكثير من الزعماء، وقد دعم كل منهم بعرباته المجهزة بأسلحتهم الحربية. إنهم: زعيم أرزاوا، وحاكم لوكا، و داندانى، ورئيس قرقميش، ورئيس قارشيشو وحلب، وإخوته مجتمعين معا فى مكان محدد. إجماليا، بلغ مجموع مركباتهم ألف مركبة؛ اندفعت جميعها فى لهيب النيران. كنت مجابها لهم، وكأننى

مونتو، وأرغمتهم على أن يذوقوا مدى قوة قبضتى؛ ففى لحظة واحدة، جعلتهم أشلاء متناثرة؛ حيث أصبتهم فى نفس موقعهم. وها هو أحدهم، ينادى زميله، قائلا: "إنه ليس بشرا هذا الماثل أمامنا؛ بل هو ست الفائق البأس، إنه بعل، مجسدا!.. فلنولى الأدبار أمامه، ولننقذ أرواحنا، حتى نستطيع التنفس بعد ذلك. انظروا، إن من يجرؤ على الاقتراب منه، فإن يديه وكل أعضاءه يصيبها الوهن؛ ويصبح عاجزا عن الإمساك بقوسه أو رماحه..

أخذ جلالته يطاردهم وكأنه عنقاء كاسرة. كنت أصرعهم، ولا أتوقف عن ذلك أبدا!"

## رمسيس يلقى خطبة أمام جيشه

"رفعت صوتى، مناديا أفراد جيشى، قائلا: فلتصمدوا تماما!.. ارتقوا بقلوبكم عاليا، أيا رجال جيشى؛ ولتتأملوا انتصارى!.. بمفردى، لأن آمون يحمينى ويرعانى"

ولكن، يلاحظ هنا أن رمسيس قد نسى أنه يسرد تفاصيل معركته، وأنه مازال فى حومة القتال. وهكذا، انتهز هذه الفرصة لكى يوجه لأفراد جيشه هذا الوعظ والتأنيب الذى يستحقونه؛ ووجد اللحظة مناسبة لكى يبين عن تسامحه وكرمه إزائهم؛ قال:

"أيا رجال مركباتى، إن قلوبكم لمليئة بالجبن والنذالة!.. لا يوجد بينكم من هو جدير بالثقة والأمانة. هل يوجد أحد بينكم، لم أقدم له صنيعا طيبا؟!.. ألم أبدو كسيد فعلى وأنتم فقراء معدمين: وجعلتكم ضباطا رفيعى القدر بكامل رغبتى وإرادتى. وفى كل يوم، كنت أعمل على تولى الابن إدارة أملاك أبيه. ومحوت كل شر وأذى فى نطاق هذا البلد. بل إننى قد حررت عبيدكم وخدمكم، ومنحتكم آخرين كنتم قد أوقعتموهم أسرى. وجعلتكم تسكنون بمدنكم، دون فرض أية التزامات وضرائب. وكذلك الأمر أيضا بالنسبة لرجال مركباتى. فقد أرسلتهم إلى قراهم، قائلا: "سوف أجدهم كما هو

الحال اليوم فى لحظة نزولى إلى حومة المعركة" .. ولكن انظروا!.. لم يبق رجل واحد منكم ليمد لى يد المساعدة وأنا أقاتل .. إن الجرم الذى ارتكبته كل كتائب مشاتى ومركباتى لأكثر هولا مما يقال!!".

"التفتوا، لقد وهبنى آمون النصر، فى حين أن كافة كتائب المشاة والمركبات لم تكن بجانبى .. كنت وحيدا منفردا، لم يتبعنى أى ضابط رفيع الرتبة؛ ولا قائد مركبة، أو جندى من جنود جيشى؛ أو أى قائد. إن البلاد الأجنبية التى راقبتنى، سوف تردد اسمى إلى أبعد مدى تصل إليه المناطق النائية المجهولة!.. إن كل من كانوا يسددون (الهدف) فى اتجاهى، كانت سهامهم تطيش وتضل عند لحظة الوصول إلىّ .

## الجيش يتجمع بالمعسكر

"فيما بعد، عندما تبينت كتائب مشاتى وفيالق مركباتى، بأنى تمثلت بمونتو، وأن ذراعى كان فائق القوة، وأن آمون أبى، كان معى، وساعدنى على أن أحول البلاد الأجنبية إلى أشلاء؛ عندئذ، بدأ الجنود يعودون إلى المعسكر لتمضية الليل، عندما جاء المساء. وهنا، وجدوا جميع البلدان الأجنبية التى اقتحمتها، غارقة فى دمائها، حتى المقاتلين الشجعان بمدينة خاتى، بل وأيضا: أبناء وإخوة زعمائهم.."

## الجيش يمجد ويقرظ رمسيس

"هنا، أخذ جيشى يوجه إلىّ مديحه وتمجيده .. وبدا كبار ضباطى يعظمون من قوة ذراعى، وكذلك، كتائب مركباتى الفخورة بجلالة صيتى، تصرح قائلة: يا له من مقاتل باسل يبهج القلب وينعشه!.. لقد أنقذت جنود مشاتك ومركباتك!.. إنك ابن آمون .. لقد اجتحت بلاد خاتى بشدة بأس ذراعك .. ها هو ملك يقاتل من أجل جيشه، فى يوم المعركة!! إنك لجليل مهيب بانتصاراتك بوجود جيشك، وأمام البلد بأثرها ..

فلا تتباهى وتتفاخر، وأنت تحمى مصر وترعاها وتخضع البلاد الأجنبية. لقد هشمت ظهر خاتى إلى الأبد!".

## إجابـة رمسيس

"هكذا، تحدث جلالته لفرق مشاته، وكبار ضباطه، وأيضا كتائب عرباته: ألا يتعاظم الإنسان فى مدينته عند رجوعه، وقد حذا حذو الشجعان أمام إلهه؟!.. أم تتحققون، فى أعماق قلوبكم، بأننى جدار حديدى؟!.. ماذا عساهم الخلق سيقولون، عندما يسمعون بأنكم تخليتم عنى، بمفردى، لا أحد معى، ولم يهب إلىَّ أى من كبار الضباط، أو القادة أو جندى واحد ليمد إلىَّ يد المعاونة، وأنا أخوض القتال؟".

"لقد هزمت ملايين البلاد الأجنبية، بمفردى (مع) جياد عربتى: النصر فى طيبة، "وموت" راضية أيا جيادى العظام. فعندهم وجدت التدعيم والمساعدة وأنا وحيد، أقاتل العديد من البلاد الأجنبية. سوف أستمر، أنا شخصيا بإطعامهم غذاءهم، فى حضرتى، يوميا، عند تواجدى بقصرى. هاهم من وجدتهم معى فى حومة المعركة بصحبة مدرب جيادى "مننا"، وأحد وصفاء قصرى: كانوا بجانبى؛ إنهم شهودى فيما يتعلق بالقتال..".

## اليوم التالى للمعركة

عندما تحولت الأرض إلى اللون الأبيض ثانيا، قمت باستعراض صفوف الجيش تأهبا للمعركة. كنت مستعدا للقتال وكأننى ثور كاسر ضارى .. كنت أخترق الصفوف وأحارب كما ينقض الصقر (على فريسته). ومن كانت فوق جبهتى صرعت أعدائى .. لقد تطابقت مع رع وهو يتجلى فى عظمته عند مشرق الصباح؛ وأخذت إشعاعاتى تحرق أجساد المتمردين؛ فها هو أحدهم يصيح فى زميله: استعد، خذ حذرك، لا تقترب

منه ! انظر!.. إن سخمت القوية ترافقه .. وإذا حاول أحدهم الاقتراب منها، فإن نفثاتها النارية سوف تحرق جسمه..".

## مواتالي يلتمس الهدنة

"في أثناء ذلك، أرسل زعيم "خاتي" الدنيء (رسالة) يعبر من خلالها عن احترامه وتبجيله لاسمي الذي يماثل اسم "رع". وقال: "إنك "ست"، و"بعل" مجسدا. إن ما تثيره من رعب وهلع هو بمثابة شعلة نيران على أرضي خاتي". وحينئذ، استدعى مبعوثيه ليحملوا رسالة تسلم باليد، باسم "جلالته" المعظم؛ موجها تحياته لجلالته بمقر "رع حورآختي"، الثور الضاري، من تحبه ماعت، الملك الذي يدافع عن جيشه .. الجدار الواقي لجنوده في يوم الصراع، ملك مصر العليا والسفلى "أوسر ماعت رع - ستب إن رع"، ابن رع، الليث، النبيل ذو الذراع الفعال، "رمسيس مري آمون"، مُتع بالحياة الأبدية:

"ها هو خادمك يتحدث ويعمل على إعلام الجميع بأنك ابن رع، المنبثق من جسده. لقد أغدق عليك كافة الأراضي، مجتمعة معا في مكان واحد. أما عن مصر و"خاتي"، فهما ملك لك، إنهما أسفل قدميك. فإن أباك الرفيع القدر، قد وهبها لك .. انظر، إن سطوتك لعارمة، وقوتك لشديدة الوطء على بلاد "خاتي". لقد أحسنت بصرعك لخدمك وعبيدك(٤٣)، وقد التفت نحوهم بوجهك الضاري الكاسر؛ ولم تأخذك بهم أية رحمة!.. انتبه، لقد أمضيت طوال أمس، في قتل مئات الآلاف. ها أنت قد حضرت اليوم، ولم تترك على قيد الحياة أي وريث(٤٤). لا تكن فظا غليظ القلب، في ممارساتك، أيها الملك المنتصر!!

فإن السلام لأفضل من القتال .. فامنحنا فرصة الحياة!".

## رد رمسيس

عندئذ، توخى جلالتى الرحمة والعفو، مثلى كمثل "مونتو" فى زمانه، عندما أحرز النصر فى معركته. بعد ذلك، أمرت جلالتى باستدعاء جميع قادة كتائب مشاتى، ومركباتى، وكافة كبار ضباطى؛ فى مكان واحد، لكى ألقى على مسامعهم مضمون ما كتب لى. وعمد جلالتى إلى أسماعهم تلك العبارات التى كتبها إلىَّ زعيم خاتى النذل القبيح. وهنا، قالوا جميعا فى صوت واحد: "إن السلام لأمر طيب للغاية، أيا مليكنا وسيدنا!.. لا غبار أبدا فى عقد اتفاقية مصالحة، إذا أبرمتها؛ فمن ذا الذى سيجابهك فى يوم غضبك الجامح؟!".

## العودة إلى مصر

"هنا، أمرت جلالتى بإسماع تلك العبارات. ثم قمت بالتقهقر سلميا نحو الجنوب. وعاد جلالتى، بسلام إلى مصر بمصاحبة كتائب مشاته وعرباته، متع بالحياة، والاستقرار والسيادة .. إن سطوة جلالته، تضفى بحمايتها على جيشه. وكافة البلاد الأجنبية تردد مديحها وتقريظها لوجهه الوسيم.

"بوصوله إلى مصر بسلام فى "بر رمسيس" – المفضل – لدى آمون – المعظم – بالنصر؛ مكث فى قصر معيشته وسلطته، كمثل رع فى أفقه. وها هم آلهة بلده يفدون إليه. إنهم يهنئونه، ويقولون: مرحبا بك أيا ابننا المحبوب، ملك مصر العليا والسفلى، أوسر ماعت رع – ستب إن رع، ابن رع، رمسيس مريت آمون.

"وأنعموا عليه بملايين أعياد السد، إلى الأبد فوق عرش رع. وكافة الأراضى وجميع البلاد الأجنبية خرت ساجدة تحت نعليه إلى أبد الدهر، ومالا نهاية".

فى إطار هذا السرد، تتراءى بكل وضوح عبارات الإطناب الفائق الممتزجة بمشاعر الغم والضيق لدى قائد عظيم وجد أن معظم كتائب جيشه قد تخلت عنه وولت الأدبار هاربة: ولكنه، بالرغم من ذلك، كان قوى العزم ومصمم على هزيمة أعدائه. ثم تتابع بعد ذلك نشوة النصر، مع شىء من المرارة أيضا. إن رمسيس هو الذى أملى هذا النص على كاتبه الخاص المدعو بنتاؤور، بعد مضى حوالى أربع سنوات من هذه المعركة غير المألوفة. وعلى ما يبدو، أن الفقرات المؤلمة المحبطة، قد محيت، عن عمد من هذا السرد. فلا ريب أن أوسر ماعت رع ستب إن رع كان على يقين أنها لا تدعم مجده وانتصاراته المعهودة: فهى، فى واقع الأمر، لن تعبر إلا عن عدم حرصه وقلة تبصره. ومع ذلك، فها هو الفرعون فور رجوعه إلى مصر يصدر أوامره لبعض رجاله المقربين، الذين شاهدوا الأحداث العسكرية السالفة الذكر؛ وضمن هذه الشخصيات: حجابه، ورئيس حظائر جياده مننا؛ بأن يكتبوا وصفا للمراحل القتالية الأساسية. وكذلك، أن يوحوا بها للفنانين المكلفين بتصوير تلك المعركة الفائقة للمألوف. بل هى الأولى، فى التاريخ المصرى القديم، التى يمكن، من خلالها تتبع التكتيك المطبق بأجوائها، ومعرفة تنظيم وأحوال كل من الجيشين المتجابهين[٤٥]. وبالفعل، فإن "التقرير" العسكرى الذى أُرخ بأول أيام المواجهة قد وضعه شهود عسكريون، عاشوا فعلا تلك الساعات المأساوية. عموما، إن النص يبدو معتدلا، ومقتضبا، وممتزجا ببعض التعليقات والتنويهات المصورة التى تومئ إلى أحداث واقعية فعلية.

ولذلك، فاعتمادا على تلك المستندات القريبة من الواقع، يمكننا محاولة إعادة وضع الخطوط الرئيسية لموقعة قادش: بحيث ندمج بها الأحداث الموجعة الأليمة التى أُغفل ذكرها قصدا فى إطار الملحمة.

## الجيش ينطلق نحو المعركة

فوق عربته الحربية التى يجرها عدد من أحسن جياده المفضلة بالحظائر الملكية الكبرى والمسماة: النصر فى طيبة، و"موت الراضية"، ها هو يغادر عاصمته: إنه يقود كتائبه الأربع نحو "عمورو". ها هو الفرعون يتقدم "كتيبة آمون"، ويليه كبار ضباطه وقد أحاطوا بالوتد الضخم ذى رأس الكبش، شعار هذه الكتيبة الأولى، وقد ثبت تثبيتا قويا فوق أول العربات. ويتبين أن الألفين وخمسمائة جندى المكونين لهذه الكتيبة يتبعون مليكهم مباشرة. ويرى الفرعون وقد أحاط به جميع حجابه، أى أفراد معيته ومعهم الشرادنة، حرسه الخاص. أما "الوزير الأعلى" (ربما المسئول عن "الشمال"؟)، والذى لم يحدد اسمه هنا مطلقا، فهو موجود أيضا، ومعه الضباط القادة: ولم تذكر أسماؤهم كذلك!.. وقطعا، شارك أعضاء عائلة الملك فى هذه الحملة العسكرية: إنهم كبار أبنائه، من زوجتيه الملكيتين المعظمتين: وقد سجلت أسماؤهم فوق مختلف قوائم "التقرير" .. ويلاحظ أنه، فى لحظة مهاجمة معسكر الأعداء، أشير إلى اسم إحدى زوجتيه الملكيتين المعظمتين: إنها "موت نفرت": وربما أن كاتب "التقرير" قد خلط ما بين اسمها وذاك الخاص باسم "إيزيس نفرت"، الزوجة الثانوية المعظمة؟!.. عموما، وعلى ما يبدو، أن "موت نفرت" هذه كانت ضمن نساء "حريم الأسفار"، والمفضلة لدى الفرعون ضمن زوجاته الثانويات. فإن النص يحدد هنا بكل وضوح قائلا: "يجب أن ينحى جانبا جميع الأبناء الملكيين، وأبناء "موت نفرت".

فى إثر "كتيبة آمون"، ترى تلك الخاصة بـ"رع" (أو "با رع")؛ ثم من بعدها: "فرقة بتاح". وأخيرا، يختتم فيلق "ست" هذا العرض العسكرى اللانهائى.

ووفقا للتواريخ المحددة تحديدا دقيقا، يتبين أن هذا الكيان العسكرى الضخم، قد قضى أياما متتالية لا تقل عن شهر كامل لكى يصل إلى تخوم مدينة "قادش". أى أنه تحرك فى اليوم التاسع من ثانى أشهر الصيف (الشمو)، فى العام الخامس من الحكم؛ ووصل فى اليوم التاسع من ثالث أشهر نفس فصل الصيف هذا.

أى ما يوازى الفترة الواقعة ما بين يونية - يولية ١٢٧٤ قبل الميلاد ، وكانت الإدارة الملحقة بكل من تلك الكتائب مكلفة بتوفير الغذاء الأساسى ومعدات ولوازم المعسكر أو المخيم المجهزة فوق عربات ضخمة خاصة بنقل البضائع، تجرها أعداد من الدواب والحمير.

وقبل ذلك، كانت كل كتيبة قد تلقت التخطيط الخاص بالمعركة. وقبل مغادرتها لـ"بر رمسيس"، أحيطت علما بمختلف المراحل التى سوف تمر بها فى طريق تقدمها. ولاريب أن منطقة "غزة"، كانت الأولى فى هذا المجال. وأخذ رمسيس يتقدم جيشه على مدى امتداد الطريق الساحلى، فيما بعد "صور"، فى اتجاه "جبيل". وبذاك الموقع، اتصل الفرعون مع قوات "النيارين[٤٦]": وكان قد مركزها هناك قبل بضعة أشهر تحسبا وتوقعا لعودته. ومن المؤكد أنه قد أرسل هذه القوات نحو مصب نهر العاصى، فى الاتجاه الشمالى: حتى تتمكن، بعد ذلك بفترة وجيزة، من التقدم بمحاذاة هذا النهر نحو "قادش"؛ التى لا تبعد كثيرا عن منبعه. وقد تم اللقاء بين هذين الجيشين المصريين فى اليوم المحدد تماما، كما سنتبين فيما بعد .. حيث عمت الفرحة الجميع!

تخطى الجيش المنطقة الساحلية، وتقدم على درب يقع ما بين لبنان وما قبلها، أى فى منخفض "البقاع". وها هو يصل على مقربة من دمشق (أراضى "أوبى") ومن المحطة الإدارية التى أسسها رمسيس وأطلق عليها اسم: بر رمسيس بوادى الأرز، فى "عمورو". وهكذا ترك وراءه بمسافة كبيرة مقاطعات "كنعان[٤٧]". ويبدو واضحا أن "كتيبة آمون" قد وصلت خلف المرتفعات الجبلية عند ضفة نهر "العاصى" الشرقية؛ وأمضت الليل، عشية المعركة، بذاك الموقع المسمى حاليا بكميرات الحرمل.

## الفصل الثامن

# موقعة قادش الثانية
# معركة أمام الحصن

### خدعة الأعداء

فى صبيحة اليوم التالى، ها هو "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، بثياب الحرب، و"قد ارتدى طاقم أسلحة مونتو" كاملا، يبدو على أحر من الجمر ليصل إلى مشارف قادش. إنه يتقدم على رأس كتيبته عبر غابات "لابوى" الممتدة: حيث كان أمنحتب الثانى، هذا الملك الرياضى قوى البنيان، يرتادها فى الماضى، لصيد الغزلان. إن رمسيس يتوق بشدة للإسراع فى تخطى معبر نهر "العاصى"، جنوب مدينة "شبتونا[1]"، لكى يتقدم على ضفته اليمنى، التى لا يزيد مداها عن اثنتى عشرة كيلومتراً ونصف، للوصول إلى قادش.

فجأة، تمكن كشافوه من العثور على رجلين كانا ، على ما يبدو، يحاولان الاختباء والتستر. فسارعوا بإلقاء القبض عليهما، وتبينوا أنهما بدويين من قبيلة "الشاسو". وذكر الرجلان أنهما مبعوثين من جانب قبيلتيهما المنضمة أساسا إلى تحالف الحيثيين. ولكنهما، مع ذلك، يودان الإفلات من جبروت وطغيان "مواتالى": وقالا لفرعون مصر:

إن إخواننا، زعماء القبائل المتحالفة مع زعيم "خاتى" المهزوم، قد بعثوا بنا إلى جلالتك، لكى نقول: إننا نرغب فى أن نكون خدم الفرعون، وننفصل عن زعيم خاتى". عندئذ، أجابهما جلالته: أين هم إخوانكم الذين بعثوا بكما، لكى تتحدثان فى ذلك مع

جلالتى؟. وهنا، ردا على جلالته: إنهم فى نفس موقع زعيم خاتى الخسيس، فإن مهزوم خاتى يقيم حاليا فى أراضى حلب، شمال تونب؛ وهو يرهب بشدة الفرعون، ولا يجرؤ على التوجه جنوبا، خاصة، عندما علم أن الفرعون يتقدم نحو الشمال!".

قطعا، لم يتبادر إلى ذهن رمسيس أن الأمر يتعلق هنا بخديعة وحيلة من جانب الأعداء. ومع ذلك، فإن مثاله الأعلى، تحتمس الثالث، كان قد لجأ، فى الماضى، إلى توخى المكر والدهاء حتى يتمكن من غزو مدينة جوبى (يافا[٢]). ولا شك إذن أن هذه المناورة الخداعية قد وضعها "مواتالى" نفسه. حيث بلغ عدد جنود جيشه حوالى عشرين ألف جندى؛ وقارب ما يتضمنه من المقاتلين بالمركبات الحربية ألفين وخمسمائة. وكانت هذه القوى العسكرية قد تكتلت وتمركزت على مقربة من موقع الفرعون، شمال شرق قادش، حيث توارت مستترة خلف القلعة الحصينة.

ولكن، سرعان ما طرأت هذه الخطة القتالية إلى ذهن "أوسر ماعت رع ستب إن رع": سوف يهاجم هذه القلعة المنيعة التى كان يبتغيها بشدة، والتى أصبحت الآن معرضة تماما للمهاجمة بسبب غياب "مواتالى" وجيشه. وهكذا، سوف يتمكن الفرعون، بدون صعوبات جمة من الاستيلاء عليها مفاجأة: خاصة أنها الآن؟، تفتقر إلى دفاع وحماية قوات الحيثيين المرابطة فى مدينة حلب. فياله إذن من ثأر مدو باهر .. وياله من نصر ومجد سيحققه الفرعون، الذى سيكلل بالنصر أمام بلاد الشرق الأدنى قاطبة!!

لم يتوخ "أوسر ماعت رع" أى تبصر أو حيطة، أمام هذا الأمل الخادع؛ بل افتقد كل فطنة وحذر، ولم يلتزم بدواعى التدبر الواجبة التى يجب أن يمليها عليه إدراكه وبصيرته. بل إنه لم يبادر أيضا، إلى استشارة مستشاريه؛ بالرغم من أنه كان يفعل ذلك دائما، قبل اتخاذه أية قرارات مهمة. لقد أراد الوصول بمصاحبة كتيبته، "الأولى"، تاركا الكتائب الثلاثة الأخرى خلفه، لملاقاته؛ بعد انتصاره المزمع المرتقب بمهاجمة الحصن المذكور. وهكذا، تعجل فى اصطحاب كتيبة "آمون" فقط لا غير: حتى يتمكن

سريعا من تخطى معبر "شبتونا"، ويمضى فى تقدمه على ساحل نهر "العاصى" الأيسر .. لكى يصل إلى شمال غرب قادش.

## إقامة المعسكر الملكى

بالموقع الذى اختاره الفرعون، بدا الجنود بإشراف عدد من الضباط وكتبة "الإدارة" فى تكوين المعسكر وإقامة الخيمة الملكية: وقد زينت برسوم ونقوش تمثل البلاد الأجنبية، راكعة أرضا، وهى تبجل الملك وتوقره. وعلى الفور، تم تحديد ساحة قائمة الزوايا مترامية المدى بواسطة سياج ذى أوتاد، منتصبة لا يقل ارتفاعها عن ذراعين؛ أحاطت به إحاطة تامة. ويقع مدخل المعسكر بوسط الجانب الأصغر الغربى: وقد احاطت به قائمتان يعتليهما تمثالان صغيران لأسدين رابضين: فإن "الإدارة" لم تغفل أبدا عن تصويرهما فى إطار التجهيزات المحيطة بالفرعون؛ لأن الضرورة كانت تحتم دائما توافر القوة الرمزية وتواجدها[٣].

ويؤدى ذاك المدخل إلى الممر المركزى بالمعسكر؛ الذى يعبر نطاقا خاصا بالجنود، والحيوانات والأدوات؛ بالإضافة أيضا إلى عدد من الخيام الصغيرة. ويصل هذا الطريق المركزى مباشرة إلى الخيمة الكبرى الخاصة بالملك: إنها مستطيلة الشكل، ومستديرة السقف؛ ويليها ثلاثة خيام صغيرة أخرى، مجهزة لأجل الأمراء أبناء الفرعون. ومن الواضح أن المعيشة فى أجواء هذا المعسكر كانت تجيش بحيوية دافقة: ولكنها، سرعان ما تحولت إلى تراجيديا مؤلمة، كما صورت بشرق المشهد الكلى.

علينا أن نتأمل الآن، الجزء العلوى من هذا المكان المترامى الأطراف المسور: حيث يتراءى لجنود كتيبة آمون أنهم فى أمان تام!!.. فبداية، يلاحظ أن المدخل يحظى برقابة وحراسة مشددة من جانب حراس مسلحين بحراب ورماح: وعلى مقربة، ترى الجياد وقد حُل رباطها. ووقف بعضها أمام مزودها، والأخرى تنتظر بين صفوف المركبات، فى خطوط متتالية. وبأعلى "المنظر"، تشاهد الحمير الخاصة بجر الناقلات،

وهى تقضم الأعشاب، أو ترقد أرضا أو تخضع لتقويم وتدريب من جانب أحد الجنود. وهناك أيضا بعض الشباب الصغار المصاحبين للجيش، ضمن الموظفين والمعاونين القائمين بمهام صيانة الأدوات والعتاد. إنهم يقومون بمساعدة المختصين بتضميد جراح الجياد، والعمل على وضاءة ورونق الأسلحة؛ ويشرفون على المركبات، ويجهزون الوجبات، أو يعالجون أيضا من يصابون فى سيقانهم بالطريق.

تقريبا، فى الوسط، نرى أسدا ضخما رابضا، وقد تدلى لسانه من فمه: أومئ إليه بأنه "الأسد الحى الخاص بجلالة الفرعون، الذى يجزر رقاب أعدائه(٤)". وأمامه، وقف مدربه، وهو يباشر ترويضه. وعلى عكس هذا النشاط الهادئ المستقر ولحظات الاسترخاء هذه؛ تقع، فجأة حركة ما تجعل الحيوية والتوثب تدب فى الأشخاص القائمين بالجانب الشرقى: الجنود يهرعون عدوا وقد امتشقوا سلاحهم، محتمين بدروعهم. وآخرون غيرهم، يجابهون عددا من الحيثيين راكبى العربات الذين تمكنوا من اختراق المعسكر من ناحية السياج الشرقى. ويتبين أن بعض هؤلاء الحيثيين قد سقطوا بالفعل من مركباتهم. وها هم جنود الفرعون يفتكون بهم. ثم نرى، أيضا أحد ضباط الملك، وقد ظهر فجأة فوق عربته .. إنه يمد ذراعه وكأنه يلقى ببعض الأوامر. وفى إثره اندفعت مركبتان ثانيتان بأقصى سرعتهما، وعلى متنها بعض الأمراء، وهما تنطلقان هربا نحو الغرب. وفى هذا الصدد، تقول إحدى ترجمات "التقرير" المسجلة فوق جدران الرمسيوم:

"وصول حامل مروحة الفرعون لكى يقول للأمراء أبناء الملك وأبناء موت نفرت: "لا تغادروا غرب المعسكر، وتنحوا بعيدا عن أرض المعركة"".

بالناحية اليمنى من المعسكر، يشاهد منظر مماثل:

"حامل المروحة على يمين الملك، ثم الكاتب الملكى، والقائد الأعلى للجيش، ورئيس قادة المركبات التابع لجلالته، المدعو "با رع حر ونم إف".

ترى، ما الذى يحدث حقا؟!

## استتباعات الخديعة

لاشك إذن، أن هذين الشخصين المنتمين لقبائل "الشاسو"، كانا يهدفان أساسا إلى التحريض والإثارة، ومكلفان قطعا بالعمل على إخماد أي مشاعر للريبة والشك .. وهكذا، عملا على وقوع الكارثة! أما عن رمسيس، فإنه بتهوره وشدة اندفاعه، وتأجج العارم لاقتناص نصر خاطف؛ وأيضا لافتقاره للحنكة، لم يتمكن من الاستشعار بالغدر والخيانة. ولقد تكتل العدو بشمال شرق قادش، حيث كمن متربصا خلف الحصن والنباتات المتاخمة له: وأزمع لمهاجمة جبهتين في آن واحد، هما المعسكر والكتيبة الثانية، التى تحمل شعار "رع". وكانت هذه الفرقة قد تخطت لتوها معبر "شبتونا"؛ وأوشكت على الالتقاء بالكتيبة الأولى المسلحة التى يرمز إليها باسم "آمون".

هكذا، وخلال انشغال المعسكر فى أعمال التنظيم والتكوين؛ و"أوسر ماعت رع ستب إن رع"، جالس فوق مقعده البسيط المغلف برقائق ذهبية، ها هو يحاط علما بضبط اثنين من الكشافين الأعداء، كانا يحومان فى المنطقة المجاورة. وبعد أن أوسعا ضربا وركلا، اعترفا، فى حضرة الفرعون، بهذه الحقيقة المأساوية.

"نحن ننتمى إلى زعيم "خاتى". وهو الذى أرسلنا للتجسس على الموقع الذى يقيم به جلالته". عندئذ، قال لهما جلالته: "أين هو شخصيا، زعيم "خاتى" المنهزم؟ لقد سمعت – أنه فى أراضى حلب، شمال "تونيب". ولكنهما قالا لجلالته: "انتبه!.. لقد جاء زعيم "خاتى" الخسيس بمصاحبة الكثير من البلاد الأجنبية. وهؤلاء الذين اصطحبهم معه كحلفاء هم: (تذكر أسماء جميع من أشير إليهم من خلال "الملحمة"). لقد زودوا وجهزوا بفرق مشاتهم ومركباتهم الحربية، وتسلحوا بأسلحة الحرب. إنهم أعظم كثرة من حبات الرمال على شاطئ النهر. انتبه!.. إنهم مجهزون تماما وعلى أتم استعداد للقتال وراء قادش القديمة!!".

هنا كان رد فعل "أوسر ماعت رع ستب إن رع" فوريا وسريعا. فإن السرعة الخاطفة التى أبداها حيال موقف مأساوى أليم، تبين عن حدة بصيرته، وبسالته النادرة التى لا جدال فيها مطلقا. وفورا، استدعى أركان حربه؛ حتى يتفحص ويتدبر بشأن تلك الكارثة وشيكة الوقوع.

"انتبهوا لهذا الوضع الذى اتخذه حكام البلاد الأجنبية؛ وما يبدو عليه زعماء أراضى الفرعون!. إنهم، فى كل يوم كانوا يحضرون ليقولوا لجلالته: "زعيم "خاتى" الخسيس قائم حاليا فى أراضى حلب، وهو يولى الأدبار هاربا أمام جلالته، حالما سمع أن جلالته فى طريقه إليه. ولكن انظروا!!.. ها أنا قد علمت لتوى، من هذين الكشافين التابعين لمهزوم قادش، أن مهزوم "خاتى" الخسيس قادم بمصاحبة الكثير من البلاد الأجنبية؛ جاؤوا معه؛ ورجال ، وجياد، لا تقل غزارة وكثرة عن حبات الرمال. وانتبهوا!!.. إنهم رابضون على أهبة الاستعداد وراء "قادش" القديمة؛ وفى الحين ذاته، فإن حكام المناطق الأجنبية التابعين لى والزعماء الذين يهيمنون على أراضى الفرعون، قد عجزوا عن إخبارنا بأنهم قادمون!!".

بالتأكيد، لم تكن هذه هى اللحظة المناسبة لكى يبين الفرعون ذاك الإهمال الأثيم من جانب جهاز مخابراته. خاصة أن "مجلسه الأعلى" هذا، كان يعلم تماما بدلائل القصور والعجز هذه، التى تعتبر، قانونا بمثابة "جريمة عظمى". ولذلك، سارع الفرعون بإرسال "الوزير الأعلى" وبرفقته الأمير الصغير "بار رع حر ونم إف" الشجاع الأول بالجيش، و"رئيس حظائر الخيول الملكية"، وبعض المراسلين إلى "شبتونا" من أجل استعجال كتيبة "بتاح" وحثها على القدوم سريعا. وعلى ما يبدو، أنها كانت قد توغلت بعض الشىء فى أحراش "لابوى". أما عن فيلق "ست" فلا لزوم الآن للتحدث بصدده، حيث كان فى مكان بعيد وناء للغاية. وبخصوص "فرقة رع"، فقد رأى رمسيس، أنها يجب أن تكون على أهبة الاستعداد للالتقاء بكتيبة "آمون" على مقربة من المعسكر.

فى نفس ذاك الحين، انطلق "مواتالى" مهاجما: حيث صدر أمامه حوالى (عشرة آلاف) جندى مشاة؛ وأرسل (ألفين وخمسمائة) مركبة مسلحة تتضمن كل منها ثلاثة رجال (سائقها، ومروض للجياد، ونبال) نحو نهر "العاصى"؛ بحيث تجتاز المعبر الأكثر قربا من قادش، لمجابهة المصريين على ضفة النهر اليسرى .. بعد ذلك، كان الأمر يقتضى أيضا محاولة جنوده محاصرة معسكر الفرعون.

والآن، ها هى قد بدأت لتوها معركة قادش الكبرى، التى لم تستمر أكثر من يوم واحد فقط. هذه المعركة التى جعل منها رمسيس الثانى حدثا جوهريا رئيسيا. إنها الأكثر ثراء بالمستندات والوثائق التاريخية[٥] التى علمنا بها؛ وتفوق بذلك أية معارك اشتباك أخرى قبل معركة "ماراثون[*]" (٤٩٠ قبل الميلاد).

## تلاحم المتقاتلين

كان رمسيس يجهل تماما أن فرقة مركبات "مواتالى" قد عبرت لتوها نهر "العاصى": وبالتالى، عملت تماما على قصم عرى الطابور الذى تكونه "كتيبة رع": حيث فوجئ جنودها بهذا الهجوم المباغت الشرس. وبذا، حاول الجنود، والفرسان الهروب من الأعداء المهاجمين: فاندفعوا متخبطين فارين نحو معسكر رمسيس المحاط بكتيبة "آمون"!.. عندئذ، كان مجلس الحرب، المحدود الأعضاء، الذى كان رمسيس قد استدعاه سريعا، قد اختتم لتوه .. وفوجئ بأصوات صليل الأسلحة التى بدت قريبة جدا، وطرقعتها. وعلى الفور، عمل الفرعون على إبعاد أفراد أسرته بمكان آمن، وتمكن من جمع أفراد حرسه المقربين، ورئيس حظائر جياده "منا"، الذى سارع بتجهيز مركبة الفرعون الحربية .. لكى ينطلق برمسيس فى قلب الصراع الدامى، فى لحظة خاطفة .. تكاد تكون معجزة!!

(*) "ماراثون" : مدينة يونانية قديمة .

أخذ الفرعون يطلق زئيرا فعليا لخوض الحرب. وفى الحين ذاته ، كان على يقين تام من وفاء وإخلاص "مننا"، "المدرب الأعلى" لجياده. وبدا أن هذا الأخير، كان يحاول جاهدا السيطرة على هلعه وخوفه، أمام مثل ذلك الالتحام القتالى الذى لا مثيل له، ويفتقر إلى حد كبير للأمل والرجاء .. ولكن، ها هو "أوسر ماعت رع"، الذى يحق له فعلا أن يسمى "ستب إن رع" (من اختاره الإله رع)، قد تخطى وفاق كل إمكاناته البشرية!!.. كان رمسيس يثق ثقة كاملة بهذه الهالة النورانية التى تسكن كيانه. ولكنه، فى الحين ذاته، يشعر بنشوة الغضب العارم .. وأخذ يصوب سهامه الواحد تلو الآخر؛ وفى نفس الوقت يقود مركبته، وقد أحاط خصره بزمامها؛ حتى يتمكن "مننا"، أن يقدم له، بكل حماس وتيقظ، قذائفه السريعة، وأيضا، يحميه بدرعه. من الواضح أن جياد عربته، كانت تشعر بانتشاء ونشوة سيدها الفرعون .. فكانت تطأ جثث الأعداء، وتصدم مركبات الحيثيين وتقلبها رأسا على عقب: "لم تكن تخيفه أبدا بهذه الملايين من البشر الأجانب .. بل كان ينظر إليهم وكأنهم فسيلات من القش!".. هاهو إذن هجوم، قانط غاضب، بل إنه بمثابة محاولة أخيرة؛ إنه يكاد ألا يرى شيئا أمامه؛ ولكن من المؤكد أن الذى يشنه جنى فعلى!!.. ولذا، كان أعداؤه يصيحون فى هلع ورعب، وكأنهم قد أصيبوا بالشلل أو دهمهم الموت: "هذا ليس بشرا!!".

بالفعل، من خلال الكتابات القائمة بأعلى صورة رمسيس وقد اعتلى مركبته الحربية، فى حومة صراعه ضد الأعداء، تبين لنا النقوش البارزة بـ"التقرير"؛ قائلة:

"إنه مثل الإعصار المنبثق من السماء. إن قوته ومقدرته لتماثل نيراننا مندلعة فى كومة قش".

## النعرن قادمون!

لستة مرات متتالية، استطاع رمسيس أن يقوم بهجوم مضاد. لقد أوشك أن يتفوق على نفسه بالفعل. وفجأة، بدأت صفوف الأعداء تتفرق وتتشتت. فها هو، قد

انبثق من الناحية الغربية، متجها نحو المعسكر الملكى، ذلك الفيلق الرائع البديع، المكون من الجنود النعرن (جنود شبان فى الجيش المصرى من بلاد عمورو). حقا، لقد أجاد الملك إجادة مبهرة فى برمجة وتحديد لحظة وصولهم. إن هذا الفيلق يتكون تكوينا فريدا باهرا من المحاربين المحنكين ذوى الكفاءة والتمرس رفيع المستوى؛ الذين يخضعون لنظام حازم فعلى. ويكفى للتأكد من ذلك، النظر إلى انتظام خطواتهم ودقتها الفائقة، وكأنهم، جميعا معا: "مرداس حقيقى". فها هو، مربعهم المصمت تماما، المكون من صفوف الجنود المتلاصقين بأكتاف بعضهم بعضا؛ وتعاكس كل درع مع نظيره (بمثابة تمثيل مسبق لأسلوب "السلحفاة" الرومانى[٦])، يتراءى من بعيد، وقد أحاطت به المركبات المتأهبة تماما للهجوم.

وهذا هو الوصف الذى قدمه عنهم الضباط المصريون من خلال السرد المصاحب لمشهد قدومهم:

"ها هم النعرن التابعون للفرعون قادمون من بلاد "عمورو". ووجدوا أن جيوش الأعداء القادمين من خاتى، قد اخترقوا معسكر الفرعون، من ناحيته الغربية. ووقتئذ، كان جلالته جالسا بمفرده، ولم يكن جيشه برفقته، وكذلك كتيبة مركباته .. وجنوده. وفى ذاك الحين، لم يكن فيلق آمون، بقيادة الفرعون، قد أتم نصب المعسكر؛ وكذلك كانت كتيبة رع وفرقة بتاح مازالا سائرين فى طريقهما .. ولم يصلا بعد، فى إثر خروجهما من أحراش "لابوى". لقد انقض النعرن مهاجمين بقلب جيش زعيم "خاتى" الدنىء المنهزم، وهو يقتحم معسكر الفرعون .. وبذا، قام رعايا جلالته بصرعهم ولم يمكنوا أيا منهم من الفرار .. كانت قلوبهم مطمئنة لضراوة قوة الفرعون، سيدهم الخير فائق الكرم: الذى يقف وراءهم وكأنه جبل نحاسى، ويتشابه بجدار حديدى، خالد وإلى الأبد.

وسرعان ما انقض النعرن على المركبات المعادية الملتفة حول رمسيس وأحاطوا بها كما الكماشة. وهكذا، خلصوا الفرعون المتأجج ثورة واندفاعا، بعد أن كان على

وشك الغرق بدون رحمة أو شفقة بين أعدادها الرهيبة الهائلة. وبنفس الأسلوب، تم تحرير جزء من المعسكر الذى كان قد تعرض فعلا للسلب والنهب من جانب الأعداء.

أخذ سلاح الفرسان المصرى، الذى مازال مستمرا فى القتال، بقيادة الفرعون، يطارد الأعداء، بمساعدة النعرن، هؤلاء "الكوماندوز" الفعليين البواسل. وعمل على تجميع العناصر المشتتة من "كتيبة رع"، التى سرعان ما انضمت إليها "فرقة بتاح"، التى وصلت أخيرا بقيادة "الوزير الأعلى"؛ وهى تسير سيرا حثيثا. وهنا، وقد نشرت كل من القوتين سلاح فرسانها، وقعت المجابهة القتالية.

نرى النقوش البارزة التى تصور المراحل الرئيسية بـ"التقرير" وقد بينت سياق المجابهة من خلال سجل وسطى رائع: أفرد، بجزئه السفلى، مكانا لتمثيل المعسكر المصرى و"مجلس الحرب" برئاسة رمسيس. ولكن، فى الجزء الأعلى، الذى يحيط بالفرعون، ثم بحصن "قادش" نشاهد وقائع معركة رهيبة: تكدس جثث الرجال والجياد فوق بعضها بعضا، ومركبات محطمة.

وأخيرا، نشاهد المرحلة النهائية من المعركة: الهجوم الظافر المنتصر لسلاح الفرسان، بقيادة "أوسر ماعت رع ستب إن رع" ضد مركبات الحيثيين التى أرغمت على التقهقر حتى جنوب قادش؛ على مقربة من المعبر الذى تخطاه الحيثيين من الاتجاه المعاكس، قبيل ذلك بفترة وجيزة.

## هجوم سلاح الفرسان المصرى

حقا!.. رمسيس يسيطر الآن تماما على الموقف!.. فعلا!.. فإن الوضع السابق قد انقلب الآن رأسا على عقب؛ وحقيقة أن المركبات الحيثية تحاول الآن تخطى المعبر النهرى؛ ولكنها فى حالة رهيبة من التخبط والتشتت والفوضى!.. فها هى عرباتهم، وجيادهم ومقاتليهم قد قذف بهم فى أعماق النهر .. وأغلبهم لقى حتفه غرقا!.. "إن الحيثيين يلقون بأنفسهم فى مياه النهر مثلهم كمثل التماسيح".

يتراءى أن التفاصيل الممثلة بالنقوش الغائرة، قد اتسمت بالواقعية الفائقة، وبدت مأساوية فى أغلب الأحيان، ولكنها قد تبدو أحيانا هزلية ومثيرة للضحك. عموما، وعلى أية حال، لقد بقيت محفورة فى أعمق أعماق ذاكرة جنود الفرعون. إن مثل هذه الرسوم الواضحة لأعين الجميع، فوق صروح الأقصر أو جدران الكرنك، حيث تراها أعداد هائلة من المشاهدين؛ أو حتى بداخل المعابد حتى تعمل القوة المنبعثة من الرسم على استمرارية النصر ودوامه .. لا يمكن أبدا أن تكون كاذبة أو ملفقة.

فوق الجدار الشمالى الأكبر بالقاعة الكبرى بمعبد رمسيس فى أبو سمبل الكبير، لابد من أننا رأينا، مشهدا يمثل أحد إخوة "مواتالى"، المدعو "با – تجار"، صريعا بجوار بعض الخنادق المحيطة بـ"بقادش"، وقد طفا جثمانه على صفحة مياه نهر "العاصى". ثم يرى أيضا زعيم مدينة حلب الخسيس، الذى انتشل فى الوقت المناسب من مياه النهر؛ ورفعه بعض الرجال من قدميه، لتصبح رأسه متدلية أسفلا، حتى يستفرغ ما فى جوفه من مياه!!

لاشك أن تلك الحكايات السريعة، قد تحولت إلى رسوم ونقوش بحماس وقريحة لا مثيل لروعتها. ولابد من أن الفنانين – وملهميهم أيضا، قد أرادوا، عن قصد، أن يشاركهم المشاهد فى نشوتهم المشوبة ببعض اليأس، فى صراعهم ضد الأعداء؛ بل ويشاطرهم أيضا انفعالهم الفائق إزاء المواقف الصعبة الحرجة؛ وبالإضافة لذلك، يرافقهم فى أدق تفاصيل حياتهم اليومية. وكانت نتيجة ذلك.. عمل فنى رائع!، إنه يرجع خاصة إلى مبدأ "تحرير" الفنون الذى أطلقه بالفعل "أخناتون". وقد تراءى ذلك، بكل وضوح، من خلال الأعمال الفنية التى اتسمت بأسلوبه "الحديث"، الذى جسده أوضح تجسيد فوق جدران المعابد المكرسة لقرص الشمس "آتون": وقد شيدت شرق المجال المقدس الخاص بآمون – الكرنك.

بعد هذا النصر المتألق الباهر، عند نهر "العاصى"، تبدل تماما مصير المعركة .. من معسكر الأعداء إلى ذاك الخاص بالفرعون. وقطعًا، كان العزم وقوة الإرادة المشوبة ببعض البأس والقنوط من جانب "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، بمثابة ورقته

الرابحة الأساسية فى نطاق تلك المجابهة العسكرية غير المتوازية. ومن المؤكد أنه لم يكن ليستطيع المقاومة لفترة مديدة إلا بوصول النعرن: فقد كان يتوقعه فعلا .. ومع ذلك؛ ربما قد نوجه إليه بعض اللوم؛ لأنه كان يبدى لامبالاة تامة فيما يتعلق بالاستعداد للمعركة والتأهب لها!

ولكن، هناك تساؤل ما، يلح علينا دائما، ألا وهو: هل يمكن لجيش ما يفتقد وجود "قائده الأعلى" بكل معنى الكلمة فى ساحة المعركة؛ حتى إذا كانت قواته العسكرية أكثر ضخامة وأكبر عددا .. أن يقاوم المقدرة القتالية الفائقة من كتائب وفيالق يقودها .. "قائد أعلى" جسور باسل دائم الوجود بأرض المعركة؟!!

والآن، نتساءل أيضا: "مواتالى"، لماذا عساه مكث، فى أثناء القتال، قريبا من سلاح مركباته، على الضفة اليسرى، شرق قادش؛ ولم يشارك، شخصيا فى الهجوم؟!!.. بل لماذا خاصة، لم يطلق جيش مشاته الضخم فى حومة القتال، عند اللحظة الحرجة الدقيقة، حيث دحرت فرق فرسانه وتقهقرت نحو نهر "العاصى"؟!!.. لا ريب إذن أن هذا الرجل المنتمى إلى بلاد الأناضول، المحنك المتمرس فيما يتعلق بفاعلية الدبلوماسية التى تنتهى غالبا بعقد معاهدة صلح.. كان يريد وضع حد لمذبحة رهيبة لا ضرورة لها!!.. ترى، هل حطم معنويا بسبب مقتل إخوته وذويه فى أرض المعركة؟!.. أم عساه كان يعانى من المرض الذى بدأت بوادره تتراءى عليه وهو فى شرخ الشباب؟!

## نهاية المعركة

ها هو "مواتالى" ممثل بالنقوش البارزة الملحقة بـ"التقرير": واقف بعربته، فى جنوب – شرق قادش. أما سائق عربته فهو ممسك بزمام الجوادين. ويحيط بهذا الزعيم أعداد من الحيثيين المسلحين بحراب: وها هو قائدهم يلوح بدرعه المتميز الشكل، فى هيئة الكمان(٧). وأمام الجوادين، نرى محاربين آخرين، ضمن القوات

المتحالفة. وعلى ما يبدو، أنهم جميعا ينحدرون من المناطق المتاخمة لأناضول: فهذا ما تبينه فعلا، أسماء البلاد التى جاءوا منها. وبالنسبة للرجال المسلحين بدروع ضخمة ذات قمة مستديرة الشكل، متماثلة بدروع المصريين، فترجع أصولهم إلى المناطق التى كانت فى الماضى تخضع لهيمنة وسيادة الفرعون.

بدا "مواتالى"، وقد أمسك بإحدى يديه عنان جياده، وكأنه يمنع عربته من الانطلاق. إنه يلتفت ناحية الحصن؛ ويرفع يده الأخرى عاليا لكى يعطى إشارة وقف القتال. ولا يستبعد أبدا، أنه كان يريد أن تتمكن قواته من الانطلاق إلى هذه القلعة، قبل محاولة كتائب الفرعون الاستيلاء عليها!!.. أم أنه، قد أصابه اليأس والقنوط، لفقدانه بأرض المعركة، عددا كبيرا من أقاربه وأهله؟!.. وها هم المصريون يقدمون لنا قائمة كاملة بأسمائهم:

ساباتر : شقيق زعيم "خاتى" المهزوم.

جربتز : حامل درع زعيم "خاتى" المهزوم.

ترجنز : ضابط مركبة زعيم "خاتى" المهزوم.

عجم : قائد فرقة؛ من منطقة كبست.

كميث : أحد قادة المقاتلين التهر.

خربسر : مراسل زعيم "خاتى" المهزوم.

تيدر : رئيس حاشية زعيم "خاتى" المهزوم.

بيس : ضابط مركبة مهزوم "خاتى".

سمرتس : ضابط آخر بعربة زعيم "خاتى" المهزوم.

ربسنن : قائد قوات مقاطعة إمنيس.

خمترم : شقيق زعيم "خاتى" المهزوم.

تدر : قائد المقاتلين التهر.

ثوتيس : قائد قوات الإلانس

بينك : ضابط بمركبة "الذى يرأس خاتى"

إلخ .. ... ..

عمومًا، يلاحظ أن النصوص، المحيطة برسوم زعيم الحيثيين، وفى معيته مقاتليه البالغ عددهم (١٨٠٠٠) مقاتل من التهر؛ الذين لم يشركهم فى القتال يؤكد لنا تدهور حالة مواتالى المعنوية:

"الدنىء الأكبر، مهزوم "خاتى"، يقف بوسط مركبته. يلتفت بوجهه خلفا؛ يرتعش هولا ورعبا؛ مغلوبًا، مذهولا. إنه لم ينطلق أبدا إلى القتال، خوفا من "جلالته": عندما رأى جلالته يتفوق على أهل "خاتى"، وكذلك على كافة البلاد الأجنبية التى جاءت معه. لقد أطاح بهم جلالته فى لحظة واحدة. تراءى "جلالته" وكأنه صقر إلهى. وها هو هذا الحيثى، يستجدى عفو هذا الإله المجسد، قائلا له: "إنه كمثل "ست" فى زمنه، بل هو "بعل" شخصيا".

هكذا إذن صدرت الأوامر لجيش الحيثيين بالانسحاب إلى الحصن. وتبدو هذه القلعة الحصينة وقد أحيطت إلى حد ما بأحد الفروع الكبرى لنهر "العاصى" الذى يلتقى بقناة صغيرة؛ كما أحاط بها العديد من الخنادق الضخمة. وها هما جسران، أحدهما جنوبا، والآخر شرقا، من أجل تخطى تلك الحفر الكبيرة. ويشاهد الآن جنود التحالف وهم يندفعون جميعا، من وراء "مواتالى"، ليندسوا مختبئين بداخل القلعة .. وسرعان ما رفعت الجسور المتحركة.

## ليلة المعركة

أحيانا، قد يتهم البعض رمسيس بافتخاره ومباهاته الزائدة عن الحد بخصوص انتصاره فى "قادش". وربما، أن "الملحمة"؛ من ناحيتها، قد ركزت، بشىء من عدم

الرؤية على الانفراد الكلى من جانب رمسيس فى أرض المعركة. ومع ذلك، يلاحظ أن النقوش البارزة الرسمية الملحقة بـ"التقرير"، وشرحها وتعليقاتها، تعبر، إلى أقصى مدى عن الحقيقة الفعلية. فإن الأوامر المشددة التى أصدرت للفنانين - الرسامين بتوخى التناسق والتطابق والمماثلة بين المشاهد المصورة فى "التقرير" بمختلف معابد مصر، قد نفذت بحذافيرها. وهكذا، نرى، أنه من خلال مشاهد قدوم النعرن وخلال المعركة، وكذلك السجل الذى يمثل المواجهة ما بين سلاحى مركبات المتناحرين، تبين جميعها .. أن رمسيس لم يكن بمفرده فى ساحة المعركة!.. وخلاف ذلك، فمن خلال نظرة واحدة، يتراءى بكل وضوح: عدم قيام المصريين بمحاصرة القلعة الحصينة. فبين الجنود الحيثيين، المدججين بالحراب، فى أعلى أبراجها العليا، كانت راية الأعداء ترفرف بكل حرية!.. فلم تخترقها أبدا سهام الجنود المصريين؛ ولكننا سنلاحظ ذلك فى مناسبة الاستيلاء على "تونيب"، إبان العام الثامن من الحكم.

فى الجانب المصرى، كانت "كتيبة بتاح" قد وصلت لتوها إلى ساحة القتال. ثم، بعد ذلك، بفترة ما، لحقت بها "فرقة ست" .. ولم تشارك فى المعركة. وحتمت الضرورة بعدئذ: جمع الجرحى، وتنظيم المركبات، وتضميد جراح الجياد، وحمل القتلى المصريين(٨)، وإحصاء أعداد الأعداء الصرعى. ومن أجل عمل تعدادهم، ووفقا للعرف المتبع، كان يتم بتر إحدى يدى كل جثة من جثث هؤلاء الأعداء؛ وتسجل بكل دقة بمعرفة الكتبة المصريين. ولا ريب أن أكداسهم المكدسة كانت تبدو بمثابة تلال كئيبة المنظر أمام الفرعون. وبحضور هذا الأخير، ومن خلال صفوف متعددة، كان أبناؤه، وبعض كبار ضباطه، يقدمون له الزعماء المعادين المنهزمين؛ وكذلك أعدادا من المريان المنتمين إلى عدة بلاد .. أو بالأحرى، أعلى فئات مقاتلى المركبات وأكثرهم شجاعة ومهارة(٩). وبدا الملك جالسا فوق وسادة مركبته، وهو يتلقى، عندئذ الأدلة على انتصاره. وبالمستوى السفلى من "التقرير"، يشاهد ابنه البكرى، الذى كان قد لقب عندئذ باسم "آمون حر خبش إف(١٠)"، بعد انتهاء المعركة: وهو يعرض أمامه الشخصيات المهمة من أسرى الأعداء، وقد كبلت أذرعهم. أما فى المستوى الوسطى، ترى عبارات الإطناب والمديح الموجهة للملك؛ حيث يقوم بتسجيلها "الوزير الأعلى"

(لم يذكر اسمه!)، وقادة الكتائب الثلاثة، وهم يرفعون أذرعهم عاليا، تهليلا ودعاءً له. وعن الجزء العلوى، فهو يمثل أميرين من أبناء الفرعون، وهما يقتادون صفا من الأسرى الآخرين المقيدين بالحبال؛ بالإضافة إلى مجموعة من جياد الحيثيين.

على ما يبدو، أن عقوبة محو الاسم وعدم ذكره، قد طبقت على كبار الضباط و"الوزير الأعلى" بسبب غفلتهم وعدم تبصرهم، وغيابهم، لوقت ما، عن ساحة القتال. أما عن أبناء الملك، فقد مثلوا، وذكرت أسماؤهم: فيمكننا، مع عدم الالتزام بالتدرج السنى تبين: "با رع حر ونم إف"، و"رمسيس"، و"خع إم واست"، و"مرى آمون"، و"سيتى"، و"مرنيتاح"، وآخر، لا يبدو اسمه كامل الوضوح؛ ولعلنا لا ننسى أيضا الأمير "آمون حر ونم إف"، الذى لقب، فيما بعد بـ"آمون حر خبش إف".

لاريب أن ذاك التأنيب والتوبيخ شديد اللهجة الذى وجهه الفرعون لجنوده الذين كانوا قد أصابهم الرعب والهلع؛ وسجل بالملحمة المذكورة، قد قيل خلال مراسم انتهاء المعركة. وبالقطع، بدت عبارات مديحه لشجاعة وبسالة "رئيس مدربى جياده"، "مننا"، التى لم يشوبها أية نقيصة .. مختلفة اللهجة تماما. بل إن "أوسر ماعت رع ستب إن رع" لم ينس أيضا جياده المقدامة الباسلة القائمة بجر عربته الحربية، المعروفة باسم: "النصر فى طيبة" و"إن موت لراضية"؛ فهذا ما ذكره أيضا من خلال "ملحمته". وقد دأب الملك، فيما بعد، على القيام دائما بزيارة إسطبلات جياده فى "بر - رمسيس"، ليقدم لها بيديه أزكى وأطيب أنواع العلف عبقا. والأكثر من ذلك: أن صورة هذه الجياد، الجديرة حقا، بشكران الملك .. قد عبرت مختلف العصور .. والحدود!!. ولعلنا نعرف، أن محمد على باشا "نائب الملك فى مصر"، قد أهدى شارل العاشر، خاتما فريدا من نوعه مصاغا من الذهب الخالص؛ كان قد عثر عليه من خلال تنقيبات جبانة الثيران أبيس فى سقارة: حيث يتراءى تجويف فضى فى هيئة حصانين دقيقين صيغا بالنقش البارز[١١]، وهما ماثلان أمام معلفهما. وعلى ما يبدو، أن أمنية رمسيس التى صاغها أكثر صياغه مهارة وحذقا، قد تجسدت أيضا فى أحد أصابع الفرعون. وإنها لمعجزة حقا!.. وهى معروضة حاليا بمتحف اللوفر!

## إن السلام أفضل من القتال: (مواتالى)

ربما أن عبارات "الملحمة" قد توحى إلى حد ما، بأن الفرعون كان يبغى معاودة شن القتال ثانيا فى صبيحة اليوم التالى لها. ولكن، يبدو لنا أن هذه النظرية غير مقنعة تماما...

إن الاستيلاء على "قادش"، قد بدا لرمسيس أمرا غير محتمل: فإن كتائبه الأربع قد أصيبت ببعض الأضرار؛ بالرغم من دعم ومساندة النعرن لها. كما أن هؤلاء الأخيرين، قد لاقوا أيضا، وبدون شك، عدة خسائر. وربما أن المدافعين عن الحصن البالغ عددهم (٢٠٠٠٠) جندى، كانوا ليستطيعون فعلا إرغام مهاجميهم المصريين على الحصار طويل الأمد. وخلاف ذلك، يتبين واضحا أن زعيم "خاتى"، فى حالة يأسه وقنوطه، ربما كان يحاول اللجوء إلى الدبلوماسية..

عموما، ها هى "الملحمة" تقدم سردا بعثه "مواتالى" إلى رمسيس؛ بالإضافة أيضا إلى القرار الفورى الذى اتخذه الفرعون، بعد استشارته لكبار ضباطه وحرسه المقرب .. هكذا إذن، حاول الفرعون التراجع عن خطوة تهور واندفاع جديدة. لأنه عرف جيدا الآن نتائجها واستتباعاتها. ورأى أن هذه الرسائل التى بعث بها "مواتالى" إليه، سوف تسمح له – دون إراقة ماء الوجه – بإنهاء مجابهة عسكرية: يعلم تماما أنها ستكون وبيلة الأثر. إذن، ها هو "أوسر ماعت رع ستب إن رع" يستغل باب الخروج، الذى فتح أمامه على مصراعيه .. ولذا، أعلن عن "انسحابه السلمى" نحو الجنوب!!

## العودة إلى مصـر

كان هذا الأمر متوقعا: فقد بعث الفرعون سريعا بالمراسلين إلى العاصمة. وها هو يقود جيوشه عائدا إلى مصر، وقد اقتاد بعض الأسرى، وقدرا ضئيلا من الغنائم.

ها نحن نرى إذن انتصار البواسل الشجعان، الذى تم فى بداية العام الخامس من الحكم، فى أول الشهر الرابع (يولية ١٢٧٤ قبل الميلاد).

ترنمت مصر جميعها بمديحهم وتقريظهم. ولم يشر كثيرا إلى الغنائم العسكرية؛ المكونة أساسا من الأسلحة التى انتزعت من الأعداء الصرعى فى ميدان القتال، أو الجياد. ولم يومئ خاصة إلى العتاد والمعدات التى دُمرت فى اللحظة التى حاصر فيها الأعداء معسكر رمسيس.

كان "أوسر ماعت رع ستب إن رع" يتمتع تماما بجلاء وصحو بصيرته فى هذا الصدد. بل لقد استوعب الدرس الذى تلقاه جيدا. وهو على يقين تام من هشاشة وتداعى الاتفاقيات التى كان قد أبرمها مع ملوك الشرق الأدنى ضئيلى الشأن .. وأيضا، كان يعرف، أن عودته آفلا، بعد خروجه على رأس جيشه بكل مظاهر الفخر والمجد، إيماء إلى قوته وجسارته التى لا تقاوم سوف يحاول جيرانه العدوانيون تحليلها وتقديرها: بأن "قادش" و"عمورو" ما زالتا بين أيدى الحيثيين .. وليس الفرعون!..

إذن، كان على فرعون مصر أن يعاود ثانيا "ارتقاء المرتفع"، ويتجه، بكل عزم وإصرار، نحو "الشرق"، لكي يثبت وجوده ثانيا؛ وأيضا، يعيد غزو المناطق التى أفلتت من قبضته. وخاصة، ليضفى على مصر ثانيا، تألقها وإشعاعها .. ويضمن ثانيا، أمان وأمن حدودها.

وفى واقع الأمر، أن "مواتالى" فور انسحاب الجيش المصرى، سرعان ما استولى على "عمورو". وفى نفس ذاك الحين، خلع زعيمها المدعو بنتشيما وتم نفيه فى عاصمة هاتوشا ليحل مكانه، بقلعته الحصينة، شخص اسمه شابيلى. وأخيراً، اندفع "مواتالى"، لاستعادة دمشق ومقاطعاتها.

فى بر – رمسيس، ركز الفرعون كل جهده واهتمامه فى تحديث وتجديد بنية وكيان كتائبه وفيالقه. وكذلك، عمل على تنظيم جهاز مخابراته تنظيما حازما دقيقا .. الذى كان قد تأثر تأثرا عميقا بخداع وخبث الحيثيين.

## الفصل التاسع

# رمسيس ولغة المعابد
# إنشاء الرمسيوم

### الاستتباعات الفورية لـ «قادش»

أثبت "آمون حر خبش إف"، الابن الأكبر للملك كفاءته وإمكاناته خلال الصراع العسكرى فى قادش. وحينئذ، تيقن رمسيس، أنه يستطيع تكليفه ببعض المسئوليات؛ عند انطلاقه شخصيا، إلى جنوب مصر.

خلاف ذلك، كان هذا الأمير، يُكن ودا وحبا كبيراً لاثنين من أكثر حاشية الفرعون إخلاصا ووفاء وفاعلية .. اللذين كان يعتمد عليهما كثيرا.

بداية، نجد الوزير "باسر"، الذى لابد من أنه قد بقى بعاصمة "الشمال" لكى يدير شئون المملكة؛ ليكون نائبا عن نظيره المكلف أساسا بأمر شمال المملكة؛ ولكنه رافق "أوسر ماعت رع ستب إن رع" فى حملته إلى "عمورو" فى العام الخامس من الحكم: ولم يبد الكثير من الفطنة ووضوح البصيرة، عند حضور مبعوثى "مواتالى" الأوائل، ليقدموا معلومات ملفقة وكاذبة. وثانيا، كان هناك "آمون إم إنت[١]"، هذا الذى يجسد الذكاء والإخلاص أعظم تجسيد .. ولذلك، ها هو الفرعون يسند إليه إدارة بعض الأجهزة (ربما المخابرات الخاصة .. المبكرة!!)، المكلفة بمراقبة وتتبع الأعمال والسلوكيات المعادية لمصر بالمناطق الأجنبية. وقد بدأ "آمون إم إنت"، فعلا، فى تكوين جهاز استخبارات لمراقبة الأحوال الواقعية بالأقاليم التابعة لمصر فيما وراء الدرجات الشرقية بالدلتا.

لقد دعمت وحصنت حدود مصر الشرقية. وتمركزت بعض الوحدات العسكرية الجديدة، في انتشار قتالي فائق المدى، إلى ما وراء منطقة العريش[٢]، بامتداد الطريق الساحلي الممتد إلى "غزة ورفح"، المؤدي إلى الحصن[٣]. وعمل ذلك، مؤقتا، على ردع عشائر "الشاسو"، وهم لصوص بدو؛ عن السطو والمهاجمة. وبالإضافة لذلك، فإن هذه الإجراءات الوقائية الفورية، قد صاحبها قدر من التطهير والتغيير في الكوادر العليا بالجيش. ثم تبعها، نمط من التعليم "المستحدث" لوحدات الجيش؛ وحتى لضباط المركبات.. لكي يلتزموا بنظام أكثر صرامة وشدة في مجال فن القتال. وقد كلف الأمير "آمون حر خبش إف"، بتطبيق التعديلات. ومن المؤكد، أنه، من خلال دوره هذا، كان يجد المعاونة والمؤازرة من جانب "القائد ورحيا": الذي شارك ابنه؛ بجواره في معركة قادش.

عموما، ومهما يكن الحال، كان رمسيس على يقين تام، بأن الملكة الأم "توى"، أو "توى – موت"، كما كان يحلو له مناداتها، كانت بمثابة أفضل شريكة له في الحكم .. شبه رسمية . كانت فريدة ولا مثيل لها في حكمتها وتعقلها، وبديهيتها وحضور ذهنها المتوقد: ولقد تحققت مزاياها هذه خاصة خلال الحملات الأولى التي شنها ابنها رمسيس على سوريا. ولاشك أن كل من الزوجتين الملكيتين المعظمتين؛ "نفرتارى"، و"إيزيس نفرت" كانتا تحسدانها كثيرا على ذلك.

## نحو معابد الجنوب

وجد رمسيس أن الضرورة تحتم زيارة منطقة الجنوب[٤]. بل ومعاودة الاتصال المباشر مع كبار الموظفين الإقليميين؛ ليحيطهم علما بتفاصيل موقعة قادش. فالجميع يجب أن يتيقنوا تماما من مفاخر ومآثر وانتصارات فرعون مصر الخارقة للمألوف. وخلاف ذلك، كان "أوسر ماعت رع ستب إن رع" يرغب في الازدياد قربا من رعاياه. ثم هناك أيضا، مشاريعه الإنشائية الكبرى، التي استهلها منذ بداية حكمه الشخصي:

وكان يوليها جل اهتمامه ورعايته. خاصة، أنه، فى هذا المجال، لم يلجأ أبدا إلى تطبيق برنامج إنشائى تقليدى. فالآن خاصة، كانت الضرورة تقتضى، أن يومئ المعبد، من خلال نمط معماره وزخرفته أيضا، إلى الأحداث التاريخية العظمى. بل وبالإضافة لذلك، يكون أكثر تعبيرا عن بعض القوى الكونية التى يرتكز عليها التوازن العالمى ويرتبط بها ارتباطا وثيقا.

الآن، وقبل كل شيء ، بكافة المواقع التى شيدت بها نصب ومعابد تكريسا وتمجيدا لمختلف مظاهر رب الأرباب: يجب أن يضفى الملك الأبدية والخلود على معركته - المعجزة التى شنها وكأنه مارد عملاق، منفردا وحيدا، ومجابها لأكثر الأعداء جبروتًا وشراسة بين بلاد الشمال والشرق قاطبة. وكذلك، فإن التأثير السحرى بالنقوش البارزة، سوف يعمل دائما على وقاية وحماية قوته التى لا تقهر أبدا، فى كافة معاركه المقبلة. وهكذا، فإن الشبكة السحرية الواقية، المهيئة بذلك حول كافة أنحاء مصر، سوف تدعم من جهد واستبسال جيوشه. وتروق كثيرا للآلهة، التى ينتظر منها الفرعون، ما ستقدمه له من مقابل .. الحماية والرعاية.

## الثالوث الإلهى الموحد بعد أمنحتب الرابع

ولكن، بأى آلهة يتعلق الأمر؟!.. إن ملهمه ومثله الأعلى المستتر، أمنحتب الرابع، لم يكن، على ما يبدو، يؤمن ويقر إلا بإله واحد فقط: إنه هذا الرب الذى استكشفه فى قلب قرص الشمس. فها هى صورة ما انتشرت على أوسع مدى فوق جدران معابده وحوائط مقصورات مقابر تل العمارنة[٥]: إنها تمثل، أساسا ، الشمس، وقد بدت للمرة الأولى، وهى تضفى بأشعتها المتعددة، المنتهية بأيدٍ صغيرة: توصل إلى الأرض دفئها وضوءها وحيويتها وإنعاشها؛ إلى كل ما تلمسه!!.. حول هذه الصورة، كم من التأملات والأفكار السرية تراءت فى قلب المعابد؟!.. حيث انكب الكهنة الطبيعيون وعلماء الأشمونيين[٦]، أتباع الإله "تحوت"، على أبحاثهم ودراساتهم!!

عموما، إننا إذا حاولنا أن نلخص؛ التعاليم الدينية، كما أراد "أوسر ماعت رع" نشرها، يمكننا الرجوع، بكل إيجاز إلى بعض العبارات التى تتضمنها إحدى البرديات المحفوظة حاليا فى "ليدن[٧]". فهى تحوى سردا معاصرا لما بعد فترة العمارنة وأوائل الأسرة التاسعة عشرة. ووفقا لما ذُكر به من مبادئ، يتبين، بكل وضوح، ويسر، عظمة "الخالق الأعظم"، وتعدد تجلياته المتباينة: باعتبار أن كافة تلك الهيئات الإلهية، تتعلق، فى واقع الأمر، بـ"جوهر وكيان أوحد فقط لا غير". وبذا، فاستنادا إلى مبدأ التأليفية والتوفيقية خلال تلك الحقبة، أُقر بما يعرف بالثالوث الأوحد: "آمون، و رع، و بتاح"، وهم ثلاثة آلهة، يخضعون لإرادة وقوى واحدة، هى "الإله الأعظم".

فها هى فقرة مقتطفة من الفصل (٣٠٠) من التراتيل الموجهة لآمون: حيث حاول محررها تحليل النسق المشار إليه آنفًا:

"ثلاثة هم جميعهم الإله الأوحد: "آمون، ورع، وبتاح"! إنهم لا مثيل لهم أبدا. "الخفى": هو اسم وصفة آمون، والوجه: رع؛ وجسده: بتاح.

وعن مدنهم فوق الأرض، فقد تحددت دائما وأبدا، إنها: طيبة، وهليوبوليس، ومنف، إلى أبد الدهر.

وعندما تبعث من السماء رسالة إلهية، فإنها تسمع فى هليوبوليس، ويتم ترديدها فى منف، على مسامع ذو الوجه الصبوى (= بتاح)، ثم تحرر فى هيئة خطاب مدون بكتابة "تحوت"، وترسل إلى مدينة آمون الذى يهيمن على ممتلكاتها. وفى طيبة، يتم الرد: فتقول الآلهة: "حسنا، هذا يتبع التاسوع. فإن كل ما يخرج من فمه هو آمون". إن الأرباب قائمين بفضله، وفقا لما أمر. فهل بعثت رسالة إلهية؟.. إنه قادر أن يمحى أو ينفث الحياة. وبالنسبة للجميع، فإن الحياة أو الموت يرتبط به .. "آمون"، "رع"، (و"بتاح")؛ جميعا معًا ثلاثة".

لاشك أبدا أن هذا النص يشوبه بعض الغموض. ولكن، الأمر الوحيد الجلى الواضح هنا، هو: أن مبدأ الثالوث الأوحد قد أُبرز تماما، بشكل لا جدال فيه مطلقا. فها هنا إذن مظهر جديد لديانة آمون، بعد التغيير الذى أجراه أمنحتب الرابع[٨]: سوف يعدل ثانيا من جانب رمسيس، فيما يتعلق بآمون خاصة .

## الفصل (٤٠) من التراتيل:

"إنه صنع نفسه بنفسه؛ ولا يعرف أحد هيئاته وأشكاله: لقد كون صوره، وخلق من ذاته، وجمع نطفته فى جسمه لكى يخلق بيضته فى أعمق أعماق كيانه. وتحول إلى شكل؛ صورة لكل ميلاد..".

## ست يعود ثانيا!

أراد رمسيس أن يضيف إلى هذا الثالوث، الإله "ست": خاصة أنه ينتمى إليه أصلا. بل إن هذا الجوهر، بمصاحبة حورس، يتصدر قائمة الأسماء العظمى الخاصة بالفرعون؛ وهو، فى اللحظات الحميمة، الذى تتأمله الملكة، وحورس معا؛ وكذلك، فهو الذى استنجد به الملوك السابقون، فى اللحظات التى أحاقت فيها الأخطار بمصر. وتجدر الإشارة أيضا، إلى أنه قد بوأ هذا الإله على قمة الكتيبة الرابعة بجيشه. أما "أوسر ماعت رع"، فكان يعتمد اعتمادا كبيرا على بطولة وإقدام فيلق "ست": المنبثق أساسا من عاصمته "بر - رمسيس - المنتصرة". وهناك، ينتصب معبده العريق القدم، بشمال هذه المدينة، حيث تكمله تألقا ونورانية معابد كل من آمون، ورع، وبتاح: الواقعة، على التوالى بالجهات الأصلية الثلاث الأخرى للعاصمة.

الآن، ها هو مضمون آمون (آمون = الخفى)، قد فسر وشرح إلى أبعد مدى. بل لقد استحوذ، تدريجيا على التجليات الإلهية الأخرى. فهكذا، ظهر "آمون - آتوم":

الذى يقوم، بكل همة ونشاط، بتسجيل اسم الملك على ثمار شجرة الإشد، بمعبد ملايين السنين الخاص برمسيس (الرمسيوم). ثم هناك أيضا: "آمون – مين"، رب النشاط والاحتدام التناسلى فوق الأرض. وكذلك، يتراءى "آمون – النيل"، وقد بدا متوجا فوق عرشه، على قاعدة مكونة من مياه الفيضان من خلال النقوش الجدارية بقاعة الأساطين بالكرنك. أما عن قرنى كبش آمون، فكان يستعان بهما، على كل من جانبى وجه الفرعون، للإشارة إلى إلوهيته فوق الأرض..

ولعلنا نعلم أيضا، أن آمون قد استجاب لذاك النداء الموجع المرير الذى وجهه له رمسيس أمام حصن قادش، فى أكثر لحظات حياته مأساوية وألما. نرى إذن، أن رمسيس كان يعمل على إثراء المجال الذى استحوذ عليه الثالوث الموحد: وهو بذلك، يدعم ويقوى من الروح الشمولية التى يتضمنها برنامجه الدينى. وفى الحين ذاته، يحاول تقليص وتحجيم مقدرة وسطوة كهنوت واحد منفرد ..

كان آمون يستطيع إذن، تصدر تأثيرات مختلف الآلهة: فالبشر جميعا، كانوا يعتبرونه "إلههم"؛ خاصة هؤلاء الذين لا يطرقون أبواب المعابد. وكان يمكنه أن يمثل جوهر "إله البسطاء"، وفقا لهذا التعبير الصائب الذى ذكره العالم "ب. جن". فلاشك أن رمسيس قد أراد إضفاء الحظوة والتميز على هذه الفئة الاجتماعية، ولذلك، نجد، أنه بعد فترة زمنية قد أمر كاهنه الأكبر المدعو "باك إن خونسو"، بإعداد مساحة محددة بالواجهة الشرقية بمعبد الكرنك الكبير: لإتاحة الوصول إلى: "آمون الذى يستمع إلى الابتهالات والصلوات". وعلينا أن نشير أيضا إلى أن الملكة حتشبسوت التى كانت تميل كثيرا للتجديد والإحداث، قد مثلت، فى نفس ذاك المكان، فوق لوحة رائعة من المرمر صورتها الشخصية بجوار الإله آمون.

## البرنامج المعمارى

كان "أوسر ماعت رع ستب إن رع" على يقين أن الأمر يتطلب انقضاء دورتين اثنتين للفيضان، حتى تتحقق فعالية التعديلات الجارية من أجل "تحديث" جيشه.

وعندئذ، سوف يتمكن من الانطلاق، بكامل قواه وسطوته لاستعادة البلدان التى فقدت منه. إذن، والحال هكذا، فقد وجد أن فى الوقت متسعًا كافيا لكى يحقق وينفذ ما كان يصبو إليه قلبه بوجه خاص: بلورة وتجسيد برنامجه المتعلق بالعمارة الرمزية. وهكذا، فإنه قبل وصوله إلى أملاك آمون، توقف لفترة ما فى "أبيدوس"، عند معبده الذى كان بناؤه قد قارب على الاكتمال: وهناك، أصدر أوامره: بأن يمثل "تقرير" المعركة فوق الجدران الخارجية شمالا وغربا.

عند وصوله إلى منطقة طيبة البديعة الخلابة، ها هو "أوسر ماعت رع ستب إن رع" يستعيد فى ذاكرته الأجواء التى عاشها فى سنوات صباه. حيث قام، بمصاحبة "باسر" بزيارة ساحات العمل القائمة على الضفة اليسرى؛ وكذلك، أجواء الكرنك فى مناسبة "تنصيب" كاهن آمون الأكبر، "نب ونن إف"، فى وظيفته رفيعة القدر. ولكن، منذ ذاك الحين، وجد نفسه بعد مراسم تقديسه وقد تحول نهائيا إلى ربيب الإله؛ وكذلك : "بطل معركة قادش".

بداخل "بيت" آمون، وقع اختياره على الجدار الجنوبى الخارجى لقاعة الأساطين، لتنقش فوقه مشاهد أحداث ما جاء بالتقرير (بعد ذلك، استبدلت بمشاهد حربية أخرى). كما عولج نفس ذاك الموضوع فوق كافة واجهات المعبد الجنوبية غربية. وفى الأقصر، خارج الفناءات، وعلى الواجهة الشمالية لأبراج الصرح، عمد إلى الإشارة، لثلاث مرات متوالية، للمراحل الرئيسية المتضمنة بـ"التقرير" .. حتى تستطيع جموع الشعب رؤيتها وتأملها.

## المعبد المفضل : الرمسيوم

أخيرًا، وبعد عبور النهر، تمهل الفرعون لبعض الوقت فى معبده الخاص بملايين السنين، أى "الرمسيوم": وفقا للاسم الذى أطلقه عليه شامبليون. ولكن، فى الحقبات المتأخرة، عندما زار "ديودور الصقلى" مصر، اعتبر هذا النصب بمثابة: "مقبرة

أوزيمانديس[9]". كان هذا المعبد هو الأقرب والأحب إلى قلب رمسيس، بالإضافة إلى معبدى أبو سمبل. لدرجة أنه قد عرفه باسم: قصر "أوسر ماعت رع ستب إن رع" الملتحم بطيبة، فى أملاك آمون[10]".

كان العمل المعمارى قد أوشك على الانتهاء تماما[11]. ولكن الزخرفة لم تكن قد اكتملت بعد. وبالأطراف، شيدت الكثير من المخازن التى بدأت تستوعب أكداسا وتلالا من كنوز المعبد: فعند الجوانب الشمالية، والغربية والجنوبية، بدأت صوامع الغلال الضخمة الأسطح المقوسة تستقبل كميات من الحبوب لتكون بمثابة رواتب الكهنة وعمال الجبانة. وأيضا تضمنت كافة المواد اللازمة لإثراء الأثاث الطقسى وعناصر إقامة الشعائر؛ ثم كما هائلا من الهدايا المقدمة للعرش بمناسبة أول أيام العام الجديد. ويضاف إلى تلك الأبنية، بعض المساكن الخاصة بالكهنة، والمكاتب الإدارية، والمعامل، والمكتبة، و"بيت الحياة" المتضمن لقسم الشئون الكتابية فائق الاتساع. وبالركن الجنوبى الغربى، خصصت، فى الهواء الطلق ورشة خاصة بنحت الأوانى المقدسة، والتماثيل التى سوف يعمل الكهنة على إنعاشها بواسطة الطقوس السحرية المتعلقة بـ"فتح العينين والفم".. وهناك أيضا طرقات مبلطة، للعمل على تيسير وسهولة المرور من مكان إلى آخر..

وأخيرا، بالركن الجنوبى الشرقى، بُنى القصر الصغير الخاص بالفرعون: إنه يستقبله بأجوائه فى مناسبة المراسم السنوية الخاصة بالتجدد والانتعاش. أما عن الساحة المترامية المدى، فقد تقرر إحاطتها، من الجوانب الثلاثة الشمالية، والغربية، والجنوبية بممر مزدوج تصطف على جانبيه تماثيل لأبى الهول بشكل أسد. فى الجانب الغربى؛ تبدو تماثيل أبو الهول برأس آدمية، وتحمى بين قوائمها تمثالا صغيرا للفرعون واقفا. أما فى الجانب الشمالى والجنوبى، فتتراءى هذه التماثيل برءوس حيوانية. وعن الأقسام التقليدية العريقة بالمعبد، التى يتصدرها صرح هائل ذو برجين بشكل شبه منحرف، فقد وضعت تماما فى الاعتبار. ولكن، يلاحظ أن القسم الأول

يتضمن فناءين بدلا من واحد. والجزء الثانى، يتكون أساسا، من قاعة الأساطين؛ أما الثالث، فهو يحوى مجموعة من القاعات التى تحيط بقدس الأقداس.

الجدير بالذكر، أن رمسيس شخصيا قد قام بدراسة وتفحص خريطة هذا البناء المعمارى، الذى بدا الآن متجسدا ملموسا أمام ناظريه. ولكن الفرعون كان قد أبدى رغبته: لانتظار قدومه لكى يتم البت النهائى فى أمر زخرفة الجدران جميعها.

وهكذا، نجد أن الفرعون، فى نطاق الفناء الثانى، قد وقع اختياره على المستوى السفلى للجدار الشرقى، لكى تمثل فوقه تفاصيل معركة قادش. ولكنه أمر بالتوقف عن عمل الزخرفة بالجدار الداخلى الغربى للصرح: فقد أراد، أن تنقش عليه مستقبلا، بجوار تمثيل جديد لمعركة قادش، مشاهد أخرى تصور معاركه السورية المقبلة فى "كنعان، وعمورو"!!..

## رمسيس يستلهم استحداثات أمنحتب الرابع

ضمن الأسباب والدواعى التى جعلته يحضر إلى "طيبة": ميله العارم المحتدم، الذى كان منذ شبابه الغض، يجذبه ناحية المغامرة العمارنية. إنها، بدون شك، متعددة الأوجه. وتركت بصماتها واضحة على المفهوم الخاص، كما عرفنا، لكيان آمون. ولكن، بخلاف ذلك، تراءى فى إطارها المبدأ الأوزيرى، الذى يهيمن على كافة الطقوس والشعائر الجنازية، التى أصبحت، تدريجيا، فى متناول كافة أفراد شعب مصر. وبالإضافة لذلك، فإن غموض هذا المبدأ وأسراره يثقل على سلوك أتباعه والمؤمنين به .. ..

حقيقة أن الكثير من التعارضات كانت تواجه الفرعون، فى هذا الصدد، حتى قبل فترة اشتراكه فى الحكم مع أبيه: ولكن، تدريجيا، سرعان ما تلاشت من خلال مشاوراته وحواراته مع الكهنة – العلماء فى "بيوت الحياة"، وبصفة خاصة، القائمين

في الأشمونيين (هرموبوليس): فقد أناروا ووضحوا له بحكمتهم ومنطقهم حقيقة تجربة أمنحتب الرابع، التي انتهت، بفشل وإخفاق ظاهري مأساوي.

كان رمسيس على يقين بأن المفهوم الديني المتعلق بـ"آتون"، أي قرص الشمس، كان قائما بمصر منذ غياهب الأزمنة. أي أن أمنحتب الرابع لم يبتكره أو يخترعه .. ولكنه أراد أن يضفي عليه شكلا ومظهرا .. علميا!!.. وكان رمسيس يعلم تماما، أيضا، أن التجليات المتباينة، التي غصت بها المعابد في كافة العصور والأزمنة، كان هدفها الرئيسي: أن تقرب إلى مفهوم البشر تنوع وتباين مقدرة الإله الخالق اللانهائية .. فهذا ما توضحه "ترانيم لآمون"؛ في إثر "البدعة" العمارنية!..

## أوزيريس في عيني أمنحتب الرابع

جملة القول، أن "أوسر ماعت رع ستب إن رع" قد استوعب فعلا حقيقة الصراع الذي خاضه. فكيف يستمر البعض في اتهامهم لذاك المجدد المصلح بأنه نبذ الأسطورة الأوزيرية ونحاها جانبا؟!.. كيف؟!.. وهو الذي مثل نفسه في الوضع الأوزيري: ساقان مضمومتان (متوقف)، ذراعان متصالبان فوق الصدر، واليدان ممسكتان برموز هذا الإله: أي الخطاف والسوط؟!.. وبالإضافة لذلك، استعان بتماثيله هذه لزخرفة "الأعمدة الأوزيرية" بمعبده الكبير المكرس لـ"آتون"، بشرق الكرنك، في أوائل بدعته الدينية!!.. وخلاف ذلك، ألم يجهز أمنحتب الرابع ملحقاته الجنازية الفخمة: بالحاوية والتابوت الذي سيستقبل المومياء "الأوزيرية"، ومعها التماثيل الجنازية الصغيرة اللازمة، المعروفة باسم "الأوشابتي"، المتطابقة تماما مع الشعائر التقليدية فائقة القدم : الذي اعتبر أوزيريس أول المستفيدين بها .. هذا الإله – الشهيد؟!..

وربما أن هذه "الأعمدة الأوزيرية" الكبرى شاهقة الارتفاع الممثلة لذاك "الفرعون البدعي"، المعبرة عن ديانة "آتون" أوضح تعبير، قد تراءت لرمسيس، عند الوهلة

الأولى، بمثابة تعارض لا يصدقه العقل!.. ولذلك، أخذ يستعلم، ويراجع الأرشيفات السرية .. وفى النهاية وجد الإجابة!!.. لم يكن الأمر يتضمن أبدا حقيقتين جوهريتين ومتعارضتين أى: تلك التى تحاول دائما التعمق فى أسرار وخبايا القوى الحيوية؛ والأخرى التى تغوص فى مجاهل وظلمات الموت!.. ولكن، فى واقع الأمر، لم يكن هناك سوى وجهان لظاهرة واحدة فقط لا غير، ودائمة أبدا: إنهما: "الحياة" و"الموت". والأولى لا يمكن استمرارها بدون الأخرى. وكل واحدة منهما، تعتبر مكملة للأخرى ويستوعبان معا كافة التجليات الإلهية.

الانتعاش الخلاق، الإيجابى، ثم السلبى، الجدب العقيم، الخامد: الاثنان يتواليان وراء بعضهما بعضا، فى حركة مستمرة دائما أبدا: يجسدها النهار والليل، الضياء والظلمات: ومن خلال تواليهما المنتظم تتجسد الأبدية والخلود: فلاشك أن أمنحتب الرابع، أراد تفسير هذه الحقيقة.. حيث تنبثق عظمتها التى لا مثيل لها، من سهولتها وبساطتها نفسها. كان هذا الفرعون يود محو بعض الإبهام والغموض، والجهل الذى تسببت فيه الأساطير. فإن هذه الأخيرة، ربما كانت تهدف إلى شرح القوانين الطبيعية الكبرى، ولكنها، فى معظم الأحيان، كانت تعمل على تلبدها وتعتيمها؛ بل لقد أبعدتها تماما عن مواضيعها الأصلية البدئية.

إذن، كانت الضرورة تحتم أن يكون رمسيس كهنوتيا حصيفا بارعا، لكى يتبين، من خلال الأسطورة الأوزيرية الفائقة الشاعرية الجميلة .. كل الحقيقة الكونية المتوارية خلف تسلسل الأحداث والوايات التى تتضمنها.

## الأعمدة الأوزيرية

ها هى قد انتصبت فى نطاق المعابد تلك الأعمدة الأوزيرية الرائعة الشهيرة: إنها تتكون عادة، من دعامة ضخمة مربعة الشكل يقف الملك فى مواجهتها وقد تدثر تماما بالغلاف الجنازى الخاص بأوزيريس. وكانت هذه الأعمدة قد ظهرت بداية من "الدولة

الوسطى". ويبدو تمثال الملك وقد تحجر وتجمد فى وضع ذاك الإله، ميتا ومحنطًا، ولكنه، مع ذلك، واقف على قدميه، وممسكا بيديه صولجانى أوزيريس. وكانت الضرورة تقتضى تفسير المضمون الكلى لهذه التماثيل، بالنسبة لـ"مراسم اليوبيلية" فى أول العام الجديد، التى يتم إحياؤها بداخل معابد ملايين السنين: ولذلك، يجب أن يبين أن هذه الأشكال هائلة الضخامة، بمثابة قوى فى حالة سُبات تام، سوف ينبثق منها نشاط وحيوية دافقة..

ولذا، حاول أمنحتب الرابع أن يوضح، بكل دقة المظهرين المتتاليين اللذين يبدو عليهما الفرعون خلال تلك المراسم المتعلقة بـ"إعادة توطيد وتأكيد السلطة الملكية": فعمل، فى نفس هذه المناسبة، وبشكل عنيف الواقعية، على كشف النقاب عن السر الذى يحيط بتلك الأساطير الأوزيرية، التى كانت تؤدى، فى سرية وتكتم شديد بمعبد هذا الإله فى أبيدوس[١٢].. ودائما أبدا، كان هذا السر الأوزيرى يتم ستره ومواراته بكل دقة وعناية، بواسطة الكفن الذى دُثّر به تماما هذا الإله الشهيد .. حيث قضت الطعنة القاتلة الموجهة إليه، على عضو ذكورته!!.. وقد لجأ أمنحتب الرابع عند تحليل هذه المأساة، إلى مرحلتين اثنتين أساسيتين: فعمل، بكل جرأة وجسارة، لإبراز وتوضيح المرحلة السلبية: أى نحت تمثال عارٍ له، مفتقدا لعضو ذكورته .. وهكذا، كشف النقاب الكثيف الذى حرص على إسداله رجال الدين حرصا شديدا .. حتى تحتفظ الأسطورة بسريتها وغموضها على الدوام وفى إثر هذا الشكل المستفز الصارخ، العارى تماما من أى كفن أو غطاء؛ والمتوج خاصة بتاج البسشنت الأوزيرى، ها هو تمثال آخر للملك، وقد استعاد حيويته وعنفوانه، يتراءى، ملاصقا للنمط الثانى من الأعمدة الأوزيرية: إنه عارى الصدر، يرتدى المئزر الملكى، وقد دبت الحياة فى أوصاله: حيث تعبر تيجانه المتباينة عن المضمون الشمسى.

حقا إنها لفضيحة كبرى، زلزلت دعائم وأسس كهنوت آمون؛ الذى كان يلتزم التزاما فائقا بالطقوس الدينية. ولكن الإهانة التى وجهت لأبيدوس القوية السطوة، لم يغفرها أبدا كهنة أوزيريس .. وجر ذلك فى أعقابه ضياع أخناتون!!.. ومع ذلك، فقد

استطاع فكره هذا، أن يتقدم حثيثا. ومنذ ذاك الحين، أصبح من المحتمل جدا، تقبل مطابقة المفهوم الخاص بـ"رع" مع ذاك المتعلق بأوزيريس: فإن البرهان الذى حققه أمنحتب الرابع، قد اتفق وتلاقى تماما بما تذكره هذه الفقرة المقتطفة من "كتاب الموتى[١٣]"، حيث تقول: "أوزيريس، هو الأمس، أما رع فهو الغد".

## الإصلاح كما يراه رمسيس

إنه لجرىء حقا هذا التعديل، الذى جسد فى قلب الكيان المعمارى ذاته .. ولم يكن ليغيب أبدا عن اهتمام رمسيس أو يتوه عن باله. فها نحن نراه، وقد أصدر أوامره ببناء الرمسيوم، على ضفة طيبة الغربية؛ ومن حوله رجاله الجديرون بالثقة، مثل: "نب ونن إف"، "كاهن الكرنك الكبير[١٤]"، و"ونن نفر"، كاهن أوزيريس الأكبر فى أبيدوس، وهذا *المثقف الحصيف البارع*، *الكاتب* "رعموزا"، *الوثيق الصلة* بالوزير "باسر". وعندئذ، أوضح لهم السبل والأساليب، للرجوع، فى سرية وتكتم، وبدون جرح مشاعر رجال الكهنوت جميعهم، إلى تلك المظاهر المتعلقة بطقوس تجديد الحيوية وإنعاشها. وهنا، اقترح عليه "باسر"، أن يحتذى بالنموذج الذى ألهم من قبل الفرعون أمنحتب *الرابع*؛ والذى قام بتحقيقه "سننموت" المهندس *البارع*، المبشر بالتعديل والاستحداث، من أجل الملكة حتشبسوت. وها هو هذا المثال مجسدا: حيث بدت الملكة فى هيئة تمثال - مومياء، فى ساحة الأعمدة الأوزيرية الهائلة المساحة بالدير البحرى: وقد أمسكت بالصولجانين الأوزيريين، مضافا إليهما الخطاف "حكا"، والسوط "نخاخا"؛ بل وكذلك الرمزين الشمسيين، "عنخ" رمز الحياة و"واس"، أى النفثات والقوى الشمسية: وقد لجأ أمنحتب الرابع، بدوره إلى وضع هذين الشعارين بين الأيدى الصغيرة التى تنتهى بها أشعة "آتون" المتألقة .. ومع ذلك، نرى أن رمسيس قد فضل الاستعانة بالشكلين اللذين كان أمنحتب الرابع قد استوعبهما وقدمهما من قبل: فهما أقل شاعرية وفكرا، وأكثر توضيحا .. ومع ذلك، فقد جردهما رمسيس من الواقعية العمارنية الصارخة!

ولذلك، أضاف فناء آخر إلى التصميم الذى كان قد أعد مبدئيا من أجل معبده: ويتبين أن أحد الفنائين قد أحيط بساحة تزينها أعمدة أوزيرية تقليدية، إشارة إلى الحال التى سيكون عليها الملك فى بداية مراسم تجديد حيويته وإنعاشها: أى أنه مدثر تماما بكفنه. أما الفناء الآخر، فهو يماثله ويطابقه معماريا، وقد أحيط هو الآخر بالعديد من الأعمدة: ولكن يقف ملاصقا لها، تمثال الملك، وقدماه مازالتا مضمومتين بجوار بعضهما بعضا، وقد ارتدى مئزر الملوك الأحياء، وتوج بالتاج الشمسى. وعن هذه الأشكال الممثلة للملك وقد تجددت حيويته، فقد صاحبتها عدة تماثيل صغيرة الحجم ممثلة لبعض أولاده الأمراء.

عندما رست سفينته قرب ميناء المعبد، غادرها "أوسر ماعت رع ستب إن رع"؛ وعبر من البوابة الكبرى الملحقة بصرح الرمسيوم .. وهنا، بلغ سروره أوجه ورضاؤه ذروته، وهو يرى تماثيله فى هيئتها الشمسية .. فهكذا، سوف يشاهدها الجميع؛ عند الخروج من المعبد، بعد أن يستعيد حيويته وعنفوانه على مدى العام كله.

بعد تأمله لتمثاله العملاق الهائل الضخامة الماثل بجوار قائمة الباب الجنوبية، فى نهاية الفناء، ولاحظ التجهيزات والإعداد لإقامة تمثاله العملاق الشمالى(١٥)؛ دخل، عندئذ الفناء الثانى، قبيل الوصول إلى القاعة الفسيحة الأرجاء المزينة بأساطين بردية الشكل. وهنا، تراءت له ثانيا، تماثيله الملكية فى هيئة مومياء وقد التصق كل منها أمام عموده. ومثلها كمثل سابقاتها، لم يكن ارتفاع هذه التماثيل ليقل عن ستة عشرة ذراعًا .. أو بالأحرى، ارتفاع المنسوب الكلى للفيضان المثالى!.. ولقد شوهدت هذه المقاييس أيضا فى أبو سمبل، خاصة بالنسبة للأعمدة الأوزيرية بالقاعة الكبرى. والآن، ها هو أمر، لم يكن له مثيل من قبل: مشاركة فن نحت التماثيل فى مضمون ومفهوم وفعالية الطقوس. على مدى الطريق الذى يسلكه الفرعون، خلال احتفالات "العام الجديد".

قطعا إن المعبد المصرى يعكس فوق الأرض صورة ذلك العالم الذى قام رب الأرباب بوضع الإنسان فى نطاقه: إن بيت الإله هذا، القائم فوق ربوة الخلق، يجب أن

يجسد أكثر المفاهيم اتساعا وشيوعا. حقا، لقد استلهم رمسيس من تجارب أسلافه (كمثل مجموعة أعمدة الأقصر التى لم يستكمل أبدا المجال المحيط بها)، ثم من إنجاز قاعة الأساطين المترامية الأطراف بالكرنك، العملاقة المقاييس: وبذلك، قرر أن يضفى معنى ملموساً على القاعة المركزية الكبرى ذات الأساطين المتعددة بمعبده الخاص(١٦).

## المضمون الأساسى لقاعة الأساطين

تعبر العودة السنوية للفيضان، عن بداية عام جديد: ويتكون العام من ثلاثة فصول، كل منها يتضمن أربعة أشهر: وهكذا، تغدق سبل المعيشة على البشر والحيوان فى أرض مصر. وقطعا، كان المصرى القديم يصبو من كل قلبه إلى انتظام هذه الدورة. منذ آلاف السنين قسمت إلى اثنى عشر شهراً، كل منها مداه ثلاثون يوماً (بالإضافة إلى خمسة أيام وربع زائدة) ويتضمن كل شهر ثلاثة أسابيع؛ وكل أسبوع مداه عشرة أيام. وهكذا، كان الأمر يقتضى، بكافة السبل، دفع، وتحميس تعاقب وتوالى الأشهر؛ وتوجيه الدعاء والابتهالات؛ وحتى ينتهى كل عام، بوصول الفيضان الخصب الثرى .. المرتقب دائما على أحر من الجمر.

إذن، لقد أراد رمسيس، أن تمثل قاعته ذات الأساطين إطار الدورة المكتملة، والأشهر الاثنى عشرة التى تجسدها الاثنى عشرة أسطونا(١٧)، البردية الشكل، ذات القمم المتفتحة اليانعة. وبجانب كل من هذه الأساطين، يتراءى الملك بكل جلاله وعظمته، وهو يقدم قرابينه لبعض الآلهة. وعادة، يرافقه شكل للـ"كا" الخاصة به، باعتبارها جوهراً مقدساً يومئ إلى طاقته الإلهية الكامنة: توجت رأسها بالـ"علم" المتضمن لاسم: "الفرعون – حورس". ومن ناحيتى الشرق والغرب، على جانبى كل من الأساطين الاثنى عشرة، تقف أساطين أخرى أقل حجما؛ عددها ثمانية عشرة أسطونا: بردية الشكل هى الأخرى، ولكن ذات قمم مقفلة. وبذلك، نرى أن العام قد صاحبته درجاته الست وثلاثون. ولابد من أن يؤدى هذا الدوران الشمسى، طبيعيا، إلى بلورة "يوم العام الجديد" .. الذى سيوضح بالقاعة التالية.

## القاعة الفلكية

ها هنا باب ضخم مزخرف بكورنيش، يعتليه إفريز مستطيل الشكل نقشت عليه علامات ورموز تدل على الأبدية الشمسية[١٨]، أمام مجموعة الأساطين المركزية. إنه يصل ما بين قاعة الأساطين وأخرى مستطيلة الأبعاد زينت بثماني أساطين ذات تيجان بردية السمات مقفلة. وتسمى هذه القاعة: "الفلكية". فإن جزءًا من سقفها المدعم بواسطة أربعة أساطين، بالناحية الشمالية من هذا المكان، قد زين برموز عن النجوم والكواكب؛ وامتد فى نطاقه تقويم تخطيطى فعلى بكل معنى الكلمة. إنه يبدأ من الشرق إلى الغرب. وبدايته، شرقا، عند الجدار المشترك ما بين قاعة الأساطين والأخرى "الفلكية": بجوار كوة ضخمة متسعة، أفقية تسمح بدخول الضوء القريب المتماوج فوق هذا "الديكور" السمائى.

## التقويم

فى هذا الصدد، أصدر "أوسر ماعت رع ستب إن رع" أوامر حاسمة ومحددة: عند تخطيط التقويم، يجب أن يبين "العام الجديد" فى منتصف السقف تماما[١٩]. فهو ينبئ عن استهلال الفصل الجديد، أى "الآخت"، الذى يتكون من الأربعة أشهر، حيث يغمر الفيضان كافة الأراضى الصالحة للزراعة طوال العام؛ حتى بداية الصحارى الغربية والشرقية. بعد ذلك، يهل الفصل الثانى، أى "البرت" (شتاء، ثم ربيع)؛ وخلال أشهره الأربعة، يجد المزارعون الوقت الكافى لإعداد الأرض الزراعية التى أثريت عندئذ بالغرين والطمى الجديد، المنهمر من مياه النيل. بعدئذ، يستطيعون بذرها، ثم يجزون بداية كل محصول. أما فصل "الشمو"، فهو بمثابة الجزء الثالث من العام: وخلاله، يكمل الفلاحون أعمال جمع منتجات زراعاتهم ومحاصيلهم، قبل حلول الحر القائظ، وما قد يستتبعه من أضرار ومساوئ خطيرة كثيرة .. ولكن، غالبا ما ينتهى هذا الفصل نهاية سعيدة، حيث المحاصيل الطيبة الوفيرة وبوادر العام الجديد.

إذن، ففى الرمسيوم، بدأت خريطة التقويم بالشهرين الأخيرين القائمين فيما بين الشتاء والربيع. وانتهى هذا التخطيط من خلال الشهرين الأولين بنفس هذا الفصل. وهكذا، يلاحظ أن أوامر رمسيس قد نفذت بحذافيرها وبدقة متناهية. واحتل "يوم العام الجديد"، النقطة المركزية الوسطى للتقويم: فيما بين الشهر الرابع بفصل "الشمو" (الصيف)، وأول أشهر فصل "الآخت" (الفيضان). ومباشرة، أسفل، أحيط محور يوم العام الجديد بصورتى "أوريون"، و"سوتيس": إنها النجمة الفائقة للمألوف (نجم الشعرى اليمانية)، التى تتجلى عند الفجر، بالأفق الشرقى فى السماء، بعد اختفائها[٢٠] طوال سبعين يوما. وفى أثرها فورا، على مقربة منها، تنبثق الشمس المشرقة: وبعد فترة وجيزة من شروق النجمة "سوتيس" المقارب للشروق الشمسى - تنهمر مياه الفيضان!

على نفس المحور الشمالى - الجنوبى للتقويم، وبالجزء السفل من مشاهد السقف المشار إليه، صور القرد الملازم دائما لـ"تحوت" إله الزمن؛ وقد جلس فوق "الوتد - جد[٢١]"، شاخصا بنظره ناحية الجنوب[٢٢].

## أول العام الجديد

عادة، ينهمر الفيضان الذى يتوق إليه الجميع؛ والنجمة "سوتيس" هى التى تنبئ بوصوله. ونجد، أن رمسيس الثانى، من خلال هذه الظاهرة - العلمية - الرمزية، قد بين، فى هذا الصدد أيضا، التعاليم التى أراد تخليدها فى أجواء معبده[٢٣]. ويلاحظ، أن هذه الأخيرة ترتكز أساسا على ميكانيكية وآلية سماوية فعلية: فى تسلسل متوالٍ فائق الدقة والانتظام: فها هى الأشهر الاثنا عشر، والفصول الثلاثة، ودوائر البروج الست وثلاثون تنفذ وتختلج بداخل كتل الحجر الرملى، التى بنى بها معبده. وبداخل "القاعة الفلكية"، زينت الجدران، ضمن الكثير غيرها، بنقوش "شجرة - إشد": التى تعمل، على التوالى؛ على تجديد حيويته وإنعاشه الدورى. فإن

طاقة الفرعون وتوقده ينبثقان أساسا من الإله الخالق؛ ولذلك، فهو بدوره الكفيل والضامن لحياة مصر وبقائها.

في هذه القاعة الفلكية ذاتها، وفوق جدارها الشمالي، ومن خلال النقوش الغائرة، مُثل موكب لمراكب كل من الأشكال الآتية: رمسيس الثاني، وربة الجبانة الملكية (أحمس نفرتاري)، و(آمون، وموت، وخونسو)، و"آمونيت". ومما يثير الاهتمام هنا: أن أكثر المراكب ضخامة وثقلا، هي الخاصة بخونسو وأمونيت: فقد قام بحمل كل منهما (٢٤) كاهنًا. أما الأخريات، فقد وضعت كل واحدة فوق محفات يقوم بنقلها (١٨) كاهنًا فقط. لاشك أن رمسيس أوسر ماعت رع كان حريصا قبل كل شيء، على إبراز وتوجيه الاهتمام تجاه يوم العام الجديد: فهو بمثابة موعد رجوع مد فيضان النيل الإلهي، المستوعب في كيانه كل آمال وأماني الحياة. بل من خلاله أيضا، يتجلى "آمون - المستتر"، مزدوجا مع "رع حورآختي". إن تدفق مياه الفيضان يرجع بواسطة تأثير الشمس: التي يرمز إليها وصول مركب "آمون - رع": فهذا الفيضان هو ذاته الذي كان رمسيس يحرص على وصوله للحدود الجنوبية بمصر .. فمن منطلقها يندفع منهمرا نحو الصخور المقدسة "إبشك" و"محا"، بشمال "الشلال الثاني" النوبي.

ضمن الرموز الفلكية المتعددة، اعتبرت الأربعة والعشرون ساعة التي تمضيها الشمس في دورتها الظاهرية، من الأمور التي لم يغفل رمسيس عن الاهتمام بها. ولعلنا نلتقي بإيماءات عن هذه الساعات الأربع والعشرين بداخل القاعات الثلاث المتتالية، التي تستوعب كل منها ثمانية أساطين في قدس الأقداس (أولاها هي: القاعة الفلكية). وقد أقيمت تلك القاعات على نفس امتداد محور قاعة الأساطين الرئيسية. وتجدر الملاحظة أن تلك الأمكنة الثلاثة، كان يتم في أجوائها أيضا العمل على "تأكيد القوة الملكية"، الذي يقام الاحتفال به كل عام: ولم يكن ذلك، يتم في ساعات النهار فقط، بل وخلال الليل أيضا: ففي المساء، كان الملك يرقد فوق سرير طقسي. إن هذه القاعات، هي بمثابة الإطار النهائي الخاص بالإنعاش والإحياء الدوري لعنفوان وقوة الفرعون[٢٤].

## قدس الأقداس وإضفاء رونق الشباب على الفرعون

كان "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، قد درس دراسة مستفيضة كافة مراحل الشعيرة التى يكلف بها كل فرعون فى إطار هذه المراسم. وبجنوب القسم الثالث من معبده (أى مجموعة القاعات المخصصة لقدس الأقداس)، أعدت الأماكن، التى سوف يقوم، فى نطاقها بالاندماج مع مختلف فترات الطبيعة؛ وذلك، من خلال المحطات الشعائرية: وعندئذ، وبواسطة "السحر الخير"، سوف يوفر المؤن والغذاء لبلده .. مصر.

بداخل القاعات الأوزيرية، القائمة بناحية الجنوب الغربى، يرى الفرعون، من خلال بعض النقوش الغائرة، وهو يعيش ثانيا، وعلى التوالى الفصول الثلاثة بالعام الأوزيرى: حيث استهل ذلك بفلاحة الأرض بواسطة المحراث: وعلينا أن نقر، فى هذا الصدد، بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه من أجل توفير المساحات اللازمة للزراعة. بعد ذلك، نشاهده، وقد أمسك بمنجله، ويقوم بمهمة الحصاد: ويعبر بذلك عن نجاح ووفرة المحاصيل جميعها. وبمرور الوقت، وانقضاء أشهر الحر القائظ، يهل أول العام الجديد: مجسدا فى صورة "حابى" أى "الفيضان". وهنا، يقوم رمسيس بحمده وشكره؛ حتى يستطيع هذا "المن" المتدفق على مدى الأشهر الأربعة .. فى كافة أنحاء مصر .. أن يحقق انتعاش الطبيعة وازدهارها.

فى اتجاه معاكس، أى بالشمال الشرقى، يتحتم على بعض القاعات الشمسية، أن تثبت وتقر بالصحوة السنوية؛ الكفيلة الضامنة للدوام والاستمرارية فى كافة معانيه وأوجهه؛ والتى تتجه(٢٥) إليها كافة الشعائر وتتجمع حولها. وعلينا أن نسلم بدقة أسلوب وبراعة منطق "أوسر ماعت رع ستب إن رع"؛ ليتمكن من إخضاع مجمع معمارى هائل الضخامة بأكمله: فيجعله متناسقا متناغما مع القوانين الكونية العظمى .. لكى يحثها على عدم الانحراف نحو الخواء الرهيب المدمر!

## آمون يرعى رمسيس ويحميه

مازالت هناك مواضيع أخرى يجب تناولها ومعالجتها مع "آمون - الخفى"، فى "قصر ملايين السنين" هذا. ألم يعمل ذاك الإله فعلا، بالرغم من كافة العقبات والأخطار، على حمايته حماية فائقة للمألوف؟. ولذلك، والحال هكذا، أفرد رمسيس الجدار الجنوبى الغربى بقاعة الأساطين، لكى تنقش فوقه زخرفة مهيبة فخيمة تمثله وهو يتلقى السيف المعقوف "Harpé"(٢٦) المنتصر دائما من يدى رب الكرنك القائم فى جلاله وعظمته فوق عرشه، وبجواره زوجته الإلهة "موت".

من المؤكد أن الأولوية، قد منحت للمشاهد المتعلقة بمعركة "قادش": حيث أراد الفرعون نقشها أسفل الرواق الشمالى - الشرقى بالفناء الثانى، وعلى الواجهة الغربية للصرح الأول: ولكن، علينا ألا ننسى أبدا ..أنه قد اصدر أوامره للفنانين، أن ينتظروا قيامه بحملات عسكرية مقبلة فى كنعان وعمورو، حتى يسجلوا أيضا انتصاراته المقبلة، التى يتوقع إحرازها منذ الآن!!

## لنتعرف على عائلة الملك

ها هو الفرعون قد ناهز، حاليا الثلاثين من عمره. ومع ذلك، فقد رزق بعدد هائل من الأبناء .. ويلاحظ أن ذاك الأمر المستحدث الجديد الذى أنجزه رمسيس فى أبو سمبل، قد تكرر ثانيا، فى معبد آخر: يرى، على جانبى باب قاعة الأساطين المؤدية إلى القاعة الفلكية، سجل مزدوج: خصص، من ناحية الشمال، لعرض متتالٍ لبناته: وبالجانب الجنوبى، قائمة أخرى (كانت تزداد تزايدا مستمرا ..) بأبنائه الأمراء. وخلاف ذلك، فإن أسماء أبنائه المتوالية المسجلة فى هيئة قوائم رأسية، قد اقترن كل منها بصف خالٍ، فى انتظار تلقى أية تسجيلات إضافية، فى حالة التزايد المستمر لعدد أبنائه الأمراء .. وهكذا، نرى، أن اسم ابنه الثالث عشر، أى "مرنبتاح"، وهو صبى صغير، قد أكمل، بعد العام السابع والستين من حكم أوسر ماعت رع ستب إن

رع، بألقاب وأسماء تتويج هذا الأمير الذى امتد به العمر فيما بعد .. ليوارى التراب عددا كبيرا من إخوته[٢٧]!!..

## الحرفيون الذين أبدعوا الرمسيوم

ها قد آن الأوان الآن، لكى يمنح رمسيس بعض المكافآت من الذهب والفضة: لـ"رئيس الأعمال" المدعو "بن – رع"، وقائد الشرطة: "مدجاى"، اللذين كانا قد استهلا نشاطهما منذ لحظة إرساء أساسات الرمسيوم. وكان هناك أيضا المهندس المعمارى "آمون إم إنت"، ومساعديه من كبار المقاولين؛ بالإضافة إلى جميع أعضاء كافة المهن: لقد كوفئوا جميعا لإنجازاتهم الرائعة المتميزة .. حيث تألق بوضوح فن الزخرفة بعدة ألوان فوق خلفية ناصعة البياض: لإضفاء الحيوية والانتعاش على النقوش البارزة والمجسمة كما هو الحال فى كافة النصب الدينية. وكذلك، لم ينس الفرعون أبدا، هؤلاء المسئولين عن الأيدى العاملة المصرية؛ بل والأجنبية الدارجة خلال تلك الحقبة. وعن هؤلاء الأخيرين، يمكننا ذكر فئة "العابيرو"؛ وبعضهم من الأسرى الذين وقعوا بين قبضتى "سيتى الأول" خلال معاركه فى "كنعان". وغالبا، كان هؤلاء الأجانب، يخضعون لهيمنة ورئاسة بعض القادة العسكريين، أى بالتحديد، رؤساء فرق الشرطة الـ"مدجاى". وتحت هذه الرئاسة ذاتها، فى إطار الفرق العسكرية، كان يوجد الكثير من النوبيين.

وتجدر الإشارة إلى أن "آمون إم إنت"، "المشرف الأعلى" على الأعمال بالرمسيوم، وقائد جند "العابيرو"، كان، هو الآخر، من تلك الفئات الأجنبية. ولم يغفل رمسيس أيضا عن مكافئة القائد الأعلى للمدجاى، المدعو، "حاتى عا": فإن أباه هو الذى نصب تماثيل الرمسيوم العملاقة[٢٨]؛ وأسهم، بدون أدنى شك، فى إقامة أكثر التماثيل ضخامة وأعظمها حجما، بجنوب الصرح الثانى. بل إنه، بعد فترة ما، قد رفع عاليا، تلك السوارى المشرعة أمام معبد آمون.

ورغبة منه، فى التقرب والاهتمام بمن قدموا له خدماتهم، توجه الملك بشكره وامتنانه إلى أحد قادة المدجاى الآخرين: إنه "قائد الشرطة" الشجاع المقدام المكلف بالعمل على استتباب الأمن والنظام فى كافة أنحاء مصر، إنه "أونى" الذى أسهم، إلى أبعد مدى، فى إقامة قاعة الأساطين.

ضمن حاشية رمسيس المحيطة به، تجدر الإشارة إلى "ثيا": وقد أنعم عليه رمسيس، منذ لحظة تتويجه، بلقب: "رئيس الخزانة والقطعان بالرمسيوم". كان "ثيا" يعد بمثابة مرجع فعلى، ولكنه، بالرغم من ذلك، قد كلف بعض الأفراد الأجانب، ومنهم النوبيين بوظائف تستلزم توافر الثقة الكاملة ضمن "هيئة إدارة الرمسيوم"؛ ومنهم: رمسيس إم بر رع". وفى واقع الأمر، أن هذا الشخص الكنعانى الأصل، من أهالى منطقة "زين باشان" عند قدومه إلى مصر (وكان يسمى وقتئذ Ben-Azen)، ضمن أسرى الحرب، قد تلقى دراسته وتأهل فى معهد "الكب"، المجاور للقصر الفرعونى، والحريم. ثم أصبح من أكثر رعايا الفرعون إخلاصا ووفاء. وفيما بعد، ها هو موظف كبير آخر، أجنبى المنبت، قد تبوأ منصب "الرئيس الأعلى للرمسيوم": إنه "يوبا، ابن الجنرال أوريا(٢٩)"؛ وقد خلف أبيه فى مهمته السامية هذه.

## رمسيس وأهدافه الدفينة

خلال فترة إقامته على الضفة اليسرى بطيبة، لاحظ "أوسر ماعت رع ستب إن رع" ما يلى: أن معظم بنيات معبده التى شيدت بكتل الحجر الرملى المستخرج من محاجر "جبل السلسلة"، قد أحلت مكانها أحيانا بعض عناصر الجرانيت الوردى، والجرانيت الأسود، والمرمر، لدواعى ومتطلبات الرمزية. ولكن، بالرغم من ذلك، فها هم المشرفون والرؤساء المدجاى لم يترددوا مطلقا عن استقطاع المواد التى يمكن الحصول عليها بكل سهولة ويسر، من المعابد اليوبيلية المجاورة، الخاصة بالأسرة الثامنة عشرة. ولذا، فإن المستكشف الإنجليزى "كويبل"، الذى نقب فى تلك المنطقة

بداية من عام ١٨٩٨، عثر على الكثير من البقايا والآثار بأسماء كل من: أمنحتب الثاني، وحتشبسوت، وتحتمس الثالث، والرابع. بل لقد اكتشف هذا العالم بعض القواعد والأسس المستخلصة من معبد أنوبيس بالدير البحرى. وها هو ، بعد مضى ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام، على عمليات السلب والنهب هذه، قد تمكن من إرجاع الكتل الحجرية المختلسة من أملاك حتشبسوت إلى مكانها. وبدورى أنا أيضا، عثرت، فى الفترة ما بين عام ١٩٦٨ و عام ١٩٨٠؛ ونحن نقوم بأبحاث ذاك الموقع؛ وخلال عملى على دراسة المعبد؛ فى نطاق الأساطين المحزومة المصنوعة من الحجر الجيرى البديع، المسلوبة هى الأخرى من معبد الملكة ذاته؛ وكذلك، فى إطار نفس الملحقات: عثرت على عدة بلاطات مصنوعة من نفس الحجر المشار إليه. وبظهر تلك البلاطات، تشاهد نقوش بارزة تمثل نجوما وكواكب ؛ مما يدل قطعا، أنها أخذت من سقف أحد المعابد: ولكن، لم يعد فى الإمكان أبدا إرجاعها إلى مكانها الأصلى الذى اقتلعت منه .. فقد أصبحت الآن جزءاً لا يتجزأ من معبد أوسر ماعت رع ستب إن رع الخاص!

وقد يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال: إذا كان رمسيس قد علم فعلا بتلك الاستقطاعات التى ارتكبت فى إطار معبد الملكة المعظمة حتشبسوت، هل عسانا نعتبره مسئولا عن أعمال التطريق والتدمير المنظم المستمر التى أضرت ضررا بالغا بالـ"جسر جسرو" (معجزة المعجزات)؟!! حيث ينكب عليه، منذ حوالى قرن، عدة أجيال من علماء المصريات، لترميمه وإصلاحه؟!!

قطعا، قد تتراءى أمامنا الإجابة على ذاك السؤال، ونحن نتأمل عن قرب بالغ العرض فائق المدى الذى سجله رمسيس فى معبد أبيدوس والرمسيوم، لأجداده وأسلافه الملوك السابقين. إذن، ومن خلال تمعننا وتدقيقنا، سوف نلاحظ: فى أجواء ذاك المعبد الأخير: مثلت التماثيل الصغيرة المصورة لأسلاف رمسيس المفترضين، وقد حملها بعض الكهنة: متضمنة لملوك الدولة الحديثة؛ ومنهم تماثيل جميع من تولوا العرش حتى قدوم رمسيس .. باستثناء حتشبسوت!. وأيضا ملوك الحقبة العمارنية:

أمنحتب الرابع – أخناتون، سمنكارع، وآى، وتوت عنخ آمون. وبعد ذلك، تستهل القائمة ثانيا بداية من حور محب!!

كيف عسانا نفسر إذن هذا الإغفال والإسقاط الواضح؟!!.. قطعا، لأن الضرورة كانت تحتم على رمسيس التعبير والتأكيد على وفائه لكهنوت آمون وأوزيريس. وحقيقة أن مبادرات كل من حتشبسوت وأمنحتب الرابع قد ألهمت رمسيس وأعجبته. بل وأراد هذا الملك تطبيقها واتباعها .. ولكن، بحيث تكون "مستترة ومقنعة"؛ أو بالتحديد: بإضفائه قناعا على المصادر!!.. وبالتالى، كان عليه، أن يعمل، ظاهريا، على استنكار ونبذ كل من حتشبسوت وأخناتون ..

وفى هذه الحال، سوف نتيقن تماما من الإجابة على هذا التساؤل: لماذا وقعت نصب ومنشآت الدير البحرى ومدينة أخيتاتون ضحية التدمير والهدم فى عهد أوسر ماعت رع ستب إن رع؟!!.

# الفصل العاشر

# رمسيس ولغة المعابد

# " المامیزی " الخاص بالملك فی طيبة

# رمسيس ومعابد النوبة

## «المامیزی » الخاص بالملك

### الملكة الأم

كان قلب الفرعون يجيش دائما وأبدا بهذه المشاعر والأحاسيس: التقديس والتبجيل لأمه "توی"، والعرفان الدائم بفضلها. انحدرت هذه السيدة النبيلة من طبقة العسكريين رفيعى القدر؛ ثم تزوجت وأصبحت ملكة. وأفعمت حياتها بأوجه نشاط وإنجازات فائقة، قبل زواجها من أمير شجاع باسل، وانخراطها فى مجال الواجبات والالتزامات الملكية. وبداية من شبابها الغض، كانت كثيرا ما تساعد وتدعم هذا الزوج. ولذلك، كانت أكثر تأهيلا وتميزا من الأميرات الملكيات لتحمل المسئوليات والمهام؛ خاصة، عندما توج "سيتى" فرعونا على عرش مصر، وانطلق محاربا إلى سوريا، أو "بلاد كوش الخسيسة". وحالما تولى ابنها حكم مصر، وقفت بجانبه وآزرته .. تماما، مثلما كانت تفعل فى الماضى، مع أبيه. ولذلك، بلغ تأثر رمسيس مداه حيال موقفها هذا، عقب رجوعه من قادش: وهكذا، حظت هذه الملكة، الأم، بصفة رسمية على مرتبة الشريكة فى الحكم، خاصة فى أثناء غياب ابنها، فى حملاته العسكرية الدائمة، طوال ما يزيد عن عشر سنوات!

كانت أما وزوجة لا مثيل لها حقا. ولذا، فإن الأب والابن من منطلق ورعهما وتقديسهما لها، كانا يقارنانها بالملكة "إعح حتب"، زوجة، ثم أم محررى مصر. وكان

كل من الفرعون "سيتى" وابنه رمسيس، قد عملا فى نطاق الضفة اليسرى لطيبة، على إرساء أسس وقواعد معبد خاص بها، يبين فيما بعد "أن مستودعات أساساته تعبر تماما عن هوية منشئيه".

بعد وفاة "سيتى"، قام رمسيس باستكمال هذا المعبد، بل وزاد من مدى اتساع برنامجه وأهدافه. فحقيقة أنه كرس من أجل أمه (لقد "أنشأ هذا المعبد إكرامًا لأمه": فهذا ما يمكن قراءته على الآثار المتبقية من هذا المنشأ). ولكنه، مع ذلك، خصص به، بعض الأماكن لنفرتارى؛ وأيضا "جمهرة" أولاده الضخمة. وهذا ما توضحه أيضا، بعض الآثار التى اكتشفت بنفس الموقع.

لاريب أن رمسيس كان يهدف أيضا إلى تكريس هذا المعبد لأسطورة "الولادة الملكية". فربما أنه لا يريد نسيان هذا الأمر: إن "السيدة توى" (قبل تتويجها ملكة)، فى لحظة ولادته، لم تحظ بزيارة الإله آمون المخصب الذى يفيض بالتناسل. ولذلك، والأمر هكذا، كان على رمسيس إعادة "خلق" هذا الحدث، الذى يحقق مولده من النسل الإلهى .. وذلك، بواسطة أسطورة "الزواج الإلهى"!

## الزواج الإلهى

منذ "عصر الأهرام"، ساعدت الإيماءات، فى إطار الآداب المختلفة عوضا عن النقوش الجدارية البارزة بالمعابد التى تلاشت أو دمرت، على الإفصاح عن مضمون "الزواج الإلهى". وخلاله .. يحل الإله محل الفرعون فى لحظة عُرسه الملكى: وهكذا، يصبح الوليد المقبل ابن الإله. ويرجع هذا الزواج أصلا إلى "النشأة الأولى للخلق"؛ ثم تعاقب على مدى العصر الملكى الفرعونى .. ثم إلى ما بعده(١). ونجد أن الجوهر الإلهى، المخصب، قد يتباين أو يتغير فى مظهره. فإبان "الأسرة الخامسة"، كان يتجلى فى صورة رع(٢). أما فى خلال "الدولة الحديثة"، فإن القائم بمهمة التناسل الإلهى، كان يتجسد فى شكل آمون. وبذا، فإن الفرعون، حتشبسوت، ابنة تحتمس الأول والملكة "أحمس".. من نسل إله طيبة.

ومازلنا حتى وقتنا هذا، نستطيع أن نرى فى الجزء السفلى من بهو الأساطين الشمالى بمعبد "الدير البحرى"، بالرغم مما لحقها من أعمال التطريق والتدمير، سلسلة من النقوش البارزة مثلت، من خلالها المراحل الأساسية لتلك المعجزة؛ بداية من مشهد العُرس الإلهى؛ ثم إعلان الملكة بهذه الأعجوبة؛ ومولد الطفل الإلهى، المجسد والـ"كا" الخاصة به؛ وفى النهاية، مشهد تقديم الوليد لأبيه الإله الجليل.

فى معبد القصر، خصصت قاعة مماثلة أيضا لـ"ماميزى": لكى يتم فى نطاقها اللقاء الجسدى بين آمون والملكة "موت إم أويا"، أم أمنحتب الثالث المقبل، مشيد هذا المعبد. وتجدر الإشارة إلى أنه حتى ذاك الحين، كانت تخصص قاعة واحدة، فى المعبد إيماء لهذه المغامرة الإلهية المعبرة عن المنبت الإلهى للفرعون. وهكذا، كان هذا الأمر يتم فى أعمق أعماق المعبد.

ولكن، ها هو "سيتى"، على ما يبدو، ورمسيس، بلا أدنى شك، قد توقفا عن اتباع هذا التقليد فائق القدم. لقد أرادا أن يفصلا قاعة "الزواج الإلهى" عن البناء الرئيسى للمعبد. ولاشك أنهما كانا يهدفان من وراء ذلك، إلى زيادة مساحتها إلى أبعد مدى، ودمجها بمعبد خاص بها تماما. من المؤكد أن هذه القاعة بما تكتسبه من أهمية فائقة واضحة أمام الجميع، واستقلالية تامة؛ وبإثراء المعبد بأماكن إضافية؛ كل ذلك، كان سيضفى على أفراد العائلة المالكة، والأحفاد الممثلين بالنقوش البارزة .. إشعاعا إلهيا مؤكدا.

وتجدر الإشارة، ضمن إنجازات رمسيس: ابتكاره لطراز حديث من المعابد، كان الكثيرون يعتقدون – مخطئين – أنه ظهر، أساسا خلال الحقبة الإغريقية – الرومانية. إنه يتراءى فى هيئة مقصورة مخصصة لمولد "حورس" بن "إيزيس" (المطابق للفرعون). إذن، إن أول "معبد – ماميزى" (بيت الولادة) قد ظهر إلى الوجود خلال حكم "أوسر ماعت رع ستب إن رع" إشارة إلى مولده الإلهى المعجزة. ومن خلال التخطيطات الخاصة بقصره المتعلق بملايين السنين، عمل رمسيس، على أن تجاور بهو الأساطين؛

شمالا، "المامیزی" الخاص به.. ولقد أتيحت لى الفرصة لاكتشاف هذا الأمر منذ عام ١٩٧٠، خلال إشرافي على أعمال البحث والتنقيب بذاك الموقع.

## كيفية إعادة تكوين منشأ تلاشى من الوجود

بمكان المعبد الذى تحول الآن إلى أرض منبسطة مسطحة، ولم يتبق منه سوى بضعة قواعد أعمدة، وتناثرت حوله آثار بعض الجدران، عثرت على كتلة حجرية مغروسة فى أعماق أنقاض إحدى منحدرات الدخول. وقد نقش على هذا الحجر، تلك العبارة التى سبق وذكرناها أنفا: "لقد شيد هذا المعبد من أجل أمه" .. وبعد مرور عدة سنوات، دلتنى بعض بقايا تاج عمود حتحورى الطراز، على الأسلوب الذى بُنى به ذاك المعبد .. المكرس لجوهر إلهى أنثوى. وقطعا، ساعدتنى الآثار المتبقية من أسماء "رمسيس" و"نفرتارى" على التقدم فى أبحاثى وتنقيباتى. إذن، لم يتبق علىَّ الآن، سوى الرجوع إلى بعض العناصر المعمارية الممثلة لأشكال ذات صلة بمشاهد "الزواج الإلهى" المرتبط برمسيس: التى كانت قد أعيد استعمالها بأحد النصب المتأخرة؛ القريبة من هذا الموقع، بـ"مدينة هابو". ها هو أخيرا، مختبئ فى ثنايا الجدران، غير مكتمل تماما، ومعكوس الوضع، جزء من مشهد الزواج الإلهى الملكى؛ وكذلك لحظة تقديم الوليد لأبيه الإله؛ ثم هناك أيضا جزء نقش عليه بعض من مشهد العرض الممثل للأميرات بنات الفرعون. ووجد كذلك القسم السفلى لـ"صف الأبناء الملكيين". وفى كافة الأنحاء تراءت أمامى الكتل الحجرية التى كانت تكون السقف: وقد نقشت عليها نصوص تتعلق بتكريس هذا المنشأ وتأسيسه من أجل الملكة الأم: "موت – توى". كما عثرت، فى نهاية الأمر، على إطار أحد الأبواب، وقد صنع من أجزاء كانت تكون أساسا تاج عمود حتحورى النمط: وقد اعتلاه اسما كل من "رمسيس" و"موت – توى".

لاشك أن هذا "الكيان المعمارى المعقد"، قد أزاح النقاب، من خلال، "أشلائه"

وبقاياه المتناثرة، عن روح وجسد المعبد الذى تجلى فيه رمسيس .. ابنا لآمون!.. كما تبين أن أطلال هذا البناء، المشتتة فى كافة الاتجاهات، ما تزال تحمل اسم المنتفعة الرئيسية به، الذى كرس لها: "موت - توى"؛ ثم من بعدها: نفرتارى؛ بالإضافة أيضا إلى "أسماء" ابن الإله.. الذى أُله فيما بعد فى الحياة الدنيا[٣].

## تمجيد الملكة الأم

ترى، هل يعتبر هذا المعبد بمثابة بناء مبتكر لا مثيل له من قبل؟!.. ألم يستمد وحيه وفكرته من السلف العظيم السابق لبطلنا الحالى (رمسيس)، فيما يتعلق بالاستحداث الشعائرى .. أقصد "أخناتون"؟!..

علينا إذن، أن نرجع، فى هذا الصدد إلى تلك النقوش البارزة التى ما زالت واضحة للعيان حتى وقتنا هذا: فوق جدران مقابر بعض نبلاء الحقبة العمارنية، كمثل: "حوى"، رئيس حجاب الملكة الوارثة الرفيعة القدر "تى": سوف يطالعنا مشهد موحٍ وموضح فعلا: أخناتون، يمسك بيد أمه هذه، ليقودها نحو مبنى ضخم: يبدو فناؤه بمثابة موقعه المركزى؛ وهو مكشوف السقف، تحيط به قاعة ذات خمسة أساطين مجاورة لبعضها بعضا .. ونلاحظ أن الفناء، الذى أعيد تكوينه (فى عصرنا الحالى) فى إطار "ماميزى" "الرمسيوم"، بفضل قواعد الأساطين المتبقية (التى أشرنا إليها آنفا).. يبدو مماثلا تماما لذاك الذى يرجع أساسا إلى عصر أخناتون!!

إذن، ففى الواقع، أن "الماميزى" الذى أصبح بمثابة معبد مستقل تماما لتمجيد وتعظيم عُرس آمون، "وموت توى"، قد أنجزه رمسيس فعلا .. مستوحيا فكرته من سلفه العظيم السرى .. أخناتون!.. ولاشك أن الملوك الأوائل كانوا يفخرون ويتباهون ببنوتهم للإله الأعظم. ومع ذلك، فلم يحاول أحدهم أبدا المبادرة أو الجهر علنا بانتساب أمهاتهم إلى منبت إلهى!. ولكن رمسيس استطاع طرق هذه التجربة وخوضها. فقد عمد، فى معظم الأحيان: إلى إضافة اسم الإلهة "موت" زوجة آمون، إلى الاسم الأول

الخاص بأمه. وقد تكرر مرارا وتكرارا اسم "موت – توى"، حينما كانت الملكة على قيد الحياة. لقد استعان هذا الإبن باسم نفس هذه الربة، وأضفى عليه سمات التدليل والألفة والمحبة: "موتى"، لكى يطلقه أيضا على والدته!..

لاريب إذن، أن هذا التنوع فى التعبيرات والعبارات، يجعلنا نستنبط، فى كثير من الأحيان: إصرار "أوسر ماعت رع ستب إن رع" على محو أصوله المدنية .. بل والبشرية أيضا!..

## الملكة الوارثة والزوجة الملكية المعظمة

بداخل ذاك المعبد الصغير، خصصت مقصورتان، لهاتين الملكتين المعظمتين، اللتين عاصرتا أوائل فترة الحكم، وهما: الملكة الأم "موت – توى"، والزوجة الملكية المعظمة "نفرتارى"، والدة الأمير وريث العرش. فيما بين معبد ملايين السنين وبيت الولادة، مثلت، وكأنها نقطة اجتياز وانتقال، أشكال للملكتين المعظمتين بمدخل قاعة الأساطين(٤): وهما تعرفان بالصلاصل التى تبدو فى هيئة ناووس(٥)؛ ويتجهان معا نحو المعبد الصغير (ماميزى) الذى كرس لهما. وربما، إننا إذا كنا نلم بتفسير وتوضيح الأشكال والرموز الفرعونية، فإننا قطعا سنتبين أن مجرد تفاصيل تيجانهما، تفصح عن مرتبتهما ومنزلتهما فى ذات اللحظة التى بدا الفنان خلالها نقش صورهما. إن الملكتين تتوجان رأسيهما بالريشتين المرتفعتين المستقيمتين. ونلاحظ أن إحداهما، قد اعتلت رأسها مجرد الريشتين فقط: مما يدل على أن هذه الملكة الأم "الوارثة المسنة"، قد خمدت خصوبتها وهمدت. ولكن، بالنسبة لنفرتارى، التى تسير فى المقدمة، فقد أكمل تاجها ذو الريشتين، بواسطة قرنين عاليين ممشوقين، يحيطان بقرص الشمس: فهذا هو التزين التقليدى الخاص بـ"سوتيس"، أى نجمة الشعرى اليمانية، التى تعمل كل عام على تجديد العام وإنعاش الفرعون ومده بالحيوية والعنفوان.

كانت أعمال تشييد الرمسيوم تتقدم باضطراد ملحوظ وفقا للمطلوب. وقد أزمع الفرعون العودة إلى "طيبة" لمشاهدة مدى التقدم فى البناء، بعد انتهائه من حملاته المقبلة فى سوريا. ولاريب أن الكثير من المشاهد الجديدة من خلال النقوش البارزة، كانت تسجل، بلا هوادة أو توقف، مفاخر الملك وانتصاراته. وقد تبلورت نهاية الأعمال المعمارية بالماميزى. فى إقامة درجين يتيحان الوصول إلى سطحه. وتم ذلك فى أعقاب العام الثامن من الحكم(٦).

## نحو رسالة معمارية جديدة

قبل رجوعه إلى عاصمته الشمالية المتألقة، كان على رمسيس التوجه نحو الأراضى النوبية حتى يتفقد برنامجه الخاص ببناء عدة معابد، مهداة إلى الآلهة الراعية لملكته: والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بالجوهر الإلهى "حابى" .. أو الفيضان المخصب الخلاق.

## رمسيس والمعابد النوبية المزمع إقامتها

ها هو رمسيس يغادر جنوب هليوبوليس. بعدئذ، اتجه، فوق متن سفينته الملكية صاعدا مجرى النيل. وعندما تراءى أمامه تقارب ضفتى النهر من بعضهما بعضا، عند جبل السلسلة، حيث كان قد نصب لوحة كبرى تمجيدا وإجلالا لـ"حابى"؛ استهلالا لسنوات حكمه الأولى، تيقن الفرعون أنه قد وصل فعلا إلى منطقة "الشلال الأول".

## أســوان

إنها فعلا الباب المؤدى إلى أفريقيا. فمنذ أزمان غابرة، كانت "سيين"، المعروفة فى عصرنا الحالى باسم "أسوان" بمثابة السوق الكبير الهائل لكافة أنحاء القارة. بها،

كانت تتجاور وتتلاقى الأعراق المتباينة المختلفة تماما عن بعضها بعضا. وفيها، كانت تتم المقايضة على أكثر المنتجات تباينا واختلافا؛ الواردة من المناطق الجنوبية القاصية. وهناك كان الجنود التابعون لحاميات الفرعون، المختارون من "كتيبة آمون"، المتمركزة عادة فى "طيبة"، يتآزرون مع رجال شرطة الـ"مدجاى" الأقوياء الشكيمة، للعمل على استتباب النظام والاستقرار. وبها أيضا، قامت حركة صناعية فائقة الأهمية لمعالجة الذهب، الذى يستخرج عادة من المناجم النوبية: حيث يتم تجهيزه وإعداده بنفس موقعه؛ ثم ينقل إلى "الوادى"؛ الذى يهيمن عليه "حاكم المقاطعة".

بشكل منتظم، مستمر، كانت الصوامع والمخازن الكبرى تصدر إلى "الشمال" كل ما جمعته من الغنائم أو التبادلات التجارية، فى مجال واسعة المدى تقع تحت مسئولية "مندوب الملك فى "واوات" أو "كوش": أو بالتحديد: فى "النوبة السفلى" و"العليا" (هذه الأخيرة هى السودان المقبلة). وهذان الحاكمان كانا مكلفين بالحفاظ على الأمن واستتبابه؛ وأيضا، بجباية الضرائب العينية سنويا: الذهب، فى المقام الأول، فى هيئة حلقات أو مسحوق، حيث يعبأ فى أكياس صغيرة؛ ثم الأخشاب النفيسة النادرة، المتباينة الأنواع، المهوجنة؛ كمثل: الباليسندر، والأبنوس؛ الذى يجلب عادة فى هيئة حزم مستطيلة، أو فى شكل أقواس، أو دروع، أو أثاث مصنع. وذلك، وفقا لمدى براعة صناعه فى منطقة "النوبة السفلى" .. هؤلاء الذين تأهلوا وتدربوا منذ أجيال عديدة على أيدى الحرفيين المصريين. وأكثر ما كان يبهر الأنظار إعجابا، هذا العرض المتوالى لجلود الحيوانات الكاسرة، وبيض النعام وريشه، وأنياب الفيلة، والأحجار شبه الكريمة، وبعض الحيوانات التى تربى بحدائق الفرعون المتضمنة لأنواع أجنبية غريبة، وغير مألوفة؛ كمثل قردة الكريكوبتك، والهمدرياس، والفهود، والنمور، والسباع، والزراف. وأخيرا، نجد أن النوبيين، الذين تفوقوا وبرعوا للغاية فى مجال الصناعات الحربية: ولذلك كانت الكثير من السفن المصنعة بمناطق قريبة من "كوبان"، تتوجه إلى أسوان قبل وصولها إلى العاصمة المصرية الكبرى.

## وصــول نفرتــارى

ها هى سفينة نفرتارى قد لحقت بتلك الخاصة بالفرعون. كانت الملكة تحظى، عندئذ، بلحظات جميلة غير عادية، متمتعة بهذا المناخ الجاف المتلألئ الضياء .. حيث كانت كتل الجرانيت العملاقة، المخضبة باللون الأسود، بفعل عوامل التآكل البيئية، وقد انبثقت من قلب الأمواج .. كأنها قطعان فيلة هائلة!.. وعن جزيرة "إبو"، التى عرفها الإغريق فيما بعد باسم "إلفنتين"، فكان يعيش بها كبار القوم ووجهاؤهم. وتبدو منازلهم المزينة بأحواض الزهور، وقد أحاطت بالمعبد حيث تعبد وتمجد تماثيل الآلهة المحلية: "ساتت" و"عنقت"، وقد أحاط بهما "خنوم" ذو رأس الكبش.. إنه إله أفريقى المنبت؛ يستعين بغرين النيل ومياهه عند الشلال؛ بواسطة مخرطته، لتشكيل البشر. ويتبين هنا، أن الحصن كان مايزال قائما فى ذاك الحين. ولكن، على ما يبدو، أن وجوده اللازم للغاية إبان "الدولة الوسطى"، لم يعد الآن ذو أهمية تذكر.

## بلاد واوات

لم تكن الهدايا المقدمة للفرعون وزوجته المعظمة لتتوقف أبدا عن التدفق. وقتئذ، استدعت الضرورة رفع الهلب، من أجل استغلال قوة مياه النيل: لعبور الشلال الأول، واتباع خط السير الذى حدده "نائب الملك فى النوبة" المدعو "إيونى"؛ تبعا للمسافة التى يرغبها الفرعون.

فى وقت الاختراق المصرى لها، كانت القلاع والحصون الكبرى، التى تحف بها منحدرات فائقة العمق، وتبدو جدرانها الشاهقة مسننة القمة، تمتد على مدى بلاد "واوات" الضيقة المساحة هذه (النوبة السفلى). والآن، تحول أهلها إلى السلم والمهادنة الفائقة. وقد انحصر حاليا دور هذه الحصون فى مجرد حماية التجمعات السكانية الضئيلة (حاميات أو أهالى)، والمعابد المصرية خاصة، من هجمات البدو القادمين من ناحية الجزيرة العربية.

لابد من أن المرحلة الأولى لصعود مجرى النيل هذا، كانت ستؤدى إلى منفذ "وادى العلاقى"؛ الذى يؤدى إلى مناجم الذهب بجوار مدينة "باكى" (كوبان): حيث كان الملك قد أقام اللوحة الكبرى الشهيرة بمناسبة حفر البئر اللازم لإرواء عطش عمال المناجم. وبها أيضا، لا تزال تنتصب عاليا القلعة الضخمة الشاهقة التى ترجع أصلا إلى "الدولة الوسطى". وعلى مسافة قريبة، على الضفة اليسرى (غربا)، أخذ الملكان يتأملان المعبد: لقد زخرف بنقوش بارزة بديعة التناسق والتناغم، ذات ألوان متألقة باهرة. ومشيده، هو "تحتمس الثالث". ويلاحظ أن الأسلوب فائق النقاء الذى أبدعت به تلك النقوش، كان يتطابق فى إتقانه البالغ مع ذاك الذى اتبع بأحد المعابد الأخرى؛ الذى كان قد أقامه الفرعون نفسه فى "إلفنتين".

## معبد نصف كهفى فى جرف حسين

هذه المنطقة الشمالية ببلاد "واوات"، قد وقع عليها اختيار "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، لكى يحفر بها، فيما بعد، معبد كهف نصفى إجلالا وتكريسا لـ"بتاح" منف وبر - رمسيس. إنه الإله الخاص بإحدى كتائب جيش الفرعون، وأحد أعضاء الهيئة الإلهية العليا. وكان المكان المختار، هو المعروف فى وقتنا الحالى باسم: "جرف حسين". وعن زخرفة هذا المعبد الكهف ونقوشه، فكانت لا تعدو أن تكون سوى انعكاس باهت لما حظى به أبو سمبل .. لأن منفذيه كانوا من الحرفيين والفنانين المحليين بهذا البلد.

## معبد كهف (سبيوس) وسبيوس نصفى

شيدت المعابد الكبرى فى الدلتا وطيبة فوق قواعد وأسس حجرية. وغالبا، كانت تتقدمها صروح عملاقة مهيبة ذات برجين فى هيئة شبه منحرف: يعبر رمزها

الميثولوجى عن مولد الشمس كل صباح. وبالنسبة لأجزاء المعبد الثلاثة الرئيسية (بخلاف الفناء)، فهى تغطى بأسقف تعد بمثابة أسطح ("تراس"). وعادة، يحاط المعبد وملحقاته بجدران شاهقة من قوالب الطوب اللبن، فيبدو وكأنه حصن منيع. وكذلك لم يكن المعبد، فى مصر القديمة مجرد هدف يتوجه إليه أفراد الشعب وفقا لمعتقدات الإغريق. بل إنه، بالإضافة لذلك، لم يكن يسمح بدخوله للجميع، كما هو الحال بالنسبة للكنائس حاليا. إن هذا القصر الإلهى، كان، فى المقام الأول، يعد من أجل رعاية وحماية "الآلهة" الكونية وبقائها: ولهذا الهدف كان يقوم على خدمته جهاز متدرج من الموظفين، المتخصصين؛ والخدم والمعاونين. بل ويحيط به علماء فى كافة الاتجاهات العلمية والثقافية .. ولكن، لا يسمح مطلقا للعامة من الشعب بدخوله.

لاشك أن رمسيس كان على علم تام بالتجديد والتحديث المعمارى الذى أدخلته الملكة حتشبسوت فى معبدها الهائل بـ"الدير البحرى": إنه متدرج الطراز؛ يطل سقفه الأعلى على عدة مقصورات محفورة فى نفس صخور الجبل الذى استند عليه بظهره هذا النصب الضخم. بل علينا أن نلاحظ أيضا: أن طراز المعبد – الكهف فى "مصر الوسطى"، وكهف أرتميدوس (إسطبل عنتر)، يعد أيضا من ابتكارات حتشبسوت!!. وفيما بعد، استعار "سيتى الأول" نمط "الكهف": حيث نفذه بالفعل، فى منطقة "الرديسية" بالطريق المؤدى إلى المناجم التى يستخرج منها الذهب لمعبده فى أبيدوس .. فمن أحشاء الصخور الجبلية، تنبثق القوة والحيوية .. بل إن المادة المعدنية هى "الرحم" الفعلى الذى يتكون الخلق[٧] فى داخله.

على ضفاف النوبة، ومن أجل تنقلات الإله من مكان لآخر، شيد رمسيس معابد – استراحة: على هيئة سبيوس (كهف) أو سبيوس – نصفى؛ وكرسها للآلهة الرئيسية الأربع. ولعلنا نعرف أن المعابد فى بر – رمسيس، كانت تسهر وتشرف على حماية جهات الأفق الأصلية الأربع. وقد نتذكر أيضا، أن رمسيس، فى الماضى، أى فى أواخر فترة مشاركته فى الحكم، قد راعى أن يكون المعبد الصغير الذى شيده فى "بيت الوالى"، متطابقا مع طراز السبيوس النصفى.

سوف ترى إذن، فيما بعد، أن النصب الأربعة الأصلية التى أزمع رمسيس بناءها فى النوبة، يتحتم أن ترتبط ارتباطا وثيقا مع ظاهرة الفيضان؛ بل وتعبر أوقع وأوضح تعبير عن الإنجازات الملكية الملتحمة التحاما حميما مع القوى التى استمدت منها مصر. قطعا، كان رمسيس يتوقع تحقيق فاعلية كبرى من وراء برنامجه هذا: الذى، لن يعمل أبدا، بأى شكل من الأشكال، على محو تأثير العقيدة الشمسية، وقد تثبتت وقويت جذورها منذ أمد بعيد، وجسدها كل من "حورس" الأربعة بالنوبة؛ وهم: حورس "باكى" (كوبان)، وحورس ميعام (عنيبة)، وحورس "محا" (أبو سمبل)، وحورس بوهن (وادى حلفا عند الحدود المشتركة مع بلاد كوش، بجوار "الشلال الثانى").

وبذلك، عمل الفرعون بعد ذلك على حفر كهف ليكون بمثابة جزء من المعبد المكرس للإله "بتاح"، على بعد مائة كيلومتر جنوب أسوان، شمال "كوبان" والضفة اليسرى. وبمقدمته، يرى فناء مزين بعدة أعمدة أوزيرية النمط فى هيئة الملك ، وقد ارتدى ملابس "الأحياء": وربما قد يذكرنا ذلك بالاستحداث والابتكار الذى أطلقه أمنحتب الرابع، ثم اقتبسه رمسيس الثانى بالرمسيوم!

## الطبيعة الريفية بالنوبة

كلما ازداد تقدم الموكب النيلى الملكى متجها نحو الجنوب، كانت طبيعة الريف النوبى تتراءى أكثر ازدهارا وتألقا. فها هى أشجار نخيل البلح، والدوم، والسنط والمستحية البرية زكية الرائحة، تحدد أماكن مختلف الضفاف: وترى كل من التجمعات السكنية وقد تجملت بشجرة جميز ضخمة: إنها بمثابة زينة للمكان العام بالقرية، حيث يجتمع الرجال المسنون ويثرثرون معا فى هدوء وسكينة. وها هن النساء وأطفالهن يهرعون نحو الشاطئ ليتأملوا عرض السفن الملكية ذات الأشرعة المزينة برسوم هندسية وزخارف نباتية، منسوجة بخيوط ملونة. وتتراءى السفن الملكية وقد

صاحبتها سفينة كل من "نائب الملك فى النوبة"، والحرس الرسمى. وتجدر الإشارة إلى أن النوبيين الشباب البالغين، فى هذا البلد، كانوا قليلى العدد للغاية. خاصة أن معظم رجال "واوات" هؤلاء كانوا يجندون بالجيش المصرى، أو يعينون بإدارات كل من "مصر العليا" و"السفلى". بل يضاف إلى ذلك، أن بعضهم، كانوا يقومون فى مصر، بكل نشاط ووفاء، بمهام الخدمة والمعاونة المنزلية.

ترى، الآن، نفرتارى وهى تبحث بناظريها، دون جدوى، عند أفق الضفة اليسرى التى تنساب أمامها؛ عن تلك المقصورات الجنازية البديعة الشكل المتوجة بهريمات؛ والتى تتراءى بكثرة واضحة فى مدينة "طيبة" .. وكانت هذه الملكة، منذ صباها الغض تشغف بها شغفا بالغا. على ما يبدو، إذن، أن هؤلاء النوبيين، بالرغم من أن الحضارة المصرية قد استوعبتهم تماما، فإنهم مع ذلك، بقوا على وفائهم الشديد لأصولهم وجذورهم، وتقاليدهم القديمة. إنهم، عند رجوعهم إلى موطنهم هذا، كانوا يدفنون جميعا وفقا للعادات النوبية السائدة: يلف الجثمان بكل بساطة بداخل جلد ماعز ويوارى التراب. وربما أن بعض أفراد الفئة المختارة – وهم قليلون جدا – قد يصرون على دفن رفاتهم – بعد موتهم – وفقا "للتقاليد" المصرية: أو بالتحديد، بداخل "كهف – مقصورة"، يتم حفره فى صخور الجبل. فهذا ما فعله خاصة شخص يدعى "حكا – نفر"، ابن أحد الزعماء النوبيين؛ وكان قد نشأ وتثقف بالمعهد الملحق بقصر الفرعون ("كيب")؛ بل كان أيضا زميل دراسة للملك "توت عنخ آمون". بعد ذلك، عاد إلى وطنه ومسقط رأسه، "النوبة"، بمدينة "عنيبة"، العاصمة وقتئذ، لممارسة وظيفة "الحاكم" التى بوأها، له فرعون مصر.

## وادى السبـوع

أخيرا، توقفت السفن. وتم قذف حبالها وغرس أوتادها. إنها تقف الآن عند منفذ القوافل القادمة من الصحراء الغربية. ويبدو هذا الموقع متوائما تماما مع المتطلبات

اللازمة: لكى ينشئ به، فى السنوات القادمة، معبد ضخم، يكرس لآمون الأعظم؛ حتى يستطيع المسافرون المتوجهون لاتجاهات شتى، أن يبتهلوا إليه بدعواتهم؛ باعتباره: "آمون الطرقات".

مازال هذا المعبد، حتى يومنا هذا، فى هيئة: "نصف - سبيوس". وقد تم "إنقاذه من الغرق"، مثله كمثل أغلبية المعابد النوبية. ويعرف حاليا، باسم: "وادى السبوع": إيماء إلى تماثيل أبى الهول التى تحف على جانبى طريق(٨)". عموما، انتظر رمسيس لفترة زمنية؛ لإتمام زخرفته، حتى يحين وقت التعبير، من خلالها، عن مختلف المراحل، والتأريخات المتعلقة بعائلته وأهم منشآتها دائمة التطور(٩). وخلال حقبة سابقة، بنفس هذا الموقع، كان أمنحتب الثالث قد كرس لآمون سبيوس - نصفى صغير الحجم، حيث تقرر بناء المعبد الجديد فى مواجهته.

## عمـــدا

بدت المنطقة القريبة من الجنوب، التى كان الملكان يتجهان صوبها، ذات أهمية أثرية. فتوقف الفرعون وزوجته الملكة المعظمة عند "عمدا"، على الضفة اليسرى أيضا: إنها تتألق بريقا وتلألأ؛ وتزينت أرضيتها برمال ذهبية اللون. وكان الملكان يرغبان فى زيارة ذاك المعبد غير المألوف الذى أقامه، على التوالى، ثلاثة فراعنة من الأسرة الثامنة عشرة، هم: تحتمس الثالث، وأمنحتب الثانى، وتحتمس الرابع. لقد بدت النقوش الجدارية البارزة القائمة فى أعمق أعماق هذا المبنى، والتى كانت قد أبدعت فى عهد تحتمس الثالث، وأمنحتب الثانى، بمثابة إلهام فعلى أمام عينى رمسيس!.. خاصة، أنه كان يتوقع رؤية تلك الزخرفة التى اتسمت بها الأشكال الإلهية العظمى فى إطار نصب ومنشآت تحتمس الثالث الدينية، التى قابلها فى طريقه بأسوان أو "باكى" (كوبان) .. أو حتى بالجزء الأمامى من نفس هذا المعبد الذى يزوره الآن؛ وقد أتمها تحتمس الرابع..

.. ولكن، فى أعماق هذا المعبد، ترى على جدرانه، مشاهد مصغرة، تشير، فى لمسات شاعرية، إلى مراسم العبادة وشعائرها، وأيضا، إلى المراحل الأساسية لبناء المعبد ذاته. ويدا تعدد الألوان وتباينها على مستوى فائق الروعة والجمال. ويلاحظ أيضا، فى أجواء هذا المعبد الفائق القدم، أن الجزء الجنوبى منه قد خصص لآمون؛ أما بقيته، فمن أجل "رع - حورآختى". وهذا ما حاكاه وكرره رمسيس فعلا، فيما بعد، عند بنائه المتتالى لمعابد النوبة.

فى نهاية القاعة الأخيرة المركزية، أقيمت لوحة عملاقة الحجم، غطيت تماما بالكتابات الهيروغليفية المرصعة بجزيئات من الفيروز الأزرق، واحتلت الجدار بأكمله. لقد كرسها أمنحتب الثانى: إنها تومئ إلى حملات القمع التى شنها فى ختام معاركه بالشرق الأدنى .. حيث كان يريد أن يلقن شعوب بلاد "كوش الخسيئة"؛ وهو منطلق لغزوها .. درسا قاسيا. لاشك أن رمسيس كان متيقناً من الصعوبات التى سوف يواجهها، هو الآخر، عندما يتحتم عليه الانطلاق ثانيا لخوض القتال بتلك المناطق. ولكن ما جذب انتباهه واستولى على فكره، بصفة خاصة؛ وقتئذ،: شكل للمركب المقدسة التى احتلت مجال المشهد كاملا؛ وأمامه، بدا أمنحتب الثانى، وهو يقدم قرابين أوانى النبيذ. لقد أُرخت اللوحة فى العام الثالث، فى الشهر الثالث من فصل الصيف "شمو"، فى اليوم الخامس عشر، أى قبل التدفق المعتاد للفيضان بحوالى خمسة عشر يوماً. ولعلنا نعرف أن نبيذ الكروم، المرتبط دائما بأواخر الدورة السنوية وقدوم العام الجديد، يعتبر بمثابة القربان التقليدى لحث ودفع انهمار مياه الفيضان. إذن، فإن التاريخ لم يذكر عرضا أو كيفما كان. كما اتفق ديكور اللوحة تماما مع ما ينتظر من ذاك الـ ea-veto: بتشجيع، أو بالأحرى تقوية ودفع وصول المد المائى الخصب الثرى. وقد جلس كل من آمون ورع معا، متجاوران فوق متن المركب المقدسة: إنهما يمثلان بصورتهما هذه، القوة الكامنة التى سوف تتجلى بفضل فعالية الشمس. ولا شك إذن، أن هذا المعبد الصغير، قد أعد، خاصة، ليكون بمثابة "استراحة" للمركب الإلهية الآتية معها بـ"فيضان" النيل، خلال تنقلاتها بمختلف معابد العاصمة وأرض مصر كافة.

## استراحة المركب

ها هى "إشارة" البداية قد أطلقت. فقد تجسدت، نهائيا، الرسالة المتعلقة بالمعابد التى أراد تكريسها على ضفاف النوبة!.. إن المعابد الأربعة الرئيسية التى أراد رمسيس تقديمها للنوبة، سوف تكون فى هيئة "استراحة" للمركب الإلهية الخاصة بأمون – رع؛ وترمز إلى وصول الفيضان بعد عبوره "الشلال الثانى" فى طريقه نحو مصر .. لمنحها الحياة والحيوية. ولكن، هناك أيضا حلمتى "إبشك" و"محا" (أبو سمبل) الصخريتين المعبرتين عن سر العام الجديد، والكفيلتين بضمان استمراريته المنتظمة؛ وأيضا، لدمج مفاخر وأعمال الملك وزوجته الملكة المعظمة بهذه الظاهرة الطبيعية التى تهب الحياة لملكته.

قبل مغادرته لـ"عمدا"، أمر "أوسر ماعت رع ستب إن رع" بإصلاح وترميم النقوش البارزة والرسوم والتماثيل المصورة لآمون؛ والتى كانت قد طرقت وأضرت بأيدى رعايا وعابدى "آتون"، إبان عهد أمنحتب الرابع – أخناتون. وقد أفصحت رداءة التصميمات وعدم إتقانها الواضح للعيان حتى أيامنا هذه، عن إتمامها فى سرعة وتعجل بين: وأن الحرفيين الذين أنجزوها، لا يلمون إلماما كافيا بالقواعد الفنية الجمالية. على ما يبدو إذن، أن الهدف الأساسى من وراء هذا العمل الخاطف السريع، هو تقديم دليل وعربون ولاء ملموس لكهنوت طيبة. ولكن، على أية حال، فإن رمسيس قد أضفى بذلك على إله طيبة أبعاداً أخرى؛ وأبرز أيضا الهوية الفعلية التى أعزيت، منذ هذا الحين إلى هذا الجوهر الإلهى المستتر.

## الذهبية، فى بلدها

بالمجال الواقع ما بين "عمدا" و"ميعام[١٠]"، كانت "نفرتارى" تشعر بالسحر والانبهار أمام مناظر البيئة البديعة الماثلة أمام عينيها. لم يكن هذا الذى تراه الآن ليذكرها مطلقا بتلك الألوان الخضراء المائلة إلى الزرقة، التى تتجمل بها الزراعات فى

منطقة الدلتا المزدهرة المتألقة. وقطعا، لا يماثل ذلك أبدا اللون الباهت التى تبدو عليه صحراء جبل طيبة، بالضفة اليسرى، حيث تهيمن عليه القمة المقدسة الإلهية: التى تضفى حمايتها ورعايتها على حرفى الفرعون وفنانيه وهم يحفرون ويزخرفون "بيوت الأبدية". إن الهواء فى منطقة النوبة يشع ضياء وتلألؤا، ولا تشوبه أبدا تلك الأتربة المتصاعدة من الأرض الطينية، حيث تثيرها رياح الربيع .. بل أفعمت به هنا، أنقى البلورات وأكثرها شفافية.

أخذت سفينة نفرتارى تتقدم فوق صفحة مياه النهر ذى الخطوط الممتدة لا نهائيا .. وكأنها ممرات من الفيروز، و"الأمنتيت"، أو الزبرجد، على مر الساعات والأيام!.. وفى لحظات الغسق، الخاطفة دائما، تتلاقى معا كل من السماء ومياه النهر، ليتحولا إلى ذهب منصهر، يتخلله نصل رفيع متلألئ يعكس الشمس الآفلة للمغيب. والآن، عرفت الملكة المعظمة، لماذا اقترنت دائما الإشارة إلى هذه المنطقة، باسم "الذهب". فحقيقة أن المناجم فى هذا المكان كانت تفيض بهذا المعدن المضىء الوهاج .. ولكن، هاهى الصحراء نفسها، تبدو وكأنها بساط ذهبى!!.. لا ريب إذن أن هذه المناطق التى تكمن بها أسطورة البعيدة[١١]، "حتحور"، ذات الأوجه المتعددة؛ المنذرة بالموت، بل وكذلك المفعمة بالحب، الواهبة للحياة .. قد أضفت على هذه الربة أحد أسمائها الخاصة .. لتصبح: "حتحور الذهبية"، أى "توبيت".

## ميعام وتوشكى

كانت الصخور هائلة الضخامة التى لحقها السواد بفعل عوامل النحت البيئى، تحدد نطاق تلك الأماكن الساحلية فائقة الضيق، لانهائية المدى؛ وقد اتخذت، حاليا، شكلا هرميا. وعلى الضفة اليسرى للنيل، أخذت الأراضى الزراعية تزداد اتساعا. وكان من المزمع وصول الأسطول الملكى إلى المنطقة التى تقع بها عاصمة "واوات"، أى مدينة "ميعام"، المقر الحالى "لنائب الملك". وكان رمسيس قد أصدر

أوامره، منذ فترة وجيزة، بنقل مقر إدارته الحصين، نحو الجنوب، أى فى مدينة: كوش. وقد سمى هذا المقر الجديد أيضا باسم بر - رمسيس. فقد رأى الملك، أن الوقت أصبح ملائما، لأن يعمل، بذلك على إبراز وإعلاء الوجود المصرى الرسمى بهذه المناطق الواقعة شمال السودان، أى بالتحديد: مدينة "ميعام" العريقة القدم. وبها يعيش المقاتلون المنتسبون إلى حضارات متميزة ومتفردة قوية البأس، الذين لا يرحبون كثيرا بالانخراط الفعلى فى أعراف وتقاليد غزاتهم المصريين الأكثر عراقة.

كان من المرتقب، تخطى منطقة "توشكى"، إنها تعد، منذ "الدولة القديمة"، بمثابة ملتقى آخر للقوافل المنطلقة من أسوان؛ عابرة للصحارى فوق ظهور حميرها، متنقلة من واحة إلى أخرى. واشتهرت هذه الأراضى بمحاجرها الرائعة الثرية. فقد استخرج منها حجر الديوريت (الذى صنع منه تمثال خفرع - بالمتحف المصرى بالقاهرة)، واليشب النفيس، وخلافه. وها هم، عندئذ، فى مراكبهم الصغيرة، رجال المناجم يتقدمون للترحيب بالزوجة الملكية المعظمة وتبجيلها.

## الليسيه

على الضفة اليمنى، بدت الصخور أكثر نتوءا وبروزا. وهاهما الزوجان الملكيان يمران أمام المعبد الكهف "الليسيه"؛ وهى ضمن المعابد المتوازية الأخرى الخاصة بتحتمس الثالث: غطت جدرانه نقوش بارزة تصور المراسم الأساسية لتدعيم سطوة الفرعون ونفوذه فى "أول أيام العام الجديد". ومع ذلك، ففوق جدران هذه المعابد، لم يرى رمسيس أية إشارة، أو لمسة شخصية تتعلق بفترة حكم وحاشية أسلافه وأجداده. ولكن، كانت هناك فقط تلك اللوحة الخاصة بأمنحتب الثانى .. وقد تأملها بإعجاب شديد. وبتوغله نحو الجنوب، قام بتحية الكتابات التى كان أبوه الباسل الشجاع قد سجلها فوق الصخور.

على ما يبدو، أن "أوسر ماعت رع" قد قرر أن يتغلب على هذا التجمد والتسمر الواضح للعيان. فرأى أن يضفى عليه شيئا من الانسيابية والحميمية: وذلك، بإتاحة المجال لإشراك أعضاء العائلة المالكة بتلك المشاهد المتحجرة المفتقدة للهوية الشخصية، المصورة للفرعون.

قبل وصول الملكين إلى ميناء "ميعام"، أقبل "الحاكم" وكبار القوم ووجهائهم، مستقلين مراكبهم المزينة بأوراق نخيل الدوم الضخمة، حاملين هداياهم، ومرحبين بقدوم الموكب الملكى.

## الحرف اليدوية فى النوبة

مازالت العاصمة القديمة بمثابة مركز ضخم تمر به المنتجات الآتية من الجنوب العظيم. إنها تضم فى جنباتها العديد من ورش صناعة خشب الأبنوس، والصياغة، ومعالجة الجلود. وبها أيضا، تصنع فى براعة فائقة المقاعد الفخمة ذات المسندين (فوتيه)، والكراسى والمناضد الدقيقة: من أخشاب أفريقيا الصلبة، المطعمة بالعاج، المكسوة برقائق ذهبية. وكذلك، تبدع بها الوسائد من جلد الفهود، وذيول للزينة مستمدة من بقايا الزراف والثيران؛ ونعال بديعة الشكل، ذات حافة مرتفعة .. لتوريدها للبلاط الفرعونى. وأخيرا، ها هى أيضا، بعض أدوات الزينة؛ وخاصة تلك المصوغات المطعمة، الفريدة النمط التى تعتليها تماثيل صغيرة لأطفال نوبيين يتسلقون نخيل الدوم .. وقد زخرفت زخرفة رائعة. وتم إهداء الفرعون كما من أكثر هذه المنتجات جمالا وروعة .. ومعها أيضا، ذاك القربان الشعائرى المكون من تمر بلاد الذهب الشهير.

## قصر أبريم

على الضفة اليمنى، قبل الوصول إلى "عنيبة"، يقع أحد التجمعات السكنية[١٢] المعروفة باسم "كاروشو". إنها المنطلق الذى تتحرك منه جموع القوافل الضخمة:

وبذلك تتجنب الالتفاف حول منحنى نهر النيل، لكى تصل مباشرة إلى السودان .. فى طريقها إلى الموقع المعروف حاليا باسم: "أبو حميد".

وعلى نفس هذا الطريق الواقع شرقا، حدد رمسيس لنائبه "إيونى" الموقع الذى اختاره ليتم فى إطاره إنشاء معبد من أجل "رع حورآختى"، أو بالتحديد: شبه السبيوس، فى " الدر" (١٣).

وبالنسبة للمواقع الخاصة بإقامة عدد آخر من "شبه السبيوس" تكريسا للإله بتاح، وآمون، ورع حورآختى، فقد تم تحديدها مسبقا. ولم يتبق الآن، سوى الإله الرابع المدرج بالبرنامج: إنه "ست"، الحامى والراعى لكتيبة الجيش الرابعة. إنه رب الأسلاف والأجداد الرعامسة الأوائل .. وعلى ما يبدو، أنه يتجسد من خلال "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، الأحمر الشعر، المقاتل الكاسر الجسور، المدافع الأبدى عن مركب الشمس(١٤). بل إنه يلتحم أيضا، بالملك، فى ذاك المكان المعروف باسم "إبشك" والذى كان رمسيس متوجها إليه وقتئذ بصحبة نفرتارى: وحيث كان يعبد حورس "محا".

ولكن، كان على الفرعون ومليكته، أن يمرا، بداية، بجنوب "الدر"، أمام صخور "أبريم" المقدسة الجليلة: حيث أقيمت عند سفحها ثلاث مقصورات صغيرات؛ تتكون كل منها من حجرة واحدة. وجميعها قد تم حفرها بموقعها هذا تمجيدا وتعظيما للآلهة المحلية وللملوك التحامسة. وترى إحداها، كمثيلتيها الأخريين، وقد زينت بتمثال للفرعون، يحف به من جانبيه شكلان إلهيان منحوتان بنفس كتلة الجدار الصخرى القائم فى نهايتها: إنه يمثل أمنحتب الثانى. وكذلك مثل نائبه، المدعو "أوسر – ساتت"، وهو يقدم له، تمجيدا وإجلالا، كافة منتجات بلاد "واوات" و"كوش".

يؤدى مدخل كل من هذه الكهوف الثلاثة، كمثل ذاك القائم فى "الليسيه" المتعمق جنوبا، وقد زاره الفرعون؛ وأيضا فتحة المعبد الصخرى الصغير الخاص بحور محب .. إلى النيل مباشرة، جنوب – شرق "إبشك". وقد اتسمت مداخلها جميعا بعدم

الاتساع؛ وافتقارها لأى نقوش خارجية. هاهو الوقت قد حان إذن، لكشف الأسرار والغموض؛ وإبراز مفاخر وانتصارات الملك – المعجزة بشكل مبهر متألق.

## أبو سمبل

### إعجاب نفرتارى

أخيرًا جاء اليوم الذى كانت نفرتارى تنتظره على أحر من الجمر. فقد عرفت، منذ لحظة تتويجه، أن الفرعون ينوى التفوق على نفسه فى كل ما سبق إنجازه: لقد قرر إعداد معبدين – كهفين، فى أعماق الأرض تماما (ليسا نصفى – سبيوس). وفى نطاقهما خاصة، سوف يتمكن من المشاركة بشعائر وطقوس جوهرية أساسية. ولاشك، أنها، بمصاحبة رمسيس سيكونان المؤديان الرئيسيان لها، متحدان اتحادا وثيقا مع عاملين أساسيين ضروريين لحياة مصر وبقائها .. وكى يتحقق ذلك، كان الأمر يقتضى اندماجهما معًا فى عالم الآلهة: وقطعا، لن يتوقف هؤلاء الأرباب عن مدهما "وشحنهما" بالإشعاعات اللازمة لبقائهما.

ومع ذلك، لم تكن الملكة قد تخيلت أبدا هذا المنظر الرائع الذى أخذ يتراءى الآن أمام عينيها. فها هما البروزان الاثنان المعروفان باسم "محا" و"إبشك"، وقد تراءى الواقع جنوبا أكثر ضخامة من ذاك القائم شمالا؛ وكانا قد تم حفرهما منذ أمد بعيد بتلك الصخور الرملية المحلية ذات اللون الوردى البديع، الفائقة الهشاشة. وتبدو أبواب دخولهما، بمثابة فتحات معتادة دارجة مفتقرة للزخرفة، كما هو الحال بالنسبة للمعابد – الكهفية الأخرى. فإن واجهة أكثرهما ضخامة، أى: "محا"، الواقع جنوبا، قد زخرفت بنقوش بارزة تتماثل بواجهات المعابد المشيدة بأسلوب القواعد.

وربما أن الملكة لم تجد أمامها هنا طراز هذين البرجين اللذين يلحقان عادة بالصروح التقليدية الدارجة. بل إنها ترى الآن، أربعة تماثيل عملاقة فائقة الروعة

لا مثيل لها، جالسة، لا يقل ارتفاع كل منها عن عشرين متراً؛ وتحيط تماما بمدخل المعبد: وقد استوعب كل ذلك بإطار معمارى واحد، فى شكل مربع منحرف، يعتليه "إفريز" مكون من أشكال اثنين وعشرين قردا واقفة على قدميها، تتعبد قرص الشمس(١٥). حقا، لم تشاهد الملكة أبدا من قبل، مثل هذا الإعجاز والروعة .. بل إن "ديكور" وزخرفة هذا المكان، قد فاق بروعته وعظمته ذاك الخاص بالصرح الذى كان قد أقامه أمنحتب الثالث، بغرب طيبة: حيث كان قد زينه، بمجرد تمثالين عملاقين(١٦) فقط لا غير. إنها ترى الآن أن الفنانين قد أتموا تماما نحت أجسام هذه التماثيل فائقة الضخامة، وقد خلع على كل منها اسما مميزا. ولم تكن السقالات قد أزيلت بعد: حتى يتمكن أكثر نحاتى الورش الفنية الملكية براعة وتفوقا؛ وقد استدعوا خصيصا إلى النوبة، من تشكيل وتسوية الوجوه الحجرية فائقة الدقة.

## البروز الصخرى إبشك، شمالا

ناحية الشمال، تبدو صخور "إبشك"، فى شكل غير مألوف. إن واجهتها تميل إلى الانحدار. وتتراءى واضحة البروز، مشكلة بذلك ست كوات، مكونة مجموعتين تحيطان بمدخل الكهف. ومن بعيد، لمحت الملكة ستة تماثيل منحوتة فى نفس صخور الجبل: بارتفاع لا يقل عن ثمانية أمتار؛ وقد استوعبت بداخل الكوات المذكورة. وعلى ما يبدو، كان سياق الأعمال يزداد تقدما: خاصة أن هذا المنشأ كانت مقاييسه أقل من تلك المتعلقة بالكهف الجنوبى ..

باقترابها من الموقع، تبينت الملكة على كلا جانبى المدخل شكلين يمثلان الملك واقفا، يحيط بكل منهما اثنان من أبنائهما: الأكبر، وهو المدعو، آمون حر خبش إف، ثم "مرى أتوم"؛ واقفان أيضا، ولكن، أقل ضخامة من أبيهما. ومن الواضح تماما، أن النحات - الفنان، من خلال إبداعه لهذين التمثالين الملكيين قد أضفى على الفرعون مظهرا كهنوتيا فائقا، يتميز تماما عن الأشكال الأخرى. وأخذ رمسيس يشرح للملكة

قائلا: إن هذين التمثالين قد أبدعا بأسلوب يعبر عن طبيعتهما "العملاقة" الهائلة. وهما بذلك، يجسدان إحدى سماته الملكية. إنهما إذن، بمثابة أقنومين(١٧) شخصيين. وقد سجل اسم كل منهما فوق كتفيهما. فالماثل جنوبا، هو: "حقا تاوى المفضل لدى أبيه آمون" أما القائم جنوبا، فإنه "حقا إن رع الذى يحبه آتوم"، وهو الذى يميل إليه بصفة خاصة رمسيس. ثم هناك أيضا هذه الصفة: "شمس الملوك المحبب لقلب آتوم"، وقد نقشت فوق أحد التماثيل العملاقة الجالسة بواجهة "محا"؛ وكذلك، على أحد التماثيل الأوزيرية الضخمة بـ"القاعة(١٨) - الفناء". وهكذا الأمر أيضا، بالنسبة لأحد الأشكال بالغة الضخامة بالأقصر؛ وشكل آخر مماثل بالرمسيوم(١٩)؛ خاص بإحدى كتائبه العسكرية وغيره، بشعبه!!

بأقصى الناحية الجنوبية للواجهة، انتصب تمثال للملك، أكثر ارتفاعا من الأخرى. إنه يمثله واقفا، وعلى جانبيه كل من الأميرين: "مرى آتوم"، و"مرى رع". أما بنهاية الجانب الشمالى، فقد أحاط شكلان لابنى الملك بتمثال آخر له: وهنا، بدا الفرعون متوجا بالـ "تا تنن". وأخيرا، فيما بين مجموعتى تماثيل الملك، شمال وجنوب الواجهة، شاهدت نفرتارى شكلا متألقا بديعًا يمثلها، وقد اعتلى رأسها تاج "سوتيس"، وكأنها تنبثق من بين جنبات الجبل فى وثبة اندفاع لا تقاوم. وعلى جانبى الملكة، يسارا ويمينا، تمثالان للأميرتين "مريت آمون" و"حنوت تاوى". ولكن، ها هى بعض التفاصيل المهمة التى جذبت انتباه نفرتارى: لقد تطابق ارتفاع تماثيلها تطابقا تاما بتلك الخاصة بالفرعون!! بل يضاف إلى ذلك، أن الأشكال الصغيرة الممثلة لبناتها، بدت أكثر ارتفاعا من تماثيل أبنائها. حقا، لقد اتسم رمسيس، فى هذا الصدد بجراة وجسارة فائقة!!.. فها هو يعبر تعبيرا باهرا عن إجلاله وتكريمه للدور الرافيع السامى الذى تقوم به الأنثى عامة.

وقد أشرف على أعمال إعداد هذا الكهف الشمالى، "نائب الملك" المدعو "إيونى"، من معاصرى الفرعون "سيتى"؛ وكان عندئذ، على وشك تسليم مهام منصبه، وقد طعن فى السن، إلى "حقا نخت". وكان قد انتهى لتوه، من نقش مشهد "تابلوه" ضخم، فوق

صخور الجبل، على يسار الكهف مجسدا إجلاله وتعظيمه للفرعون: ومن خلاله أيضا، أعلن، بكل فخر وزهو، انتسابه أصلا، إلى منطقة هيراكليوبوليس. ولقد أصر "إيونى"، عندئذ، على مصاحبة وإرشاد الفرعون وزوجته الملكة المعظمة فى جنبات ساحة العمل المفعمة نشاطا وحركة وحيوية: حيث قادهما، فى نهاية الأمر إلى سطح الكهف الهائل الضخامة.

## صخور محا البارزة، جنوبا

فى هذا الموقع، كانت الرؤية مختلفة تماما: حيث ترى التماثيل - العملاقة الأربعة جالسة، وقد أحاطت بها من كلا الجانبين الزوجتان الملكيتان المعظمتان، واثنان من الأبناء الأمراء، وست من الأميرات اللاتى لم يتزوجن بعد. وربما، من خلال ذلك، قد يتبادر إلى أذهاننا هذا الخاطر: إن هذه التماثيل العائلية - المجموعة قد أبدعت وأنجزت خلال الربع الأول من فترة حكم رمسيس.

## الواجهـة

من الواضح هنا، أن نفرتارى والملكة الأم المسنة "موت - توى" قد حظيت كل منهما لمرتين متتاليتين بمكان الصدارة والتكريم؛ ومن بعدهما الابنان الكبيران للزوجتين الملكيتين المعظمتين. ومع ذلك، يلاحظ أن الملكة "إيزيس نفرت"؛ لم تمثل مطلقا فى هذا الموقع، أو سواه بمنطقة "مصر العليا" فى تلك الآونة. لقد تناول الكثيرون هذا الأمر بالمناقشة والجدال: فتصور البعض، أن ذلك قد يرجع إلى احتدام نار الغيرة بين الزوجتين الملكيتين المعظمتين. ثم استتبع ذلك، استبعاد "إيزيس نفرت". ولكن، هناك آخرون يقولون: إنها ربما ماتت فى ميعة صباها وشبابها!!.. ومع ذلك، فأمامنا مبرر آخر، جوهرى وأساسى، بدون أدنى شك، يجب وضعه فى الاعتبار: لقد

أنجبت نفرتاري الابن البكرى، أى الأمير وريث العرش: آمون حر ونم إف، الذى أصبح فيما بعد: أمون حر خبش إف!

فوق هذه الواجهة، يبين الموقع الذى احتله كل من أفراد العائلة المالكة عن مدى أهميتهم في نظر رمسيس الثانى: الذى أراد أن يجعل معبدى "إبشك" و"محا" بمثابة "مذكرة" أو تقرير رسمي لموجز إنجازاته وأعماله. ولذلك ترى، وقد أحاطتنا بالتمثال العملاق الجنوبى القائم بجوار باب الدخول: بداية، "نفرتارى"، ثم من الناحية الأخرى تمثال الملكة الأم. أما بجوار العملاق الشمالى، الموازى تقف نفرتارى، تليها الأميرة الصغيرة "باكت موت"، ابنه "إيزيس نفرت". وأخيرا، بين ساقى التمثال الشاهق الارتفاع الأول القائم جنوبا، واقفا، وممسكا بمروحة، نشاهد شكلا للابن الأكبر "آمون حر خبش إف"(٢٠). ولكن، فى الحين ذاته، نجد أن التمثال الهائل الضخامة الشمالى، قد وضع أمامه الأمير "رمسيس"، وليد، "إيزيس نفرت"!.

بين ساقى التمثال العملاق الثانى، جنوبا، مثلت الأميرة الصغيرة "إيزيس نفرت" الثانية، التى تسمت باسم أمها. وعلى جانبى هذا الشكل الفائق الضخامة الممثل لأبيهما الفرعون، ها هما ابنتان أخريان لإيزيس نفرت: "بنت عنات"، الكبرى، و"نبت تاوى". وبقى الآن التمثال العملاق الثانى، الشمالى: مثلت، بين ساقيه الأميرة اليافعة "نفرتارى الثانية"، وقد لقبت هى الاخرى باسم والدتها. وعلى يساره، تقف "مريت آمون"، الابنة الكبرى لنفرتارى؛ ثم فى أقصى يمينه: الملكة الأم "موت توى" مرة أخرى. لاشك إذن، أن الملك، قد خلق، بين كافة هذه الشخصيات، اتزانا فائق الدقة. فقد أضفى الأولوية والصدارة على أم وريث العرش؛ وكذلك الأمر بالنسبة للملكة الأم جليلة الشأن. وفى الناحية الجنوبية، فقد حظى بالأهمية الابن الأكبر لنفرتارى وابنة "إيزيس نفرت" البكرية. وفى الجانب الشمالى، ميز الفرعون، الابن الأكبر لإيزيس نفرت، أى الأمير "رمسيس"، ولابنة "نفرتارى" الكبرى. حقا، لقد احترم تماما، حق التقدم والصدارة!..

ها هو إذن المخصب المنجب المؤله، وقد تبدت تجلياته الخلاقة من خلال الأحجام العملاقة. إنه يسود ويهيمن فى اهتمام ورعاية عظمى؛ على جميع أفراد عائلته .. وكأنه إله النهر الخلاق: لقد أضفى التمجيد والتكريم على الأمومة، وميز، بكل وضوح، العنصر الأنثوى .. بالرغم من أن عدد أبنائه الأمراء الذكور يماثل ذاك المتعلق بالإناث!!.. ولكن، نلاحظ، فى مجالنا هذا، غياب شخصيتين كبيرتين؛ وهما: الأب الذى يجل وأله؛ ولكنه، وقتئذ، كان قد انتقل إلى العالم الآخر، ثم الزوجة الملكية المعظمة الأخرى عندئذ .. والتى ظهرت ثانيا فيما بعد!!.. ألا يستدعى ذلك العديد من التساؤلات؟!!

## قاعة الأعمدة

حالما يعبر المرء باب الدخول الواضح الضيق، يجد نفسه بالقاعة السفلية الشبيهة بفناء مكشوف السقف، ذات الأعمدة الأوزيرية التى تقام عادة بالمعابد التقليدية؛ ولكن، يرى هنا رمسيس، فى الوضع الأوزيرى، وهو "يرتدى مئزر الأحياء". وفوق الجدران، تؤكد المشاهد القتالية، مدى اهتمام ملك مصر، بمطاردة الأعداء خارج حدودها .. وقد أوشكت تقريبا على الاكتمال. ويتبين أن الرسوم التخطيطية فوق أوراق البردى، الموضحة للمراحل الأساسية بمعركة "قادش"، قد أحضرها "عحا حب سد"، لرئيس الفنانين، وهو من حاشية الملك، ويشغل وظيفة: "كبير حجاب الفرعون": حيث ذكر شخصيا، أنه "كلف بإعداد وتجهيز بيت ملايين السنين الذى حفر فى صخور الجبل(٢١)".

بدأ الرسامون فى إعداد المربعات الخاصة بالمشهد الفائق المدى، فوق الجدار الشمالى بأكمله فى القاعة. وعن الجدار الجنوبى بقاعة الأعمدة، المجابه له، فقد تقرر أن يغطى بمشاهد قتالية أخرى تتعلق بمعارك "وقائية" ترجع إلى أولى حملات الفرعون. فبداية، مشهد يصور الاستيلاء على حصن سورى: فها هو الفرعون ماثل

فوق مركبته الحربية، يرافقه ثلاثة من أبنائه، هم: آمون حر خبش إف، ورمسيس، وبا رع حر ونم إف؛ كل فوق عربته العسكرية الخاصة. يتلو ذلك، مشهد آخر لمصرع أحد الزعماء الليبيين: إنه مكرر من نظير له صور فوق جدران الكرنك: ولكن، بطله الرئيسي: "سيتي الأول". وأخيرا، فلاشك أن الفرعون ومليكته نفرتاري سوف يستمتعان، فيما بعد بتأمل هذا المشهد ذي النقوش البارزة العملاقة، المصورة للفرعون، منتصرا، وقد انتصب في عظمة وجلال، فوق مركبته، بصحبة أسده الأليف. وأمامه، صفان من الأسرى الكوشيين: إنهم، بلا ريب يومئون إلى حملة القمع التي شنها الفرعون في إرم Irem إبان فترة مشاركته في الحكم. قطعا، تشير تلك المشاهد، بالإضافة إلى وجود الصبية الأمراء الصغار؛ إلى تاريخ إنشاء المعابد - الكهف: المعاصرة لأولى سنوات عهده(٢٢). أخيرا، وإيجازا للمشاهد العسكرية الممثلة جنوبا، يرى رمسيس، وهو يعبر عن إجلاله وتبجيله للزوجين آمون، وموت لدعمه ومساندته في معاركه ببلاد كوش. وينتهي الجزء الزخرفي الذي يعتلي مشهد صفوف الأعداء الكوشيين بمنظر متفرد ومستحدث، بل وفائق الأهمية أيضا. فمن خلاله، يشاهد "آمون نباتا" بداخل معبده الصخري. وأسفل صورته جالسا، يتراءى جسم حية كوبرا هائلة الحجم، تقف ما بين آمون ورمسيس الذي يبجل هذا الجوهر الإلهي: إنها، بلا أدنى شك، صورة النيل، وهو يتلوى ويتقدم متعرجا، بداية من منابعه، متأهبا للوصول إلى "أرض الفرعون(٢٣)"، لكي يغمرها بفيضانه.

مواجهة، صور "أوسر ماعت رع"؛ بعد موقعة قادش، ماثلا أما "حور أختي" و"يوسعاس"- أحد تجليات "السحر" التي تتخذها الربة "حتحور"، وهو يسحل وراءه صفين من الأسرى.

مرة أخرى، يعمل الفرعون على إبراز أهمية نسله، الواضح الكثرة في تلك الآونة (العام السادس والسابع من حكمه).'ولذا، ففوق الجزء السفلي من الجدران المحيطة بباب الدخول، تراءت، بالنقوش البارزة صفوف لأوائل أبنائه (شعائريا،

حدد مكانهم بالناحية الجنوبية)، وكبريات بناته (شمالا). ويتراءى التساوى العددى بينهم كاملا. ومع ذلك، فإن الأبناء الذين أنجبهم الملك من كلتا زوجتيه الملكيتين المعظمتين، لم يزد عددهم عن ثمانية، وهم: "آمون حر خبش إف" و"رمسيس" و"بار رع حر ونم إف" و"خع إم واست" و"مونتو حر خبش إف" و"نب إن خارو" و"مرى آمون" و"ست حم ويا".

تأكد "أوسر ماعت رع" من دقة وصواب تحديد أشكال كل من بناته التسع؛ وقد اقترنت بأسمائهن. وتيقن من تطابق صورة كل منهن. إنهن: "بنت عنات" و"باكت موت" و"نفرتارى الثانية" و"مريت آمون" و"نبت تاوى" و"إيزيس نفرت الثانية" و"حنوت تاوى" و"ور مى رع" و"نجم موت".

## القاعة المعمدة

تقع القاعة المعمدة، فى إثر القاعة – الفناء. والهدف الأساسى من إقامتها: أن تمثل، فوق جداريها الجنوبى والشمالى مركب آمون: وقد زينت مقدمتها بشكل لرأس الكبش المقدس. وكذلك، تصور، تلك الخاصة بـ"رع"، مزدانة برأس الصقر. ويتحتم على الفرعون وزوجته الملكية المعظمة أن يقدما فروض الإجلال والتمجيد لهذين المركبين. على ما يتراءى أن النقوش البارزة، لم تكن قد اكتملت بعد. ومع ذلك، فقد رأى رمسيس ضرورة أن يبين لنفرتارى، أن هاتين المركبتين، ليستا فى حقيقة الأمر سوى واحدة فقط لا غير.. إن الأمر، فى الواقع، يتعلق بمركب آمون رع .. وقد جزئت!.. وخلاف ذلك، كانت قد أعدت فوق أرض "قدس الأقداس" قاعدة خاصة لتلقى هذه المركب الطقسية الوحيدة وحملها. وفوق جدران هذه القاعة الأخيرة، تقرر أيضا، نقش صورة كل من: مركب آمون رع، جنوبا، ثم تلك الخاصة، برمسيس المؤله نفسه، شمالا. ومن خلال نقش هذا المشهد الأخير يمكن أن نتبين أيضا مركب "حور آختى".

وكذلك، فى نطاق المقصورة الصغيرة الصخرية، القائمة بجنوب المعبد الكبير، حلت فوق جدارها الجنوبى، مركب "تحوت" مكان نظيرتها الخاصة بآمون: وذلك، إيماء إلى الفيضان الذى يسيطر عليه "تحوت"، ويأتى به إلى مصر. كممثل "آمون" نفسه، الذى يجسده الملك. عموما، لم يعمل هذا الخلط مطلقا على تشويش فكر نفرتارى؛ فقد اعتادت وتمرست تماما على تأليفات وتركيبات الرعامسة هذه. وبالإضافة لذلك، فقد تراءت لها هذه الرمزية أكثر واقعية، عندما قام رمسيس ومهندسوه المعماريون ومعهم "عحا حب سد"، فى حضورها: بمراجعة وضع اتجاه المعبد الكبير بالنسبة للتماثيل الأربعة العملاقة، التى سوف تزين الحائط الغربى لقدس الأقداس.

## نورانية قدس الأقداس!

لقد تم تقدير المحور بدقة متناهية؛ لكى يتمكن أول شعاع شمسى عند الشروق؛ لمرتين اثنتين كل عام، من الانعكاس، بداية، على أحد التماثيل الجالسة بملاصقة الجدار القائم فى أعمق أعماق المعبد. كما أزمع أيضا، أن تنحت فى نفس الصخور الجبلية، من الجنوب إلى الشمال، أشكال ممثلة لـ"بتاح"، وآمون، وأوسر ماعت رع ستب إن رع، وفى النهاية رع حورآختى ..

.. وفقا لتحرك الشمس (الذى أثبت حاليا أنه ظاهرى)، التى تميل بعض الشىء عند شروقها يوميا، نحو الشمال، كلما زاد اقترابها من مدارها الصيفى؛ ولكنها تجنح نحو الجنوب كلما زاد الاقتراب من مدارها الشتوى: ولذلك، فإن إشعاعاتها هذه لا تتسرب إلى أعمق أعماق المعبد إلا خلال فترتين محددتين فى العام. من ١٠ يناير إلى ٣٠ مارس، تقوم الشمس بهذا "الاكتساح"؛ حيث تتجه الإشعاعات الشمسية على نفس محور المعبد فى ٢٠ فبراير، فتضىء، على التوالى ثلاثة تماثيل. بعد ذلك، فى الفترة الواقعة ما بين ١٠ سبتمبر و٢٣ نوفمبر، يتراءى الاختراق الشمسى المباشر لقدس الأقداس، تحديدا فى ٢٠ أكتوبر. إذن، والحال هكذا، ففى ٢٠ فبراير، تبدو

بالإضاءة، موجهة على تمثال آمون. بعد ذلك، ينتقل الضوء إلى ذاك الممثل للملك. ولكن، في ٢٠ أكتوبر، تبدأ الشمس بإنارة تمثال "رع حورآختي"، ثم تتجه إلى شكل رمسيس. بذلك، فإن الجوهرين الإلهيين المذكورين، تقومان، على التوالى، لمرتين كل عام؛ بإمداد الفرعون بهذا الضياء اللازم لبقاء واستمرارية طبيعته المفعمة بالألوهية .. والتى قد تضمحل وتتهاوى وتقل فعاليتها خلال السنة.

ها هو الفرعون إذن يكتسب نورانية وضياء من جانب آمون ورع. كما أن مركبهما هى، فى الحين ذاته مركبه أيضا: ويقتضى الأمر أن تنزل هذه المركب مجرى النيل فى بداية العام الجديد. إنها، بالتالى، صورة، ورمز رب الفيضان!!.. أما عن تمثال "بتاح" أو بالأحرى الإله المنبثق من الظلمات، والدافع المحرك لها .. فإن كتفه الأيسر فقط هو الذى تلمسه أشعة الشمس!!

## دور الكهف الصغير

قطعا، كانت هناك ظواهر سحرية فوق – طبيعية أخرى، خلال العام، حيث كانت المعجزة تتجلى فى إطار ذاك المكان المقدس الذى اختاره "أوسر ماعت رع". فإن معبد حتحور، الذى أهدى للملكة، اعتبر بمثابة مكمل لحدث جوهرى آخر. إنه يتراءى فى شكل – كهفى، زينت أعمدته بتيجان حتحورية النمط، تمجيدا لعنصر الأنوثة: وحيث تتألق نقوشه البارزة، بكل معنى الكلمة، بالسحر والصبا والجمال، ولا يضاهيه فى ذلك أى مكان آخر. إنه، بذلك، يومئ إلى الملك والملكة، فى بداية فترة حكمهما؛ وبالتالى، فإن مظهرهما الشبابى، يضفى المزيد من الشاعرية على هذا المعبد .. إذن، فهو مفعم بمضمون محدد تماما: يعبر عنه، تعبيرا موجزا، شكل البقرة المقدسة المجسدة لحتحور، الماثلة فى أعمق أعماق قدس الأقداس .. فهى بمثابة إشارة مباشرة للتجدد السنوى للملك، المرتبط أساسا بعودة الفيضان: حيث يعتقد أن هذه الربة تعمل على حثه وإطلاق مياهه من حنايا الجبل.

ولتحقيق ذلك، تؤدى، بداية، بعض الطقوس الخاصة، من جانب الملكة شخصيا، فى إطار هذا المكان المختار المميز .. فها هى، ممثلة، فوق إحدى جدرانه، ممشوقة القد، رشيقة هيفاء؛ وهى تتلقى رمز "الإيروس" (غريزة الحب) من "حتحور"؛ ومن إيزيس شعار "الأمومة"، والتاج من سوتيس؛ هذا الكوكب الذى يتوارى لفترة ما ثم يعاود ظهوره ثانيا، لكى يعمل على حث شروق الشمس فى أوائل العام الجديد. ولذلك، والحال هكذا، فإن اسم هذا الكهف، المحفور فى شكل صفوف متجاورة بالعلامات الهيروغليفية على الواجهة، قد نظمه الفرعون بالعبارات التالية: "نفرتارى، التى تشرق الشمس حبا لها". وأخيرا، فإن دقة وانتظام هذا المسار الكونى، يعمل على ضمانه وكفالته ذاك المحراب الشمسى القائم بشمال الكهف الكبير.

ها هى نفرتارى قد تيقنت إذن من إنجاز ذاك المشهد الضخم، الذى يؤدى، من خلاله الدور الكونى: وحيث ستقوم، هى والفرعون بالدور الرئيسى .. عندئذ، بدا الاثنان يسلكان طريقهما نحو شمال مصر، حيث عاصمة أحلامهما: "بر – رمسيس"!

# الفصل الحادى عشر

# ما بعد قادش

## مؤاب وإدوم

لحسن الحظ، أن تلك الأشهر التى قضاها رمسيس فى مصر العليا، والنوبة، قد ضاعفت من حمية وحماس هذا الملك للقتال والحرب. وعند عودته، تبين سريعا، مدى انتشار الأخبار المتعلقة بمعركة قادش، فى أجواء كنعان. كما لاحظ شدة وطئها وتأثيرها على سلوك واتجاهات البلاد الموالية الخاضعة للـ"تاج المزدوج" المصرى .. وكذلك على تحركات "الشاسو[١]" دائمى التمرد والثورة.

ولذلك، فإنه، منذ أواخر السنة السادسة من حكمه، تيسر له ردع هؤلاء البدو الرُحل، وإزاحتهم نحو الشرق، خارج حدود كنعان. بل وركز الفرعون اهتماما فائقا على جبى الضرائب من الحكام الموالين له فى "كنعان". وكانت قد فرضت، بداية من عهد تحتمس الثالث. ثم هيمن عليها بعد ذلك حور محب، وكذلك "سيتى الأول" بصفة خاصة.

وكان الاهتمام البالغ الفعلى من جانب "أوسر ماعت رع"، متجها خاصة نحو شرق فلسطين، بشرق وجنوب "البحر الميت": وهناك، لوحظ أن شعوب مؤاب وإدوم يشعرون بهويتهم القومية الخاصة، ويجنحون إلى نبذ الوصاية المصرية. إذن، فالضرورة تحتم، بأى ثمن كان، قمع المقاومة بهذه المناطق القريبة للغاية من الحدود المصرية .. فهى قديرة، دائما وأبدا على إثارة القلاقل والاضطرابات المتباينة. كما

تبدو شديدة التأثر بدعاية الحيثيين[٢] الماهرة : التى ترقى، للقيام، فيما بعد، إلى إعادة غزو "عمورو": التى كان رمسيس يعتبرها بمثابة صمام أمان أساسى وجوهرى، لاتقاء خطر تكوين تحالف جديد ضده. عندئذ، رأى الفرعون ضرورة اشتراك ابنه الأكبر فى المعركة. فها هو الأوان قد آن لكى يكلفه بمسئولية كبرى فى إطار الإستراتيجية التى أزمع إنتهاجها.

فى الفترة ما بين عامى ١٢٧٣ - ١٢٧٢ قبل الميلاد، بالعام السابع من حكمه، كان رمسيس قد ناهز الثانية والثلاثين من عمره. واعتبر الهدف الأول، وقتئذ: تدمير قوى المقاومة بالبلدان التى تشرف، إلى أبعد مدى على "البحر الميت". ولتحقيق هذا الغرض، حتم الأمر قيام كتيبتين من منطقة تلال النجف لكى تلتقيان معا فى مؤاب. وتولى الأمير "آمون حر خبش إف" قيادة فرقته العسكرية نحو الشرق، ليصل إلى دنوب "البحر الميت": وفى طريقه نحو إدوم، يقوم بالاستيلاء على رباط البتراء ( Butartu القديمة). أما عن رمسيس، فإنه عبر قلب "كنعان" غرب "البحر الميت"، ليصل إلى أطرافه الشمالية؛ وابتعد عن أورشليم ( القدس الحالية ) على يساره؛ ثم هبط شرق "البحر الميت"، بـ"الأردن الحالية"، واستولى على مدينة "ديبون". وأخذ الفرعون يتقدم جنوبا؛ وتحقق لقائه مع ابنه الأكبر، الذى كان، على ما يبدو، ينتظره فى البتراء حيث تمكن من إعادة الأمن والسلام بالمنطقة.

عندئذ، بدا الطريق ممهدا أمام رمسيس للانطلاق مباشرة، أو تقريبا، نحو الشمال، دون مجابهة مقاومة تذكر؛ فى اتجاه منطقة "أوبى" التى كان قد فقدها بعد معركة قادش. وتوقف عند Témesq (بر - رمسيس" أخرى؛ وهى دمشق الحالية). فإنه، على ما يبدو، كان يبغى الوصول إلى مدينة "كوميدى". وقد أطلق على "خط السير" هذا اسم: "طريق الملك".

## الخروج .. هل وقع فى عهد رمسيس ؟!

## (١٢٧٢-١٢٧١ ق.م)

استتبعت تلك المعارك، التى انطلقت أساسا من جنوب سيناء، شيئا من الغليان والفوران فى المنطقة. وكان البدو الرُحل "الشاسو" وخاصة الـ"عبيرو" شبه الرحالين؛ ويعنى اسمهم هذا: "المعفرون" (إنهم الـ Hapirous الذين ذكروا فى النصوص المسمارية: ربما يكونون أصلا: الـ Hepere أى الـ : Hebereut يهود)، يتناقلون، عبر الأجيال، قصصا وحكايات وأحداث، سرعان ما تحولت، بسبب امتزاجها ببعضها بعضا .. إلى أساطير!..

فهل علينا إذن، أن نحدد، خلال تلك الحقبة، أى عهد رمسيس، بدء "سفر الخروج"، وفقا لما ذكرته "التوراة" خاصة، باعتباره حدثًا تاريخيا فعليا .. واقعيا تماما؟!.. عموما، لا تتضمن النصوص المصرية أية معلومات محددة فى هذا الصدد: بالرغم من غزارتها بوجه خاص، وبقائها منذ حكم "أوسر ماعت رع"..

فهى لا تتيح لنا أى معرفة فى هذا المجال. ومع ذلك، فربما أن هذا الاسم "رمسيس" المستمد من التوراة، قد يقارب شبها: "بر - رمسيس": التى استعين فى بنائها بأفراد من "العبيرو[٣]". حيث كانوا، يقومون، بمعاونة جند الفرعون، بجذب الكتل الحجرية نحو الصرح الخاص بقصر رمسيس الثانى[٤]؛ وغيره من المنشآت والنصب الأخرى.

## النبى موسى .. هل كان مصريا

يتفرع اسم موسى من Mosé (més : ابن، و mésy ولد، إلخ، إلخ..) بل هو يعبر أيضا عن تشعب الاسم المصرى البحت، الذى يتكون جزؤه الأول عادة من اسم إلهى: جزؤه (تحوت - مس) (رع - مس) رمسيس، إلخ، إلخ..

وقد تبين أن الكثيرين من المصريين، خلال الأسرة التاسعة عشرة، قد تسموا باسم: Mès (أو : Mosé) وقطعا، إبان تلك الحقبة، وكذلك فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، كان من المألوف الاستعانة بالأسرى الآسيويين فى أعمال الحفر والبناء الكبرى المتعلقة بالمقابر الملكية والمعابد. وبالإضافة لذلك، لم يكن أسرى الحرب هم وحدهم الممثلين لقوة عاملة فعالة: بل كان هناك أيضا آسيويون وبدو أحرارا تماما، يقبلون العمل بمهنة الصناع والعمال؛ كمثل "العبيرو"؛ فيقومون بتصنيع قوالب الطوب، ويجرون الكتل الحجرية الضخمة الخاصة ببناء[٥] منشآت بر – رمسيس[٦]. وأحيانا، قد يلتحقون كعمال موسميين منتظمين لجنى محاصيل العنب.

## عمال الفرعون الأجانب

أحيانا، كان بعض هؤلاء العمال، وغيرهم من الأسرى المحررين، يفضلون البقاء الدائم فى مصر. وخاصة، أن أبناءهم كانوا يتلقون، فى هذه الحال تعليما وتثقيفا مصريا. وعادة، كان أبناء الزعماء الأجانب الذين يتلقون تعليمهم فى معهد "كب" kep بالبلاط الملكي، أو فى "حريم الفرعون"، يعودون إلى أوطانهم الأصلية وقد تشبعوا تماما بالثقافة المصرية. بل إن الكثيرين منهم، يشغلون مهاما ومهنًا فى مصر؛ وأحيانا، بالمحيط المقرب مباشرة من الملك. وليس من المستبعد[٧] أبدا، أن موسى قد تلقن واستوعب تماما الحكمة المصرية، التى مكنته من فصاحة العبارة ومتانة الكلمات والسلوك: "بعد أن نشأ وتربى فى نطاق البلاط الملكى حتى صار رجلاً" (سفر الخروج ٢: ١٠–١١). ولعلنا نعلم تماما أن الإنسان المصرى، قد اتصف دائما وأبدا بالوطنية والقومية، ولكنه، مع ذلك، لم يكن يبدى أى كراهية أو بغضا للأجانب.

هناك، قطعا أمثال عديدة على ذلك، بقيت حتى يومنا هذا، من خلال الوثائق المكتوبة الخاصة بالأسرة التاسعة عشرة. إنها تفيدنا، على سبيل المثال "بقصة إحدى السيدات المصريات، التى قامت بتحرير ثلاثة من عبيدها"، ثم تبنتهم[٨]. وهكذا، عرفنا أيضا أن موسى هو الابن المتبنى لزوجة فرعون مصر .. فليس ذلك بمستحيل أبدا!!..

## عمال لا غنى عنهم

فى النهاية، ربما قد نتساءل عجبا: ما المعيار المهم الفعلى الذى يمكن الاستناد إليه لإضفاء الشرعية على مثل هذا التدفق الهائل من الأيدى العاملة الأجنبية؟!.. إن هذا المد الضخم من العمال الأجانب، ربما قد عارضه الفرعون شخصيا: إلى درجة مطاردته لهم؟!.. وفى الحين ذاته، كانت مشاغله المتلاحقة الكبرى تعد أهم وأخطر من تلك المتعلقة بأيدى عاملة يمكن استبدالها والاستعاضة عنها بسواها!!.. ومع ذلك، وفى واقع الأمر، لم يذكر أى حدث من خلال الوثائق المصرية القديمة عن: رحيل - أو طرد - فئات من الأجانب خارج حدود مصر .. فى عهد رمسيس الثانى. وربما قد يرجع الأمر برمته إلى شىء من الخلط والمزج بين هذه الأسطورة، وبين واقعة طرد الهكسوس، شراذم الآسيويين الفائقى التنظيم، المسلحين تسلحا باهرا، الذين احتلوا أرض مصر. وفى الفترة ذاتها، تمكن أمراء طيبة من طردهم، فى بداية الدولة الحديثة.

أخيرا، قد يمكننا تقديم هذا الافتراض التالى، إذا عملنا على تحديد بداية "سفر الخروج"، فى الفترة السابقة لحملة رمسيس وابنه "آمون حر خبش إف" لعبور النقب، فى طريقهما إلى إدوم. وبذا فإن المبرر الأكثر منطقا ومناسبة، والذى جعل الفرعون يرفض طرد "العبيرو" من أرض مصر، هو: أنهم، قد يلجأون إلى الالتحام والتلاقى مع "الشاسو" .. وبالتالى، كان سيؤدى ذلك إلى عرقلة تقدم الجيش المصرى[٩].

## أوبئة وكوارث تجتاح مصر[١٠] !

ربما أن النكبات التى أصابت مصر أحيانا، والتى ذكرتها "التوراة": ذاك الغبار الأسود الذى كان يحيق بكافة أجوائها. فربما أن هذا المبرر الذى دعى الفرعون إلى إتاحة رحيل العبرانيين. وربما تومئ هذه الكوارث إلى أحد نماذجها السحيقة المتمثلة فى طوفان رهيب بعيد الأمد، وقعت ضحيته[١١] جزيرة "سانتورين"، وتسبب فى

أضرار بالغة بالمجال البيئى المجاور لها: حيث تطايرت مواد بركانية، طالت، على ما يعتقد شمال سيناء[١٢]!!. ويدرج أيضا فى قائمة الكوارث هذه: فيضان النيل، فائق الحد، خلال الفترة المحيطة بـ"أيام النسىء". وكذلك، ما تسببه الإلهة البعيدة[١٣]، من أضرار وأذى، كمثل: الأوبئة، وطاعون الحيوانات، وانتشار الضفادع بشكل رهيب، وتحول مياه النيل إلى لون الدماء، إلخ، إلخ ..!!. ومن خلال نصوص "التوراة"، ذكرت أيضا عدة تفاصيل ومعلومات، مغايرة وخارقة تماما للمألوف في أجواء مصر ومناخها. وفى هذا الصدد، يشار إلى قتل الأطفال الذكور، البكريين: بما أنها، أصلا بمثابة ممارسة آسيوية، بل وفينيقية .. ولا تنبثق مطلقا من أرض الفراعنة[١٤]!!.. أما عن غيوم الجراد الذى يهاجم مصر ويهطل على أرضها فى هيئة سيول غامرة؛ والذى كان يلحق أضرارا بالغة فى كافة أنحاء شمال أفريقيا؛ فغالبا، ما يعتبره أهل مصر ذا فائدة ونفع. فهو يكافح الشر والشؤم .. وعادة، نراه من خلال النقوش السحرية الواقية الحامية بالكثير من مقابر "الدولة القديمة". كما استلهم الفنانون شكله فى إبداع قوارير وأوعية الدهانات العطرية. بل لقد وصل الأمر إلى تشبيهه بالجنود البواسل الشجعان فى كتائب الفرعون[١٥] المسلحة الأربع.

قطعا، أنجب "أوسر ماعت رع" عددا هائلا من الأبناء. وقد فقد الكثيرين منهم قبل بلوغهم العام الثلاثين من عمرهم .. وربما أن الاقتناع بما أصبح بمثابة أسطورة، قد جعله يسلم بهذا الأمر. ولكن، علينا أن نلاحظ هنا، أن ابنه الأكبر "آمون حر خبش إف"، لم ينتقل إلى "العالم الآخر" فى بداية الحكم: فقد أسهم بالفعل، فى التبادلات الدبلوماسية، التى تمت قبل العام الواحد والعشرين: تمهيدا لـ"معاهدة السلام" بين الحيثيين والمصريين.

## آراء علماء المصريات

هاهنا اعتقاد ما ينبثق من ذات نفسه. فعلى ما يبدو، بعد هذا التحليل السابق المختصر، أن "السرد" المشار إليه آنفا، لا يعدو أن يكون سوى عملية مزج وخلط لعدة

أحداث مستقلة عن بعضها بعضا، ترجع إلى حقبات متباينة: ثم تم جمعها بعد أمد طويل، لكي تغطي وتشمل، على ما يعتقد حدث واحد فقط هامشي وغير ذي أهمية في أعين المصريين. ولكنه، بالرغم من ذلك، أبرز وضخم لكي يصبح بمثابة "سرد بطولي، متماسك ومترابط"!!.. وها هو المؤرخ ك.أ. كيتشن[١٦]، وقد دعم بالأسانيد القوية يؤكد: "أن سفر الخروج المذكور في التوراة، ليس له أي صدى في إطار تلك الكتابات المفعمة افتخارا وتعاظما التي قدمها رمسيس". وربما أنه يميل إلى تصوير "سفر الخروج" في عهد رمسيس الثاني وكأنه مجرد ذكرى طارئة .. بل بمثابة "حدث تافه الشأن .. سيئ وردىء"!!.. ثم عمل اليهود، بعد ذلك، على تحويله إلى مناسبة مشهودة، لا يجب أن تنسى أبدا!!!

أما عن "م. بيتاك[١٧]"، الذي أمضى سنوات عديدة في مساءلة واستجواب معقل الهكسوس في مدينة "أواريس"، فإنه يعتقد: أن الإسرائيليين – الأصليين، ربما كانوا ضمن عشائر "الشاسو" التي تحدثت عنهم النصوص المصرية. ولكنه يرى: أن "سفر الخروج"، قد وقع، على أية حال، قبيل العام الخامس من حكم مرنبتاح.

وفيما يتعلق بـ"د. ردفورد"، فقد توصل، من خلال دراسته وبحثه: أن "المؤرخين التورانيين"، لا يلمون إلماما كافيا بالتاريخ بصفة عامة؛ وخاصة فيما يتعلق بالأسلوب الذي كان المصريون يهيمنون، من خلاله على فلسطين. بل يرى هذا العالم: أن أسطورة "سفر الخروج"، لا تعكس بالضرورة أحوال مصر في الحقبة الواقعة ما بين الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة .. بل بالأحرى، في فترة الأسرة السادسة والعشرين. كما يجد: أن محرر هذه الواقعة وكاتبها، كان على علم تام بطبوغرافية "الدلتا" إبان عهد تلك الأسرة وبداية الحكم الفارسي. ولخص "ريدفورد" آراءه قائلا: "علينا، في كافة الأحوال، ألا نتقبل سوى الخطوط الرئيسية بهذا "السرد" .. الذي حُرر، على ما يبدو، في وقت لاحق".

نرى إذن: أن العناصر اللازمة للتفكر وإمعان النظر، تبدو فائقة الهشاشة، وغير جازمة. وبذا، فإن وجهة نظر آخر الكتاب الذين عالجوا هذه المشكلة، وهو: Y.Meleze

Madegejewski [١٩]، تتلاقى مع الأبحاث القيمة التى أنجزها "هـ. كازيل[٢٠]": والتى توصلنا إليها نحن فى عام ١٩٧٦، خلال قيامنا بتنظيم "معرض رمسيس الثانى"، بمتحف الجراند باليه بباريس[٢١].

## سفر الخروج: محاولة لإعادة تكوينه

نهاية، وإيجازًا للقول، مع مراعاة بعض الدراسات التى تمت بحرص وحذر شديدين وموضوعية فائقة، يمكننا أن نستنتج ما يلى: ربما قد وقعت مشاكسة، أو نزاع ما، بين السلطات الأمنية التابعة للفرعون وبين مجموعة من العمال الساميين الأصل. ولا يستبعد أبدا، أن هؤلاء الأخيرين، قد تركوا عملهم وفروا هاربين خارج حدود مصر. ولكن، سرعان ما عمل فئات "العبيرو" (اليهود فيما بعد) على تضخيم هذا الحدث؛ بل وجعلوه بمثابة المصدر الرئيسى لتاريخهم.

سنحاول إذن، من خلال السطور التالية، إعادة تكوين تلك "المغامرة". عموما، ومهما كان الأمر، فلابد من أنها ترتبط، بلا جدال بحقبة حكم الرعامسة لمصر. وسنركز، فى محاولتنا هذه، على العناصر السابق تحليلها آنفا.

أولى الفرعون، بداية من فجر الأسرة التاسعة عشرة اهتماما بالغا لتوثيق العلاقات مع جيرانه القريبين. وكان هناك أيضا الكثير من الأمراء الشبان، ساميو المنبت رفيعو المرتبة، الذين تربوا وتثقفوا وفقا للنهج المصرى؛ وتأهلوا ودرسوا فى أجواء "حريم الفرعون". وسرعان ما تم استيعابهم؛ والاستعانة بهم فى مجال العلاقات مع الدبلوماسيين الأجانب. ولا ريب أن "موسى" كان ضمنهم. ثم أصبح، فيما بعد شخصية فائقة الأهمية فى أرض مصر. وتمتع بحظوة وتفضيل حاشية الفرعون وأفراد شعبه[٢٢].

ولكن، كيف عسانا نضع، فى موضعها المناسب الأحداث المتعلقة به؟!.. أولاً، نجد أن "موسى" قد وجد نفسه، فى يوم ما شاهدا على عقاب قاسٍ أوقعه أحد المقاولين

المشرفين، على أحد "مواطنيه" (إذن، فهو ليس "مدمج" تماما، كما يقال عنه حاليا!). وقد حدث هذا الأمر فى الوقت الذى استهل فيه "سيتى الأول" الأعمال الإنشائية لـ"بر – رمسيس".

هنا، تدخل "موسى" فيما بين العامل وبين المقاول المشرف: وضرب هذا الأخير ضربة أودت بحياته. ولم يسلم نفسه للاعتقال. وفر هاربا حتى لا يقدم للمحاكمة: ويلقى مصير من يلحقون الأذى بـ"قطيع الإله".. بعدئذ، علينا أن نتخيل وقائع قصته فى مدينة "مدين" (من الواضح أنه كان ملما تماما بدروب الصحراء). وعرف أنه تزوج بابنة الكاهن الأعظم بتلك المنطقة؛ وهناك أيضا، واقعة "الدغل المضطرم نارا"؛ وكذلك الأمر الإلهى الذى صدر إليه ليقود اليهود (Apirou) إلى خارج حدود مصر (الخروج: ١٣،٣-١٥).

لاشك أن وفاة "سيتى الأول"، قد وقعت، وقتئذ فى حينها: وبالتالى، حاول "موسى" الرجوع إلى مصر: لمجرد، تحقيق وتنفيذ الأوامر الربانية التى تلقاها .. ولم يأبه لما قد يجابهه، فى هذا البلد من أعمال ردع وقمع. يتراءى واضحا، أن الملك الجديد الذى لم يكن قد عاصر "يوسف[٢٤]" قد أزمع استقباله فى بلاطه مرة أخرى. ولا يستبعد، أن هذا الفرعون الجديد "أوسر ماعت رع"، لم يكن قد أحيط علما بمقتل المقاول – المشرف، أو ربما قد تغاضى عنه: وكان "موسى" هو المسئول الرئيسى عن هذا الحادث. وهكذا، استعاد هذا الأخير مكانته الرفيعة السامية بجانب فرعون مصر. بل لقد تجرأ، بعد ذلك، وطلب منه السماح بإحضار أفراد عشيرته القائمة على بعد ثلاثة أيام سيراً على الأقدام بالصحراء .. لكى يقوموا بتقديم أضحية!..

قطعا، لم يكن موسى أبدا رجل حرب (لقد ترك هذا الدور ليقوم به Yosue). ولكنه، كان، بالرغم من ذلك، واثقا من نفوذه، ومن مكانته الرفيعة فى نطاق البلاط الملكى؛ وأيضا، بما أنعم به عليه إلهه من إلهام ووحى. ولم يفكر موسى أن الفرعون كان يحق له أن يؤنبه ويوجه إليه اللوم. قطعا، كان هناك الكثير جدا مما يلام عليه، كمثل: قتل أحد المصريين، والعمل مفاجأة على حرمان مصر من قوى عاملة؛ فتح لها

هذا البلد الباب على مصراعيه[٢٤] مُرحبًا ؛ ثم الازدراء الكامل للأحوال التى يمر بها هذا الوطن بعد فقدان مدينة "عمورو"، وتربص الأعداء على حدوده، بالإضافة إلى المؤامرات التى يدبرها له الحيثيين!..

حقا، كان يحق للفرعون أن يشعر بالحنق والغضب. وهذا، بالفعل، هو عين ما حدث. ومع ذلك، وجد موسى أن الفرصة مواتية تماما أمامه: فعارض الفرعون معارضة شديدة، وهدده أيضا، بل واستنزل على مصر، على ما يبدو، وبالا ونكبات: اضطر الملك، أمامها، فى نهاية الأمر إلى الرضوخ والاستسلام. وربما أن موسى قد أبدى لامبالاة بنفوذ رمسيس وسطوته حيث سارع هذا الملك، بمعاونة ابنه الأكبر "آمون حر خبش إف" بتنظيم تحرك عسكرى فائق المدى للالتفاف حول شمال النقب، وكنعان، ثم مؤاب وإدوم.

هنا، بدأ "الرحيل" عن مصر، بعد انتشار خبر احتمال وفاة ابن الفرعون الأكبر .. أو بالأحرى، عاشر النكبات التى أحاقت، وقتئذ بمصر. إذن، فقد طُرد[٢٦] العبرانيون. وهذا ما يقوله بالفعل نص الياهفست، الذى أوضح أنهم قد تحركوا، مباشرة، بداية من "بر – رمسيس"، (= رمسيس) تنفيذا لما أمرهم به موسى. وضمن تعليماته هذه، أشار عليهم بالاستحواذ والاستيلاء على كافة الكنوز التى قد تصل إليها أيديهم .. ها هى حشودهم، إذن، تسلك طريق الفلسطينيين، متجهين صوب كادس Cades (جنوب النقب وليس قادش). ولكن، فى لحظة ما، تلقوا الأمر بالرجوع إلى الخلف[٢٧]. وبدأ العبرانيون يمضون فى طريقهم فى اتجاه بعل سافون (رأس قصرون). وكان هذا الطريق، كما عرف عنه، وعرا محفوفا بالأخطار الجسيمة. فبدت الرياح العاتية تهيل رمالا كثيفة؛ وأصبح من العسير تماما تبين النهر. وكان من المحتمل غرقهم فى أعماق السواحل المتحركة، التى بدت فى هيئة "بحر فعلى من نبات البوص" .. الذى ربما قد يبتلع مركبات الفرعون الحربية نفسها فى أعماقه. عندئذ؛ تقدم "المطاريد نحو صحراء شور".

ومع ذلك، فهناك وقائع ثابتة، ذكرتها "إلوهست" التابعة لـ"سفر الخروج". ويبدو نصها أكثر واقعية ومنطقية عن غيرها. لأنها تنبذ تماما فكرة اختراق طريق الحصون القائمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط: حيث تسهل إصابة "العبيرو" والنيل منهم تماما: فقد تراصت به، وراء بعضها بعضا القلاع الحربية المصرية. إذن، والحال هكذا، فلابد من أن فلول الهاربين هذه، قد سارت في الاتجاه الجنوبي، نحو واحة "عيون موسى"، ثم واحة "فرعون[٢٨]": منطقة تسودها العادات والتقاليد والثقافة السامية؛ قدمت للمصريين أعدادا من عمال المناجم بموقع "سرابيط الخادم": حيث يستخرج الفيروز. ويبدو واضحا، أن جبل "حوريب" كان يقع في أقصى جنوب هذا المكان: الذى يخلب الألباب بروعته وجماله!!.. تحف به سلسلة من الجبال شبه الخيالية؛ تسوده وتشمله "الروحانية الإلهية" .. إنه مناسب تماما لوصول رسالة سماوية! ومع ذلك، فإننا غير متيقنين تماما من موقع مكان الحج اليهودى البائد فى سيناء.

يرى اليهود أتباع يهوه، أن جبل "حوريب، الذى تلقى "موسى" فوقه الوحى الإلهى، يقع على مقربة من كادس عند "جبل هلال". أما الربانيين فيحددونه بناحية الجنوب: حيث يشرف بقمته المقدسة على المكان الذى أقيم به فيما بعد، الدير الحصن بأمر الإمبراطور "جوستنيان"؛ ثم، بعد ذلك فى القرن الحادى عشر، كُرس من أجل "سانت كاترين"، التى وقعت شهيدة فى عام ٢٩٦ ميلادى.

وسواء كان هؤلاء اليهود مطرودين، أو فارين، فإنهم وفقا لرأى الأب الموقر دى فو de Vaux ؛ فإن الروايتين المذكورتين آنفا تجمعان على أنهم قد اتخذوا الطريق المؤدى إلى كادس Cades قبل الوصول إلى كنعان. ومع ذلك، كان على هؤلاء الفارين المرور بأحداث مريرة أخرى، ومنها: ما أبداه ملك إدوم من كراهية تجاههم، ورفضه مرورهم ببلده، بالرغم من أنهم، كانوا قد تمكنوا من التغلب على الأماليستيين[٣٠] بجنوب النقب. ولذلك، اضطروا، وهم يتقدمون شمالا، إلى الالتفاف حول إدوم ومؤاب والتغلب على "العموريين" .. وأخيرا، وصل هؤلاء العبرانيون عند جبل نبو بعد أن أمضوا فى مسيرتهم هذه ما لا يقل عن أربعين عاما، تخللتها بعض "المعجزات"

والمحن .. وها هو "موسى" قبل وفاته، قد تمكن من رؤية أورشليم .."الأرض الموعودة"(٣١).

لاشك أن ما توصلنا إليه حاليا من معلومات؛ غير واضعين فى الاعتبار تماما تسلسل الأحداث الجديرة بالثقة المتعلقة بفترة حكم رمسيس، وكذلك ما جاء بدءا فى هذا الصدد بالنص التوراتى المفتقد حاليا، لا يجعلنا نجازف بتحديد تاريخ بعينه لـ"سفر الخروج". ربما قد تساعد بعض الدلائل المكتشفة، على وضع هذا الحدث فى أوائل عهد رمسيس الثانى. وقد يقول المنطق: أنها تلك الفترة بالعام السابع من الحكم، حيث قام رمسيس و"آمون حر خبش إف" بحملتهما المزدوجة "القمعية" نحو إدوم ومؤاب. ومع ذلك، فإن الإثباتات تبدو واهية. ولكن، يمكننا تقديم هذه الملاحظة: لاشك أن هذه الحملة العسكرية تتزامن مع اشتباكات وصراعات العبرانيين مع إدوم؛ بالإضافة إلى بعض نقاط مسيرتهم فى تلك المناطق التى تحدثت التوراة بصددها(٣٢).

عامة، يصعب، فى كافة الأحوال تحديد فترة "سفر الخروج" فى السنوات اللاحقة؛ حيث كانت المنطقة المشار إليها آنفا قد عادت تحت سطوة ونفوذ قوات الفرعون المحاربة. كما أن هذا الملك قد عمل على نقل عتاده الحربى بعيدا عن حدود وطنه .. لغرض إعادة غزو "عمورو".

## الجيران الليبيون

حالما انتهت معركة قادش، وقرر رمسيس إعادة تنظيم جيشه، بدأ بالفعل فى إقامة قواعد تدريب عسكرى فى المنطقة الغربية بالدلتا، على مقربة فائقة من البحر؛ حيث كان البدو الليبيون الرُحل، يغيرون، بين وقت وآخر، منذ أقدم العصور، على حدود مصر. وكانت الضرورة تحتم إذن توخى الحذر من التسللات الخطيرة. ولم يكن الأمر يتطلب مجرد انتظار وترقب تلك الهجمات؛ بل يقتضى توقى حدوثها. وذلك، بإمداد تلك المنطقة؛ على مدى عدة مئات من الكيلومترات (ما بعد العلمين الحالية)،

بسلسلة من القلاع والحصون مماثلة لتلك التى تقوم على حماية النوبة، أو مثيلاتها المكونة لما عرف بـ"جدار الأمير"، بحافة شمال الدلتا. ولقد ساعدت تحركات وعمليات الفرق العسكرية المصرية، التى تلقت تدريباتها على أيدى كبار الضباط الحاصلين على تأهيل تكتيكى حربى مستحدث متطور، على التعرف تماما على الأراضى وسلوك من يجوبونها أو يسلكونها متجهين إلى مصر.

بفضل أوجه النشاط الموجهة بعلم ودراية وحنكة، أمكن اختيار أفضل الأماكن الإستراتيجية لإقامة القلاع الحصينة. وقد بينت عمليات البحث والتفحص التى قام بها، بتلك المناطق، منذ حوالى أربعين عامًا، عالم المصريات المصرى "لبيب حبشى"، عن وجود ثلاثة حصون؛ تستوعب فى نطاقها، كالمعتاد: مبانٍ لسكنى الجنود، ومنزلاً خاصا لقائد الحصن، ومعبد[٣٣]. بل وتم التعرف أيضا على اسم أحد كبار المسئولين بتلك القلعة الحصينة، وقد دُفن فى "زاوية أم الرخم"، على بعد يزيد عن ثلاثمائة كيلومتر من الفرع الغربى للنيل، بالدلتا. إنه الكاتب المصرى، القائد العسكرى: "نب رع[٣٤]".

## رمسيس، وقلاعو الحجارة والفنانون

ضمن اهتماماته بتفقد أحوال الحدود الليبية، وبالحملة التى يعدها فى دقة وعناية بالغة لإعادة غزو مدن الجليل وبالعقاب الذى سينزله بمتمردى "عمورو" دائمى الخديعة والخيانة، أراد "أوسر ماعت رع" أن يقوم بنفسه بالتنقيب فى المحاجر. كان يرغب فى تشغيل محاجره ليستخرج منها الأحجار البديعة اللازمة لتزيين معابده بتماثيل فخمة مهيبة.

وهكذا، مارس الملك، مواهبه فوق – الطبيعية، التى قادته إلى عروق الحجر والمعادن التى لم يتوصل إليها أحد مطلقا من قبل!!.. وكذلك، سلك السبيل الذى أراده من أجل تطبيق ونشر التحديثات والتجديدات التى أجراها من قبل أبوه العظيم فى

المجال الاجتماعى. ولذلك، يطالعنا، من خلال النصوص، اهتمامه الواضح برفاهية ورغد عيش عماله الحرفيين وفنانيه. وكذلك، عمله دائما، على مكافئتهم بمنتهى العدل والانصاف .. فى إطار هذا البلد الذى بدأت تنمو فى جنباته النزعة الإنسانية.

لذلك، قام الفرعون، فى العام الثامن من حكمه، بثانى أشهر فصل الشتاء، فى اليوم الثامن، باستهلال استكشافه وبحثه فى المحاجر. وبعد أن قام بالتضرع والابتهال إلى تجسيد الإله المعبود فى هليوبوليس (حورآختى)؛ وأيضا للرحم الإلهى (حتحور)، توجه إلى الصحراء على مقربة من "الجبل الأحمر":

"هنا، عثر جلالته على كتلة حجرية ضخمة، لم يكتشف لها مثيلا أبدا من قبل، منذ عهد "رع": كانت أعظم ارتفاعا من مسلة صنعت من الجرانيت! إذن، فسوف يسمح ذلك بنحت تمثال عملاق جديد: حدد الملك اسمه: "رمسيس المفضل لدى آمون، الإله". وبخصوصه، أعلن الملك أنه قد عهد بتنفيذه وإبداعه إلى: حرفيين مهرة بارعين، ماهرين فى عملهم اليدوى". ولاريب أن التفاصيل التى ذكرت بخصوص مهلة تنفيذ ذاك العمل، تفوق الوصف والخيال .. خاصة فيما يتعلق بالجهد والعناء الذى يبذله عادة الفنانون والحرفيون!!.. فمن أجل إنجاز هذا العمل البالغ الصعوبة، تطلب الأمر أن يكرس له عام واحد فقط: حيث أكمل تماما فى العام التاسع من الحكم، بثالث أشهر فصل الشتاء، فى اليوم الثامن عشر!..

.. إنه تمثال هائل الضخامة، جميل السمات: عليه أن يدعم ويساند الحماية الإلهية المنبثقة من الفرعون على كافة أنحاء مصر: فى وقت انطلاق رمسيس إلى تقوية وتحصين حدودها. وفى ذات الحين، يتيقن تماما من حياد مدينة "عمورو"، وفيما ورائها: خاصة أنها تعد بمثابة "صمام أمان" يعمل على حماية مصر من أطماع الحيثيين. ولاريب أن "أوسر ماعت رع" لم يكتف بـ"مولد" هذا التمثال العملاق الجديد. وأخذ ينقب ويبحث بنفسه مرة أخرى، فى كافة الأنحاء، بين عروق حجر الكوارتز. وهنا، عثر على ذاك "النوع الشبيه بالـ Bois-Mery أحمر اللون، لكى تصنع منه تماثيل لمعبد بتاح فى منف. وأطلق عليها أسماء استلهمت من الاسم الأعظم الخاص

بجلالته: "رمسيس المحبب لدى آمون، ابن بتاح". وتماثيل أخرى خصصت لمعبد "آمون - رمسيس - المفضل لدى آمون"؛ ومعبد "بتاح - رمسيس الذى يحبه آمون بر - رمسيس - العظيمة - بانتصارها".

ورغبة منه فى تقديم المعلومات: ها هو يسجل قائلا: "لقد ملأت معبد رع بالكثير من تماثيل أبى الهول، وأشكال أخرى ممثلة للفرعون راكعا ومقدما إناء (شعائرى)؛ وللملك وقد أمسك بمائدة قرابين".. وقطعا، كافة هذه التفاصيل صحيحة تماما .. فهى مكرسة للجوهر الإلهى، الذى لا يمكن الكذب عليه أبدا!!

عند مغادرته الدلتا، لم ينس "أوسر ماعت رع" جنوب هذه المنطقة المحببة جدا إلى قلبه، فتوجه إلى جزيرة "إلفنتين". وهناك بأعالى النهر، كان قد أقيم السد الأخير المعارض لتدفق مياه النيل، قبل دخوله إلى مصر؛ من الكتل الجرانيتية الهائلة. أخذ الفرعون يتفقد مختلف المحاجر القائمة بهذه الأراضى. وفور وصوله إليها، أضفى على كل منها اسماً خاصا، كمثل: "محجر - رمسيس الذى - يحبه آمون - المحبوب - مثل - بتاح"؛ "محجر أوسر ماعت رع ستب إن رع - ملك - القطرين"؛ "محجر رعمسو(٢٥) - المفضل لدى - آمون - المحبوب مثل -رع".. بل لقد بين الفرعون بكل وضوح: أن العرق الحجرى الضخم المكون من الجرانيت الأسود اللون، الذى اكتشف فى نفس ذاك الموقع، سوف يخصص لنحت "تماثيل عملاقة جالسة"؛ بحيث يكون البسشنت (التاج المزدوج) المتوج لرأس كل منها، من حجر الكوارتز (المرو).

وإجمالا لهذا السرد، الذى يتراءى فى ثناياه اهتمام رمسيس الفائق بتقمص دوره ككفيل لهذا البلد، حريص على تحقيق رخائه ورفاهيته؛ سوف نلاحظ أنه قد أرفقه ببيان مفصل، يعبر من خلاله عن رضائه وسروره إزاء عمل أنجز فى أفضل الظروف. بل وأعلن أيضا، أنه قد عزم على تقديم مكافآت قيمة .. إحقاقا لحسن الأداء: وربما قد يبدو ذلك من الأمور الدارجة المعتادة؛ بل لا لزوم له، وزائد عن الحد من وجهة نظرنا الحالية. ولكن، علينا ألا ننسى أن النص الذى اقتطفت منه هذه المعلومات يرجع إلى ١٢٧٢-١٢٧١ قبل الميلاد. إذن، فها هى حوالى ثلاثة آلاف سنة

وأكثر تبعدنا عنه!!.. فعلينا، بالتالي، أن نقر بما صرح به "أوسر ماعت رع " قائلا: "ولذا، فمن أجلكم، تفيض الصوامع بالقمح؛ حتى لا تقضوا يوما واحدا بدون غذاء .. ولكم، ملأت المحال بكافة أنواع المتطلبات: خبز، ولحوم، وفطائر وحلوى، ومعدات، ونعال، وملابس، وكميات ضخمة من الدهانات العطرة، حتى تضمخوا بها رءوسكم فى أوقات الراحة[٣٦]. وقد عينت فى خدمتكم من يستطيعون حمايتكم من المجاعة والقحط: صيادون لجلب خيرات النيل؛ وغيرهم الكثيرون: بستانيون من أجل الخضراوات، فخرانيون يعملون على مخارطهم، يصنعون الجرار لترطيب مياهكم فى أوقات الحر القائظ .. والحرارة الشديدة[٣٧]".

إذن، والحال هكذا، فقد أعد برنامج العاملين إعدادا ماهرا، لتنفيذه والعمل به، حتى فى أوقات احتمال غياب الفرعون عن مصر. ولاشك أن الحماس والتوقد فى العمل يعود على الجميع بالنفع. أما ضخامة المكافآت وغزارتها، فإنها كانت تضفى الرخاء ورغد العيش على الكثير من العمال.

## إعادة غزو سوريا

ها هى الحملة القريبة التى شنها الفرعون على جنوب فلسطين قد أينعت ثمارها. فقد أيقن، من قبل زعماء كل من الجليل وكنعان، أن رمسيس سوف يعاود القتال فى إصرار حاسم: وهكذا، لم يجابه "أوسر ماعت رع"، عند وصوله سوى مقاومة محدودة .. ففى أواخر السنة الثامنة من حكمه، وخلال العام التاسع، فى حوالى عام ١٢٧١ قبل الميلاد، استطاع الملك، بكل سهولة ويسر التقدم على مدى امتداد الساحل، حتى موقع مدينة سمرا؛ مارا بالموانئ المحتلة ثانيا، كمثل: عكا، وطرابلس، وصيدا، وبيروت، وجبيل، وإرقاتا. وعلى ما يعتقد، أن الحيثيين، لم يعترضوا على عودة المصريين إلى هذه المحطات الواقعة غرب فينيقيا .

بشمال غزة، استعاد رمسيس ثانيا، "عسقلان" (من بعده، غزاها رمسيس الثالث غزوا كاملا)، وعدة مدن كنعانية أخرى؛ منها: بيت حانون ومرم وشرم: وجميعها، كانت من قبل، قد تمردت وثارت ضد نفوذ وسيادة "أوسر ماعت رع". بعدئذ، تقدم رمسيس نحو شمال "عمورو"؛ وابتعد عن "قادش"، هذه المدينة التى تسبب له، عند تذكرها ضيقا وغما سديدا!!.. وحقيقة، أنه أمام أبوابها قد حقق إحدى معجزاته المعتادة .. ومع ذلك، فلم يستطع الاستيلاء عليها!!.. بل كان يؤلمه أيضا، جهله بالمصير التى آلت إليه لوحة النصر التذكارية التى كان أبوه "سيتى الأول" قد أقامها بتلك المدينة .. احتفالا وتمجيدا لنصره. ولذلك، عزم "أوسر ماعت رع" على انتهاج مفاخر أبيه الرائدة: أى: أن يترك بصماته الشخصية فى أقصى الشمال، فيما وراء "نهر الفرات"، تلك المنطقة التى احتلها الحيثيون .. والتى لم تخترقها الجيوش المصرية منذ مائة وعشرين عامًا!!

## الاستيلاء الأول على دابور

ضمن الانتصارات – الوقتية غالبا – التى أحرزها الفرعون المتوقد حمية وحماسا، بأواخر العام الثامن من الحكم، يعد اكتساحه لمدينة "دابور"، بجنوب حلب بأراضى "تونيب[٣٨]"، الأكثر تألقا وروعة (ومع ذلك: مؤقت)؛ بالإضافة إلى استيلائه على عدة قلاع حصينة لمدن كثيرة قابلها فى طريقه. مثلت ثمانى عشرة من تلك المدن المنهزمة فوق جدران الواجهة الغربية للصرح الأول بـ"الرمسيوم"؛ ومازالت أربع عشرة منها واضحة للعيان حتى الآن[٣٩].

بين البلاد الحصينة، التى كانت تستجيب لدعاية الحيثيين، وأعلنت تمردها وعصيانها، اعتبرت "دابور"، من وجهة نظر رمسيس، الأكثر أهمية: فإنها، فى حد ذاتها، تعبر عن نجاح إعادة الغزو. بالإضافة إلى أن "دابور[٤٠]" هذه، الواقعة شمال – غرب قادش، تعد بمثابة الحصن المنيع بالمنطقة التى يمكنه اختراقها، الواقعة

شمالا؛ لكى يهاجم الحيثيين. وبالفعل، تمكن من الوصول إليها .. ويلاحظ أن الفرعون، لمرتين متتاليتين، قد صور استيلاءه على هذه المدينة فى مشهد يفيض جلالا وفخرا: بمعبد الأقصر، فوق الجدار الغربى[٤١] للفناء الأول؛ وبوجه خاص أيضا، وهذا أمر مستحدث، بقاعة الأساطين فى معبده اليوبيلى، "الرمسيوم". وهكذا، فى أجواء هذا المكان الجليل المهيب، المخصص أساسا للشعائر الدينية، يطالعنا، استثنائيا هذا المشهد القتالى العسكرى، وقد أفعم بحركة خاطفة السرعة جهنمية الشدة: أضفى الملك، من خلالها، الحيوية والحياة الدافقة على مختلف مراحل الهجوم .. وحتى لحظة استسلام زعماء المدينة[٤٢].

فوق الجدار الجنوبى الغربى بقاعة الأساطين، يتألق هذا المشهد: يسارا، بقامة عملاقة هائلة، يقود الملك جواديه وفى الحين ذاته، يطلق سهامه على تكدس من الأعداء القتلى، بعد سقوطهم من فوق مركباتهم الحربية، عند محاولتهم الهروب نحو القلعة المحصنة: التى مثلت فوق الجانب الأيمن بأكمله، فى هذا المشهد. وفى خضم المعركة، نلمح أحد الفارين ممتطيا جواده بعد أن تمكن من إنقاذه من بين أنقاض عربته المحطمة. وأيضا، على مقربة من المركبة الملكية، ترى عربة تابعة للأعداء، وقد سقط على متنها صرعى اثنان من المعادين. إن خصوم رمسيس هؤلاء، بأثوابهم الطويلة المستقيمة الطراز، ولحاهم القصيرة، وخصلات شعرهم الكثيفة المسترسلة فوق ظهورهم ينتمون جميعا إلى الجنس الحيثى. يبدو واضحا إذن، أن "أوسر ماعت رع"، أراد أن يبين أنه جابه الحيثيين. ونجد أن المشهد برمته لا يفتقد أبدا لروح الفكاهة والسخرية، كمثل الكثير من المناظر الممثلة لمعركة قادش: حيث تعمل إيماءة تهكم على كسر جدار مأساوية الصراع الأساسى. وهكذا، ففى صراع الأعداء، نلمح اثنين منهم على ظهر مركبة تندفع فى اتجاه القلعة، يجرها، فى سرعة خاطفة جيادها المندفعة بقوة.. ويرى الراكبان وهما يلتفتان فى اتجاه "رمسيس" الذى يلاحقهما .. مصرا على اتخاذهما هدفا .. يالها من سخرية لاذعة!.. فها هو أحد سهام الفرعون قد أصاب أحدهما فى مؤخرته!!

خصص يمين المشهد لتصوير حصن الأعداء. إنه يختلف تماما عن طراز الحصون المصرية أو حتى "العمورية" (أو تلك الخاصة بقادش). ترى هذه القلعة المنيعة وقد هاجمها الجنود المصريون والشرادنة. وعند القاعدة، تشاهد، أربعة سواتر، فى هيئة درقة السلحفاة، مستندة فوق أوتاد. لقد أقيمت خصيصا من أجل حماية أربعة من صغار أبناء الفرعون؛ الذين، على ما يعتقد، كانوا يرغبون فى المشاركة بالهجوم. إنهم: مرى آمون، وآمون إم ويا، وسيتى، وستب إن رع. وهناك أميران آخران، لم يتم تسجيل اسميهما، يقومان، وقد أمسكا بدرعيهما، بتسلق سلم نقالى ضخم، لكى يصلا إلى الدور الثانى بالحصن. وعن المستويات العليا، فيشغلها آخر المدافعين: وهم يطلقون سهامهم، ويقذفون الحجارة. ويتبين هنا أن بعضهم قد لحقتهم إصابة، فسقطوا رأسا على عقب من فوق متراس الحصن. وفى الحين ذاته، نرى ثلاثة من المحاصرين وقد التفتوا نحو أرض المعركة: إنهم من الحيثيين؛ ويقوم أحدهم بإحراق بعض البخور، طلبا للعفو والرحمة .. إلماحا إلى تأهب الحصن للاستسلام!!

نشاهد الآن آخر وقائع المعركة: إنه مشهد الاستسلام: يتأهب كل من "آمون حر خبش إف" و"خع إن واست"، وهما اثنان من أبناء "أوسر ماعت رع" الكبار لذبح الزعماء الأعداء. وفى الوقت ذاته، يتقدم رجل مسن جليل الشأن، وقد صاحبه حاملو القرابين، وبعض المواشى المقرنة: إنه يبتهل ويتوسل، فى اعتداد ووقار إلى الأميرين طلبا للعفو. وفى أعلى قمة المدينة المحصنة هذه، يبدو علمها وقد اخترقته السهام: معبرا بذلك عن محاصرتها تماما، (ولكن علم "قادش" الذى لم يتمكن رمسيس من اقتحامها، مازال يرفرف بكل حرية فوق قلاعها الحصينة).

لقد أبدعت تلك النقوش الغائرة بلمسات وإحساس فائق الثقة بالتكوينات؛ بأيدى أكثر الفنانين مهارة ونبوغا .. الذين تمكنوا، وبرعوا فى مزج حرية التعبير المتناهية مع الرشاقة والأناقة الفنية المثلى. ولا يستبعد أبدا، أن رمسيس شخصيا، قد أصدر تعليماته المحددة تماما، وعمل على مراقبة وتتبع إنجاز هذا العمل الفنى الباهر؛ فور عودته إلى مصر.

عموما، قبل أن يغادر الفرعون المواقع التى وقعت تحت قبضته بشمال "قادش"؛ والتى انتزعها من الزعماء المتحالفين، نصب بها تمثال له: كان قد حرص على إحضاره ضمن العتاد والأدوات التى يقوم بنقلها عادة المسئولون الإداريون.

وتجدر الملاحظة: أن خمسة من الأمراء الستة الذين سجلت أسماؤهم بالمشهد المصور للمعركة، هم أبناء "إيزيس نفرت" أما السادس، "سيتى"، فقد أنجبته نفرتارى(٤٣). وهناك اثنان آخران مجهولا الاسم.

## مكافأة المحاربين

فى خضم المعارك التى وقعت إبان العام الثامن، فى الجليل وعمورو، شعر الجنود المصريون والمرتزقة المنتمون إلى أصول أجنبية، كمثل الشرادنة، إنهم على مستوى كافة الصعاب والمحن الجسيمة. ولاريب أن عبارات التأنيب والتوبيخ القاسية التى كان رمسيس قد وجهها، فى الماضى بعد معركة "قادش" .. لم تعد مناسبة أبدا الآن! فحاليا، يبدو أمامه جيش فائق التنظيم، ومكلل بالنصر. وعليه الآن، مثلما أقر فى أرض مصر، بنبوغ وتفوق فنانيه وصناعه الحرفيين، أن يكافئ ويجزل العطاء أيضا لضباطه وجنوده. لقد أزمع "أوسر ماعت رع" أن يوزع عليهم مساحات من الأراضى. ولكنه، قرر أيضا، عند عودته إلى مصر فى العام التاسع، تكريمهم علنا أمام أفراد الشعب جميعا. وبهذه المناسبة تم نقش الكثير من اللوحات .. حيث يمثل الفرعون واقفا فوق ركبتى أحد تماثيله العملاقة: غالبا، ذاك المسمى بـ"رع إن حكاو" (شمس الأمراء(٤٤)). وبدا وهو يوزع الكئوس الثمينة النادرة، والعقود الذهبية على أفراد جيشه الأبطال البواسل .. فى حين عمت الجميع مظاهر الفرح والبهجة!

### هجوم – المدافعين المتحالفين

خلال تلك المعركة الأخيرة التى خاضها رمسيس بشمال سوريا، تبين أن زعيم الحيثيين "مواتالى"، الذى كان على وشك الانتقال إلى "العالم الآخر"، لم يزمع، أو يتمكن من جمع ائتلاف جديد حوله. ولكن، من المؤكد تماما، أنه قد أرسل دعما وعونا لحلفائه فى شمال "عمورو" و"نهارينا"؛ وخاصة، إلى أمراء حلب وقرقميش: ولكن، لم يجد ذلك فى حماية القلعة من هجمات جيش الفرعون. ومع ذلك، حالما رحل هذا الأخير، وعاد إلى مصر، لم تتمكن الحامية المصرية الضئيلة التى تركها، بذاك الموقع، من مجابهة هجوم الحلفاء المجاورين لـ"خاتى".. وهكذا، استعاد الأعداء حصنهم!.. أما فيما يتعلق بتمثال رمسيس الذى ذكرناه آنفا، فقد "اعتقله" خصومه.. ماداموا لم يتمكنوا أبدا من أسر هذا الملك شخصيا!!

### إعادة غزو دابور

الآن، استدعى الأمر، انطلاق رمسيس، مرة أخرى، على رأس جيشه، لتأكيد سطوة مصر وسيادتها، بتلك المنطقة الإستراتيجية فى الشرق الأدنى. هاهو قد ناهز الخامسة والثلاثين من عمره؛ وسوف يحاول ثانيا معاودة الاستيلاء على الحصن المنيع. خاصة، أنه كان يعتقد أن وفاة "مواتالى"، منذ وقت وجيز، قد تعمل على اضمحلال همة وحماس الأمراء السوريين .. وبذا، ففى الفترة الواقعة ما بين ١٢٧٠-١٢٦٩ قبل الميلاد، مر ثانيا بمحاذاة "نهر الكلب"، حيث نصب لوحة ثالثة. وكان الملك يتأجج ثورة وغضبا، وهو يقود هذا الهجوم الخاطف الجامح. وحالما وصل إلى أرض المعركة، هبط من مركبته؛ منتصبا شامخا على قدميه فى مواجهة الحصن، تماما كما مثل بالنقوش البارزة فى معبد الأقصر .. بسهامه الماضية الفتاكة!!

خلال الساعتين الأوليين، ولإصراره الطاغى على الانتصار، نسى الفرعون ارتداء زرديته الواقية: فهذا فعلا ما ذكره الملحق بالمشهد. وللمرة الثانية، حظى بتلك الهبة المعجزة الأسطورية: عدم إمكان إصابته أبدا!!.. بل ربما أنه لم تنله مطلقا أية جراح!.. وتمكن، للمرة الثانية، من اقتحام "دابور". ولكننا لا نعرف تماما عما إذا كان المدافعون الحذرون الفطنون قد احتفظوا بتمثال الفرعون .. ليتمكنوا الآن، من إقامته في نفس مكانه السابق، معبرين عن خضوعهم .. لينالوا رضاء ومغفرة هذا الملك المنتصر!

ولكننا نعلم تماما، أنه حالما رحل الفرعون، سرعان ما وقعت المدن السورية مرة أخرى تحت سطوة ونفوذ جارهم القريب جدا. وأصبح ملك "قرقميش"، نائب ملك الحيثيين فى سوريا وقتئذ بمثابة الخصم الفعلى أمام رمسيس الثانى.

## وفاة مواتالى

ربما يحق لنا الاعتقاد، بأن "أوسر ماعت رع"، خلال تلك الحقبة، قد ندم لأنه لم يولى آذانا صاغية للاقتراحات التى قدمها له "مواتالى" لعقد معاهدة سلام فى إثر موقعة قادش. والآن، لم يكن الوقت مناسبا لتنفيذ ذلك المشروع: خاصة أن "شمس خاتى" المتألقة (مواتالى) قد توارت من الحياة الدنيا!!.. وها هو خليفته، الذى كان قد أنجبه من إحدى محظياته، قد ارتقى العرش .. على ما يبدو، بدون وجه حق. وهذا الأمير يدعى: أورحى تيشوب توج تحت اسم "مورسيل الثالث". كان محدود الذكاء والهمة؛ كما يرتاب فى نوايا عمه "هاتوسيل"، القوى الشخصية: فعمل على إبعاده إلى شمال المملكة. واستهل "مورسيل الثالث" حكمه فى أجواء تشوبها المؤامرات، والعمليات الخسيسة. ولم تتعد إنجازاته الشخصية حدود مملكته.

وفى الحين ذاته، وأمام المقاومة السورية العنيفة؛ وابتعادها الفائق عن الأراضى المصرية، لم تستطع غزوات رمسيس المسلحة الباسلة، أن تحرر مواقعا مستقرة فى

تلك المنطقة. والجدير بالذكر، أن جده العظيم تحتمس الثالث، قد تمكن، فى الماضى، من خلال سبعة عشرة معركة حربية، بتلك المنطقة، من بسط سيادته وسطوته اللازمة لأمن وأمان مصر. عموما، يلاحظ، أن "خاتى"، إبان تلك الفترة الماضية، لم تكن تهدف إلى نفس المرامى الإقليمية الحالية.

كان "أوسر ماعت رع" يعتقد وقتئذ، أن الدبلوماسية، أكثر من أى وقت مضى، سوف تكفل له ولوطنه أمنا وأمانا يفوق ما قد تقدمه حملاته المقدامة الشجاعة: لاشك أنها تستوعب أعدادا هائلة من الرجال .. وذلك، على حساب سعادة وازدهار أفراد شعبه. ورأى الملك أن الحكمة تستدعى تدعيم أسس المواقع التى أصبحت بالفعل تحت سطوته؛ وكذلك، أن ينتهز فرصة الانشقاقات والاختلافات لدى الحيثيين .. فقد يوفر له ذلك حالة من "الوضع الراهن" Statu-quo، فيما وراء المنطقة التى لا يمكنه السيطرة عليها سيطرة دائمة ثابتة.

على مدى السنوات الست التالية، حلت فعالية وأوجه نشاط الحكام المصريين

## الفصل الثانى عشر

# طريق ممتد .. نحو السلام

### رخـاء مصـر

نحن الآن فى العام العاشر من الحكم. وقد بلغ رمسيس الخامسة والثلاثين من عمره. وكان قد رجع لتوه من حملة جديدة على سوريا؛ ولم يداعب خياله أبدا الأمل فى إعادة غزو "عمورو" غزوا سلميا، لقد التفت الفرعون، فعلا، إلى قرار أكثر دبلوماسية: حتى يتلافى، عاجلا، أو آجلا وقوع أحداث قد تهدد حدود بلده..

كان رمسيس على علم تام بالعراقيل والصعوبات التى نجمت عن تولى أورحى تيشوب حكم الحيثيين، وقد اعتلى العرش تحت اسم "مورسيل الثالث". بل اعتمد الفرعون أيضا على الصراع الدائر ما بين ابن الأخ وعمه "هاتوسيل"، الجدير فعلا بتولى حكم خاتى. وتيقن رمسيس، استتباعا لكل ذلك، أن ممتلكاته فى الشرق الأدنى سوف يسودها استرخاء نسبى. ولاشك أنه سينتهز هذه الفرصة المواتية، خاصة أن مراقبيه ومحلليه البارعين فى الخارج، وأولهم "آمون إم إنت"، كانوا يمدونه بالمعلومات المتعلقة بالأهداف التوسعية التى تضمرها آشور تجاه البلاد التابعة لـ"خاتى".. خاصة نهارينا.

فى هذا الحين، كانت الضرائب تصل، بشكل منتظم إلى الجباة المختصين، سواء فى مصر أو بمكاتب حكام "آسيا"، و"نائب الملك فى النوبة". ونعم القطران بمظاهر الرغد والازدهار. وساد الاستقرار والهدوء فى جزئى "الأرض السوداء": "كمت" .. التى كان الآسيويون، منذ ذاك الوقت، يطلقون عليها اسم: مصر!

فى العـام الثـانى عـشـر من الحكم، بالكرنك كـان "نب ونن إف" الكاهن الأكـبـر لآمون ( وكـان لقبـه الحقـيقى النبى الأول لآمـون ) قد وصـل إلى نهاية مـدة خدمـتـه. ووقتئذ، شارف على السابعة والثلاثين من عمره؛ وأشرف بنفسه على مناسبة اختيار الشـخص الجـديد المرشح لتلك الوظيـفة: إنه "ونن نفـر"، والد "آمـون إم إنت" المخلص الوفى. وفى أثناء عودته من هـذه المراسم بطيـبـة، لم يغـفل الفرعـون عن زيارة سـاحـة تشييد وبناء المعابد: وكان يعمل، تدريجيا على إثراء أنحـاء مصـر بها. وربما أنه كان يميل، بوجه خاص، إلى ذلك المعبد القائم فى "أخميم". فإن هذه المدينة هى منبت أصل عـائلة الملكة المعظمة "تى"، زوجـة أمنحـتب الثـالث. وقد علم مـدى تأثيـرها البـالغ على ابنها أمنحتب الرابع (أخناتون).

حول المعبد الرئيسى لهذه المدينة، كان الكهنة – العلماء، وثيقو الصلة بكهنوت هرموبوليس ("خـمنو"، مدينة الثامـون)، يكونون دائما بوتقة للدراسات الفلكية: حيث تلقى "عـانن"، شـقـيق "تى" علومـه ودراسـاتـه. ولذلك، نجد أن رمـسـيس قد أصـر على الاطلاع على أعـمـال هؤلاء البـاحـثين الدءوبين، عند بداية تأسيس مـعـابده؛ وبصـفـة خاصة تلك التى أقامها فى أبو سمبل والرمسيوم.

قرر "أوسـر مـاعت رع" إقـامـة مـعـبد آخـر بتلك المدينة. ولذلك، يقوم، شـخـصـيـا، بزيارة وتفقد محـاجر جديدة، عند بناء الصروح؛ لتزيينها بتماثيل عمـلاقة تصوره وقد أحـاطت به بناته الكبريات، وبوجه خـاص: "مريت آمون". التى كانت قد مثلت من قبل، وهى صبية يافعة، فوق واجهة المعبد الكهف محـا. ولكنها الآن، بلغت السن الطقسى الذى يؤهلها لتكون زوجة ملكية معظمة، حالما يتم بناء المعبد الجديد[٢].

بعـد مـضـى ثلاث سنوات، ها نحن فى العـام الخـامس عـشـر من الحكم. عندئذ، عمل رمسيس، مرة أخرى على إثبات وجوده بالجنوب. وهكذا، استقل سـفـينته نحـو "أبيـدوس"، حـيث كـرس له "كـاهن أوزيريس الأعظم"، ويدعى أيضـا "ونن نفر"، تمـثـالا ذهبيا: تماما، مثلما فعل رمسيس من قبل، لأبيه.

## ثورة فى إيرم

قبل رجوع الفرعون إلى بر - رمسيس، لحق به مراسل "نائب الملك فى النوبة"، وهو "إيونى" ليعلمه بخبر القلاقل والاضطرابات التى تفجرت فى "إيرم" النائية؛ بمنطقة "الشلال الثالث". حيث بدا واضحا أن الوجود الفعال الملطف لـ"نائب الملك"، لم يجد نفعا منذ بداية الحكم. وكالمعتاد، بدا رد فعل "أوسر ماعت رع" فوريا. فسرعان ما أرسل قوات مسلحة كانت معسكرة فى "طيبة"؛ حيث انتقاها ضمن "كتيبة آمون". وعلى رأس فرقه العسكرية هذه، فوض، بجانب "نائب الملك"، أربعة من أبنائه الذين كانوا يقومون بدورات عسكرية تدريبية فى "منف": ومنهم، "ست حم ويا"[٣] و"خع إم واست".

ولكى يعتبر ذلك مثالا أمام بلاد "كوش"، أصدر الفرعون أوامره بأن يمثل فوق الباب الضخم بالمقر الجديد لـ"نائب الملك"، فى غرب عمارا بيان الحملة القمعية، كالتالى: أسر ما لا يقل عن سبعة آلاف متمرد فى وقت خاطف!!.. كما تعددت تهانى ومباركة الفرعون لـ"نائبه". بل لقد كلفه، بالقيام، بصفة منتظمة، بتفقد أنحاء إقليم "الجنوب الأعظم" .. حيث انعدم بعد ذلك وجود أية إشكالات أو قلاقل.

## اختيار أبناء الملك لخوض الحرب

لم يسهم الابن الأكبر لرمسيس، "آمون حر خبش إف"، سواء فى حصار "دابور" ومعاركها، ولا فى حملة قمع "إيرم": ولكن ذلك لا يبين أبدا أن هذا الأمير قد اختفى وتوارى من مسرح الأحداث، فى إثر الصدام العسكرى الفلسطينى الضخم الذى وقع ما بين العام السابع والثامن (١٢٧٢-١٢٧١ ق.م). بل بالعكس: فإن غيابه هذا، ربما كان يدعم عزم "أوسر ماعت رع"، واتجاهه إلى وضع أبنائه من "إيزيس نفرت" تحت الأضواء، فى مناسبة الاستيلاء على "دابور" .. خاصة أن أولاده الذين أنجبهم من "نفرتارى"، قد وجدوا فرصتهم من قبل، لبلورة نبوغهم وبطولتهم المبكرة فى معركة

"قادش": حيث قام ابنه "آمون حر خبش إف" بتحذير المعسكر فى لحظة هجوم الأعداء. وكذلك نرى "با رع حر ونم إف" (ثالث أبنائه من نفرتارى)، وقد بعث مع الوزير الأعلى، إلى كتيبة بتاح؛ لاستعجال قدوم الدعم العسكرى. ولذلك، فقد أنعم على هذا الأمير الأخير بلقب: "الباسل رقم (١) بالجيش"، كما تبوأ وظيفة "القائد الأول لمركبة الملك الحربية"؛ وكذلك الأمر بالنسبة لخامس أبناء الفرعون، "مونتو حر خبش إف".

فيما يتعلق بحملة قمع الاضطرابات فى "إيرم"، التى لم تتسم بالخطورة الفائقة، وبالتالى، لم يستدع الأمر وجود "أوسر ماعت رع": فقد أشرك فيها، مشاركة عادلة، كل من ابنيه: "ست حم أويا"، ثامن أبنائه، وقد أنجبه من نفرتارى؛ ثم ولده "مرنبتاح"، ويحمل الرقم الثالث عشر؛ من "إيزيس نفرت". والغريب فى الأمر أن هذا الأخير، لم يسجل بقائمة الأبناء فى "أبو سمبل"، المنقوشة بالقاعة الأولى.

أما فيما يتعلق بأكثر أبناء رمسيس تثقفا، أى "خع إم واست"؛ الذى أنجبته له إيزيس نفرت، فإنه، منذ وقت مبكر، كان شاهد عيان للمعارك التى شنها الفرعون فى النوبة. كما مثل بالنقوش البارزة فى نصب ومنشآت "بيت الوالى". وكذلك لعب دورا فعالا من خلال حملة استرجاع "دابور". ومع ذلك، فسرعان ما سلك هذا الأمير سبيل التعبد فى الإله "بتاح" بمنف. وحالما بلغ العشرين من عمره، تقلد منصب "الكاهن - سم"، ثم، بعد وقت وجيز، كرم من جانب "الكاهن الأعظم" (رئيس الحرفيين). وبالتالى، ففى العام التاسع عشر من عهد والده، أسهم، بجوار الوزير "باسر"، والابن الأكبر لإيزيس نفرت، أى القائد "رمسيس"، أخوه غير الشقيق وثانى أبناء الفرعون .. فى مراسم الدفن الضخمة المهيبة لأول ثور "أبيس" الذى دفن خلال عهد الفرعون.

## دبلوماسية رمسيس - ونزاعات بالشرق الأدنى

كانت أجهزة التخابر التابعة لـ"أوسر ماعت رع" تتابع باهتمام بالغ، الصراع الخفى المستتر بداية، ثم جهرا وصراحة، بين "مورسيل الثالث" وعمه "هاتوسيل". ويتبين أن الوقيعة النهائية بين هذين الرجلين، قد وقعت عند استقرار ابن الأخ

بالعاصمة "هاتوشا"؛ ومحاولته حرمان "هاتوسيل" من آخر الدويلات الضئيلة التى كان مايزال يسيطر عليها: ما عدا وسط مدينة "هابكيس"، الذى كان يفرض سطوته عليها تماما. وهنا، لم يستطع "هاتوسيل" احتمال مثل هذه المجابهة. وقرر، عندئذ، وضع حد للموقف العدوانى من إبن أخيه .. فهكذا أوحت إليه الربة "عشتار" فى ساموحا و"إله الزمن" المعبود فى ناريك ..

ها هو إذن هاتوسيل وقد أحاط به مؤيدوه، يجابه هجمات "مورسيل الثالث"؛ ويتمكن من أسره فى قلب مدينة ساموحا نفسها. بعد ذلك، عبر له عن عفوه وتسامحه؛ فقام بنفيه فقط إلى منطقة نوخاشسا جنوب حلب بشمال سوريا. ولم يلجأ إلى الحكم بإعدامه. لاشك أن رمسيس، كان يتابع، شخصيا، وبكل سرور وغبطة، تلك المكائد التى كان يحيكها "مورسيل"، العدو اللدود لعمه هاتوسيل: وقد وصل صداها حتى بلاط "بابل"!!.. ولذلك، اضطر "هاتوسيل" إلى نقل ابن أخيه الغادر الخائن إلى تخوم "أوجاريت" (رأس شمرا)، المتطرفة غربا، على ساحل البحر الأبيض المتوسط .. وقد بين بذلك، عن كرم وشهامة غير واعية أو متبصرة!!..

فى ذاك الحين، أبرم "أوسر ماعت رع" معاهدة تحالف مع ملك "بابل" المدعو "قاداشمان تورجو". ثم حاول التقرب من سلمناصر الأول، زعيم الأشوريين. وفى العام الثامن عشر من عهده؛ انتهز رمسيس فرصة مواتية تماما لمراميه وأهدافه: إنها، على ما يبدو، قد حدثت عرضا ومصادفة .. فها هو الفرعون "يقبل" استقبال "مورسيل الثالث"، الذى "فر" ثانيا من منفاه؛ فى أرض مصر .. ويلتمس من رمسيس أن يقبل التجاءه عنده..

ترى، هل يحق لنا أن يتبادر الشك إلى أذهاننا معتقدين أن "أوسر ماعت رع"، هو الذى دبر وحاك، من أجل حدوث ذلك؟ .. فلاشك أن "هاتوسيل"، كان يخشى عندئذ وقوع نزاع جديد مع ابن أخيه .. الذى يحتمي، هذه المرة، بعدو قوى الشكيمة، شديد البأس .. رمسيس!!. وفى الحين ذاته، كان (العم) واثقا من إخلاص ووفاء ملك "بابل"، له .. وبالفعل، قرر هذا الأخير، قطع علاقاته الدبلوماسية مع مصر. بل ورأى أن الأمر يحتم عقابها: باشتراكه مع الحيثيين فى محاربتها .. ولكن، ها هو "هاتوسيل"

يرفض، فى إباء وشمم، اقتراحه هذا .. إنه حقا إنسان نبيل.. إلى حد ما!!

وهكذا، وجد رمسيس بين يديه ورقة رابحة فائقة الأهمية: فأصر، بالتالى على استغلالها لمجابهة الحيثيين. وقد وجد أن الوقت قد حان للأخذ بثأره؛ حيث كان يتوق لذلك منذ أمد بعيد. وبذلك، استهل تعبئة جيشه: فقد كان يعتمد عليه اعتمادا فائقا من أجل استقطاب الزعماء الموالين والتابعين له فى "بيت - شان" و"مجدو"، و"كنعان". وفى كنعان، انتظر، فى قوة وصمود، أولى الدلائل المبينة عن بدء هجوم التحالف الحيثى الجديد .. ومع ذلك، فلم تتم هذه المهاجمة!!.. وعندئذ، قام الفرعون بالتعبير عن تمركزه الجديد، لبعض الوقت بتلك المناطق: فأقام لوحة تذكارية أخرى فى "بيت - شان"، فى العام الثامن عشر، فى اليوم الأول، من رابع أشهر الربيع - الشتاء .. وكالمعتاد، تضمن هذا النصب عبارات لتمجيد الفرعون وتعظيمه، لا أول لها ولا آخر! ومن خلال، بعض الحسابات الدقيقة التى أجراها "ك. كيتشن"، يتبين أن تاريخها يتطابق مع شهر فبراير ١٢٦١ قبل الميلاد(٤).

## الحيثيون يضطرون للتقهقر

أخذ رمسيس الثانى أهبته واستعداده الكامل لمجابهة رد فعل الحيثيين. وهاهو قد استهل العام الثامن عشر من عهده. وعملت المعلومات والاستخبارات التى كان عملاؤه النشطاء البارعون قد نقلونها إليه، على طمأنته وعدم قلقه. ويتبين وقتئذ، أن بلدان آسيا الصغرى قاطبة، كانت تجتاحها انقلابات وقلاقل هائلة. فنجد بداية، هذا الدور الذى لعبه "شاتورو الثانى"، أمير "ميتانى": لقد بين عن ارتداده وانشقاقه الواضح!.. فبعد أن أقسم على إخلاصه ووفائه لأشور هاهو، يبدأ بخيانة الملك سلمناصر الأول، لكى يجذب زعيم الحيثيين ويشجعه على التحالف مع حليفه الشخصى ملك "قرقميش". هنا، هاجمهم ملك أشور ودمر تماما مدينة "قرقميش" العريقة الهائلة، بالإضافة أيضا إلى تسع قلاع حصينة أخرى. ثم قام كذلك، بسلب

ونهب حوالى مائة وثمانين مستوطنة. لقد تمكن سلمناصر الأول، إجمالا، من أسر ما لا يقل عن أربعة عشر ألف أو خمسة عشر ألف أسير. وفى نهاية الأمر، أخضع تحت هيمنته ووصايته مدينة "نهارينا".. حيث كان أمنحتب الثالث يحصل على أميرات بارعات الجمال للزواج بهن!

لم يخفض "أوسر ماعت رع" سلاحه: فقد وجد أمامه فرصة جديدة متاحة؛ لتحقيق أمن وأمان وطنه. وفى ذاك الحين، كانت حدود أشور تتلاقى مع نظيرتها الخاصة بالحيثيين بشمال نهر الفرات: وكان هؤلاء الأخيرين، قد استولوا أيضا على الأقاليم السورية. وبدا رمسيس على يقين أن هاتوسيل، بالرغم من اتخاذه موقفا دفاعيا، فلم يستطع مهاجمته. ولذلك، كان على الفرعون توجيه اهتمامه إلى مهمة دبلوماسية أخرى: خاصة أن بعض البوادر والدلائل الجديدة قد جعلته يتيقن أن خصمه هذا، يتأهب لمقابلة بعض السفراء الرسميين، ويكلفهم بإبلاغ ملك الحيثيين بنواياه السلمية المرتقبة.

## زوجات معظمات جديدات

الآن، احتفل ملكنا العظيم بعيد ميلاده الرابع والأربعين؛ فى العام التاسع عشر من حكمه؛ أى حوالى ١٢٦٠ قبل الميلاد. وكان يحظى، وقتئذ، بعدد هائل من الزوجات الثانويات المصريات، والآسيويات خاصة: وذلك، من جراء الاتفاقيات والمعاهدات التى أبرمها مع الزعماء الآسيويين التابعين والموالين له. وكذلك، ارتبط الفرعون بزوجات ثانويات ضمن بنات زعماء بلاد "واوات" .. اللاتى يتمتعن جميعا بالخصوبة الفائقة!!.. أما عن محظياته، فكانت أعدادهن تفوق الوصف والخيال؛ ويملأن جنبات قصور حريمه!!. ولاشك أن حريم "مى - أور"، المجاور لبحيرة الفيوم الخلابة المنظر، الذى كان يقع تحت رئاسة الملكة الأم، كان يحتضن فى جنباته المساكن الفخمة الأنيقة الخاصة بـ"الزوجات المعظمات الملكيات"، والأمراء الملكيين الصغار، والأميرات

البكريات، اللاتى أنجبتهن زوجات الملك المعظمات. ولكن، بالإضافة لذلك، كان هناك مقار حريم أخرى بكافة المحافظات: إنها تحظى جميعا بزيارة الفرعون. وعن "حريم منف"، فكان يرأسه شخص يدعى "أمنمس".

وعن زوجتيه الملكيتين المعظمتين نفرتارى، وإيزيس نفرت، فقد أنجبتا له الكثير من الأميرات والأمراء. وبدا بعض أبناء نفرتارى غير موفورى الصحة والعافية، مما يؤكد تهاوى واضمحلال الحالة الصحية لوالدة وريث العرش .. أى "نفرتارى". وحاليا، كان أبناؤه الأول، الذين حرص على تصويرهم فوق جدران واجهة كل من المعبد الكهف "محا" و"إبشك"، وبداخل القاعة - الفناء فى "محا"، قد بلغوا سن الرشد.

إن الابنتين الكبريين، اتباعا للبروتوكول العقائدى المعمول به من قبل "عصر الأهرام": كانتا ستقومان، بجوار الفرعون، بنفس الدور الذى أدته ابنة "رب الأرباب" .. آمون. وبدورهما كان سيخلع عليهما لقب: "الزوجة الملكية المعظمة". ومع ذلك، لا تعمل أى منهما أبدا على إزاحة أمها المبجلة عن العرش. والجدير بالذكر أن الابنة الكبرى لإيزيس نفرت، وتدعى "بنت عنات"، كانت أول من حظت بالتتويج "ملكة معظمة" بجوار الفرعون. وفى نفس ذاك العام، كانت المقصورتان المقدستان: "محا" و"إبشك"، فى بلاد "أواوات"، قد اكتمل بناؤهما.

ويتبين أن "زخارف" المعبد الكهف الضخم، حيث عمل رمسيس على تخليد ذكرى اللحظات الجوهرية فى حياته؛ لم يتبق منه، بدون زخرفة سوى إحدى واجهات العمود الثالث الجنوبى الغربى: وهكذا، احتفالا بمناسبة التتويج هذه: نقشت عليها صورة الأميرة، مقترنة بلقبها السامى الجديد "حمت - نسوت - ورت"، أى: "الزوجة الملكية المعظمة".

وسرعان ما تم أيضا تتويج "مريت آمون"، ابنة "نفرتارى" الكبرى. ومع ذلك، فها هى مشكلة ما: على ما يبدو، أن كافة الجدران والأعمدة بالقاعة الأولى، المخصصة لنقوش "أحداث العائلة المالكة"، قد امتلأت تماما بالصور والأشكال. ولذلك، لجأ "نائب

الملك" الجديد فى النوبة، ويدعى "حقا نخت"، إلى نقش المشهد المزدوج الممثل لتتويج هذه الأميرة "زوجة ملكية معظمة" للفرعون، فوق أحد جوانب جبل "محا". ولأن هذا المكان كان رحب ومتسع تماما، تم أيضا إرفاق صورة "مريت آمون"، الأميرة المختارة هذه، بشكل آخر يمثل أمها الملكة المبجلة: نفرتارى. وبذا، نجد، أن هذه اللوحة، المنحوتة فى صخور الجبل نفسه، قد تضمنت مستويين علويين فوق بعضهما.

ويلاحظ أن المستوى السفلى، وفقا لقواعد تنسيق "الزخارف"، هو الأكثر قربا من عينى المشاهد. إنه يمثل نفرتارى جالسة فوق العرش وتتلقى عبارات التبجيل والإجلال من "نائب الملك". وقد توجت الملكة بتاج سوتيس: ريشتان عاليتان، يتقدمهما قرص الشمس القائم بين قرنين مرتفعتين. لقد تحلت نفرتارى بزينة وحلى الزوجات الملكيات المعظمات، وهن فى قمة خصوبتهن، متأهبات، مثل سوتيس، لولادة تجسيد الشمس.

أما المستوى العلوى، فيبين رمسيس بمرافقة "مريت آمون" مليكته الجديدة، وهو يقدم قرابينه للثالوث الإلهى. وقد زينت هذه الأخيرة رأسها بمجرد ريشتين عاليتين وشكل ممثل للشمس: فهى لم تطرق بعد مرحلة التزين(٧) بالقرنين المرتفعتين الخاصين بسوتيس والمعبرين عن الخصوبة الأنثوية.

## افتتاح محا وإبشك

ها هنا بعض التغيرات تطرأ تدريجيا على العائلة المالكة. فنرى، على مقربة من الزوجتين الملكيتين المعظمتين شكلين يمثلان الفرعون: إنهما يعملان هنا، على تدعيم وتقوية ذكورة هذا المبعوث الإلهى فوق الأرض. ونجد أيضا أن "أوسر ماعت رع" قد راعى تماما، عدم تمثيل كل من نفرتارى وإيزيس نفرت معا.. ولكنه، فى الحين ذاته، كان يحلو له: إقامة تماثيله العملاقة المزدوجة وقد اقترنت، على التوالى، بشكلين لـ"بنت عنات"، وآخرين يصوران "مريت آمون(٨).

ها هن إذن أربع زوجات ملكيات معظمات قد تجمعن حول رمسيس. ولكن

تتصدرهن جميعا الملكة الأم، ثم الأبناء الأمراء، وأميرات أخريات، أنجبتهن كل من نفرتارى وإيزيس نفرت. لاشك أنهم جميعا، فى هذا العام التاسع عشر من الحكم، سوف يحضرون الاحتفالات الخاصة بافتتاح معبدى أبو سمبل الصخريين. أو بالأحرى، ما يمكن أن يسمى: بـ"تسليم البيت لصاحبه": إنها بمثابة طقوس ومراسم ذات طابع خاص للغاية. وربما يرجع ذلك إلى طبيعة هذين المعبدين؛ وكذلك إلى الدور المتميز الاستثنائى الذى يقومان به.

## رسالة المعابد

كل عام، عندما تبزغ ثانيا النجمة سوتيس (نجمة الشعرى اليمانية) وتتألق بضيائها عند الأفق، بعد مغيب مداه سبعين يوما؛ كانت الشمس تشرق بجوارها . فها هنا مولد جديد لقرص الشمس (الذى يتجسد فى هيئة الفرعون)، وكذلك عودة أوزيريس الذى يمتد ويستمر فى صورة ابنه حورس: إنه يتجلى من خلال مياه "حابى" الخصبة .. أى الفيضان. ويتبين أن بقاء واستمرارية هذه الظاهرة الكونية، الدورية السمات، يجب أن يكفلها ويعمل على ضمانها الفرعون: فإن دوره الأساسى يعتمد على تحقيق دوامها الدقيق بواسطة بعض الطقوس والشعائر الخاصة. ولذلك، فإن "أوسر ماعت رع"، عندما قرر حفر الكهفين المقدسين، بشمال الشلال الثانى، على مقربة من فرع النيل المتجه نحو النوبة المصرية، كان يهدف، بذلك، إلى خلق المكان الإلهى الذى تتم فى نطاقه معجزة "العام الجديد". ونجد أن بداية العام (١٨-٢٠ يولية)، تتطابق مع عودة ظهور النجم سوتيس، والتجدد الشمسى، - أى الشروق الشمسى لسوتيس - والتدفق الإلهى لمياه الفيضان.

إذن، فقد أراد "أوسر ماعت رع" تجسيد هذا المشروع الكونى السمات: ولذلك فإن المعبدين - الكهفين، بخلاف رسالتهما التاريخية، كانا يكملان بعضهما بعضا تكاملا تاما، لكى يعبرا عن الظاهرة التى لا يمكن أن يتحقق بدونها وجود مصر

وبقاؤها. ولاريب أن وجودهما، فى نفس ذاك الموقع، يجب أن يومئ خاصة إلى هذا اللقاء، أو بالأحرى هذا المولد الجديد، للقرص الشمسى متجددا فى بداية العام الجديد، من أعماق النجمة، المسماة، منذ حوالى خمسة آلاف عام بـ"نجمة الكلب[٩]".

إن الشمس تتجسد فى كيان رمسيس؛ المهيمن على بوابة المعبد الضخم: ولذلك، يرى فى هيئة عملاق فائق الضخامة رياضى السمات، له وجه الصقر حورس؛ يستند على رمزين هيروغليفيين: "القوى" (الإلهية): "أوسر" و"التوازن": "ماعت". واعتلى رأس الملك البشرى قرص الشمس: "رع". وهكذا تخلق "أوسر ماعت رع" .. أى اسم تتويج رمسيس.

أما عن النجمة "سوتيس"، فقد أرادها أن تتمثل من خلال: نفرتارى[١٠]، أو بالتحديد، تلك التى ولدت وريث العرش "آمون حر خبش إف". ولكى تقوم الملكة بهذا الدور، تقمصت هيئتين إلهيتين ممثلتين للإله الأعظم: إنهما حتحور وإيزيس. ولقد صور هذا التحور، من خلال مشهد يتميز بالتكوين، الفائق البساطة والاعتدال، البالغ الأناقة والفخامة، البديع السحر، والرقة والجمال التى لم ير لها مثيلاً[١١] حتى الآن!!

بداخل المعبد الكهف "إيشك"، مُثل كل شىء: الأفراد، والقرابين، والزهور، وابتهالات الملكة والملك إلى "تاورت" (أى" العظمى) .. حتى يتحقق المولد السعيد للعام الجديد .. بل إن كل ما فيه، يومئ إلى الأنوثة والخصوبة.

## المشـهد

ها هى قد انتهت تلك المراسم السرية الغامضة بداخل "قدس الأقداس". والآن جاء دور تمثيل الشعيرة الختامية تمثيلا صامتا، فى فجر اليوم المحدد لذلك. وقد قام بأدائه شخصان أساسيان فى إطار القصة الكونية، هما: أوسر ماعت رع ونفرتارى، أمام الكهفين الاثنين: وتم ذلك بحضور كهنة النيل وكبار أفراد الحاشية الملكية وقد

أحاطوا بالفرعون ومليكته. وعندئذ، يتجلى الفيضان، في هيئة موجة دافقة عاتية، متخمة تماما بغرين مرتفعات الحبشة. كما صور هذا الطمي، بداخل الكهف الخاص بالملكة: في هيئة شكلين إلهيين نيلين ينبثقان من أعماق حنايا الصخور؛ ويتجهان نحو باب الخروج لهذا المعبد – الكهف: وقد أمسكا بأيديهما بمائدة قرابين زينت بكافة منتجات مصر الزراعية(١٢).

بواجهة معبد "إبشك"، يتألق شامخا تمثال نفرتاري؛ بكل مظاهر العظمة والجلالة الملكية التي أضفاها عليها تاج سوتيس .. وكأنها تبزغ بنورها عند الأفق مثل هذا الكوكب. أما عن رمسيس – رع حورآختي، فهو يقف مهيبا مهيمنا على بوابة ذاك المعبد الكبير .. كما النجم في يوم خلق القبة السماوية.

وبالنسبة لمركب "تحوت"، أو بالتحديد التي ترمز إلى "الزمن"، فهي قائمة بالقاعة المحفورة في صخور الجبل ذاتها خارجها، بجنوب المعبد. والآن، يبدأ نقلها فوق السفينة الملكية التي سوف تقلها إلى مصر: رمزا للفيضان الذي يستحثه ويؤججه "الفرعون" الذي أدمج والتحم تماما بأبويه آمون ورع.: يرى تمثاله جالسا بينهما في أعماق معبده في "محا". وبوصول المركب إلى "طيبة"، سرعان ما تقام الاحتفالات، لحظة تدفق الفيضان. وفي نطاق الرمسيوم، تصور النقوش البارزة فوق الجدار الشرقي بالقاعة ذات السقف المزين بأشكال فلكية: الزوارق الناقلة للتماثيل الإلهية، وقد أخرجت من المعبد واستقرت فوق محفات: يحملها بعض الكهنة. إنها تتوجه للترحيب بالقوة الكامنة المستترة التي ستتجلى ثانيا.

ها هي المراسم قد أختتمت. ويرى عندئذ، رمسيس وهو يتوجه، منفردا، نحو واجهة معبد إبشك. فهو يريد أن يتأمل عن قرب تمثاله العملاق الأخير، القائم جنوبا: إنه، بالفعل يفوق في ارتفاعه التماثيل الخمسة الأخرى المجسدة للفرعون، أما الواجهة. وقد أمر الملك، بأن يتميز هذا التمثال، إلى حد ما، بزيادة ضخامته .. لكي يشد انتباه وعيون الناظرين. وبالفعل، لم يكن طول هذا التمثال الفائق الحجم ليقل، من أخمص قدميه وحتى الطرف(١٣) الأعلى لتاجه الأبيض عن ستة عشر ذراعًا

تمـامـا .. أو بالتحـديد: ارتفـاع منسوب الفيضـان الوافر النموذجي!!.. ها نحن نرى إذن، أن رمسـيس هـو الضـامن الكفيل لانـهمار المد المائى وتدفقـه؛ بل إنه يمـتزج به !!.. وبذلك، فـإن هذا التمـثـال الملكى الذى لا يقل ارتفـاعـه عن سـتـة عشـر ذراعًا، يمثل التـجـسـيد الأول للقـوة السـحرية التى يفـعم بهـا الفـيـضـان المثالى عند بدايتـه المزدهرة المتألقة.

بعد ذلك، توجه أوسـر مـاعت رع نحـو الهيكل الشـمسـى، الواقع شـمال "مـحا"، المتوارى إلى حد ما، خلف صرح صـغير بدون باب. ومع ذلك، فإن الفتحة القائمة فى هيئة نصف دائرة، ما بين البرجين بالداخل، كانت تؤدى؛ إلى هيكل متسع ترتفع على جانبيه مسلتان صغيرتان: يقف أربعة قردة تتعبد إلى الشمس. وبجوار الحائط، ترى مـقصـورة تسـتـوعب بداخلهـا جـعـلا هائل الحـجم يعتليه قـرص الشـمس: مـصـورا لـ"حوراختـى"؛ وشكل القرد المرتبط بـ"تحوت"، جالسا، وقد توج رأسه بالهلال القمرى. لقد أدار كل من هذين الحيوانين ظهره نحو الشرق. فقد تم تحديد اتجاههما بشكل رمزى: فإن القرد الذى يعبر عن القمر، يكون ناحية الشرق؛ حيث الموقع الذى يبزغ منه هذا الكوكب: لكى يحل مكان الشـمس (الجعل) الذى يتوارى ناحيـة الغرب. فـهـا همـا إذن القمـر والشمـس يتواليان وراء بعضهما بعضا: إنهما يكونان حركة مقفلة: أو بالأحرى: الأبدية.

وعند الفجر، فى بداية هذا العام الجديد، قبل رجوعه، سوف يصعد رمسيس عدة درجات تؤدى إلى الهيكل. وهنا، يقوم، وقد استدار بوجهه ناحية الشرق: بالعمل على إظهار الشمس الوليدة التى فيما بين المسلتين المذكورتين: وهكذا، يكون كفيل للدورة الخالدة المرتبطة بالتعاقب الزمنى[١٥].

وأخيـرا، عند عودته أمـام الكهف الكبـير، بالسـاحة التى خلت حـاليا من جـمـيع الحـاضـرين لهذه المراسـم غـيـر المألوفـة، التى تـهـدف أسـاسـا إلى تمثيل المعـجـزة الكونيـة، وقـف رمسـيس متأمـلا تماثيله العمـلاقة هـائلة الضـخـامة الجالسة، بين أهم أفراد عـائلته: الذين مـازالوا على قيد الحيـاة، ومنهم: الأب الروحى لسـلالة لا نـهـائيـة

الجـذور. لقـد سـحـرتـه واسـتـحـوذت عليـه وجـوه تلك التـمـاثيل الفـائقـة المقـاييس. وهو يتذكـر الآن، أنه، عند آخـر زياراته لهذا الموقع، كانت قد خططت لتوها؟، بل وتتـوارى تقـريبـا خلف السـقالات. أمـا الآن، فـهـا هـى تسـمـو فى عليـائهـا، وتشـخص بعيـونـهـا، أسـفـلا، نحـوه! إنها قطعـا تجسـد أروع تجسـيد ألوهيته الكامـنة فى كيانه. وفـجـأة، أمام كل هذه العظمة اللامتناهية، شعر "أوسـر ماعت رع" بدوار شـديد .. وأنه لا حـول له ولا قوة!!

## العودة إلى الواقع الدنيوى

قبل توجـهـه إلى الدلتـا، وعند توقفه فى "طيبـة"، أتيـحت لرمسـيس وأفـراد عـائلتـه الفرصـة للدخـول إلى الفناء الكبـيـر بمعبـد الأقـصـر: حيث كـان مـهندسـوه المـعـماريون يبذلون جهدهم لإتمامه. وها هى بعض تماثيل الملك الضـخمة قد نصبت[١٦] كل منها بين كل من الأعمدة المحيطة بالفناء. ويرى التمثال الملكى واقفا على قدميه، ومتوجا بـ"النمس" الذى يعتليه غالبا البسشنت. ويلاحظ أن هذه الأشكال الفائقة الضخامة، قد جاورتها بالجزء الجنوبى من الفناء الأول، ثلاثة تماثيل أخرى لثلاث زوجات من قريناته الأربع. ولكن "إيزيس نفرت" فقط كانت غائبة. وكذلك الحال بالنسبة لهذه الملكة المعظمة فى بقيـة معابد "طيبـة"، بل وبكافة معـابد النوبة. وعلى عكس ذلك، ترى ابنتـها الكبـرى "بنت عنات"، التى حظت حـديثـا بلقب "الزوجـة الملكيـة المعظمـة"، وقـد مـثلت فـى مكان الصـدارة. وكذلك الأمر بالنسبـة لأحدث الزوجات الملكيات المعظمات، المدعوة، "مـريت آمـون": ابنة نفرتارى: بل إن شكلا آخرا يمثلها قد أقيم بجوار أحد العمالقة الواقعة، أمـام البرج الغـربى للصـرح. وفيـمـا بعـد، سـمح لهؤلاء الزوجات الملكيات المعظمـات بالدخـول إلى قـاعـات المعـبـد السـرية. فـهن على صلة وطيـدة بـ"الكا[١٧]" الخـاصـة بالفرعون: التى كرس من أجلها هذا المعبد.

## اتصالات من أجل السلام

حالما رجع الفرعون إلى بر – رمسيس، أحيط علما بأن بعض المسافرين الحيثيين النبلاء قد وصلوا إلى عاصمته الشمالية؛ واتصلوا بـ"مكتب الشئون الخارجية". وعلى ما يبدو، أن التقارير التى كانت تصله، بدون توقف، من جانب مراقبيه وملاحظيه فى بلاط الزعيم "هاتوسيل" قد أكدت له الحيل والمناورات التى كان هذا الأخير يلجأ إليها لكى يتقى أهداف ومطامع الأشوريين، ويتمكن أيضا من تطبيع أى هجوم مصرى محتمل.

كانت الضرورة تحتم إذن، الإيحاء بشىء من المهادنة النسبية فيما يتعلق بالموقف تجاه العدو الرئيسى. وبذلك، بادرت مصر إلى اللجوء للمساومة التقليدية. أما عن مطالب رمسيس، الذى كان يتلقى معلومات سرية من "أورحى تيشوب"، فقد تمت دراستها فى تأنى وتمهل، وبشىء من الاعتداد بالنفس، من جانب "هاتوسيل". وانتهى الأمر باتفاق الملكين على تراضى مقبول من جانب الطرفين .. يعود، فى واقع الأمر، على كل منهما بمزايا طيبة.

قطعا، كان على رمسيس التخلى عن حلمه بامتلاك "قادش" والهيمنة على "عمورو". ولكن، على أية حال، كان يحق للمصريين، ثانيا، أن يجوبوا بكامل حريتهم الطريق التجارى، الذى يمتد على مدى الساحل، ليؤدى إلى "أوجاريت" فى مواجهة قبرص. وهكذا، دعمت الوصاية المصرية بكافة أنحاء المنطقة. وبالتالى، استعادت مملكة "كيمى" كامل حقوقها على الموانى الفينيقية. وأصبحت "عمورو" تحت هيمنة "خاتى". وبقيت "أوبى" محايدة؛ واحتفظت مصر بسطوتها على كنعان. وبشكل ضمنى، سارت الأمور على هذا المنوال. ولم تكن هناك أى إشارة أو إيماء إلى الحدود بين بلد وآخر. وأخيرا، تقرر عقد "اتفاقية سلام" كبرى فيما بن "خاتى" ومصر: ولذلك فعلى مدى سنتين تقريبا، كان المراسلون يفدون ويروحون ما بين هذين البلدين: ولم تكن مدة سفرهم(١٨) هذا لتقل عن شهر تقريبا. وأخيرا، تم الإقرار نهائيا بالخطوط الرئيسية للاتفاقية.

## اتفاقيــة الســلام

### تسليم وفحوى الوثيقة

حُرر نص هذه الاتفاقية - وهى الأولى عبر التاريخ كله - باللغة البابلية؛ فهى اللغة السائدة فى المجال الديبلوماسى وقتئذ. وعلى ما يبدو، وفقا للتعبيرات المتضمنة بها، أنها قد أعدت ووضعت بواسطة بعض التشريعيين فى بلاط الزعيم "هاتوسيل"، المتمكنين من التعبيرات المحددة الدقيقة فى نطاق بلدهم ومن الممارسة السارية وقتئذ. ولكن، شارك أيضا فى إعدادها ثلاثة من كبار رجال القانون المصريين؛ موفدين من جانب الفرعون. بعدئذ، توجه أعضاء هذه "اللجنة المشتركة" إلى مصر. وعبروا الأراضى السورية على مركباتهم الخاصة، فى حراسة وحماية بعض الأفراد المدججين بالسلاح. وقد توقفوا لبعض الوقت بعدد من المدن والقلاع: التى كانت، منذ بضعة سنوات، من جراء النزاعات والاشتباكات الدائمة، قد تعرضت للتخريب والدمار. وأخيرا، وصلوا إلى بر - رمسيس، إبان العام الواحد والعشرين من الحكم: بعد ثلاثين يوم من مغادرتهم لهاتوسيل. ومثلوا بقصر المراسم والاستقبال فى اليوم الواحد والعشرين من أول أشهر الشتاء؛ أى ما بين شهرى نوفمبر وديسمبر ١٢٥٩ قبل الميلاد. وفى ذاك الحين، كان أوسر ماعت رع قد ناهز السادسة والأربعين من عمره.

"فى هذا اليوم، كان جلالته فى بر - رمسيس، يؤدى ما يروق للآلهة".

ووصل، عندئذ، المبعوثون الثلاثة من جانب مصر .. وكذلك المبعوث الأول والثانى من "خاتى"، "تيلى تشوب"، و"رعموزا"، وأيضا مندوب "قرقميش"، و"يابوليسى": حاملون اللوحة الفضية التى بعث بها ملك خاتى العظيم، "هاتوسيل"، إلى جلالة الفرعون رمسيس - المفضل لدى آمون"، التماسا للسلام".

إنها لوحة ضخمة، مصنوعة من الفضة، فائقة اللمعان؛ حفرت على واجهتيها أحرف وعلامات مسمارية. وفى وسط هذه اللوحة، شاهد رمسيس الختم الكبير الخاص بدولة "خاتى".

"ما الذى يتضمنه وسط اللوحة الفضية؟! على الظهر، شكل بارز للإله "ست" يحتضن صورة "أمير خاتى العظيم"، وقد أحاطت بها بعض الكتابات القائلة: "ختم "ست"، رب السماء، وختم الاتفاقية التى أبرمها "هاتوسيل" زعيم خاتى العظيم، القوى البأس ابن مورسيل"..

وفوق الناحية الأخرى .. نقش بارز يتضمن إلهة "خاتى"، وهى تحتضن شكلا أنثويا يمثل ملكة هذا البلد المعظمة؛ وقد أحاطت به هذه الكتابات: "ختم الإلهة - الشمس فى "أرينو"، ربة هذا البلد؛ وختم "بودوخيبا"، ملكة "خاتى" المعظمة، ابنة بلاد كيزووادنا كاهنة مدينة أرينا"..

يرى الآن، بكل عظمته وجلاله، أوسر ماعت رع، مهيمنا على أجواء القاعة الكبرى، جالسا فوق عرشه المغلف برقائق ذهبية، المطعم بأحجار شبه كريمة وعجائن الزجاج الملون بلون العقيق، والفيروز، واللازورد. لقد توج رأسه بالتاج "خبرش". ومن حوله، وقف الوزير "باسر" وكبار مستشاريه. واستعان الفرعون بكاتبه المترجم لكى يقدم له ترجمة فورية للمعاهدة، وأيضا، ليضاهيها ويقارنها بالنسخة المحررة باللغة المصرية التى وصلت إليه من قبل.

بعد بضعة تغييرات طفيفة بالنص البابلى، تم تسليم النسخ المكتوبة على أوراق البردى إلى "مكتب الشئون الخارجية". وفوق لوحات صغيرة من الطين الفخارى، "دونت" الصيغة النهائية، باللغة البابلية أيضا: وسلمت إلى بعثة دبلوماسية مكلفة بتقديمها إلى الملك "هاتوسيل" ملك الحيثيين، بقصره فى مدينة "هاتوسا". وهناك قام هذا الأخير بوضع النص المصرى تحت قدمى الإله "تشوب". أما فى هليوبوليس، فقد سارع الفرعون، بوضع لوحة خاتى تحت قدمى تمثال للإله حورآختى.

في نهاية الأمر، أصدر رمسيس أمرا بأن يتم نقش هذه الوثيقة النادرة، أو بالأحرى، أول اتفاقية عالمية عرفها التاريخ في طيبة، بالهيروغليفية، فوق جدران الكرنك. وهناك، لأول مرة، تمكن شامبليون من فك رموزها. ولم يكن هذا العالم الفرنسي قد عرف بعد بوجود بلد اسمها "خاتي". وكذلك، نقشت في الرمسيوم، على مقربة من مشهد معركة قادش. ولاشك مطلقا، أن نسخة منها قد زينت جدران معابد بر - رمسيس. ولكن التنقيبات التي أجريت بأحد المواقع التي خُربت واجتاحتها الزراعات الحديثة، لم تفصح بعد عن شيء مطلقا في هذا الشأن[١٩].

## مضمون المعاهدة

بداية، وقبل كل شيء، تنص هذه الاتفاقية على: "الأخوة الجميلة والسلام". ومن خلال خطوطها الأساسية، تبدو بمثابة: ميثاق للسلام المتبادل، وعدم الاعتداء من جانب على الآخر، وتسليم أي مجرم أو متهم لحاكمه الشرعي، والمعاملة الإنسانية للمطلوب تسليمهم، وتبادل المساعدة بين البلدين، ضد أي هجوم أو اعتداء على أي منهما. كما تناولت المعاهدة مبدأ الارتباط بالزواج بين أفراد العائلتين الملكيتين: لكي يتحقق بذلك مبدأ احترام الشرعية[٢٠]. وقد تتراءى من خلال هذه الاتفاقية بعض سمات القانون الدولي المعمول به حتى يومنا الحالي!!.. وقد روعيت في إطارها المراعاة التامة للحساسية المعنوية. فقد لوحظ، أن كلا من الملكين يؤكد بكل وضوح، أن نظيره هو الذي بدأ مبادرة إبرام هذه المعاهدة.

ربما نجد أن كلا من نسخة "خاتي"، ومصر، قد تتباين تباينا طفيفا عن نظيرتها. ومع ذلك، فإن النصين يبدوان في تناغم واتفاق تام؛ خاصة، فيما يتعلق باشتراكهما التام معا. وتتضمن النسختان عشرين فقرة تتناول النقاط الأساسية. وترجعان، لمرات عديدة إلى المعاهدة التي عقدت مع مصر، في الحقبة التي كان الملك "سوبيلوليوما"،

المعاصر للملوك العمارنة، يحكم "خاتى". وعلى ما يبدو، أن كثيرا من الأحداث الصعبة، قد أضرت بتلك المعاهدة السابقة: خاصة عندما اغتيل ابنه الأمير "زاننزا"؛ وهو فى طريقه إلى مصر؛ بإيعاز من حور محب[٢١]. ويقال إن أرملة توت عنخ آمون قد استدعته لعقد زواجها عليه!!..

ها هى إذن، أهم فقرات "المقدمة" المتضمنة بكل من النصين[٢٢]، المصرى والحيثى:

## نص الاتفاقيــة

## نسخة خاتى

اتفاقية Riamasea - mai - amana (رمسيس المفضل لدى آمون) ملك مصر العظيم، البطل، ومعه هاتوسيل، الملك العظيم، ملك بلاد "خاتى"، أخيه، لكى يضعا أسس السلام الرائع والأخوة الجميلة فى إطار العلاقات بالممالك الكبرى فيما بينهما إلى الأبد. وهذا ما تقوله:

Riamasea - mai - amana ملك مصر العظيم، الباسل، حفيد Min-Pahtaria (من بحتى رع: "رمسيس الأول")، الملك المبجل، ملك مصر البطل، إلى "هاتوسيل" المعظم، ملك بلاد "خاتى" البطل، ابن "مورسيل" الملك الجليل، ملك "خاتى"، الباسل، حفيد "سوبيلوليوما"، الملك المعظم، ملك بلاد "خاتى"، الشجاع.

ها أنذا الآن، قد حققت الأخوة الجميلة، والسلام البديع، فيما بيننا، لكى أضفى السلام الحسن والأخوة الطيبة على علاقات مصر بـ"خاتى" إلى الأبد.

## اتفاقية لعقد معاهدة جديدة

(النص الخاص بالحيثيين أصابه التلف)

## الترجمة المصرية

المعاهدة التى حررها ملك "خاتى" المعظم، الباسل، ابن "مورسيل"، ملك خاتى العظيم، البطل، حفيد "سوبيلوليوما"، ملك "خاتى" العظيم، الجسور؛ فوق لوحة صغيرة فضية موجهة إلى "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، ملك مصر العظيم، البطل، ابن "من ماعت رع"، ملك مصر المعظم، الشجاع.

إن معاهدة السلام والإخاء هذه، سوف تضفى السلام والإخاء فيما بيننا؛ بفضل هذه الاتفاقية بين خاتى ومصر، إلى الأبد.

فيما يتعلق بمواتالى ملك خاتى المعظم (السابق)، فقد خاض قتالا ضد ملك مصر. وعندما لقى مصيره، أخذ هاتوسيل مكانه فوق عرش أبيه.

والآن، نجده قد اتفق، بواسطة معاهدة لإرساء العلاقات التى وضعها "رع"، فيما بين أراضى مصر وأراضى خاتى، ولمحو العداء فيما بينهما، إلى الأبد .. وليعم السلام والإخاء بين أبناء سيد خاتى العظيم وبين أبناء رمسيس.

## ميثاق عدم الاعتداء

Riamasea - mai - amana، ملك مصر المعظم، يتحتم عليه عدم مهاجمة "خاتى" لسلبها ونهبها، إلى الأبد. وهاتوسيل، ملك خاتى العظيم، لا يجب أن يهاجم مصر لسلبها ونهبها، إلى الأبد.

لا يجب على سيد خاتى المعظم أن يغتصب أرض مصر لسلبها ونهبها. أما عن أوسر ماعت رع ستب إن رع، ملك مصر العظيم، يتحتم عليه ألا يغير على أراضى خاتى، لسلبها ونهبها.

وعن المعاهدة التى كانت سارية المفعول خلال عهد "سوبيلوليوما" ملك خاتى العظيم؛ وكذلك الأمر بالنسبة للمعاهدة المؤقتة التى ترجع إلى فترة حكم "مواتالى" ملك "خاتى" المعظم، أبى، فإننى، أوقع عليها الآن. وهاهو، رمسيس، ملك مصر العظيم، يعمل على حفظ السلام الذى تعاهد عليه معنا بدءًا من اليوم.

## تجديد الاتفاقية السابقة

ينص القرار الأبدى الذى اتخذه كل من "شاماش" و"تشوب" بشأن مصر مع خاتى: الحفاظ على إبقاء السلام والإخاء حتى لا يسود العداء فيما بينهما.

والآن، رمسيس، الملك المعظم، ملك مصر، يوقع على ذلك من أجل نشر الرفاهية بدءًا من هذا اليوم. وهكذا، فإن مصر و"خاتى"، سوف ينعمان بالسلام، والإخاء، إلى الأبد.

## الدفاع المشترك

إذا هاجم أحد الأعداء بلاد "خاتى"، وإذا قام هاتوسيل الملك المعظم، ملك خاتى، بإرسال مبعوث ليقول لى: "أسرع إلى نجدتى ضده".. عندئذ، على رمسيس الملك العظيم، ملك مصر، أن يبعث بجنوده ومركباته ويقضى على عدوه، انتقاما لبلاد "خاتى".

إذا حاول أى عدو من الأعداء مهاجمة أراضى "أوسر ماعت رع ستب إن رع" ملك مصر المعظم؛ وإذا أرسل هذا الأخير مبعوثه إلى سيد خاتى العظيم ليقول له:

"أسرع لنجدتى، ولنتقدم لدحره. فإن ملك خاتى العظيم سوف يهب لنجدته ويقضى على العدو.

ومع ذلك إذا لم يرغب ملك خاتى المعظم الحضور بنفسه لخوض القتال، فعليه أن يرسل قواته ومركباته لقهر الأعداء.

## الخلافة على عرش خاتى

يجب أن تكون مملكة "خاتى" من حق ابن "هاتوسيل"، ملك خاتى، مكان أبيه، بعد انقضاء سنوات عديدة فى الحكم. وإذا ارتكب كبار شخصيات البلد أعمال مناهضة له؛ يتحتم على ملك مصر إرسال جنوده ومركباته لعقابهم.

(بداية من الجزء التالى، لم تذكر سوى الترجمة المصرية فقط؛ لأن نص "خاتى" قد أصابه ضرر بالغ أو أنه اختفى).

## تسليم اللاجئين ذوى النفوذ

إذا فرّ أحد الأشخاص ذوى السطوة والأهمية من أرض مصر، ووصل إلى موطن ملك "خاتى"؛ أو بإحدى المدن، أو بمنطقة من أملاك "رمسيس – المفضل – لدى آمون"، فلا يجب على ملك خاتى العظيم استقباله. بل عليه أن يعمل اللازم من أجل تسليمه إلى أوسر ماعت رع ستب إن رع، ملك مصر المعظم، سيده.

## تسليم اللاجئين البسطاء

إذا هرب رجل أو اثنان عديما الشأن ولجآ إلى "خاتى"، لكى يكونا فى خدمة سيد آخر، فلا يجب السماح لهما بالمكوث فى "خاتى"، فالضرورة تقتضى إرجاعهما إلى: "رمسيس – المفضل – لدى آمون"، ملك مصر المعظم.

## العفو عن المذنبين الهاربين

إذا فر أحد المصريين، أو اثنان أو ثلاثة، ووصل إلى بلد ملك خاتى العظيم .. فى هذه الحال؛ يجب على ملك خاتى القبض عليه وتسليمه إلى رمسيس، ملك مصر العظيم: ولا يجب تأنيبه على خطئه، ولن يهدم بيته، ولن يقضى على نسائه وأولاده، ولن يقتل ولن يمس بأى جرح؛ لا فى عينيه، أو أذنيه، أو فمه، أو ساقيه. ولن يوجه إليه تهمة ارتكاب أى جرم (بعد ذلك، يلى بند التبادل من الحيثيين: مطابقا تماما فى عباراته).

## آلهة البلدين شهود على المعاهدة

فيما يتعلق بعبارات المعاهدة التى تبادلها ملك "خاتى" مع فرعون مصر "رمسيس المفضل لدى آمون"، فقد سجلت فوق تلك اللوحة الفضية الصغيرة. ونفس هذه العبارات استمع إليها وكانوا شهود عليها ألف إله وألف إلهة فى "خاتى"، وألف جوهر إلهى من الذكور ومثلهم من الإناث: الشمس الذكر رب السماء، والشمس الأنثى إلهة مدينة "أرينا".

"ست" رب خاتى، و"ست" إله مدينة "أرينا"، و"ست" رب مدينة "زيبلاندا، و"ست" معبود مدينة بيتياريك ، ثم "ست" لمدينة هيساسبا، وأيضا "ست" ساريسا و"ست" بمدينة حلب، و"ست" لمدينة لوكزينا و"ست" مدينة نريك و"ست" مدينة نوشاشى، و"ست" مدينة شابينا " وعشتارت بلاد خاتى.

.. وكذلك ربة كارهنا وربة ساحة القتال، وإلهة نينوس .. سيدة السماء.

## آلهة القسم

أرباب الجبال والأنهار فى "خاتى"، وآلهة كيزووادنا وآمون رع وست، والآلهة الأرباب والإناث، وجبال مصر وأنهارها، والسماء، والأرض، والبحر المترامى المدى، والرياح، والسحب، والرعد.

## حماية المعاهدة

فيما يتعلق بالعبارات المنقوشة فوق تلك اللوحة الفضية الصغيرة، من "خاتى"، ومن مصر، فإن آلهة "خاتى"، البالغ عددهم ألف إله، وكذلك الألف إله بأرض مصر، سوف يدمرون بيت، وأراضى، وأتباع من لا يوليها احترامه.

أما من يولى احترامه لهذه الكلمات المسجلة فوق تلك اللوحة الفضية الصغيرة، سواء كان من الحيثيين أو المصريين، ويضعها فى اعتباره، فإن الأرباب البالغ عددهم ألف رب فى "خاتى"، وألف إلهة فى مصر، سوف يضفون عليه الازدهار، والعمر المديد على بيته، وبلده وأتباعه.

## النتائج الأولى

لقد أعجب أوسر ماعت رع، إعجابا شديدا ببصمات ختم الحيثيين. إنها تتضمن صورة "ست" وهو سيظلل برعايته على ملك "خاتى"!.. فإن "ست" هو حامى عائلته. و"ست" يتميز بشعره الأحمر مثل الفرعون تماما: إنه إله فائق النفوذ والسطوة فى بلد الحيثيين، الذى ارتبط معهم رمسيس بهذه المعاهدة. و"ست" هو الذى ردد، هاتوسيل، بصفة استثنائية، اسمه ما لا يقل عن أحد عشرة مرة. وفى الحين ذاته، لم تتراءى أسماء الآلهة الأخرى فى تلك الوثيقة، سوى مرة واحدة فقط. وكذلك، لاحظ رمسيس، بكل إعجاب، هذا التجديد والاستحداث: أن أحد وجهى الختم الرسمى الخاص

بالمملكة الحيثية، قد خصص من أجل الملكة: التى تعتبر متساوية تماما لـ"هاتوسيل": إنها ملكة "خاتى" .. وهنا، رأى رمسيس أن الأمر يلزم أن يكون على مستوى "ليبرالية" ملك الحيثيين: فبين أن النساء فى عائلته ينعمن أيضا بمراكز عليا فى إطار شئون المملكة(٢٣). ولاشك أن "توى" و"نفرتارى"، كان عليهما أن يوليا اهتمامهما بتلك التعاملات الدبلوماسية: فعملا على التراسل مع الملكة "بودوخيبا"!!

فى مناسبة تسلم الفرعون لهذه اللوحة الفضية فائقة الأهمية، أقيم احتفال فخم مهيب: فالمعروف أن الفضة تعتبر من المعادن الثمينة النادرة الوجود فى أرض وادى النيل. ولاشك أن كلمات التوقير والاحترام التى أحاطت بأسماء الملكين، تدل على الإعزاز والتقدير المتبادل بين هذين الطرفين، اللذين اعتبرا أنفسهما منذ ذاك الحين .. بمثابة سيدى الشرق الأدنى المهيمنان عليه. كما أنهما يقفان معا على قدم المساواة الكاملة. ولكن، على ما يبدو، أن المشاعر التى كانت لا تزال تضطرم فى نفس كل من هذين المتنازعين؛ الزعيمين رفيعى المكانة، لم تكن لتسمح وقتئذ، بأن يتقابلا وجها لوجه. وربما أنهما لم يتقابلا بتاتا فيما بعد .. بالرغم من روابط الزواج التى جمعت، فى يوم ما؛ بين أسرتيهما!!

ومع ذلك، فقد عمت المباهج والاحتفالات فى كل من البلدين. كما تم، فى لطف بالغ، تبادل التهنئة والهدايا بواسطة بعض المراسلين المتوثبين حماسا. وفى إطار دولة الحيثيين هذه ذات التقاليد الحديثة المتسمة بالطابع الهندو - أوروبى، كانت الملكة تشاطر الملك فى أكثر المسئوليات والمهام رفعة وأهمية. وعلى قدم المساواة بينها وبين هاتوسيل الذى كان يراسل رمسيس، كانت هى الأخرى تبعث برسائلها إلى نفرتارى (نابتيرا باللغة البابلية). ولكنها لم تفعل ذلك أبدا بالنسبة لإيزيس نفرت، زوجة الفرعون المعظمة الأخرى. وفى خطابها إلى نفرتارى، عبرت لها عن رضاها وسعادتها بصدد السلام الأخوى الذى سيجمع، منذ ذلك الحين فصاعدا ما بين البلدين. ولإجابتها على عبارات "بودوخيبا(٢٤)" الحارة هذه، قامت نفرتارى باستدعاء أحد المترجمين من "وزارة الخارجية" المصرية، ليحرر لها رسائلها بالكتابة المسمارية البابلية:

"نابتيرا.. ، ملكة مصر المعظمة، تقول: "إلى بودوخيبا، ملكة "خاتى" المعظمة، أختى، ها أنا أتحدث:

بالنسبة لى، يا أختى، كل شىء على ما يرام. وفى بلدى كل الأمور على خير حال.

وعنك أنت، يا أختى، ليكن كل شىء على أحسن حال.

انظرى، الآن، إننى أقدر، يا أختى، كتابتك إلىَّ عن علاقات السلام والإخاء الوثيق، التى أقامها كل من الملك العظيم، ملك مصر، وأخوه الملك المعظم، ملك خاتى.

فلينعم عليك رب - الشمس وإله الرعد "ست" بالسرور. فليعمل ملك الشمس على أن يكون هذا السلام طيبا؛ وليمنح الإخاء إلى الملك المعظم، ملك مصر، مع أخيه الملك الجليل ملك خاتى.

ليضفى عليك إله الشمس ورب الرعد "ست" الهناء. فليعمل إله الشمس على جعل السلام قويا ويضفى مشاعر الإخاء على الملك المعظم، ملك مصر، مع أخيه، الملك العظيم، ملك خاتى، إلى الأبد.

إننى مقيمة على صلة الصداقة ، والعلاقات الأخوية مع أختى، الملكة المعظمة (ملكة خاتى)، حاليا وإلى الأبد".

## الأمير الوريث يغير اسمه

بعثت الملكة "موت - توى"، بدورها، رسائل تفيض بالنبل البالغ إلى ملكة الحيثيين. أما عن الوزير "باسر(٢٥)"، فقد شارك، بطبيعة الحال، فى تبادل بعض وجهات النظر التى سبقت التحرير النهائى للمعاهدة. وفى إطار محفوظات "خاتى"، ضمن ما عثر عليه، خطاب من الأمير المصرى ولى العهد؛ ولكن، لم يكن باسمه المعتاد: فلم يوقع بـ"آمون حر خبش إف"، بل بـ"ست حر خبش إف". ولا ريب أن بعض المؤرخين، سرعان ما اعتقدوا أن وريث العرش قد توفى. ولكن، لم

تؤيد ذلك أية وثائق. كما أن هذا الابن الأكبر لرمسيس الثاني، قد لجأ، قبل ذلك، إلى تغيير اسمه[٢٦].

كان هذا الأمير، خلال مشاركته لأول مرة لأبيه في المعارك الحربية، وهو صبي يافع، يسمى: آمون حر ونم إف؛ حيث كان يستظل تحت رعاية وحماية "آمون". ولكنه، بعد انتهاء معركة قادش، أصبح آمون حر خبش إف: ويعني، "من يتلقى من آمون سلاحه الظافر". وبعد عقد معاهدة السلام، عملت العلاقات القائمة مع "خاتي" على تقريب إمبراطورية رمسيس من ذاك البلد الكبير الآخر؛ الذي يتخذ "ست" معبودا له. وكان هذا الإله، راعيا وحاميا لخاتي وللعديد من مدنها: وهنا، ربما، كانت الفرصة مناسبة لتنحية اسم إله طيبة وإحلاله بإسم "ست": الجد الأول لسلالة الرعامسة؛ في إسم الأمير الوريث. وقد لزم الأمر أن يقوم هذا الأخير بعدد من الاتصالات مع "أبيه الروحي" في "خاتي". وخلاف ذلك، فقد سارع الأمير، إلى مراسلة زعيم "خاتي" ليهنئه؛ وكذلك، ليخبره قائلا: بأنه أرسل عدة هدايا إلى أبيه الروحي (ست)، مع المبعوث باري خاناوا.

تم إذاعة خبر "معاهدة السلام" بواسطة المستشارين والقضاة. وأيضا، وجهت الكثير من الرسائل الرسمية إلى البلاد التي ترتبط مع مصر وخاتي بعلاقات دبلوماسية. وكانت مشكلة أورحي تيشوب قد استتبعت، في الماضي قطع العلاقات المصرية مع "بابل": الباقية على إخلاصها ووفائها للـ"ميثاق" التي كانت قد عقدته مع "الحيثيين". ولذلك، لجأ هاتوسيل إلى إخبار ملك "بابل" المدعو "كاداشمان تورجو"، بموقفه الجديد مع مصر:

"بصدد الاتفاقية التي أبرمتها مع ملك مصر، حيث أعلمني بها أخي في إحدى رسائله، فقد كتبت إلى أخي ما يلي: ملك مصر وأنا أبرمنا معا معاهدة، وأصبحنا أخوين. ولذلك، فإننا سنصبح نحن الاثنان عدوين لعدو كل منا، وسوف نكون أصدقاء لصديق كل منا".

استمرت "معاهدة السلام" فى طريقها. وبذلك، عمل الموقف القائم، على إعادة العلاقات بين مصر وبابل. وفيما بعد، استقبل رمسيس أميرة بابلية فى حريمه. وفى نهاية الأمر، تم التفاهم والتصالح بين هاتوسيل وسلمانصر الأول ملك "آشور". وبعد سنوات عديدة، ها هو الخلاف الدفين، الكامن دائما فى فكر كل من رمسيس و"هاتوسيل" بخصوص أورحى تيشوب قد طواه النسيان بعض الشىء. ومع ذلك، فإن شدة حساسية "هاتوسيل" كانت تزداد وتتفاعل بسبب موقف الفرعون: الذى لا يريد تطبيق أحد بنود المعاهدة التى تحتم تسليم المتمرد الثائر الذى لم يرتدع ولم يرجع عن موقفه!!

# الفصل الثالث عشر

# رمسيس يواجه أحد منحنيات حياته

## وفاة الملكة الأم

بعد وقت وجيز من إبرام "معاهدة السلام" بين البلدين، ها هو رمسيس يعانى من مشاعر قلق شديد: بدأت تظهر على والدته "موت - توى" أعراض ضعف وتهاوٍ بالغ!

ولاريب أن الآراء الحكيمة من جانب الملكة - الأم؛ كان لها أثر بالغ، ونتائج طيبة، بكافة الأحوال، فيما يتعلق بكل خطوات ابنها الفرعون: وخاصة منذ وقت وجيز جدا؛ خلال إعداد شروط المعاهدة. بل لقد جابهت، دائما، فى حزم بالغ، ما كان يبديه ابنها الفرعون من غلواء وتعاظم يفوق الحد. وكذلك، جاهدت وعانت إلى أقصى مدى، حتى يتم سحب بعض البنود التى وضعها رمسيس؛ المهينة الجارحة للمشاعر .. والتى قد تؤدى إلى فسخ الاتفاقية. إنها الوحيدة، التى استطاعت بمفردها تحقيق بعض الاسترجاع فى إطار النص المقترح. ولاشك أن ما بذلته للتوصل إلى كل ذلك، قد أضر بقلبها. وسرعان ما أكملت عليها، مشاعر القلق، ثم الانفعالات فائقة الحد؛ وكذلك الفرحة الطاغية، عندما تحقق الحدث الكبير، بعد فترة انتظار مديدة، تحفها المصاعب وتحيط بها العراقيل من كل جانب!!

فى حوالى العام الثالث والعشرين(١) من حكمه، كان "أوسر ماعت رع" قد قارب الثامنة والأربعين من عمره: وعندئذ، كان فى قمة عنفوانه وسطوته. وها هو قد حقق

عملا كان يتوق بشدة إلى تنفيذه بعد صراعات "قادش"؛ أى بالأحرى، إتاحة السلام التام من أجل بلده مصر، والعمل، مهما كان الأمر، على خلق فرص التفاهم السياسى اللازم المحبب من جانب جيرانه .. مع غريمته، القوة العظمى، فى تلك الفترة .. "خاتى"!

مع ذلك، فإن "شمس مصر" هذا، الذى تنحنى أمامه البلاد الأجنبية خاضعة؛ "المفضل لدى رع على متن مركب الشمس"، "نجم السماء"، "شمس الملوك"، "جبل الذهب والإلكتروم"، "المفعم بالانتصارات"، "الصورة المكتملة لرع"، "الثور القوى"، "مورد قوت مصر" .. قد أصبح الآن إنسانًا وحيداً، يعانى الحزن والانكسار .. يتماً !! فقد فقد، لتوه، هذه الذى كان يكن لها إجلالا وتبجيلا عميقا، الملكة المعظمة، "توى"، أمه.

## فى إطار الـ «ست – نفرو»

كانت مقبرة الملكة الأم قد حفرت وجهزت منذ أمد بعيد فى نطاق الـ"ست – نفرو": هذا الموقع الذى سمى، منذ أن اكتشفه شامبليون، بـ"وادى الملكات[٢]". ويحتل مقدمته صف كبير من المقابر القائمة بالجانب الغربى للوادى: حيث ستدفن أولا، مباشرة فى الاتجاه الجنوبى، الملكة الأم، ثم نحو الشمال، نفرتارى (عند موتها)؛ تليها مقابر بنات رمسيس، اللاتى، أصبحن بدورهن زوجات معظمات ملكيات (باستثناء حنوت تاوى، ابنة نفرتارى)، وأخيرا، الصغرى المدعوة "حنوت مى رع[٣]" المجهولة إلى حد ما؛ ولكن المفضلة للغاية من جانب جدتها "موت توى".

## مقبرة تــوى

بدت هذه المقبرة كنموذج رائع للتوازن والتناسق. مقاييسها فائقة التناغم والتوافق. وتضمنت مستويين سفليين، متتاليين، يتم الوصول إلى كل منهما بواسطة

بعض الدرجات، منحوتة أيضا بالصخر الجيرى. ويؤدى "المنزل" الأول إلى حجرة أمامية مستطيلة الشكل، تقع على جانبيها حجرتان صغيرتان. ثم يتراءى سلم ثان، عند محور الأول، ترى على جانبيه دكّتان ( صفّتان ) منحوتتان فى الصخر نفسه: إنه يؤدى إلى قاعة فسيحة الأرجاء، أحيطت هى الأخرى بدكك ضخمة منحوتة فى الصخر. ويتضمن هذا المكان أربعة أعمدة مربعة الطراز: كانت قائمة أساسا بالجبل عند بداية حفر هذه المقبرة – القبو. ويتبين أن زخرفتها، قد اتخذ معظمها نموذج ومثال، لزخارف مقبرة نفرتارى؛ التى تم إعدادها بعد تلك الخاصة بـ"توى" بوقت قصير.

عندما تمكنت من إعادة كشف هذه المقبرة فى "وادى الملكات"، حيث وجدتها، قد أوشكت أن تفقد معالمها. فها هى أماكنها السفلية، قد ردمت تماما ببقايا عدة طبقات من المقابر الأخرى التى أقيمت فى عصور متأخرة . وهذه المقبرة قد وقعت، بداية، ضحية لأعمال سلب ونهب قبل نهاية "الدولة الحديثة". لقد تراكمت فوق بعضها بعضا العديد من طبقات المتعلقات الجنازية وقد اختلطت بالحطام ورماد مختلف الرفات: حيث كانت تحرق قبل كل استعمال جديد للمقبرة. ولاشك أن ذلك قد كشف عن أن هذا المكان قد استقبل فعلا عددا من "النزلاء الثقلاء" .. حتى مجيء العصر الرومانى. وبالرغم من كل ذلك، تبقت، فوق الجدران، بعض ظلال باهتة لنقوش بارزة: إنها بمثابة الشاهد الوحيد، الصامت، على الإطار الفخم المهيب الذى كان قد جهز خصيصا من أجل والدة الملك العزيزة المقربة من قلبه.

ولكن، بالرغم من ذلك، وأمام الإلحاح الفائق والحماس البالغ والصبر الشديد من جانب بعض علماء الآثار، ها هى تلك البقايا التى لم تزل قائمة، قد سمحت، إلى حد ما، بإنعاش هذه الأطلال .. لتفصح عن روعتها العابرة!.. وهكذا، استهلت عملية إخلاء أماكنها إخلاءً تاما؛ وأزيلت كل ما كانت تتضمنه من طبقات متناضدة فوق بعضها بعضا. واستمر هذا العمل على مدى العديد من مواسم التنقيبات. وفى النهاية، تبين لنا أن هذه المقبرة، كمثل بقية المقابر الأخرى فى إطار الـ"ست – نفرو"، قد حفرت فى نوع ردىء جدا من الصخر الجيرى. ولاشك أن هذه الخاصية قد أرغمت

الفنانين – النحاتين، على عدم اتباع أسلوب النحت الذى نهجوا عليه فى مقابر "وادى الملوك": فإن الجدران، فى حالتنا هذه، كانت فائقة الهشاشة. لذلك، لجأوا إلى كسوتها بطبقة من الجص الرقيق: ثم شكلوا الزخرفة، وفى نهاية الأمر، قاموا بتلوينها(٤) بألوان متعددة.

## حال المقبرة

من الواضح أن منتهكى حرمة هذه المقبرة ومغتصبيها المتتابعين، قد دمروا الجدران بما عليها من نقوش ورسوم؛ لإبطال فعاليتها السحرية. ومع ذلك، فقد ابتعدوا عن بعض الدلائل الأخرى، التى بدت لهم أكثر صلابة ومتانة من غيرها!!.. وهكذا، فى نطاق القاعة الأولى، نجد أن أحد الجدران كان لا يزال يبين عن مشهد زخرفى ضخم: حيث يسوده جبل طيبة الهائل؛ يواجهه رمز هائل المقاييس يمثل "الغرب"، أى الـ"أمنتت": ويعد ذلك بمثابة تعبير عن الجبانة، أى مملكة أوزيريس. وترى أيضا أشكال لبعض القردة عابدة الشمس، وقد تسلقت مختلف ثنيات الجبل، لكى تتعبد إلى قرص المولد والإحياء الجديد، وهم يصعدون نحوه.

على مقربة، فوق جدار آخر، تشاهد بعض أشكال لشخصيات إلهية؛ وكذلك، صورة الملكة، فى هيئة أبى الهول(٥)، فى أثناء تقديمها لقربان الدهانات العطرية. ومن أهم ما اكتشف بهذه المقبرة: أسماء وألقاب الملكة، التى بدت إلى حد ما سهلة القراءة، فوق الجدران: "الملكة الأم توى". ويلاحظ أنه لم يذكر أبدا، اسمها الآخر "موت – توى" الذى كان يحلو لابنها رمسيس إطلاقه عليها خلال حياتها الدنيوية. وكذلك الأمر أيضا فوق كافة جدران وسقف بيت الولادة "الماميزى" الخاص بهذه الملكة الأم .. لم يذكر مطلقا؛ اسمها: "موت – توى". كما تلاحظ أن رمسيس كان يعمل دائما على تأكيد الطبيعة فوق العادية التى تتسم بها أمه؛ وبالتالى، أهلها ذلك أن تحظى بالالتقاء لقاءً حميما مع "آمون"، حتى "تلد له" وريثا دنيويا. بل لقد قام الملك الابن بما هو أفضل من

ذلك: حيث مثلت الملكة – الأم فوق جدران بعض النصب والمنشآت وكأنها انبثاق من الربة "موت"[٦] أو مماثلة لها. وهذه الملكة هى رفيقة آمون. وبالتالى، سميت الملكة باسم: "موت – توى": ولاشك أن الأمر يعد هنا بمثابة تلاعب ماهر بالكلمات: فإن كلمة "موت" تعنى أيضا: "الأم"!!

ولكن، على ما يبدو، أنه ليس فى الإمكان خداع العالم الإلهى الذى يطرقه عادة الأموات. فإن السيدة "توى"، أم الملك، لن تعدو أن تكون، بأى حال من الأحوال، وهى ماثلة أمام الإله الأعظم الذى لا يخفى عليه شىء مطلقا .. سوى إنسانة اسمها "توى" فقط لا غير!

وهكذا نرى، أن هذا الاسم البسيط المتواضع، ومعه ألقابها الخاصة، قد ذكر فوق كافة أدواتها التى تم العثور عليها بالمقبرة.

ها هى قد رفعت أكوام هائلة من حطام متعلقات شاغلى هذه المقبرة لا يقل مداها عن ألف عام. عندئذ، ظهر، بارتفاع لا يزيد عن نصف متر، المستوى الثرى المتطابق بعهد رمسيس الثانى. وبين بقايا أكوام من النفايات المتباينة، تبدت للأنظار الأجزاء المحطمة المتناثرة لأثاث الملكة الجنازى: فعلى ما يبدو، أن لصوص المقابر الأوائل لم يكلفوا أنفسهم مشقة الاستيلاء عليها. وهكذا، أمكن، بصفة إجمالية، إعادة تصور الاستعمالات الخاصة بمختلف حجرات المقبرة.

## حجرة أمامية، وملحقات

بداية، وعند المستوى الأول، ها هى الحجرة الأمامية، والملحق الأيسر. لا شك، أنهما، قد تضمنا خاصة، الأوانى الكانوبية التى تضم بداخلها الأحشاء بعد تحنيطها، بالإضافة إلى التماثيل الصغيرة الجنازية المسماة "أوشابتى[٧]": إيماء إلى تطابق المتوفى بالإله أوزيريس، حيث يمتزج بقوى الفيضان، وبالتالى، يسهم، بعد وفاته، فى تأجيج خصب ونماء أرض وادى النيل[٨]. وقد ساعدتنى كثيرا بعض البقايا المهمة

على إعادة تكوين ثلاث أوانى كانوبية من المرمر الفائق النقاء، المزينة بكتابات من العجائن الزرقاء اللون كاللازورد: وتحمل اسم الملكة توى. ومن حسن الحظ، عثورنا(٩) على إحدى سدادات - الرءوس الأربع، الممثلة لوجه الملكة: إنها متناهية الرقة والجمال!!.. فبالنظر إليها مواجهة، تجذب أنظارنا وإعجابنا بفتنتها وسحرها وشبابها الغض .. ولكن، النظرة الجانبية، تجعلنا نلاحظ علامات تقدم العمر .. خاصة، فيما يتعلق ببعض الاكتناز أسفل الوجه.

أما عن الـ"أوشابتى" المتبقية، حيث تحطم معظمها. فقد صنعت من الطين المصقول، بلون أزرق زاهى؛ وحملت جميعا اسم "توى". وتحت أقدامها، نقشت بالحبر الأسود بعض الأرقام .. مما يثبت أنها قد رقمت.

على ما يعتقد، أن الغرفة الجانبية الصغيرة الواقعة يمينا، بنفس المستوى، قد خصصت للأوانى الضخمة الأنيقة الشكل التى يحفظ بها النبيذ. وقد أمكن جمع الكثير من القطع الفائقة الأهمية المتبقية من حطامها: سجلت عليها عدة بيانات منتظمة، من بينها تاريخ العام الثانى والعشرين من حكم رمسيس.

## الحجرة الجنازية

يلاحظ أن هذه المقبرة قد استوعبت بداخلها كنزا ثمينا نادرا يضاهى ذاك الخاص بتوت عنخ آمون .. إن لم يكن يفوقه!!.. وقد وزعت نفائسه وأجزاؤه على كافة أنحاء أرضيات الغرف والدكك (الصُّفَّات) الجانبية. وبالنسبة للمستوى الثانى، فكان يضم، بوجه خاص، الحجرة الجنازية. إنها مزينة بأربعة أعمدة، تومئ إلى الجهات الأصلية الأربع: بوسطها، يوجد التابوت الجنازى الضخم المصنوع من الجرانيت الوردى، والتى وضعت بداخله مومياء الملكة المتوفاة: فى أغلفتها المتباينة المكسوة برقائق ذهبية، أو المصنوعة كاملة من الذهب الخالص. وتحت الكفن، أسفل كافة اللفائف والضمادات المنسوجة من الكتان، وضع عدد كبير من الحلى والمجوهرات

السحرية الواقية. ولم تنس أبدا أغطية الأصابع الذهبية لكل من اليدين والقدمين. ولكن، للأسف، لم يتبق شيء من كل هذه المتعلقات السحرية اللازمة لرحلة المتوفى بالعالم الآخر. فلم يعثر إلا على بعض الحطام المتبقى من التابوت نفسه، الذى نحت من أجمل وأرق أنواع جرانيت أسوان الوردى اللون؛ وغطيت جوانبه بنصوص وكتابات؛ وبعض أرباب العائلة الأوزيرية والتى طعمت بالأحجار النفيسة، ولونت بالألوان التقليدية المعتادة: الأصفر، والأحمر، والأخضر، والأزرق.

حول التابوت، وضعت المتعلقات والأدوات النفيسة النادرة، اللازمة لعملية التحول النهائى الذى سيطر على المتوفاة. ويدل على كل ذلك: بقايا الأوعية المرمرية، المزركشة أحيانا بنقوش بارزة زهرية الشكل، وأحيانا أخرى بأسماء الفرعون "سيتى الأول"، أى الزوج المتوفى؛ وأيضا باسم الابن وزوجته المفضلة: رمسيس ونفرتارى. ولاريب أن هذه الأوانى قد استوعبت بداخلها أرق وأرقى أنواع الدهانات العطرية، وأحسن العطور وأكثرها شهرة فى مصر. ويرى البعض الآخر، وقد سجلت بالحبر فوق جزئها الأوسط، أسماء الزيوت العطرية التى تحويها. وعثر أيضا، على "ملاعق كحل" صغيرة الحجم؛ وإحداها من المرمر، لم يمسها سوء، وقد نحتت فى هيئة أوزة جسمها مفرغ. ومما يثير العجب والدهشة، ولم يكن متوقعا أبدا: عثورنا على بعض الأجزاء المتبقية من وعاء لحفظ العطور، من الزجاج الفائق الشفافية(١٠)!! وكانت هناك أيضا بعض بواقى عدد من قوارير الروائح العطرية صنعت من الزجاج المغبش الكثيف: تكون من عدة طبقات متناضدة فوق بعضها بعضا من مختلف الألوان .. ولاشك أن هذا العمل قد تمت معالجته بواسطة مثقب حدادى.

ضمن هذه البقايا المثيرة للأسى، والموحية إلى درجة كبيرة، يمكن الإشارة إلى قارورة صغيرة مهشمة، شكلت، على ما يبدو، أساسا على هيئة قلب. إنها من الطين المصقول الأزرق الفيروزى الغامق، لايزيد ارتفاعها عن خمسة سنتيمترات؛ نقشت عليها بعض الكتابات التى قد تعمل على كشف بعض المسائل المستحيلة الحل: وذلك لعدم توافر دليل حاسم، عند لحظة الاستكشاف: باللون الأسود، نقشت على أحد

جانبيها: عبارة "الزوجة الملكية المعظمة، بنت عنات". وهذا يعنى إذن، أن ابنة رمسيس الثانى وإيزيس نفرت هذه قد حظت بهذا اللقب فى الفترة ما بين العام الثانى والعشرين والثالث والعشرين من عهد رمسيس؛ ولكنها لم تحمله رسميا إلا فى أطراف العام الثامن والثلاثين من الحكم!!.. وأخيرا، وجدت أيضا بقايا أوانى ضخمة، فائقة الاتساع، من الطين النضج الوردى اللون، ذات فوهة واسعة تزينها إطارات سميكة .. إنها بمثابة أخر آثار لحاويات "البياضات" الجنازية الخاصة بالملكة - الأم.

نرى إذن، أن هذا السكن النهائى الدنيوى الخاص بـ"توى"، قد وقع حقا لأبشع عمليات السلب والنهب، والتشويه، والاغتصاب والاستيلاء، والتغير على مدى عشرة قرون. ولكنه، بالرغم من ذلك، قد كشف، من خلال بعض البقايا الضئيلة الدقيقة، عن أدلة عديدة أساسية ومهمة للغاية .. ساعدت حتما على إعادة تكوين حقبة تاريخية.

## ثــراء مصــر

سبق أن ذكرنا أن أوسر ماعت رع عند تشييع جناز أمه "توى"، فى حوالى العام الثالث والعشرين من حكمه، كان قد ناهز الثامنة والأربعين من عمره. وها هو قد رزق بما لايقل عن عشرة أبناء. ويتبين أن الأكثر عددا هم من أنجبهم من زوجاته الملكات الثانويات ومحظياته. وبعضهم، انتقل إلى "عالم الموتى"؛ وكذلك لحق بهم فى العام العشرين أحد أبنائه من نفرتارى، ويدعى "با رع حر ونم إف"؛ "مبعوث الفرعون فى قادش".

بعد فترة ما، توجه أوسر ماعت رع لتفقد سير أعمال بناء معبده فى منطقة "الدر"، فى بلاد "واوات"؛ وكان قد كرسه للإله "حورآختى". ولكن، نجد أن هذا النصب لم يكن قد استكمل زخرفته تماما.

الحقبة الواقعة ما بين عامى (٢٣-٢٦ من حكم الملك) لم تفصح كثيرا عن أسلوب معيشة وأوجه نشاط أعضاء العائلة الملكية. ولكن، تعددت وكثرت الأدلة البينة عن

الثراء ورغد العيش فى كافة جنبات مصر. بالإضافة قطعا إلى الكنوز الهائلة التى كانت تتراكم، بوجه خاص فى معبد آمون بطيبة[١١]. وهاهما أكثر رؤساء الخزينة الملكية مهارة وكفاءة، يكلفان بجمع الضرائب؛ وأيضا، خلاف ذلك، يقومان بمهمة توزيع أجور ومكافآت عادلة على أعداد هائلة من موظفى المملكة. وهذان الرئيسان المشرفان، خلال حكم رمسيس العظيم، هما: "بانحسى" و"سوتى".

لدينا، على سبيل المثال، الخطاب الذى أرسله "بانحسى" إلى "حورى"، كاهن آمون فى طيبة: لكى يحيطه علما بأحوال الإيجار الزراعى الخاص بممتلكات إلهه، فى "نطاق الدلتا[١٢] فقط لا غير"، بعام ١٢٥٦ قبل الميلاد:

"من الكاتب الملكى ورئيس الخزانة، بمنطقة الشمال، بانحسى؛ إلى كاهن آمون، بمدينة الجنوب، حورى: سلاما!.. هذا الخطاب يفيدك علما بأحوال ممتلكات آمون القائمة تحت مسئوليتى بأراضى الشمال .. وحتى أطراف الدلتا، عند أفرع النهر الثلاثة: النهر الأعظم (الأوسط) ونهر الغرب، ومياه أواريس" (أو "مياه رع"، فى أقصى شرق الدلتا)

أرسل فى رسالتى هذه، القوائم الخاصة بكل فرد يعمل بهذه المناطق، مع الزوجات والأبناء .. لقد وضعت ضرائبهم .. فى العام الرابع والعشرين، فى اليوم الواحد والعشرين من فصل الصيف، إبان حكم جلالة الملك.

لكى أحيط علما الكاهن حورى بخصوص كل فرد، وما يتعلق بعمله. أعلمكم بالآتى:

زُراع: ٨٧٦٠ رجلاً، ينتج كل منهم ٢٠٠ زكيبة شعير. الأبقار: كل رجل يقوم برعى ٥٠٠ رأس منها. رعاة الماعز: ١٣٠٨٠ راع .. المسئولون عن تربية الطيور: ٢٢٤٣٠؛ يعمل كل منهم على رعاية ٣٤٢٣٠ طائر. الصيادون: حصيلتهم تعادل ٣ دبن[١٣] فضى سنويا. الحمارون: ٣٩٢٠ فرد؛ يقوم كل منهم بالإشراف على ٢٨٧٠ من الحيوانات. صائدو الحمير البرية: ١٣٢٢٧، يقوم كل منهم بصيد (حوالى) ٥٥٠ حيوان.

وفقا لما قام به "ك.أ. كيتشن" من حسابات فى هذا المجال، بين أن العائد يوازى: ثلاثة أرباع مليون زكيبة شعير سنويا؛ وحوالى ستة ملايين بقرة؛ وكذلك الأمر بالنسبة للماعز؛ ثم هناك أيضا عدة ملايين من الطيور المقتنصة فى مستنقعات الدلتا. وإلى كل ذلك، يضاف أحد عشر وربع مليون من الحمير؛ وسبعة مليون حمار برى يتم اقتناصها!!.. ومن خلال بعض المقارنة مع بيانات أخرى، يتبين أن هذه الأرقام تتعادل مع إمكانات البلد. ولعلنا لاننسى أن هذه الأرقام تفصح أيضا عن جزء من ثروات معبد آمون: التى يتم، بعد ذلك توزيعها يوميا على أعداد هائلة من الموظفين والمعاونين الملحقين به !.. ويتحتم كذلك، أن يضاف إليها، ما يتم استخراجه من مناجم الذهب، ومصادر الإلكتروم الطبيعى، الذى جلبت كميات ضخمة منه من بلاد "بونت": ولكن، حينئذ، قد تمكن الكيمائيون وخبراء المعادن المصريون من تصنيعه. وكذلك هناك منتجات أجنبية كثيرة، كان الفرعون، بكرمه، يغدقها على خزينة المعبد: من أجل تزيين وزخرفة الأدوات الخاصة بإقامة الشعائر، وترصيع وتكسية المراكب المقدسة، وأبواب المعابد.

## اثنان من أبناء رمسيس

فى حوالى العام الخامس والعشرين، تولى الابن الأكبر لأوسر ماعت رع منصب، "قائد الجيش" ومارس هذه الوظيفة بداية من العام الخامس والعشرين من حكم أبيه، وحتى السنة الخمسين (ما بين ١٢٥٤ و ١٢٢٩ قبل الميلاد). ومع ذلك، نجد أن الحوليات التاريخية لم تمنحه ما يستحقه من اهتمام. ونرى أيضا أن نفس هذا التحفظ والصمت قد أحاط بالأمير "مرى أتوم"؛ وهو السادس عشر بين أبناء الملك؛ أنجبته له نفرتارى. وعلى ما يبدو، أن هذا الأخير، قد سلطت عليه الأضواء، مرة واحدة، خلال العام الثامن: حيث صاحب المشرف الأول، "رمسيس عشا حب سد(١٤)"، فى حملة إلى مناجم الفيروز بسيناء. وحاليا، هاهو قد خلعت عليه مهمة "الكاهن الأكبر لرع فى هليوبوليس". وقد مارس هذه الوظيفة طوالى عشرين عاماً.

## تغيير نائب الملك فى النوبة

فى بداية العام السادس والعشرين، تم تعيين نائب للملك فى النوبة، ليحل مكان المدعو "حقا نخت". ووقع اختيار رمسيس عندئذ، على شخص اسمه "باسر": حيث أوصاه عليه صديقه المفضل آمون إم إنت، ابن أخ هذا الأخير. وتجدر الإشارة إلى أن "باسر"، عمه، "قائد للجيش فى النوبة"، ويدعى "بن نسوت تاوى"، وابنه وخليفته، "نخت مين"، فى واوات وكوش. وكان يجد أنهما بمثابة مقدمى معلومات ممتازان: ولاشك، أن رمسيس كان يرى فى ذلك فائدة قصوى. وهكذا، استمر "المحافظ" الجديد بالنوبة فى وظيفته هذه حتى العام الثامن والثلاثين من الحكم.

## وفاة الزوجة الملكية المعظمة نفرتارى

ها هى محنة جديدة تحيق برمسيس! .. فبعد وفاة أمه الملكة "توى"، بدأ أوسر ماعت رع يشعر بقلق وهم شديد بخصوص أحوال نفرتارى الصحية: أخذت تعانى من ضعف واضمحلال متزايد؛ لدرجة أن "السينوس" (الأطباء[١٥])، ذائعى الصيت، التى انتشرت علومهم إلى ما وراء الحدود، وتوافد الأجانب لاستشارتهم .. لم يفلحوا فى استكشاف دائها، ومعالجتها. وأيضا، عجز عن إنقاذ حياة نفرتارى، "رئيس أطباء بلاط الملكة"، "خاى"، بن "حوى". والجدير بالذكر أن جميع إخوة هذا الأخير كانوا كذلك من أكثر أطباء مصر مهارة وحذقا .. ولم يستطيعوا عمل شىء!!

ها هى "نفرتارى مرى موت" قد أسلمت الروح، خلال العام السادس والعشرين من عهد رمسيس: وكان وقتئذ، فى الحادى والخمسين من عمره. ولاريب أن من توفيتا تعدان من أكثر الناس قربا إلى قلبه. وأصابه فقدان كل منهما، خلال فترة لا تزيد عن ثلاث سنوات. وقد أوضحت له هذه الحقيقة، فى قسوة عاتية: إنه حقيقة، ابن الإله المجسد فوق الأرض؛ ولكنه، مع ذلك، إنسان من لحم ودم .. بشر، يعانى الألم والأسى فى وحدته المهيبة الجليلة، كملك قوى البأس يحظى بعائلة وافرة العدد. وكان الفرعون

يحـرص كثيرا على تفقـد ومراقـبة إعداد المقبرة - الكهف التى خصصت من أجل حـبيبـة قلبه، "تلك التى تشـرق[١٦] الشـمس حبـا لـها"، أمـام بروزات جـبلى "مـحا" و"إبشك"، عندمـا تم تتويجها كـأحد تجليات النجـمـة سـوتيس. وفى مـقدمـة الموكب الجنازى الحـزين، سـارت الناحـبـات الأوائل، وبنات الملكة: "مـريت آمـون"، و"حنوت تاوى"، و"باكت موت"، ونفـرتارى الثـانيـة. وعلم أن نفرتارى سـوف تصل إلى مـجـال النجمة السماوية؛ ولن يحل مكانها أحد مطلقا فوق الأرض. وهكذا، طوال فترة إعداد الموميـاء، وتعبـيرا عن حزنه وأسـاه العميق، جعل رمـسيس لحيـته تسـترسل، ولم يحاول حلاقتها وكذلك فعل أيضـا، أبناء الملكة: "ست حر خبش إف" أكبرهم، و"ست حم ويا" ثامنهم، ثم "سيتى" تاسعـهم، كذلك "مـرى رع" الحـادى عشـر، و"مرى آتوم" الثالث عشر.

## مقـبرة الملكـة

إنها حقا ملكة معظمة متوجة، لاشك فى ذلك مطلقا. ولكن، ها هـى نفرتارى الآن وحيدة منفردة، بدون أى حاشية أو محيطين، تواجه مصيرها؛ بصحبة الأشكال الإلهية المكلفة باستقبالها ومحاكمتها.

## طراز المقـبرة

تطابقت المقبرة - الكهف الخاصة بنفرتارى، بشكل عام، مع تلك المتعلقة بحماتها الملكة - الأم: حيث كانت تأمل، فـى نهاية الأمر، الرقاد على مقربة منها. ومثلما حدث بالنسبـة لـ"توى"، انتـهكت أيضـا وسـرقت مقـبرة نفـرتارى، وسلب أثاثها الجنازى. أما مومياؤها، فقد وقعت ضحية تمزيق وتفسخ من جانب بعض الأفراد قليلى الورع، وهم يبحثون عن الذهب الثمين النادر. وقد اكتشفت هذه المقبرة بفضل البعثة الإيطالية فى أوائل القرن العشرين. وتم حفظ الآثار الضئيلة المتبقية المستخرجة من تحت الحطام،

بمتحف "تورين[١٧]". وحقيقة أن الأثاث الجنازى قد سلب - وكان ذلك متوقعا - وأن ثراء وفخامة محتويات هذه المقبرة لايمكن تصورها أو تخيلها. ومع ذلك، فإن النقوش الباهرة الإبداع فوق الجدران، لم يمسها ضرر أو سوء!!.. فربما كان ذلك بمثابة إحدى معجزات أوسر ماعت رع .. من أجل حبيبة قلبه .. نفرتارى!!.. إن هذه المقبرة، تعد الأجمل والأفضل حفظا ضمن كافة مقابر وادى الملكات. بل تقدم، فوق جدرانها أكثر الرسوم والنقوش روعة وجمالا، على الإطلاق، بتلك الحقبة الغابرة.

أراد رمسيس، أن تحظى مليكته وهى راقدة فى "العالم الآخر"، بنجوم السماء وهى تشرف عليها من عليائها؛ خاصة عندما تطرق "روحها" أبواب مقرها السماوى: وهكذا، عبرت كافة أسقف المقبرة - القبو عن "العالم الآخر"، أو بالتحديد الانتقال نحو الأبدية والخلود. وفى كل مكان، ترى الملكة وقد هبت لاستقبالها أشكال إلهية رشيقة أنيقة؛ تضارع صور ورسوم نفرتارى المتسمة بالعظمة والنبل. ومع ذلك، فإن هذه الأشكال الإلهية الساكنة تماما بدون حراك، بألوانها الصريحة الواضحة، الخالية من أية تدرجات فنية، تتعاكس تماما مع الهيئة البشرية الدنيوية التى تبدت بها صور الملكة. ولعلنا نلاحظ فى هذه اللحظات الخاطفة، أن الرسم والنقش الزخرفى، قد تحول إلى فن حر؛ ومستقل بكل معنى الكلمة. فها هى أيضا الظلال تتراءى فوق جسد الملكة التى تخضبت وجنتاها بلون وردى رقيق. أما شفافية الكتان ذى الثنيات المتعددة (بليسيه)، لثيابها الطويلة البيضاء اللون، فهى تسمح بتراءى جسد بديع التناسق متفجر الصبا. وفى القاعة الأولى بالمقبرة، يمكننا مشاهدتها وهى تدفع بيدها قشاط لعبة "سنت" (= يتعلق بالمرور فى العالم الآخر). ولكن نلاحظ، أن زميلها فى اللعب لايمكن رؤيته أبدا: فإنه يعد، فى "مكان تطهير النفس بعد موتها" هذا، الذى يتحتم عبوره، بمثابة الصعوبات والمحن، والعناصر الضارة، التى تقتضى الضرورة أن تجابهها نفرتارى وتصارعها وتتغلب عليها .. حتى تصل إلى أجواء النعيم والسعادة.

## المنـزل

يتبين أن المنحدر المؤدى إلى الحجرة الجنازية، غير قائم على محور الغرفة الأمامية، كما هو الحال فى مقبرة الملكة "توى". ولكنه، يتخذ اتجاها مائلا. وفوق جدران "المنزل"، تطالعنا ثانيا الملكة الفاتنة الجمال، وهى تقدم قربان نبيذ النشوة الإلهية، أمام أحد التجليات الأنثوية للربة حتحور: التى تتأهب لضمها فى أحضانها؛ ولتعيد ولادتها فى نطاق الحياة الأبدية. وحتى فى مرحلة هذا التبدل النهائى، تتلقى نفرتارى العون والرعاية من أنوبيس، وهو على هيئة كلب أسود اللون. وفى نفس الوقت، يقوم بمهمة مرشدها فى أثناء عبورها لتعاريج أراضى العالم السفلى؛ بل هو أيضا بمثابة مظهر المتوفاة فى حالة تبدلها.

## القبــو

يتكون المستوى الثانى (السفلى) للقبو من قاعة كبيرة ذات أعمدة أربعة: حيث استقر فى وسطها بعد إنزاله التابوت الضخم المصنوع من الجرانيت الوردى اللون. وعند الدخول إلى هذه القاعة، نجد أن الزخرفة الأولى الواضحة على واجهتى العمودين الأولين، تمثل شخصيتين ملكيتين تقومان بأداء الطقوس؛ وترتديان الملابس الكهنوتية. ولكن، تتدلى من رأس كل منهما خصلة الشعر الجانبية المميزة للأمراء الصغار؛ وقد تدثرا بجلد الفهد. إنهما متأهبان الآن لاستقبال المومياء. ولاريب أن هذا الدور الذى يقومان به الآن قد أداه، ابنا نفرتارى الكبيران اللذان كانا مازالا على قيد الحياة فى تلك الحقبة، إنهما "ست حر خبش إف" الأمير وريث العرش، و"مرى آتوم" الكاهن الأكبر لرع فى هليوبوليس.

حالما أقفلت على المومياء الأغطية المتتالية لكل من التوابيت، ثم من بعدها، غطاء التابوت الجرانيتى .. أصبح مصير المتوفاة وقدرها مرتبط بالرموز العملاقة الأربعة الممثلة للوتد "جد"؛ والتى تزين كافة جنبات الأوجه الداخلية للأعمدة الأكثر قربا من التابوت. وأخذ مقدمو الشعائر يصعدون ثانيا إلى الصحن الأول للسلم؛ متجهين نحو

الغرفة الجانبية الوحيدة عند هذا المستوى: فى بدايتها، يتراءى شكلان لنفرتارى، فى هيئة الإله أوزيريس، ببشرته الخضراء اللون كمثل الحبوب النابتة: مرسومان على جانبى هذا الممر. ها هنا إذن "أوزيريس" غير مألوف تماما. فمن خلاله، يمكن استكشاف شخصية الملكة المستترة فى حالة تحولها: بفضل وجود الحزام الضخم الأحمر اللون المصنوع من الكتان؛ الذى يزين كافة أثوابها. ثم بدأ مؤديو الطقوس يعبرون الممر الفسيح، حيث تتبدى ثانيا صور الملكة، فى أبهى وأجمل زينتها؛ و"يقودها من يدها" بعض الآلهة؛ ويتجهون بها نحو قاعة مولدها الجديد .. قطعا، كانت تقوم بإرشادهم الكواكب الخمسة المنقوشة فوق السقف.

## العودة إلى الضياء

لاشك أن هذه القاعة تشير إلى المرحلة الأخيرة للرحلة التى يجب على نفرتارى القيام بها، قبل أن تتحول من الهيئة الأوزيرية إلى الحال الشمسية. وعندئذ، ترى المومياء وهى تقوم بتقديم اللفائف التى كانت تغلف جسدها إلى "بتاح" رب اليوبيلات، والظهور الجديد.

بعد ذلك، تفوز نفرتارى بالهيمنة على "السبع بقرات السمان(١٨)"، والسبعة أعوام الوفيرة الفيضان، المتجددة دائما وأبدا؛ التى مثلت فوق أحد الجدران. وبالتالى، ستسهم الملكة، بسماتها الخيرة هذه، فى إثراء معيشة شعب مصر وازدهارها. وأخيرا، ترى، فى نهاية الأمر صورة غريبة الشأن وغير مألوفة، ورمزية: إنها تمثلها فى شكل مومياء، ذات رأس خضراء كمثل الكبش: توجت بقرص بديع أحمر اللون: إنه رمز الشمس المتوفاة، وهى تعود لمولدها الجديد(١٩). لابد من أن هذا المجاز يشير، فى آن واحد، إلى أوزيريس – الشمس فى حالة سباته، والشمس المقبلة وهى على وشك التكون. فها هنا الترجمة التصويرية لتلك الجملة الشهيرة فى الفصل السابع عشر من "كتاب الموتى": "أما عن أوزيريس، فهو الأمس، وعن رع، فهو الغد".

المرحلة الأخيرة لنفرتارى، فى عالم الموتى المؤقت: إنها تستطيع الآن أن تتجلى من خلال القوة الشمسية، فى فجر أبديتها وخلودها.

### ظهور إيزيس – نفرت

ترى، هل يعتبر هذا الأمر مصادفة، أم وضح عن قصد؟!.. فخلال الفترة الواقعة ما بين العام الرابع والعشرين والثلاثين، ظهرت؛ فى منطقة مصر العليا – لأول مرة – صورة إيزيس نفرت وإيماءات عنها: مصاحبة لأكثر أعضاء عائلتها قربا. وفوق واجهة جرانيتية بمنطقة أسوان، مثل فوق لوحة صخرية، رمسيس واقف أمام "خنوم"، رب الشلال؛ وقد صاحبته زوجته الملكية المعظمة "إيزيس نفرت". وحتى ذاك الحين كانت هذه الأخيرة قابعة فى منطقة الظل والتجاهل. وقد رافقه أيضا "خع إم واست"، ثم "بنت عنات"، ابنته البكرية؛ وكذلك القائد رمسيس، ابنه الأكبر. ويحمل هذا الأمير، فى قائمة أبناء أوسر ماعت رع، الرقم "اثنين". وأخيرا، يرى كذلك، ابنه الثالث عشر؛ ثم فى نهاية الأمر، وريثه على العرش، مرنبتاح[٢٠]. ولا يستبعد أبدا، أن إيزيس نفرت، كانت، قبل هذه الحقبة، تحتل مكان الصدارة فى إطار الزخارف الرسمية على جدران القصر الملكى ومعابد منف وبر رمسيس .. أى بعيدا عن طيبة. عموما، وعلى أية حال، لم تقدم بقايا الآثار، حتى الآن فى حالتها المتدهورة فى إطار العاصمة العظمى أية إشارة عن هذه الملكة.

مع ذلك، ربما بعد وفاة نفرتارى، قد رفع الحظر الذى أحاط بإيزيس نفرت. فبعد فترة ما، سوف نرى مشهدا عائليا آخر مكونا من الملك وإيزيس نفرت وبعض أبنائهما. وكذلك، يشاهد، فى منطقة جبل السلسلة: الفرعون فى أثناء تقديمه قربان "ماعت" إلى الإله "بتاح". وأمامه، مثل الكاهن – سم خع إم واست: ويلاحظ هنا، أن الملك قد اصطحب معه إيزيس نفرت وأيضا بنت عنات. ومن خلال نفس المشهد، بالمستوى السفلى، صور كل من الكاتب الملكى والقائد رمسيس، والابن الثالث عشر مرنبتاح[٢١]. ومع ذلك، فلم تكن هذه المشاهد وفيرة العدد؛ بل على فترات متباعدة.

بالرغم من ذلك، فقد ظل أبناء إيزيس نفرت أوفياء لها، وبصفة خاصة "خع إم واست" الذى أقام لها العديد من النصب والمقابر التذكارية. ففى سقارة، وعلى مقربة من السيرابيوم، عثر مؤخرا[٢٢]، على بعض البقايا المعمارية: التى تجعلنا نعتقد أن هذا المكان قد شاهد أحد النصب التى كرسها "الكاهن الأعظم لبتاح"، خع إم واست، لأمه المبجلة إيزيس نفرت.

## لغز ينتظر حلا

ها نحن نرى إذن، أن هذه الملكة "الغائبة"، بشكل ما، قد عادت ثانيا للظهور بعد موت نفرتارى!!.. ولكن، ليس بعد وفاة الابن الأكبر لهذه الأخيرة!!.. ترى، لماذا حقا هذا الإبعاد؟.. عموما، من الصعب الاقتناع بأن التنافس - المحتمل - بين هاتين الزوجتين الملكيتين، قد أثر على رمسيس إلى هذه الدرجة .. خاصة أن هذا الملك كان يعتبر أن أى اتجاه واختيار عام، وكل من نصبه ومنشآته، كان يجسد قيمة جوهرية لما يريد أن يصرح به ويقوله على الملأ.

ولعل الأحرى بنا أن نتفهم ما يلى: تفصح كافة الأحوال والمظاهر، أن الاهتمام كله، قد ركز على نفرتارى خاصة؛ حتى آخر يوم فى حياتها: فهى التى أنجبت للفرعون أول ابن له .. ولم يكن هذا الاهتمام موجه لهذا الابن الأول نفسه .. فقد كان فى تلك الفترة، مجرد وريث محتمل للعرش. وخلاف ذلك، نستطيع أن نستنبط، من خلال الألقاب التى خلعها الفرعون على أبنائه الأوائل، شيئا من الضبابية والإبهام .. الذى لا يسمح بالتعرف فعلا، وبكل تأكيد، أى منهم هو الوريث المرتقب. ولكن، هناك أمر آخر، مؤكد تماما: لم ينهج رمسيس على نفس منوال أبيه "سيتى": فلم يعين أبدا شريكا له فى السلطة.

على ما يبدو، أن مثل تلك الإجراءات لم تطبق على الزوجتين الملكيتين المعظمتين الأخيرتين؛ وكلاهما، قطعا، ابنتا أوسر ماعت رع. إنهما "بنت عنات" و"مريت آمون":

فهكذا، مثلتا، فى تواز تام، فوق تمثالين عملاقين للملك، عثر عليهما فى معبد هيراكليوبوليس[٢٣]. وإذا افترضنا أن إيزيس نفرت، كانت، خلال تلك الحقبة مازالت فى قيد الحياة، فلاريب أنها قطعا، قد اكتسبت لقب "الملكة الأم".

## كاهن أكبر جديد لآمون

على مر السنين، كان الوزير البارع "باسر" يكتسب المزيد من المهام الضخمة: ما بين مقره الفخم الفاخر فى بر - رمسيس، ومكاتبه فى طيبة. ومع ذلك، فإنه لم يتخل أبدا عن مسئوليته إزاء الجبانات الملكية القائمة على الضفة اليسرى؛ وكذلك، تجاه الفنانين والحرفيين البارعين. وضمن الكثير من الوظائف الأخرى، كان يقوم بمهمة أداء الطقوس الخاصة من أجل تماثيل الفرعون الهائلة الضخامة .. أو بالتحديد: صورة الفرعون الإلهية!

إن أوسر ماعت رع قد قارب الثانية والخمسين من عمره. وحينئذ، كان يفكر مليا فى هذا الأمر، كيف عساه سيقوم بإعفاء هذا الموظف الفائق الوفاء والإخلاص، الذى يكبره بعدة سنوات عن مسئولياته، وقد أصابه الوهن والضعف: ففى الماضى، عند وفاة كاهن آمون الأكبر، "النبى الأول" المدعو "ونن نفر"، والد "آمون إم إبت"، أتيحت الفرصة لترشيح أكثر الوزراء كفاءة وبراعة لمنصب الرئاسة الكهنوتية .. "باسر"! .. وقبل تركه لمهام وظائفه، فى العام السابع والعشرين من الحكم، قام "باسر" ثانية بزيارة كافة الأفراد العاملين بالجبانات الملكية؛ الذين كان يشملهم دائما برعايته[٢٤]. كما أسهم فى آخر احتفالات "عيد الوادى الجميل" (يتعلق هذا العيد بصحوة الموتى). وكان هؤلاء العمال يحيون هذه المناسبة تحت رعايته، فى ثانى أشهر الصيف. وبكل الورع والتعبد، رافق المركب الإلهية خلال موكبها: فى أثناء تجوالها، دخلت بالرمسيوم؛ وتم وضعها فى قاعة الأساطين. كما، استقبلها رمسيس شخصيا؛ فهو المكلف أساسا بتبخير هذه المركب المقدسة الخاصة بآمون المسماة: "أوسر حات"، عند قدومها إلى محطتها فى المعبد اليوبيلى[٢٥].

ثم توجه "باسر" إلى الطريق الذى يؤدى، بداية من غرب الوادى، عند سفح الجبل، عبر سهل قاحل جاف، إلى آخر، هو: "الوادى العظيم". وعند ملتقى سهل ثانوى، وهو "وادى القرود"، الشهير باسم "الوادى الغربى": بجانب الجبل الجيرى، اختار إحدى الصخور التى يتشابه سطحها بالعاج القديم المصقول: وتقع على جانب الطريق. وفوقها، أقام لوحتين، عليهما نقوش بارزة. ومن خلالهما، عمل على تأكيد حماية ورعاية ما بعد الموت، التى توهب لمليكه فى مسكن الأبدية والخلود. فمن ناحية، من خلال دعواته لرمسيس، توجه مبتهلا إلى البقرة المقدسة رمز حتحور، ربة الجبانة، "الجدة العظمى" التى تتلقى هذا الكائن الروحانى فى أحضانها، التى تتماثل بالقبو الذى حفر فى بطن الجبل: وبذلك، تعمل هذه الإلهة على إعداد وتكوين الشمس الجديدة التى تتجسد فى داخلها. أما من الناحية الأخرى، وبهذا المظهر الحتحورى، بدت رأس البقرة وقد اعتلتها ريشتا نعام منحنيتا القمة، وتحيطان بقرص الشمس. وبالناحية الأخرى، نرى "باسر" وهو مازال فى وضع السجود والتهجد، يدعو ويبتهل: متوجها بدعائه وابتهاله إلى نفس البقرة المقدسة. ولكنها، فى هذه الحال ترمز إلى الإلهة حتحور وقد أوشكت على ولادة رمسيس – الشمس، الذى أخذ يشرق فى أفق طيبة. وحينئذ، بدت البقرة، وقد توجت رأسها بالريشتين القائمتين وقرنى سوتيس العاليين(٢٦).

## شئون داخلية: رمسيس يطبق الماعت

استدعت الضرورة، أن يجد "أوسر ماعت رع" من يستطيع أن يرتقى مكانة "باسر" الذى لا يقارن أبدا، والذى شاركه فى وضع دعائم مملكته ورفع بنيانها. ووجد ضالته فى "خاى"، الذى كان قد قلد منصب "وزير الجنوب والشمال". وقد تم ذلك فى بداية الفترة التى أتاح السلام خلالها خارج الحدود والثراء والفخامة بداخل مصر، الفرصة المواتية لتتراءى مظاهر الطمع والجشع فى سلوك بعض كبار الموظفين: المسئولين عن ذخائر وكنوز مكدسة فى أجواء المعابد والمستودعات الملكية. ففى الفترة

الواقعة ما بين العامين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من الحكم، تفجرت فضيحة(٢٧) مدوية فى منطقة غرب طيبة. وقد كشفها الكاتب "حاتى عا" المعروف عنه دقته ونزاهته الفائقة. وكان هذا الأخير، قد عكف، فى تأن وصبر بالغ على كشف خطط وألاعيب زوجة أحد كبار موظفى المملكة: حيث كانت تتردد، بدون أى وجه حق أو داع، على أحد مخازن بعض المحال الملكية الكبرى القائمة على الضفة اليسرى .. وهناك، كانت تقوم "ببعض السرقات".

عندئذ، والحال هكذا، قرر "حاتى عا" الشريف النزيه أن يقوم بإبلاغ هذا الأمر إلى المحكمة المختصة. وقد قال هذا الشخص محددا: "لماذا عساها تتردد دائما على مستودع الفرعون،دون علم المراقبين والمشرفين بذلك"؟!

وقامت المحكمة ببحث واستقصاء ابتدائى. فتبينت، فعلا، أن هذه السيدة كانت، حقا زوجة لأحد كبار المسئولين بالغ الثراء، المهيمن على عدة محال كبرى تتضمن بداخلها ثروات وذخائر خاصة بالعديد من المعابد اليوبيلية (قصور ملايين السنين) بالضفة اليسرى. هنا، بدأت عوامل الشك والريبة تتراءى واضحة. ثم تكشف أن هذا الموظف الكبير، لم يستطع مقاومة الإغراء: فعمل، بصفة منتظمة، على سرقة "كميات" من البضائع منتقاه من الأكداس المكدسة تحت إشرافه!!

كان هذا المسئول الكبير يحظى بثقة "الوزير" الجديد؛ الذى عينه فى منصب "مفتش عام القطعان" بشمال الدلتا، حيث توجد أحسن أنواع المواشى؛ بفضل ثراء المراعى ونمائها الوافر. ولاشك إذن أن مصدر هذه الخيرات المنهمرة كان فائق الجاذبية والجمال. وبالتالى، فبعد رحيل هذا المسئول الكبير: تابعت كل من زوجته وابنته ما كان يرتكبه من اختلاسات وسرقات .. استنادا إلى اسم هذا الذى لم يعد مسئولا عن ذاك الموقع!!

وكان الفرعون، يعمل دائما على توجيه اهتمام بالغ وتيقظ شديد إزاء كل ما يتعلق ببلده مصر. وهكذا، سرعان ما علم بهذا الأمر. فلم يكن فى الإمكان إخفاء مثل

هذا الجرم عنه. وتمت معالجة هذه القضية فى حزم وشدة. وقد رأى الملك، أنه إذا لم يتصرف سريعا، وفى صرامة فائقة أمام مثل هذه الأحداث؛ فلاشك أن الكثير غيرها سوف يقع لا محالة: وتجر فى أعقابها زلزلة النظام وتقلقله فى أجواء مصر(٢٨): أى بمعنى أدق: "الماعت" أو التوازن الذى تكفل به جلالته والذى يداوم، بدون توقف، على تقديمها كقربان للخالق الأعظم. وبذلك، كلف أوسر ماعت رع الأمير ووريث العرش شخصيا المدعو "آمون حر خبش إف" والذى أصبح "ست حر خبش إف" بمصاحبة كبار موظفى المملكة، برئاسة "محكمة القضاء العليا" .. حيث أُستُدعيت السيدة رفيعة القدر .. المتهمة بالاختلاس.

"عندئذ، بدأت المحاكمة: "أعطنا المبرر الذى جعلك تفتحين قاعتين فى محال الممتلكات الملكية، دون أن يحاط "المشرف" علما بذلك؟!.. عندئذ، أجابت المرأة: الأماكن التى دخلت إليها كانت تقع تحت هيمنة زوجى"!، هنا، قال لها القضاة: "كان زوجك قائم فى هذا الموقع من أجل إدارته. والآن، لم يعد يشغل هذه الوظيفة. فقد استدعى لملء منصب آخر: أى تفقد ومراقبة أحوال القطعان فى شمال مصر. لقد اقترفت جرما". وتقرر ذلك قرارا جازما باتا.

وقد كشفت التحقيقات، فيما بعد، أن السرقات التى ارتكبتها المرأتان، وأيضا الرجل، قبل تقلده منصبا أعلى، كانت فائقة الضخامة: ٢٠٠٠٠ زكيبة غلال؛ وعدد من المواشى، منها ٣٠ ثور، و١٠ ماعز، و٣٠ أوزة. وكذلك ٣٠ عربة، بكل مستلزماتها ومعداتها؛ وأيضا ١٣٠٠ سبيكة من معدن النحاس، و٤٢٤ ملابس كتانية، و٤٤٠ نعل جلدى، وعدد من أوعية النبيذ الصافى المتباينة المصدر (ضمنها، قطعا، تلك الأوانى الرشيقة الجميلة الخاصة بحفظ النبيذ الصادر من قبرص).

وإلى هذه المسروقات، أضيفت الكثير غيرها. وبصددها، تم استجواب ذاك المشرف الكبير على قطعان الدلتا، عند مثوله هو الآخر أمام المحكمة:

"إذن، انتبه، لقد بعث الفرعون شخصيا بأحد ضباطه المختصين بالتنقل وشخصين آخرين لإلقاء القبض على زوجتك وابنتك. وتم إحضارهما بواسطة "رئيس

إسطبلات رمسيس الكبرى" قبل موعد اليوبيل: من أجل متابعة وقائع المستند المقدم للفرعون. انظر، إذن، لقد قامت زوجتك بفتح محال المعبد الخاص بتحتمس الأول المتوفى. وسطت على ٢٠٠ كتلة من النحاس، و٣٠٠ لفة من الصوف[٢٩]، و٥ جرار من نبيذ الرمان، و١٠ قارورات مصنوعة من النحاس، و٤ فئوس نحاسية؛ بالإضافة إلى ٣ غلايات مصنوعة من النحاس. وقامت بوضعها في داخل محلها الخاص!! .. واستتباعا لذلك، تم اعتقالها، ولن تعرف بعد ذلك طعم الحرية .."

على ما يبدو، أن سوء النية، والوقاحة كانت من سمات هذا الرجل. فها هو عند مواجهته بهذه الجرائم البينة التي لا جدال فيها مطلقا، ينفيها بصفاقة وتبجح. من خلال هجوم مضاد، يستحق حقا أن يجد له مكانا بالحوليات المتعلقة بعصرنا الحالي! ولم يتردد أبدا في حلف اليمين أمام القضاة والمحلفين، مقحما في هذا الجرم الحراس أنفسهم: حيث ألصق بهم تهمة السرقات التي اتهم به هو شخصيا. ثم جاهر على الملأ ببراءته: "أقسم "بحق الإله" أمام القضاة". وقال: "إذا عثر على أي شيء بمخازن أبي، خلال فترة الإعداد للاحتفالات[٣٠]، فإنني أتكفل بتسديد ضعفيه!.. وإذا تم إثبات أن أي مفقودات توجد في حوزتي، فليتم إذن، اليوم، إحضار هذه المسروقات إلى القاعات الكبرى الأربع (ساحة القضاء).

إنهم حرس ممتلكات الفرعون، وكلهم متشابهون، هم الذين سطوا على هذه الممتلكات!.. وسوف أذهب للتحدث بصددهم أمام الفرعون - سيدي الرؤوف الخير!! في لحظة تجليه في العيد اليوبيلي؛ خاصة أنهم وجهوا إليَّ الاتهام، من قبل، في السنة الماضية".

"عندئذ، تولى القضاة أمر هذا التصريح؛ وأخذوا يستجوبون الحراس أيضا، من جانبهم".

لسوء الحظ أن بقية الأحداث لم تصل إلى علمنا. ولكن، من المحتمل أن القضية قد تمت بشكل عاجل. فقد حرص الفرعون، بصفته الشخصية، على أن يردع، بكل قوة، وبأسرع[٣١] وقت ممكن، فساد الإدارة بإحدى المؤسسات الرئيسية في بلده.

وقطعا، تم اعتقال الكثير من الأشخاص. فليس من السهل، إخفاء، مثل هذه الأشياء، بدون وجود بعض المتواطئين أو الشهود: عربات ضخمة، كمية كبيرة من زكائب الغلال، و١٣٠٠ كتلة نحاسية، وعدد من الثيران، إلخ، إلخ. وتبين أن عدد المعتقلين، وفداحة الجرم، لم ينحصر فى مجرد الأفراد الثلاثة المعنيين بالعائلة المشار إليها.

## شئون خارجية: بداية صداقة

من المؤكد أن الاتفاقية التى وقعت مع "خاتى"، قد أضفت على مصر شيئا من الاستقرار الداخلى، والأمن البالغ على مستوى علاقاتها بالبلاد الأجنبية: وهذا، فعلا، ما كان يشرئب إلى تحقيقه رمسيس بكل حمية وحماس. فقد تيقنت هذه الدول النائية، أن مهاجمتها لمصر قد تشكل عائقًا وخطراً مؤكداً: فسوف يجر ذلك فى أعقابه رد فعل من جانب "خاتى"، الحريصة كل الحرص على احترام المعاهدة والتمسك بتعهدها. ترى، هل ساد بين هاتين المملكتين نوع من الانسجام والتوافق النموذجى؟!.. ربما أن الأمر كاد أن يكون كذلك فى عشية عقد الاتفاقية. فها هى تتراءى، بداية، التبادلات المتعددة ما بين مصر وخاتى، على المستوى التجارى. بعد ذلك، وبفضل مثل هذه الاتصالات الابتدائية، سارع الحيثيون إلى الالتجاء لعلوم المصريين، فى المجالات التى تفوقوا فيها عليهم. ولاشك أن أطباء وصيادلة، ضفاف وادى النيل بكل ما يحوزونه من نباتات طبية لا أول لها ولا آخر؛ هم الذين تألقوا كثيرا فى نطاق "خاتى". وكذلك، فلم تستطيع أى بلد من بلاد العالم أن يضارع ما تنتجه مصر من نسيج كتانى فائق الشفافية. وأيضا، لم يصل أى صائغ مجوهرات إلى مستوى براعة وكفاءة الصائغين المصريين: بما ينتجونه من مصوغات فائقة التناغم والتناسق والأناقة.

ومع ذلك، فلم تكن مصر تملك سوى قدرا ضئيلا من مناجم الحديد. وفى الحين ذاته، كان إقليم كيزووادنا مسقط رأس الملكة بودوخيبا، يضم فى جنباته صناعات حديدية وافرة الثراء. وقد اعتبر هذا المعدن من أهم الضرورات بالنسبة للفرعون، من

أجل تحديث وتطوير جيشه: حيث كانت الضرورة وتوخى الحذر تقتضى إمداد الفرقة المحاربة بسيوف ورماح فائقة المتانة، وخوذات، ودروع (صدرية)، كفيلة بمجابهة وصد أسلحة جحافل العشائر الغزاة القادمين من ناحية البحر: حيث اعتبرت "خاتى" وقتئذ، بمثابة السد المنيع ضدهم. واستدعى الأمر أيضا، أن تبقى "آشور" على يقين دائم بقوة الفرعون ومقدرته.

فيما يتعلق بموقف هذين المتنازعين السابقين، نجد أن الوثائق المتبقية حتى يومنا هذا، تبين: أن أوسر ماعت رع؛ لم يستطع أبدا التخلى عن التعالى والتكبر الذى كان يتسم به فى معاملته لمالك الشرق الأدنى ضئيلة الشأن. ولكن، كان عليه أن يعرف أن شريكه الجديد: من فئة النبلاء الحكماء، وأنه لا ضرورة مطلقا للتعاظم وشدة الخيلاء تجاهه. والآن، لم يعد هناك بجواره لتلطيف حدة غروره وتعاظمه المتأصل؛ أو بالأحرى: "الفرملة" المفيدة، المتمثلة دائما من خلال أمه الملكة؛ أو الوجود الرقيق الحانى من جانب نفرتارى .. التى كانت تجيد كبح جماح وتهدئة انفعالاته وثوراته. ومن جانبهما أيضا، كان يتحتم على "هاتوسيل" – وكذلك زوجته بودوخيبا – أن يجيدا ويعرفا كيفية الاقتراب والتعامل مع هذا الفرعون الجامح المتوقد العنفوان. بل أن يبينا له، أحيانا، بكل حزم وصرامه، ضرورة وجدوى الاعتدال الذى يجب أن يتوخاه فى علاقته معهما!

ولاريب أن اللهجة التى اتسمت بها بعض المراسلات، المتضمنة "بالبريد" (إذا جاز التعبير) المتبادلة بين الملكين، تعبر عن رغبة هاتوسيل فى توخى الدقة من جانب الفرعون: وهنا، نلاحظ أن هذا الأخير، يرد عليه من خلال بعض المديح والإطراء، والإقرار[٣٢] بعدم اتباعه الصواب اللازم. فلاشك أنه يفعل ذلك لمواراة وستر أخطائه. فإنه، على ما يبدو، كان يخشى تعكير صفة التفاهم والوئام القائم بينهما. وها هو إذن مثال، يقدمه رمسيس نفسه:

"علمت الآن، ما كتبه إلىّ "أخى" قائلا: "لماذا عساك تكتب إلى، يا أخى، وكأننى لا أعدو أن أكون سوى أحد رعاياك؟!" .. حقا، إنك تهيننى، يا أخى، عندما تكتب لى

قائلا: وكأننى لا أعدو أن أكون سوى أحد رعاياك". لتعرف أنك قمت بإنجازات عظمى فى كافة الأراضى. فأنت حقا الملك الجليل فى جنبات "خاتى"!!.. إن رب الشمس وإله الإعصار قد منحاك حق اعتلاء عرش جدك.

لماذا عساى أكتب لك، من ناحيتى، وكأنك أحد الرعايا؟!.. فلتذكر إذن أننى أخوك، ويتحتم عليك التحدث بعبارات تفيض دفئا وحرارة!!.. هكذا: "فلتمتع بالصحة والعافية فى كل يوم"!!.. ولكنك، بدلا عن ذلك، تنطق بعبارات لا ترو فيها ولا عقل، غير لائقة بأى رسائل(٣٣)".

من خلال كافة هذه الرسائل المتبادلة، يتبدى تباين واختلاف فائق فيما يتعلق بأخلاق كل من الملكين: أى هذا الحكيم المتزن، الصبور، المسالم "هاتوسيل"، ثم ذاك الثائر الصاخب المشاكس، بل المتصوف الورع الحصيف أيضا، رمسيس!!.. ومع ذلك، فبمرور الزمن، واكتساب الخبرة المشتركة، عرف الاثنان كيف يبدوان فى أكمل وفاق وتفاهم، ويجنحان معا نحو السلام.

# الفصل الرابع عشر

# يوبيـــلات ومعجـــــزات

## اليوبيل الأول فى العام الثلاثين

فى العام التاسع والعشرين من الحكم ، كانت مصر قاطبة تتأهب للاحتفال بالفرعون، الذى كان قد ناهز السادسة والخمسين من عمره. ووقتئذ، لم تكن قد تراءت على الفرعون أية أعراض تحتم تنشيط وإنعاش قواه الجسدية. ولكن، كانت الضرورة تقتضى إحياء مناسبة "العيد، سد" الكبير، احتفالا بمرور ثلاثين عامًا على حكمه لمصر. وربما أن الوصول إلى تلك المرحلة لم يحظ به كافة الملوك الفراعنة. ومع ذلك، يلاحظ أن البعض منهم، لدواعى ومبررات مازالت غامضة ومبهمة حتى الآن، قد احتفلوا بهذه المناسبة (عيد سد) الموغلة فى القدم، قبل انقضاء المدة المقررة لها . ونرى أيضا أن طقوسها التى ترجع لحقبة ما قبل التاريخ الغابرة اللازمة أساسا لإضفاء الانتعاش والقوة على الملك الحاكم الذى أصابه الوهن والضعف بفعل الزمن، سرعان ما أضيفت إليها مبررات وأسباب أخرى. وحقيقة، أن أعياد الاحتفال "بالعام الجديد"، كانت ما تزال تعمل كل عام، على دعم الإرث الذى أضفته على الفرعون الذات الإلهية: التى تقوى وتساند سلطته الملكية.

ها هو إذن قد أزف موعد هذا الاحتفال الثلاثينى الضخم. إنه يتكرر، بعد ذلك كل ثلاث سنوات. وحينئذ، يتحتم على الفرعون، فى أثناء الاختبارات اللازمة، أن يمر بمرحلة الاندماج والالتحام الكلى مع إله الحياة (أى: أوزيريس): حتى يستطيع أن يبوأ ملكا على عرش الأحياء(١).

مثلما هو الحال فما يتعلق بكافة الشعائر المتصلة بطقوس سرية، نجد أن الوثائق المفسرة لها تتضمن إيماءات وتعبيرات يصعب فهمها أو استيعابها. ولذلك، فإن محاولة تصور وإعادة تمثيل ذاك العيد، تبدو، حتى يومنا هذا، أمراً مستحيلا !!.. إذن، علينا، والحال هكذا الاكتفاء بتحليل بعض المشاهد والأوصاف التى استطاعت أن تخترق جدار الصمت الذى التزمه الكهنة: ومن خلالها، لا يمكن أن نلمح سوى انعكاس باهت معتم لتلك الطقوس. وضمن أفضل وأحسن الإيماءات عن تلك الشعائر والأسرار، تلك التى بقيت منقوشة فوق جدار كامل بمقبرة المدعو "خرو إف"، أحد معاصرى أمنحتب الثالث[٢] (الأسرة الثامنة عشرة). بعد ذلك، إبان عهد أوسركون الثانى (الأسرة الثانية والعشرون)، فى القرن التاسع قبل الميلاد، أفصح معبد تل بسطة[٣]، عن بعض المشاهد المصورة المتشابهة لتلك التى مثلت فوق جدران مقبرة "خرو إف". قطعا، يتيح ذلك تصور وتخيل بعض المراحل الأساسية التى استمرت ممارستها على مدى القرون الخمسة .. حيث كانت تقام الأعياد "سد" المتطابقة بنظيرتها الخاصة برمسيس الثانى.

ومن أجل هذه المراسم، كرس أوسر ماعت رع، فى بر رمسيس، قاعة كبرى فخمة النقوش. وربما، أن بعض النقوش البارزة التى تزين المقصورات المجاورة قد تناولت العرض العام لتلك الأسرار. ولكن، لسوء الحظ أننا لم نعثر عليها حتى يومنا هذا. على أية حال، فقد عرفنا أن المراسم والاحتفالات كانت تجهز وتعد قبل موعدها بعام كامل. بل وتستمر على مدى دورة كاملة من دورات النيل. كما يتبين أن هذا اليوبيل (العيد سد) كان يتم "إعلانه" رسميا بواسطة السلطات الكهنوتية العليا فى مصر، الخبيرة بمثل هذه المراسم الخاصة؛ وكذلك، الأمر، من جانب رئيس الوزراء. وبذا، نرى أن الأمير "خع إم واست"، "كبير كهنة بتاح"، رب اليوبيلات، و"خاى" رئيس الوزراء الجديد، هما اللذان هبا لإعلان هذا الحدث. وعادة كانت كافة أنحاء المملكة تسهم به. وحقيقة أن المراسم الدينية الأساسية كانت تؤدى من أجل أوسر ماعت رع فى "بر رمسيس" ثم فى منف؛ ولكنها كانت تقام أيضا حتى أراضى النوبة، بمعابد أبو سمبل وأكشا.

لاشك إذن، أن "استثمار المعجزة" قد أحاط بحياة رمسيس إحاطة واضحة. وقد عرف الفرعون كيف يستغل هذا الأمر استغلالا كبيرا. بل وتراءت هذه الظاهرة أيضا في مناسبة هذا العيد الثلاثيني: فها هي "سنة تفيض بخيرات بقرات سمان(٤)". فهذا ما دونه أحد الكتبة في مفكرته.

"ها هو فيضان هائل ينهمر عند أول يوبيل لرمسيس مري آمون، الذي جاء "بالذراع" (أي السادس عشر في مقياس منسوب مياه النهر). ولم تعد أي جسور قادرة على مقاومته. وتراجعت الشواطئ حتى سفح الجبل وهي متخمة بالأسماك والقنائص".

## مشاهد في بر رمسيس

بصفة عامة، يتضح أن حتحور، "الربة العظمى"، التي يتحتم على كل مرشح للإنعاش والتجدد أن يمر عبر أحضانها، كانت تلعب دورا أساسيا بجوار رمسيس؛ وكذلك الأمر أيضا بجانب زوجته الجميلة الفاتنة. في ذاك الحين، كانت نفرتاري قد توفيت. وبالتالي، أخذ هذا السؤال يلح على الأذهان: ترى، هل لزم أن تقوم إيزيس نفرت، والدة خع إم واست، المنظم الأعلى لاحتفالات اليوبيل، بدور "حتحور" بجوار الفرعون؟! .. وهل عساها "بنت عنات" قد حظيت، من ناحيتها، هي الأخرى، بدور الإلهة سوتيس؟! .. أو ربما أن الزوجتين المعظمتين الثانويتين، "بنت عنات" و"مريت آمون"، قد تمثلتا بهاتين الربتين للمثول على جانبي "جلالته"، وهو جالس فوق عرشه مستهلا الاحتفالات الكبرى؟!

ها هو رمسيس يتجلى على باب قصره. وضمن أفراد حاشيته رفيعة القدر المكونة من علية القوم ووجهائهم، يرى أيضا أعضاء طاقم المركب: فإن الضرورة تقتضي أن تؤدي بعض المراسم فوق مياه البحيرة الملكية، خلال الليل خاصة. وبداية، تم توزيع عدة مكافآت ومنح: إنها ذات مضمون رمزي محدد: ومنها أشكال تمثل

طيور البط، وأسماكًا مصنوعة من الذهب والفضة؛ بالإضافة أيضا إلى شرائط خضراء اللون. وبدا كل فرد واقفا فى مكانه الشعائرى المحدد: حيث تناول الجميع إفطارا ملكيا سريعا. ويلاحظ أن البعض قد كلفوا بأعمال جر وسحب مراكب المساء والصباح، لتوصيلها عند درجات عرش الفرعون. والآن، حان دور سكب قربان اللبن الشعائرى أمام السرادق الملكى: "حتى تمتد وتطول حياة الملك": وعادة، تقوم بهذا العمل بنات "منتيو"؛ وهن على ما يبدو، بنات الأمراء البدو أو الآسيويين: وهاهن يمسكن بأيديهن أوانٍ ذهبية وأباريق من الإلكتروم.

بعدئذ، أخذ الراقصون والموسيقيون يؤدون استعراضا إيقاعيا، يتخلله بعض التمثيل الصامت "الأكروباتى" الراقص. وصدحت الأجواء بالأغانى فى "ذاك اليوم الذى يتحتم فيه تمجيد وتعظيم ما يجب أن يمجد ويعظم". وأخذت المغنيات والموسيقيات يشدون بترانيم للربة حتحور:

"هيا أقدمى سأقيم من أجلك الأفراح عند الغسق؛ وأعزف لك الموسيقى مساء!!.. أيا حتحور لقد مجدت وعظمت فى شعر رع(٥)، لأن السماء قد وهبتك الليل الحالك السواد والنجوم. إن عظمة جلالتها تتألق فى لحظات هدوئها!! .. فلنتعبد فى "الذهبية" عندما تضىء فى السماء .. أيا جلالتك، أقبلى!.. وأضفى حمايتك على الفرعون .. متعيه دائما بالعافية والصحة بالناحية اليسرى من السماء!!.. حتى ينعم بالسعادة، والازدهار، وصحة جيدة عند الأفق".

يرى الملك، مصطحبا الملكة، عند خروجه من القصر، إنه يرتدى الثوب القصير الخاص باليوبيل؛ الذى يكشف عن ركبتيه. بعد إتمام مراسم "ربط مركب الليل"، يسهم الفرعون فى الموكب الذى ينساب فوق صفحة المياه: إنه بمثابة أسطول نهرى طقسى فعلى. عندئذ، دخلت أميرات العائلة المالكة؛ إنهن "بنات الملك المحببات إلى قلبه". وهاهن يعزفن بالصلاصل بصحبة مغنيات آمون. وقد تجمعن معا كممثل بنات "منتيو". وبدت الصلاصل التى يمسكنها وقد اعتلتها صورة تمثل باب معبد: كرمز أكثر تعبيرا من الكلام عن الخروج فى ختام الطقوس .. أو بالأحرى المرور إلى حال ومرحلة جديدة(٦).

بدا جميع المؤدين للشعائر وقد صاحبوا الزوجين الملكيين عند استقرارهما فوق مركب الليل. ولاشك أن ذلك يمثل بداية الرحلة الرمزية؛ أو بالتحديد قيام موكب نهرى فى نفس لحظة وصول "النيل العظيم": أى الفيضان (حابى - عا). وتم نقل أرباب اليوبيل إلى المركب وعند بزوغ الفجر، أجريت، فوق مركب الشمس، مراسم "فتح الفم[٧]". وصاحب ذلك تقديم القرابين المكونة من مواشى كبيرة وأخرى صغيرة.

## الطقوس الأساسية فى منف

على ما يبدو، أن أحد المراحل النهائية فى إطار أسرار الاحتفال اليوبيلى الهائل، كان يعتمد، بالنسبة للفرعون، على "نصب العمود، جد": إنه يرمز للإله أوزيريس فى لحظة بعثه. قطعا، كان هذا المشهد يتم بغرب منطقة الجيزة، بداخل الشتيت (أو شتايت) الخاص بالإله سوكر[٨]. فيرى رمسيس، وقد تبعته الزوجة الملكية المعظمة والأميرات، والكاهن - ستم الذى تكتنفه سمات الغموض، ثم "الرئيس الأعلى لدار الحرفيين". إن الملك يتأهب للقيام بنفسه، فى لحظة بزوغ الفجر، لنصب العمود - جد: الممثل للكا (أى القوى المستترة التناسلية). وهنا، تقدم له الأميرات الأدوات المقدسة، المتعلقة بالتجدد والإنعاش بفضل فعالية حتحور الجميلة[٩]:

"أيتها "الكا"، ها هى الصلاصل المجلجلة من أجل وجهك العذب؛ و"العقد منات"، ثم الصلاصل - الباب عندما تقومين. ويا أيها "العمود - جد" المعظم، أوزيريس - سوكر، رب شتيت، والعمود - جد الخاص بأوزيريس، العظيم القائم فى شتيت".

يلاحظ الآن أن الأغانى التى تترنم بها مجموعة رجال الكورس، قد أضفت إيقاعا منتظما على الخطوات الطقسية التى يؤديها الراقصون. وفى الحين ذاته، كان رمسيس يمسك فى يده بعدة حبال ربطت نهايتها بعمود - جد هائل: وهو الآن؛ يقوم، تدريجيا برفع ذاك الرمز المعبر عن الدورة التى تتم بالجهات الأصلية الأربع، فى إطار الكون المنظم. وهنا .. فتحت الأبواب المزدوجة بالعالم السفلى من أجل أوزيريس سوكر.

والآن تتعالى الأصوات ثانيا: "فى الحين ذاته، عندما انتعش رع فى السماء، تجلى آتوم عظيما متألقا، وهو يحييه. ها أنت قد التحمت بالكون، كمثل قرص الشمس فى عنان السماء".

إن هذا الشكل الممثل للعمود – جد الجليل، هذا "الكا" القائم بـ"بيت سوكر"، يجسد أيضا "بتاح – سوكر"، المندمج بالفرعون الذى تجددت وانتعشت رجولته وحيويته. ها قد تلاشت إذن شيخوخة الظلمات، ليحل مكانها الضياء المبهر الوضاء. ونرى حينئذ، بعض الرجال وقد تسلحوا بأغصان بردى ضخمة الحجم (إنهم يمثلون نظراءهم الذين كانوا يؤدون الطقوس الموغلة فى القدم بمدينتى "دب" و"بى"). وعليهم الآن، فى لحظة رفع العمود – جد الرمزى من فوق الأرض أن يصالبوا ما بين أسلحتهم هذه المستعملة عادة فى نطاق المستنقعات: إنهم يمثلون بذلك معركة الصراع ضد القوى المعادية. إن الضرورة تحتم أن تتسم ضرباتهم بالقوة والعنف! .. وفى نهاية الأمر، يسود النظام والاستقرار ويتم إعلان ما يلى: "لقد تجلى حورس حقيقة وأحرز النصر".

عندئذ، يتحتم، أن تقدم مرة أخرى بعض الأغذية والمأكولات إلى "الأرباب الأوائل"، وهم قائمون فى مراكبهم. وفى الحين ذاته، كانت تتم ممارسة أخيرة إبان الطقوس الخاصة بنصب الـ"جد": حيث يقوم صف من الثيران الضخمة وقطيع من الحمير، يقوده أحد مؤدى الطقوس، لكى يلف أربع مرات، حول جدران الشتت التى تضم ذاك الرمز "جد".

والآن، يرى العمود – جد، وقد اكتسب عينين ثبتتا فوق قمة الألواح الأربعة المعتلية لجذعه. ثم توج أيضا بقرص الشمس وبالريشتين الأوزيريتين. وعليه أن يقيم منذ هذا الحين فصاعدا، بداخل "بيت سوكر"، الكفيل بنجاح المراسم. بل وتقتضى الضرورة دائما وأبدا تكريمه وتبجيله بواسطة القرابين والعناية والرعاية، حتى موعد اليوبيل التالى:

"أيا أوزيريس فى "بيت سوكر .. أيا "ونن نفر"، ابن نوت، الذى يصحو بدون إصابته بأية جروح فى بيته بالعالم السفلى.

## الملك والأمهات الأوائل

يتبين الآن أن القربان الرمزى النهائي الذى قدم، على ما يبدو للزوجين الملكيين، كان بمثابة خاتمة المراسم فى بر رمسيس. وربما أن هذه الشعيرة، قد قام بأدائها كذلك خع إم واست شخصيا تكريسا لأبيه بالمعبد الكبير الخاص بـ"بتاح" فى منف. ونجد أن هذا النصب كان يتضمن أيضا مبنى يوبيلى؛ كما أن قاعة الأساطين تتماثل بتلك القائمة فى "معبد ملايين السنين" بالرمسيوم. وخلال هذه الشعيرة النهائية، بدا "أوسر ماعت رع" جالسا بجوار زوجته الملكية المعظمة تحت السرادق المزدوج الخاص بالبعث الجديد: ذى الأساطين الصغيرة المتوجة بثلاث قمم زهرية النمط. فإن البردى والسوسن يشيران إلى الموقع المائى حيث وجدت النطفة الإلهية، وقد أحيطت هكذا بـ"الوالدتين البدئيتين(١٠)"، ثم أخذت تتشكل وتتكون. وأخيرا، من قلب السوسن، انبثق اللوتس، معبرا عن خلق كافة مظاهر الحياة(١١).

تجلى تمجيد وتكريم الملك من خلال ما قدم له من مصوغات رمزية؛ وأهمها كأس فى هيئة برعم يومئ إلى اللوتس المتفتح؛ وعن مقبضيه الجانبين، فقد صيغتا فى شكل رءوس العنز البرى. وفى قمة هذه التحفة، مثل مشهد غير متوقع، ذو سمات رعوية واضحة: فى وسطه شكل دقيق الحجم لرمسيس قائم أمام دغل من زهور "السوسن" والبردى. فها هو أوسر ماعت رع، يضم، بإحدى يديه، فوق صدره ثلاثة أفرع من البردى؛ وبالأخرى، يمسك، أمامه، ثلاثة أفرع أخرى من "الزنبق". قطعا، إن هذا التكوين المبتكر المستحدث للغاية، هو بمثابة إيحاء شاعرى لبحيرة المياه الأولية. كما أن "الزخارف" برمتها، تتطابق فى واقع الأمر مع المشهد المنقوش بالداخل: إنه يصور بعث الوليد الشمسى الملكى ومولده الحديث فى حياته الدنيوية الجديدة .. حالما تختتم الطقوس اليوبيلية.

تشير كل تلك الأسرار، حيث يتمثل المجال المائى بكل وضوح وجلاء بواسطة مركب الليل فحسب، إلى الوجود الكلى للربة حتحور، أو بالأحرى: "الرحم العالمى"، ودورها الأساسى خلال مراسم اليوبيل الملكى. ويلاحظ أن كافة أفراد شعب مصر كانوا يشاركون فى بعض المراحل العامة لتلك الطقوس. وفى الحين ذاته، بقلب العاصمة بى رمسيس، ترى مندوبات البلاد الحليفة الموالية لمصر، ومنهن بنات "منتيو" ومختلف الأقاليم؛ بل تشاهد أيضا العديد من راقصات الواحات: وجميعهن كن يشاركن فى أداء تلك المراسم السرية الغامضة.

## رمسيس وحيويته الجديدة

إن مظاهر الصبا والشباب بعد أن قويت ودعمت، تسرى ثانيا، وبصفة مؤقتة، فى شرايين رمسيس الثانى. إنها قطعا، سوف تعمل على حث ودفع سمة الإعجاز الخارقة للطبيعة فى حياته!!.. وفى ذاك الحين، كان السلام يسود فى منطقة الشرق الأدنى، كما تراعت الاتفاقية بين الدولتين العظميتين فائقة الفعالية. ومع ذلك، كان رمسيس بعليائه وسطوته، يهدف إلى ما هو أكثر. بل لقد بدأ يحلم بإقامة علاقة تزيده قربا وارتباطا من العائلة الملكية الحيثية؛ وبالتالى، يضاعف من سيادته وهيبته. ومع ذلك، نجد أن وريثة هاتوسيل وبودوخيبا، لا يجب مقارنتها بهؤلاء الأميرات ضئيلات الشأن بمنطقة الشرق الأدنى: اللاتى تملأهن الخيلاء والتباهى لمجرد إدماجهن بحريم الفرعون .. كدليل على خضوعهن وموالاتهم له. ولكن "هاتوسيل" المتسم بالخيلاء وعلو القدر، لم يقترح أبدا على أوسر ماعت رع مثل هذه المقايضة أو المبايعة!! ..

كذلك، حرص أوسر ماعت رع، بصفة دائمة على الإلمام بتقدم سير الأعمال الخاصة بإعداد مقابر تحت سطح الأرض: حيث كان قد أمر باستمرار أوجه النشاط بها، بداية من العام التاسع من عهده، بمنطقة وادى الملوك. وهكذا، قرر إجراء الحفر فى مواجهة مدخل قبره السفلى، لأماكن شاسعة المدى تحت سطح الأرض. إنها

بمثابة مقابر – تذكارية، كرست، بكل ما تتضمنه من حجرات صغيرة، لأبنائه، وأحفاده المقبلين .. المتوقع إنجابهم!!.. ويرى، فى أعماق الممر الأول الضخم، فوق الجدار، تمثال محفور فى نفس الصخر الجبلى، يمثل أوزيريس واقفا.. إنه رب هذه المواقع[١٢]. وعلى ما يبدو، أن الملك قد أزمع، نصب تمثال مشابه، فى أعمق أعماق مقبرته الخاصة: بإحدى القاعات السرية المجاورة لـ"غرفة الذهب" .. حيث ينتظره تابوته المرمرى البديع الصنع .. موعد استقبال موميائه الملكية.

كعادته دائما، كان الفرعون يرغب دائما فى الإلمام بكافة التفاصيل المتعلقة بأوجه النشاط بكافة أنحاء مملكته .. حتى إذا كان الأمر يتعلق بمكافئة العمال والحرفيين القائمين بالعمل فى الجبانات الملكية. وبذا، نجد، أنه قد تلقى، عند اقتراب موعد عامه اليوبيلى (٣٠-٣١)، رسالة من "رئيس الخزائن" المدعو "سوتى"، وهو أيضا كاتبه الملكى، يعلمه من خلالها، بواسطة "الوزير الأعلى" "خاى": عن نوع وكمية الغذاء المقدم لـ"عمال المقبرة"، على مدى العام كله[١٣].

## محا .. تصاب بهزة أرضية

فى حوالى العام الحادى والثلاثين من الحكم، أحيط "جلالته" علما بوقوع بعض الهزات الأرضية فى منطقة طيبة. بعد وقت وجيز، سارع كل من الوزير "خاى"، ثم نائب الملك فى النوبة "باسر"، بإخبار جلالته، فى تأثر وأسف واضح، أن معبده المفضل، أى الكهف العظيم بأبو سمبل، قد لحقه ضرر بالغ من جراء ذلك الزلزال. هنا، توجه أوسر ماعت رع مباشرة نحو الجنوب، لكى يلم بنفسه بمدى فداحة الخسائر. وهناك، بجوار باب الدخول، تبين الفرعون شدة وعنف إصابة التمثال العملاق القائم يسارا. فها هما جذعه ورأسه قد وقعا أرضا، وتحطما تماما!! .. وخلاف ذلك، تبين أن الذراع الأيمن للعملاق الأول الواقف شمالا، كان من المتوقع سقوطه بين لحظة وأخرى!.. أما فى داخل القاعة – الفناء، فقد أصيب العمود

الأوزيرى الثانى القائم شمالا، بتفسخ وشروخ عميقة. وعن العمودين الجنوبيين، فكانا على وشك الانهيار تماما(١٤)!!..

هكذا، سارع الملك فورا بإصدار أوامره إلى "نائب الملك" باسر، المسئول الأول عن الأعمال والأشغال، بنصب السقالات بداخل القاعة - الفناء(١٥). وبأقصى ما يمكن من جهد ودقة، تم إصلاح الأضرار؛ خاصة، فيما يتعلق بالعمود الثانى الأوزيرى الشمالى؛ وكذلك، بالمكان القائم ما بين العمودين الجنوبيين. ولمزيد من الحرص والحذر، ولدعم وتقوية متانتهما، أقيم جدار لسندهما من كتل الحجر الرملى. وقد لوحظ أن أكثر الأضرار فداحة وعنفا، هى التى أصابت التمثال هائل الضخامة الجالس فى واجهة المعبد .. لقد انهار جزء منه انهيارا تاما!! ومما يؤسف له أن الطبيعة الترابية التى يتسم بها الحجر الرملى، لا تسمح مطلقا بإعادة تثبيت أو إكمال الجزء الأعلى من هذا التمثال المعبر عن وظيفة الملك المؤله .. ولذلك .. ترك وشأنه، فى نفس مكان سقوطه!!

أمام الضرر البالغ الذى لحق بتناسق وتناغم هذه الواجهة المهيبة الفخمة الفريدة من نوعها، أخذ رمسيس يسترجع فى خاطره المشاهد المجيدة الرائعة التى كانت تزينها من قبل. لابد من أن هذه الإصابة التى صويت للجبل تحوى فى مضمونها معنى محدداً : ترى، هل يعبر ذلك عن ثورة الإله "ست" وغضبه؟! .. فهو رب التقلبات والنكبات الكونية .. وماذا عساه يعنى برسالته هذه ؟.. عموما، ومهما كان الأمر، فإن الضرورة تحتم سرعة تأويل هذا الذى حدث .. بل وإيجاد إجابة تعود عليه بالنفع .. لا، قطعا، ليس "ست" هو المسئول عما وقع!!.. لقد اهتزت الأرض، وعملت تلك الهزات الأرضية على إصابة مدخل الكهف .. فلا يستبعد أبدا أن من تسبب فى ذلك، هو "بتاح"، رب اليوبيلات، متمثلا فى هيئة "تا - تنن": أى: "الأرض التى تثور"!!.. ولذلك، سارع الفرعون إلى تكريس ما يلى: ابتهالات مسهبة إلى إله "منف"؛ بالإضافة إلى ترانيم التمجيد والتبجيل الخاصة. وكذلك، أقر الملك بأن هذه الكارثة تنبئ عن أمور

وأحداث طيبة مقبلة. كما تقرر أن يغطى هذا النص جدار التدعيم والتقوية الذى سيقام ما بين العمودين الأوزيريين الجنوبيين بالقاعة – الفناء.

عند رحيل أوسر ماعت رع من "محا"، كان الذراع الأيمن للتمثال العملاق الشمالى قد تم سنده بواسطة جدار صغير. وفوق دعامة الإصلاح هذه، تم نقش خراطيش الملك. والجدير بالذكر، أن تلك الترميمات السريعة، قد استعيدت مرة أخرى فى عهد سيتى الثانى: حيث، عمل هذا الفرعون، بدوره، على نقش خراطيشه، فوق إصلاحاته هذه.

## خطط أوسر ماعت رع

أثمرت المناورات والحيل المستترة التى كان يمارسها مبعوثو رمسيس بجوار هاتوسيل ورجال حاشيته عن أهدافها المنشودة. خاصة، أن "خاتى"، وقتئذ، كانت تمر بسلسلة من المحن والصعوبات؛ كمثل: حالة الجفاف القصوى، التى كانت تزداد فى اتساع مداها، وتثير القلق الفائق. عند عودة الفرعون إلى عاصمة الشمال، أحيط علما ببعض الأخبار الطيبة من عملائه وجواسيسه. فهى تتواءم تماما مع ما كان يداعب خياله من مشاريع وخطط: أن يتزوج من ابنة هاتوسيل الكبرى؛ وقد عرف عنها أنها بارعة الحسن والجمال. وكان قد أزمع، أن يتخذها، بصفة استثنائية، "زوجة ملكية معظمة".

ولكن، على ما يبدو، أن الاقتراح كان يتحتم صدوره من هاتوسيل شخصيا. فإن أوسر ماعت رع، ملك "تامرى العظمى"، ابن سيتى؛ الذى استعاد فحولته وحيويته بفضل "الوالدتين العالميتين الراعيتين" .. لن يلتمس شيئا. وخلاف ذلك، هاهى مصر قاطبة، تتأهب من أجل تعبئة أخرى، لكى تقيم، من خلال أعياد واحتفالات فخمة مهيبة، مراسم يوبيله الثانى، وعندئذ، كان الأمر يقتضى امتداد هذا العيد على مدى العام الثالث والثلاثين، من حكم هذا الفرعون كاملا.

## مبادرة خطوبة

نحن الآن فى العام الموافق لليوبيل الملكى الثانى: وقد قام بإعلانه مرة أخرى كل من "خع إم واست" والوزير "خاى"؛ وكان ذلك فى نهاية فصل الفيضان. وحينئذ، تبلورت وتجسدت المبادرة التى كان ينتظرها الفرعون على أحر من الجمر: حيث أرسل هاتوسيل إلى رمسيس من خلال خطاباته، اقتراحا بالارتباط العائلى فيما بينهما .. لهدف تقوية ودعم الاتفاقية القائمة ما بين البلدين.

بمجرد أن تم التعبير عن الغبطة والسرور والتهانى الرسمية التقليدية، استهلت التبادلات الرسائلية مرحلة التنفيذ العملى. ترى، هل تعطف رمسيس وتنازل، وبين أنه سوف يقبل مهرا جديرا بعظمته وسمو شأنه؟!.. أو عسى أن ملك الحيثيين، قد بادر، تلقائيا، من ناحيته، بتناول هذا الموضوع .. لعله يجذب ويخلب لب، هذا الذى، على ما يبدو، يفيض عليه بالعون والمساندة؟!.. عموما، هاهى إحدى رسائله المتبقية حتى الآن، الموجهة إلى فرعون مصر، يحيطه علما بأنه:

"إن المهر سيكون أجمل مما قدمه ملك "بابل"، بل وذاك الخاص بابنه ملك ("ب") . فى هذا العام سوف أبعث بابنتى. وترافقها مجموعات من العبيد، وقطعان الأغنام والمواشى، والخراف، والجياد. وعلى أخى، من جانبه، أن يرسل بحرس ومرافقين إلى مدينة أيا لاستقبالهم".

تقع مدينة "أيا" هذه على الحدود التى يهيمن عليها الحيثيون بجنوب سوريا؛ على مقربة من إقليم "أوبى" الأوسط. ولقد أسرع رمسيس متلهفا بإرسال رده:

"لقد كتبت إلى حاكم سوتا، فى مدينة "رمسيس ( كو - ميدى ) القائمة بإقليم "أوبى"؛ لكى يهب لاستقبال هذه القطعان القادمة - الأغنام والمواشى - التى ستأتى بها معها. وسيقوم باصطحابهم، حتى لحظة وصول زوجتى المقبلة إلى مصر".

على ما يبدو، قد أخبر أيضا حاكم المدينة الثالثة فى بر - رمسيس (غزة) الأكثر قربا من الحدود المصرية، فى "كنعان" لكى يعمل على حراسة وتلبية متطلبات الحاشية والمرافقين .. فإن فصل البرودة قد حان وقته.

## إيزيس - نفرت واليوبيل الثانى

فى مناسبة الفيضان واليوبيل الثانى، تم التصديق والإقرار بارتفاع المياه بواسطة بعض الكتابات فى "جبل السلسلة": فإن هذا الموقع يعتبره المصريون بمثابة المكان الفعلى الذى ينهمر الفيضان من خلاله لدخول مصر. وللمرة الثانية مثلت "إيزيس نفرت" الزوجة الملكية المعظمة فوق لوحة صخرية، بصحبة الفرعون، ومعها أبناؤها الثلاثة الكبار الذين أنجبتهم للملك، ومنهم: "بنت عنات"، التى خلفت والدتها كزوجة ملكية معظمة. أما الزوجة الملكية المعظمة الأخرى الجديدة، فهى "مريت آمون"، الرائعة الحسن، ابنة نفرتارى: ولم تتراءى ضمن تلك المراسم المشار إليها. ولكن، من الواضح، أنها كانت مقربة جدا من الملك. ومع ذلك، يلاحظ، فى "جبل السلسلة"، حيث مدخل النيل الفعلى إلى مصر، بعد انحسار الضفتين .. أن الحظوة قد اتجهت بكل وضوح نحو أفراد عائلة "إيزيس نفرت". وبالرغم من ذلك، فإن وريث العرش، ابن نفرتارى، "آمون حر خبش إف"، الذى بدل اسمه إلى "ست حر خبش إف"، كان ما يزال على قيد الحياة.

إن اختيار "جبل السلسلة" لم يكن جزافا أو مصادفة. فربما نستطيع أن نتبين المغزى وراء ذلك: إذا تذكرنا الموقع الذى كان رمسيس قد حدده، بداية، من أجل التصديق والإقرار بوصول الفيضان وبشروق النجم سوتيس: إنه المكان المعروف باسم "محا" و"إبشك". وحينئذ، كانت نفرتارى تشاطره استهلال ذاك الحدث المهم؛ بجوار هذين الموقعين الذين يعبرهما النيل لدخوله النوبة المصرية.

ولكن ذاك المكان، يتميز أيضا بقداسته وألوهيته. فمن خلاله ينهمر المد المائى نحو مصر البلد العظمى. وبه يلاحظ قدر ضئيل جدا من الضيق بجرفى النيل: إنه "جبل السلسلة"، أى: "تا - ورت" ويعنى "الجدة الكبرى" التى أطلق عليها الإغريق فيما بعد، اسم "تاوريس". إنها تسود بهذا الموقع. وهى الكفيلة بضمان توافر الخصوبة والازدهار المقدر لمصر(١٦). ولعلنا نتذكر، أن حتشبسوت، فيما قبل، قد أقامت به عدة "مقابر تذكارية"، من أجل أفراد حاشيتها المقربين جدا إلى قلبها؛ ومنهم: "المشرف الأعلى"، "سننموت". وتجدر الإشارة أيضا، إلى تلك المراسم والاحتفالات الأساسية التى، كانت تقام به، عندما يصل النهر إلى مرحلة التحاريق. ولاريب أن الترانيم والصلوات الموجهة للنيل التى تم نقشها فوق صخوره بأمر من الملوك الرعامسة، كانت تهدف أساسا: إلى الحث على وصول "المياه النقية" وتدفقها؛ أو بالأحرى، فيض الأمواج المخصبة المثمرة. وقد عبرت نفرتارى من قبل، عن تبجيلها وإجلالها له. وحقيقة أن إيزيس نفرت لم تمثل من خلال مشاهد تلك القصة النوبية المبهمة الغامضة المتعلقة بالنيل. ولكن، الآن، بعد وفاتها، حتمت الضرورة أن تحتل مكانتها "الزوجة الملكية المعظمة" الأخرى التى مازالت على قيد الحياة، فى مناسبة إقامة الشعائر المكرسة للنيل .. فى لحظات وصوله المرتقب السار إلى أرض "كمت".

ربما أن تلك الكتابات والنقوش فوق صخور "جبل السلسلة(١٧)"، وأسوان(١٨)، المتوائمة توائما وثيقا بضفاف النيل والفيضان، تعد بمثابة تعويض ومكافأة ما من جانب رمسيس و"خع إم واست"، "كبير كهنة بتاح"، من أجل تلك "الملكة الغائبة" .. إذا جاز التعبير!.. فقد كان من المقدر لإيزيس نفرت هذه أن تبقى دائما فى منطقة الظل والتجاهل إبان المناسبات الكبرى فى عهد رمسيس. فلقد لوحظ، من خلال الوثائق الرسمية التى اكتشفت حتى يومنا هذا، وخاصة المراسلات المتبادلة بين "البلاطين الملكيين" بخصوص معاهدة السلام .. انعدام أية إشارة عن الملكة أو ذكر اسمها "إيزيس - نفرت". وبالرغم من ذلك، بعد فترة ما، فى "منف" هاهما خع إم واست، والقائد رمسيس، ابناها الكبيران، قد كرسا من أجلها عدة نصب ومنشآت(١٩).

## رمسيس يغالى فى مطالبه

فجأة، أخذت أخبار "خاتى" تتناقص بشكل تدريجي. وبدون أية مقدمات، توقف "هاتوسيل" عن ذكر المهر الذى كان قد وعد به. أما عن أوسر ماعت رع، فإنه، كعادته، بدا نافذ الصبر لحوحا، غير مراعيا لأى تحفظ أو تأن. بل عبر عن دهشته البالغة بخصوص تأخر "المساومة"؛ وحقوقه المتعلقة بالمهر الرفيع القيمة .. الذى وُعد به. قطعا، لكى لا يسوء الأمر و"يتكهرب" - إذا جاز القول - بين هذين الملكين الفائقى السطوة والجبروت، جاء رد الحيثيين من جانب الملكة بودوخيبا .. التى كان يحق لها المزيد من حرية التعبير. ومن خلال ردها على رمسيس، تراءت المواضيع التى كان هذا الأخير قد فندها وعرضها فى خطابه: حيث قال إنه فى حاجة إلى ذاك المهر الذى وعد به لكى "يصلح من ميزانيته"!!

هنا، بدا رد فعل الملكة الحيثية لاذعا موجعا. كانت عباراتها دقيقة محددة، وحججها مباشرة: قطعا، لم يكن هؤلاء الحيثيين يتماثلون أبدا بـ"الشرقيين".

أنت، يا أخى، كتبت إلى ما يلى: أختى كتبت إلى قائلة: "سوف أبعث إليك بابنتى". فلماذا، تجعليها بعيدة عنى، بدون أية مراعاة أو تلطف. فلماذا عساك لم تمنحينها لى بعد؟!!

كان عليك ألا ترتاب وتتشكك؛ بل تكون على يقين!.. كان فى الإمكان إرسال ابنتى منذ أمد بعيد، ولكن، حال دون ذلك وقوع بعض الأحداث (.. .. ..؟) احترقت فى القصر. وما تبقى، أعطاه أورحى تيشوب للأرباب العظام. وبما أن أورحى تيشوب موجود بجانبك، فلتسأله عما إذا كان الأمر كذلك أو لا؟ .. أى ابنة فوق الأرض أو فى السماء يمكننى أن أهبها لأخى؟!..

هل أرغمه على الزواج من إحدى بنات بابل، أو زولابى أو أشور؟!

هل أخى لا يملك شيئا حقا؟!.. إذا كان ابن الربة الشمس أو ابن إله الرعود ليس لديه شيء مطلقا .. عندئذ، يمكننى أن أصدق أنك أيضا لا تملك شيئا أبدا!!

إنك، يا أخى، ترغب فى الإثراء على حسابى .. وهذا ليس أمرا أخويا ولا مشرفا لك!!.

وكذلك من خلال كل هذا الشجب الفعلى، انتهزت "بودوخيبا" الفرصة، لكى توبخ رمسيس وتؤنبه على موقفه الخاطئ فيما يتعلق ببعض بنود معاهدة السلام. لأنه لم يوافق أبدا على إرجاع الحيثى الهارب أورحى تيشوب إلى موطنه "خاتى": حيث كان عمه "هاتوسيل" قد طالب الفرعون بذلك .. من المؤكد إذن، أن ملكة الحيثيين، قد وضعت ملك مصر فى موقف لا يحسد عليه أبدا!!.. وحتى يطفح الكيل ويزيد، لم تتورع "بودوخيبا" فى رسالتها هذه، عن الإيماء إلى بعض الإشاعات المغرضة، التى تتناول، فى إطار البلاط الملكى بـ"بابل"، السلوك المفتقر إلى الصدق والوفاء الذى يسلكه "أوسر ماعت رع"!!.

هكذا إذن، كانت تدعم العلاقات العائلية الوطيدة بين العائلتين الملكيتين، فى مصر، وبابل!!

ومع ذلك، فسرعان ما ساد الهدوء والاستقرار .. وبشكل غير متوقع!!. وبذلك، نجد رمسيس يعاود كتابته إلى "بودوخيبا" .. فى رقة ولطافة بالغة!!

"لقد رأيت اللوحة الصغيرة التى أرسلتها إلى أختى. كما استوعبت جيدا كافة المواضيع، التى كتبت لى عنها، ملكة "خاتى" العظيمة، أختى .. كذلك، فإن الملك العظيم، ملك "خاتى"، أخى، كتب إلى قائلا: "فليحضر بعض الأفراد، لكى يقوموا بسكب الزيت الرقيق النادر فوق رأس العذراء، وحتى يمكن اصطحابها إلى بيت الملك العظيم، ملك مصر".

إنه ممتاز، هذا القرار الذى تناوله أخى فى كتابته إلى .. سوف يصبح البلدين العظيمين أرضا واحدة .. إلى الأبد".

لقد حرص رمسيس على عدم إضاعة الوقت. وأسرع، بأقصى ما يمكنه إلى بعث وفده الملكى الخاص: الذى سيقوم بتضميخ الأميرة بأرق وأندر الزيوت والدهانات ..

العطرية التى يقدرها ويقيمها للغاية كافة جيران مصر. ويحتمل، أن ذلك قد تم فى أوائل فصل "شمو" (الصيف)، فى عام ١٢٦٤ قبل الميلاد .. وأعلنت، رسميا، بذلك الملكة بودوخيبا:

"ها قد سُكبت الزيوت النادرة الناعمة فوق رأس ابنتي. وبذا، تطرد آلهة الجحيم. وفى هذا اليوم، أصبح البلدان العظيمان، أرضا واحدة. وأنتما، أيها الملكان الجليلان، قد توصلتما إلى الأخوة الحقيقية".

## رمسيس وعاصمته .. ينتظران الأميرة

الآن، تستعد المدينة البديعة، الرائعة "بر - رمسيس" لاستقبال الأميرة .. جميلة الجميلات. ولاشك أن رمسيس كان على يقين تام من ذلك. فقد أكده له، سفيره الخاص فى بلاط "هاتوسيل"، "حوى"، "القائد الأعلى لسلاح العربات" و"قائد قلعة Silé سيلى (ثارو)".

كانت الأعمال، فى بر - رمسيس، تتوالى بدون توقف. وقد تميزت هذه المدينة بتخطيطها المدني الواضح؛ المدروس بحذق ومهارة. وهكذا نراها، وقد جمعت حول القصر الملكى مقرا الإدارة المدنية، والعسكرية.

حقيقة أن "منف" بما تستوعبه من ترسانات، ومرافئ (بيرو - نفر)، بقيت دائما المدينة الأضخم والأقوى. ومع ذلك، فإن بر - رمسيس، كانت تعمل دائما على مضاعفة منشآتها ومؤسساتها، حول القصر الملكى، ومعابدها بالجهات الأصلية الأربع. ويحيط بكل ذلك العديد من الثكنات. أما عن مساكن كبار موظفى المملكة، أو المقر الرفيع المستوى الخاص بـ"باسر" شمالا، فكانت جميعها تقع على مقربة من معابد "بتاح" و"سخمت". وعلى مقربة، استوعب الفناء المترامى الأطراف الخاص بالأعياد والاحتفالات الذى كان قد أقيم بمناسبة اليوبيل الأول، فى العام الثلاثين، ساحة كبرى، زينت بست مسلات منحوتة من الجرانيت. وقد تماثلت القاعة الكبرى

ذات الأساطين الأوسطية التى لا يقل ارتفاعها عن ستة أمتار، بقاعة الأساطين الكبرى فى الكرنك .. بالرغم من أنها لا تضارع هذه الأخيرة فى مساحتها. وهاهى التماثيل العملاقة الممثلة للفرعون، التى تجسد وتبلور بضخامتها وعملقتها الوظيفة الملكية المؤلهة، تتضاعف أعدادها بدون توقف. ومنذ فترة وجيزة، أصدر رمسيس أوامره لقلاعى الحجارة والنحاتين بصنع تمثال هائل الضخامة يمثله واقفا؛ وقد بدا بجوار ساقه اليسرى تمثال بديع التناسق أنثوى يجسد أميرة "خاتى". وبجوارها، كان من المقرر نقش اسمها الذى سوف يستوحيه "جلالته" عند رؤيتها للوهلة الأولى.

وبالنسبة للقصور المخصصة للزوجة الملكية المعظمة، المقبلة وأفراد حاشيتها .. فقد كان العمل بها يسير قدما.

فيما يتعلق بالأميرة، فإن مقرها سوف يتضمن وحدات متعددة فائقة الفخامة والأناقة: زينت جدرانها برسوم طبيعية بديعة الجمال. وعملت بلاطات الأرضيات على تكوين روضة صناعية مزهرة: مثلت بها بعض الأحواض المائية، حيث تتراءى زهور اللوتس على جانبى المسيرة الصامتة التى تقطعها الأسماك الخيرة، ذات الأصداف المتلألئة. وتضمنت الأسطح أروقة صغيرة تسمح بمشاهدة بحيرة القصر الملكى القائمة بعيدا إلى حد ما. إنها بمثابة توسيع "لمياه أواريس"، التى تحيط بالمدينة، المنبثقة أساسا من فرع النيل المعروف باسم "مياه رع". أما عن الحديقة، فقد تمت زراعتها بأقصى ما يمكن من السرعة، حتى تمتع الأميرة ناظريها بالازدهار الربيعى. وتزرقشت الممرات وحجرة الاغتسال، القريبة من بساتين الكروم: بالزهور البرية، وباقات نبات البابونج، وشجيرات الخشخاش، وزهور الترنجان زرقاء اللون المستوردة من "كنعان" و"عمورو". وكذلك البردى واللوتس المصرية المنبت. وشوهدت كذلك شجيرات الجميز، ونخيل البلح، وأشجار البرسيا التى أعيد غرسها بالتربة المسمدة عضويا.

قطعا إن كل هذه الشاعرية، وتلك الأحواض المتعددة ألوانها، والأقفاص الزاخرة بالطيور الرقيقة الوديعة، لم تر أبدا حول قصور الحيثيين. ولاشك أن الأميرة عندما

تستقر فى مقرها الجديد، سوف تعرف لماذا سميت "بر - رمسيس"، ذات النوافذ والأبواب المحاطة ببلاطات مطلية لامعة ذات لون أزرق واقى وحامى من الأمراض والسوء .. باسم: "المدينة ذات اللون الفيروزى"!!

تم إعادة دهان واجهات وجدران البيوت باللون الأبيض؛ ورصفت الممرات؛ ونظفت الشوارع؛ وضوعفت البساتين حول المعابد (فإنها، قطعا سوف تقدم كميات ضخمة من باقات الزهور المنسقة الجاهزة) من أجل الأعياد. وكذلك، حظيت بعناية مضاعفة من البستانيين، حدائق أشجار التين، والرمان، والكمثرى، والتفاح، والكروم. وأيضا، نشط المختصون بزراعة المستنقعات والنحالون الملحقون بالقصر الملكى لإعداد إنتاج وافر خصيصا لفترة وصول الأميرة الحيثية.

قطعا، إن زيادة المنتجات التى أتخمت بها الصوامع والمخازن، لإتاحة مظاهر الرفاهية والفخامة .. كان من الصعب تصورها. ومنها منتجات صناع الأبنوس النوبيين فائقى المهارة، الذين يبدعون فى صناعة المقاعد الثمينة، النادرة، وصناديق الملابس!!.. وكان هناك أيضا تلك الأعمال بالغة الدقة والجمال التى يبدعها فنانو صياغة الذهب!.. وعلى مقربة من القصر الملكى، بذلت ورش صناعة الزجاج أقصى طاقاتها لإعداد الأوانى والقوارير. وبالنسبة لأوعية الدهانات والزيوت العطرية والروائح النادرة ومواد تجميل العيون، فقد انكب الحرفيون على إسالة بعض العجائن الملونة أو الشفافة كـ"الكريستال".

وتقرر توزيع منتجات بلاد "بونت" فى كافة جوانب الأجنحة الملكية. وكذلك، أزمع تزيين أركان أماكن الاستقبال، بقطع مصوغات معدة خصيصا. وتم تغطية مخدع الأميرة بملاءات معطرة، من أجود أنواع النسيج الكتانى؛ ولحمايته، أسدلت حوله ناموسية ضخمة تدعمها أعمدة صغيرة صنعت من خشب بلاد كوش، رصع بالعاج، أو كسى برقائق ذهبية. وزود سريرها هذا بملة من التيل الشعر المجدول؛ تعتليها مرتبة مملوءة بزغب الحمام!!..

وأخيرا، جهزت الأجنحة الخاصة بالأميرة بصندوق ضخم للملابس، لاستقبال الثياب المصنوعة من أرق وأجمل الأنسجة الكتانية[٢٠]، لدرجة قد تصل إلى الشفافية: وبجوارها أثواب فخمة ذات كسرات متعددة "بليسيه"، وأكمام فى هيئة أجنحة الطيور، تزينها أحزمة مجدولة متوهجة ألوانها، قد تتدلى منها أحيانا، بضعة لآلئ دقيقة الحجم .. لاريب إذن أن هذا "الجهاز" كان لازما وضروريا للغاية؛ خاصة لكى تقتبس الأميرة الطراز و"الموضة" المصرية.. فهى أكثر أناقة، وأقل ثقلا من تلك السائدة فى بلاد "الأناضول" ذات المناخ القاسى. وهاهى أيضا، صناديق مرتفعة إلى حد ما، صنعت من الخشب، وزين وسط غطائها بما يشبه نبات عش الغراب: إنها تضم مختلف أنماط "الباروكات"، من الشعر الطبيعى، المنمقة الفائقة الإبداع .. لكى تتناسب كل منها مع مختلف المناسبات.

كما ترى أوعية مرمرية عديدة، مستوردة من "حاتنوب"، من أجل الحفاظ على رطوبة وبرودة السوائل. وقد ملئت بالفعل برحيق الزهور، ووضعت فى قاعة الدهان والتضمخ القريبة من حجرة "الدش" المعطر: وقد زودت بجهاز سريان المياه، متطابق بذاك الملحق بالقاعة المجاورة المذكورة آنفا .. إذن، إن كل شىء قد أعد من أجل وصول الملكة المعظمة المقبلة؛ بعد رحلة طويلة وشاقة .. فها نحن نرى، وفقا لما وصفه الكتبة، كيف تراءت عندئذ مدينة الأحلام هذه .. التى مازالت تزهو ببصمات الانتصار. فمنها، كان رمسيس قد انطلق لخوض معاركه السورية!.. بل وعاشت هذه المدينة أيضا، فيما قبل، أهم لحظات الدبلوماسية الدولية .. أى عند إبرام اتفاقية الواحد والعشرين.

"جلالته .. شيد القصر المسمى "العظيم بنصره". وهو يقع ما بين "جاهى" (سوريا) و"تا مرى" (مصر).

إنها مقاطعة بديعة لا مثيل لها أبدا .. وتتطابق بمساحة "طيبة" نفسها[٢١]. والحياة بديعة فى أجوائها والشمس تشرق ثم تغرب فى أفقها ..

"لقد هجر الجميع مدنهم لكي يعيشوا في أنحائها ..

"والريف المجاور مفعم بمختلف الخيرات، ويتوافر الغذاء والمأكولات كل يوم، ومستنقعاتها زاخرة بالأسماك .. وأحواضها تكثر بها الطيور. إن المروج مزدهرة بالخضرة، ويرتفع نبات الـ"إيادس" إلى ما يقرب من ذراع ونصف طولا (٧٥ سم). وثمره الخروب تماثل العسل طعما، في أرضها الرطبة. وصوامع المدينة متخمة بالشوفان والشعير، وقد قارب طولهما عنان السماء!!.. إن البصل والكرات أبو شوشة .. والخس .. والرمان، والتفاح والزيتون، والتين بالبساتين، والنبيذ الناعم الرقيق الوارد من كاكيمي Kakémé تفوق العسل في حلاوتها!!

"إن أسماك "وادج" ببحيرة المقر الملكي تعيش حياتها فوق زهور اللوتس. وهناك أنواع الأسماك الأخرى .. بـ"فم النهر".

"إن مياه نهر حورس مالحة. ومياه "با – حر" تحتوي على النترون. وسفنها تروح وتجيء ، وبذا، تتوافر المأكولات والأغذية كل يوم.

"الفرحة تشملها، ولا يستطيع أي إنسان أن يقول: "آه!.. لو أنني كنت أملك!.." إن الصغير، في أنحائها، يتشابه بالكبير ..

إن شباب مدينة "العظيمة بانتصارها" قد يرتدون ملابس الأعياد كل يوم. ويضمخون رءوسهم بزيت "المارينجو"، وينسقون شعورهم بكل عناية. إنهم يقفون بجوار أبوابهم؛ وقد خفضوا أيديهم الممسكة بأوراق الشجر .. وأفرع الكتان الواردة من "نهر حورس"، عندما يتجلى "أوسر ماعت رع ستب إن رع"، "مونتو – القطرين"، في صباح عيد كيهك.

## زواج فوق العادة

إن الأخبار الخاصة بسرد تفاصيل رحلة الأميرة الحيثية، بداية من العاصمة "بوغازكوي" في "الأناضول"، ووصولها ومثولها في حضرة أوسر ماعت رع في قصره

فى بر رمسيس: قد تم نقشها بأمر "جلالته" بأبو سمبل، فوق لوحة ضخمة أعدت من صخور "محا" نفسها. إنها تقع جنوب سطح الكهف. فلم تكن تتوافر أى مساحة بداخل المعبد؛ حيث كان رمسيس يحرص للغاية على تسجيل الأحداث الأساسية فى إطار ملكه.

ويتبين أن الذكريات البعيدة الأمد المتعلقة بمجابهات "قادش"، التى كانت، فيما بعد، شديدة الوقع على تصرفات الملك وآخر استتباعات كافة إنجازاته الحربية والدبلوماسية، قد انتهت أخيرا "نهاية معجزة": بفضل زواجه من ابنة غريمه السابق القوى الشكيمة. ولاشك أن هذا اعتبر بمثابة أوج وأقصى أحداث عهده.

خلاف ذلك، عمل الفرعون على نقش ذاك النص المذكور، مختصرا بعض الشىء، بمعبد الكرنك، و"إلفنتين"، و"النوبة العليا"، وبمعابد "أكشا" و"عمارا" الغربية.

## مقدمــة اللوحــة

من الطبيعى جدا، أن تستهل اللوحة[٢٢]، بكم هائل من المديح والإطراء، مطنبا فرعون – المعجزات وممجدا له:

"فى العام الرابع والثلاثين .. هو الذى تتغنى المناطق القاصية بانتصاراته ..، إنه جدار "الصوان" المحيط بمصر .. بطل وقائد كتائب مشاته، الحامى المدافع عن سلاح عرباته الحربية .. قرين مصر وزوجها.

هنا يفتتح هذا النصب الخالد أبدا، من أجل تعظيم قوة بأس قوى الذراع، وللإشادة ببسالته، وتمجيد سطوته: ها هو نصب يعدد الإنجازات الرائعة الفائقة للمألوف التى حدثت بغتة وبدون أية مقدمات لسيد القطرين .. إنه "رع" متجسد فى صورة إنسان؛ "رع" دون سواه من الأرباب؛ (الملك) الذى حالما ولدته أمه، قد حظى بالشجاعة والبطولة .. رمسيس !!.. إنه النطفة الإلهية لكل رب .. لقد أنجبته كافة

الربات .. وتربى من أجل "الكبش"، معبود "مندس" .. ببيت هليوبوليس العظيم .. رمسيس!!.. إنه صورة رع، ورمز "القائم – فى – هليوبوليس" .. إن لحمه قد قُد من الذهب، وعظامه من الفضة، وأعضاءه من اللازورد، هو ابن "ست"، رضيع "عنات" (إلهة سورية الأصل) .. إنه ذو نفع وفائدة فى "مصر العليا"، ومحبوب فى "الدلتا"، هو الذى؛ عندما يتراءى، يسر الجميع ويبتهجون: إن قوته وعنفوانه بالنسبة لهم، كمثل الماء والهواء، وحبه كالخبز والثياب؛ إنه المدار الشمسى لمصر قاطبة .. إن كلا القطرين يجتمعان فى هيئة رجل واحد، ويبتهلان لـ"رع"، عند مشرقه: "امنحه الخلود والأبدية فى ملكه، لكى يتلألأ من أجلنا كل يوم، مثلك .. واجعله يتجدد بدون توقف لأجل خاطرنا، كمثل القمر، وأن يزدهر على غرار السماء".

### ترى، هل أجبر هاتوسيل ؟!

فى إثر تلك المقدمة، تتوالى عدة فقرات، تصعب قراءتها أو تفهمها. ولكن، عامة، يبدو، من خلالها: أن ملك الحيثيين، لتأثره بكارثة ما (أشارت إليها "بودوخيبا" فى ردها على رمسيس)؛ وباستشارته لكبار قادته .. قد وافق وأذعن فى نهاية الأمر، أن يقدم لرمسيس هدايا قيمة للغاية .. وفوقها، بعث إليه بابنته الكبرى. ولاريب أن رمسيس عند علمه بهذا القرار، لم يستطع إخفاء فرحته وسروره .. أمام نتائج خططه وألاعيبه (إذا صح التعبير!!):

فورا، غمرت النشوة والفرح قلب جلالته، وجعل السرور يعم القصر عندما علم بهذا الموقف المذهل، الذى لم تعرفه مصر أبدا من قبل(٢٣).. عندئذ، بعث هاتوسيل بابنته الكبرى، وضرائب وجزى رائعة، من الذهب، والفضة، والبرونز؛ وعبيد، ومركبات تجرها جياد؛ ومواشى، وماعز، وكباش بالآلاف .. كهدايا للفرعون.

## (رضــاء رمسيس)

هاهو رمسيس يزهو مسرورا ويقول لنفسه: "انتبه .. لقد أرسل ملك "خاتى" العظيم ابنته الكبرى ومعها ضرائب وجزى فخمة هائلة. لقد قطعت الأميرة وكبار شخصيات "خاتى" طريقا كبيرا لإحضار ذلك، وعبروا جبالا نائية، ومضايق خطيرة. والآن، سيصلون إلى حدود "جلالتك" (تقع ما بين عمورو وكنعان). هل يمكنك إرسال جيشك وعلية القوم، لاستقبالهم فى أسرع وقت ممكن .. أيا رمسيس؟!!".

هنا، أخذ جلالته يفكر مليا فى المصير الذى قد يلقاه الجيش المزمع إرساله (نحو الموكب).

## استقبــال الأميـرة

"ماذا عساهم سيفعلون هؤلاء الذين سأرسلهم إلى سوريا فى الأيام المطيرة الثلجية هذه؟!.. عندئذ، قدم رمسيس قربانا فخما لأبيه "ست"، قائلا: "السماء فوق يديك، والأرض أسفل قدميك؛ وكل ما يحدث هو ما أمرت به!!.. فقد سبق أن عملت على عدم هطول الأمطار؛ وانعدام الصقيع والثلوج، حتى تتحقق المعجزة التى وهبتها لى كجائزة(٢٤)".

"هنا، انتبه أباه "ست" إلى كل ما قاله. وعلى الفور، هدأت السماء، وحلت أيام الصيف "شمو" مكان أيام الشتاء – خريف (البرت). وبذلك، سلك جيشه وكبار القوم طريقهم فى خطوات سريعة متوثبة وقلوب مبتهجة.

"حينئذ، سارع زعماء البلاد التى عبرها الموكب بالانحناء مبجلين محيين؛ وقد غصت حلوقهم منبهرون برؤية كل هؤلاء القوم الوافدين من "خاتى"، وقد انضموا إلى جيش ملك مصر!!.. إن السماء نفسها طوع أوامره (فوق أختامه) .. لتحقيق كافة رغباته.

## الأميرة تقابل الفرعون

"لقد وجدها جلالته جميلة فاتنة. إنها المقدمة بين النساء. وكبار الشخصيات يعتبرونها إلهة حقا".

"انظروا!!.. إنه حدث هائل فائق للمألوف، بل معجزة لا تقدر بثمن، لم يحدث مثلها أبدا. ولم يسمع من قبل عمًا يماثلها من خلال أى حديث من فم إلى فم. ولم تسجل نظيرا لها الكتابات منذ عصر الآلهة(٢٥).. إن ابنة ملك خاتى العظيم، تدخل وتعبر أرض مصر لكى تلتقى مع رمسيس مرى آمون!!.. لقد تقبلها "جلالته" قبولا حسنا. وأحبها أكثر من كل شىء. إنها تعتبر، بالنسبة له بمثابة حدث ذى أهمية خاصة .. بل نصرا كبيرا، أتاحه له أباه بتاح - تانن!!

"وتم الإعلان عن اسمها(٢٦): "الزوجة الملكية المعظمة ماعت - حور - نفرو - رع متعت بالحياة"!!.. إنها ابنة ملك "خاتى" العظيم وابنة ملكة "خاتى" المبجلة"...

وتمت إقامتها بالقصر الملكى، حيث تصاحب، كل يوم الملك؛ ويسطع اسمها على الأرض قاطبة ..

"وكذلك، فبعد هذه المعجزة، يستطيع كل رجل أو امرأة ذاهبان إلى سوريا لممارسة الأعمال، أن يصلا إلى "خاتى"، دون أن يخالج الخوف قلبيهما .. بفضل انتصارات جلالته".

## خط سير رحلة الأميرة

بعد هذه الرحلة المديدة التى قامت بها الأميرة؛ حيث مهدت مسيرتها بفضل بعض الكشافين، وأيضا، بمساعدة عدد من المنقبين، من أجل إعداد المنافذ وتسويتها عبر مضايق الجبال والطرق العامة. كما اصطفت على جانبى تلك المسافة فرق عسكرية متناوبة. وهكذا، أصبح الاتصال بين البلدين أكثر يسرا وسهولة .. فهاهى

"ماعت حور نفرو رع" المقبلة تغادر مدينة "بوغازكوى"، بمصاحبة موكبها الفخم الضخم. ومن المؤكد أنها وصلت إلى "قادش"، من ناحية الجنوب الشرقى؛ ثم اتجهت مباشرة نحو الجنوب: عن طريق مضايق "طورس"، إلى "أدانا" القريبة من ساحل البحر الأبيض المتوسط: ومرت عبر كيزووادنا للوصول إلى حلب ثم أخيرا إلى "قادش" عند نهر "العاصى". وفى المنطقة القائمة ما بين بر رمسيس وكنعان، عند حدود دمشق، اضطرت الملكة "بودوخيبا" لتوديع ابنتها بعد مرافقتها لها حتى الحدود الجنوبية لـ"عمورو".

## تفسير المعجزة الثانية

لاشك أن محاولة تفهم هذه المغامرة الخارقة للمألوف المثيرة للعجب قد شابها أيضا بعض الغموض والإبهام!!.. عموما، يتراءى أن "ست" رب "الأسرة" وراعيها لكى يجنب الأميرة المسافرة الفاتنة الجميلة، وكذلك مبعوث الفرعون الذى أوفد لاستقبالها، مشاكل هطول الأمطار؛ والصقيع القاسى والثلوج: قد لبى التماس رمسيس ونداءه، فهيأ له إحدى تلك "المعجزات" .. التى أجاد الملك استغلالها بكل مهارة!!.. فبغتة، وعلى حين غرة، حل مؤقتا طقس صيفى لطيف، مكان قسوة وعنف الشتاء السورى!!!.. وفى واقع الأمر أن "أوسر ماعت رع" يعد كسياسى محنك حصيف؛ ويجيد كيفية استغلال كل حدث متاح، لكى يجعله ذا فائدة ونفع شخصى له. ولا يستبعد أبدا أن الفرعون قد استغل الظاهرة المناخية المعروفة حاليا باسم "صيف سانت مارتن"؛ حيث كان علماء الفلك والجغرافيا العاملون تحت إمرته يلمون بها .. حتى يكتسب لحسابه معجزة جديدة[٢٧]!!

## المعجـزة الأولـى

ولكن، على عكس ذلك، أوضحت دراسة حديثة "للنص"، عن "معجزتين" قام رمسيس بحثهما ودفعهما. بل وكشفت أيضا عن ضرورة النظر بعين الاعتبار إلى

حدث سابق ساعد على التبدل وتغير الاتجاه المفاجئ الملحوظ في موقف "هاتوسيل" تجاه رمسيس[٢٨]!! فقد علمنا أن "خاتي"، قد مرت بفترة جفاف قاسية للغاية، تبعها ارتفاع شديد وغير طبيعي في الحرارة، في أول فصل الشتاء. وهكذا، أصبح هذا البلد – بعد سنوات العداء – مهددا بأن يخضع لسيادة مصر وسطوتها. وهنا، تقدم لنا "لوحة الزواج"، تلك الكلمات التي نطق بها هاتوسيل شخصيا[٢٩]:

"الضرائب .. سوف نحضرها إلى قصرك الفخم المهيب .. فها نحن إذن عند قدميك .. أيها الملك فائق القوة .. فلتفعل كل ما تقرره .. أيا رمسيس!!".

"أرسل زعيم خاتي المعظم عدة رسائل لتهدئة جلالته عامًا بعد عام .. رمسيس. ولكنه، لم يصغ مرة واحدة. وعندما رأوا أن بلدهم في حالة البؤس والشقاء هذه، تحت جبروت "الأرواح العظمى لسيد القطرين"، رمسيس، قال زعيم خاتي الجليل لجيشه وقادته:

"ما هذا الذي يحدث؟!.. إن بلدنا قد خرب، وإلهنا سوتخ (ست) غاضب منا. والسماء لا تهب أبدا مياهها[٣٠] لنا.. فلنتجرد إذن من كل ممتلكاتنا، وعلى رأسها ابنتي الكبرى. ولنقدم هدايا التكريم والتعظيم لـ"الإله الحي" .. حتى يمنحنا السلام ونحيا .. أيا رمسيس!!".

ليس من المستبعد أبدا أن تلك التقلبات المناخية الخطيرة قد استغلها الفرعون للضغط على "هاتوسيل" .. وإرغامه على الرضوخ لمتطلباته (زيجة مثمرة رابحة بالأميرة، يضاف إليها مهر ضخم ثري!!) .. هاهو "ست" قد حصل إذن على ما كان يلتمسه رمسيس ويتمناه. وبالتالي، لم يعد هذا الإله مضطرا لممارسة غضبه وثورته ضد الحيثيين. وهكذا، أعاد الفصول إلى مواقعها المعتادة، وانمحت آثار الجفاف والقحط. وعندئذ، استطاعت الأميرة أن تسلك طريقها نحو مصر، في جو شتوي معتدل. فهاهو رمسيس قد "أخرج" ( إذا صح التعبير ) أولى المعجزات!!.

والآن، هاهى معجزة ثانية على وشك التحقيق. فقد بعث رمسيس بوفد لمقابلة الأميرة: وهنا، انتهز فرصة قرب وصول فصل الصيف (سانت مارتن) فأعلن قائلا على الملأ كله: إنه لا يمكن أن يتحمل معاناة مبعوثيه ومقاساتهم من عنف وشدة مناخ شتاء لم يعتادوه أبدا من قبل .. ولذا، أوهم الجميع بأن "ست" سوف يتدخل لكى يمارس هيمنته وسطوته على تلك التقلبات الجوية(٣١) حتى "تتراءى أيام الصيف فى فصل الشتاء نفسه"!!

## ماعت - حور - نفرو - رع زوجة ملكية معظمة

فى ثالث أشهر فصل الشتاء - الربيع (البرت) بالعام الرابع والثلاثين من حكم خطيبها المتميز الفائق للمألوف، استقبلت الأميرة الحيثية فى قصر "أوسر ماعت رع ستب إن رع". وتم ذلك فى حضور بعض الملوك والأمراء الموالين الأجانب .. بين مظاهر الاحتفالات الفخمة الرائعة. وخلع عليها اسم مصرى، سرعان ما نقش فوق النصب التى كانت قد أعدت فى انتظار قدومها. وأصبحت منذ ذاك الحين: "تلك التى ترى حورس - تجسيد - رع" (ماعت - حور - نفرو - رع). ويعد ذلك بمثابة إيماء إلى أول مقابلة لها مع ذلك الملك الذى يحتل عرش ذاك الإله العظيم. ولاريب أن عبارات تمجيدها وتقريظها قد تعالت أصداؤها فى كافة الأجواء، خلال الأعياد والمباهج التى أحييت بتلك المناسبة.

ويتأمل قمة اللوحة الضخمة الخاصة بهذا الزواج، التى تم نقشها فى أبو سمبل؛ سوف نتبين، بالرغم من تآكل الحجارة وتدهورها، الفرعون جالسا تحت سرادق قاعة الاجتماعات بقصره. ويرى على كل من جانبيه شكلان إلهيان. وهما قطعا اللذان يحققان له معجزاته. إنهما: "ست" و"بتاح". وصورت الأميرة فى أثناء تقدمها نحوه، يتبعها أباها هاتوسيل، وقد اعتلى رأسه أول نموذج لأغطية الرأس الـ Phrigien . وتعنى الكتابات المنقوشة أمامها أنها ابنة ملك خاتى العظيم. ومع ذلك، لا يوجد أى دليل مكتوب يدل على أن هاتوسيل قد قدم فعلا بنفسه ابنته لرمسيس!! ولكن

النصوص تذكر فقط تواجد بودوخيبا مع الأميرة حتى حدود تقع تحت سيادة الفرعون بين البلدين.

تم نشر الكثير من الجعارين باسم: "ماعت حور نفرو رع". وأهدى إليها الشعراء، وفقا للأسلوب الدارج وقتئذ، الكثير من المديح والإطراء في هيئة بعض الألغاز الرمزية ، والتمائم المكونة من كتابات(٣٢) مرموزة من أجل كتابة اسمها الجديد المصرى. ومع ذلك، يلاحظ أن الأدلة المتعلقة بشخصيتها، قليلة للغاية. كما أننا لا نعلم اسمها الحيثي. ولكن، بالرغم من ذلك، أفصحت محفوظات مدينة "بوغازكوى"، من غياهب الغموض والصمت، عن نسخة من خطاب كان هاتوسيل قد أرسله إلى رمسيس، بعد أن أعلنه هذا الأخير، بخصوص وصول مولودة جديدة أنجبتها له "ماعت حور نفرو رع". وكان رد هاتوسيل عليه واضحا جازما: "خسارة ألا يكون ولدا .. لأنني كنت سأعمل حقا على تعيينه لاعتلاء عرشى(٣٣)".

## مباركة من بتاح

رأينا إذن أن زواج رمسيس وماعت حور نفرو رع، قد حظى بمباركة "ست"، بل و"بتاح – تانن" أيضا. ترى، هل استتبع ذلك، بقدر ما، نقش الكتابة الكبرى، التى تعرف فى يومنا هذا باسم "مباركة بتاح" .. فى أبو سمبل؟!

إن أوج جزء بهذا النص، يتحدث عن وقوع معجزة(٣٤) جديدة كبرى، أعلن عنها قبل ذلك بثلاث سنوات. ألا وهى: وصول "ماعت حور نفرو رع" إلى بر رمسيس، فى شهر فبراير، العام الرابع والثلاثين من الحكم .. تقريبا وبعد مرور تسعة أشهر من الزواج، فى العام الخامس والثلاثين، فى الشهر الأول من الفصل الثانى، فى اليوم الثالث عشر: هذا التاريخ يتطابق مع مولد حفيدة ملك الحيثيين المصرية: ولابد من أن ذلك يعد ذا أهمية قصوى. وعلى ما يبدو، خرقا للعرف الدارج فى مصر، تقرر أن يتكون إسم الأميرة الجديدة وفقا لاسم أمها .. "نفرو رع(٣٥)"!

## هـزة أرضيـة منذرة

لاشك أن كل ذلك الذى حدث ينبثق من ظاهرة المعجزات. كما نجد أن الزلزال الذى وقع فى العام الحادى والثلاثين، قد قلقل بشدة الجزء الداخلى من كهف "محا" الهائل .. واعتبر ذلك أيضا بالنسبة لرمسيس، كفرصة مواتية إضافية، يجب انتهازها .. لكى يمضى قدما لعبور مرحلة جديدة نحو ألوهيته الكاملة. ومن المؤكد أنه كان يتسم بإحساس مرهف يفوق الطبيعى إزاء انتهاز الفرص المواتية؛ وانجذاب فائق الحد نحو الرمزية. وهكذا، لجأ إلى تحويل تلك الكارثة المفاجئة إلى نوع من المباركة، بل بالأحرى، إلى رسالة منذرة ومحذرة .. ولعلنا نتذكر، أن الفرعون، فى وقت ما، قد اتجه تماما ناحية "ست" لكى يوقع على الحيثيين حالة قاسية شديدة من الجفاف. ثم، بعد أن عمل على إرغام هاتوسيل للرضوخ لمتطلباته الشخصية .. وعاد، مرة أخرى، يطلب من "ربه": إعادة الشتاء إلى بلد الحيثيين!!.. أما الآن، فعليه أن يؤكد على إعجاز ومقدرة "بتاح – تانن": "الأرض التى تثور وتنتفض"!!.. فهذا الإله هو المسيطر على القوة الأرضية وهزاتها. إنه ماثل دائما بداخل معبد "محا"، فى غياهب ظلماته، وبأعمق أعماقه.

## معجـزة جديـدة

منذ الآن فصاعدا سيكون "أوسر ماعت رع" تحت رعاية رب اليوبيلات: وبذلك سوف يرفق باسمه "حورس"، هذه الصفة: "سيد أعياد السد كمثل أبيه بتاح – تانن". وربما أن استتباعات الهزة الأرضية التى زلزلت كيان معبده المفضل، وشوهت، بوجه خاص أحد تماثيله العملاقة القائمة بالواجهة، قد يكون بمثابة غضب وإنكار، بل ولعنة أيضا على شخص الفرعون نفسه!!.. ولكن، فى الواقع، لم يكن الأمر كذلك !.. فقد حدث ذلك للإفصاح عن أن الأرض قد اهتزت تعبيرا عن حظوته الإلهية؛ وأيضا

للإعلان عن الأعجوبة التى سوف تتم: أن يتحقق ارتباطه بابنة غريمه السابق الفائق السطوة .. أو بالأحرى، انتصاره أخيرا فى معركة قادش!!.. لاشك أن مثل ذلك التدخل، الذى يستحقه الفرعون، بالرغم من أنه لم ينعم به بعد .. لا يصدر إلا من أب يفيض عليه بعنايته الإلهية. وذلك، فى عشية عيديه الأوليين من أعياد "سد". وهنا، أزمع الفرعون الرجوع إلى موضوع سبق معالجته من خلال "لوحة الزواج" الشهيرة. ولكن، فى حالتنا هذه، نراه قد حوله إلى حوار فعلى بكل ما تدل عليه الكلمة من معنى، مع ذاك الإله الذى سيصبح أباه: "بتاح - تانن(٣٦)" .. الذى أزاح آمون من دوره كمنجب.

بداخل معبد "محا" الضخم، نجد أن الجدار الذى شيد فيما بين العمودين الأوزيريين الجنوبيين بالقاعة الفناء؛ من أجل دعمهما وسندهما من أثر الهزة الأرضية، قد نقشت فوقه كتابات مسهبة بالهيروغليفية. والجدير بالذكر، أنه قد تم العثور على نسخة أخرى مطابقة لها فى معبد "أكشا". وربما قد نكتشف فى يوم ما، نماذج أخرى منها فى "منف" و"بر - رمسيس". استهلالا للحوار، يتم الإقرار على المولد الإلهى للملك. ويلاحظ أن "بتاح - تانن" فى هذه المرحلة الجديدة من الوجود الملكى، قد حل مكان آمون(٣٧). إذن، فإن شرعية حكمه قد أُضفيت عليه ثانيا، من جانب "بتاح"، فى هذه المرة. كما أن نسبه إلى "توى" قد تلاشى. فإن "سخمت"، رفيقة رب اليوبيلات، تعد، فى هذه الحال .. أمه !..

## رمسيس بين أسرته الإلهية

"إننى أبوك ضمن الآلهة. بحيث يكون جسدك مماثلاً لأجساد الأرباب. لقد تحولت إلى "بانب جدت". وأنجبتك من خلال أمك رفيعة القدر. لأننى كنت أعرف أنك ستكون راع، وسوف تنجز أعمال مجيدة من أجل الـ"كا" الخاصة بى. وعندما ولدت عند مشرق "رع" رفعتك عاليا أمام الآلهة".

مؤكد، أن تلك الكتابات تتضمن كل ما سوف يعود بالنفع على رمسيس والبلد بأسره: سعادة، حكمة، سلطة، ثراء زراعى ومعدنى وصناعى. ولكن الأمر الأساسى هنا هو الإشارة إلى ما يلى: إذا كان الزواج بالأميرة الحيثية قد تحقق، فذلك يرجع إلى إرادة الإله، ورغبته. وهاهو يحيط ابنه بذلك:

"لقد عملت على إثارة الهزات الأرضية (منمن)، من أجلك، حتى أعلمك بالمعجزة الإلهية الكبرى: لقد ارتعدت السماء (كتكت). ومن كانوا حاضرين هناك قد ابتهجوا لما سيحدث لك. إن الجبال، والمياه، والجدران فوق الأرض قد تقلقلت، لأنها شاهدت المرسوم الذى اتخذته من أجلك .. إن شعوب "خاتى" سيصبحون عبيد قصرك .. لقد وضعت ذلك فى قلوبهم، لكى يقبلوا مطأطئى الرءوس أمام "الكا" الخاصة بك. إن ضرائب زعمائهم وهداياهم، ستقدم من أجل سطوة جلالتك .. وعلى رأسها ابنته الكبرى ..".

هنا، إذن، بعد كل هذا الإيثار والتفضيل، الذى يعكس أوج وأعلى مراتب حكم رمسيس؛ أصر هذا الملك أن يؤكد لـ"بتاح – تانن" ورعه البنوى الفائق: وبذلك، كرس العديد من النصب والمعابد لهذا الوالد: خاصة فى منف مدينته ذات الجدران البيضاء. ومازال معبد "بتاح" فى منف، الهائل الضخامة، يحتفظ حتى الآن ببعض الأطلال التى تفصح عن اتساع مداه، وملحقاته المتعددة، والمقصورات الخاصة ببعض الآلهة الأخرى الشريكة له؛ كمثل "حتحور – الجميزة الجنوبية". ثم هناك أيضا آثار الصروح وحطامها، والتماثيل العملاقة التى تنتصب على جانبى طرق الانتصار والفوز[٣٨]. وتجدر الإشارة إلى أن بعض تماثيل الملك قد استخرجت من داخل ساحة النخيل فى منف: ومنها التمثال العملاق الراقد أرضا: إنه، بدون شك تحفة نادرة من الفن فى عصر الرعامسة .. ويضارعه أيضا ذاك التمثال الشهير المجسد لـ"أوسر ماعت رع"؛ القائم حاليا بمتحف "تورين".

جملة القول، هاهو رمسيس يعلن على الملأ أنه قام، بالفعل بتوسيع:

"معبد بتاح في "حت كا بتاح" (منف)، المشيد من مواد الأبدية والخلود، بمعمار رفيع المستوى بواسطة أحجار مكملة بالذهب والأحجار الكريمة[٣٩] الحقيقية.. وألحقت به أعداد من الكهنة والأنبياء، والخدم، والحقول، والمواشي. وجعلته جديرا وصالحا لإحياء الأعياد بكل ما يلزم من القرابين المقدسة وعدد لا يحصى ولا يعد من الأدوات واللوازم".

## الفصل الخامس عشر

# فترة السلام العظيم .. .. والملك الإله

### هؤلاء السيدات المعظمات الملكيات

حقا، نحن لا نعرف بالتحديد الدور الخاص الذى أوكل لزوجات أوسر ماعت رع الملكيات المعظمات الثانويات كمثل: "بنت عنات" و"مريت آمون". لاريب أنهما كانتا تشغلان مكانة مهمة بجوار الفرعون، حتى قبل وفاة الملكة الأم "توى" (فى حوالى العام ٢٢-٢٣). وبعد مرور ما يقرب من اثنتى عشرة عاما (٣٤-٣٥)، تمت إزاحتهما بواسطة، "ماعت حور نفرو رع". وابنة أخرى لرمسيس، تدعى "نبت تاوى"، أصبحت زوجة ملكية معظمة: حيث خلع عليها بالفعل هذا اللقب. وكذلك، تم إعداد مقبرتها الخاصة فى وادى الملكات "ست - نفرو" (مقبرة رقم٦٠).

بوجه عام، يبدو أن "بنت عنات"، كان لها بجوار الفرعون، فى إطار المملكة سطوة ونفوذ مؤكد. ففى داخل مقبرتها بالـ"ست - نفرو" (رقم ٧١)، نشاهدها ممثلة فوق أحد الجدران، وهى تقدم القرابين لـ"ماعت" .. أى أنها تضطلع بمسئولية الحفاظ على التوازن فى جنبات مصر؛ وبالتالى، تعمل على توافر الانسجام والتناسق العالمى. أو بالأحرى، تقوم بالوظيفة الملكية الفعلية: وخلاف ذلك، أنجبت بنتا للفرعون: مثلت لمرتين على التوالى بنفس مقبرة أمها[1]: ونوه عنها بأنها: "ابنة الملك، من جسده".

ترى، هل يشير اسم "بنت عنات" (ابنة الربة عنات)، إلى أصلها السورى؟! .. فى واقع الأمر، ليس هناك حتى يومنا هذا أية كتابات لمعرفة حقيقة هذا الأمر؛ وكذلك، لكشف المنبت الأصلى لكل من: إيزيس نفرت، أو نفرتارى!!..

ولعلنا نعرف أن هاتين الأخيرتين قد وقع عليهما اختيار "سيتى" و"توى" عند إنشاء وتكوين الحريم الخاص بالشريك الشاب فى الحكم مع أبيه. وقطعا أن هاتين الأميرتين قد اختيرتا بدقة متناهية، من بين الأميرات النبيلات رفيعات القدر: لكى تصبحا الزوجتين الملكيتين المعظمتين لرمسيس .. وللأسف، لم تصل لنا عنهما أية بيانات محددة .. ولم يشر أبدا، إلى منبتهما الأصلى أو مسقط رأسيهما!!

ومع ذلك، إذا حاولنا استنباط شيء ما بصددهما، قد يتراءى: أن إحداهما، أى نفرتارى، كانت وريثة محتملة لفراعنة الأسرة الثامنة عشرة. أما عن إيزيس نفرت، فربما أنها قد اختيرت لكونها من سلالة الأجداد الأوائل العظام المشار إليهم فوق "لوحة العام الأربعمائة" .. الذى أزمع رمسيس نصبها بداخل معبد سيتى.

ومع ذلك، يتبين أن رمسيس بعد حوالى ست سنوات من اقترانه بالأميرة الحيثية، قد مثل ثانيا شكلا لـ"بنت عنات" بجوار أحد تماثيله العملاقة ("حامل الشارة")، عند مدخل معبده النوبى المكرس لـ"آمون رب الطرقات" ("بوادى السبوع" الحالى: الذى شيد فيما بين عام ٣٨-٤٤ من الحكم). وبالقطع، يدل ذلك على المكانة الرفيعة التى لا جدال فيها مطلقا للابنة الكبرى لإحدى زوجتى الملك المعظمتين. وفى ذلك الحين، كانت كل من "مريت آمون"، و"نبت تاوى"، و"ماعت حور نفرو رع" قريبات أيضا من قلب الفرعون!

## رمسيس والأمير خع إم واست

ضمن كافة الأبناء، الذين أنجبهم أوسر ماعت رع، يعتبر خع إم واست[٢]، من الزوجة الملكية المعظمة "إيزيس نفرت"، الأكثر شهرة، والأعلى نبوغا وكفاءة. ولقد انخرط كبار أبناء الزوجتين المعظمتين الملكيتين سواء فى المجال العسكرى (حيث شوهدا، على التوالى بالمعارك الحربية حتى العام الخامس عشر)، أو فى السلك الكهنوتى .. أو بمعنى آخر: السيف أو المرشة!.. وليس هناك ما يدل، بين الخمسة

عشر ابنا المعروفين، على تمتع أحدهم بقوة الشخصية. ولكن، بالنسبة لـ"خع إم واست"، رابع أبناء الملك .. الأمر يختلف تماما!..

وقد يحق لنا، بشيء من المزاح أن نقول: إنه "الفرد المثقف" فى العائلة كلها. فلم يكن ليتوقف أبدا عن إجراء الأبحاث والدراسات فى الأرشيف المقدس. ويثير اهتمامه للغاية تلك النصب والمنشآت التى أقامها الأجداد الأسلاف (على ما يبدو أن رمسيس أيضا كان يتمتع بهذه الصفة).

عندما ناهر "خع إم واست" عامه العشرين، وقد كرس نفسه فى كهنوت بتاح - منف، لوحظ أنه يقوم بدور فائق الفعالية خلال جنازات الثور المقدس "أبيس" إبان العام السادس عشر. ونجده ثانيا يقوم، فى العام الثلاثين بتنظيم وإعداد مراسم دفن "أبيس" آخر: حيث وضعت مومياؤه بنفس مقبرة سابقه، حتى ينعم الاثنان بمقصورة مشتركة. وهنا، كانت الفرصة مواتية بالنسبة لـ"خع إم واست"، المحنك فى الأعمال المعمارية، أن يعيد التفكير فى أسلوب ونظام تلك المقابر. وكذلك، أن يجدد ويستحدث فى طريقة خرق الممرات السفلية التى يجب أن تتضمن قاعات تتزايد تزايدا مستمرا وفقا لحالات وفاة جديدة لتلك الكائنات المتقمسة لروح "بتاح - سوكر- أوزيريس". وقد اتبع نهجه هذا حتى الحقبة المتأخرة فى نطاق جبانات الحيوانات المقدسة: وأهمهما، جبانة "تونة الجبل"، على مقربة من هرموبوليس: وهى خاصة بالقردة المقدسة وبطائر "إبيس"، تجسيد "تحوت" العظيم: حيث دفنت بداخل شبكة فعلية من الممرات السفلية. ولا يستبعد أبدا أن خع إم واست قد تأثر بتلك المشاريع التى أنجزها رمسيس: حيث ابتكر وصمم "مجمع آلهة" مستحدث لم يسبق له مثيل، مترامى الأطراف تحت سطح الأرض: فى مواجهة مقبرته الخاصة فى "البرارى العظمى".

بالإضافة لذلك، شيد خع إم واست، فوق الجبانة المقدسة، معبدا مكرسا للعبادة المشتركة للثيران "أبيس"؛ وأيضا لإقامة الطقوس السابقة لدفنها.

إن خع إم واست يعد كعالم آثار حصيف نابغة. ويميل كثيرا إلى نصب ومنشآت الماضى البعيد. ولذلك، نراه قد استهل عملية إصلاحها وترميمها فى صحراء سقارة والجيزة. لاريب أنه كان يتذكر حينئذ مبادرة أبيه، عند تنصيبه منذ سنوات بعيدة، عندما أمر بتجديد المقابر الخاصة بالفراعنة الأوائل بـ"أبيدوس". إنه إذن قد استلهم وتشجع حقا بما أنجزه هذا الملك: فقام، باسم أبيه واسمه أيضا بترميم هرم "زوسر" المدرج (الأسرة الثالثة)، ثم ذاك الخاص بالملك "شبسسكاف" (الأسرة الرابعة)؛ وكذلك هرم "أوناس"، و"ساحو رع" (الأسرة الخامسة)؛ وأيضا معبد الشمس الذى شيده "نيوسر رع" (الأسرة الخامسة). وقد ألحق بكل عمل من أعمال التجديد هذه، كتابات تحدد اسم الملك الذى حظى نصبه أو معبده بالترميم. وكذلك، ذكرت الخدمة التى أعيد تكوينها وتنظيمها من أجل تقديم القرابين. وأيضا أشير إلى طاقم العاملين(٤) بكل منشأ.

عمل خع إم واست على تشغيل المحاجر المرتبطة بإعادة بناء الأجزاء المنهارة بالجدار الضخم المقام بالحجر الجيرى المحيط بفناء "زوسر" فى سقارة. وهاهى بعض الكتابات التى نقشها أحد البنائين، تقول: إن العمل قد بدأ فى اليوم العاشر من ثالث أشهر فصل الصيف "شمو"، بالعام السادس والثلاثين (١٢٤٣ قبل الميلاد(٥)). ووقتئذ، كان رمسيس قد قارب الواحدة والستين، من عمره.

وكذلك، فإن الأمير قد أثر كثيرا فى بعض الكتبة الشباب، من نفس جيله. فهم متوقدون حماسا ورغبة فى اتباع الأبحاث التى أجراها أستاذهم العالم هذا. فهو الذى شرح لهم إنجازات أول فراعنة "الدولة القديمة"، "زوسر" ومهندسه المعمارى "إيمحتب"": الذى تخلى عن المعمار الخشبى المخلوط بالآجر، عند بنائه للمجمع الجنازى. وهكذا، كان الجميع، فى عهد رمسيس، يقولون عن حق، إن "زوسر" هو "رائد عصر الحجارة".

## تفلسف المثقفين

نظرا للأضرار التى سببها مرور الزمن، والبشر، بالرغم من العناية التى وجهها رمسيس للنصب والمنشآت .. أخذ المثقفون والحكماء يتفلسفون بصدد تفاهة وضحالة تلك الشهود المادية .. كانوا يرونها فانية ومصيرها إلى زوال، إذا ما قورنت بأبدية وخلود العقل الخلاق. "الكتبة العلماء!.. لقد أنهوا حياتهم وجميع معاصريهم، قد طواهم النسيان .. إنهم لم يشيدوا أهراما من النحاس الأصفر ذات لوحات حديدية. إنهم لم يستطيعوا أن يتركوا وراءهم ورثة ولدوا من صلبهم؛ يمكنهم المناداة باسمهم. ولكنهم تركوا، عوضا عن الوارثين، كتب التعليم التى ألفوها. لقد أوكلوا إلى أعمالهم الأدبية بهذه المهمة: أن تكون بمثابة كهنتهم الجنازيين. أما لوحاتهم الخاصة بالكتابة، فقد أصبحت: "ابنهم الحبيب". إن إبداعاتهم هى أهرامهم. وقلمهم هو وليدهم. أما الحجر المنقوش فهو زوجاتهم. وأصبح الأقوياء والبسطاء، أبناءهم. فإن الكاتب، هو ربهم. لقد شيد من أجلهم أبوابا وقصورا. ولكن الأبواب والقصور قد انهارت. واختفى "كهنتهم" واكتست لوحاتهم بالغبار، وأهملت مقابرهم. ومع ذلك ينادى بأسمائهم، امتياز إنجازاتهم. وتظل ذكرى المؤلفين أبدية. فلتصبح كاتبا، حتى يحظى اسمك بنفس المصير. إن الكتاب لأكثر نفعا من لوحة جميلة النقوش، أو من جدار قوى. إنه بمثابة معبد أو هرم. حتى يذكر الاسم. إن الإنسان يفنى، ويتحول جسده إلى غبار، وجميع قرنائه وأمثاله يعودون أدراجهم إلى الأرض: ولكن، الكتاب يعمل على انتقال ذكراه من فم إلى فم. إن الكتاب أفضل من بيت قوى الأسس، أو من معبد فى "الغرب". بل وأحسن من قصر حصين أيضا؛ أو من لوحة نصبت بداخل معبد .. لقد مضى العلماء الأنبياء إلى سبيلهم وسوف تنسى أسماؤهم، إذ لم تعمل كتاباتهم على استمرارية ذكراهم". (مقتطفات من بردية شستر بيتى ٤ – الدولة الحديثة).

لقد تناقلت شهرة خع إم واست عبر العصور، كمثل رمسيس الثانى. وقد وجهت النصوص الأدبية خلال "الفترة المتأخرة" أيضا اهتمامها بإبراز النبوغ

العلمى والسحرى الذى تمتع به الابن المفضل لدى "أوسر ماعت رع". وفى الوقت الذى قام فيه "هيرودوت" بزيارة مصر، ذكر أنه قد اطلع على إحدى الكتابات التى تعبر عن إنجازات هذا الأمير لصالح ترميم وتجديد هرم "خوفو". ولاشك أن "خع إم واست" يعد عن جدارة بمثابة أول عالم مصريات عبر التاريخ كله. فهو الذى استخرج، من خلال تنقيباته بالجيزة تمثال الابن الأكبر لخوفو، وهو الأمير "كا وعب" .. وعرضه بمعبد منف.

شغل خع إم واست منصب "الكاهن الأكبر لبتاح"؛ وبالتالى، قام بمسئولية إدارة كافة أملاكه. وكان مساعده المقرب هو ابنه الأكبر، ويدعى أيضا "رمسيس". أما ولده الثانى، "حورى"، فقد أصبح هو الآخر فيما بعد: "الكاهن الأكبر لبتاح". ثم هاهو الحفيد الذى يحمل نفس الاسم، قد ارتقى مرتبة "وزير الشمال" .. بعد وقت مديد. ولقرب خع إم واست كثيرا من أبيه "أوسر ماعت رع"، فإن وظيفته ككاهن أكبر لبتاح فى منف، كانت تؤهله، طبيعيا، للإعلان عن "أعياد سد" الخاصة بالفرعون وتنظيمها. وقد قام بمهمته الكبرى هذه بكل كفاءة واقتدار، حيث كان يعاونه، فى هذا المجال، الوزير "خاى" .. على مدى الاحتفالات الخمسة الأولى، وحتى العام الثانى والأربعين من الحكم.

## من اليوبيل الثالث إلى الرابع

### اليوبيل الثالث

لم يكن هذا اليوبيل ليقل فخامة وأبهة عما سبقه. وفى هذه المرة أيضا قام خع إم واست بالإعداد له والإشراف عليه. وبهذه المناسبة، تم، ثانيا، استقبال الأمراء الأجانب فى بر - رمسيس، ثم بمنف، خلال أيام البهجة والسرور هذه. وقد تم ذلك فى الفترة ما بين العامين السادس والثلاثين والسابع والثلاثين من الحكم. إن أوسر ماعت رع ستب إن رع، رمسيس مرى آمون، خلال عامه الثانى والستين، قد تلقى الآن

الإشعاعات المتألقة من أبيه الإله "بتاح – تانن". ولذلك، كان عليه تصويب وتعديل صوره وهيئاته الملكية الشخصية، الممثلة فى معابده الأولى .. فمنذ هذا الحين، أصبح جزءًا مكملا للعائلة الإلهية.

## المظهر الجديد لرمسيس

استدعى الفرعون "حوى"، المبعوث السابق لدى الأميرة الحيثية، والذى أنعم عليه بمنصب "نائب الملك فى النوبة" فى مكان "باسر". وأصدر إليه أوامره بإصلاح وتعديل كافة صوره وأشكاله بداخل كهف "محا: التى تمثله فى أثناء تأدية الطقوس أمام شكلين إلهيين: بالتحديد، طلب إليه .. نقل صورته الشخصية ووضعها بين الأشكال الإلهية. فلجأ "حوى" إلى كشط أحد الأشكال الإلهية فى كل مجموعة أرباب .. ليزيحه قليلا إلى الوراء. وبالتالى؛ بالمكان الذى تم إخلاؤه ما بين الإلهين، دس صورة الفرعون .. باعتباره عضواً وربيًّا مكتمل الحقوق بذاك الثالوث .. الذى أعيد تكوينه .. لصالح أوسر ماعت رع!!.. ولاشك أن طبقة الجص قد عملت فعلا على إخفاء تلك "الرتوش"، التى توارت واختفت تماما فى وقتنا الحالى. وربما نستطيع أن نلمح حتى الآن، بداخل "القاعة – الفناء" وقاعة الأساطين فى "محا"، بعض آثار التكوينات الأصلية!..

قطعًا، هذا التأكيد على ترقيه الإلهى، كان ضمن برنامجه الذى خطط له منذ فترة بعيدة. والآن، يلاحظ أن زخرفة معبد "الدر" فى النوبة، المكرس لتمجيد "رع"، كانت فى مرحلة الإعداد؛ وبالتالى، لم تستدع الضرورة أبدا تغيير أو تعديل أية نقوش أو أشكال. وتتراءى صورته الإلهية، وكأنها لغز رمزى حى لاسم تقديسه وتكريسه: شكل إنسانى، يعتلى رأسه قرص الشمس "رع"، ويمسك بإحدى يديه الصولجان "أوسر"؛ وبالأخرى، ريشة "ماعت": أى:"أوسر ماعت رع": اسم تتويجه. وفى داخل القاعات الجانبية، جنوبا، الخاصة بـ"كنوز" "محا"، نجد أن النقوش

البارزة فوق الجدران التى تصور تلك التماثيل الصغيرة النفيسة الخاصة بإقامة الشعائر، والتى توضع عادة فوق مقاعد حجرية بالصخور، قد اكملت كالآتى: أفرد مكانا بين الآلهة لشكل يمثل رمسيس، بوجه بشرى، وقد أحاط بأذنيه قرنان إلهيان؛ أو فى هيئة أخرى: ذو رأس صقر .. وهنا، أطلق عليه، بكل بساطة اسم: "با - نتر"، الإله!!

## علاقات ودية مع خاتى

على ما يبدو، أن المجال الوحيد الذى كان رمسيس يتخلى فى إطاره عن هيئة ولغة وأسلوب إله فوق الأرض .. هو مجال علاقاته مع العائلة الملكية الحيثية. وبدت العلاقات بين الملكين فى تحسن مستمر. وقد أحطنا علما من خلال تبادل المراسلات أن الأمير الوريث "حشمى - شاروما"، قد زار مصر خلال أشهر الشتاء. ويعتقد "ك. كيتشن"، وربما أنه على حق، إن هذا الأمير قد عرف كيف يستفيد من فترة إقامته، لكى يقتبس ويتشبع بأسلوب وفن الحياة على الطريقة المصرية .. المختلف تماما عن نظيره الحيثى. وأقبل، فى شغف بالغ؛ على تأمل الزخارف بالنقوش البارزة بأماكن العبادة؛ وكتابتها الهيروغليفية العملاقة، ومقاصيرها الحجرية. وربما أن المعبد "الأناضولى" الهائل فى مدينة يازليكايا، القريبة من "بوغازكوى" قد اقتبس منها معماره ونقوشه.

من المؤكد أيضا، أن الأمير الحيثى كان على اتصال بأبناء رمسيس "ست حر خبش إف"، و"خع إم واست"، وكذلك مرنبتاح. ومع ذلك، قد يثير عجبنا، أن الفرعون، بعد كل هذه العلاقات الودية، وزواجه بالأميرة "ماعت حور نفرو رع" الحيثية، لم يفكر أبدا فى تزويج إحدى بناته من زوجة ملكية ثانوية (يستحيل ذلك على بنات "الزوجة الملكية المعظمة") بالأمير الأجنبى "حشمى - شاروما"!!.. على الأقل، لا يوجد أى دليل كتابى على هذه الفكرة المحتملة!

كعادته، أراد رمسيس ما هو أكثر من حضور الأمير إليه: رأى أن على "هاتوسيل" شخصيا أن يقوم بزيارته. ومن الملاحظ أنه أرسل العديد من الاقتراحات بهذا الصدد إلى "أخيه" الحيثي .. ولكن، لم يتلق أية إجابة فعلية. وهاهى إحدى الإجابات المقتضبة التى أرسلها "هاتوسيل" إلى رمسيس؛ ولا تبدو مطلقا واضحة اللطف والدماثة: "فليكتب إلى أخي ويقول لى، على الأقل، ما الذى سنفعله بذهابنا هناك؟!!". عندئذ، حاول رمسيس أن يكون أكثر إقناعا: "عن إله الشمس بمصر ورب الرعود فى "خاتى" أرادا أن يرى أخي أخاه. هل عسى أن يتقبل أخى هذا الاقتراح الطيب، ويحضر لرؤيتى؟. حينئذ، سنتعارف ببعضنا بعضا بالمكان الذي يجلس فيه الملك رمسيس فوق عرشه. وسأتوجه بنفسى إلى "كنعان"، لكى أتقابل مع أخى وأراه وجها لوجه، وأستقبله فى قلب أراضى".

عملت هذه العلاقات مع بلاط "بوغازكوى"، على استمرارية أوجه النشاط بين المستشارين. كما تعددت الالتماسات الموجهة إلى الفرعون؛ خاصة فيما يتعلق بالعلاجات والأدوية المصرية: فقد فاقت شهرتها كل حدود منذ قرون بعيدة.

## نائب ملك من البنائين

فى الحين ذاته، أراد رمسيس استكمال برنامج البناء الذى كان قد استهل فى النوبة المصرية (بلاد واوات)، منذ تشييد كهف "محا" و"إبشك". وأزمع الفرعون إحلال شاب متوقد الحماس، مقدام وشجاع للغاية من كبار موظفيه، يدعى "ستاو"؛ نشأ يتيما؛ ثم عين "كاتب أول" بالبلاط الملكى، مكان "حوى" معاونه ومستشاره المسن البارع. وبوأ الفرعون هذا الشاب أعلى منصب فى إقليمه الجنوبى شاسع المدى. ومن ثم، فبداية من العام الثامن والثلاثين من الحكم، مارس "نائب الملك" الجديد هذا سلطته على مناطق "واوات"، و"كوش". واهتم بوجه خاص، بإقامة منشآت جديدة. واستهل إنجازاته لإكمال معبد "الدر" إكمالا تاما، وكان قد كرس لـ"رع". وكذلك، بدأ فى بناء

المعبد الهائل الخاص بآمون عند منفذ القوافل الآتية من الصحراء الليبية المترامية الأطراف؛ بجوار معبد صغير كان قد كرسه لنفس الإله، الملك أمنحتب الثالث.

يعد هذا المعبد بمثابة استراحة جديدة للمركب المقدسة وهى تنساب فوق سطح مياه الفيضان: وبذلك، فعند انطلاقها بداية من "محا" و"إبشك"، كانت تستقبل فى محطة "الدر". ثم، تغادرها، لكى تتوقف ثانيا فى أملاك "آمون"، المعروفة فى وقتنا الحالى، باسم: "وادى السبوع" (إيماء إلى ممر تماثيل أبى الهول ذات الرءوس الآدمية، المؤدى إلى صرح الدخول). ومن خلال هذا التشييد الحديث، كانت الضرورة تستدعى الإدماج المباشر لأشكال وتماثيل رمسيس مع تلك الممثلة للآلهة. ولعلنا نستطيع أن نتأمل حتى الآن، بكل إعجاب، فوق جدران هذا المعبد النصف - كهف، "جلالته" فوق عرشه، وقد بلغ العام الثالث والستين من عمره، بصحبة بعض الأرباب المتباينين .. ولا يستبعد أبدا أن "جلالته" شخصيا كان يعبر بذلك عن ولائه وتكريمه لمجموعة الآلهة العظام الذين جلس فى وسطهم!!

## كاهن آمون الأول، باك خونسو

فى العام التاسع والثلاثين، بعد إحالة "باسر" البارع النابغة إلى التقاعد، أو ربما وفاته، استعد رمسيس لتنصيب "باك خونسو(٧)" "كاهنا أول لآمون". إنه موظف كبير متميز، من رجال الكهنوت؛ أمضى سنوات وظيفته كاملة فى خدمة المعبد. وهو ابن "النبى الثانى "روما"؛ وأمضى طفولته الغضة، من سنته الأولى حتى الرابعة فى كنفه. ثم، على مدى اثنى عشر عاما، بعد أن تلقى دراسته بمعهد معبد موت بالكرنك، ألحق بوظيفة "رئيس إسطبل التدريبات" الخاص بسيتى الأول. وبداية من عامه السابع عشر حتى العشرين، عين "كاهن - وعب" بسيطًا . ومنذ الحادى والعشرين من عمره حتى الثانية والثلاثين، أى طوال اثنى عشر عامًا: اعتلى منصب: "أب إلهى". وعندئذ، خلعت عليه مهمة "ثالث أنبياء آمون" طوال خمسة عشر عامًا : أى ما بين عامه الثالث

والثلاثين، والثامن والثلاثين. بعد ذلك، استمر حتى عامه التاسع والخمسين، أى على مدى إحدى عشر عاما: فى وظيفة "النبى الثانى". وفى نهاية الأمر، كان يحق له أن يتبوأ مكانة "النبى الأول لآمون" خلال عمله الكهنوتى البالغ ستة وعشرين عامًا : أى بداية من عامه الستين وحتى السادسة والثمانين.

إنه من معاصرى الفرعون؛ بل يحتمل أنه أصغر منه سنًا ببضعة سنوات. ومن المؤكد أنه اصطحب معه فى "بيته الأبدى" هذا الإنسان الذى وهبه إخلاصا ووفاء لا تشوبه شائبة. وبفضل تشجيع جلالته، ولرغبته فى تكريس المزيد من وقته دائما للأعمال الدينية، استطاع "باك إن خونسو" تركيز كل نشاطه فى مجاله الكهنوتى؛ وأيضا لإثراء وفخامة الكيان المعمارى لمعبد المعابد: ففى عهده، حظى معبد الكرنك هذا بالكثير من التجميل والزخرفة والفخامة. وأحاط "باك خونسو" نفسه بعدد من المعماريين والحرفيين البارعين، مثل: حفيد القائد أورحيا و"رئيس الشرطة"، المدعو "حاتى عا". وقد قام هذا الأخير، ضمن إنجازاته العديدة، بنصب "الصوارى الكبرى الخاصة بالرايات" فى معبد آمون؛ ثم هناك أيضا "نخت جحوتى"، "رئيس النجارين"، و"كبير صانعى المصوغات". وقد ذاعت شهرة هذا الأخير من خلال إبداعه فى كسوة الكثير من أبواب المعبد برقائق الذهب والإلكتروم؛ يضاف إليها أيضا حوالى ستة وثلاثين مركب مقدسة محمولة. وعلى ما يبدو، أن نائب الملك فى النوبة "ستاو"، كان يعمل فى حزم وإصرار على جلب كميات من ذهب النوبة!!

## نحو مقاربة شعبية من الإله

لم يكن اهتمام رمسيس الثانى لينصب فقط على مجرد إثراء معابد الكرنك وفخامتها، فى تلك الفترة التى نعمت خلالها مصر بالازدهار والتألق. كان يفكر، أولا وقبل كل شىء ، فى تطوير الشعائر وفقا للتعديل الذى كان قد استهله منذ عدة سنوات؛ حيث عملت الحروب والدبلوماسية، قبل ذلك، على تأجيل هذا التغيير. ولقد

حاول الفرعون، محققا قدرا من النجاح توسيع مدى تفهم الجوهر الإلهى. والآن، يرغب فى إتاحة الفرصة أمام عامة الشعب، لتخطى أعتاب بيت الإله ودخوله .. تماما مثلما فتح مجالات الكتابة على مصراعيها أمام نقابات المهنيين والحرفيين العاملين فى خدمته.

وتبدت نتيجة ذلك، فى أول الأمر فى نطاق الصلوات البسيطة التى يوجهها أفراد الشعب، والتى تمخضت عما يمكن تسميته بـ"ديانة الفقير[٨]". ومن أجل تحقيق مشروعه هذا، اختار الفرعون شرق الكرنك، بالطريق المؤدى لمنشآت ونصب أمنحتب الرابع. إنه نفس المكان الذى قامت فيه حتشبسوت، فى الماضى، بتشييد مسلتين ضخمتين؛ وتركت به ما يدل على وجودها: شكل يمثلها جالسة بجوار آمون. بل هو متاخم أيضا، من ذاك الموقع الذى شيد به أسلاف وأجداد أمنحتب الثالث "المسلة العجيبة المتفردة" .. أو بالأحرى، الرمز الذى لا جدال فيه مطلقا عن وجود عبادة شمسية فى أجواء أملاك آمون!!..

بمقدمة المحور الذى أقيمت فيه المسلة، أمر الملك ببناء نصب جديد: يتضمن بداخله تمثالا هائل الحجم لـ"أوسر ماعت رع". ومن خلال نافذة فائقة الاتساع، تطل ناحية الشرق، كان رعايا "الفرعون – الإله" يستطيعون توجيه دعواتهم وصلواتهم إليه مباشرة .. حتى يتوسط لهم لدى قرنائه وأمثاله (الآلهة)، فى مجالات القوى العليا!

من المؤكد أن "باك إن خونسو" كان جدير بحظوة وتقدير من خصهم بوفائه وإخلاصه: لقد مارس مهنته الكهنوتية برأفة وطيبة وصلاح. وبفضل مواهبه ونبوغه كمعمارى ومزخرف، بل وقاضٍ أيضا فى بعض الأحيان، كان يحق له نصب تمثاله فى المعبد. ومن خلال كتاباته عليه، صرح قائلا:

"كنت بمثابة الأب بالنسبة لمرؤسى. فعملت على ترقية الشباب منهم. ومددت يدى إلى ذوى الحاجة والعوز. ووفرت سبل المعيشة للفقراء. وأنجزت أمورا نافعة

بداخل المعبد، باعتبارى "رئيس أعمال سيدى". وأقمت من أجله معبدا يسمى: "رمسيس – المفضل لدى آمون – الذى يستمع للدعوات" (رمسيس نرى أمون سجم نهت). ونصبت مسلات من الجرانيت تعالت بجمالها حتى عنان السماء. وهاهو صرح شيد مواجها لطيبة؛ إنه يحظى بالرى؛ وزرعت الأشجار فى أنحاء بساتينه. وصنعت أبوابا هائلة الحجم (مكسوة) بالإلكتروم؛ إنها تلامس السماء. وأمرت بنحت صاريين فائقى الارتفاع، وثبتهما بالجدار المهيب، امام معبده. وصنعت سفنا نهرية كثيرة من أجل آمون، وموت، وخونسو".

وهكذا، كان "باك إن خونسو" يبتهل إلى آمون، برحمته وعطفه أن يهبه "حياة مداها مائة عام وعشرة ".

فى فترة ازدهاره وتألقه، كان هذا المعبد المسمى بـ"رمسيس المفضل لدى آمون – الذى يستمع إلى الدعوات"، يعد من أروع وأجمل الإنجازات المعمارية التى أبدعها "باك إن خونسو": وهكذا نجده قد سجل اسمه منقوشا فوق جدار واجهة هذا النصب الجليل .. والتى كانت تسمى، فى ذاك الحين: "بوابة بيكى(١٠)".

## موعد اليوبيل الرابع

فى عشية السنة اليوبيلية، بالعام التاسع والثلاثين، تلقى ثانى أبناء الفرعون، القائد رمسيس لقب: "الوريث". ولكننا، لا نعرف بالتحديد مداه وأبعاده. وقد تم ذلك قبل الاحتفال بعيد مولد الملك الخامس والستين، ببضعة أسابيع.

ولقد تواكبت بداية العام الأربعين من الحكم مع إعلان موعد اليوبيل الرابع فى كافة أنحاء المملكة. وقام بذلك، مرة أخرى، كل من "الكاهن الأكبر لـ "بتاح"، المدعو "خع إم واست"، والوزير "خاى". ومنذ ذاك الحين، أضيفت إلى اسم "رمسيس – المفضل لدى آمون"، صفة: "الإله – رب هليوبوليس". ولاشك أن زمنا مديدا قد انقضى منذ أن كانت هذه العاصمة الرائعة الجميلة التى كونها الملك المحارب، تسمى: "العظيمة –

بانتصاراتها". فها هى سيادة الروحانية تطفى على تلألؤ وتألق تلك المدينة التى تحولت الآن، إلى: "الروح - المبجلة (كا) - الخاصة - بـ - رع - حورآختى".

بدأت مصر تتعود وتتأقلم على مظاهر تلك المراسم والاحتفالات الضخمة الخاصة بالعيد "سد"، التى أضيفت أيضا إلى أعياد الحج التقليدية. ولأجل تلك المناسبات، فى أبيدوس، هاهو "الكاهن الأكبر لأوزيريس" يطلب إحضار تماثيل من المعادن النفيسة النادرة ، تكريما للملك.

## الفخامة الزائدة قد ينجم عنها مظاهر الإفراط

دأبت أفواج الأقاليم الأجنبية على الحضور بصفة منتظمة لتسديد ضرائبها. واستمرت النوبة فى تقديم ذهبها. وسادت مظاهر الفخامة والثراء، دون أن تكون هناك أية تعبئة للقوات العسكرية لمجابهة حروب أو غزوات محتملة: فها هى قد مضى عليها وقت بعيد. وكل ما فى الأمر أن أعمال البناء الكبرى، كانت تستدعى طلب الكثير من الأيدى العاملة؛ وبوجه خاص خلال فترات الفيضان. ونعمت الإدارة وقتئذ بحالة استقرار بالغة : خاصة إذا كان كبار الموظفين المهيمنين على مختلف القطاعات .. فوق مستوى الشبهات!.. ولكن، كان الحال مختلفا تماما عن ذلك فى إطار نقابة الحرفيين "بموقع التوازن" (ست ماعت): فهناك، بعد رحيل "رعموزا" "كاتب المقبرة الملكية"، تمكن ابنه المتبنى "قن حر خبش إف" من تولى مهامه. وتكشف الحال عن ممارسات تفتقر للنزاهة والأمانة: كمثل، تشغيل العمال والفنانين، فى أعمال فردية خاصة، إلخ، إلخ ..!

يضاف إلى ذلك، أن الوزير "خاى"، لم يكن بنفس همة ونشاط الوزير السابق "باسر"؛ خاصة فيما يتعلق برفاهية المكلفين بأداء الأعمال، على ضفة طيبة اليسرى. لقد ركز الوزير "خاى" كل اهتمامه، بكافة أنحاء مصر لتحضير احتفالات ومراسم اليوبيل الرابع. وبذلك، كان المجال مناسبا لظهور بوادر الضيق والتأفف: ومنها،

المطالبة بالأجور المؤجلة. وبدأت علامات التراخي والإهمال تتراءى في مجال العمل، وأخذت عبارات: الأجازات الزائدة عن الحد، والاعتذارات الكاذبة تزداد فوق سجلات الكتبة والمقاولين. ومنها: دواعي السكْر، أو الإصابة بمختلف الأمراض، وهي غالبا كاذبة، أو أعياد عائلية متكررة أكثر من اللازم، أو مهام خاصة فردية .. أو لمصلحة "كاتب المقبرة" نفسه .. فها هو إذن، المثال السيئ متوافر!!

## هل قام هاتوسيل بالزيارة ؟

الآن، أصبحت الطقوس اليوبيلية ضرورية للغاية من أجل إضفاء الشباب الفعلي على "جلالته". إن "أوسر ماعت رع"، وقد ناهز حاليا عامه الخامس والستين، قد ظهرت عليه مبادئ أعراض مرض تصلب فقرات العمود الفقري الرقبية arthrose cervicale [١١] حقيقي أنه كان لا يزال يتسم بالوسامة والجمال؛ ومع ذلك، كان يتحتم عليه أن يتحرك بشيء من الصعوبة والثقل، وقد ارتخت رأسه قليلا، جانبا!

أصبح شغله الشاغل وقتئذ، هو الأعمال بالكرنك؛ والعناية بمعبده البديع المتناسق في أبيدوس؛ وخاصة، معابد النوبة ورسالتها الجوهرية. وفي قمة اهتماماته، في ذاك الحين، تبدت رغبته العارمة في حضور "هاتوسيل" إلى قصر بر – رمسيس. وربما أن الكثير من محاولاته غير المثمرة في هذا الصدد، لم تجعله يتنازل أو يتراجع في إلحاحه وسعيه. ولكن، هاهو يواجه صعوبة جديدة في هذا المجال: ألا وهو، حالة زعيم "خاتي" الصحية. وتبين أن تأجيل الزيارة سببه إصابة هاتوسيل بمرض ما، هو التهاب القدمين. فلم يكن الأمر إذن مجرد تملص أو تهرب. فقد علم، بالفعل، أن الملكة "بودوخيبا"، لقلقها البالغ، قد شاهدت رؤيا في هذا الصدد: حيث تجلى لها أحد الأرباب، وقدم لها نصيحة، لشفاء زوجها: "يقدم هذا الابتهال للربة "نينجال": إذا شفي جلالته سريعا، من مرض التهاب القدمين، فإنني سوف أعد عشر قوارير من اللازورد المرصعة بالذهب من أجل "نينجال".

وفى أسرع وقت ممكن تلقت الإلهة هبات "بودوخيبا". فإن الكثير من الدلائل: إيماءات فى صفحات النصوص الأدبية المصرية، وأخبار متبادلة بين بعض الملوك المجاورين؛ وخاصة هذا الخطاب الذى جاء به أن ملك "خاتى" قد "غادر بلده"، متجها نحو مصر .. جميعها قد جعلتنا نعتقد، أن الشخصيتين العظيمتين اللتين وقعتا المعاهدة، قد تقابلتا فى نهاية الأمر!! ولكن، هل عساه تم لقاء بين العم وابن أخيه أورحى تيشوب .. التائب؟!.. عموما، لقد التزمت الحوليات والأخبار الصمت التام فى هذا الأمر!

جملة القول، وباستثناء تلك المشكلة، لم تجابه التبادلات والعلاقات بين الملكين بعد ذلك، أية نزاعات جوهرية. بل بالعكس؛ أصبحت الصلات بين البلدين أكثر قوة ومتانة .. لحرصهما على إبقاء أسس السلام، الذى عرفا تماما كيف يجعلانه يعم ويسود بينهما. وتجدر الإشارة أيضا، إلى أن العلوم والمعارف المصرية، كانت محط إعجاب شديد من جانب هؤلاء الأجلاف الغلاظ.. أهالى "الأناضول"!

## استشارة من الأطباء المصريين

كالمعتاد، كانت استفسارات الحيثيين الموجهة للفرعون، تتعلق غالبا بالأطباء النوابغ البارعين، القادرين على شفاء المرضى. وذلك، طبعا، بفضل معرفتهم بالنباتات، وتركيباتهم الدوائية العلمية الدقيقة. بل وكذلك، لأنهم كانوا يحيطون إحاطة متعمقة متبحرة بالجسم البشرى[١٢]. وفى أطراف اليوبيل الرابع، أرخت إحدى الرسائل المتبادلة بين إلبلاطين: الحيثى والمصرى؛ التى تذكر أن بعض البلاد الأخرى الموالية للحيثيين تلتمس، هى الأخرى مساعدة الأطباء المصريين. ولذا، نجد أن هاتوسيل عندما أرسل لرمسيس طلبا من ملك "كورونتا"، المعظم، أجابه أوسر ماعت رع موافقا، قائلا له: سوف أبعث له أحسن الأخصائيين، الذى استدعى من قبل، لمرات عديدة إلى البلاد الأجنبية: "هنا، استدعيت الكاتب الملكى ورئيس الأطباء: (الدكتور) با رى

أماخو" سوف يتوجه إلى إعداد النباتات الطبية من أجل كوروننا، ملك أراضي "تارونتاس". لقد جمع كافة الأعشاب المتطابقة مع الأعراض التى وصفتها لى".

وها هى أخيرا نكتة تثير البهجة والسرور، وتوضح عن صفة كلية العلوم التى أعزيت للأطباء المصريين. بل وتعبر عن الفكاهة اللاذعة والسخرية الوقحة، الذى لم يتمكن بعد مرض الـ arthrose من محوها من عقل رمسيس!!.. والأمر يتعلق هنا بطلب شخصى من هاتوسيل. وموضوعه: العقم الذى كانت تعانى منه شقيقته (على ما يبدو تعدت عامها الستين!!). وهذه إذن إجابة الفرعون:

"عجبا!! الأمر يتعلق بـ"مارانازى"، شقيقة "أخى"؛ الآن، عرفته تماما. هل هى فى الخمسين من عمرها فقط؟!.. قطعا لا!!.. إنها ناهزت الستين، وهذا مؤكد ..

لا أحد مطلقا يستطيع إعداد دواء يسمح لها بإنجاب أبناء فى هذا العمر!! ولكن، قطعا إذا كان إله الشمس وإله الرعود يريدون ذلك، فسوف أبعث بساحر بارع، وطبيب كفء متمكن. وسيقومان معا بإعداد بعض العقاقير من أجلها .. حتى تتمكن من الإنجاب!".

## الفرعون يتزوج من جديد

فى أواخر هذا العام الأربعين من الحكم، كان الفرعون، قد تبوأ منزلة الإله رب هليوبوليس[١٣]؛ وقارب السادسة والستين من عمره. إنه الآن يستعد لاستقبال أميرة حيثية ثانية. أما عن "ماعت حور نفرو رع"، فقد أقامت فى بر – رمسيس. والآن، هل تراها ستسر برؤية شقيقتها؟!. حقيقة أن أخبار بلدها كانت تتوالى دائما. ولمرات عديدة، رأت الكثير من المبعوثين الحيثيين يحضرون إلى قصر الفرعون. وكذلك، لم تكن الاحتفالات تتوقف، ما بين مناسبة زيارة أخيها لمصر، ثم حضور "إله الرعود الحى" (أبوها) .. ولكن، الآن، هل عساها سوف تبقى دائما بالقصر الملكى، أم بالأحرى، سوف تنقل إلى أحد الأجنحة بالحريم الملكى الضخم فى "مى – ور"، أو "منف". وبذلك

تفسح المجال بجوار رمسيس لأختها؛ كما يعتقد البعض؟!.. عموما، لم يبت بتا جازما فى هذا الصدد.

خلاف ذلك، عرف أن المهر الذى ستقدمه "خاتى"، سيكون ضخما؛ خاصة أن الملوك التابعين الموالين قد أسهموا إسهامًا كبيرًا فى المجهودات التى بذلها هاتوسيل وبودوخيبا. ها هنا إذن، دليل جديد على التفاهم بين أقوى ملكين فى تلك الفترة. ولا ريب أن ذلك كان له صدى هائل؛ بل إنه عمل على إثراء أسطورة عبرت كافة العصور. ففى مصر، بداية، بدا واضحا تحمس وتوقد الشعراء. كما استوعبت العديد من المعابد الكثير من اللوحات، التى عرف من خلالها أن كنوز المهر قد وصلت إلى مصر .. ويالها من معجزة - بدون أية مساعدة أو حماية من البشر!!.. بل برعاية وعون الآلهة فقط .. فهذا ما يستحقه، دون غيره ابن بتاح - تنن!!.

"ليست قوات الجيش، أو المركبات الحربية هى التى أحضرتها، بل قوى وسطوة آلهة مصر، وآلهة كل البلدان .. إن أبناء زعماء بلاد "خاتى" هم الذين قدموا ضرائبهم .. ولم تصاحبهم أى فرق عسكرية. ولم ترافقهم أية مركبات حربية. بل لم يجئ معهم أى حمالين إنه "بتاح - تنن"، أب الآلهة هو الذى حمل ونقل كافة الأراضى وكل البلدان إلى هذا الإله البديع (رمسيس) دائما وأبدا".

بالرغم من غزارة تلك العبارات الأدبية وكثرتها، فلم يعرف بعد اسم الزوجة الحيثية الثانية المقبلة التى سيقترن بها أوسر ماعت رع. ترى، هل خلع عليها لقب "الزوجة الملكية المعظمة"؟!.. وإذا كان الأمر بالإيجاب، هل عساها أعقبت، بجوار الفرعون، إحدى الأميرات الصغيرات الملكيات (ابنة زوجة ملكية معظمة)؟!.. ربما كانت "حنوت مى رع"، التى كانت مقبرتها قد أعدت فى الـ"ست - نفرو"(١٤)؟! .. حقا، إن الوثائق، تبدو غير كافية فيما يتعلق بتلك الفترة الأخيرة من حياة هذا الملك العظيم.

## وفـاة هاتوسيـل

فى العام الثانى والأربعين من الحكم، أعلمت رسائل الحمام الرحال، والمبعوثين أيضـا أوسر ماعت رع، أن "زعيم خاتى المعظم" قد انتقل لتوه إلى العالم اللامتناهى الرهيب الذى يرأسـه "رب الرعـود". وقد ارتقى العرش من بعده الأمـير "هـيشـمى شاروما" باسم: "تودكاليا الرابع". وعلى ما يعتقد أن العلاقات الطيبة فيما بين البلدين قد استمرت لوقت ما، ثم بدأت تتقلص تدريجيا بعد وفاة رمسيس.

## اليوبيل الخامس

قام الأمير "خع إم واست"، شخصيا بالمساعدة الدائمة من جانب "الوزير خاى"، لأخر مرة، بإحياء احتفالات اليوبيل الخامس لأبيه: الذى كان قد قارب عامه الثامن والستين. وقبل ذلك ببضعة أشهر، كان رمسيس قد نظم احتفالا بمناسبة زواج ابنه الثالث والعشرين، المدعو "سا مونتو[١٥]" الذى أنجبه من إحدى الزوجات الثانويات؛ بالشابة الصغيرة "إريت"، ابنة أحد القادة البحريين السوريين. ها نحن نرى إذن، أن عائلة الفرعون الأخطبوطية الاتجاهات .. قد اتسع مداها فى مختلف الأجواء!!.. كان الفرعون، يهدف، سواء على الصعيد السياسى، أو المستوى العقائدى – الدينى، مد حدود مصر وتوسيع مداها.

## إكمال معبد آمون

لم يكن رمسيس يغفل أو يتوانى أبدا عن الاهتمام بمنشآت النوبة. ولذلك، تراءى له أن أعمـال تشـييـد مـعبد "آمـون" عند منفذ طرق القوافل (وادى السبـوع)، لم تكن تتـقدم بالسـرعـة الواجـبـة. وفى العـام الرابع والأربعـين، بين الفـرعـون لـ"سـتـاو" "نائبه" بهذا البلد، أن عليه الإسراع فى إكمال المعبد نصف الكهف. ولهذا الغرض، سمح له بالاستعانة بأيدٍ عاملة من المناطق المجاورة. وبالتالى، سمح ذلك أيضا

بتطبيع بعض عشائر البدو الذين كانوا يطمعون دائما فى المنتجات التى تنقلها القوافل .. وهنا، وجد "ستاو" أنه يستطيع التصرف بكل حرية دون أن يخالجه أى تأنيب ضمير أو حرج. وبالتالى، أمر "رعموزا[١٦]" "قائد السرية المحلية التابعة لرمسيس الثاني"، المعروفة باسم: "آمون – يرعى – ابنه"، بأن يشن غزوة خاطفة على بعض واحات جنوب ليبيا، بأراضى "إرم"، وهما، على ما يعتقد، واحتا "دنقل"، و"كوركور". وهكذا، سخر للعمل قبائل "تمحو" للقيام بأعمال تكملة المعبد الهائل الخاص بآمون فى النوبة.

## معبد نصف – الكهف بجرف حسين[١٧]

الآن، أستكمل تماما مجمع "وادى السبوع". وقد ألحق به طريق كباش كبير يربط ما بين الصحراء والنهر. وكان الأمر يحتم على "سيتاو"، توخيا للأوامر العاجلة التى أصدرها أوسر ماعت رع، أن يبدأ فى حفر وإقامة النصب الواجب تكريسه ليكون بمثابة معبد "نصف – الكهف" لـ"بتاح تنن"، "رب اليوبيلات الأعظم". وتطابقا مع المعبد السابق، فإن هذا المزمع البدء فيه حاليا على الضفة الغربية نفسها، شمال "كوبان" و"وادى العلاقى": يجب أن يتكون أيضا من جزء أمامي مشيد، يتضمن ممرا لتماثيل أبى الهول للاستقبال؛ وفناء مكشوف يحيط به باحة ذات أعمدة مزينة بتماثيل أوزيرية النمط. بعد ذلك، يمكن الدخول إلى "قدس الأقداس" الذى سيحفر فى الصخر.

لايبدو مطلقا أن "ستاو"، كان الشخص المناسب لتنفيذ الأعمال، التى استهلت فى العام الخامس والأربعين من الحكم، وكان من المفروض إنهاؤها بأسرع وقت ممكن. ولقد استدعى بعض فنانى العاصمة إلى ذاك الموقع، لكى يقوموا، فى إطاره بنحت بعض النقوش البارزة "كنماذج". وفى معبد "وادى السبوع" المكرس لآمون المحلى، يمكننا، حتى اليوم ملاحظة الفرق الواضح بين تلك الأخيرة وبقية "الزخارف":

التى قام بها حرفيون ضئيلو الشأن محليون. إن التباين شاسع تماما، خاصة فيما يتعلق بمعالجة أشكال أبى الهول والتماثيل الأوزيرية العملاقة ذات الوجوه المعبرة.. أما بالنسبة للمعبد نصف الكهف المكرس لـ"بتاح"، فقد تعدت درجة الضحالة!!.. حيث ترى التماثيل، المنضمة إلى بعضها بعضا، وقد توارت بداخل عدة كوات "بالكهف"، وخاصة تلك القائمة بالكوة الكبرى فى أعمق أعماقه: لقد شوهت جميعها برتوش عديدة. كما يلاحظ أن الأشكال الأوزيرية العملاقة بالقاعة - الفناء فى "الكهف"، كان منظرها يثير الأسى والأسف!!.. ولكن العملاق الأول بالصف الجنوبى، الذى قام بنحته فنان متميز كفء ، أبدع وجهه بإحساس[١٨] جمالى واضح. أما كافة العمالقة الأوزيرية الأخرى، فقد اتسمت بالثقل والكآبة: فجعلت من هذا المعبد نصف الصخرى الخاص بـ"بتاح تانن"، مجرد تقليد هزلى محزن لكهف "محا" الجليل الفخم. ربما قد تم ذلك عن قصد لتوضيح السمات الجهنمية لهذا المعبد؟!

عامة، ومهما يكن الأمر، يتبين أن رمسيس بعد أن أوحى إليه بينوته لـ"بتاح"، قد أبدى رغبته فى تكريس معبد رابع ضخم آخر من أجله فى النوبة. وقد تقرر أن تستقبل كل من هذه المعابد المركب المقدسة، بعد قيامها من "محا" و"إبشك"، لكى تنساب فوق مياه الفيضان عند بداية دخوله النوبة المصرية (واوات)؛ وترشد الأمواج الخصبة، من موقع إلى آخر، حتى تصل إلى "تا مرى".

اقتضى الأمر أن يكون هذا المعبد أيضا بمثابة موقع استقبال مؤقت للمركب المقدسة. وفى أعمق أعماق "قدس الأقداس"، تم إعداد كوة فسيحة الأرجاء؛ لكى تستقبل أربعة تماثيل إلهية، لا ثلاثة فقط: تبدو جميعها جالسة فوق مقعد حجرى كبير. ونرى، من الجنوب إلى الشمال، تمثالين لـ"بتاح"، وقد توج رأسه صقر باسط جناحيه؛ ثم يليه رمسيس مجاورا لـ"بتاح تانن"؛ وفى النهاية "حتحور". ويلاحظ أن رمسيس قد مثل أيضا فوق قمة هذه الكوة، من خلال مشهد يصوره فى أثناء تقديمه لبعض القرابين إلى المركب الإلهية.

وها هنا أمر مستحدث آخر: فقد أشير إلى رمسيس، باعتباره رمسيس - الإله[١٩] (با نتر) مالا يقل عن سبع مرات. وخلاف ذلك، هاهى القاعة - الفناء، وقد انتصبت فى وسطها ستة أعمدة "أوزيرية" النمط: على جانب كل منها، كالمعتاد تماثيل للملك "بملابس الأحياء" (جزع عارى، ومئزر الرسميات). وفوق جداريها الجنوبى والشمالى؛ حفرت ثمانى كوات متجابهة، تحتضن فى أعماقها الصخرية، أشكال تمثل رمسيس واقفا وقد أحاطت به بعض الأرباب. فالأمر يتعلق هنا: بـ"رمسيس فى بيت بتاح"، و"رمسيس فى بيت آمون" و"رمسيس فى بيت رع". وذلك، إيماء إلى المعابد الصغيرة التذكارية الأخرى الخاصة باستقبال المركب فى طريقها إلى مصر: جرف حسين، وادى السبوع، و"الدر". واعتبرت "محا" بمثابة نقطة الانطلاق، حيث توجد مركب: "رمسيس الفيضان" التى تستوعب فى جنباتها الجوهر الإلهى كاملا: لرمسيس با - نتر (أو بالتحديد الإله الرابع الذى يجسده رمسيس؛ أى: "ست").

فى داخل هذا الكهف - نصف الصخرى، تأكدت ألوهيته تأكيدا جازما. حيث أقر بها أيضا، فى مقصورة ذاك الإله، الذى كان قد خلع عليه حقوقه بواسطة ما يسمى بـ"مرسوم بتاح فى معبد ميعام".

مع عودة الفيضان الذى حدد خط سيره بواسطة المعابد الثلاثة، التحم رمسيس التحاما وثيقا بالتجدد السنوى؛ باعتباره: "ابن الشمس". "وكذلك، مثلته الأعمدة الأوزيرية فى معابده الأربع الكبرى النوبية، فى هيئة الأحياء: أى عارى الجزع والساقين، مرتديا المئزر الملكى القصير .. وليس متدثرا بكفن الموتى ..".

أمام هذا النصب الشامخ الأخير، يجدر بنا إبداء هذه الملاحظة. لقد كرس رمسيس هذه المعابد من أجل الآلهة الثلاثة الكبرى: "رع" (الدر)، "آمون" (وادى السبوع)، وبتاح (جرف حسين)؛ وهم أيضا، الراعون الأساسيون لكتائبه الحربية الضخمة؛ بل إنهم، بالإضافة لذلك، يشيرون إلى مبدأ "الثالوث - الأوحد". وقد يحق لنا طرح هذا التساؤل: بداخل كهف "محا" المهيب، حيث مثل رمسيس فى قدس الأقداس وقد أحاطت به تلك الأشكال الإلهية الثلاثة؛ هو "الأحمر الشعر"، المنتسب إلى

"ست"، ألا يعتبر، شخصيا، بالفعل، أحد تجليات "ست" المرئية .. هذا الإله الراعي الرئيسي للكتيبة الرابعة بجيشه؟!.

إنها قطعا محطات فعالة نشطة من أجل الجولة السنوية المعجزة للفيضان .. معابد رمسيس الأربعة النوبية هذه، بل هي بمثابة حرسه القوى الذى لا يقهر أبدا.

## اليوبيل السادس

فى أواخر العام الخامس والأربعين من حكمه، حل موعد اليوبيل السادس. ولاشك أن إعادة تلك الاحتفالات والمراسم قد أصبحت بمثابة روتين فعلى.

ربما أن رمسيس، وقتئذ، كان قد طعن فى السن، وأصبح يعانى من أضرار هذه الشيخوخة. وها هو "خع إم واست"، قد فقد إلى حد ما بعض توقده ونشاطه. ولذلك، أسند إلى الوزير "خاى" مهامه ثقيلة الوطء المتعلقة بتنظيم وإعداد اليوبيلات.

## من العام السادس والأربعين إلى السابع والأربعين من الحكم

إن الفرعون قد بلغ الآن عامه السبعين. ورأى أن الضرورة تحتم عليه، لكى ينتقل من مكان إلى آخر، أن يتكئ على عصاه. وبدا منحنى القامة، أماما[٢٠] .. كمثل آتوم!!

بالنسبة لـ"باك إن خونسو"، كان فى ذاك الحين، منهمكا تماما فى التردد على إحدى المحاكم القضائية بطيبة. حيث تكونت هيئة القضاة من: "النبى الأول" و"الثالث"، ومن "كبير أنبياء موت"، و"نبى الإله خونسو"، وأربعة كهنة آخرين، و"سكرتير المحكمة". كان النزاع القضائى بين وريثين، من أجل أن يخصص جزء من أملاكهما موضع النزاع، لمعبد "موت". وفى الماضى، كان رمسيس يصر على الإحاطة بمثل هذه

التفاصيل؛ وأحيانا، كان يبعث بأحد مندوبيه لحضور الجلسات .. ولكن، هيهات، لقد مضى كل ذلك وفات!

ها هو الفرعون الآن، في قصره الفخم الفاخر يعاني من اضمحلاله الجسدي. ولكنه، بالرغم من ذلك، كان اهتمامه ينصب قبل كل شيء على تدعيم وتقوية أسس أسرته، ومستقبل إنجازاته السلمية ..

## لوحة العام الأربعمائة

قرر رمسيس، أن يقيم في معبد "ست" (الأكثر قدما، المشيد بجنوب عاصمته المقبلة)، لوحة مكرسة لهذا الجوهر الإلهي .. الذي يعتبره سلفه وجده الأول. لقد أراد الملك، بذلك، أن يوضح التاريخ ويزيل غموضه!.. لقد عرفت هذه اللوحة باسم "لوحة العام الأربعمائة". وقد اكتشفت في تانيس بفضل "أ. ماريت"، في عام ١٨٦٣[٢١]. إنها تعد عنصراً تاريخيا ذا أهمية قصوى .. ومع ذلك، قد يشوبها العتامة والغموض من ناحية التأويل والتفسير.

بداية، وقبل كل شيء ، سوف نفهم تماما، أن الشك من ناحية هذا النسب الإلهي لـ"ست" لم يتطرق أبدا إلى نفس رمسيس. إنه على يقين تام بأن "ست" هو سلفه وجده الأول. وهكذا، نجد أن القوس العلوي للوحة يقدم لنا شكلا مركزيا يمثل رمسيس؛ في أثناء تقديمه قربان وعائي النبيذ إلى "ست": الذي بدا مرتديا ثيابا مماثلة لتلك التي يرتديها عادة الإله الآسيوي "بعل"؛ ولكنه، يمسك، بإحدى يديه الصولجان "واس"، المصري الأصل، وبالأخرى الرمز "عنخ". وخلف رمسيس، ربما وفقا لما تبينه قائمة ألقابه، يقف "سيتي"، أبوه .. قبل أن يتبوأ عرش مصر. ومع ذلك، وقطعا، من أجل تأكيد تهيؤه ليصبح ملكا[٢٢]، يرى الذيل الحيواني المستطيل متدليا خلف مئزره؛ مماثلا تماما لما يرتديه رمسيس.

هذا النص المنقوش فوق اللوحة، لا يتسم، من نواحٍ عديدة بالوضوح التام. ولكنه، على أية حال، يفصح عن: أن رمسيس قد نصب هذه اللوحة تكريما للأسماء المعظمة "لأبائه" (أي: أسلافه وأجداده)، حتى يبلور ويبرر اسم "أب آبائه" ("ست")، وكذلك ذاك الخاص بـ"سيتي" الذى توفى، وهو أبوه الدنيوى. ثم يتلو ذلك هذا التاريخ المحدد: "العام الأربعمائة". ويلاحظ هنا، أنه للمرة الأولى فى تاريخ مصر بأثره، يتعلق الأمر بفترة تاريخية أو عصر. فعند بداية كل حكم، منذ الأسرة الأولى، كان يستهل من جديد ترقيم حديث للأعوام!!

ولذلك، نجد أن رمسيس يشرح لنا هذا الأمر، قائلا: منذ أربعمائة عام كان المدعو "ست نوبتى"، ابن رع، رب الأرباب، يعبد فى هذه الأرض (*يرى البعض، أن ذلك قد يتطابق مع بداية فترة احتلال الهكسوس لمصر*[٢٣]). وبعد مرور أربعة قرون، يواصل تسجيل كتابات اللوحة، فى رابع أشهر الصيف، فى اليوم الرابع من الحكم، ليأتى، فى هذا المكان نفسه: "سيتى" (وقد توفى).

يتلو ذلك، كافة الألقاب التى حملها ذاك الملك قبل ارتقائه خليفة لوالده على العرش،ومنها، لقب "وزير"، و"ابن الأمير الوريث"، و"حاكم المدينة"، و"الوزير"، و"رئيس النبالين"، و"محافظ البلاد الأجنبية"، و"قائد قلعة ثارو"، و"الكاتب الملكى"، و"المشرف على سلاح العربات" "با رعمسو"، المتوفى الذى ولدته ربة البيت، مغنية رع، المدعوة "تيو"، المتوفاة".

يلاحظ إذن، أن جميع أسلاف رمسيس كانوا ينتسبون إلى سلالة "ست". حيث تأصلوا ونبتوا منها. ومنها انحدر "با رعمسو" و"سيتى"، وهما من كبراء موظفى المملكة، قبل أن يؤسسا الأسرة التاسعة عشرة؛ ونفس هذه الأسرة كذلك تمخضت أساسا من رحم إحدى مغنيات رع .. فهاهنا إيماء إلى أول زواج إلهى عرف بمصر!

إن "ست" يعد راع وحامٍ لذوى الشعر الأحمر. وبذلك، نقل لون شعره المتوهج إلى جميع أفراد سلالته؛ وأكثرهم شهرة وذيوع صيت هو رمسيس .. فلاشك فى ذلك أبدا. كما أن الأجواء الشمسية المتعلقة بـ"ست" التى تحظى بها الأسرة، تتجلى أيضا،

بواسطة الإيماءات الواضحة المقصودة، إلى العدد "أربعة". ربما إذن أن رجال الدين، قد أرادوا، بواسطة ذاك التاريخ المذكور (أربعمائة عام) أن يبينوا "ست" باعتباره الإله الرابع، وعلى قدم المساواة مع الثالوث الرسمى بمصر؟!.. فهكذا تساءل "هورنونج[٢٤]".. وها نحن نرى "ست" وقد ركز تماما على وجوده فى أبو سمبل بواسطة شخصية رمسيس نفسه، بداخل قدس الأقداس بمعبد "محا" .. وقد أحاط به الثالوث الرسمى للمملكة!!..

يتبين إذن، أنه من خلال هذه اللوحة الخاصة بالعام (أربعمائة)؛ من المؤكد أن الملك وقد قاربت حياته على المغيب[٢٥]، قد لجأ إلى تحديد وتوضيح حقيقة كينونته، وما يريد أن يكونه. وباعتباره منبثق من "ست"، أراد هذا الفرعون، للمرة الأخيرة، تأكيد جذوره ومنبته، أى بالتالى شرعيته على عرش مصر. ولكن أيضا، بواسطة هذا الجوهر المهجن – المسكونى (موحد) – إذا جاز التعبير – المكون من "ست – وبعل" معا، هدف رمسيس إلى التعبير عن التطابق الفعلى بين الآلهة أجمعين .. حتى يعم السلام بين كافة بلاد العالم!

## وفاة مرى آتوم

"مرى آتوم[٢٦]"، هو أحد أبناء نفرتارى، ويحمل الرقم (١٦) بين أبناء رمسيس. وكان مقر إقامته فى هليوبوليس؛ حيث أصبح كاهنها الأكبر. وفى اللحظة التى كان رمسيس قد شارف خلالها على عامه الواحد والستين، انتقل "مرى آتوم" إلى العالم الآخر. وقد حدث ذلك فى العام السابع والأربعين من الحكم. وفى مناسبة جنازته، بين عدد هائل من أفراد عائلته، شوهد أخوته الثلاثة الكبار؛ وهم: "الأمير وريث العرش"، وهو الابن الأكبر لنفرتارى ورمسيس؛ ثم "ست حر خبش إف"، وأيضا "القائد الأعلى رمسيس"، ثم "الكاهن الأكبر لـ "بتاح"، "خع إم واست"؛ والاثنان أنجبتهما إيزيس نفرت.

## اليوبيل السابع

مرة أخرى، فى العام الثامن والأربعين، تم إحياء مراسم هذا اليوبيل. وحقيقة، أن رمسيس، وقتئذ، كان ينتظر من خلالها نفعًا كبيرًا .. ولكن هيهات، لم يكن لمفعولها أى أثر عليه!!.. ثم هاهو صديقه "ونن – نفر"، "كاهن أوزيريس الأكبر"، قد كرس له تمثالا جديدا فى أبيدوس.

## حالتـا وفـاة

فى العـام الخمـسين من الحكم، توفى "ونن – نفر" مـتـوجـهـا للقـاء أوزيريس، وانتقلت وظيفته فورا إلى ابنه "حورى". وفيما بعد، خلفه، حفيده "يويو". لقد أصبح الحزن والحداد يخيم دائمـا على البلاط الملكى. وبعد فتـرة مـا، انتقل الابن الأكبـر لـ"إيزيس نفرت"، وهو القائد رمسيس هو الآخر، إلى العالم السفلى.

## اليوبيل الثامن

هكذا إذن، ترك الابنان البكريان للزوجتين المعظمتين أبيهما الفرعون وحيدا فى هذه الحياة الدنيا. إنه الآن فى السادسة والسبعين من عمره، وقد فقد كل حيويته وعنفوانه. وعلى ما يبدو، أنه لم يحضر مراسم هذا اليوبيل الثامن .. فقد تابعها عن بعد .. لما كان يشعر به من إرهاق!

## آخر ألغاز رمسيس الرمزية

ولكن، كانت الضرورة تقتضى، أن يدعم ويقوى مظاهر التناسق والتناغم ما بين مختلف العقائد، وفقا للمعاهدة المبرمة مع "خاتى". وبدا واضحا، أنه مازال يستطيع

بذل مجهودا فى هذا المجال. وهكذا، أصدر الفرعون أوامره بتنفيذ تمثال مجموعة ضخم، من الجرانيت الرمادى اللون: إنه يمثل صقراً رائعًا هائل الحجم، وجهه الصارم الملامح من الحجر الجيرى. ويحمى بين قائمتيه شكلا لطفل ملكى جالس القرفصاء. يعلو رأسه قرص الشمس، أى: "رع". وقد وضع هذا الطفل النبيل أصبعه فى فمه، أى: "مس". وامسك بفرع نبات، يعنى: "سو". وهكذا تكون أمامنا اسم مولد الفرعون: "رع – مس – سو". إن "رع – مس – سو"، هو الابن الشمسى، مهما تباينت القوة الإلهية الممثلة هنا. ولذلك، عندما نرى إنه قد بدا تحت رعاية وحماية الصقر؛ قد يتبادر إلى أذهاننا أن الكتابة المنقوشة أسفل قاعدة هذا الطائر الضخم، سوف نقول: إنه حورس. ولكن الأمر عكس ذلك تماما. فإن الملك هنا، فى هذه الحال، "يحظى بحب حورون": أى الجوهر الإلهى المعبود خاصة بالمناطق السامية – فى سوريا وفلسطين[٢٧]. وانتقل إلى بلاد الحيثيين[٢٨]. ولاشك أن أفراد الفئات الآسيوية التى استوطنت تلك المنطقة الشرقية بالدلتا، سوف يسرون ويسعدون كثيرا .. عندما يرون أن حورس العظيم، قد امتزج أيضا بـ"حورون"!!

خلاف ذلك، نجد أن منطقة الدلتا بمصر، قد سمحت بلجوء هذا الإله الكنعانى إلى أراضيها بداية من الأسرة الثامنة عشرة والحروب الشرقية التى شنها أمنحتب الثانى.

## وفاة ست حر خبش إف

فى العام الثانى والخمسين أومأت الكتابات، أن الفرعون قد أصدر أوامره بأن يكون الأمير "خع إم واست"، "الكاهن الأكبر لبتاح" وريثا للعرش (ولكن ليس شريكا له). وقد يتضح المبرر وراء ذلك، إذ عرفنا بوفاة "ست حر خبش إف"، بعد ذلك بفترة قصيرة: أى فى العام الثالث والخمسين.

## اليوبيل التاسع

ها هى الاحتفالات قد أقيمت فى العام الرابع والخمسين. وعندئذ، فوض الأمير "مرنبتاح" الذى كان يزداد نفوذا يوما بعد يوم، المدعو "يوبا"، ابن "أورحيا"، "المشرف الأعلى على معبد آمون" والرمسيوم؛ لإعلان هذا الحدث المهم (١٢٢٦-١٢٢٥ قبل الميلاد). وفى ذاك الحين، نقل الفرعون، وقد شمله الحزن والألم إلى مخدع "الكاهن الأكبر لبتاح" فى منف .. وهو يلفظ آخر أنفاسه.

## وفاة خع إم واست

فى العام الخامس والخمسين، غادر "خع إم واست" الحياة الدنيا. وكان الفرعون وقتئذ، قد بلغ الثمانين من عمره. ولم يجد وقتئذ، سوى الحزن والبكاء على هذا الابن القريب جدا إلى قلبه. بل الذى شاركه الجهد والعمل من أجل بناء معابد جديدة؛ ولزيادة التعمق فى خبايا وأسرار الجوهر الإلهى.

## اليوبيل العاشر

تم إحياء هذا اليوبيل فى السنة السابعة والخمسين. ولم يكن عمر الفرعون، فى هذا الحين، ليقل عن اثنين وثمانين سنة. وقد أوكل بمهمة تنظيم وإعداد احتفالات هذه المناسبة إلى "وزير الجنوب" الجديد، "نفر رنبت".

من المفترض، فى أوائل العام الستين، أن عرش مصر كان خاليا. ويتراءى أن الأمير مرنبتاح، آخر الأبناء المزمع توليهم الملك، الذين أنجبتهم "الزوجات الملكيات المعظمات"، كان مثقلاً للغاية بمسئولياته كشريك فى الحكم. وربما أنه قد تزوج من الأميرة الصغيرة إيزيس نفرت[٣١]، وأيضا "بنت عنات" الثانية، ابنة "بنت عنات" الأولى[٣٢]، التى كانت قد حظيت بلقب الزوجة الملكية المعظمة!!

## يوبيل رمسيس الحادى عشر

بالرغم من كل ذلك، كانت اليوبيلات تتوالى وراء بعضها بعضا .. دائما وأبدا!! وقد أعلن عن اليوبيل الحادى عشر فيما بين عامى (٦١-٦٢): وتولى هذه المهمة وزير الجنوب، "عمدة طيبة"، "نفر رنبت". ومن الطبيعى، أن الفرعون لم يكن ليغادر قصره. لقد أصيبت تدريجيا الدورة الدموية فى رأسه بأضرار ناجمة عن مرض تصلب الشرايين[٣٣]. وانحصرت حياته الراكدة الخاملة فى مجرد متطلبات المراسم الدينية الملكية. فقد كان حريصا كل الحرص على احترام الأصول والواجبات، على مدى اليوم بأكمله[٣٤] .. باعتباره إلها فوق الأرض. ومنذ لحظة استيقاظ الفرعون حتى موعد نومه، كان كبار موظفيه يحرصون كل الحرص على القيام بعملية اغتسال وتجميل هذا الإله. بل ويقومون بتطهيره الشعائرى، وإلباسه ملابسه: حيث كان يقدم إليه كل رداء وكل زينة، من خلال مراسم احتفالية خاصة. وهكذا، كان الحلاقون، وأخصائيو العناية بأظافر اليدين، والقدمين؛ وأطباء الأسنان، والحلاقون يهرعون بكل همة وحماس .. للعناية بهذا الإنسان الغائب - تقريبا - عن الوعى!!

## اليوبيل الثانى عشر، والثالث عشر، والرابع عشر

هنا، والحال هكذا، تقرر الإسراع فى إحياء الأعياد "سد": أملا فى قواها الكامنة السرية؛ لكى تتحقق معجزة ما: اليوبيل الثانى عشر تم إحياؤه فيما بين عامى ٦١-٦٢؛ واليوبيل الثالث عشر: خلال سنتى ٦٣-٦٤، ثم اليوبيل الرابع عشر إبان عامى ٦٥- ٦٦

استهلت[٣٥] الآن السنة السابعة والستين من الحكم .. وسرعان ما توقف تماما قلب رمسيس الذى ظل ينبض طوال اثنين وتسعين عام: لقد أسرع "المرشد الأعظم"، أنوبيس الوفى، ذو رأس الكلب .. وأخذ بيده ليرشده نحو "العالم الآخر"!. حدث ذلك فى بداية فصل الفيضان، فى عام ١٢١٣ قبل الميلاد.

# هكذا كان رمسيس ...
# شمس مصر المشرقة

هكذا عاش أوسر ماعت رع، رمسيس مرى آمون.

لم يماثله أى فرعون آخر فى كم الكتابات الخاصة معبرا عما يريد أن يكونه، وما أنجزه. هو، ولا أحد سواه، قد ترك لنا الكثير من البراهين والأدلة المعمارية الهائلة الفخمة، لكى نتفهم جيدا مبررات وأهداف أعماله.

– ومع ذلك، هل عسانا نسلم ونقتنع بحرفية المغالاة المذهلة ببعض النصوص.. التى ربما قد حولت الحقيقة الباهتة الكالحة إلى انتصارات مبهرة؟!..

– ألا يعتبر ما ذكر عن فترة شبابه ونبوغه الخارق للطبيعى؛ حيث أعزى إليه، فى عشية فطامه من الرضاعة، قدرته ليكون شريكا فى الحكم مع أبيه الملك الرفيع الكفاءة والتميز .. أمراً غير منطقى لا يقبله العقل؟!!

– هل عسانا نصدقه، من خلال بعض مواقفه المفعمة بالتفاخر والخيلاء: وهو ينكر بشدة القائمين الفعليين بالإصلاح العمارنى؟!

– هل علينا أن نصاب بالذهول والافتتان أمام المعجزات والأحداث الخارقة للطبيعة التى واكبت حياته؟!

حقا، فى نظرنا نحن الحديثون الغربيون يتراءى ذلك على شىء من المغالاة. ولنبدأ مثلا، بموضوع امتداد سنوات عمره امتدادا فائقا. وكذلك الأمر بالنسبة لسنوات حكمه، وكثرة أبنائه بشكل فائق: حيث كان يزهو بهم ويوليهم أفضل رعاية وعناية.

وهذا، أمر حقيقى فعلا. فقد أنجب رمسيس ما يزيد عن خمسين ابنا، وعددا مماثلا من البنات!!.. وقد فاق هذا الفرعون كافة الفراعنة الآخرين فى هذا الشأن:

استقبل فى حريمه المتعدد، الكثيرات من الأميرات الأجنبيات. وأسهمت معه سيدات مصريات نبيلات فى إثراء ذريته ومضاعفتها ولكن، إذا أمعنا النظر فى محيط زوجاته الملكيات المعظمات، سوف نلاحظ أن أبناء زوجتيه الأولتين، نفرتارى وإيزيس نفرت، هم الذين أهلوا لاعتلاء العرش من بعده: ويتراءى عددهم قليلاً بشكل ملحوظ.

يرى الكثيرون منا أن تفاخر هذا الفرعون وخيلاؤه، يبدو مذهلا، بل "رهيب الوقع". وفقا لعبارات س. فاندر سلين: "كم هائل من الألقاب والمديح الموجه إلى هذا الملك. إنه، لكى يؤدى إنجازاته على أحسن وجه، كان لزاما عليه أن يقدم نفسه لشعبه باعتباره التجسيد المجسم للإله الأعظم .. وليس مجرد ابن له، مثلما فعل الفراعنة الآخرون!..".

ومع ذلك، فقد نستشف أمرا واقعيا فعلا من خلال الكتابات التى أوصى بها الملك. فكونه نابغة وموهوبًا ، هذا أمر مؤكد. كما أن اشتراكه فى الحكم وهو مازال صبيا يافعًا مع أبيه: هناك أدلة على ذلك لا تقبل أى مجال للشك. فبداية من تلك الفترة، حاز رمسيس بالفعل على الخرطوش الملكى المتضمن لأسماء تتويجه.

وعن معركة "قادش": مجرد هزيمة؟! قطعا لا. ولكنها، سريعا، وبداية، يمكن اعتبارها: "نتيجة تعادل بين الفريقين" (كما يقال فى عالم الكرة). وقد يقول البعض: إنها كارثة، كادت تقع لغفلة، وعدم توخى الحذر لا يغتفر أبدا .. ولكن الفرعون تجنبها وتحاشاها فى اللحظة المناسبة. قطعا، كادت المصيبة أن تقع لعدم حرصه. أولا، لأنه وثق فى بعض المعلومات التى لم تراجع وتمحص جيدا .. فاندفع مهاجما القلعة المستهدفة، على رأس كتيبة آمون، فقط لا غير!! وبالرغم من ذلك، فهناك حدثان فائقا الأهمية عملا على تعادل وتوازن ذاك الخطأ الفادح. فإن رمسيس، فى إطار إستراتيجيته الحربية، راعى أن يحدد، فى الوقت المعين المتفق عليه موعد وصول كتيبته المنتقاة المتميزة للغاية المكونة من المقاتلين " النعرن" ولاشك أن هذا العامل كان أساسى، لتعديل وإصلاح موقف، كان، على ما يبدو، يوشك على الانهيار. عموما، لقد استعاد الملك توازنه وحقق النصر لشجاعته وبسالته التى لا مثيل لها، ولتوقد ذهنه ..

وهو يواجه احتمال الهزيمة. من المؤكد أن رمسيس لم يكذب أبدا، وهو يسجل ملف المعركة ويعرض مشاهدها. لقد راعى تصوير قلعة الأعداء، "دون اجتياح القوات المصرية لها أو غزوها".

لاشك أن ذكرى هذه المعركة، التى أراد ملك الحيثيين وضع حد لها، قد غدت بالنسبة للفرعون بمثابة هاجس مزعج راود فكره لسنوات عديدة؛ ألا وهو: إعادة غزو المواقع التى فقدها فى "كنعان" و"عمورو" .. فهذا هو هدفه الذى تحقق - إلى حد ما - باستيلائه الخاطف المؤقت على مدينة "دابور". وعندئذ، تراءى له أن الحرب غير متعادلة؛ ولا لزوم لها؛ خاصة أن عدوه ملك الحيثيين قوى البأس شديد الشكيمة، بل ويحظى أيضا بتواطؤ وتحالف بعض البلاد الصغيرة المتأهبة دائما للتمرد على سيطرة الفرعون ونفوذه .. إذن، والحال هكذا، رأى رمسيس أن الدبلوماسية هى أسلم وأصوب الحلول!!..

وأخيرا، استطاع الفرعون استعادة المفاوضات والمباحثات مع خصمه الحيثى، لكى يسود السلام الذى مهد له بكل صبر وتأنٍ . ولكن، على ما يعتقد، أنه كانت تراوده حينئذ أفكار أكثر ضخامة وخطورة!.. فلاريب أنه كان يود من كل قلبه أن يمحو تماما من ذاكرته تجربة وهزيمة قادش القاسية (وفقدانه لـ"عمورو")؛ ولذلك، رأى أن الأمر يستلزم، أن يبدى سطوته وعلو منزلته: أن يحوز على ابنة من صارعه وخاض ضده القتال .. وربما أن هذا الأمر كان يعد بمثابة نقطة الذروة فى إطار حكمه المديد؛ ولكن، بالرغم من ذلك، فإن فرصته الكبرى المواتية، بدون شك، هى تعامله وتباحثه، مع ملك الحيثيين، العظيم القدر، الذى يتسم بالصدق والاستقامة، ويجنح كثيرا إلى السلم.

ولعلنا، نستطيع أن نتعرف على حقيقة شخصية رمسيس الفعلية من خلال مراسلاته مع هاتوسيل وزوجته الملكة"بودوخيبا". فسوف يتراءى لنا: إنسان يتحلى بانفعالات مباشرة، واضح وجلى السلوك تماما. يميل إلى الدعابة والتفكه اللاذع الساخر؛ ويغالى أحيانا فى متطلباته. ولكنه، بالرغم من ذلك، يعرف، بكل فطنة ومهارة

– بلا تحشم ولا حياء – كيف يضفى الليونة والنعومة على مواقفه .. وفقا للظروف والأحوال!.. لقد استطاع الفرعون، بكل حذق وبراعة، أن يدعم كافة هذه الأحداث، التى اختتمت فترة انتظار طويلة المدى .. بخلفية مسرحية تتوالى بها المعجزات والوقائع الخارقة للمألوف، فى أثر بعضها بعضا!!

إن جذوره وأصوله غير الملكية لم تغب لحظة واحدة عن مخيلته؛ وكذلك شعره أحمر اللون (وراثى قطعا)، قد بوأه مكانة بين مريدى وأتباع "ست" الصاخب المقلق المزعج. وقد دفعه كل ذلك، إلى الاستعانة إلى حد ما، بالتعازيم والرقى، ضد كل ما كان يعتبره عائقًا أمام هيبته وسطوته، ومعرقلا لها.

كان الأمر يلزم قبل كل شيء ، أن يثبت دعائمه ويقوى موقعه كإنسان فوق الطبيعى، يقوم بإنجازات وأعمال خارقة مشهودة ومأثورة!!.. ومن هذا المنظور، يمكن إعتبار رمسيس بمثابة "رجل الاتصالات والمعلومات" الأول عن جدارة!!.. لقد أفاض فى أحاديثه، وتفسيراته، وكتاباته؛ وزود نصوصه الدينية والتاريخية بتفاصيل دقيقة واقعية، وتفسيرات عملية. جملة القول، أراد رمسيس أن يقوم بمهمة "الإعلامى"؛ ونجح بالفعل فى وضع التخطيط الأولى لصفحات التاريخ.

ونجد، بدون أن تخدعنا بعض المظاهر، أنه، طوال سنوات عمره المديد، لم يخوض دائما وبشكل مستمر حروبا ومعارك قتالية. فعلى سبيل المثال، أنه فى بداية حكمه، لم يقض الفرعون سوى خمسة عشرة عاما فى غزوات عسكرية أو صراعات حربية خاطفة تتميز بالإصرار والعناد .. بالرغم من أنه مكث على العرش مالا يقل عن سبعة وستين عامًا !!.. أما عن الفترة التالية، فقد تضمنت معظمها، إبرام "معاهدة السلام" والاتفاقيات المنبثقة عنها. أما عن الجزء الثالث من حكمه لمصر، فقد كفل له، بفضل سنوات مديدة تفيض بالسلام فى الشرق الأدنى، وثراء فائق المدى فى أنحاء مملكته أن يتجه حكمه دائما لتحقيق سبل الثراء والرخاء لمصر .. فى ظروف استثنائية بلا جدال.

كان رمسيس يتمتع بتوقد البصيرة والذكاء. ويحيط به جمع من كبار الموظفين البارعين البارزين؛ ويتكاتف ويتعايش فى جواره - بالرغم من الحروب - عدد من الشرقيين المقربين جدا منه؛ ينحدرون أساسا من "كنعان" و"عمورو". لقد تراءى هذا الفرعون وقتئذ، وكأنه المكمل السرى للإصلاح العمارنى: فنجد، أنه لم يكتف بمجرد حث ودفع الفنانين إلى استعادة واقتباس بعض أساليب "الديكور" الماضية. ولكنه، فى ذات الحين، كان على يقين أن الضرورة تحتم إثراء المعتقدات الدينية بمفهوم متسع المدى "فائق النقاء" عن الألوهية.

بالرغم من ذلك، لكى يقنع رمسيس هذا التطوير ويحميه .. رأى أن الأمر يستلزم، أن يجاهر علنا برفضه لمن أوحوا به وعملوا على انتشاره!!.. ولذلك، اتخذ موقف المرتد الرافض: فعمل بكل عنف وشدة على إتلاف وتدمير معبد "الدير البحرى"؛ وكذلك المقابر التذكارية الخاصة بحاشية الملكة حتشبسوت فى منطقة "جبل السلسلة". بل وقام أيضا بهدم مدينة "أخيتاتون". ثم لجأ كذلك، إلى طمس معالم الآثار العمارنية القيمة فى كافة أنحاء مصر. وبكل مهارة وحذق، عمل على إلغاء اسم حتشبسوت، وكافة أمراء الديانة العمارنية الجديدة .. من القوائم الملكية الرسمية!

وباعتباره أكثر تقاربا وتفاهما من الملوك السابقين، من شعب مصر؛ وأيضا أكثر إحساسا بمتطلباته وآماله .. فها هو رمسيس المتسم بالألفة والاجتماعية، قد بدأ يجنح نحو التوحيد العقائدى. وبذلك، فإن قرب عاصمته "بر - رمسيس" من حدود مصر الشرقية، قد أتاح له الفرصة لكى يقرب ما بين مضمون وفحوى آلهة مصر، وتلك الخاصة بالجيران الشرقيين. وهكذا، أمر بإقامة نصب دينية فى "ست - بعل"، و"حورس - حورون"، و"حتحور - عشتار". وبذلك، ففى كافة الأماكن حيث يعيش جنود أو حرفيون أجانب فى أرض وادى النيل .. تمتعت آلهتهم بحق المواطنة: أو بالأحرى، حظت كل من الإلهة "قادش"، و"عنات"، و"عشتار"، و"رشب" بأماكن عبادتها!

لاشك أن رمسيس كان يجيد استغلال الأحداث التى تمر به، لصالح حكمه لمصر. ولذلك، لم يتوان مطلقا عن الاستعانة والتشبث بفترة ظهور نجمة الشعرى اليمانية

حيث ارتقت عائلته العرش خلالها. فها هو إذن، يستأثر بالشروق الشمسى للنجمة "سوتيس"، وبفصول فيضان النيل فى أول العام الجديد. بل لقد عمد رمسيس إلى الإشارة لهذه الظاهرة الطبيعية باعتبارها ضمن إبداعاته الشخصية؛ مناصفة مع مليكته الجميلة نفرتارى .. "التى تشرق الشمس حبا لها". لقد بوأ هذا الفرعون نفسه مكانة السيد المهيمن على الفيضان: تماما مثلما فعل أخناتون من قبله. وبالتالى، استطاع رمسيس الهيمنة على التقويم الذى يرتبط به إيقاع كل أوجه الحياة !.. ولعلنا نلاحظ دلائل هذا البرنامج فى إطار الرمسيوم؛ هذا النصب، ضمن الكثير غيره، الذى شيده الفرعون. وجميع تلك المنشآت تعبر قطعا عن واقع كونى ..

ولكن هناك تساؤل ما، لم يستطع أحد حتى يومنا هذا الإجابة عليه .. ألا وهو: ما الموقف الفعلى من جانب رمسيس تجاه زوجته الملكة إيزيس نفرت؟!

هاهنا إذن ملك مسيطر تماما، مكتمل النفوذ. ومع ذلك، نجد أن سوء الحظ الوحيد الذى مُنى به سيد المعجزات هذا: إنه استمر فوق كرسى العرش لسنوات مديدة للغاية. وخلالها، عاصر انتقال معظم أبنائه البكريين إلى العالم الآخر!!..

ففى عام ١٢١٣ قبل الميلاد، كان خليفته فى الملك، أى ابنه الثالث عشر، مرنبتاح، قد أصبح رجلا مسنا .. عندما اعتلى عرش أبيه!

عموما، ترك رمسيس، قبل وفاته منابع ومصادر أسطورته الشخصية. وضمن نسله الفائق العدد، يلاحظ أن "خع إم واست" الذى اشتهر عنه علمه الغزير ومقدرته السحرية البالغة هو الوحيد الذى استطاع إثراء آداب وعلوم العصر المتأخر. أما فيما يتعلق بمفاخر ومآثر أبيه، فقد امتدت عبر العصور والأجيال. وفى أجواء معبد خونسو بالكرنك، كانت ذكرى مشاهد احتفالات العرس الفاخرة بابنة ملك الحيثيين لا تزال تتراءى خلال القرن الرابع قبل الميلاد .. ولكن، مما يؤسف له ظهور بعض الالتباس والتشوش بخصوص هذا الأمر. فهاهم كبار الكهنة يدعون أن الأميرة الحيثية كانت مصابة بمرض ما؛ حيث حتم الأمر التماس العون من التمثال الشافى المجسد لإلههم

لإبرائها من دائها .. ولقد نقش هذا النص فوق إحدى اللوحات: حيث سردت قصة أميرة "باكتان" بحذافيرها. وهذه اللوحة قائمة حاليا بمتحف اللوفر. بل إن الكاتب الفرنسى "لاكونت دى ليسل" قد استلهم منها فى كتابه المعنون بـ"قصائد أعجمية".

فيما وراء الحدود وعبر حقبات التاريخ، ها هى "التوراة" تذكر، لمرات عديدة موطن رمسيس وعاصمته الفخمة باهرة الثراء. وبعد ذلك، فى أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، قام هيرودوت بزيارة مصر. وهناك، حدثه البعض عن Rhampsinite الاسم المحرف لرمسيس وصروح معبده فى "منف". واستمع أيضا إلى من يتغنون بمجد وعظمة الفرعون الذى تطابق اسمه مع نظيره سالف الذكر "سيزوستريس" (سنوسرت). كما قيل له إن كهنوت "بتاح"، عندما طالبهم "داريوس" بأن يقام له شخصيا، أمام معبدهم، تمثال عملاق يقل ارتفاعه عن ثلاثين ذراعاً يماثل تلك الأشكال الممثلة لـ"سيزوستريس" المصرى؛ وقد أحاط به زوجته وأبناؤه .. فأجابوه بالرفض الحاسم!.. ولذا، فقد اقتنع هذا الملك العظيم، بأنه لم يتمكن من هزيمة الـ Seythes لأنه لم يحرز انتصارات تعادل تلك التى حققها "الفرعون".

ثم، بمرور الزمن، ذكر "ديودور الصقلى" (١-٥٤، ٧٣) المولد فوق الطبيعى، لهذا الملك، ابن بتاح "هيفايستون" ووفقا لمعلومات أمده بها "هيكالى" قام هذا المؤرخ بزيارة الرمسيوم، ووصفه؛ وقد أطلق عليه اسم: "مقبرة أوزيماندس" (محرف من: أوسر ماعت رع). وأخذ يتأمل فى إعجاب بالغ ذلك التمثال الرائع الشهير العملاق وهو ملقى بالفناء الأول. كما تحدث عن "الدوائر الذهبية" التى تشع بتألقها فوق قمة هذا النصب. بل وذكر كذلك معركة قادش التى خاضها الفرعون ضد الحيثيين .. حيث سماهم باسم "باكتريا" Bactria .

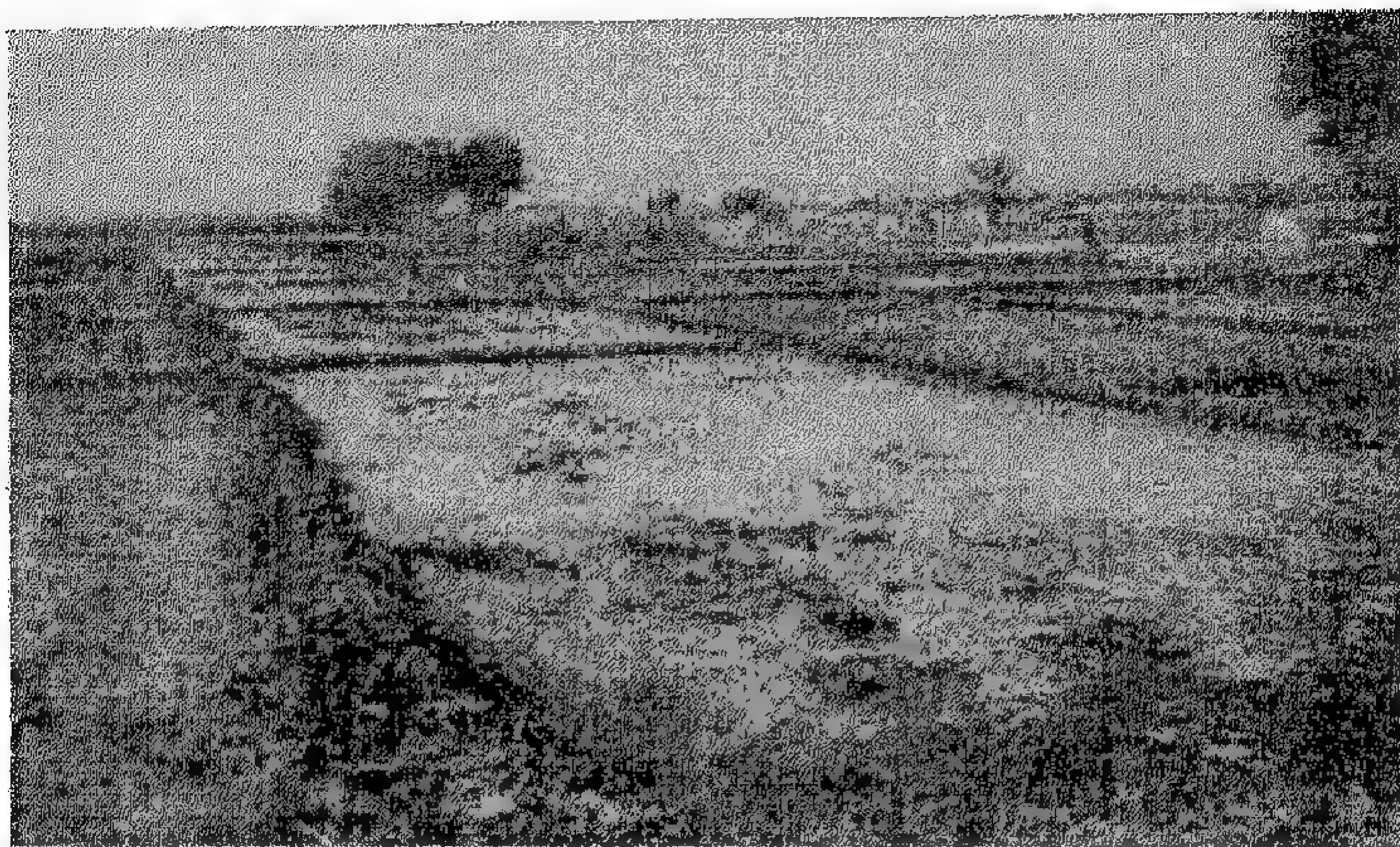
قطعا، مازال اسم رمسيس الثانى يشع بتألقه حتى وقتنا الحالى .. إنه يرمز بمفرده، لكل مظاهر عظمة وأمجاد كافة الفراعنة.

وربما أن رمسيس، يحتفظ لنا ببعض المفاجآت .. عندما تتكشف لنا إحدى "معجزاته" الجديدة!!

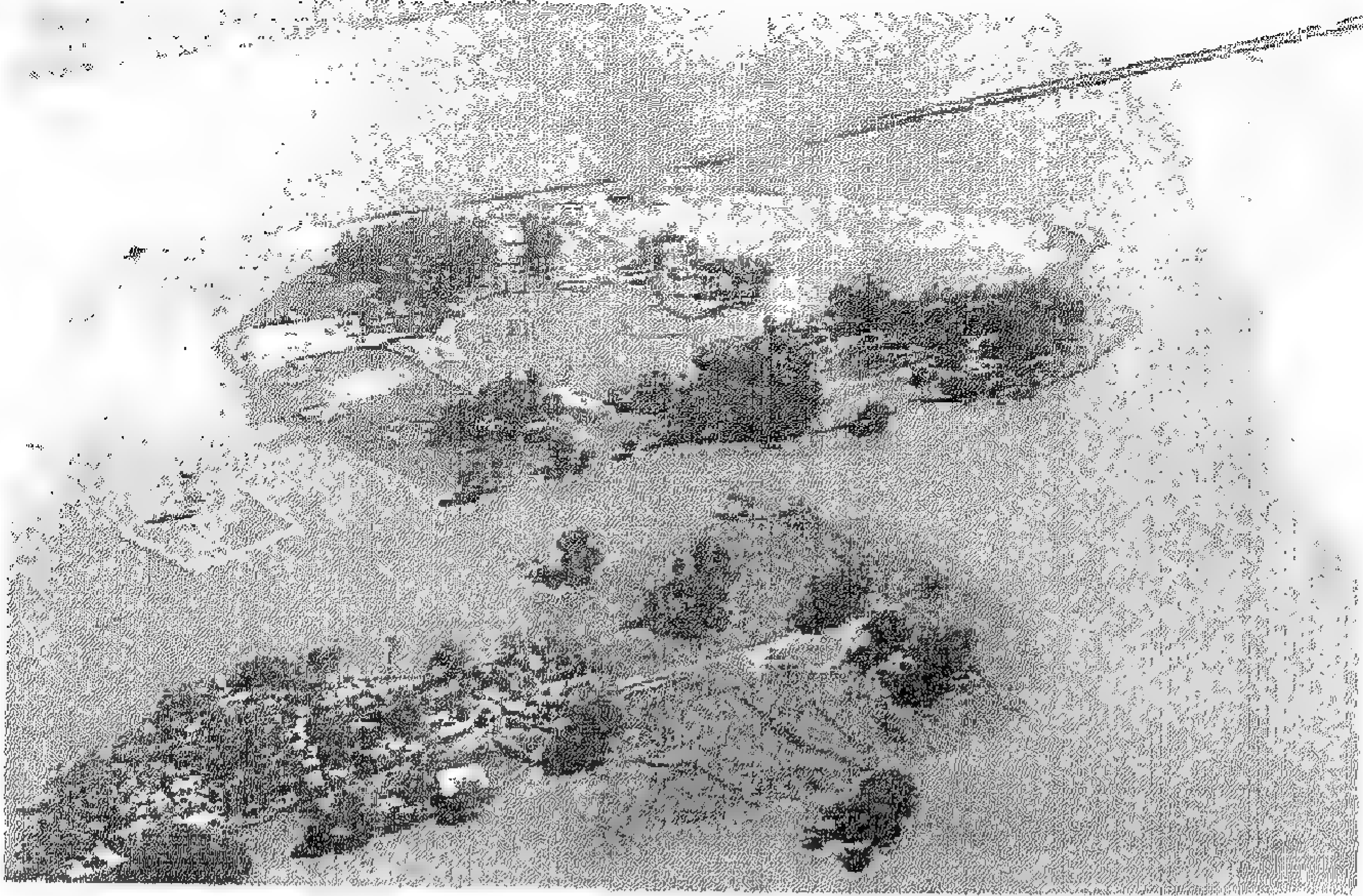


وجه التمثال الملقى أرضا لرمسيس الثانى فى بستان النخيل بميت رهينة

وادى النيل وامتداده حتى لقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق



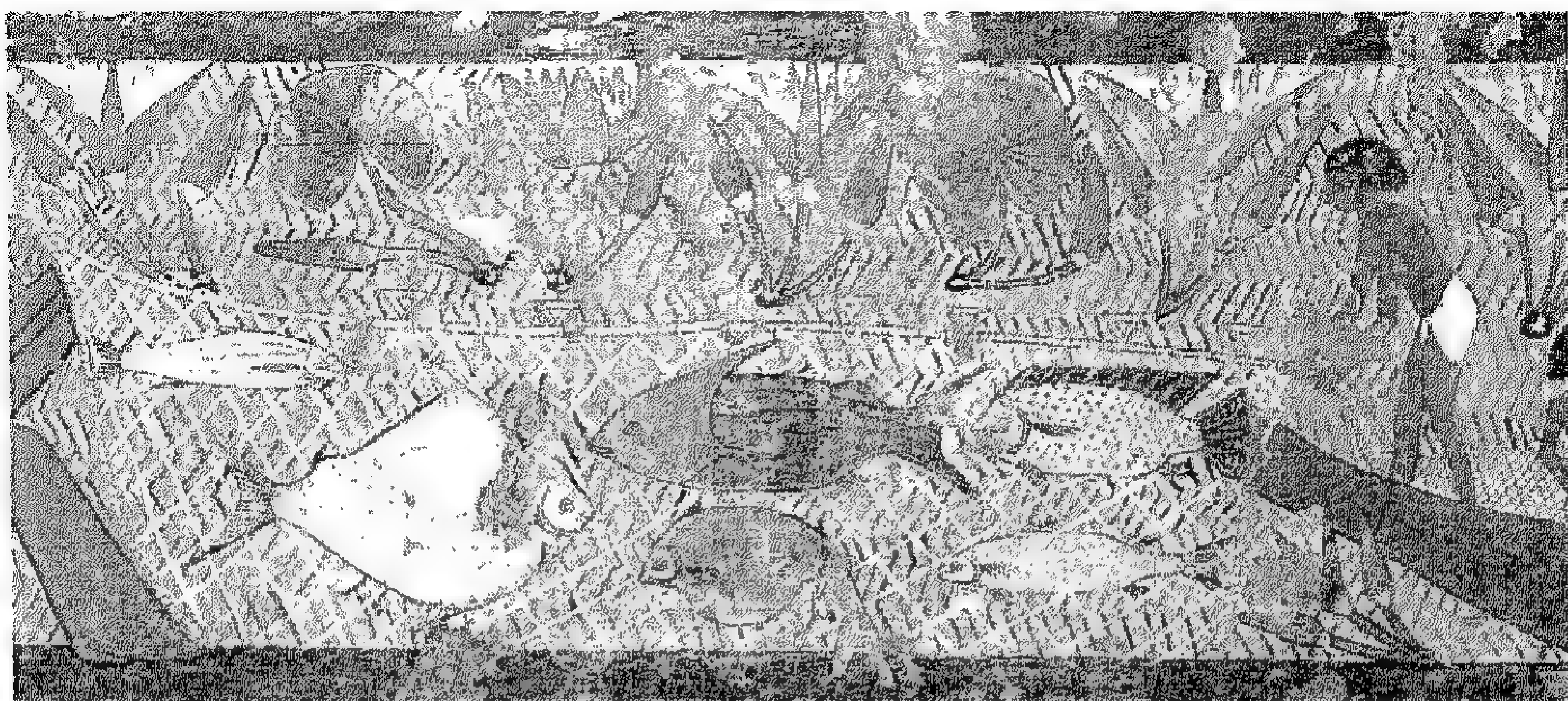
أحد الحقول وقد غمرتها مياه الفيضان



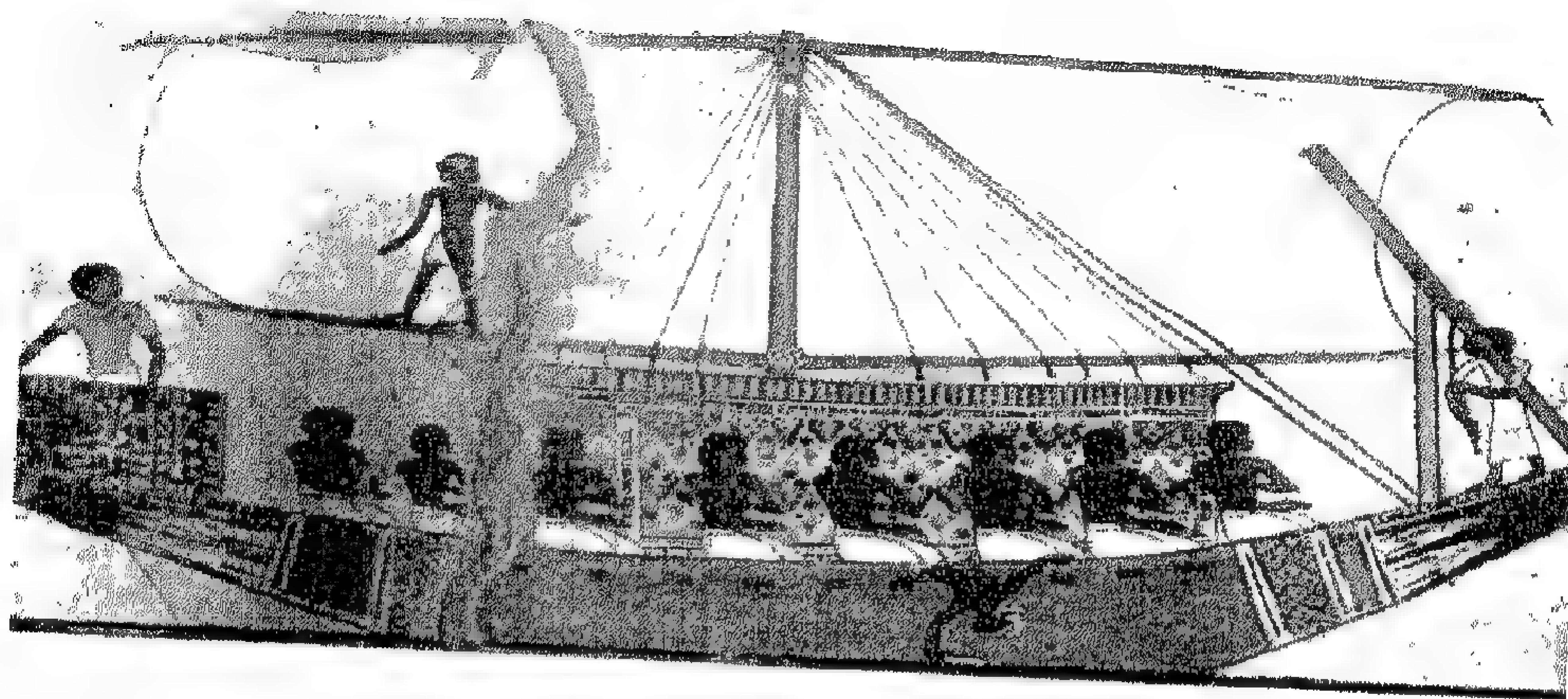
شمال الكرنك، خلال فترة الفيضان ، حيث تنبثق قمة معبد "مدامود"، وكأنها "ربوة الخليقة الأولى"



مركب تنساب فوق مياه الفيضان



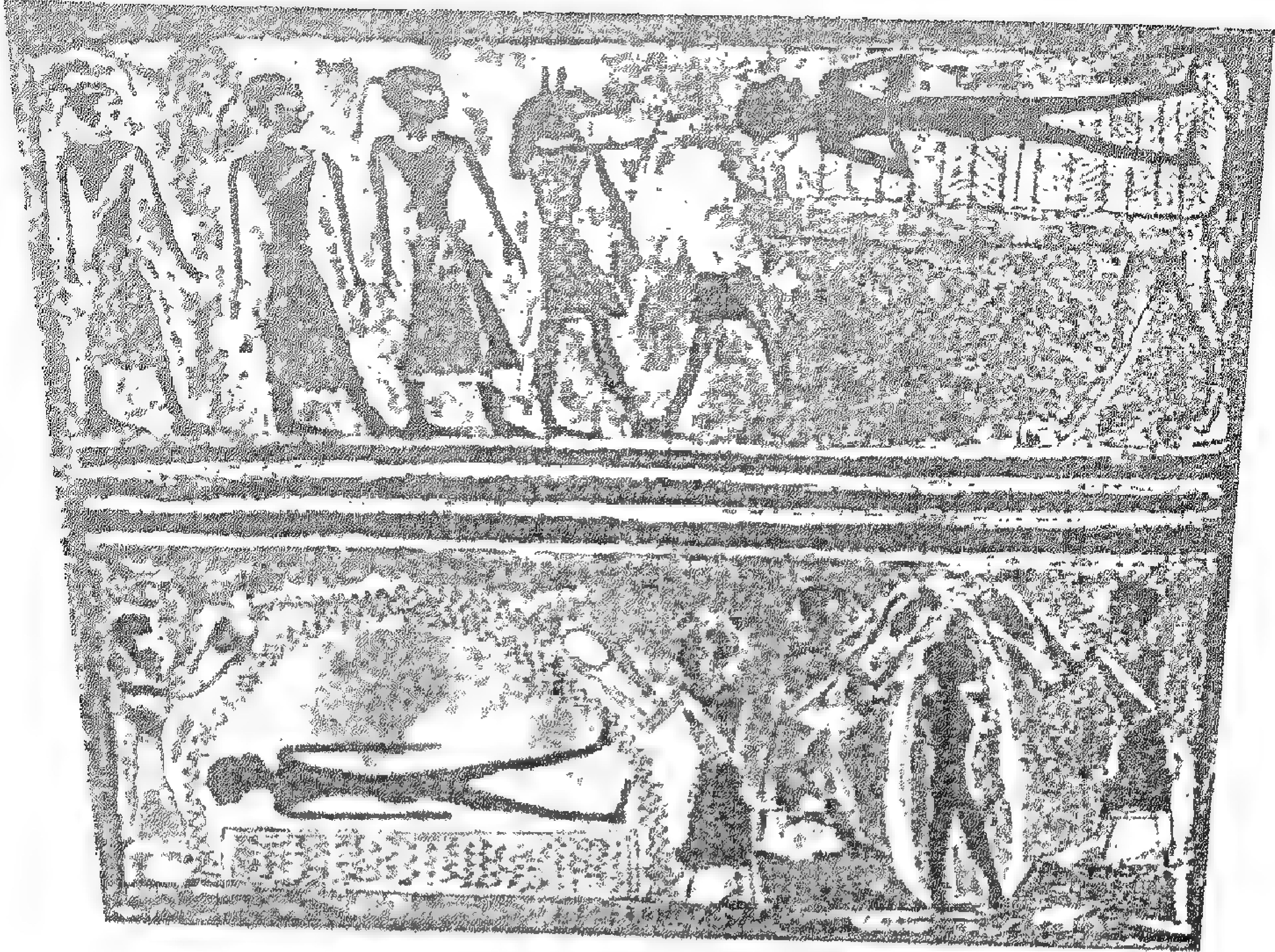
مشهد "للصيد المرتبط بالمعجزات" خلال وقت الفيضان (رسم ملون بإحدى مقابر طيبة)



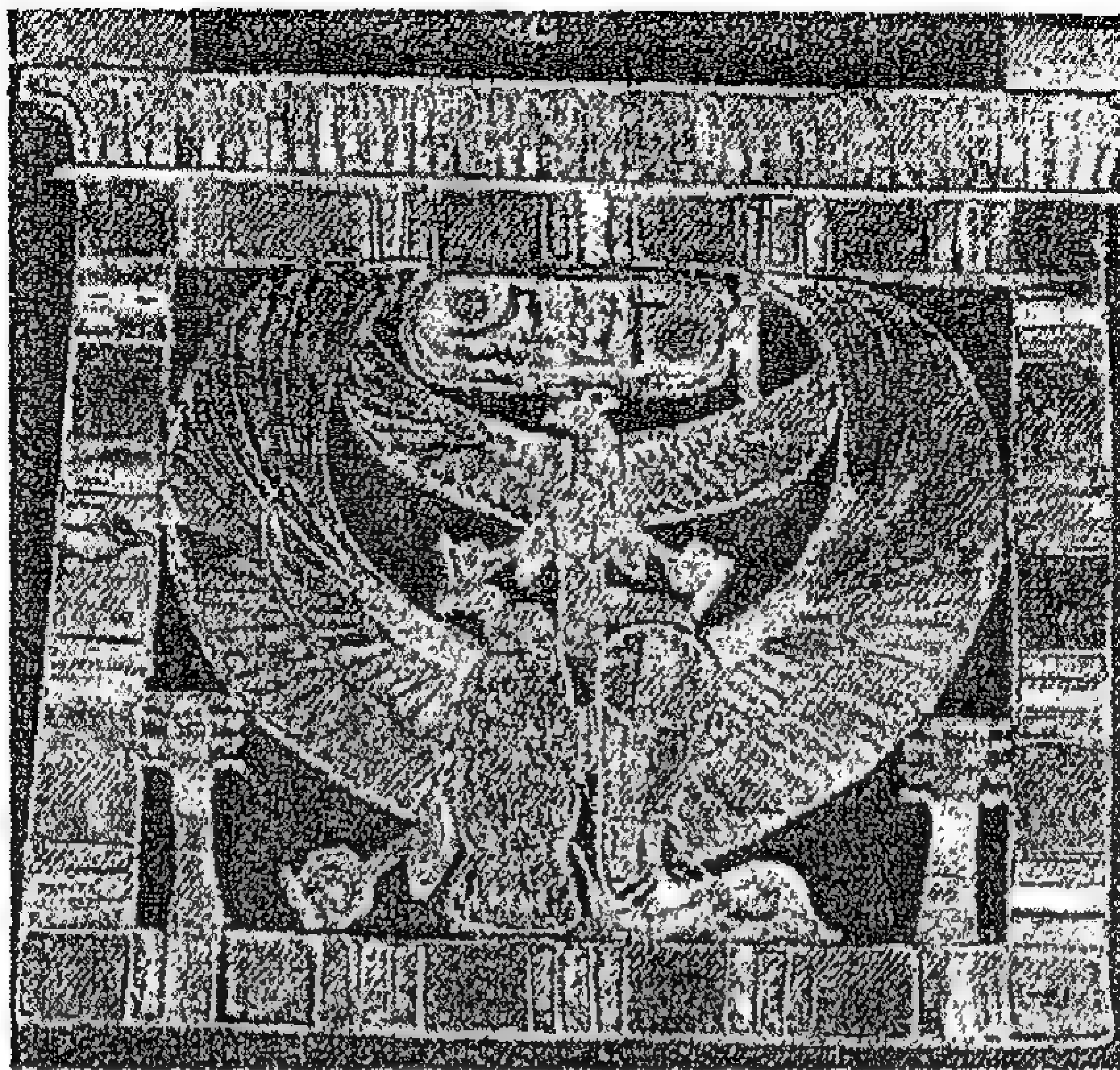
قارب مزود بكابينة: خاص بأحد كبار القوم (مقبرة "مننا " فى طيبة)



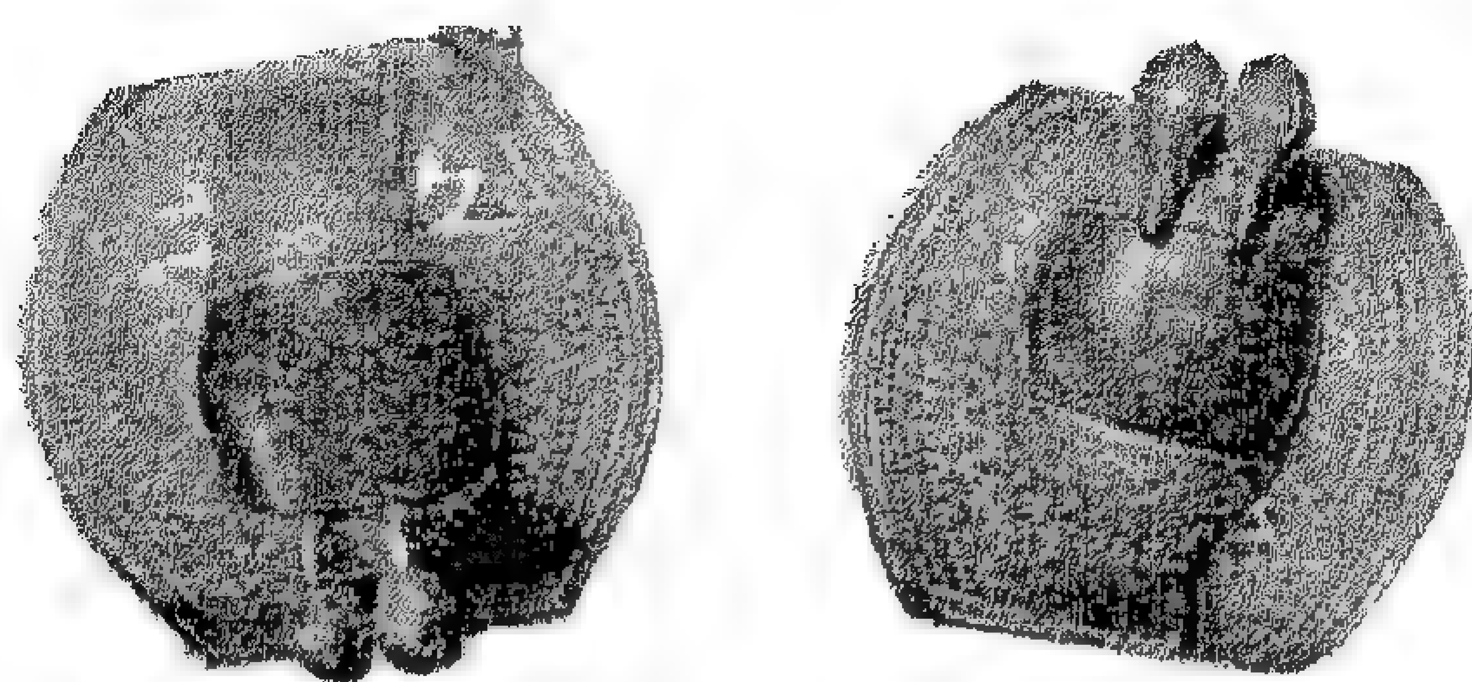
مجموعة من النساء والأطفال وهم يبكون وينوحون حزنًا على فقيدهم



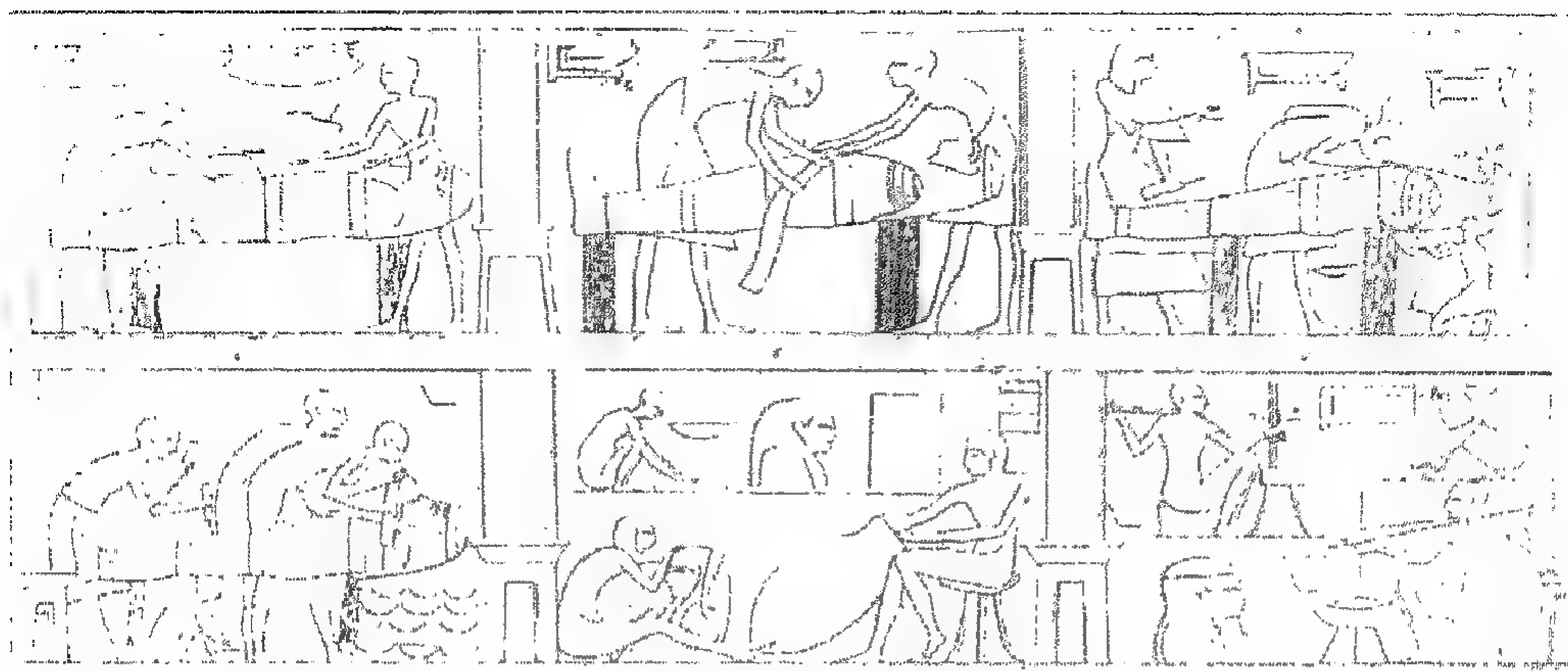
مشهد يمثل المتوفى فى أثناء معالجة جثمانه بمادة النترون، ثم تجفيفه بعد ذلك، قبل عملية التحنيط (مشهد منقوش فوق أحد التوابيت).



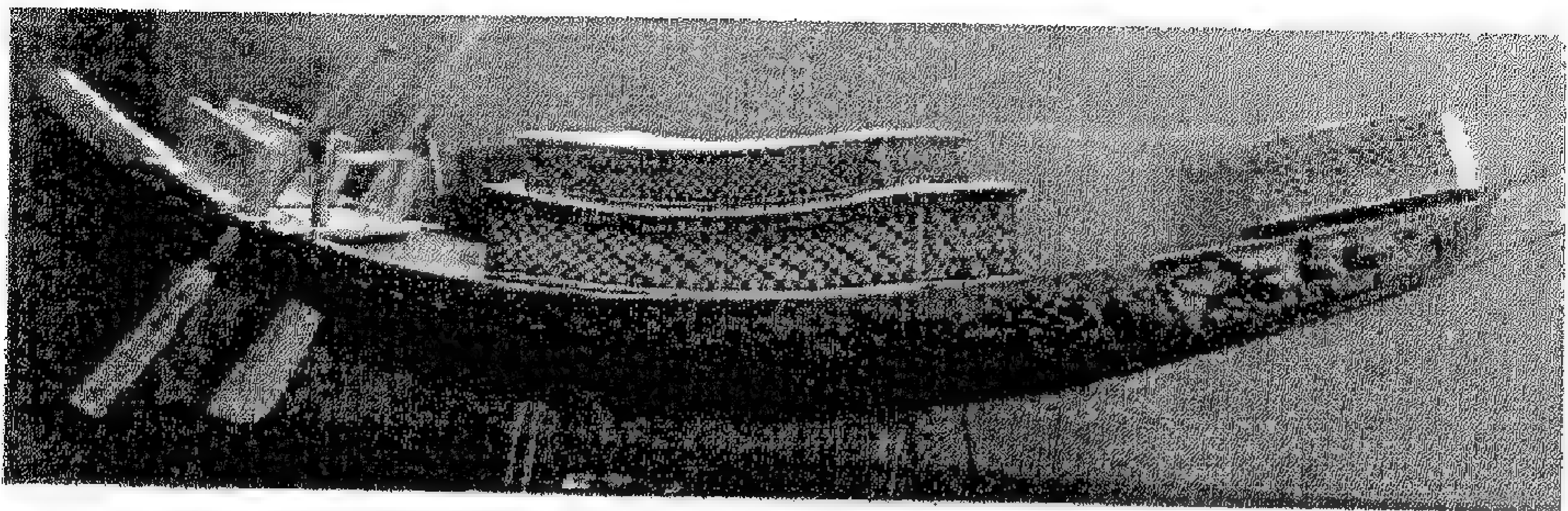
حلية ذهبية تعلق على الصدر عليها اسم رمسيس. عثر عليها "بالكنز الجنازى" الخاص بابنه المدعو "خع إم واست"



إسورتان ذهبيتان مطعمتان باللازورد. محفور عليهما اسم رمسيس

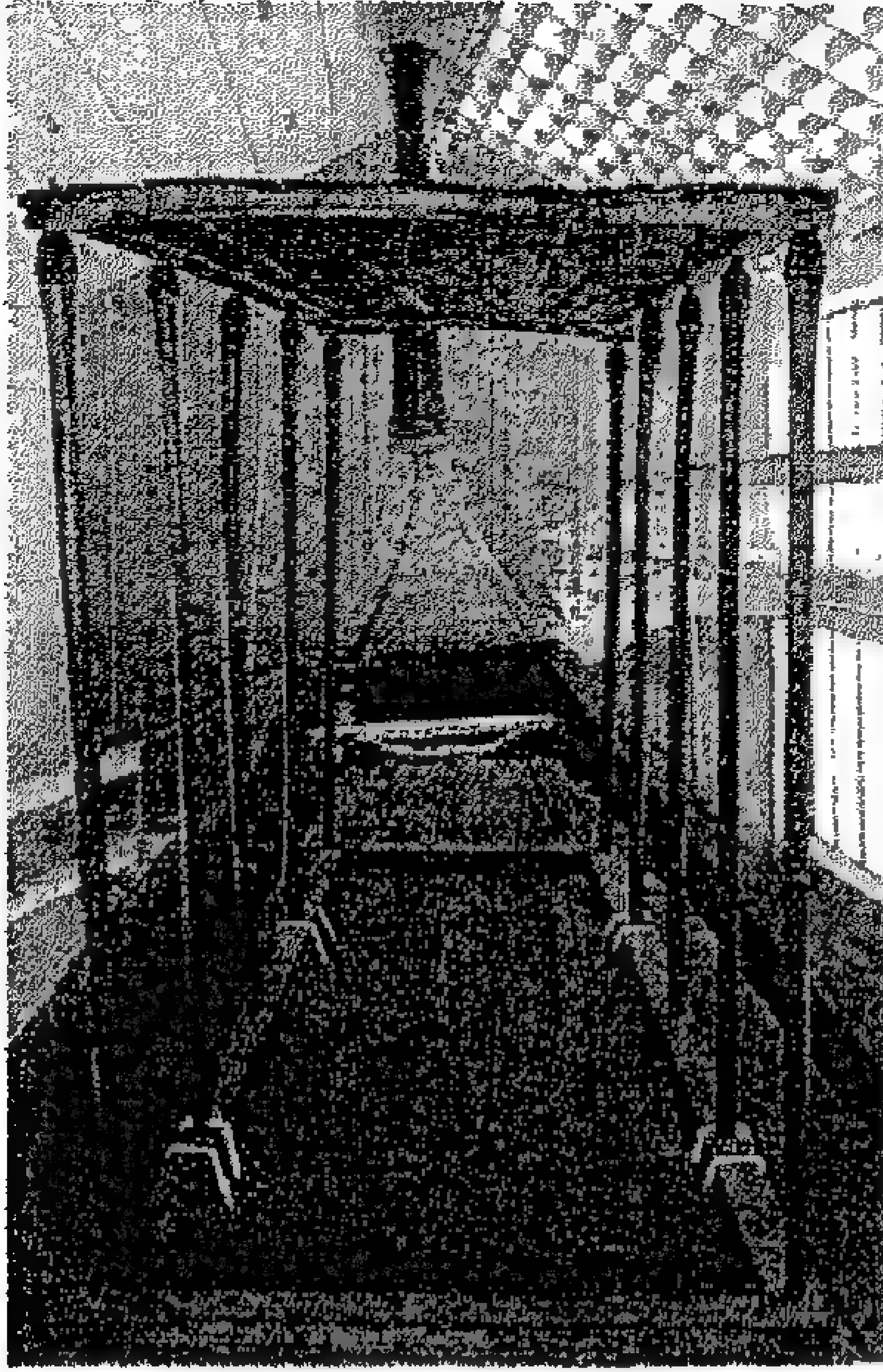


عملية صناعة القناع الجنازى الخاص بالمومياء، ويلى ذلك مهمة اللف بالضمادات



الزورق الجنازى الخاص بالفرعون "توت عنخ آمون". وترى القمرة الخاصة بوضع التابوت .

(المتحف المصرى بالقاهرة).



مشهد من الداخل للقمرة التى زودت بها مركب الملك "خوفو"

(متحف مركب خوفو).

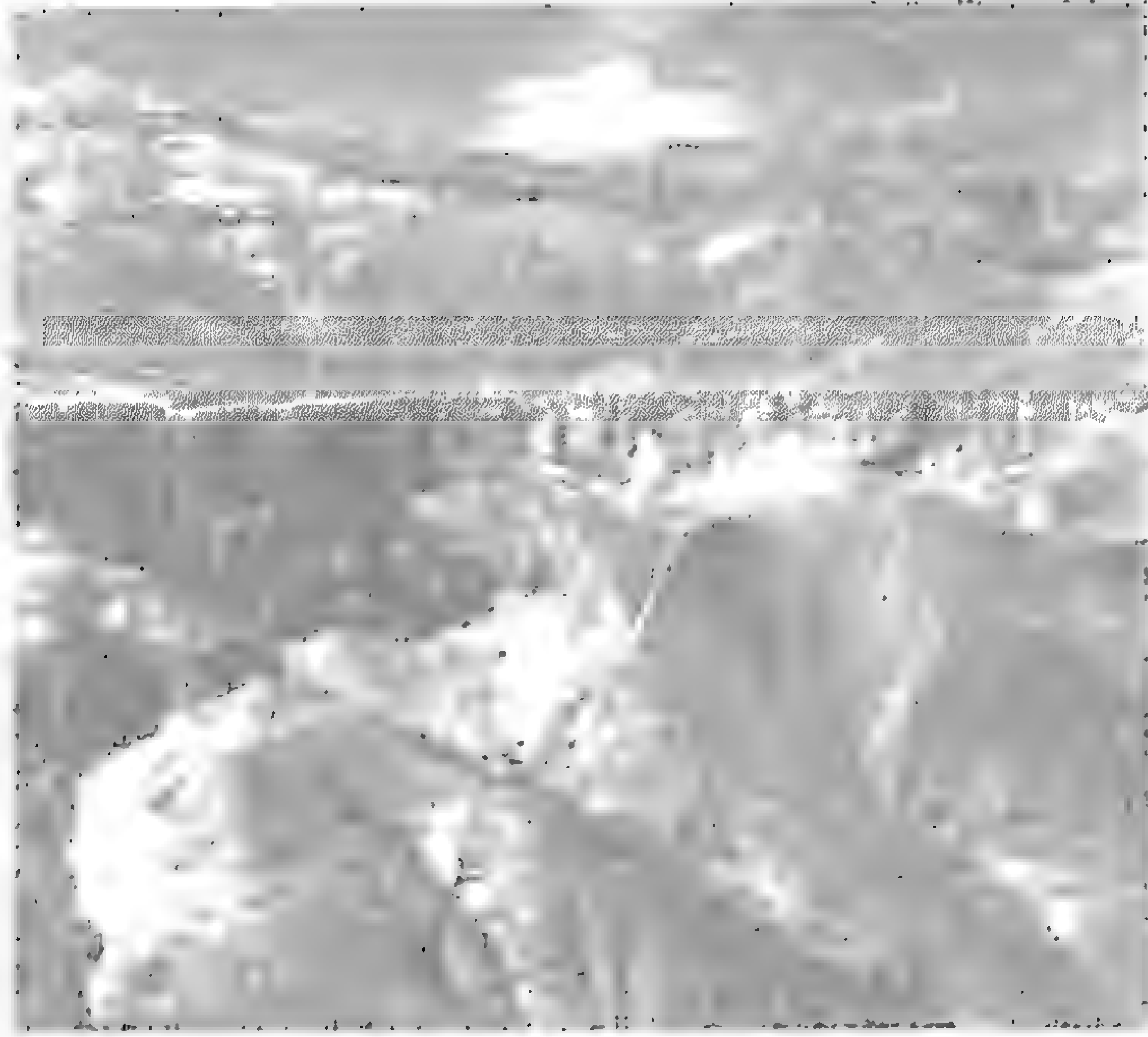


مشهد يمثل الناحبات النائحات وهن يحطن بالقمرة الجنائزية

على متن سفينة خاصة تتوجه نحو الجبانة الملكية.



منظر عام لموقع " وادى الملوك " ( كليشيه " لومتر " )



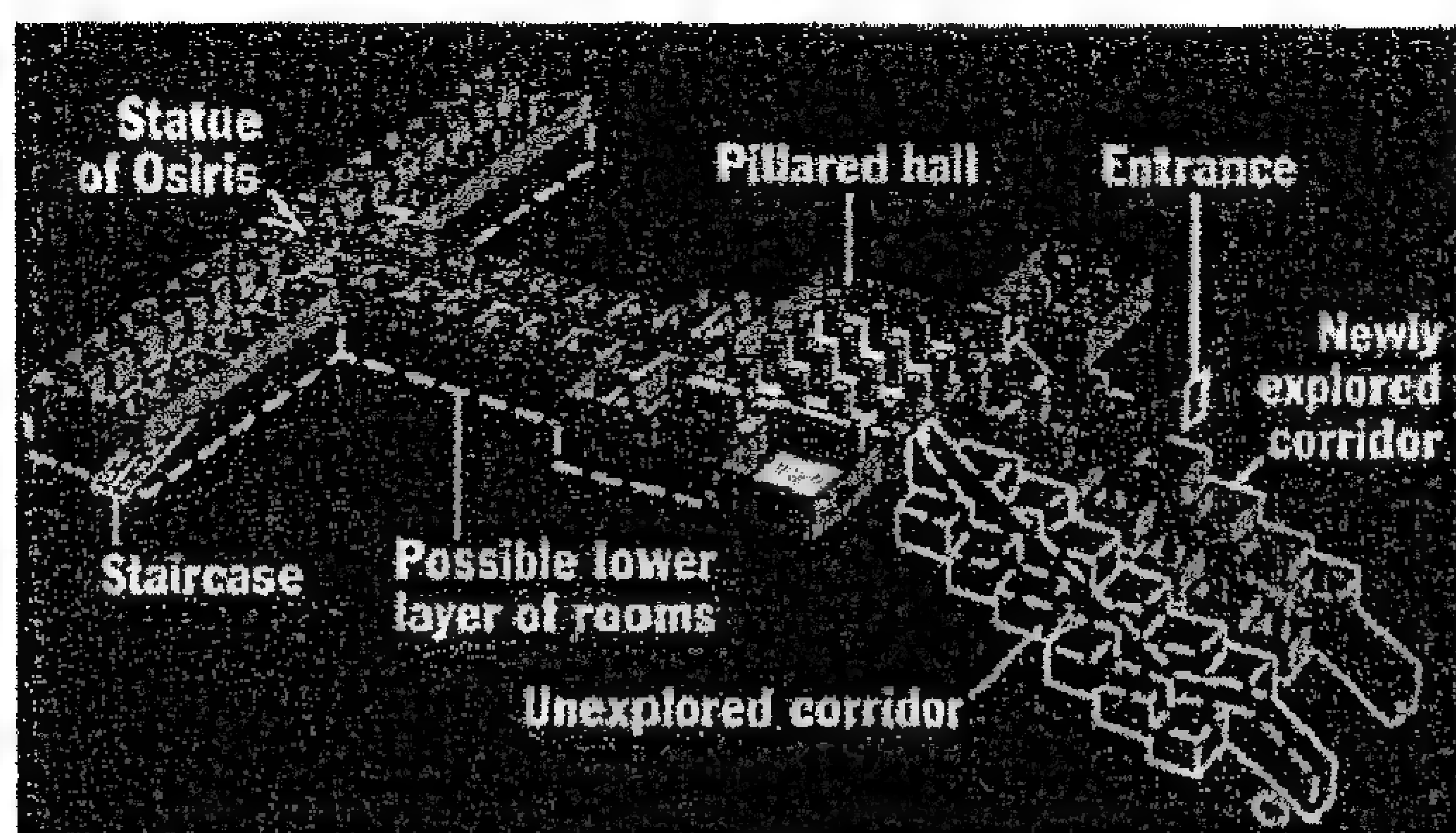
الطريق المؤدى إلى قمة جبل " طيبة " وفى اتجاهه توجد الخبيئة الملكية



المدخل الخاص ببئر الخبيئة . وعملية استخراج أول التوابيت الملكية ( أرشيف " ماسبيرو " )



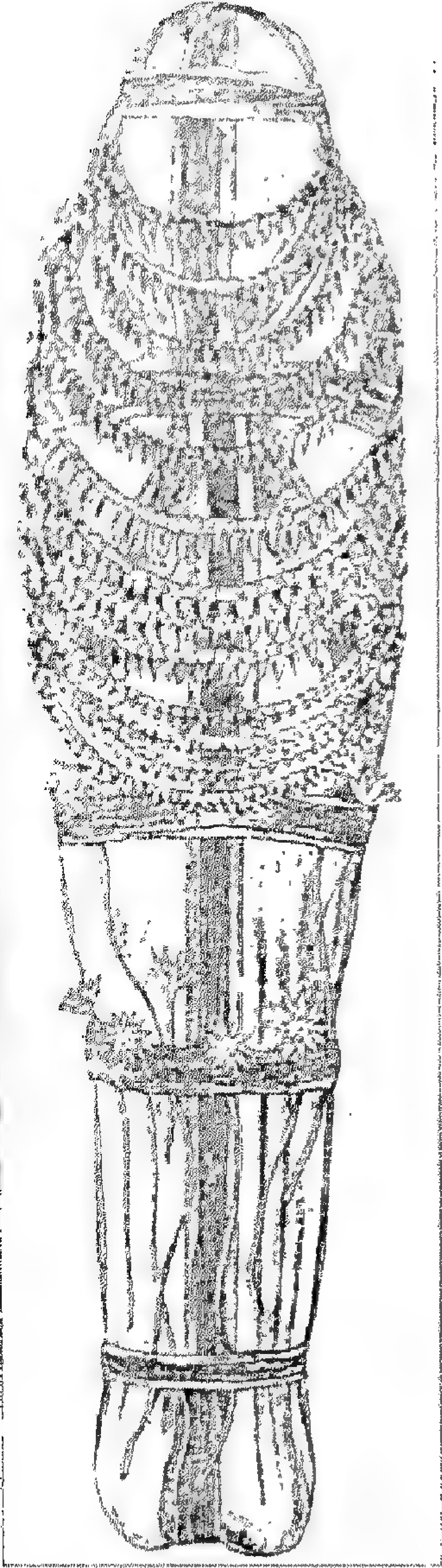
تمثال لأوزويريس يهيمن على المستوى الأول لبناء المقبرة التى تم استكشافها ( ك . وسكس )




مقبرة تذكارية خاصة ببعض أبناء رمسيس وهى في أولى مراحل التنقيب التى استهلها "ك . ويكسس " ( أواخر ١٩٩٥)



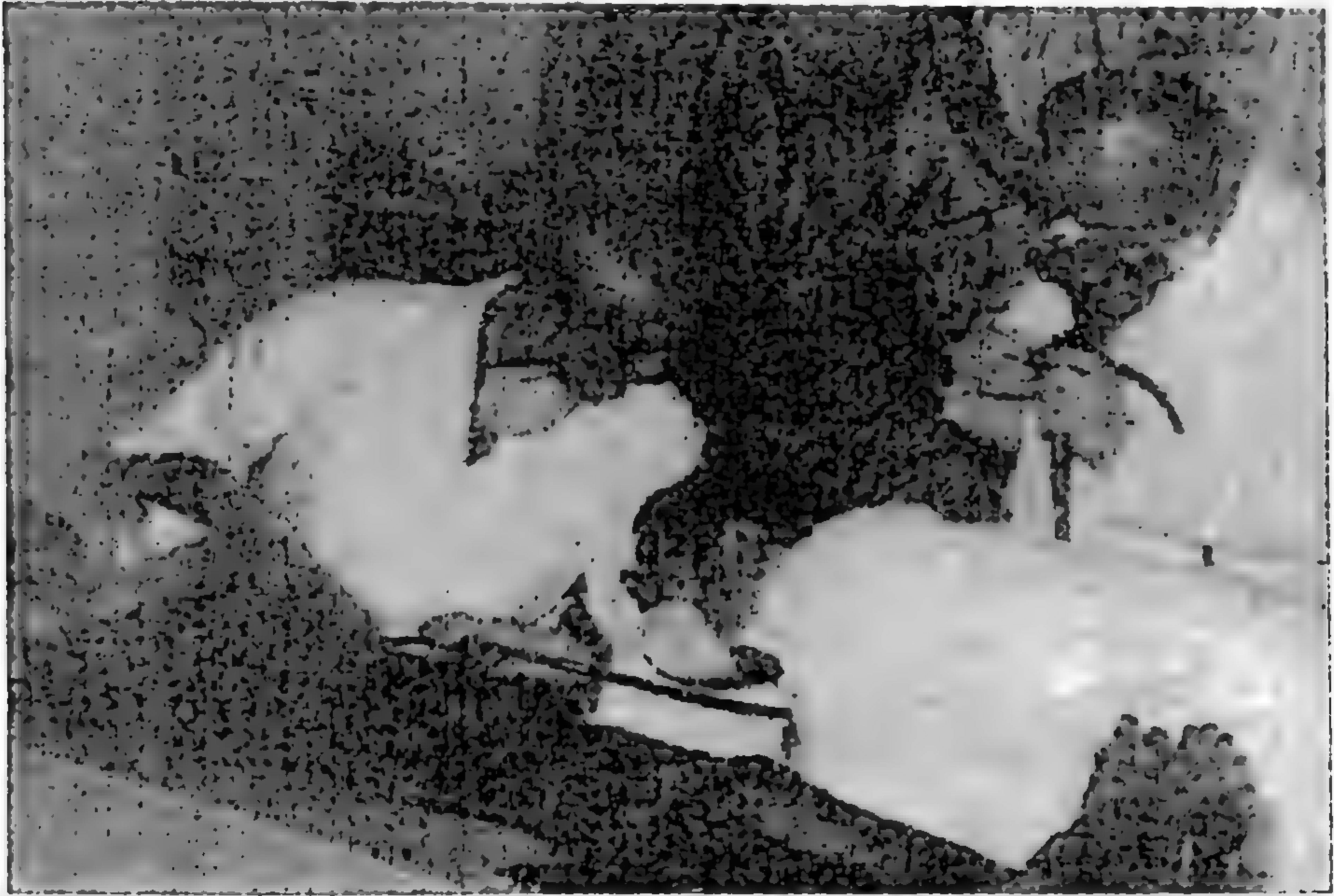
المومياء وقد انتزعت عنها ضماداتها ، وألحق بها اللصوص المنتهكون لحرمة المقبرة أضراراً جسيمة. ( المتحف المصرى )



رسم لمومياء رمسيس الثانى وقد دثرت بكفن جديد مزين بالزهور ، خلال الأسرة الواحدة والعشرين



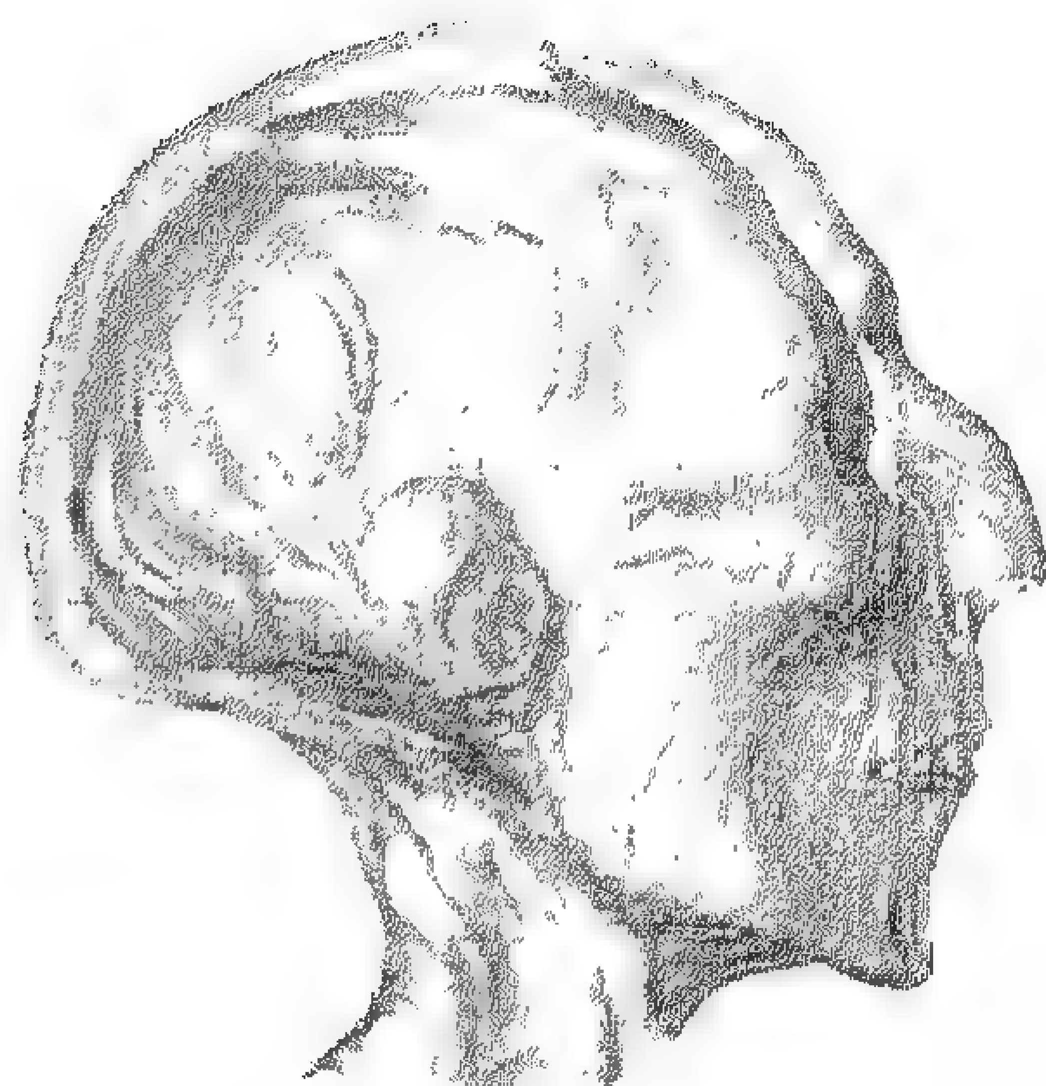
عدد من كبار المسؤلين الفرنسيين ، يستقبلون رمسيس الثانى عند وصوله إلى مطـار "بورجيه – دوتى " ، وهـم " النيس شوميه وزير الجامعات ، ورئيس الأركان للقوات المسلحة نائبًا عن الرئيس جيسكارديستان وحافظ ، وسفير مصر فى فرنسا حافظ إسماعيل وقائد الفرقة العسكرية بمطار "بورجيه – دونى" العسكرى .



مومياء رمسيس الثانى يجرى لها فحص بمنظار باطنى فور وصولها إلى « متحف الإنسان : بباريس.



صورة بالأشعة النافذة لرأس الملك ، وترى حبوب الفلفل الأسود التى حشيت بها أنفه ( بالراديو د. ماسار ١١)



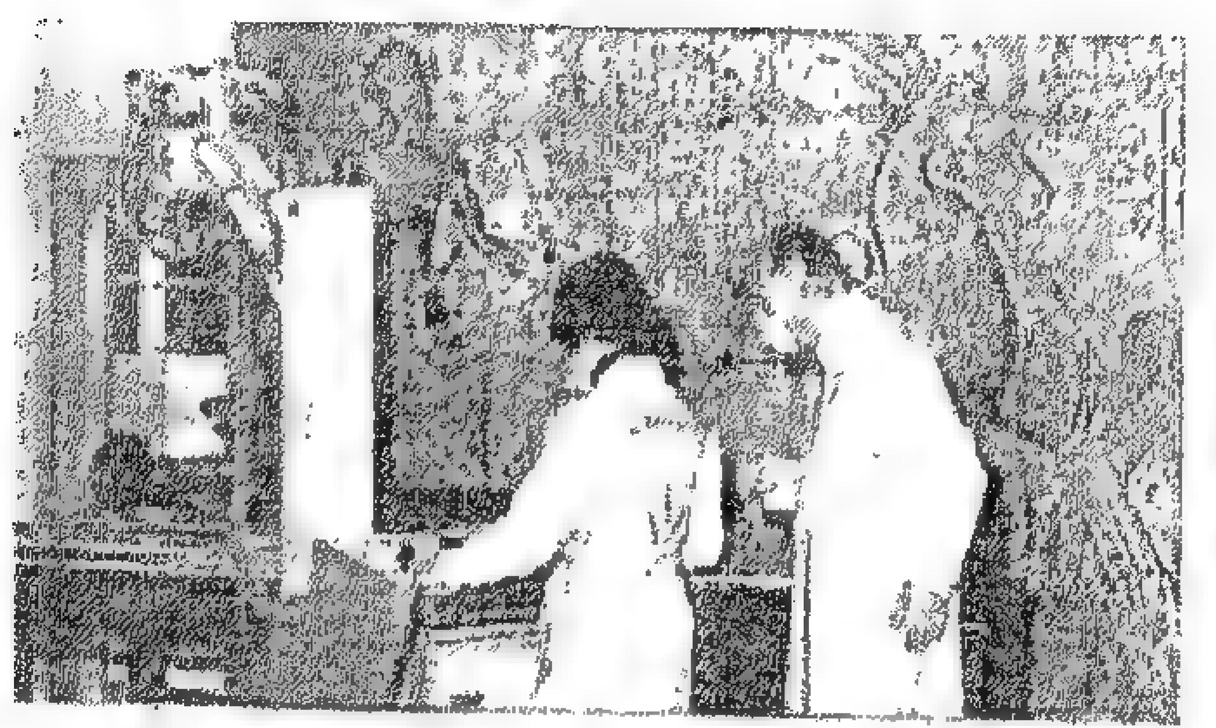
تصوير ضوئى لبروفيل رمسيس



اليد نفسها بعد علاجها وترميمها



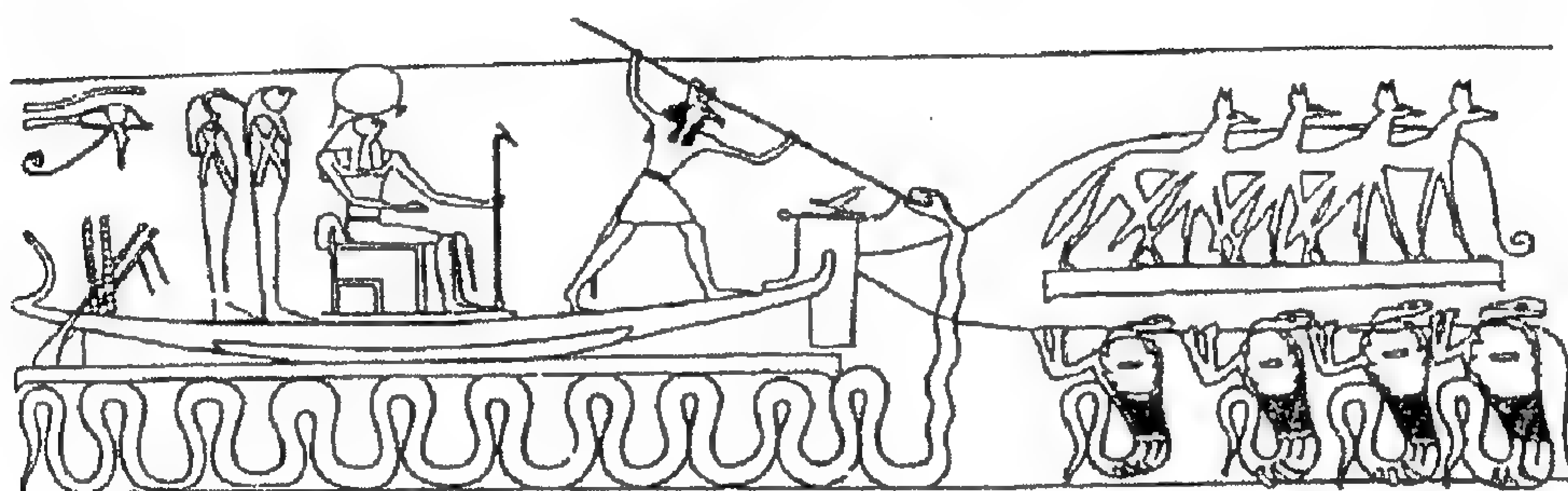
إحدى يدى الفرعون وأثر الإصابات التى ألحقها بها لصوص المقابر الملكية



فحص المومياء بالأشعة فى متحف الإنسان



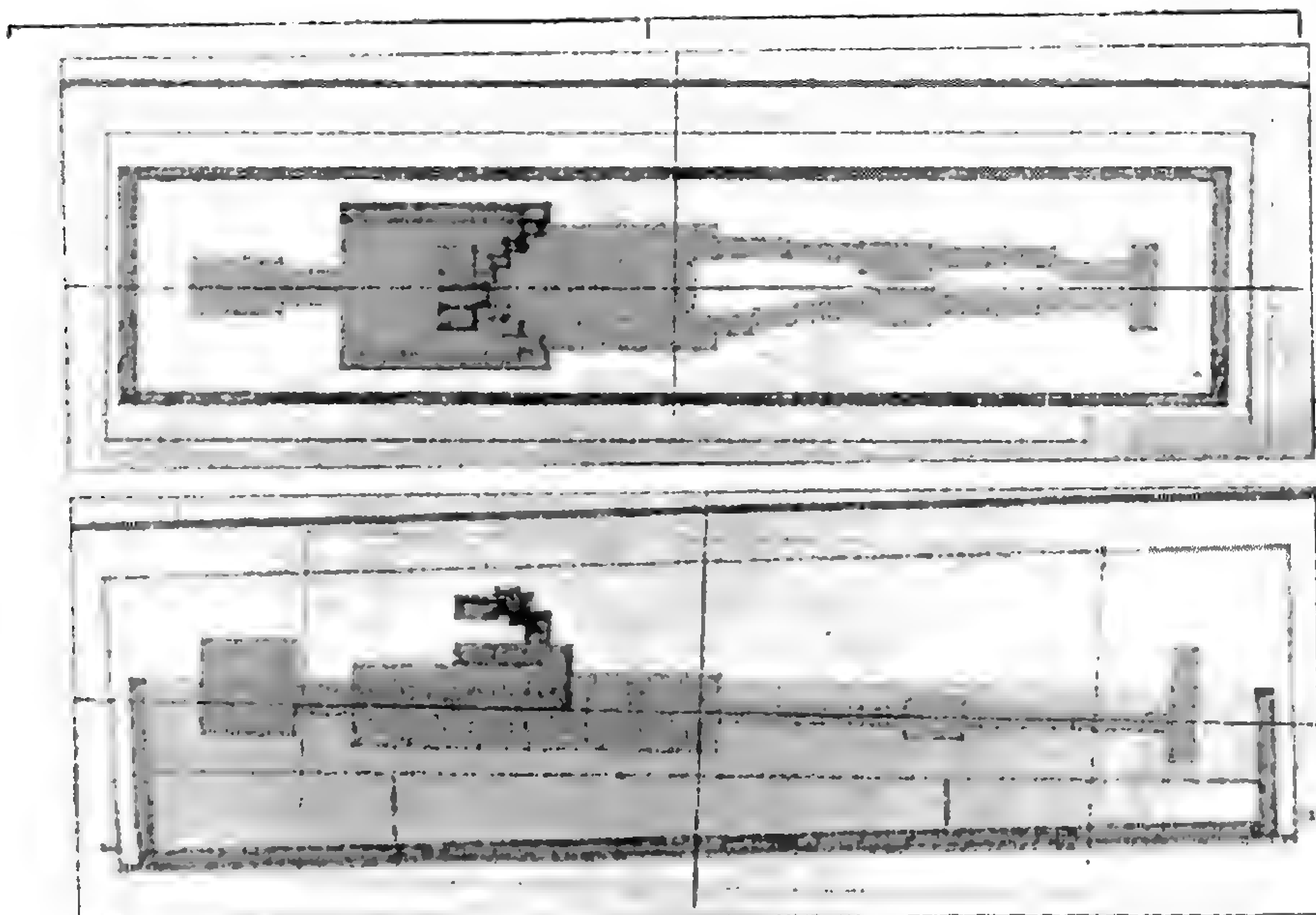
شعر رمسيس الثانى وقد تخللته شعيرات بيضاء . ولكنه يتميز بالنعومة والليونة الحريرية



شكل يمثل "ست" حاميًا لمركب الشمس، ويجابه الثعبان "أبو فيس" ( بردية جنائزية – المتحف المصرى بالقاهرة ) .



المهندس " دى تاسينى " يأخذ مقاييس مومياء رمسيس الثانى .



شكل يبين انتظام كثافة الإشباع على كافة أجزاء جسم المومياء .



القاعدة العسكرية "بورجيه – دون . وقد وضعت المومياء لحمايتها بداخل لفافة بلاستيك ؛ فى صندوقها المغطى بفرش مطرز بأشكال تحتل شعار الملكية الفرعونية ( فى الصوة مدام ديروش نوبلكور وزوجها .



لحظة دخول الشحنة النفيسة رفيعة القدر إلى الطائرة طراز " ترانسال » العسكرية .



من خلال الفقاعة يتم فتح صندوق المومياء بداخل المتحف المصرى بالقاهرة .



وجه الملكة – الفرعون حتشبسوت ( متحف " المتروبوليتان " بنيويورك) .



القائد الأعلى "حور محب " يتم تكريمه بأمر من "توت عنخ آمون " وعندما أصبح ملكًا على عرش مصر توج جبينه بالحية الحامية الملكية ( مقبرة حور محب – سقارة ) .



تمثـالان للمهندس المعمارى " أمنحتب بن حابـو " ، وتمثالان آخران للوزير : "بارعمو
استخرجا من معبد الكرنك ( أرشيف : ماسبيرو ) .



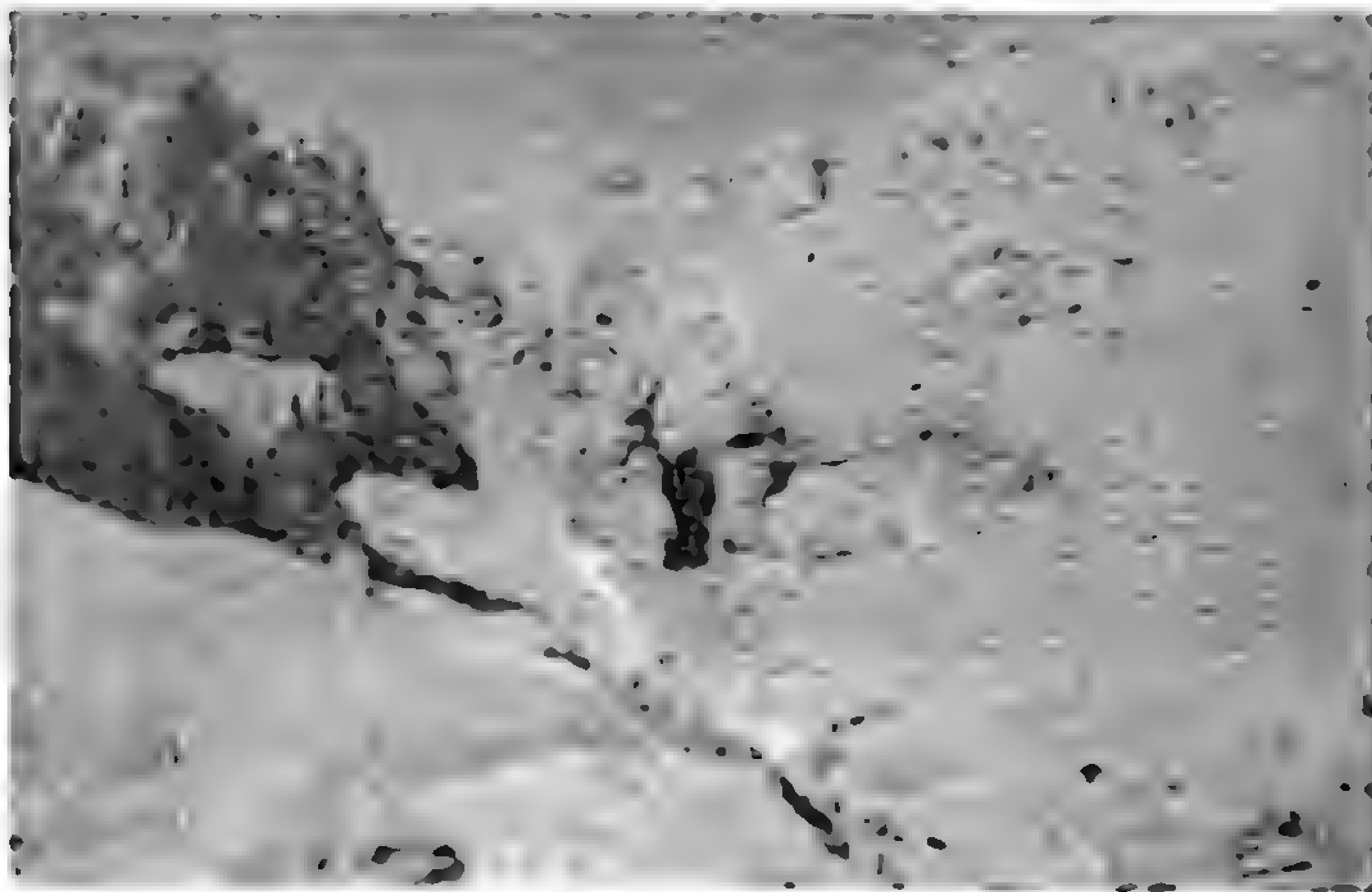
تمثال للوزير " بارعمو " مرتدياً زيه الرسمى ( المتحف المصرى بالقاهرة ) .



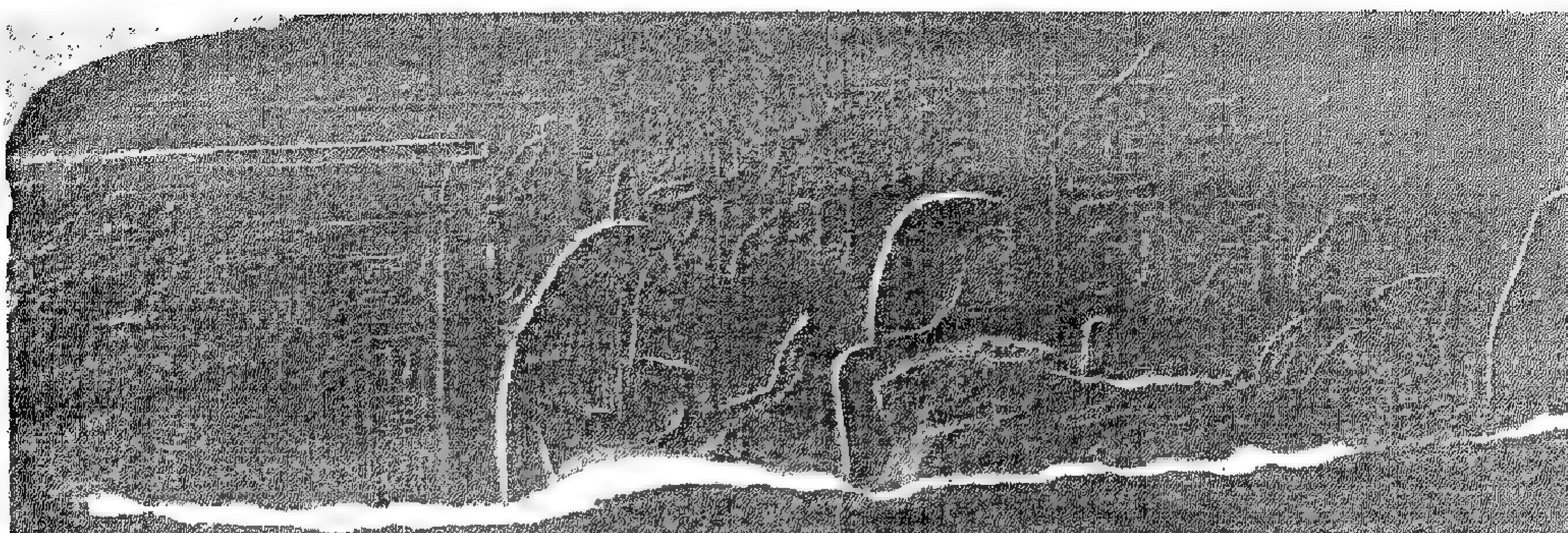
الملكة "سات رع " جدة رمسيس الثانى ، كما مثلت على جدران مقبرتها " بوادى الملكات " .



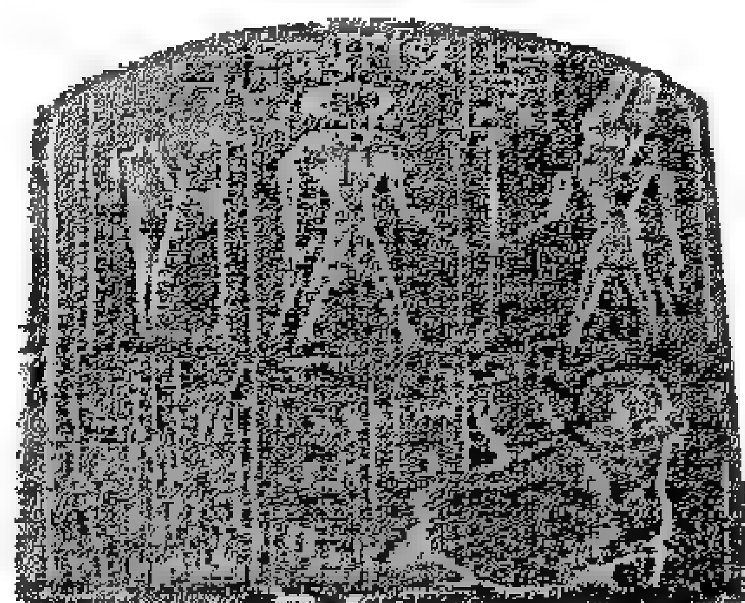
مدخل مقبرة رمسيس الأول "بوادى الملوك" .



الكهف المقدس المهيمن على " وادى الملكات " .

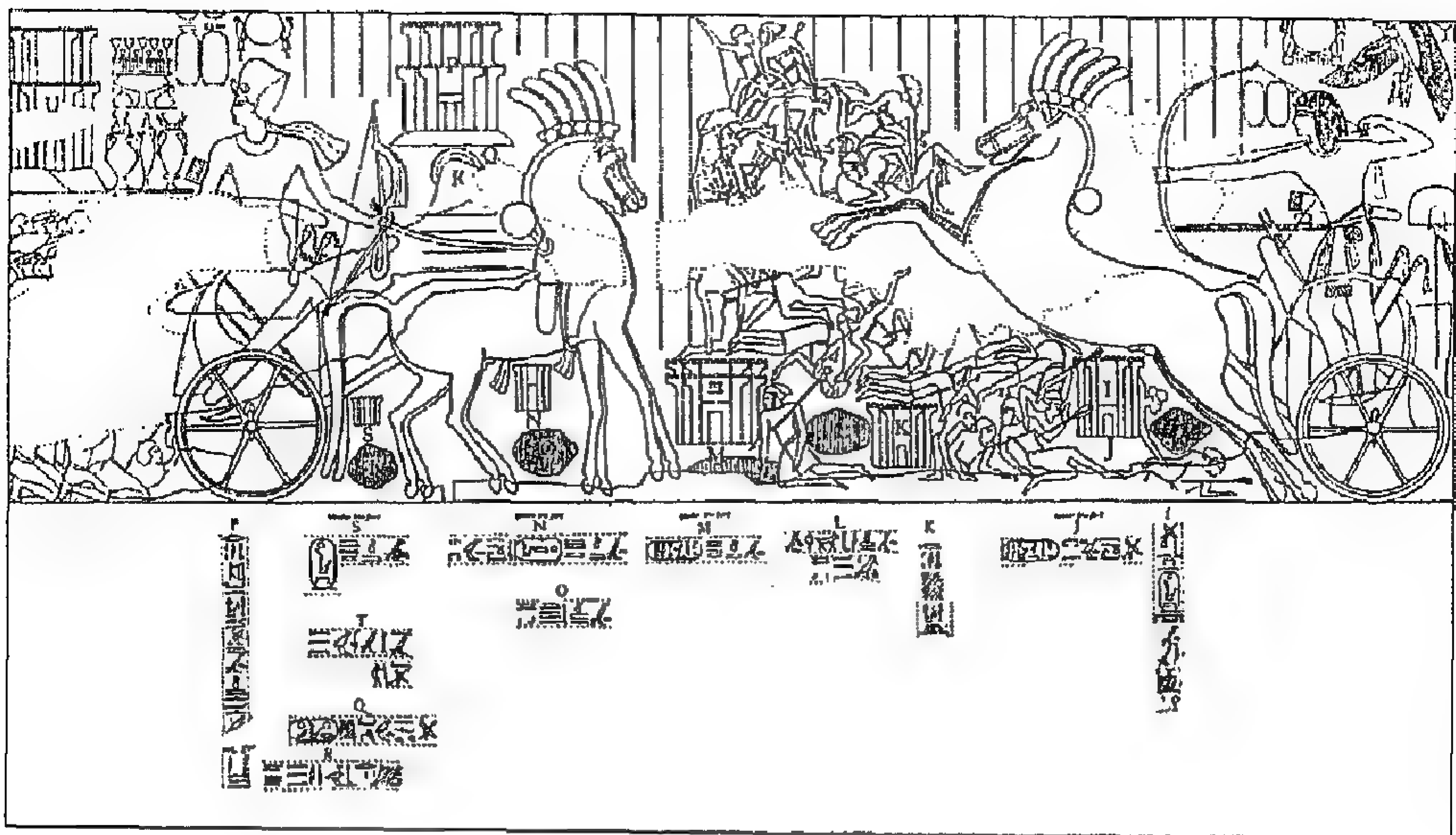

والد ووالدة "توى" ، أخى حمى وحماة "سيتى الأول ( تصوير جاب الله )


الملكة " توى " ( تحمل إحدى الشارات الملكية ) مجموعة خاصة – الولايات المتحدة الأمريكية .


المدعو "تيا " الكاتب الملكى، وهو يتعبد فى الثالوث الإلهى : بتاح ، ورع حور أختى وآمون .


الملكة الآم " توى " ووراءها صهرها "تيا "

وابنتها " ثيا " ( متحف تورينو ) .



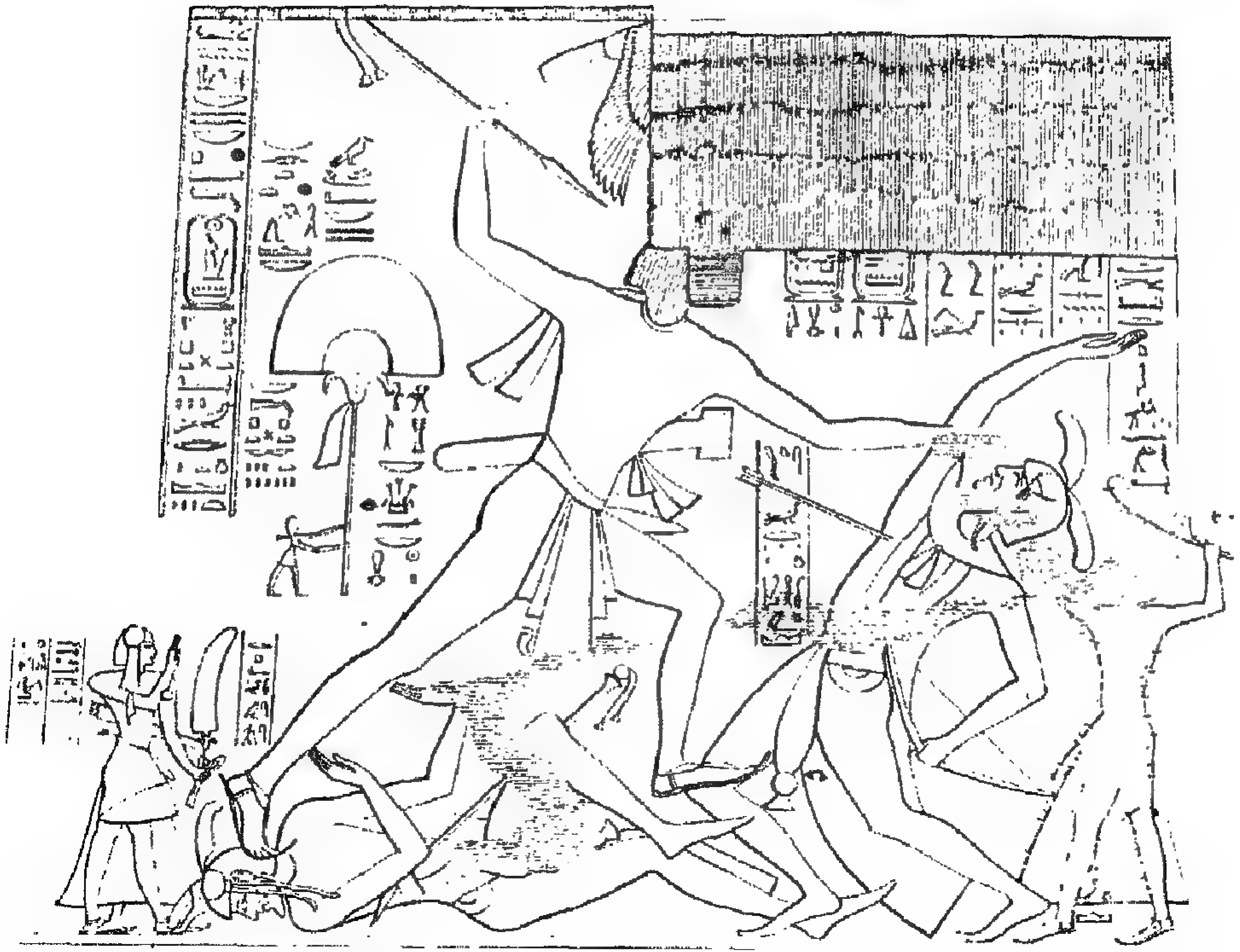
" سيتى الأول ينطلق لاستعادة القلاع والحصون القائمة على الدروب العسكرية فى فلسطين
( إعداد أ. جاردنر ) .



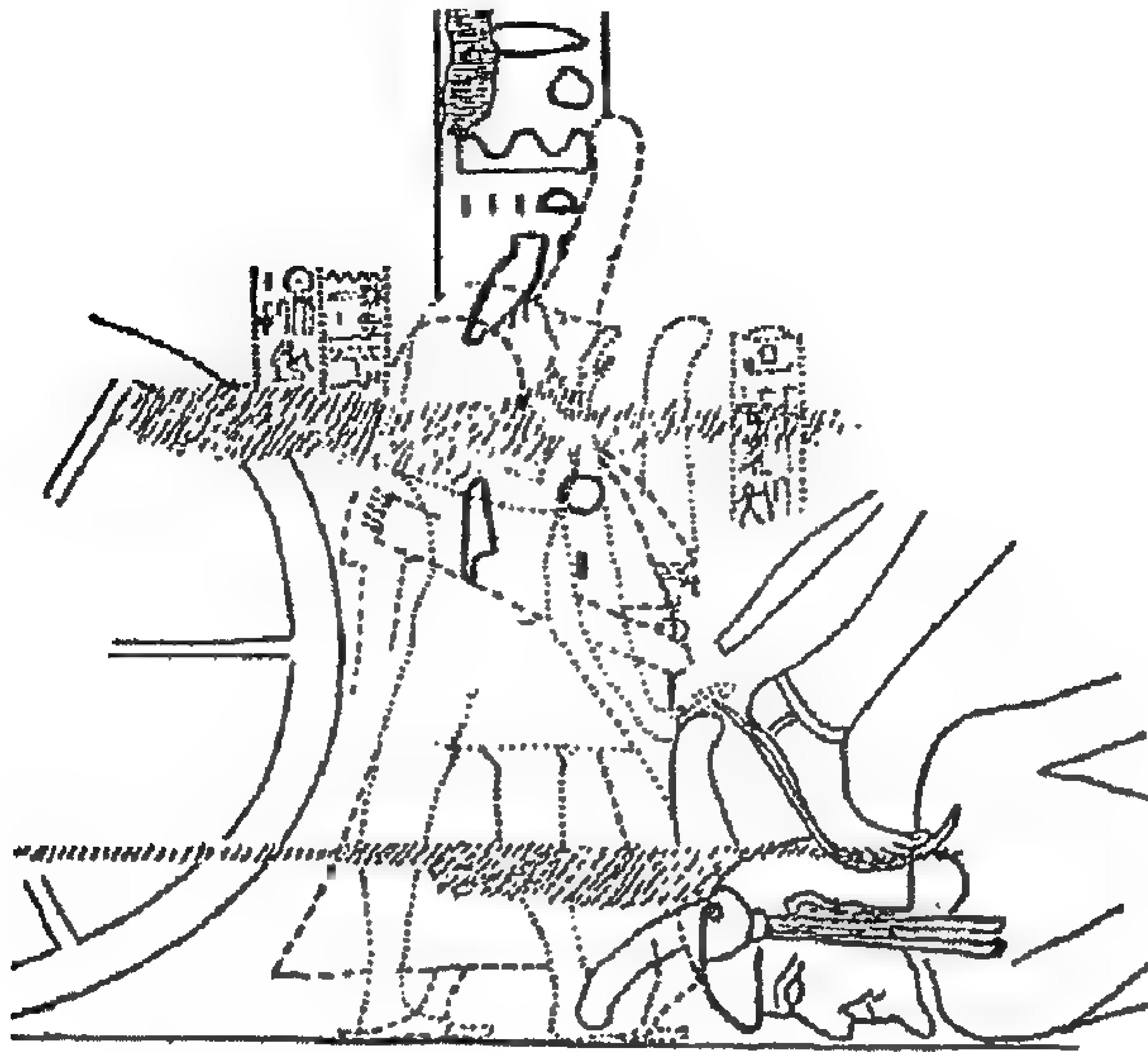
سيتى الأول يصاحب ابنه الصبى رمسيس ، أمام قائمة بأسماء الفراعنة ( أبيدوس )



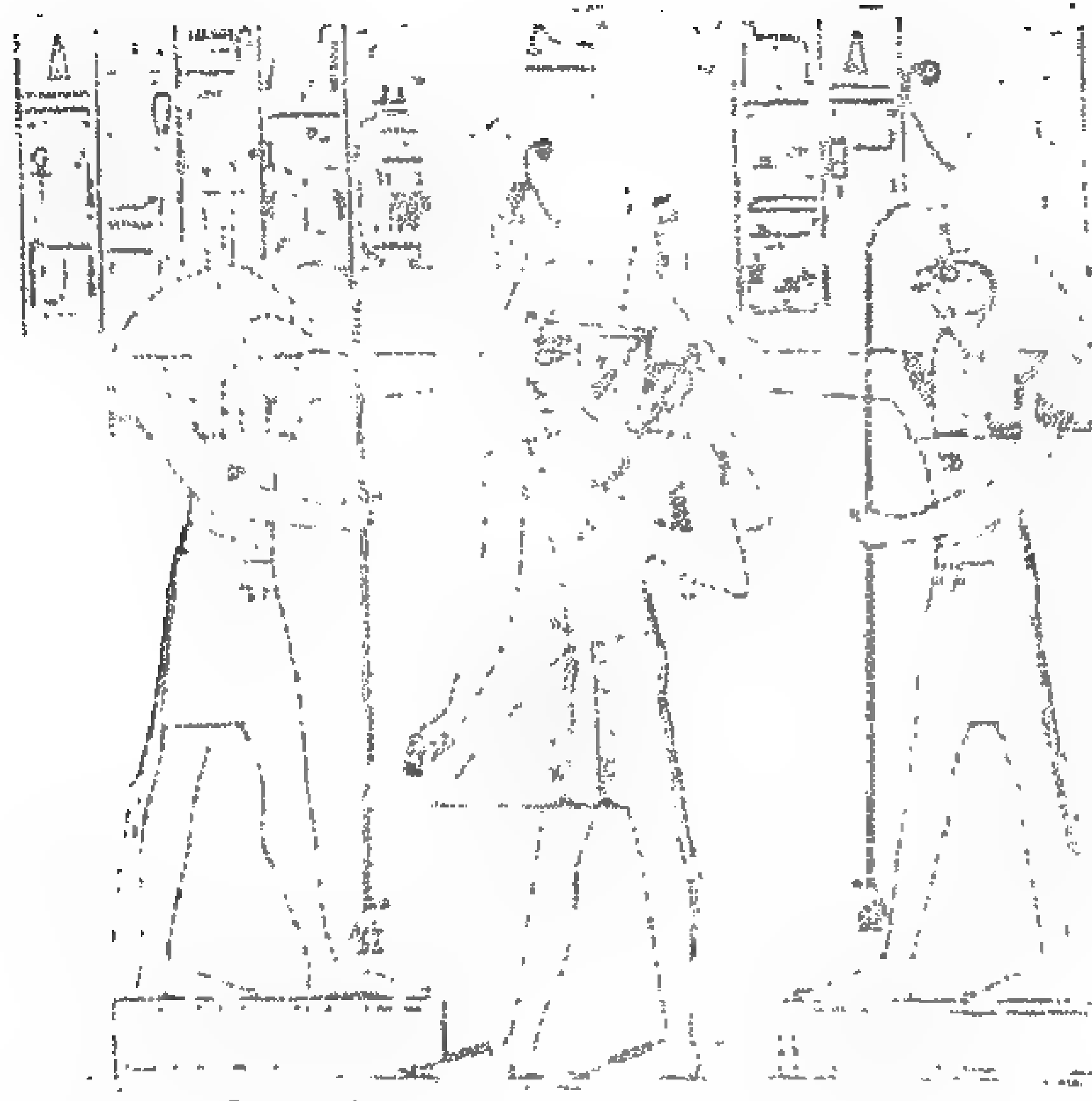
سيتى الأول وابنه الشاب رمسيس يؤديان الطقوس ( أبيدوس ) .



"سيتى" الأول يسدد ضربة قاتلة لزعيم الليبيين وبأقصى اليسار ، شكل يمثل الأمير رمسيس ؛ وقد تم نقشه فوق آثار متبقية من نقش سابق ( الكرنك ) .



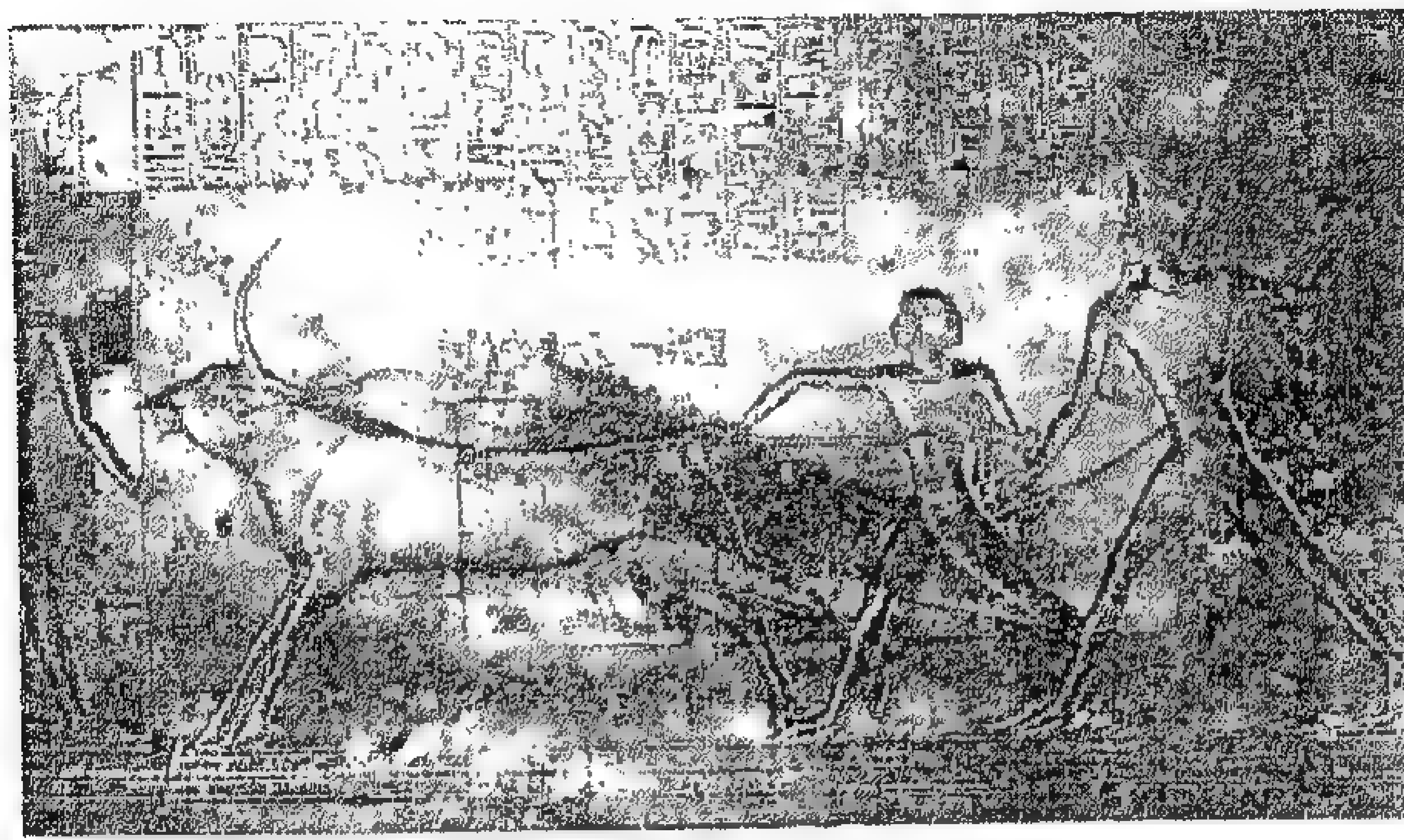
شكل مكبر يبين عن تراكب النقشين القائمين خلف سيتى الأول ( " برستيد – الكرنك )



مراسـم تتـويج رمسـيس الثانى الشـاب المشارك لأبيه فـى العرش ويقـوم بذلك كل من " ست " و"حورس" ( معبد أبو سمبل الصغير )



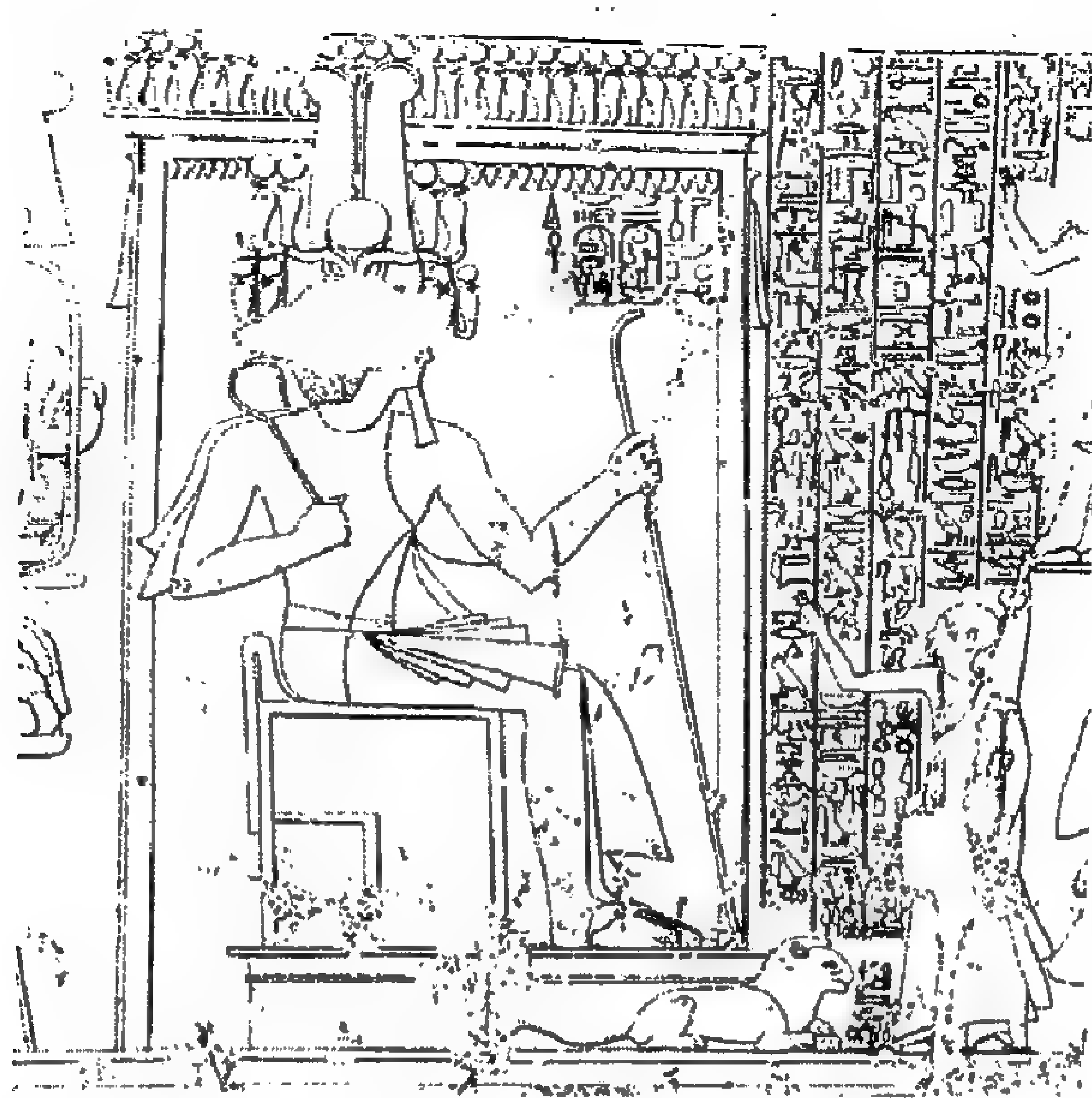
الربة عنقت تقوم بإرضاع رمسيس الثانى : ( معبد بيت الوالى )



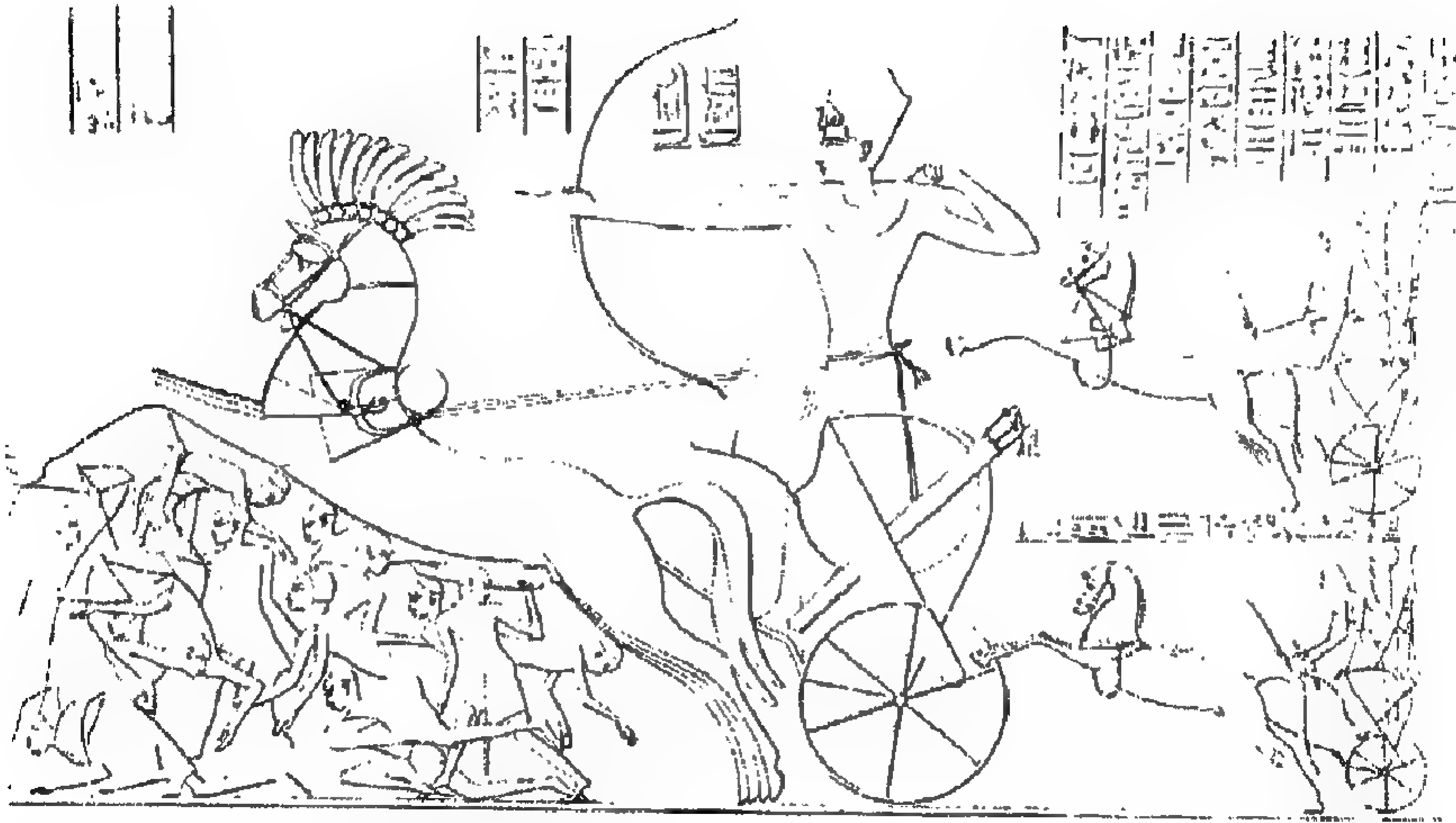
رمسيس الثانى يدرب ابنه على مصارعة الثور الوحشى .



رمسيس الثانى الشاب الشريك فى الحكم يطارد البدو و"الشاسو" ( معبد بيت الوالى ) .



الوزير الأعلى ، يتبعه الأمير وريث العرش ؛ ثم " نائب الملك فى النوبة " يقدم لرمسيس الثانى الشريك فى الحكم عدداً من المهزومين الآسيويين



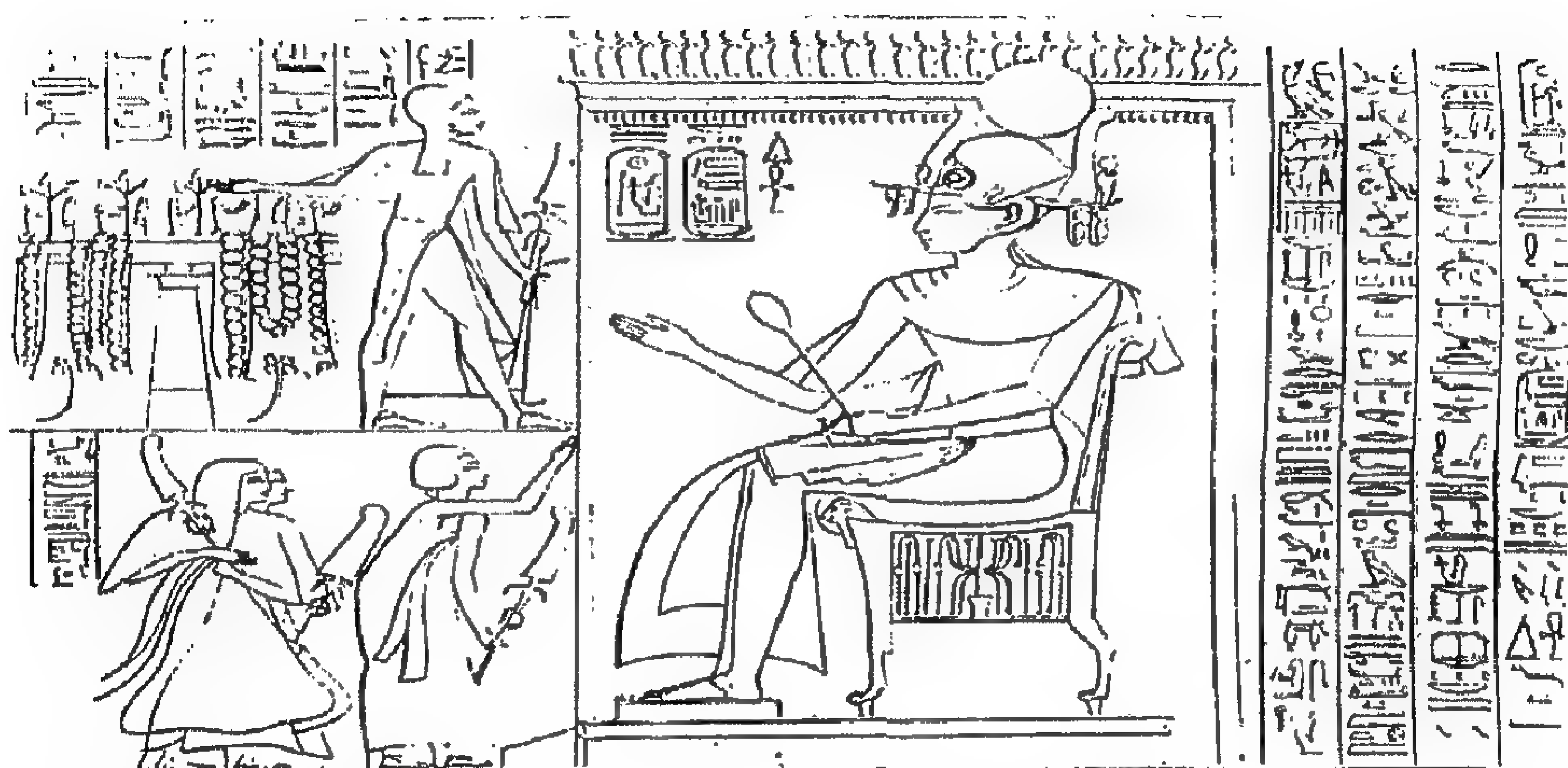
رمسيس الثانى ، يتبعه اثنان من الأمراء ، فى أثناء مطاردته للمتمردين فى منطقة " النوبة العليا "



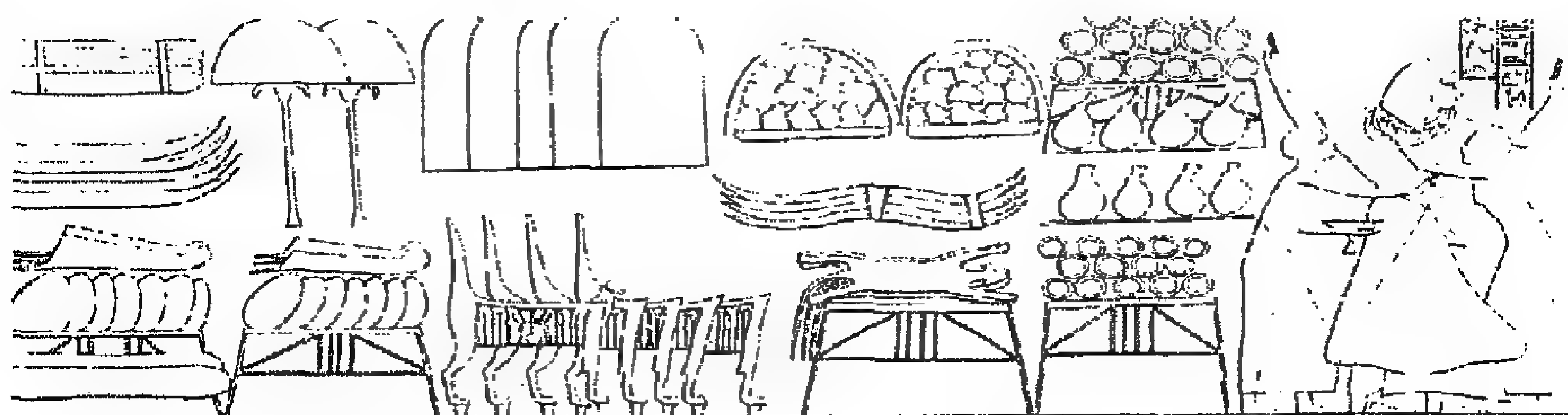
عودة أحد الجرحى إلى إحدى القرى المتمردة ( معبد بيت الوالى )



استعراض لأسرى الحرب ، ومعهم عائلاتهم ، وعدد من الجزى والضرائب .



الأمير آمون حرونم إف " ، الابن البكرى لرمسيس ومعه " الوزير " ، ونائب الملك " : آمون إم إبت " ، وهم يقدمون الضرائب لرمسيس الشريك فى الملك .



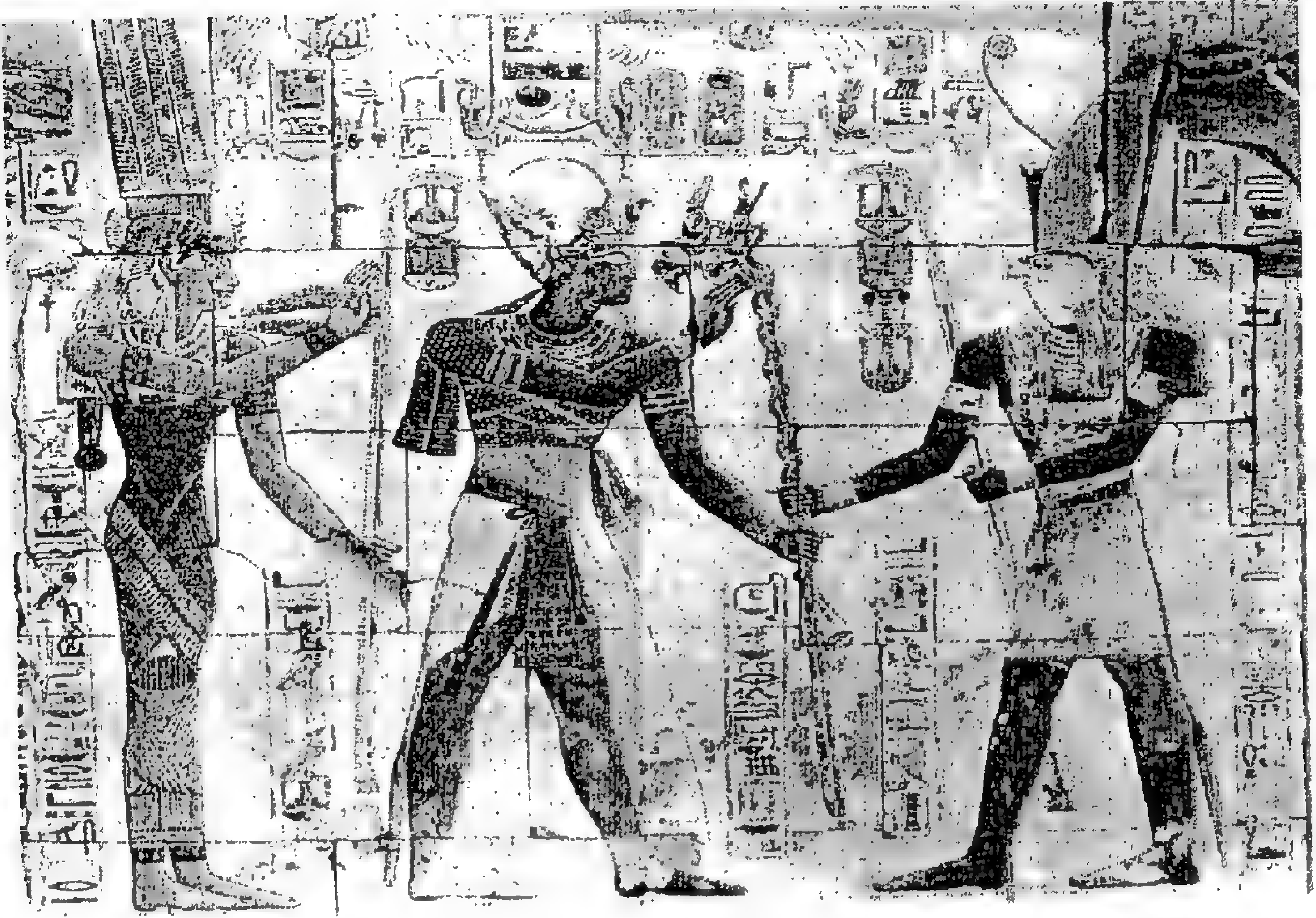
تقليد " نائب الملك فى النوبة " بالأوسمة والنياشين وقد أحاط به قدر كبير من منتجات النوبة التى جمعها .



بعض الضباط المصريين يحملون قطعاً من المصوغات الذهبية ؛ ويسوقون أمامهم عدداً من أسرى الحرب فى النوبة العليا ، وبعض الحيوانات بمثابة ضرائب ( معبد بيت الوالى ) .



المدعو " سننجم " رئيس فنانى الزخرفة لدى " سيتى الأول " ( تابوت بالمتحف المصرى بالقاهرة ).



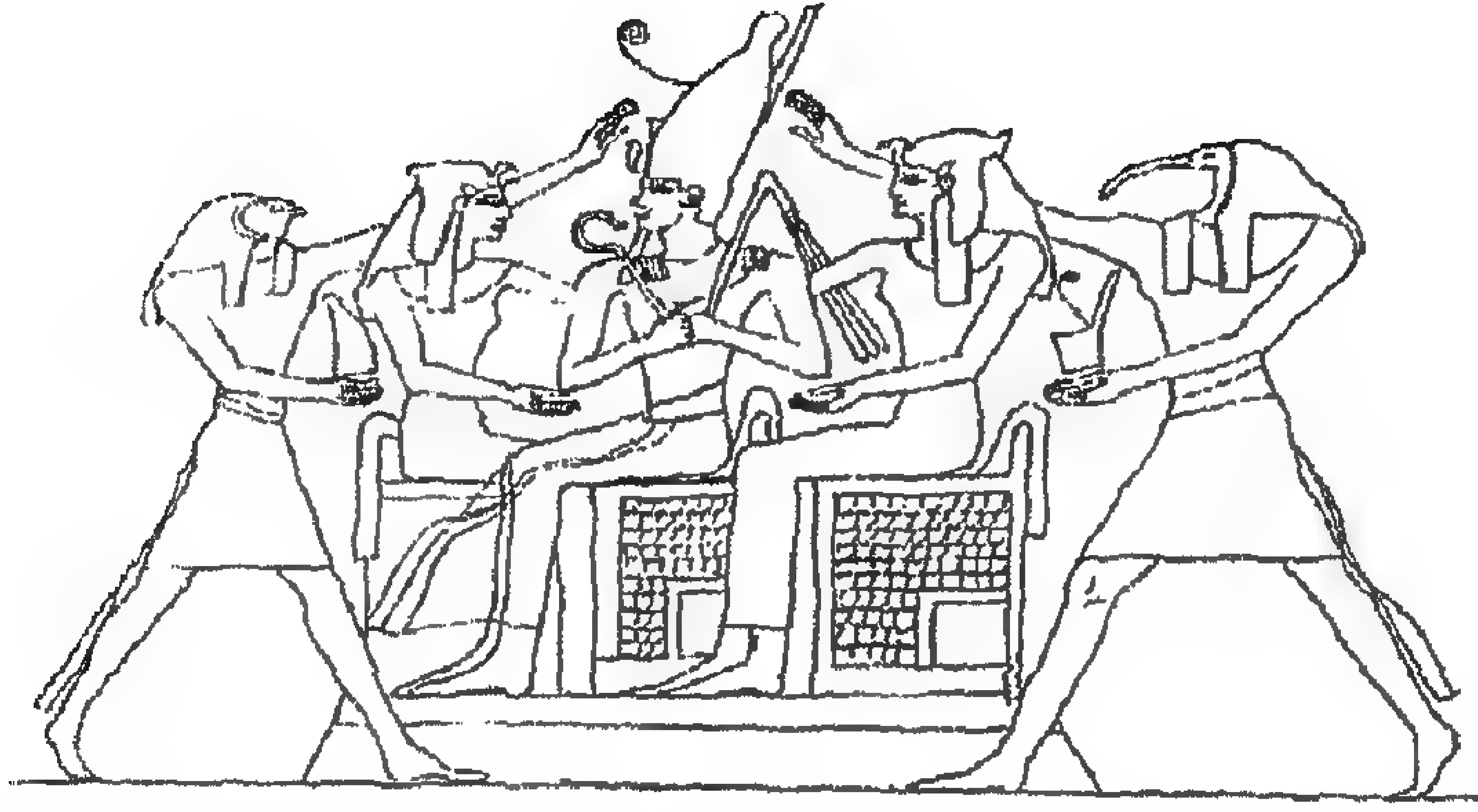
سيتى الأول يتلقى من « تحوت " رمزين يمثلان الربتين الحاميتين للملكية ، اللتين ستدعمانه بالأبدية والخلود ، ( معبد أبيوس ).



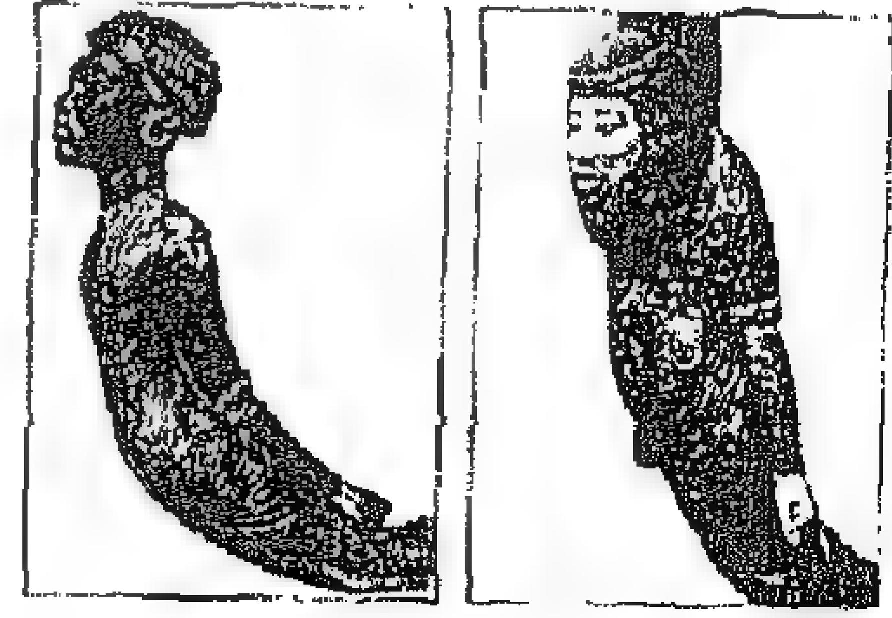
وجـه الملك رمسيس الثانى ، وقد أطلق لحيته – ولم يلتحِ بلحية مستعارة " – حزنًا وحدادًا على أبيه ( مقبرة فى طيبة ) .



الوزير " باسر " ، وقد حضر مناسبة تنصيب رمسيس ، وثبت فوق رأسه التاج المزدوج ( البسشنت )



تتويج رمسيس الثانى تحت رعاية الوالدتين الحاميتين الأوليين ، ويقوم " حورس " وتحوت: بتثبيت تاجه فوق رأسه .



عصاتان ، يبدو طرفاهما السفليان فى شكل الأعداء الأشرار وعلى الفرعون أن يسحبهما فى التراب ( توت عنخ آمون )



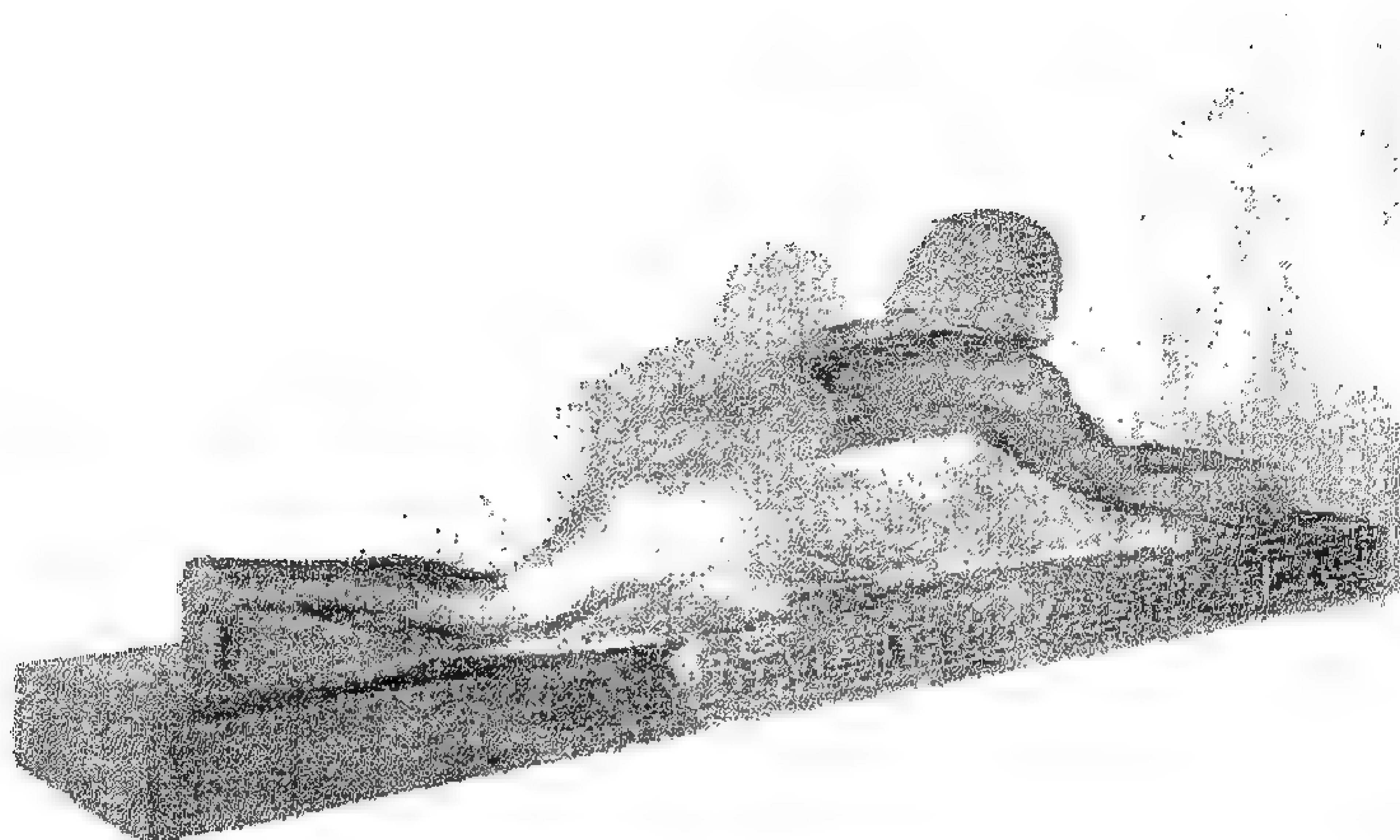
هريم فى مقة مسلة حتشبسوت عليه نقش يمثل الإله "آمون يتوج الملكة " بالخبرش ، رمز وظيفة آمون ( الكرنك )



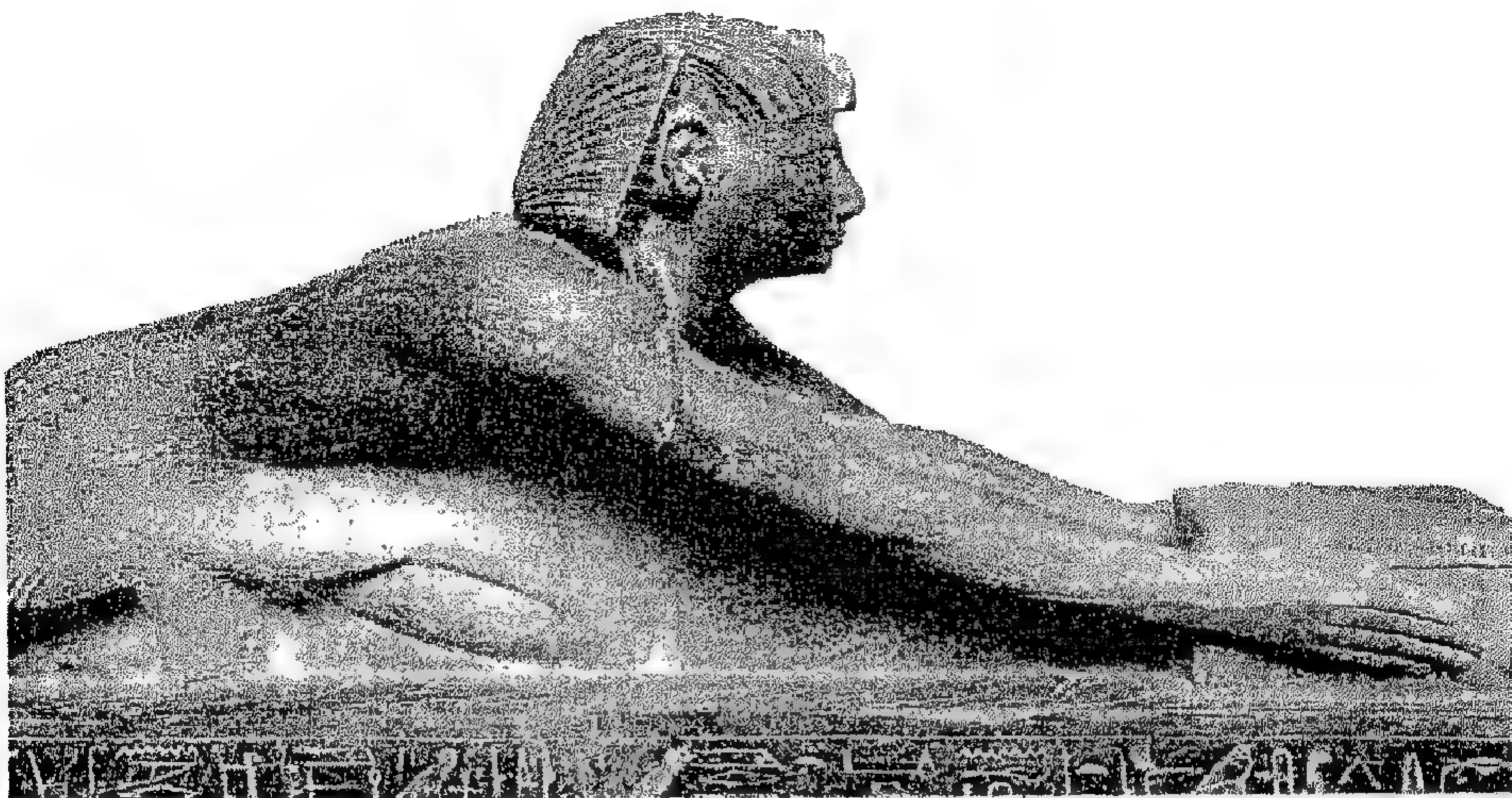
الصقر " حورس " يبسط جناحية خلف رقبة " خفرع (المتحف المصرى بالقاهرة ) .



" أمون – أتوم " والربة سشات يكتبان أسماء تتويج رمسيس فوق ثمار : الشجرة إشد
( الرمسيوم رسم . صبرى السيد ) .



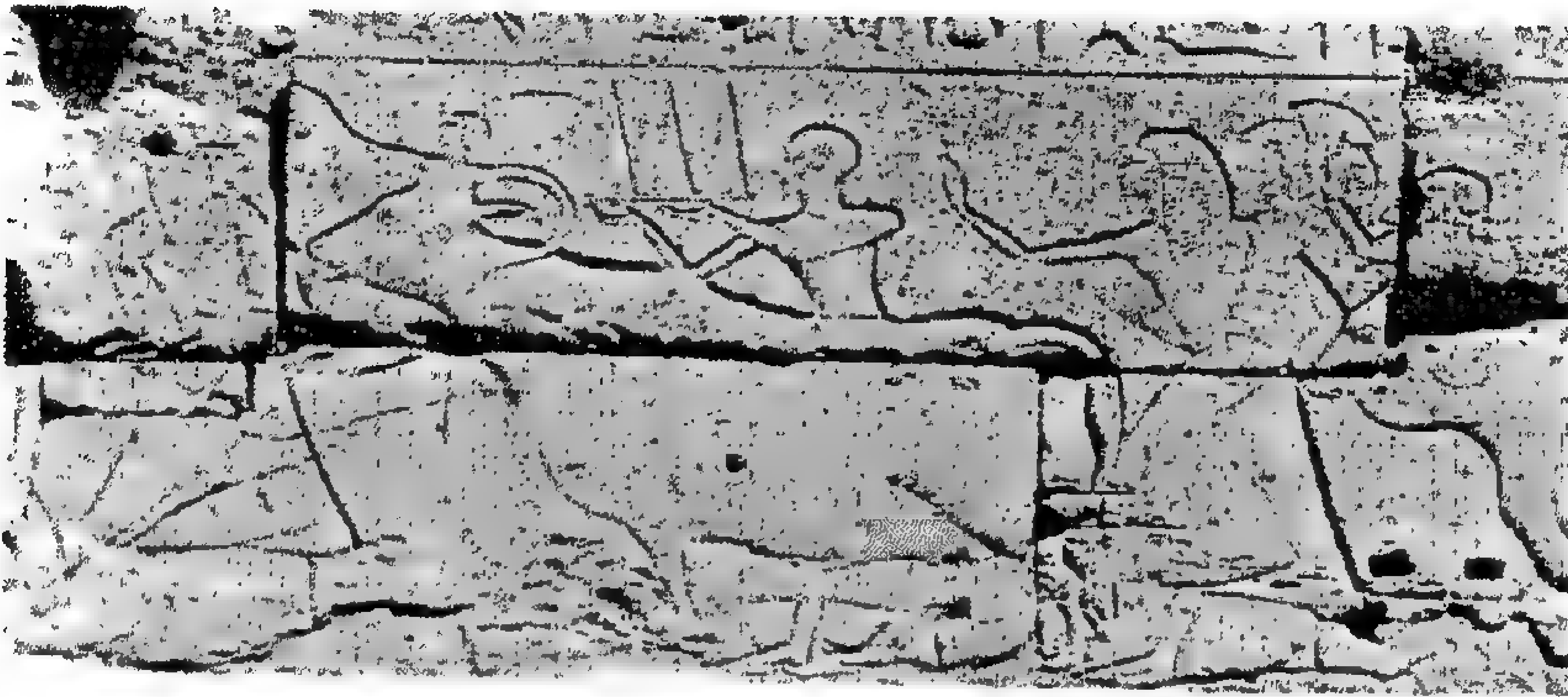
رمسيس يزحف زحفًا شعائر فوق أغصان " الشجرة إشد "



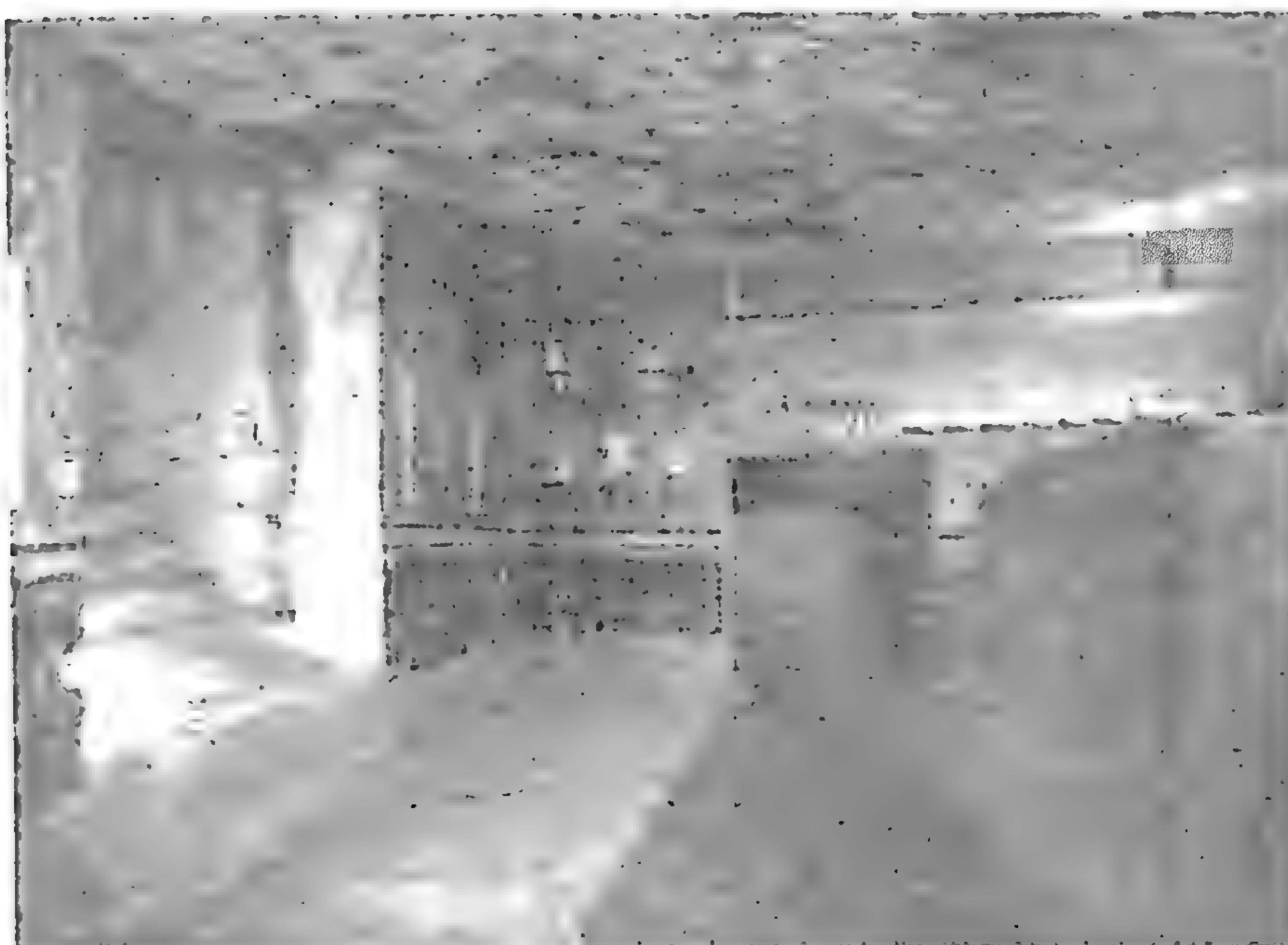
صورة تفصيلية لتمثال خاص برمسيس ؛ وهو يوضع أمامه ينبطح أرضًا مقدمًا القرابين .
( المتحف المصرى بالقاهرة ) .



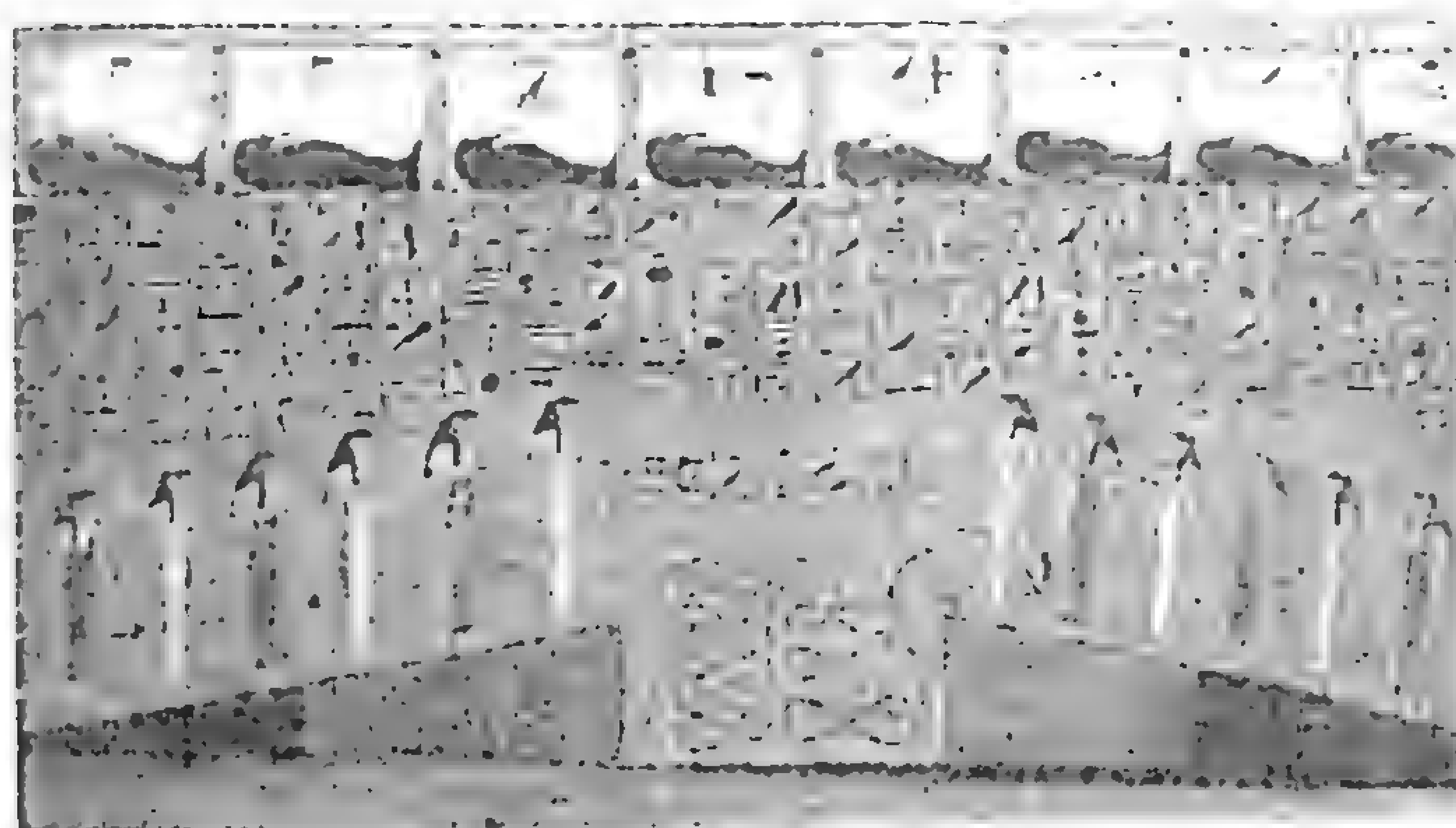
عيدالأوبت " بعض الكهنة ، وعازفات الصلاصل والقيثار ، وراقصو الأكروبات العقائدى
( مقصورة حتشبسوت - الكرنك ) .



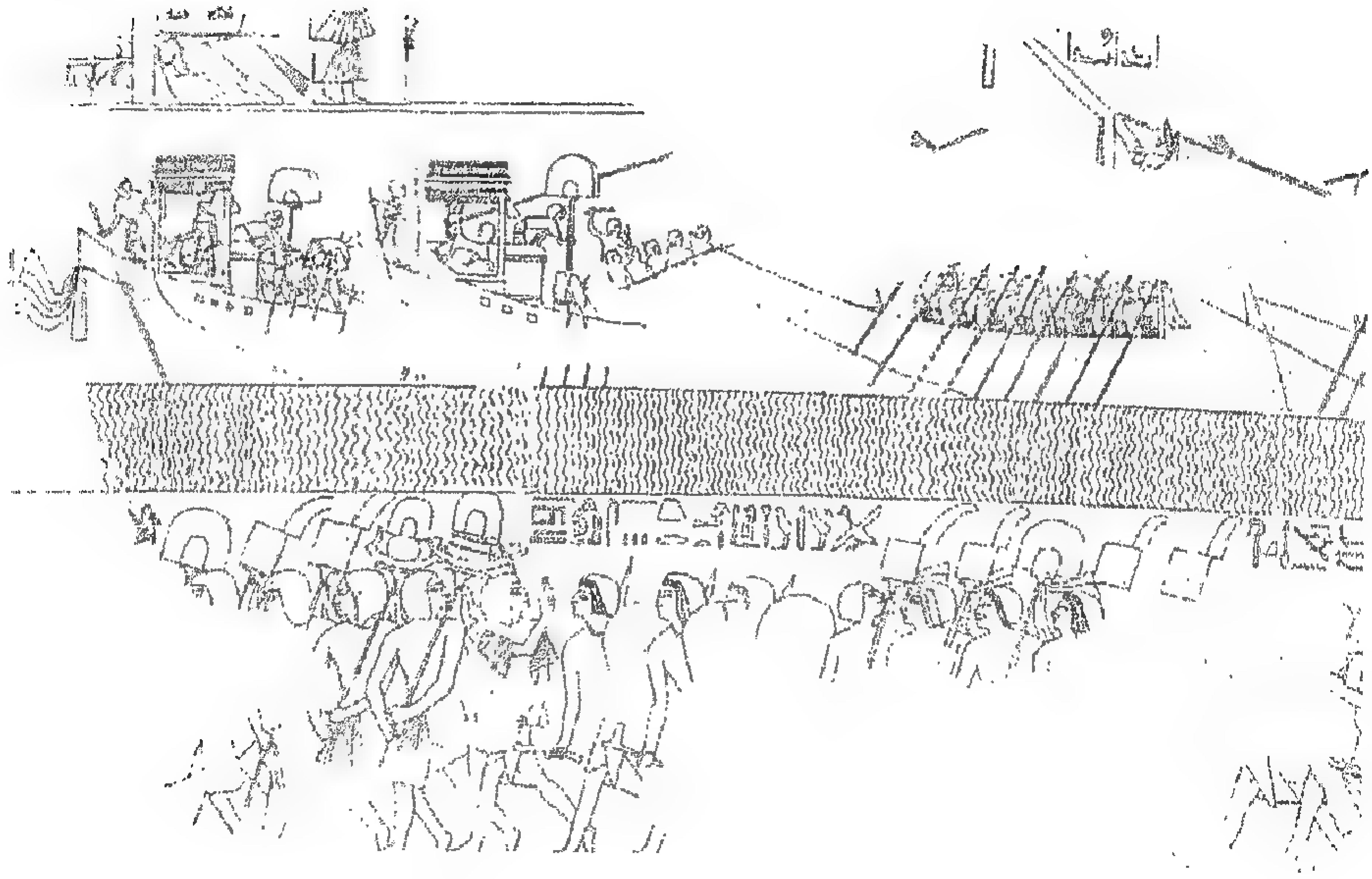
استعراض لبعض الثيران السمان فى أحد أعياد الأوبت .



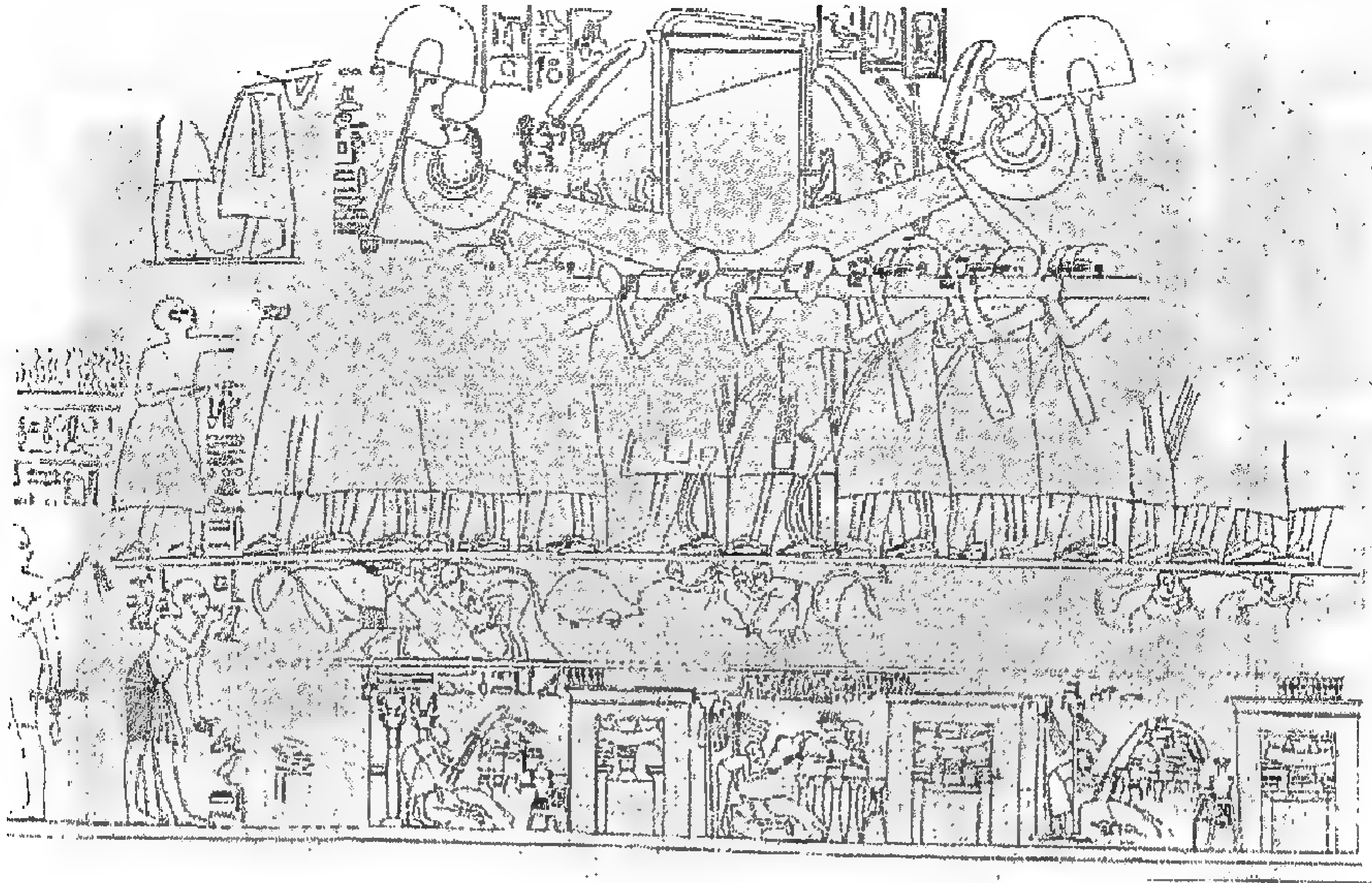
مقبرة رمسيس الأول · من الداخل " بوادى الملوك " فى أقصى اليمين . نرى التابوت الحجرى الخاص بالملك ( من أرشيف بيانكوف ) .



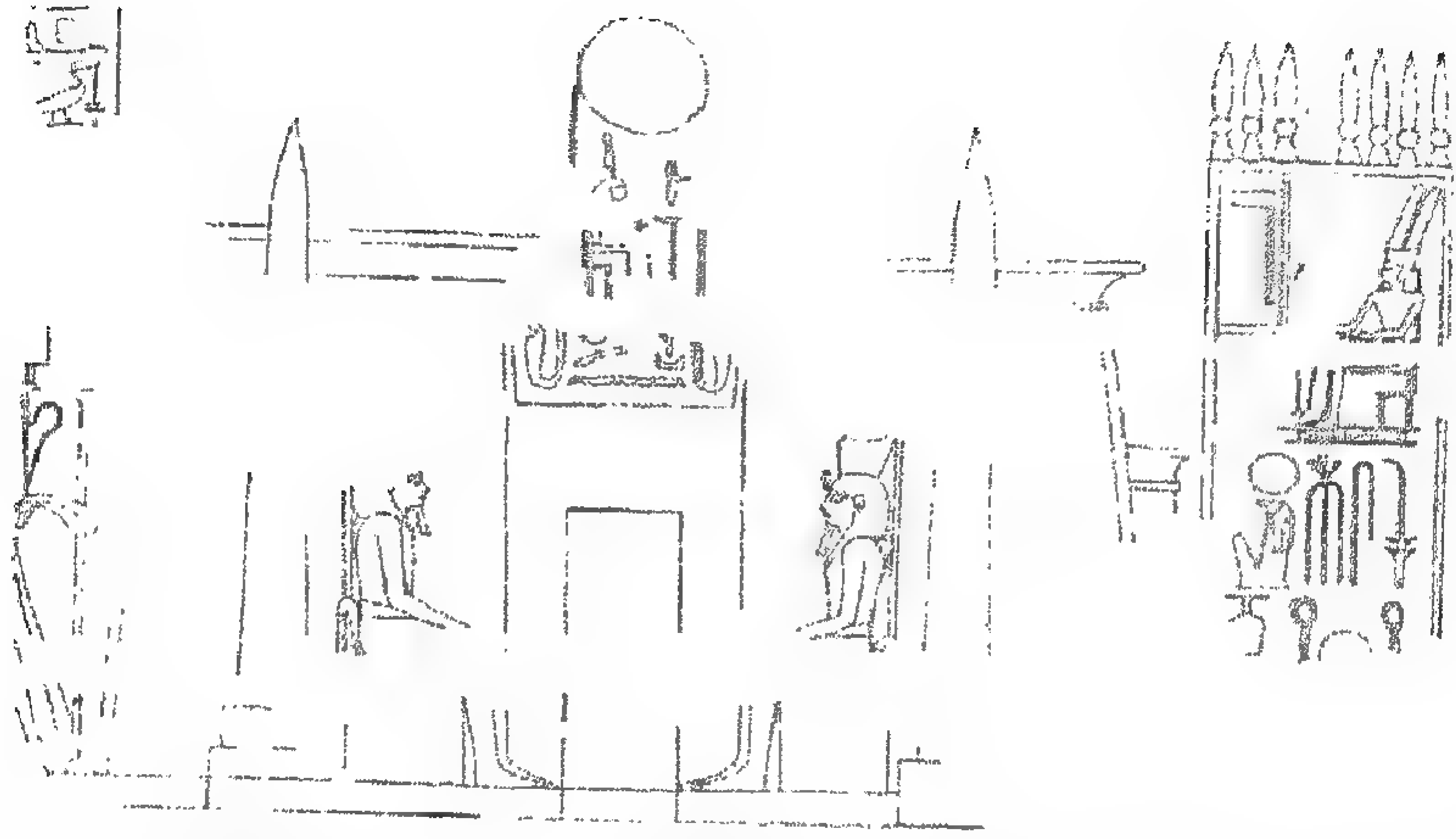
مقبرة رمسيس الأول : تفاصيل رسم الثعبان "مهن " ؛ وكذلك رموز الساعات الاثنى عشر الليلية التى سوف يبتلعها .



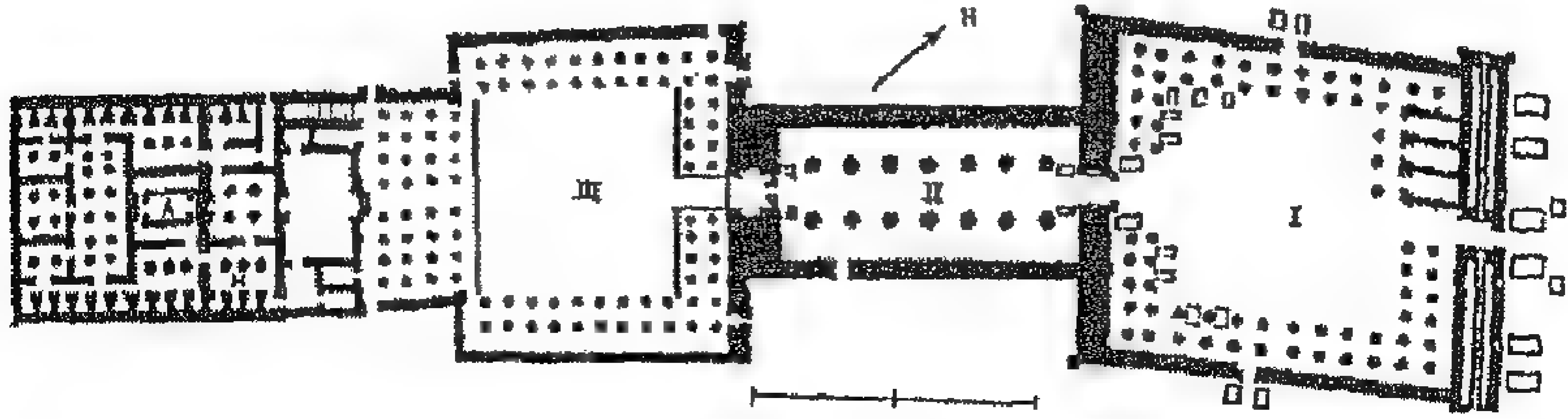
عيد " الأويت " فوق القناة الموازية لنهر النيل ، فيما بين الكرنك والأقصر ، نرى سفينة الملك تصاحب سفن الآلهة . وفى المستوى السفلى : صف من الجنود ( الأقصر – عهد توت عنخ أمون ) .



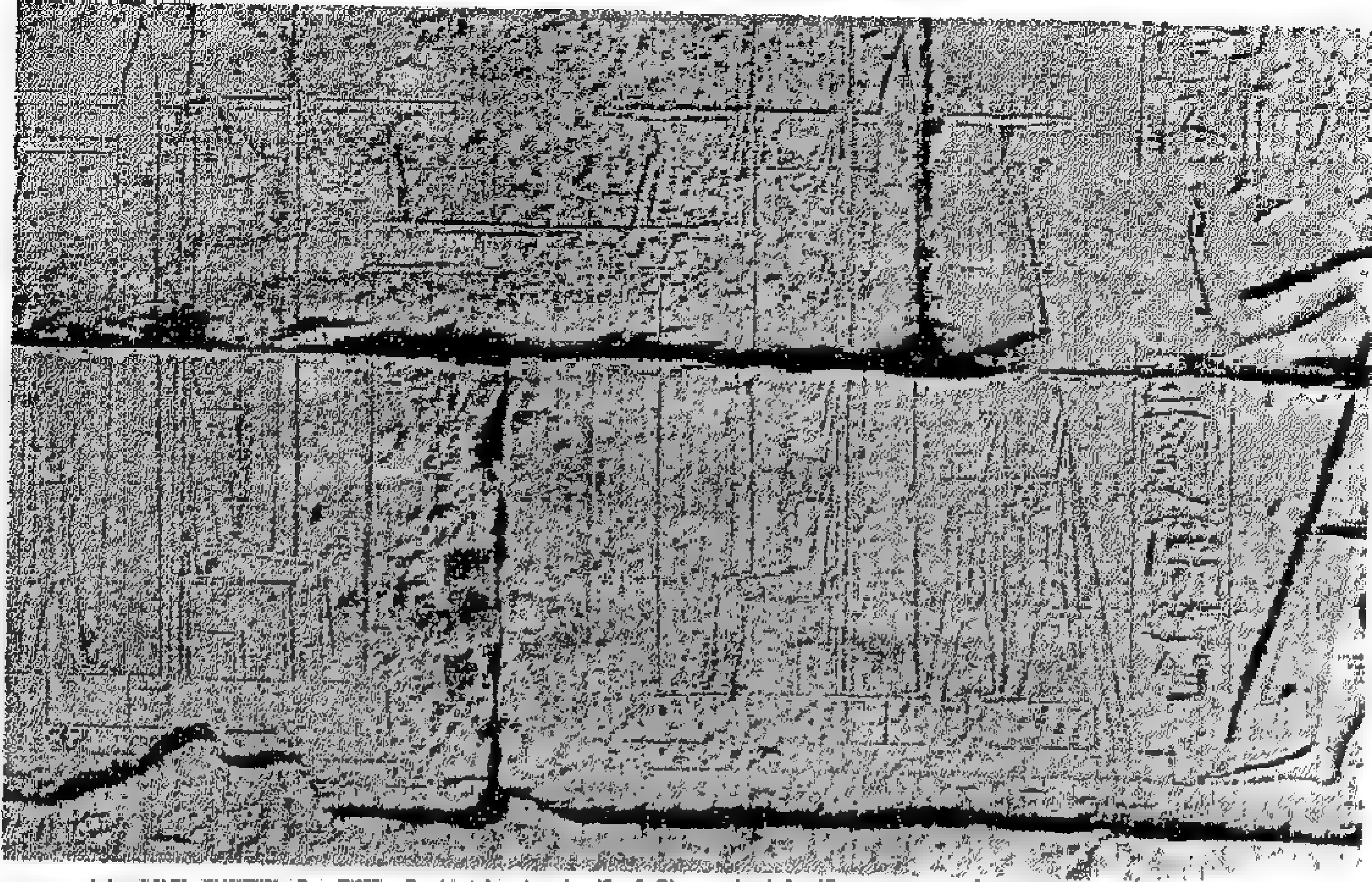
وصول احتفال " الأويت " الكبير ، فى منطقة ما بين الكرنك والأقصر " سفينة خونسو " تخرج من موقعها وقد حملها عدد من الكهنة . و فى السجل السفلى بعض المحال الصغيرة الخاصة بالاحتفال ( معبد الكرنك ) .



تخطيط معبد : أمنحتب الثالث " وقد عمل رمسيس الثانى على توسعته ( الأقصر - الفناء الأمامى )

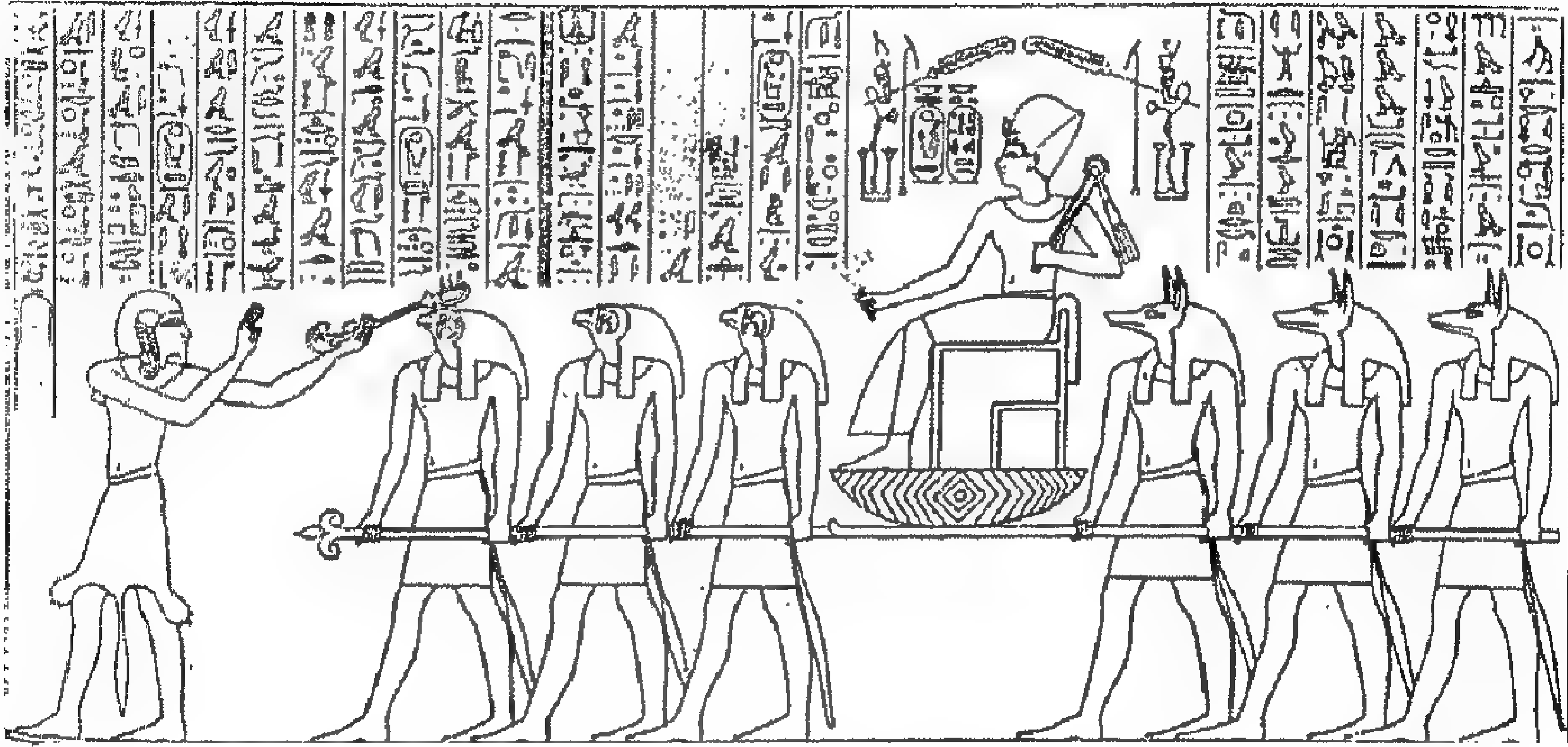


المرحلة الأولى لواجهة صرح رمسيس الثانى بالأقصر ( الواجهة الجنوبية )

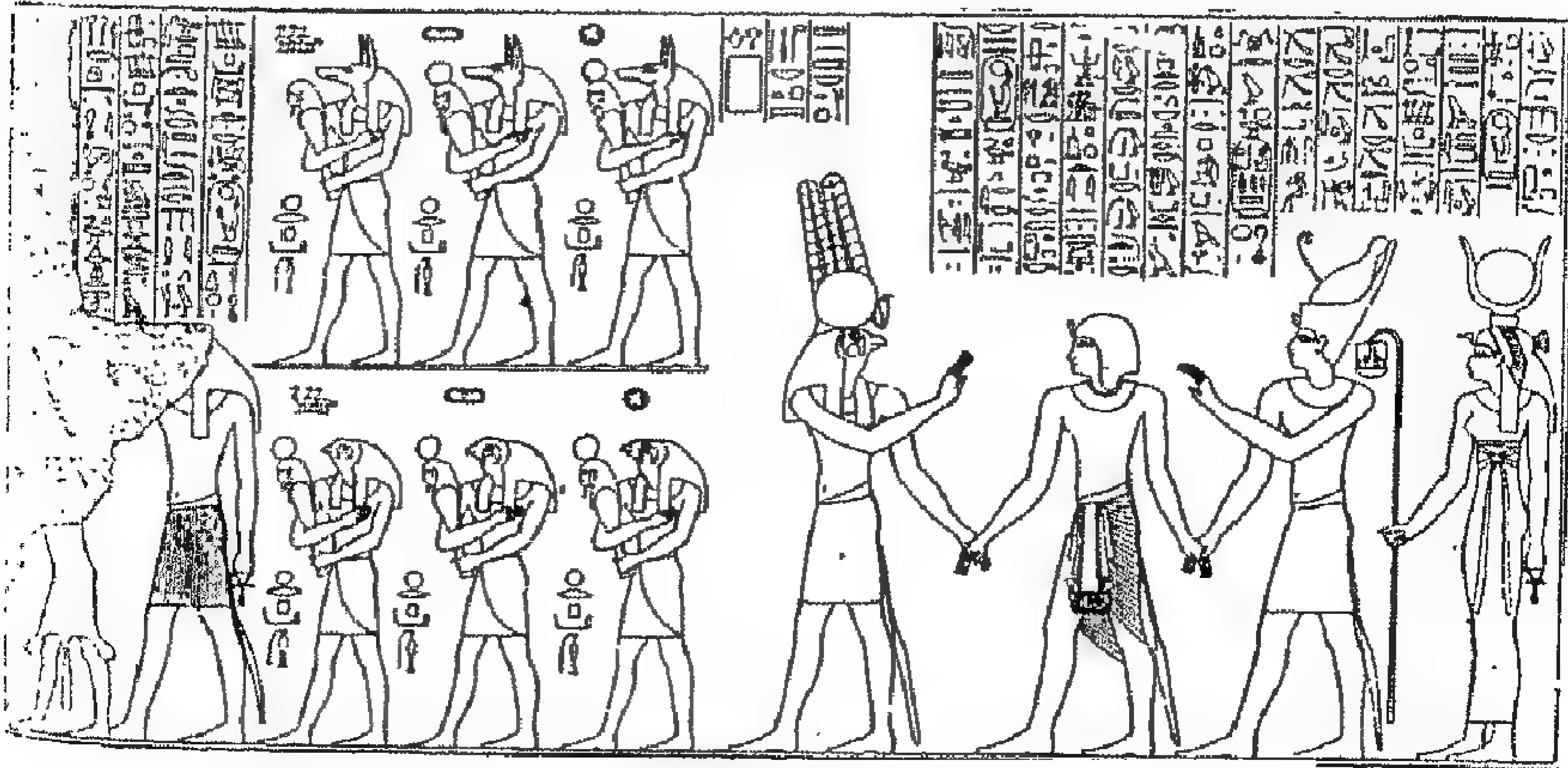


المرحلة النهائية من زخرفة واجهة صرح رمسيس الثانى بالأقصر وقد أمر الملك بإضافة مجموعتين من التماثيل فى وضع الوقوف ، على يسار ويمين المسلتين .

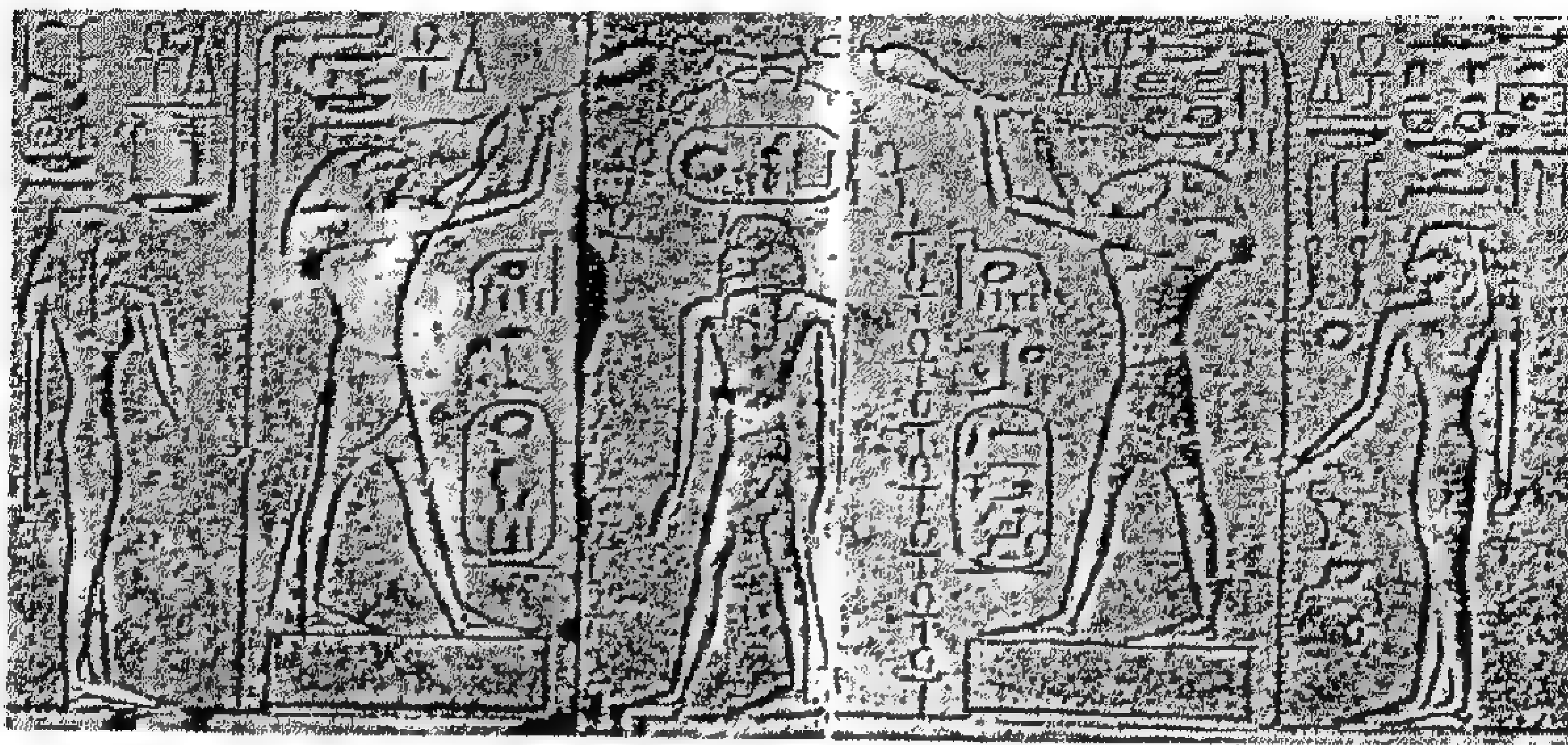
( فناء رمسيس - الأقصر - تصوير فتحى إبراهيم )



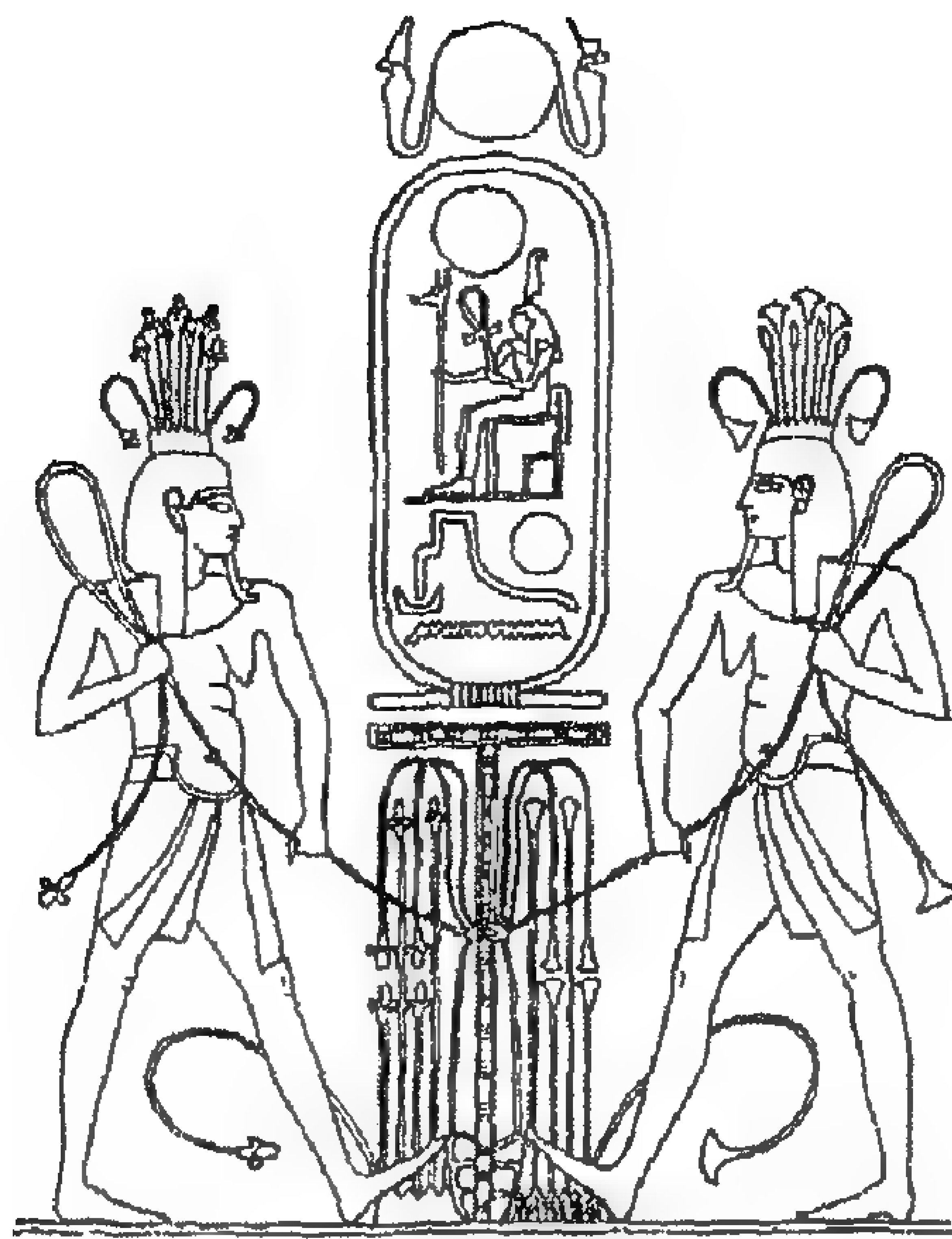
الملك سيتى الأول ، يتجه فوق مقعد محمول ، نحو مكان التنصيب ( أبيدوس )



الملك " يسلك طريقاً نحو المقصورة



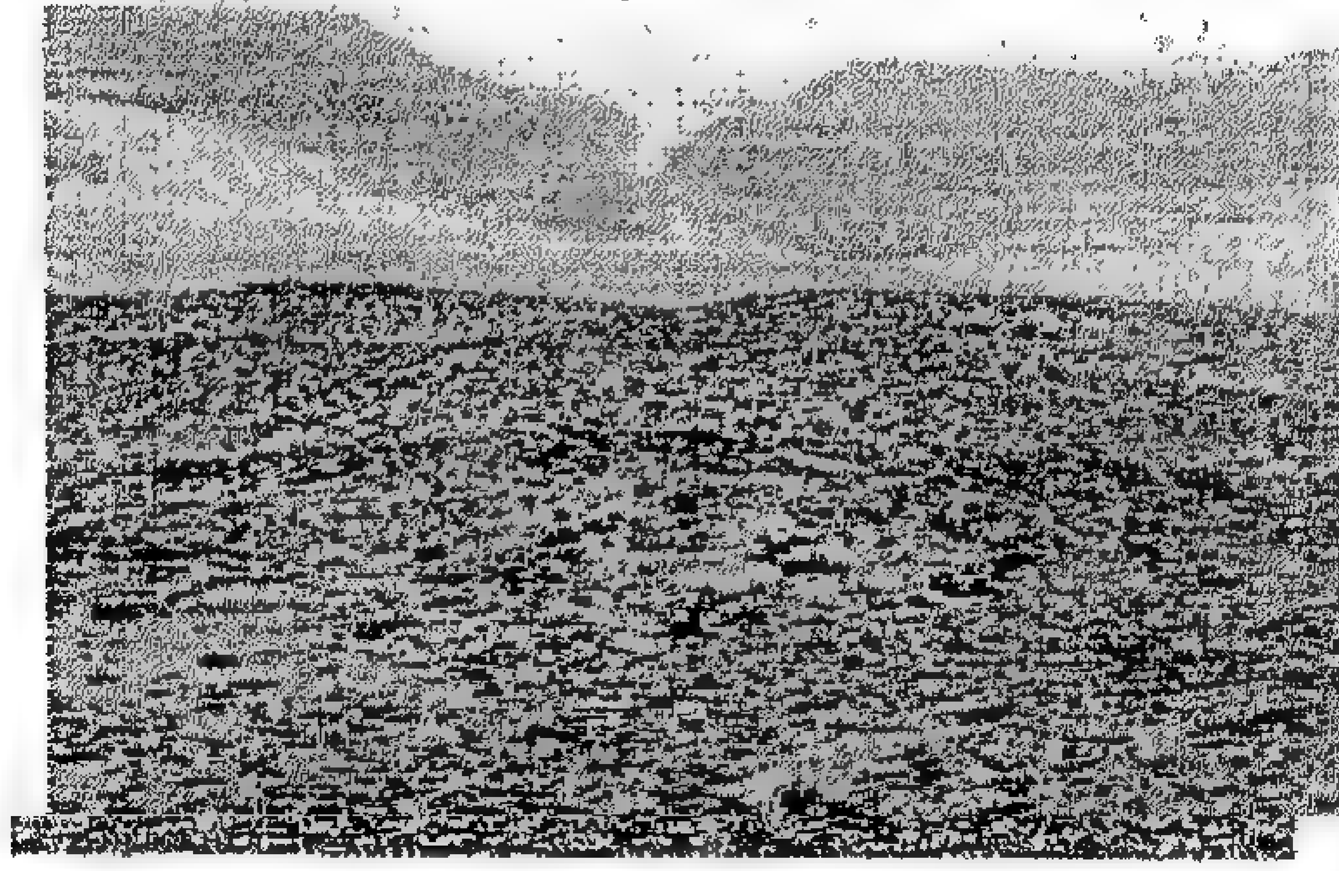
التطهير الشعائرى للملك ( بعض من آثار مقصورة حتشبسوت – بالكرنك ) .



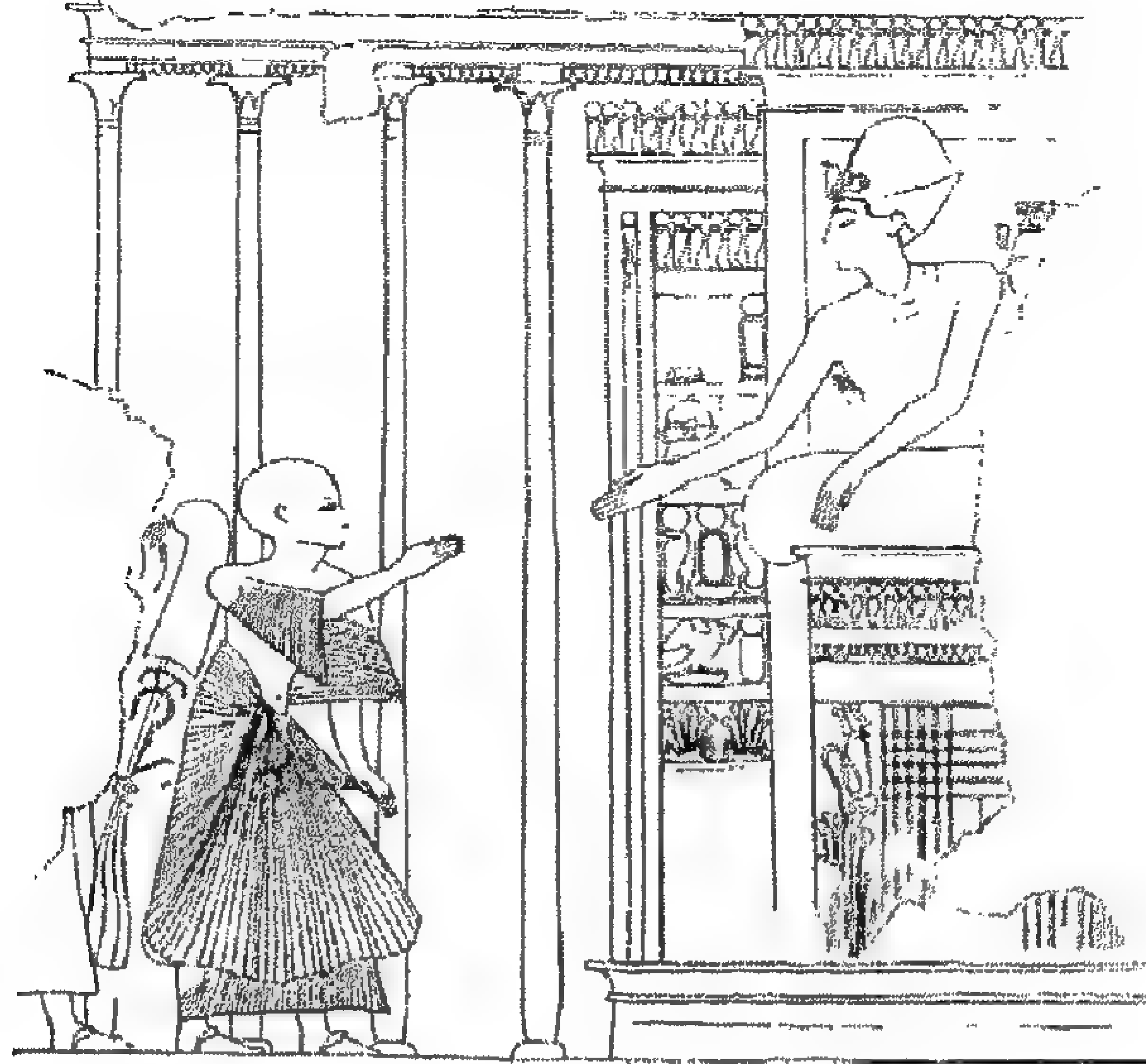
" السما – تاوى " الخاص برمسيس الثانى ؛ منقوش على عرش الملك : واجهة معبد أبو سمبل الكبير . ونرى إلهى الفيضان وهما يقومان بربط النباتين الشعائريين الكفيلين بتجديد قوى الفرعون ، وحيويته كل عام .



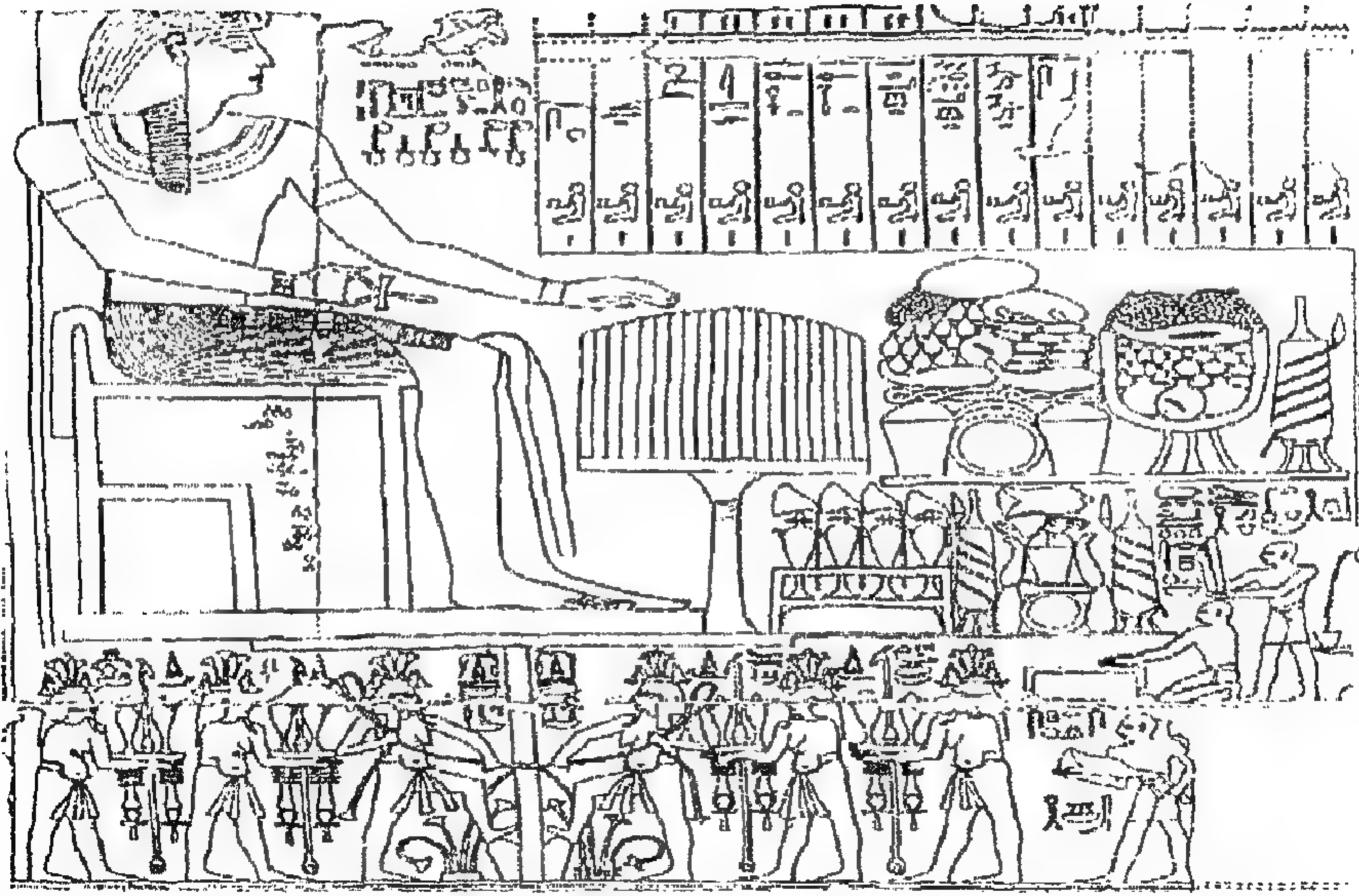
تمثال رمسيس الثانى بكل جلاله وعظمته الملكية ، متوجاً بالتاج " خبرش " ( متحف تورينو )



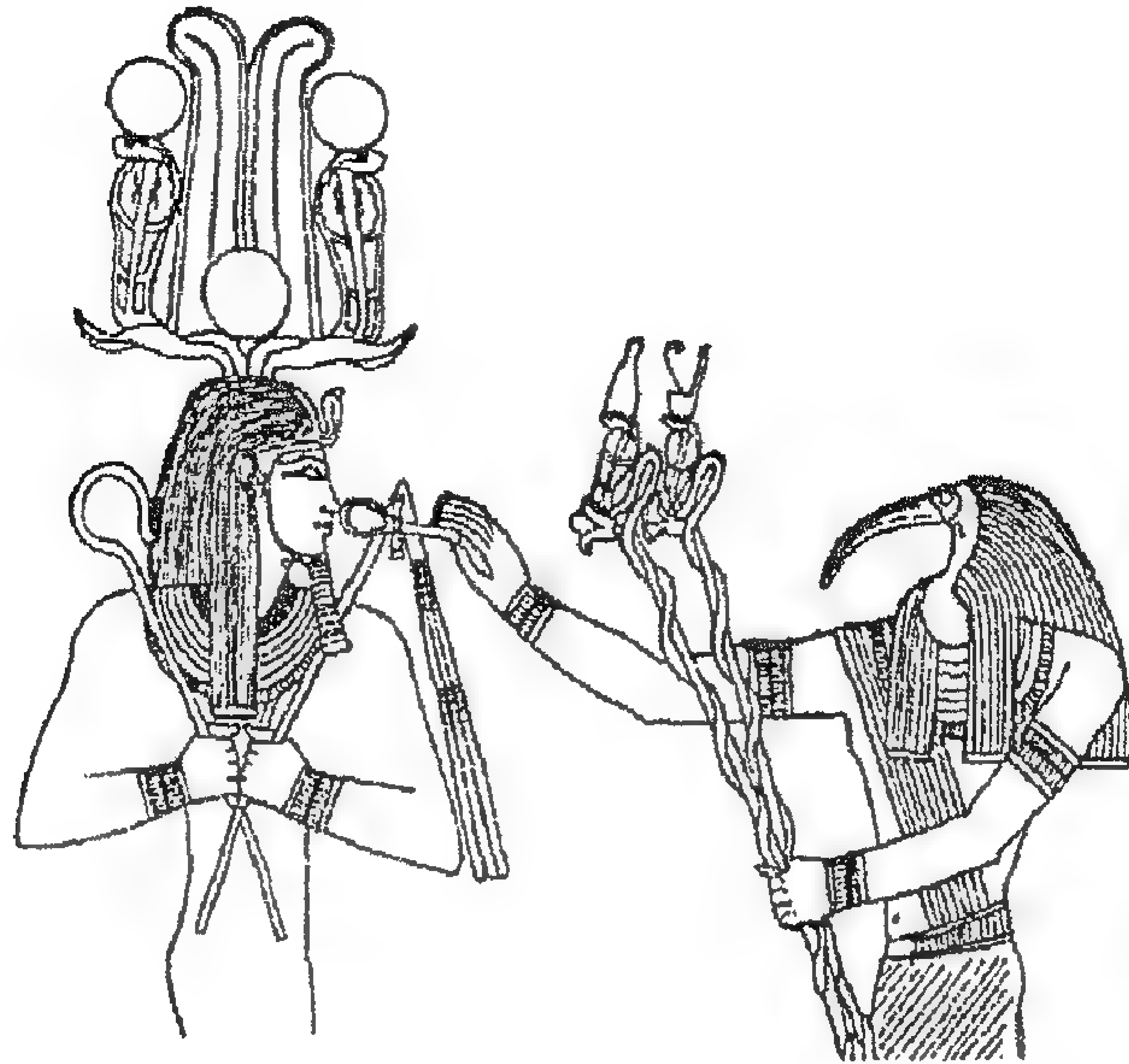
الجبل الغربى بأبيدوس : يشير إلى المكان الذى تصل من خلاله الشمس الغاربة، إلى أملاك أوزيريس .



رمسيس بصحبة " نفرتارى " ، وهو يقوم بتنصيب : نب ونن إف : كاهنًا أكبر لأمون الكرنك ( من مقبرته بطيبة الغربية ) .



رمسيس الاول امام القربان الجنائزى الكبير من أجل التجديد السنوى لحيويته ، عند قدوم الفيضان الذى أشير إليه بالمستوى السفلى : ( متحف المتروبوليتان – نيويورك )



" تحوت " يقدم إلى مومياء " سيتى الأول " علامة الحياة وصورة الربتين الراعيتين ؛ لبعثه الجديد ( معبد سيتى الأول – أبيدوس ) .

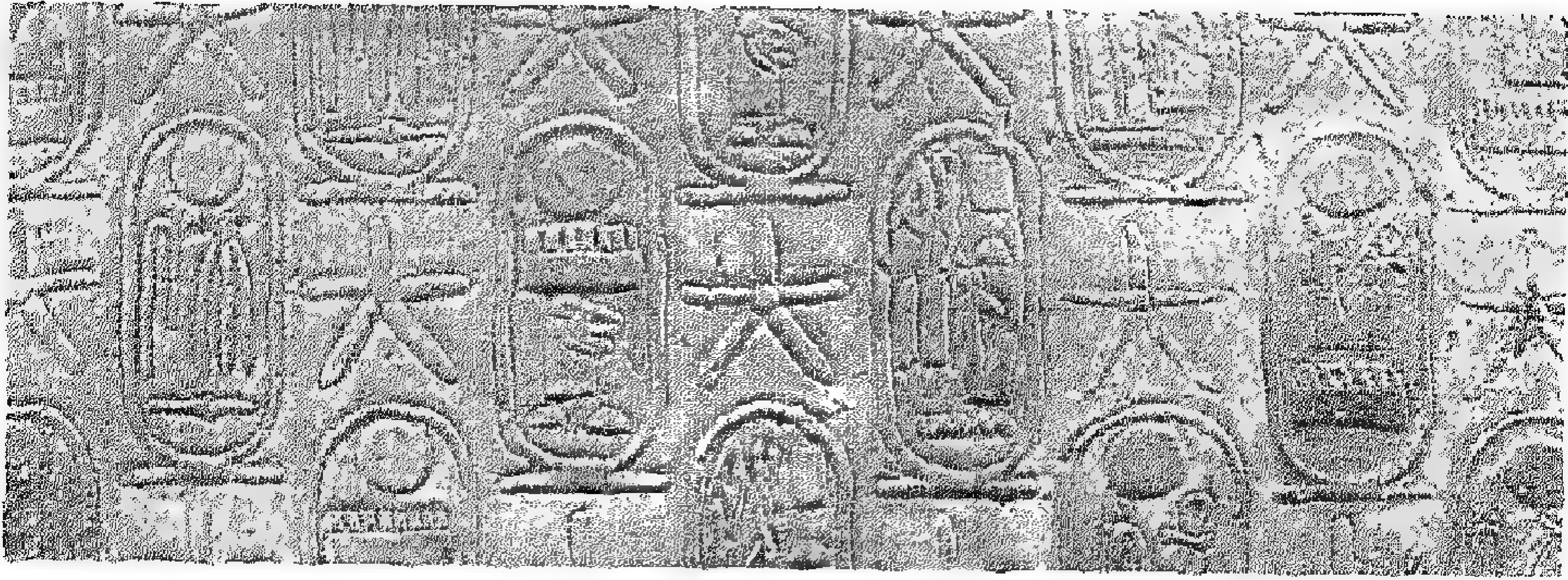


" ماى " المهندس المعمارى لدى رمسيس وقد عمل أساساً فى " بر – رمسيس "

( المتحف المصرى بالقاهرة )



" مرى " وابنه " ونن – نفر " الكاهن الأكبر لأوزيريس فى أبيدوس ( المتحف المصرى بالقاهرة )



أسماء وألقاب ( رمسيس الأول تتوسط النجوم والكواكب ، تفصيل نقوش بسقف إحدى القاعات المخصصة لرمسيس الأول فى المعهد اليوبيلى الخاص بأبيه : ( القرنة ).

تخطيط لـ "رمسيس تحدد من خلاله مختلف التقسيمات"

" مسلم يؤدى إلى منصة قاعة العرش فى" قصر رمسيس "

لوحات النيل " بجبل السلسلة " ؛ حيث كان المصريون يلقون القرابين فى النهر بوقت التحاريق

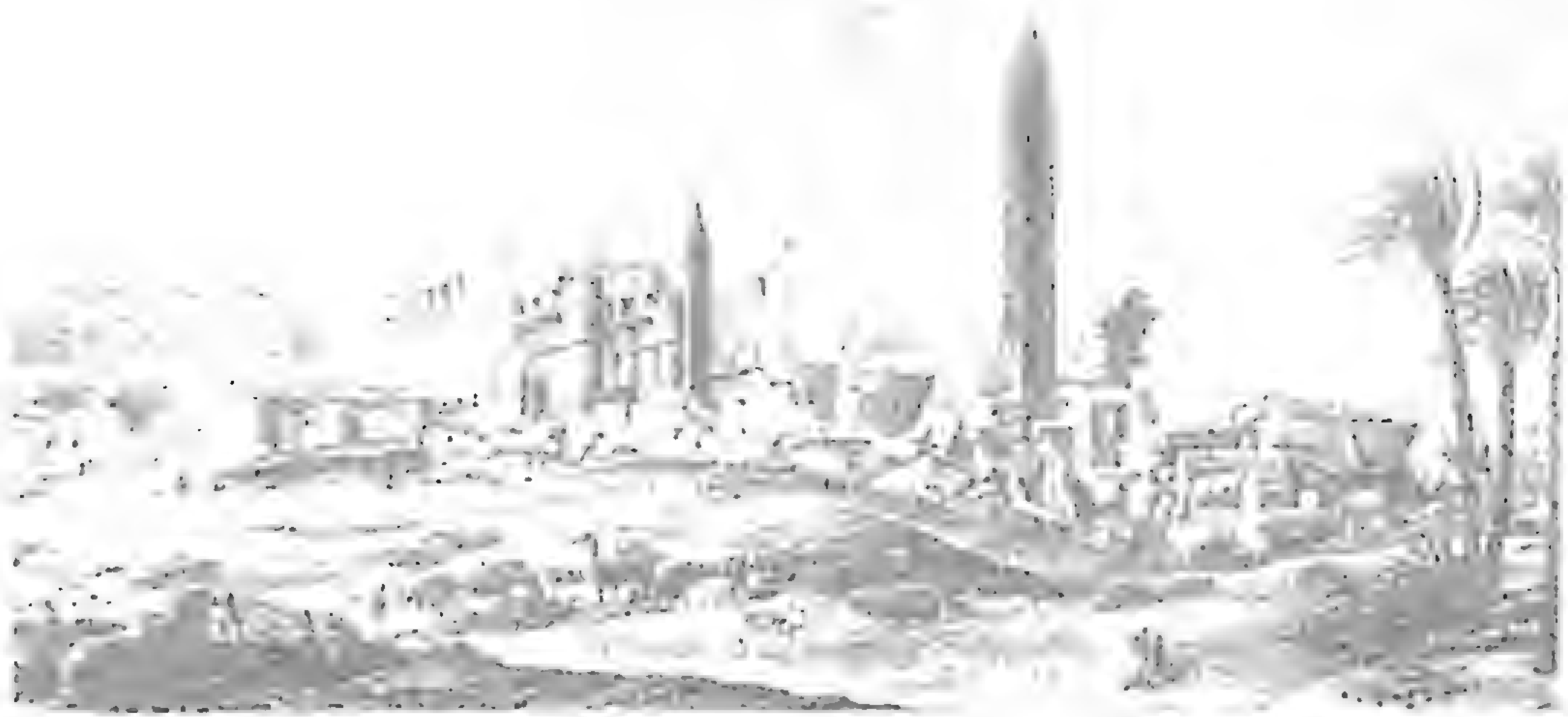
موكب الاحتفال بأول العام الجديد ويرى الكهنة فى أثناء خروجهم من معبد الكرنك حاملين آنية آمون الضخمة التي تحتوى على مياه الفيضان الجديد ( مقبرة فى طيبة ) .



رمسيس ممثل على هيئة " أبى الهول " وهو يقدم إناء آمون الملىء بمياه الفيضان الجديد
( المتحف المصرى بالقاهرة )



رمسيس بصحبة نفرتارى ، وهما يتعبدان الإله " مين " ( معبد الأقصر )



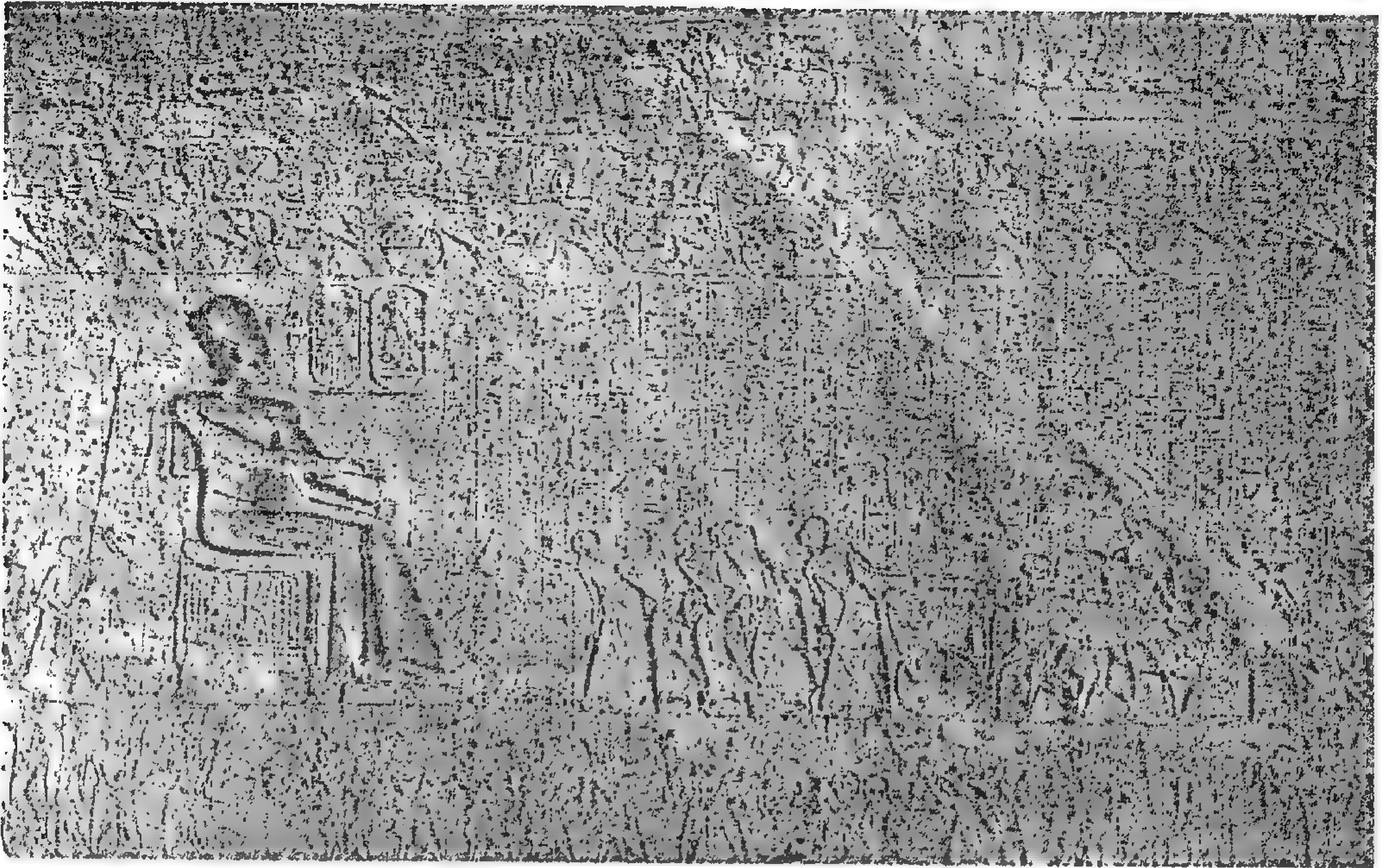
أطلال الكرنك خلال حملة" بونابرت " فى مصر . وعند المستوى السفلى ، يلاحظ أن الأراضى تغطى البحيرة المقدسة .



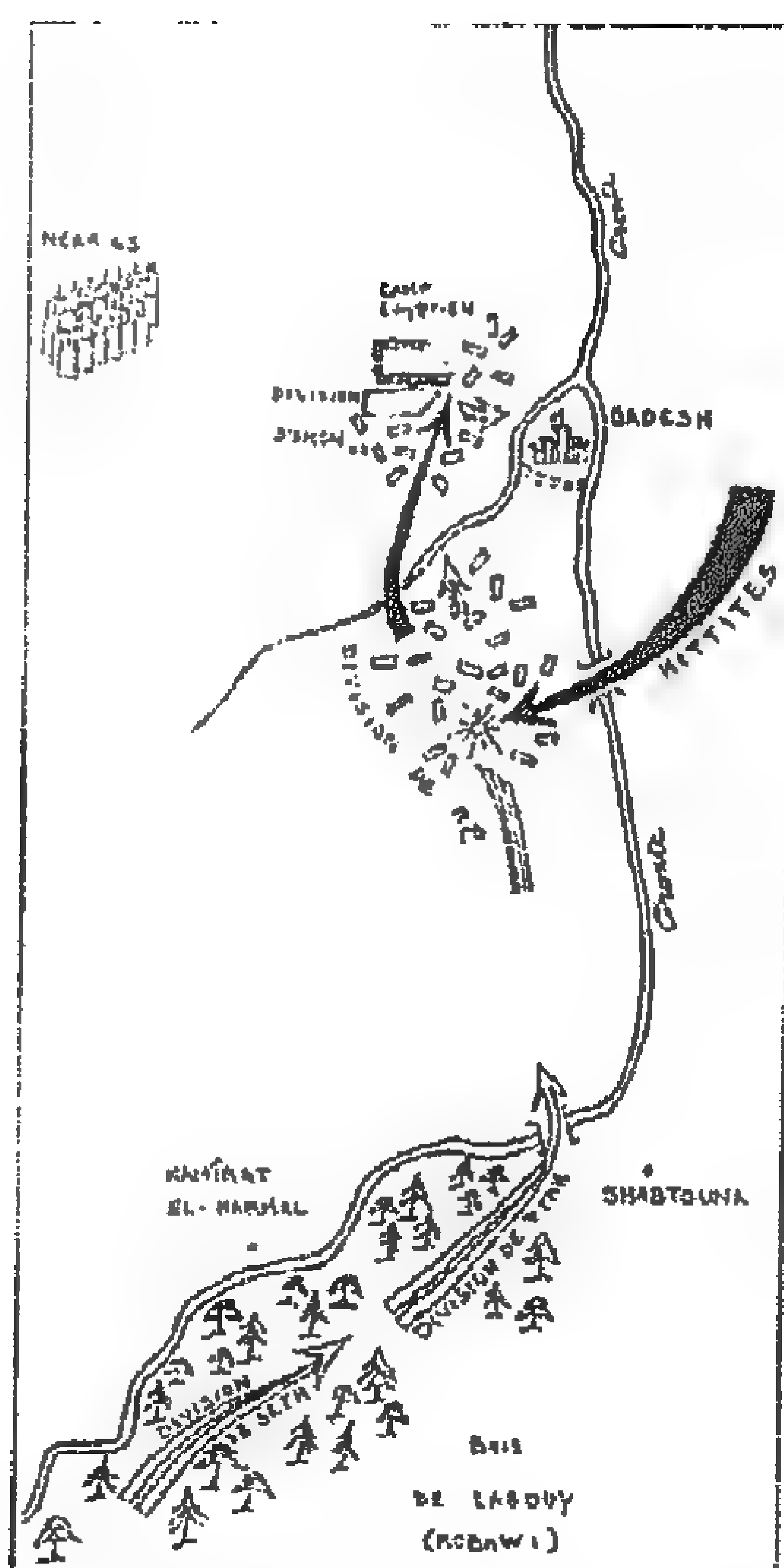
نفس المنظر ، فى وقتنا الحالى ، بعد معالجة الأطلال وكشف البحيرة المقدسة



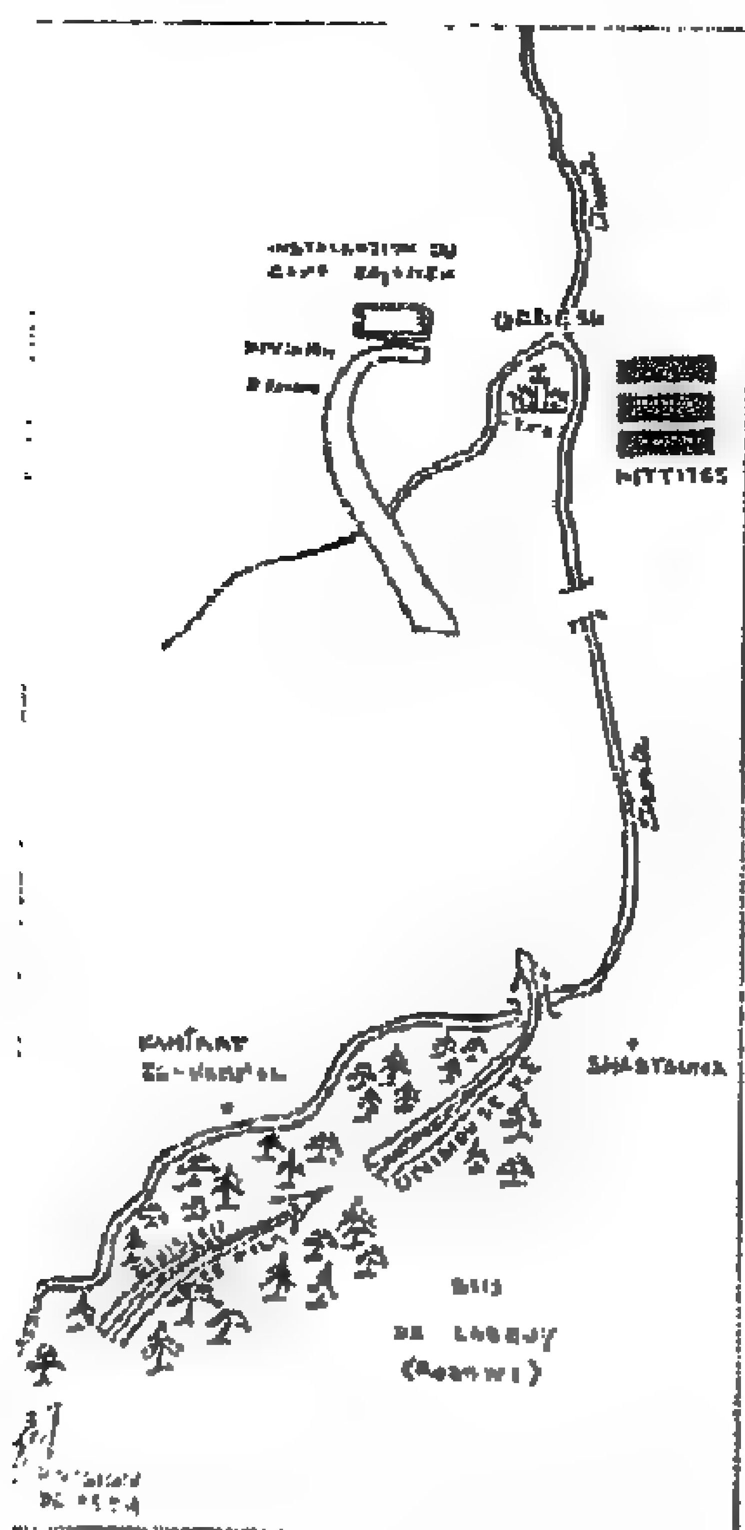
تمثال عملاق لرمسيس الثانى . بمصاحبة نفرتارى ( الفناء الأول بمعبد الأقصر )



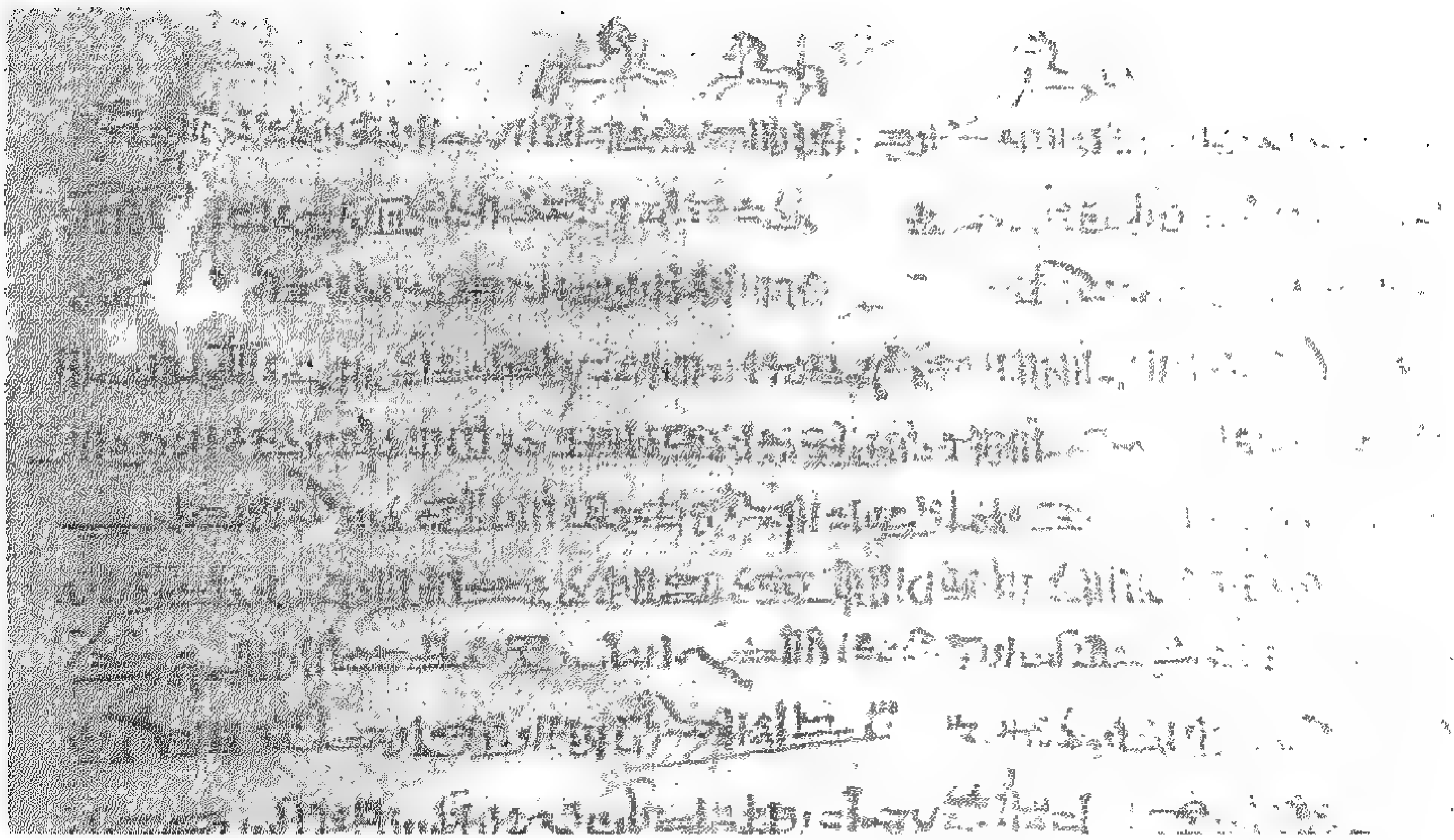
مجلس الحرب يرأسه رمسيس الثانى ، فى إثر القبض على بعض جواسيس الحيثيين .



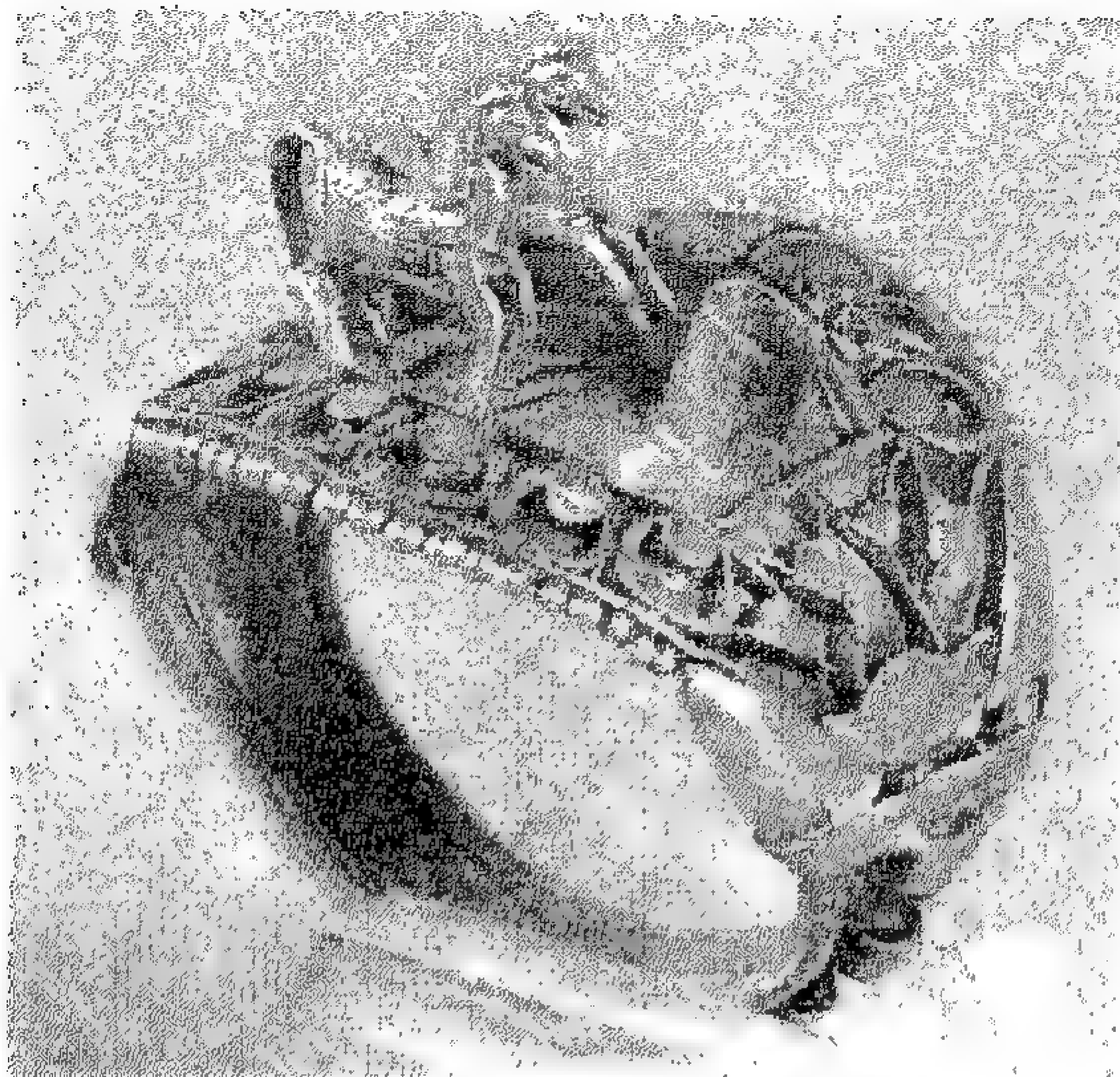

١- موقع الفيالق الأربعة فى لحظة الهجوم .



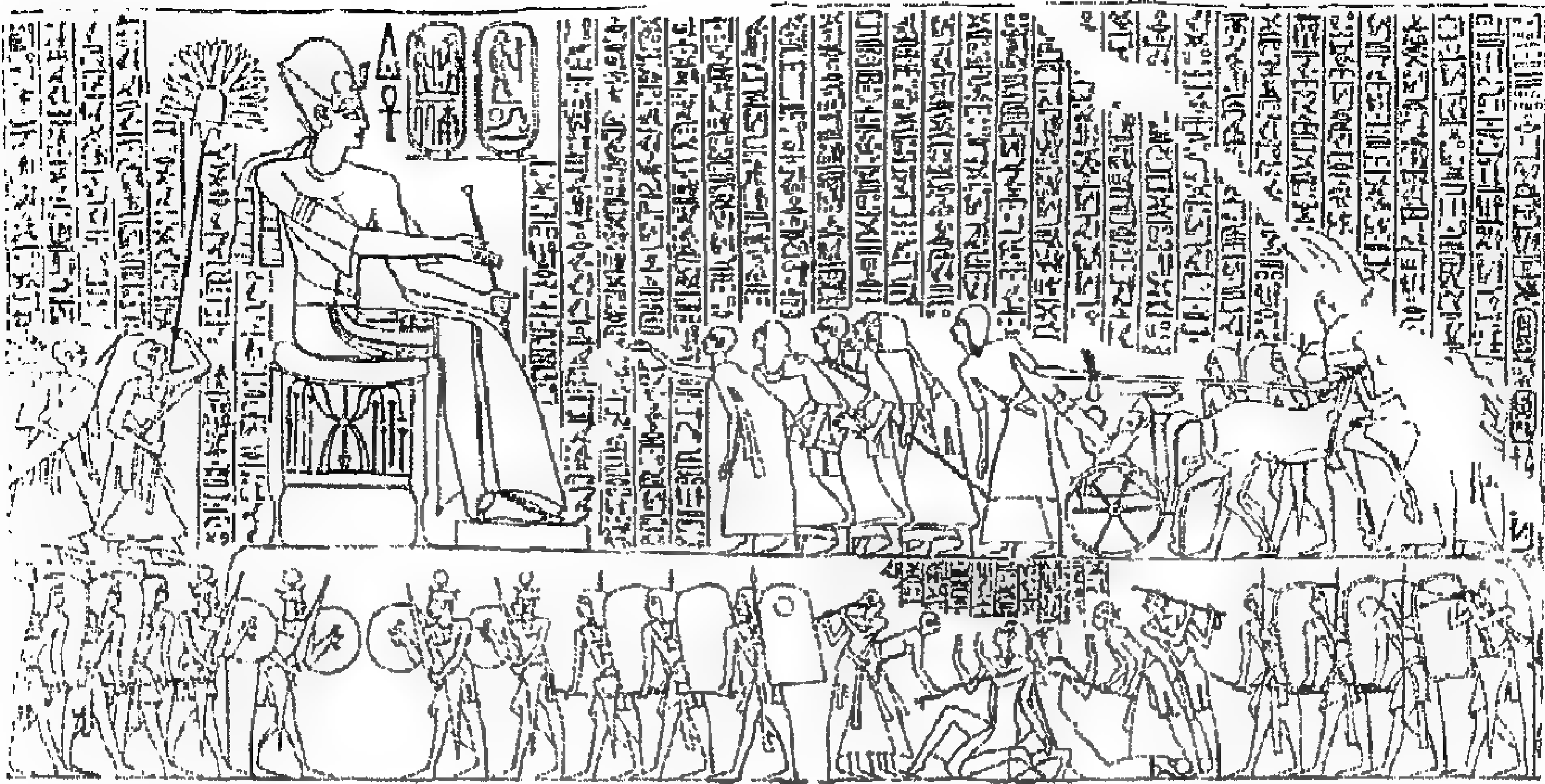

٢- حركة الفيالق الأربعة للجيش المصرى قبل هجوم الحيثيين .



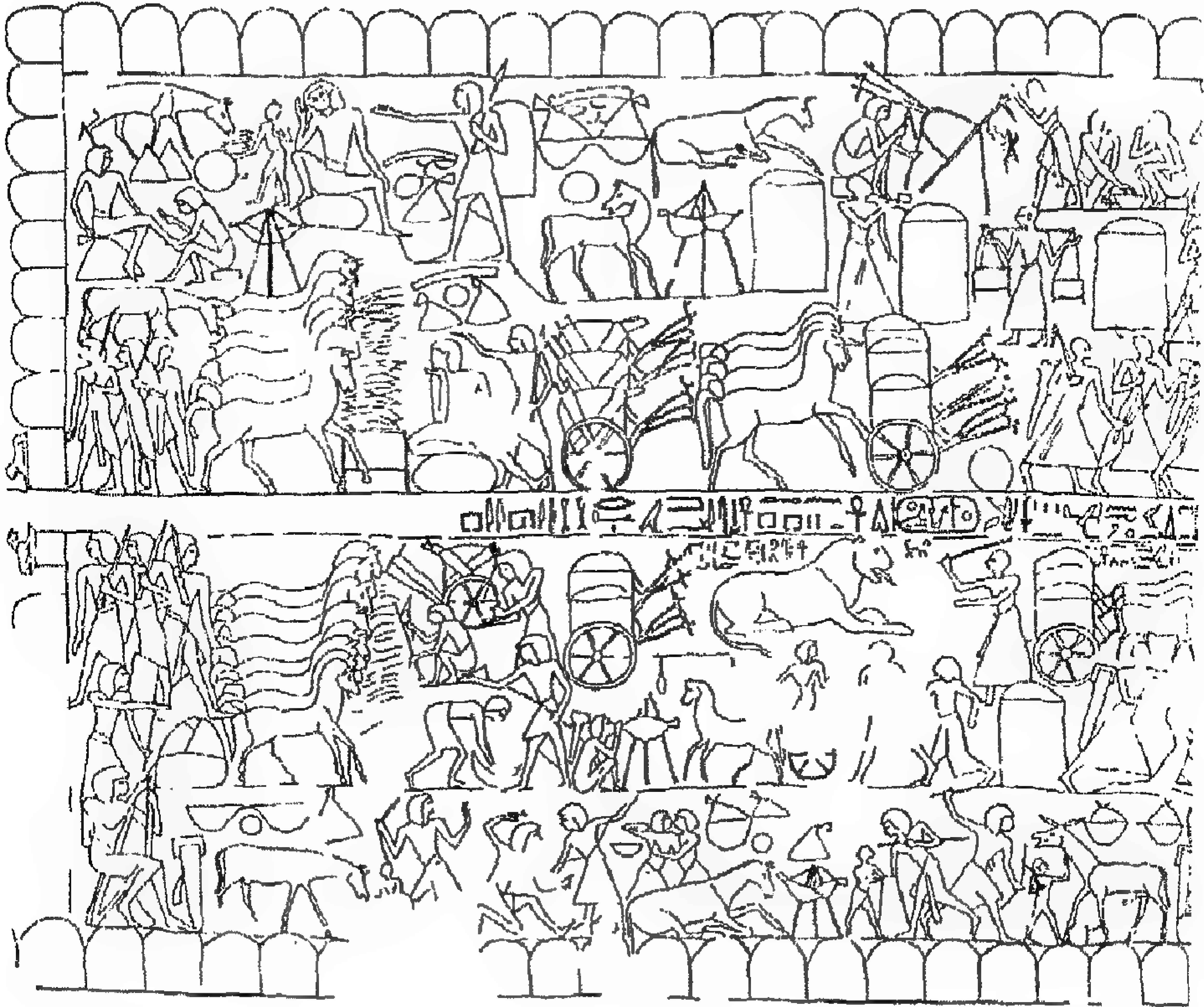
جزء من القصيدة المسماة " بنتاؤور " حررت بالكتابة الهيراطيقية وقد زخرفت برسوم جياده



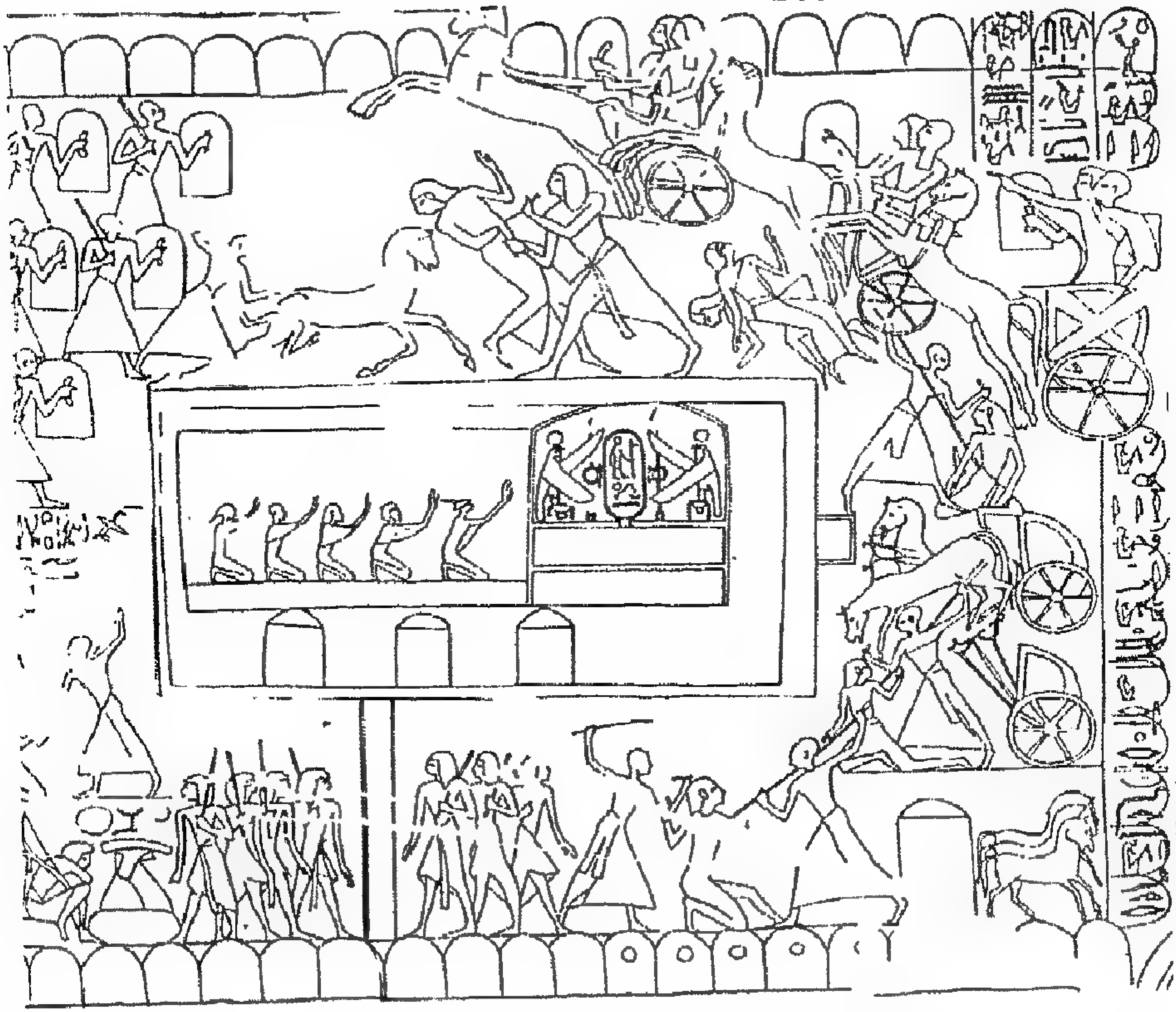
خاتم الجياد ، يعبر عن أمنية رمسيس بأن يوفر لها يومياً طعامها ( متحف اللوفر ) .



بداخل خيمة رمسيس الثانى ، فى معسكر كتيبة آمون استدعى الملك فى اجتماع عاجل وزيره وضباطه ، وبالمستوى السفلى يرى الشرادنة ، والمشاة المصريون وهم بجواسيس الحيثيين فى أثناء ضربهم بالحصى ( رسم « كلير» وفؤاد ) .



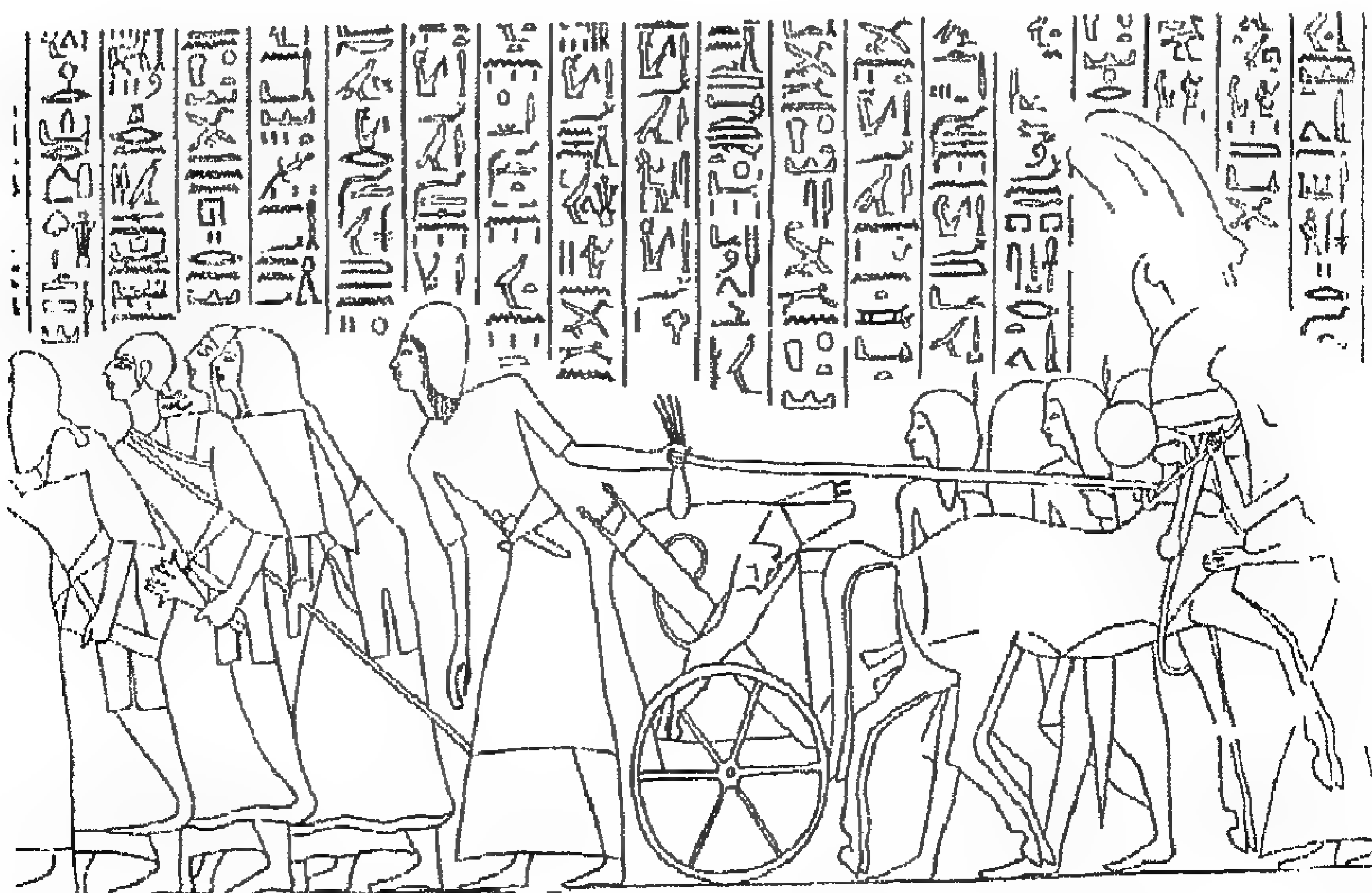
معسكر " كتيبة آمون " وقد تمركز غرب مدينة "قادش" . وترى الدروع الحديدية ، وقد أحاطت تمامًا بالمعسكر وزُين مدخله الواقع يسارًا بتمثالين لأبى الهول ونجد أن الجانب الأيسر بأكمله ، لهذا المعسكر يصور حياة الجنود والحيوانات فى وقت الراحة
( بما فيها : ترويض أسود جلاله الفرعون! ) .



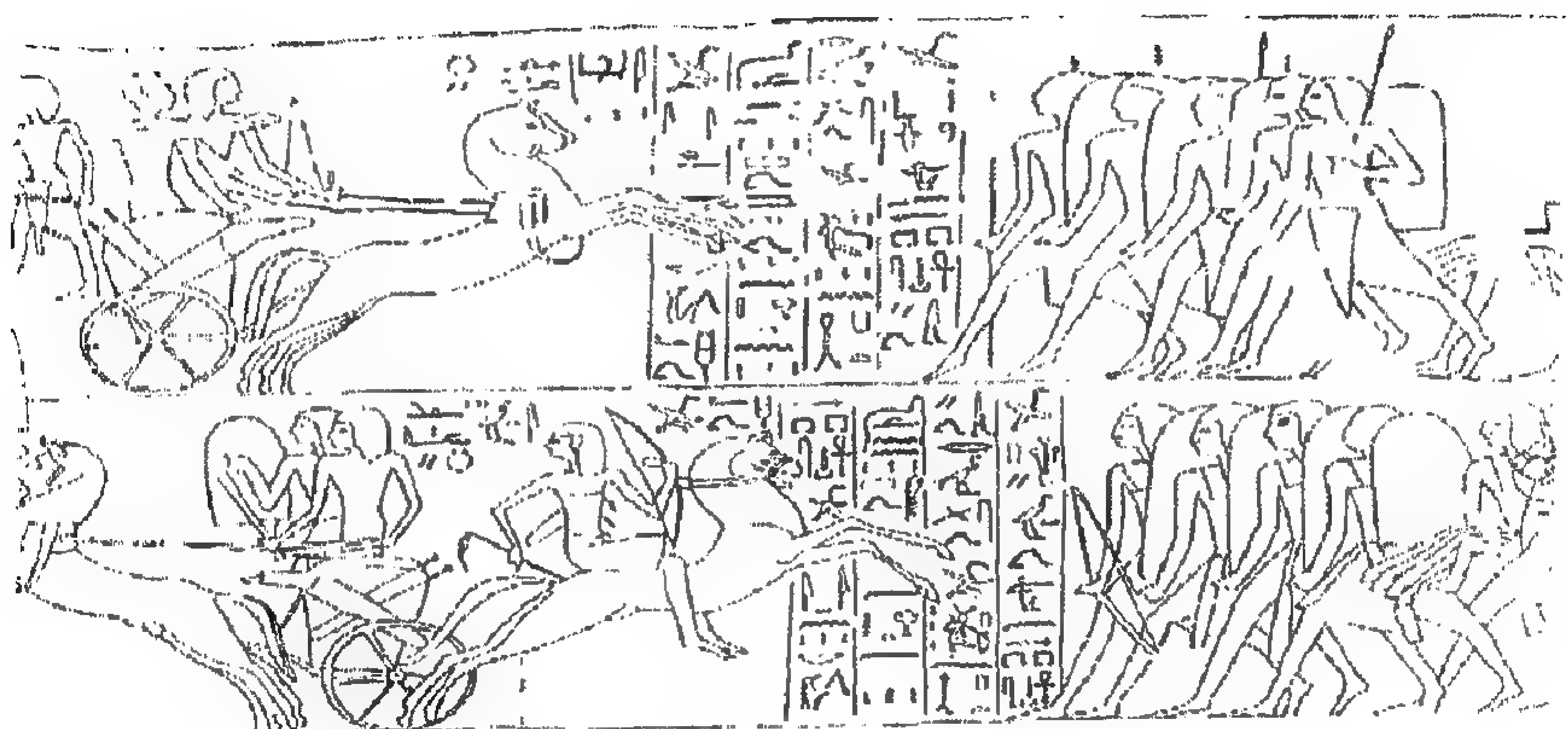
يمينا ، ويمكان مسور تماما ، أقيمت الخيمة ( الكبرى الخاصة بالفرعون ؛ وثلاث خيمات صغيرات من أجل أبنائه الأمراء ، يلاحظ أن هجوم الحيثيين قد أحاط بخيمة الملك . أعلى يمينا : مبعوثو الفرعون يأمرون بإجلاء العائلة المالكة .



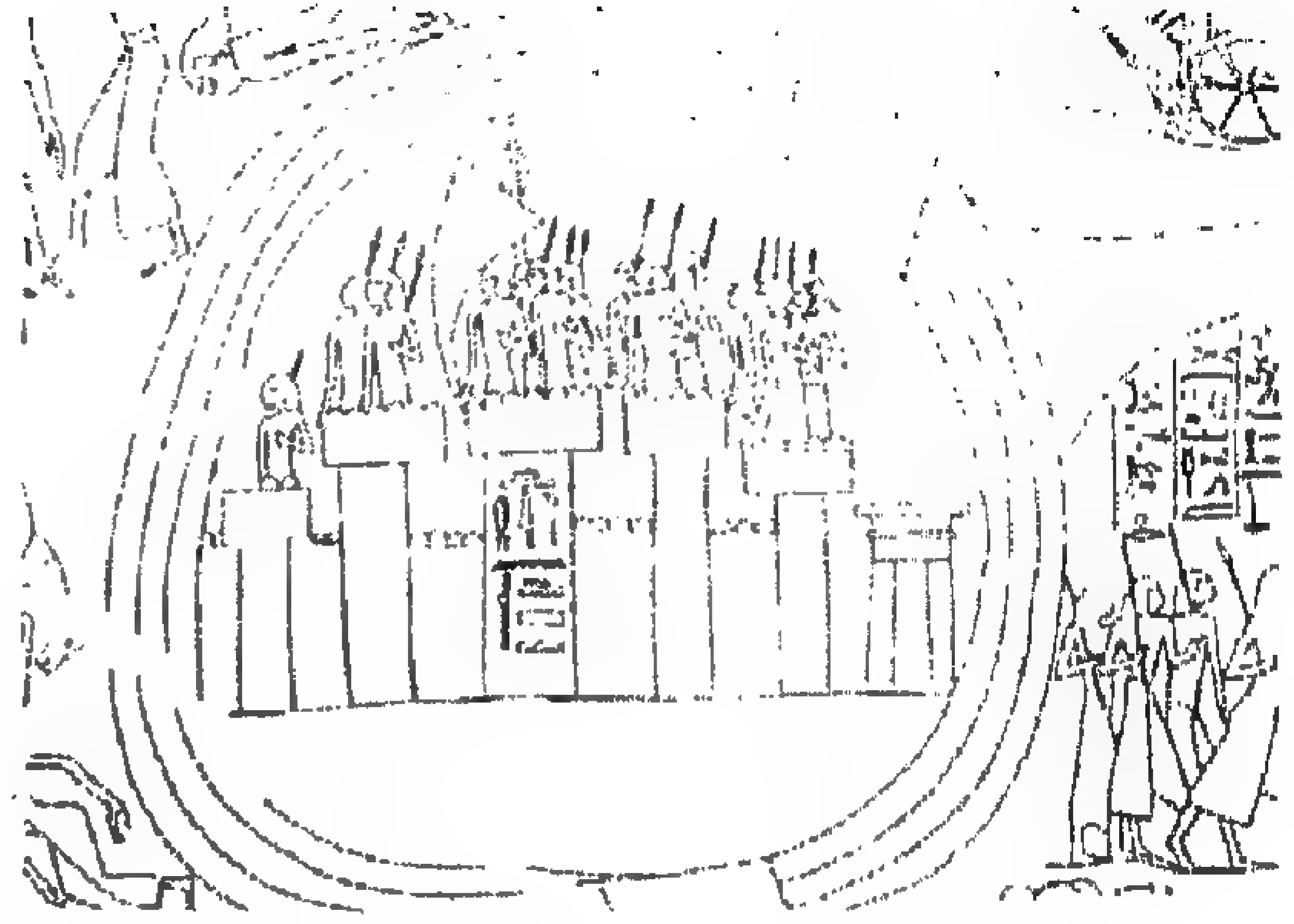
هجوم رمسيس الثاني منفردا فى المعركة



وصول النعرن



المجابهة ما بين المركبات المصرية والحيثية



حصن قادش أحاطت به فرعا نهر
العاصى المرتبطان معا بواسطة قناة .



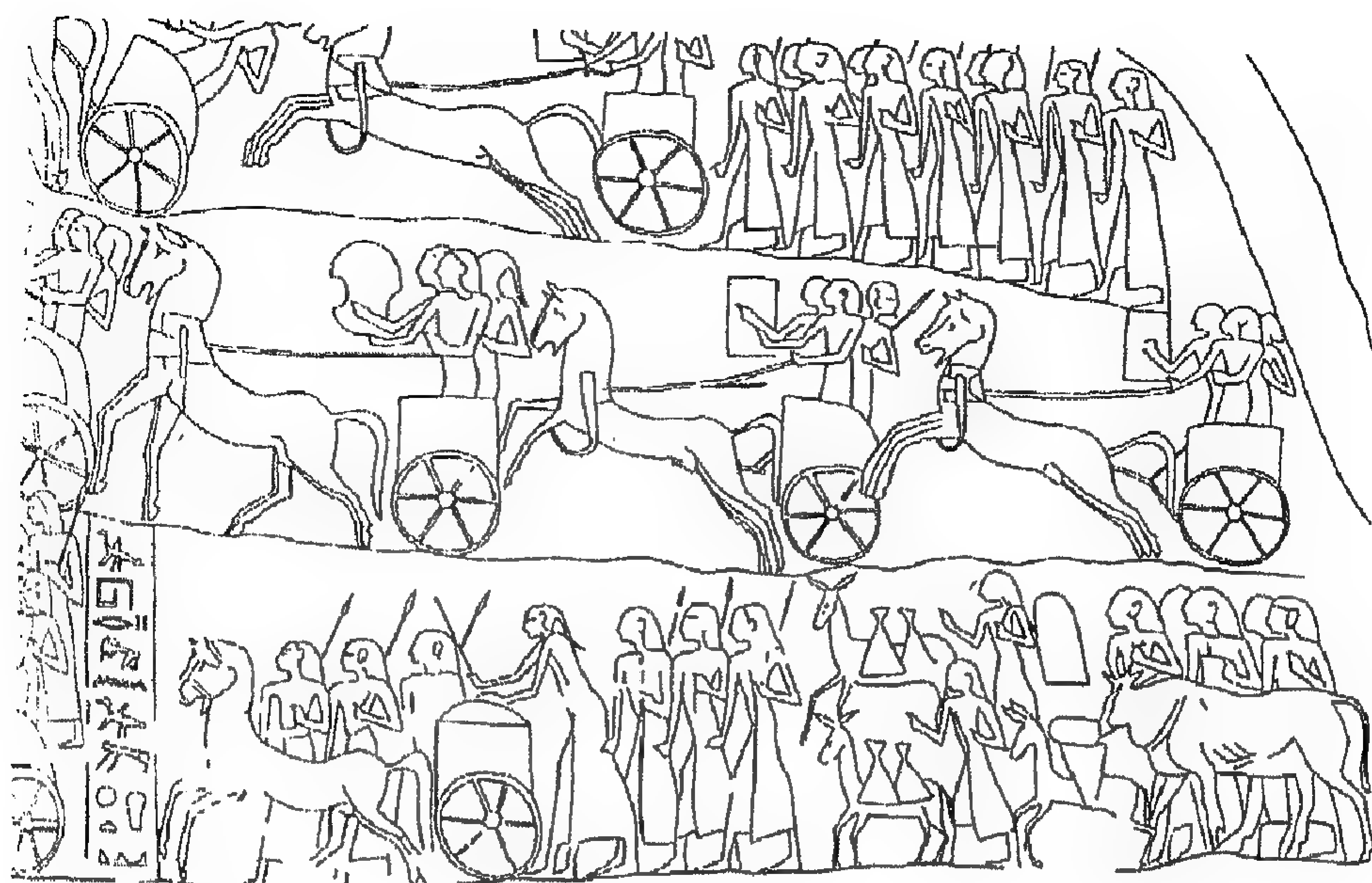
أحد أشقاء ملك الحيثيين وقد غرق فى مياه
النهر وأمير حلب " وقد قرعت أمعاؤه "



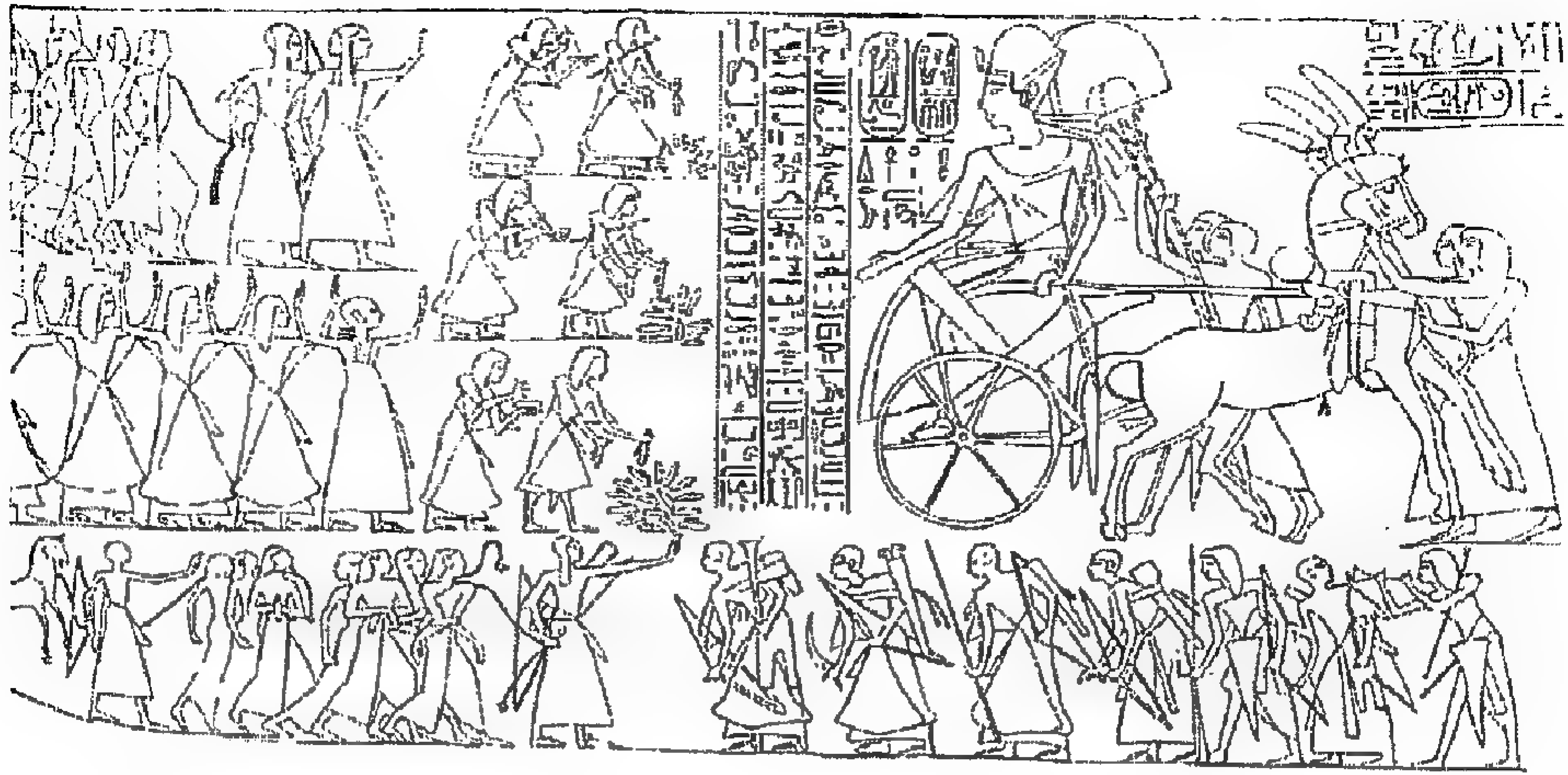
ملك الحيثيين يأمر قواته بالتوقف عن القتال .



آلاف من المقاتلين الحيثيين ، لم يرغب " مواتللى " في إقحامهم بالمعركة .



مركبات عسكرية خاصة بالحيثيين لم تشارك فى المعركة . وعرض لجزء من" الإدارة " الحيثية .



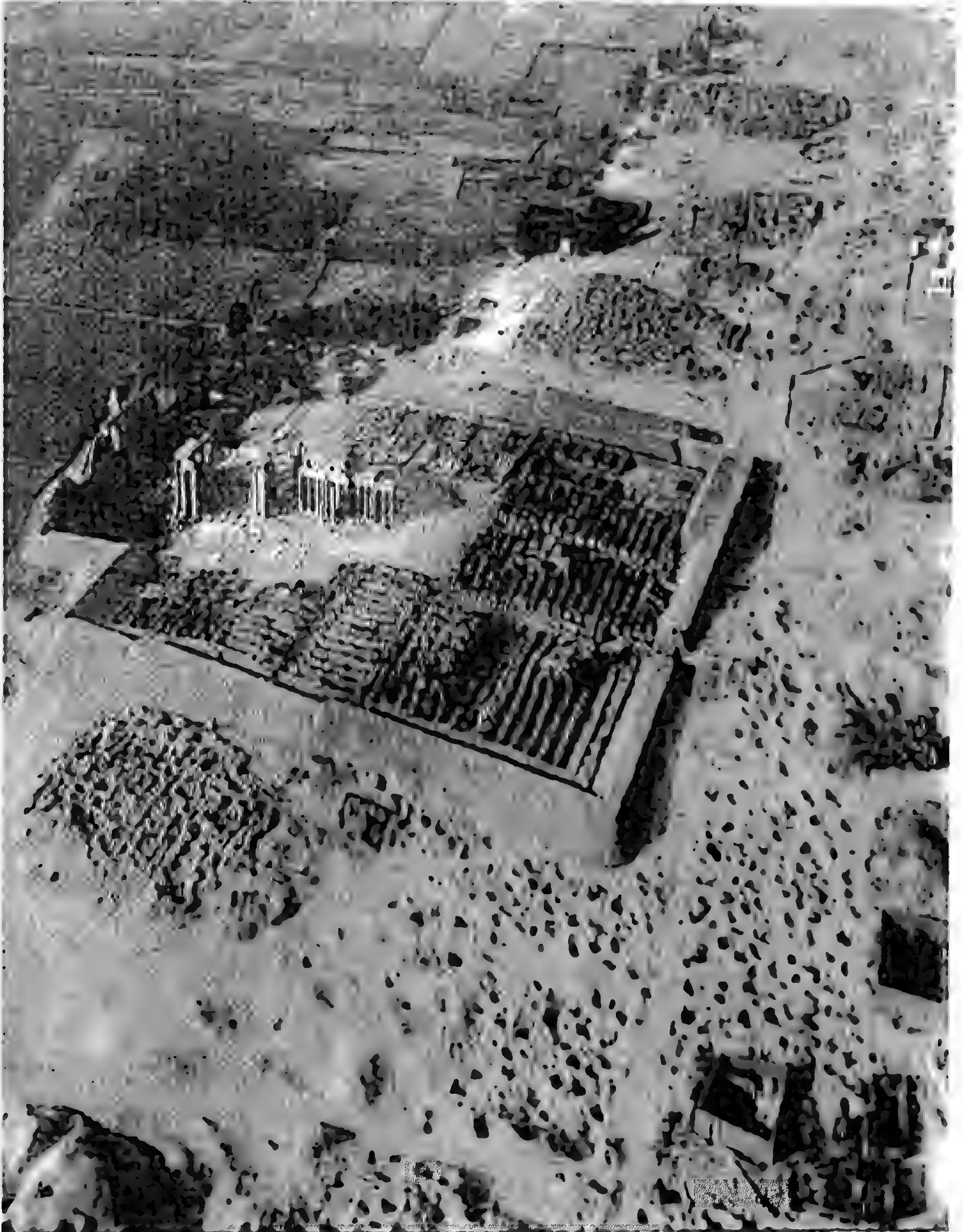
عشية يوم المعركة ، قام رمسيس الثانى بإحصاء أعداد الأعداء القتلى ( يقوم الكاتب بتسجيل كل "يد يسرى ويرى الأمراء أبناء الفرعون وهم يقتادون الأسرى . أما الوزير والضباط فيحيون الفرعون .



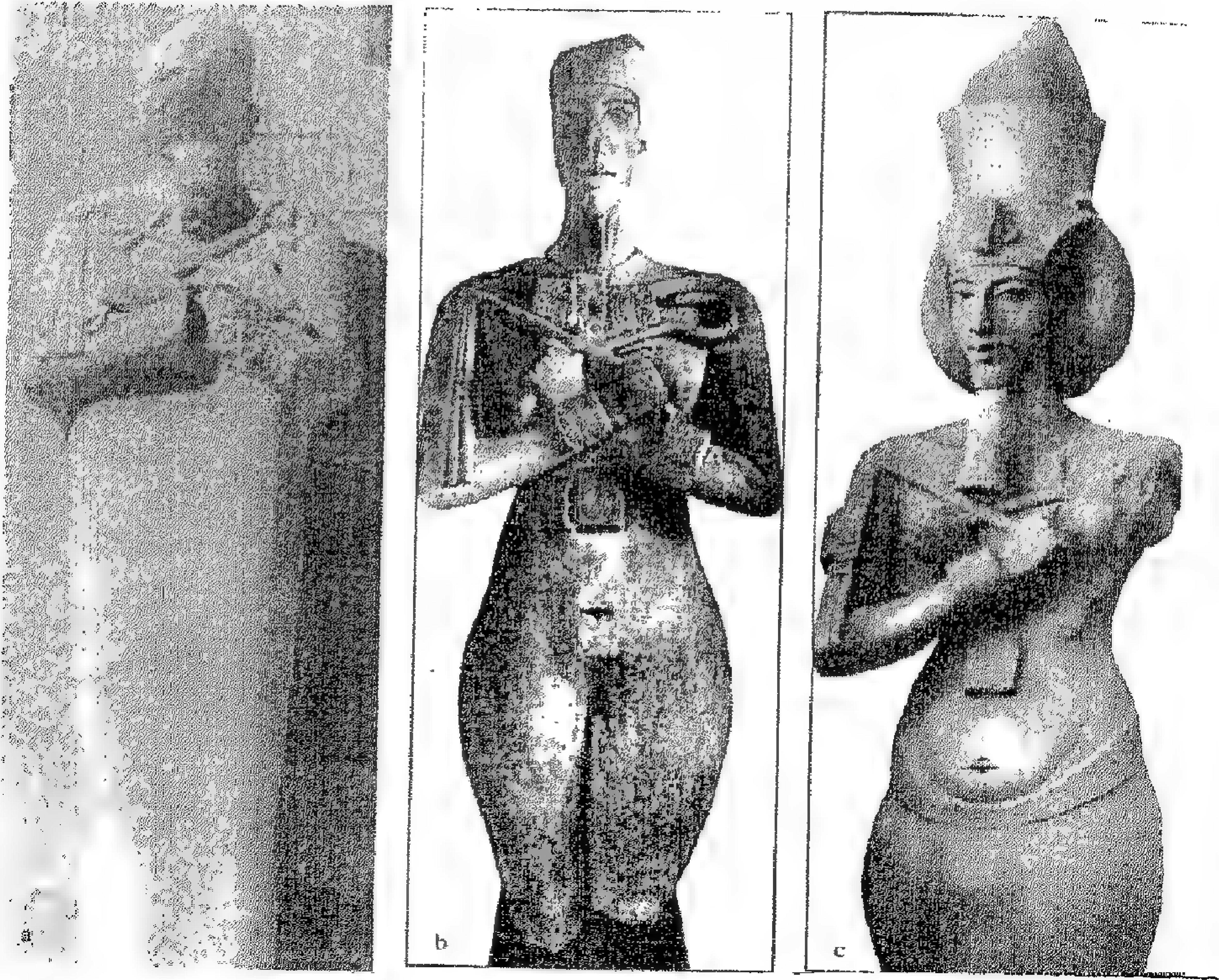
ثالوث طيبة : " آمون ، و " موت " ، و "خونسو " . وتحت أقدامهم ، تعبر موجات النيل عن علاقة الإله بفيضان هذا النهر ( معبد الكرنك الكبير ، كليشيه : أ. بللود " ).



رعمسيس الثاني يحرق البخور تكريما للإله "بتاح" ( الكرنك، كليشيه "أ. بيللود" )

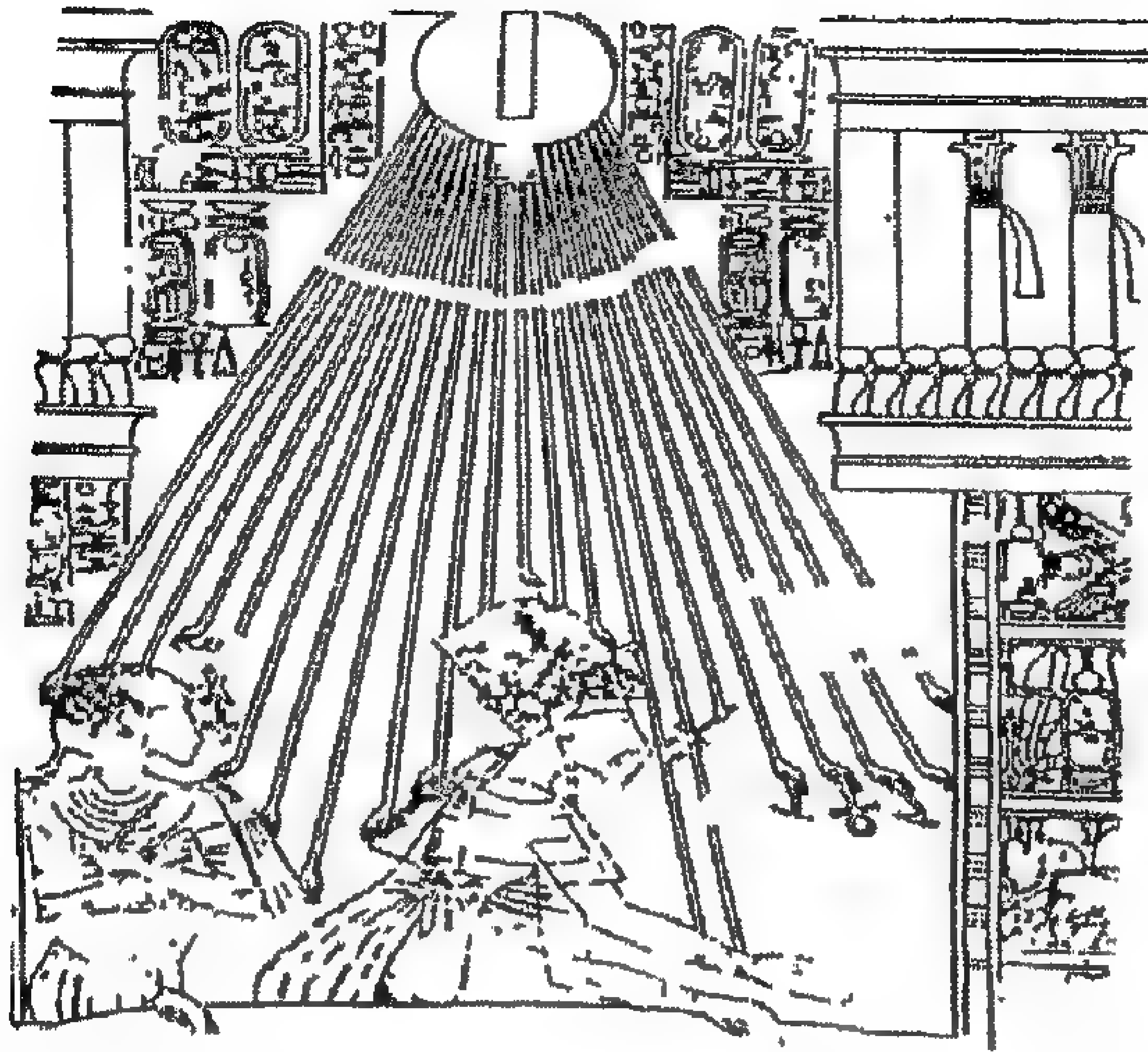


منظر التقط من الطائرة للرمسيوم ، فى عام ١٩١٣ ، قبل أعمال تنظيم المنطقة ويلاحظ كثرة وضخامة المبانى الملحقة المحيطة بهذا المعبد اليوبيلى الخاص برمسيس الثانى

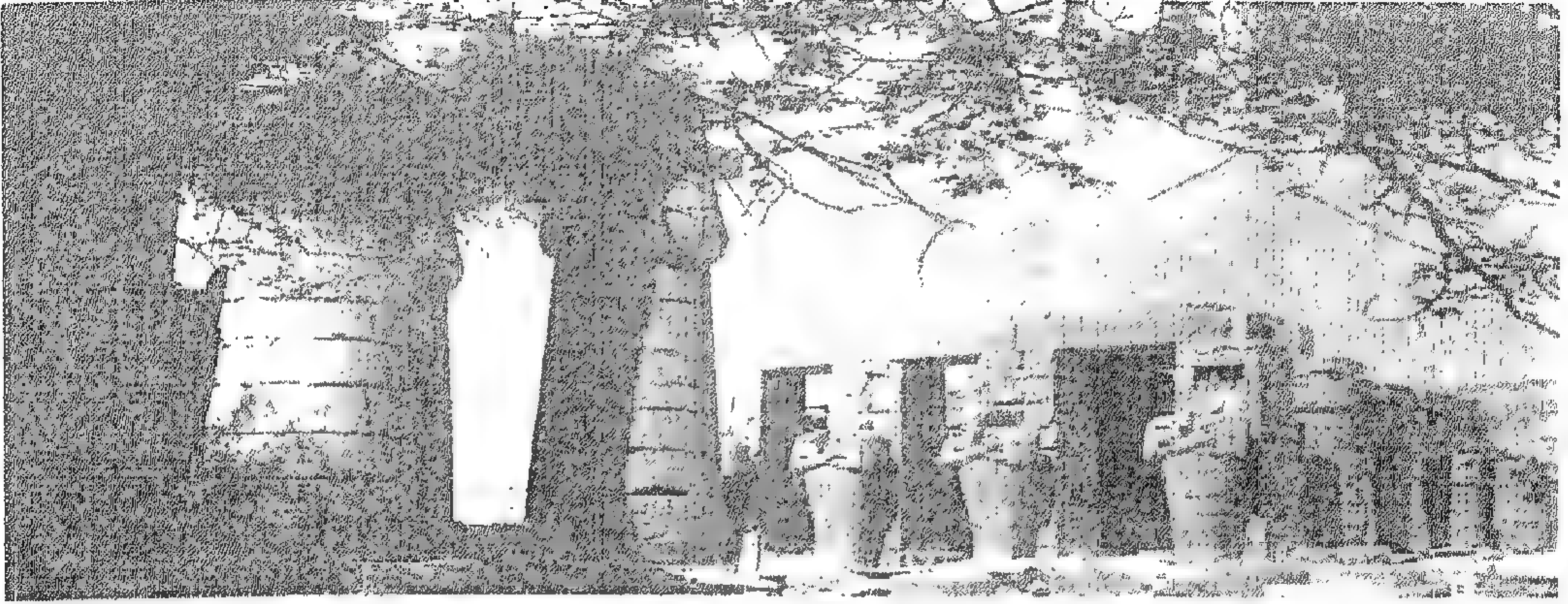


تمثالان لأمنحتب الرابع فى الوضع الأوزيرى

أحد الأعمدة الأوزيرية



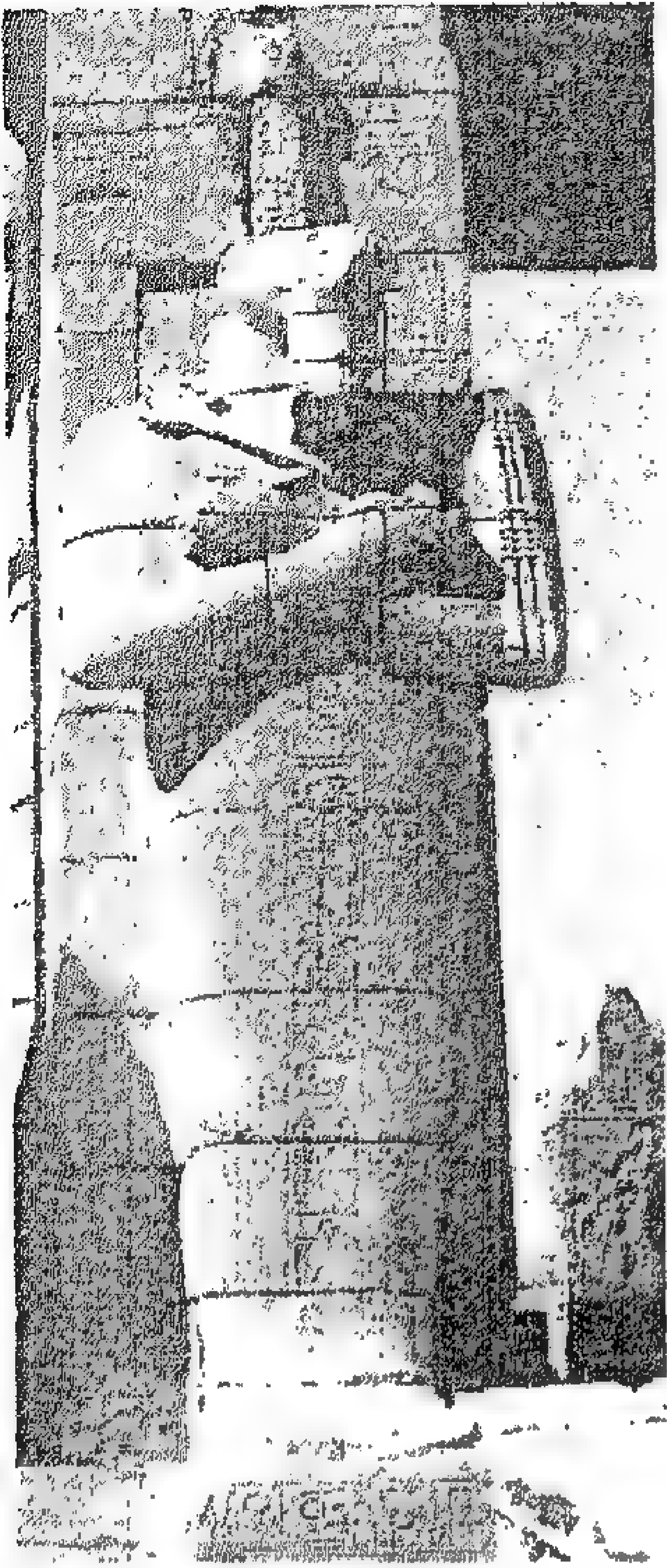
أخناتون ونفرتيتى يوزعان بعض المكافآت وفوقهما قرص الشمس ، وأشعته ، تنتهى بأيدٍ تمسك بالرموز الشمسية



الفناء الثانى بالرمسيوم ، وقد اصطفت على جانبيه الأعمدة الأوزيرية التقليدية . وفى أعمق أعماقه توجد قاعة الأساطين .



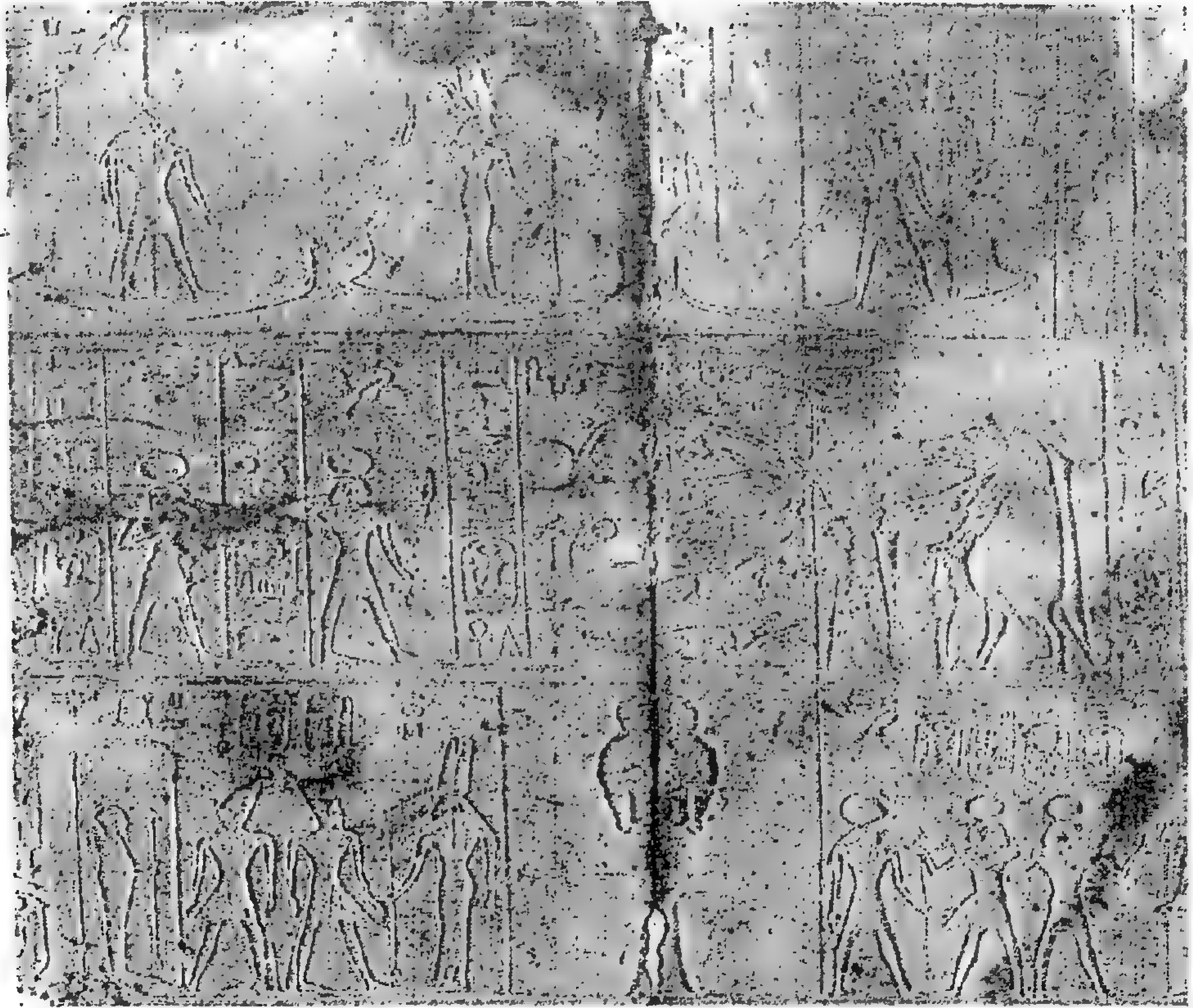
يلاحظ أن الفناء الأول قد زين بأعمدة أوزيرية شمسية ولكن فى إطار "الرمسيوم" ، قد لحقها ضرر بالغ . ويمكن تأملها بالقاعة الكبرى فى أبو سمبل ويبدو المئزر الملكى هنا أكثر ضخامة وسمكا



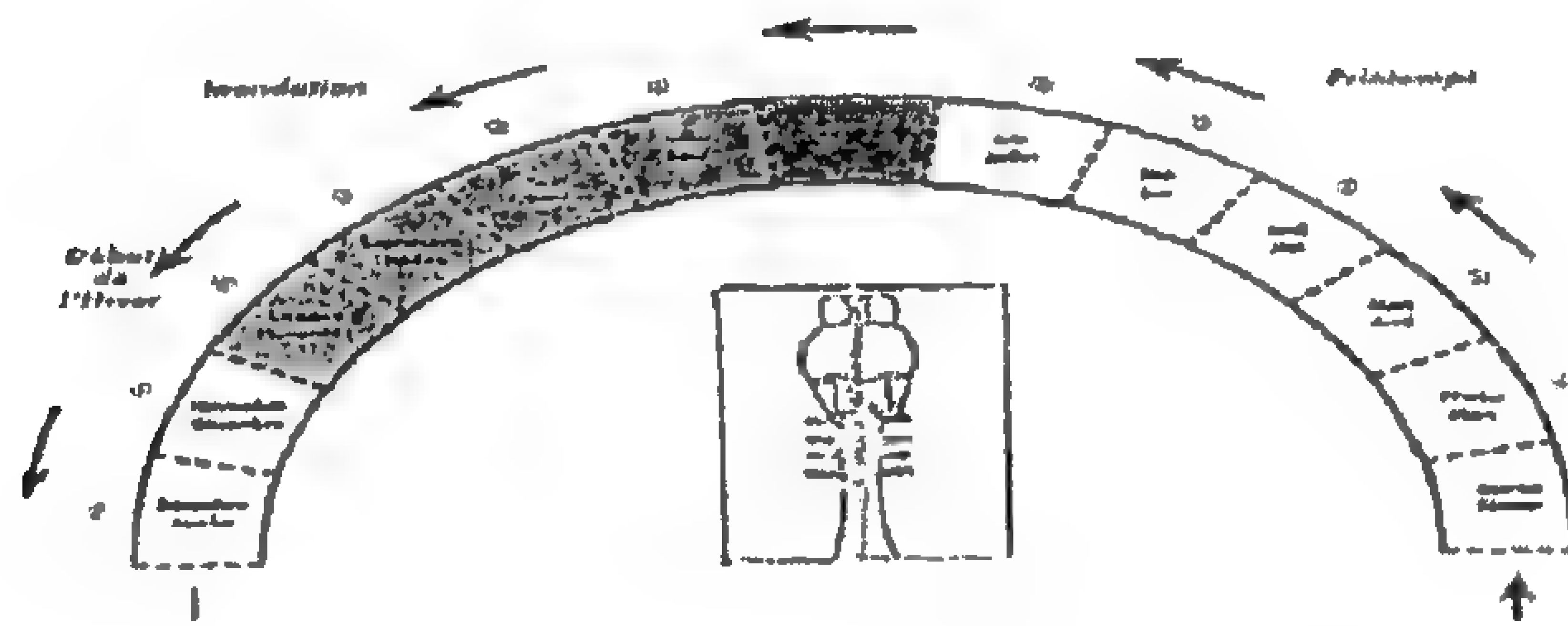
صورة مكبرة لعمود أوزيرى تقليدى فى " الرمسيوم " (كليشيه : فتحى إبراهيم)



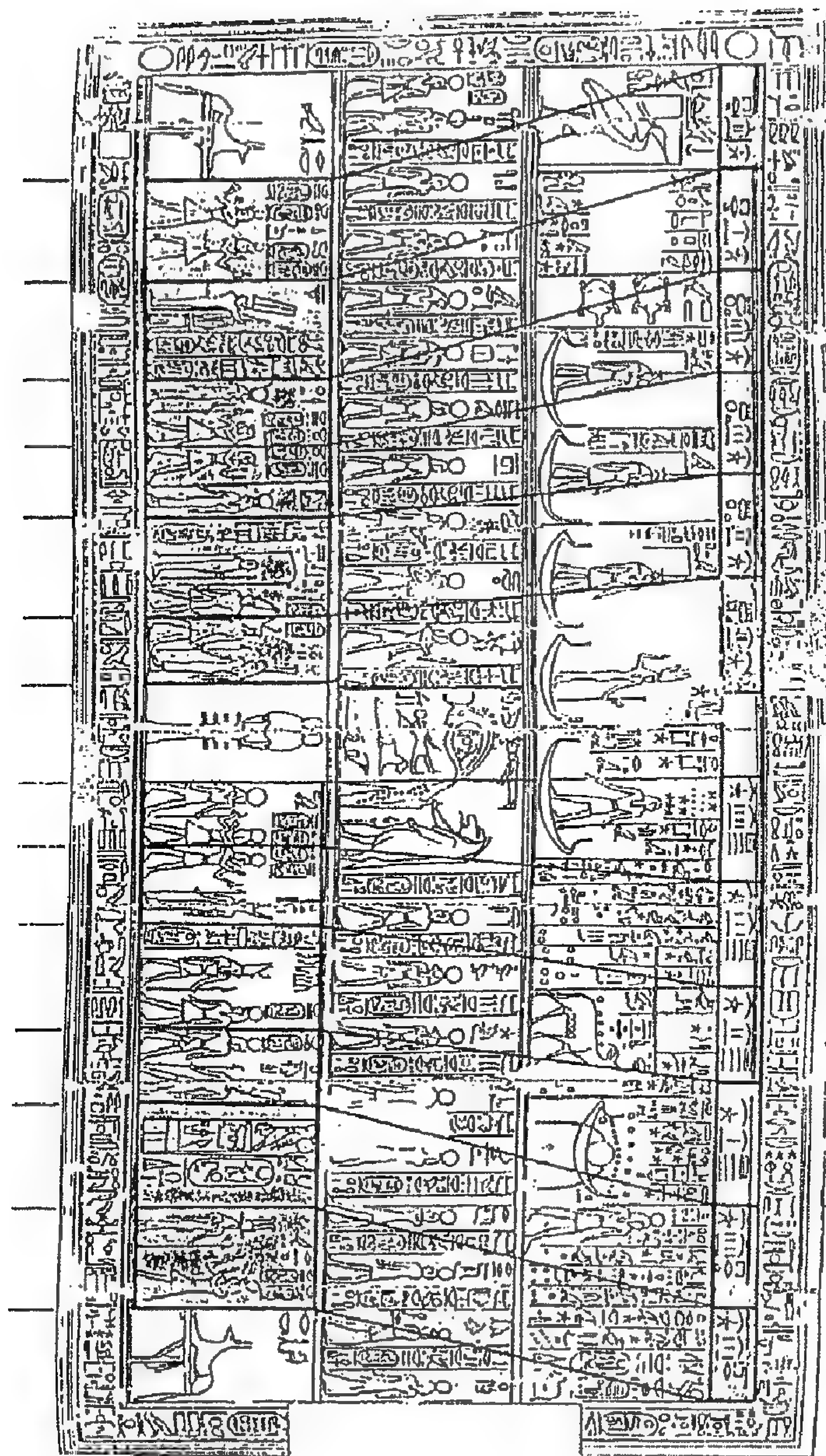
سقف وقمة الممر المركزى بقاعة الأساطين ، فى « الرمسيوم » ( كليشيه : فتحى إبراهيم )



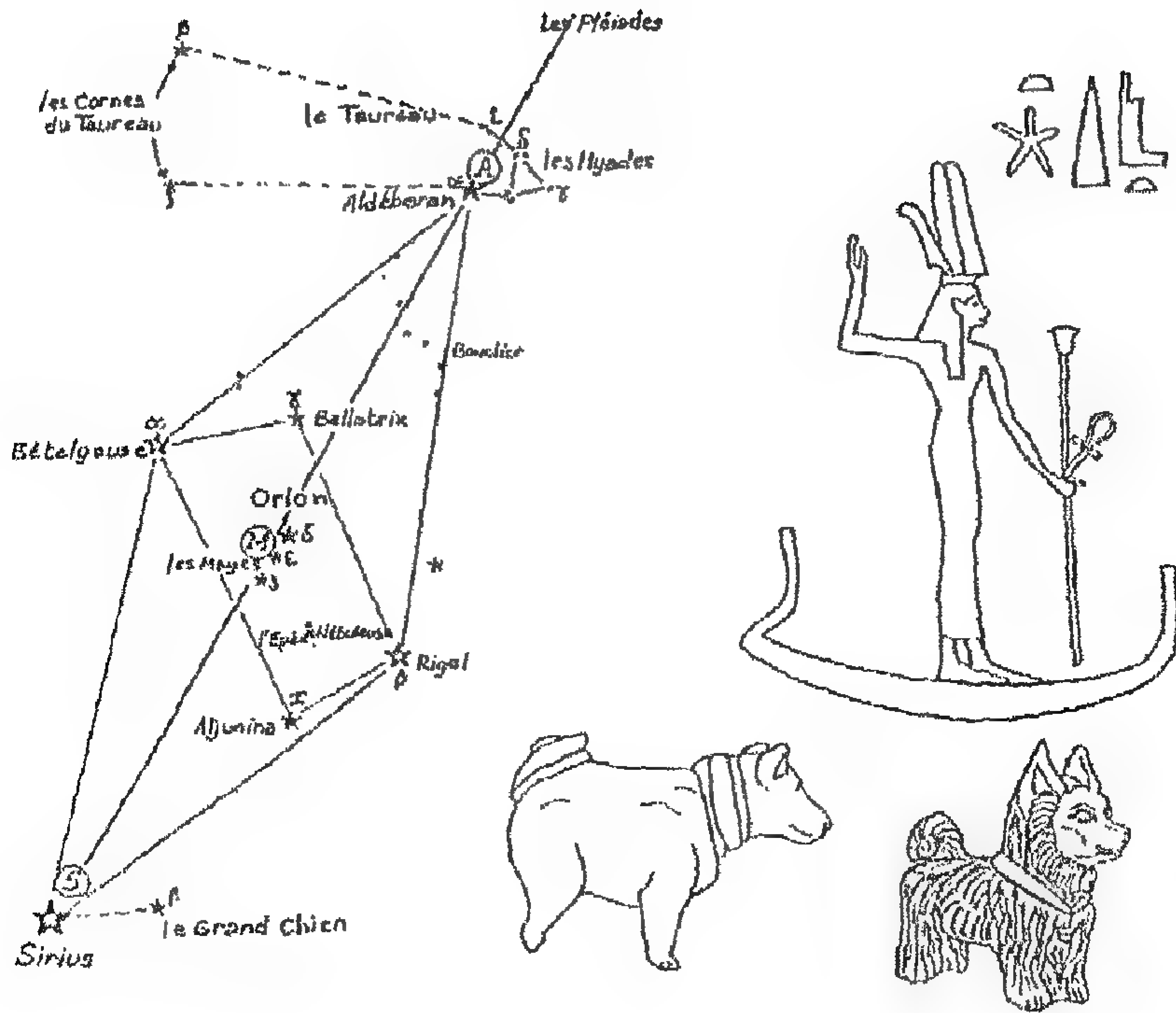
وسط السقف الفلكى : بداية من "سوتيس" وأوريون فى القمة حتى قرد "تحوت" المائل فوق العمود "جد" الذى يعبر عن قدوم الفيضان .




إذا أحنينا الخط المبين لأشهر السنة القائم بسقف الرمسيوم ، ونجده سوف يتطابق ، بنفس الترتيب مع توالى رموز منطقة الحدود بسقف البازيلك .



رسوم السقف الفلكي بالرمسيوم




– برج الكلب الكبير "سوتيس " هى الأكثر تألقا ضمن مجموعته.

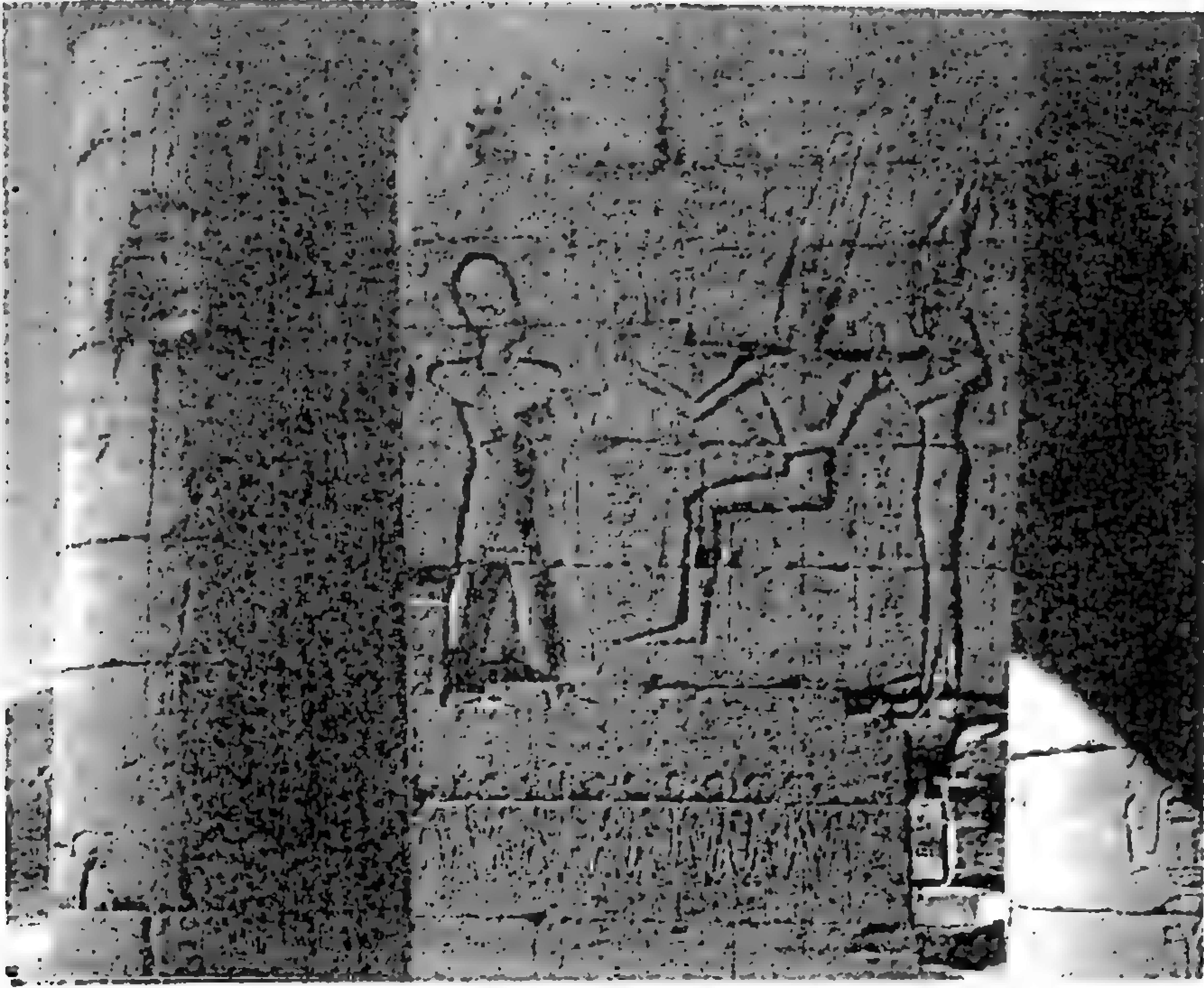
– شكل لـ "سوتيس – إيزيس " بالسقف الفلكي بالرمسيوم .

– " الكلب الصغير " : يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ .

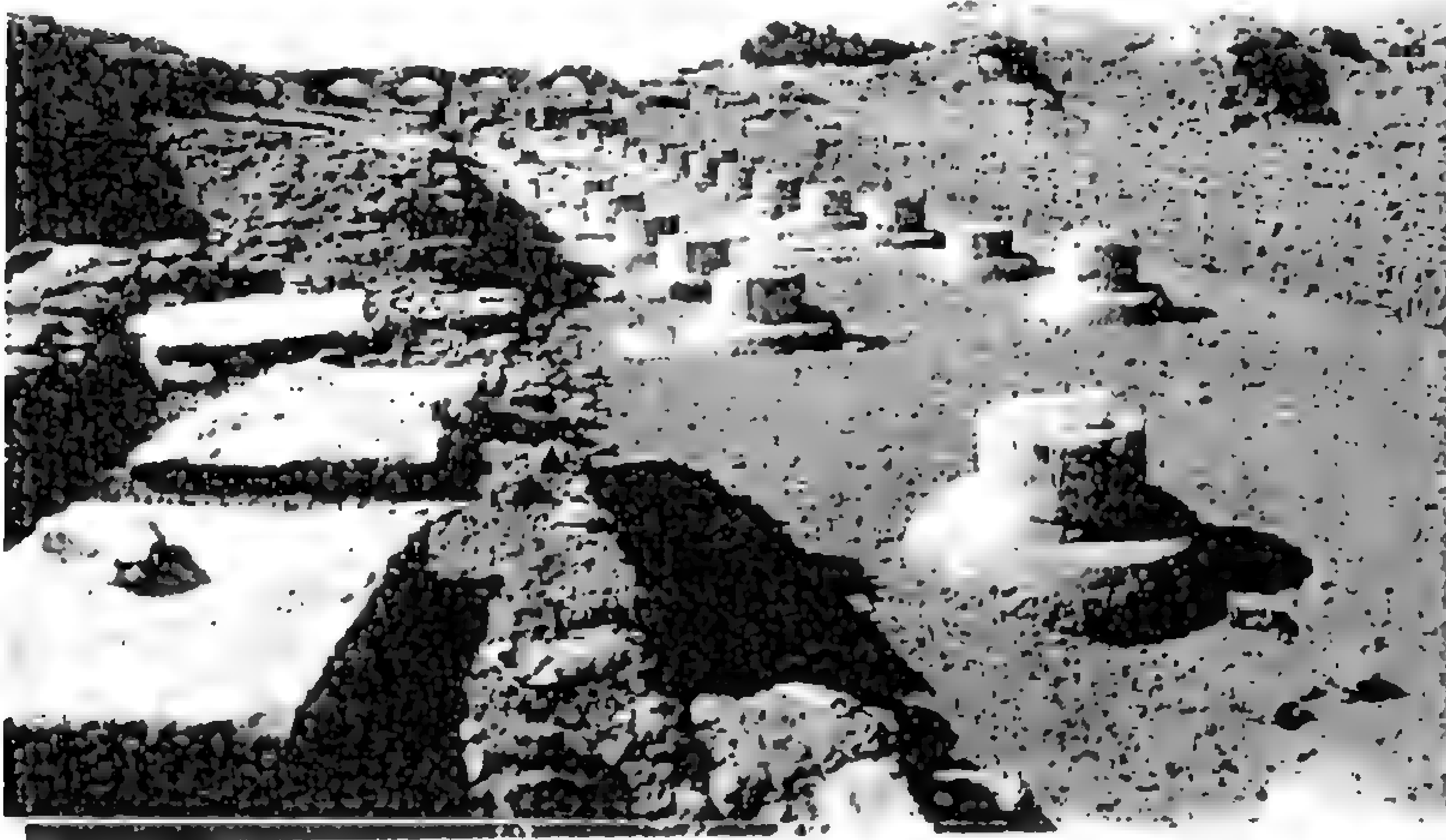
– نظيرة بالعصر الروماني في مصر « صورة شعبية " ( سوتيس التي تتجلى في أواخر شهر يوليه ومنها استلهم اسم Comiule Lau أي العلية الصغيرة .



رمسيس الثالث أثناء تأديته الاحتفالات الشعائرية للأعمال الزراعية من خلال النقوش الجدارية بالقاعات الأوزيرية في معبده اليوبيلى .



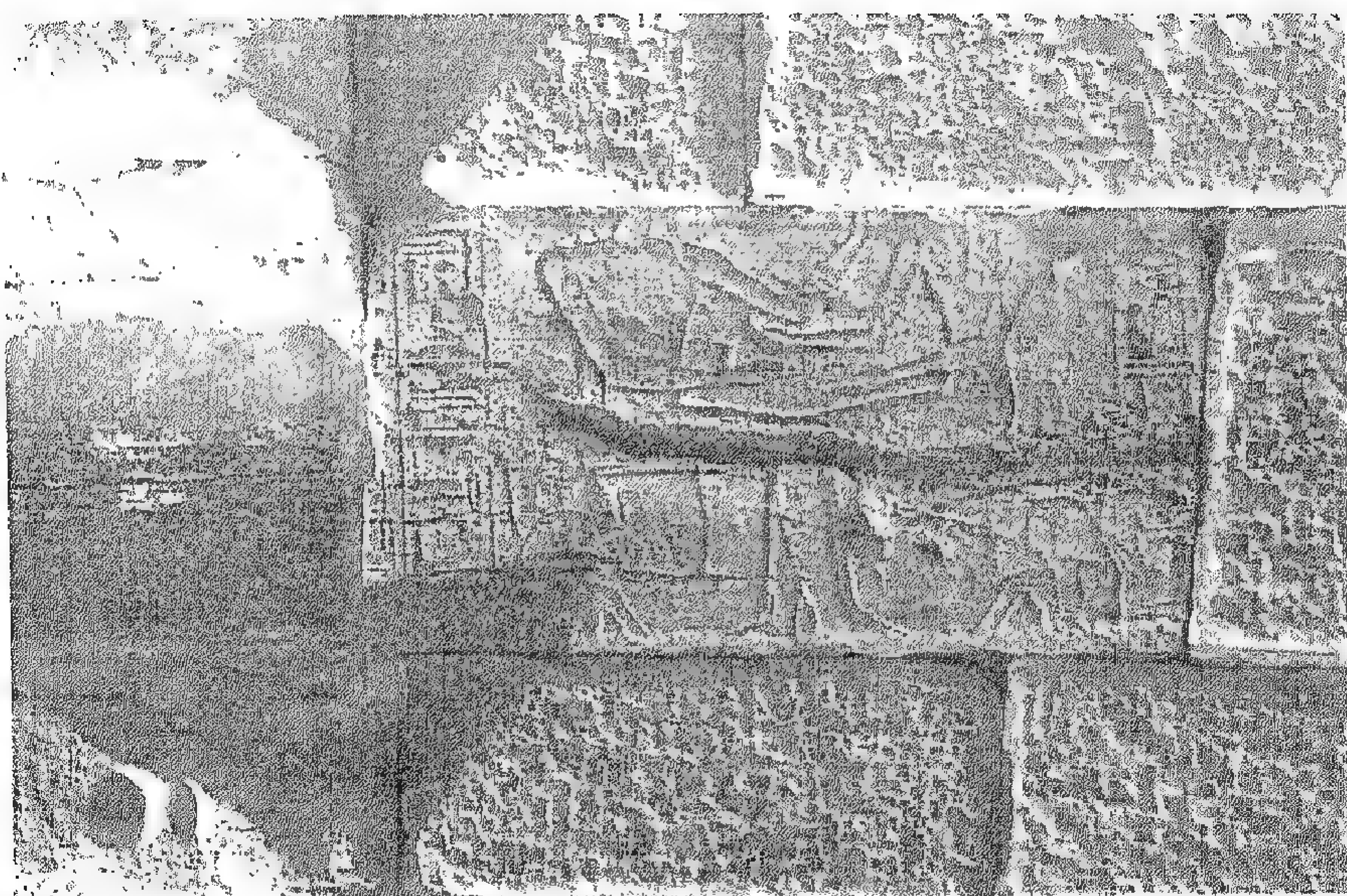
فى أعمالق بهو الأساطين ، ها هو رمسيس يتلقى من يدى « آمون » " الصوجان " خبش" رمز النصر ، وبالمستوى السفلى : صف مكون من أوائل أبناء رمسيس ( كليشيه ف . إبراهيم )



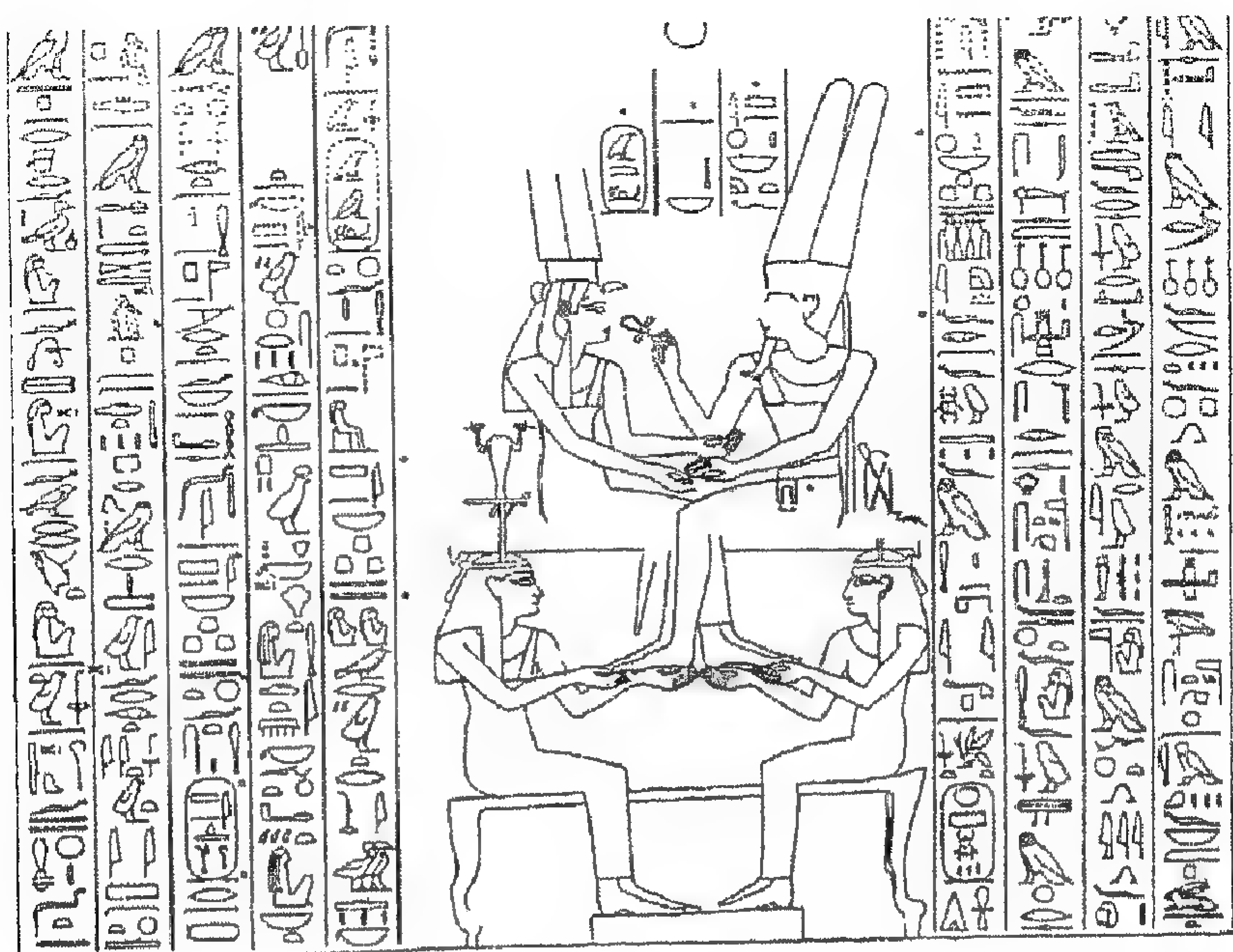
آثار قاعة الأساطين الكبرى ؛ بملحقات الرمسيوم الشمالية - الغربية . وقد أخذت من الأساطين المضلعة من المعبد اليوبيلى الخاص بالملكة حتشبسوت بالدير البحرى . وفى نهاية الصورة مخزن الغلال.



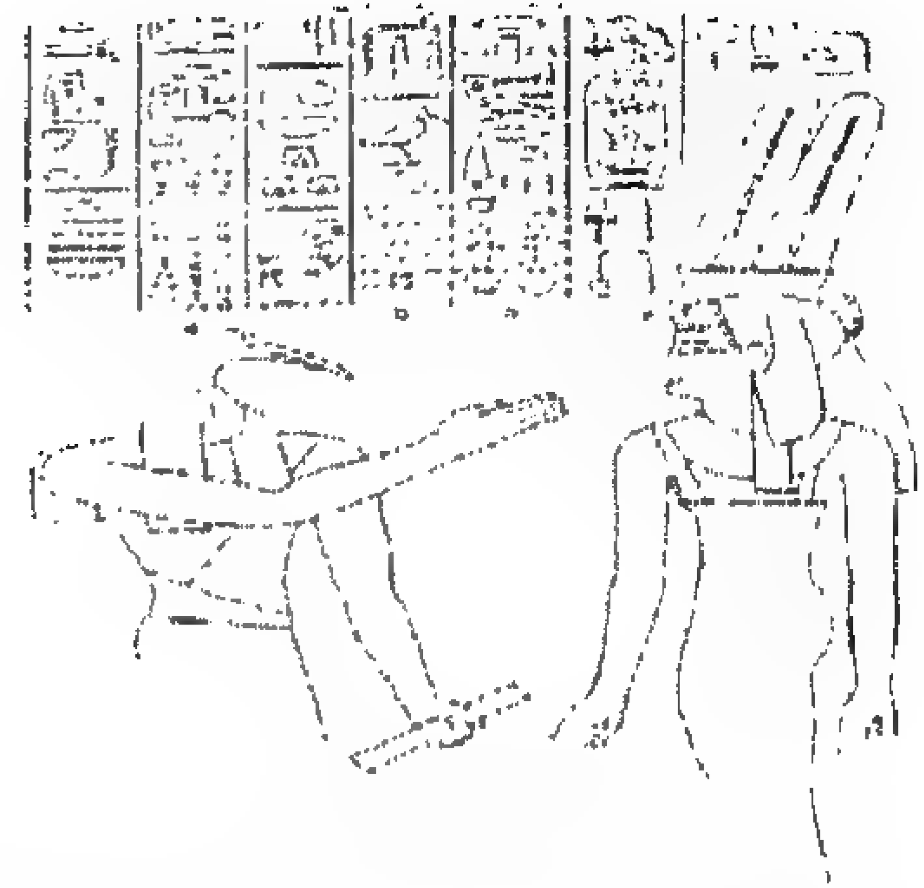
نفرتارى وحماتها الملكة توى وهما تهزان الصلاصل ، وتتجهان نحو " الماميزى "
( قاعة الأساطين بالرمسيوم ) .



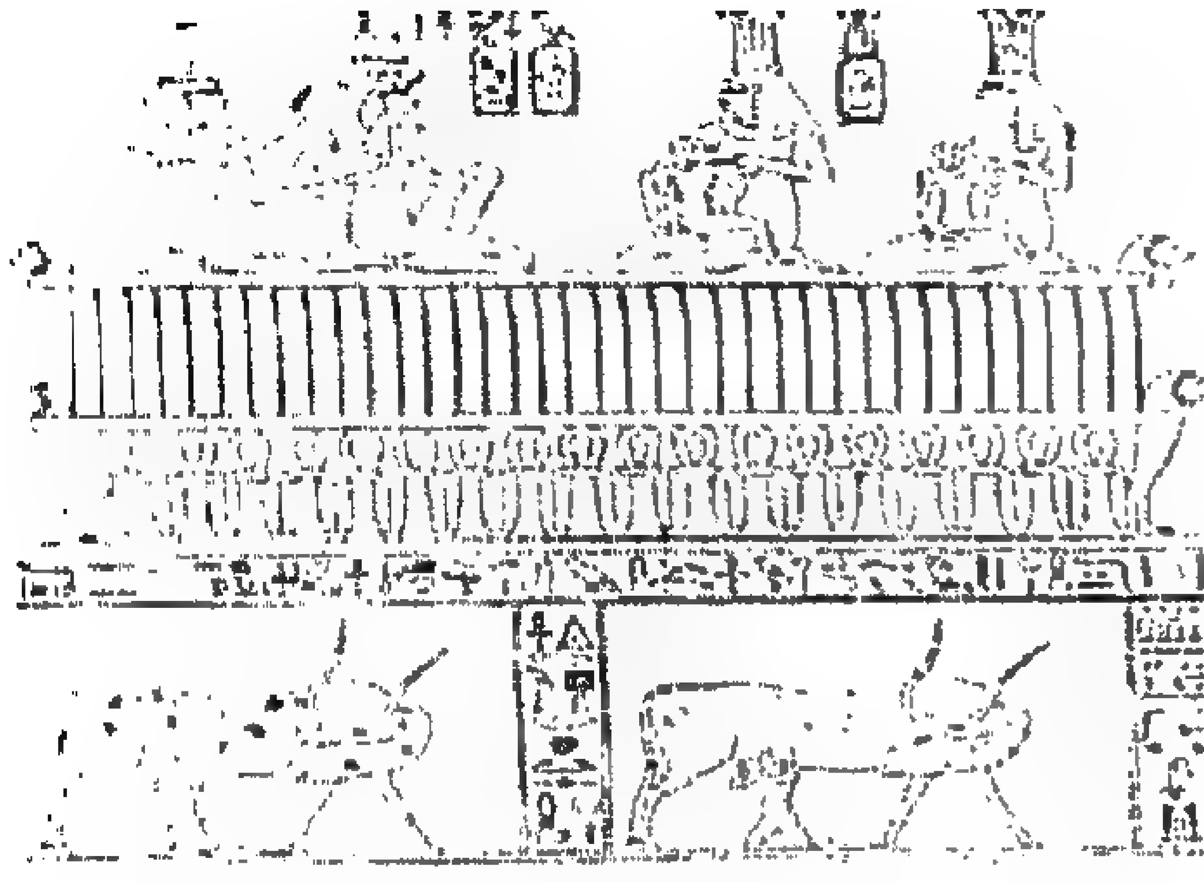
المعبد البطلمى الصغير فى " مدينة هابو " يلاحظ فى نطاقه إعادة استعمال إحدى القواعد المقتلعة من " الماميزى " الخاص بالملكة " توى" : مشهد الزواج الإلهى .



نفس المشهد المذكور آنفا ، كاملاً بمعبد الأقصر ( عهد أمنحتب الثالث ) .



١ – ٥ " تحوت ينبئ " الملكة بالحدث المعجزة



–٥٤ الملكة وقد وضعت مولودها ، والمرضعات يرضعن الوليد والـ" كا " الخاصة به



خنوم يقوم بتشكيل الطفل الإلهى والكا الخاصة به فوق مخرطته



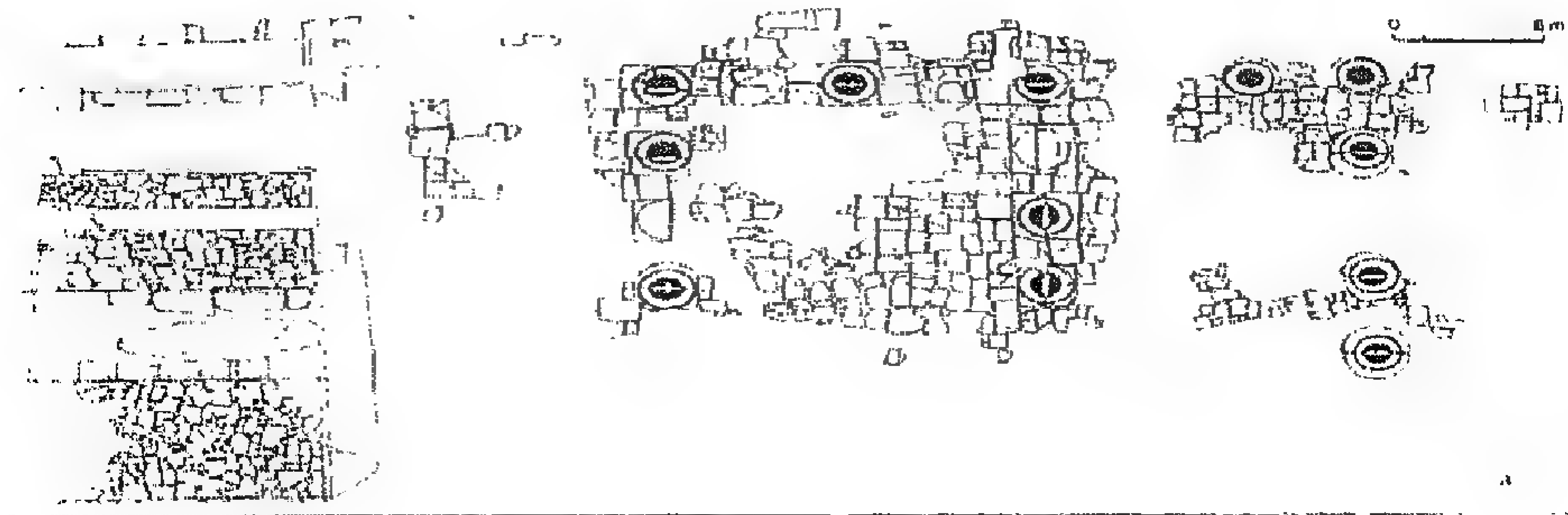
الملكة يتم إرشادها إلى قاعة الولادة .



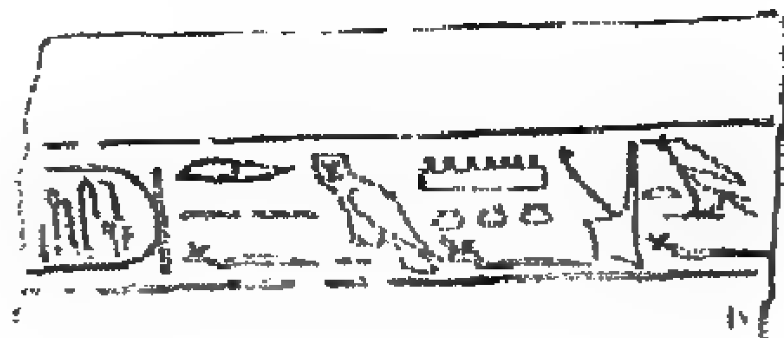
٥ – ٥ الطفل الإلهى والكا " الخاصة به يقدمان إلى منجبهما "آمون " ( معبد الأقصر ) .



الآثار الوحيدة المتبقية ، أرض من الماميزى ، قواعد الأعمدة ( الرمسيوم ) .



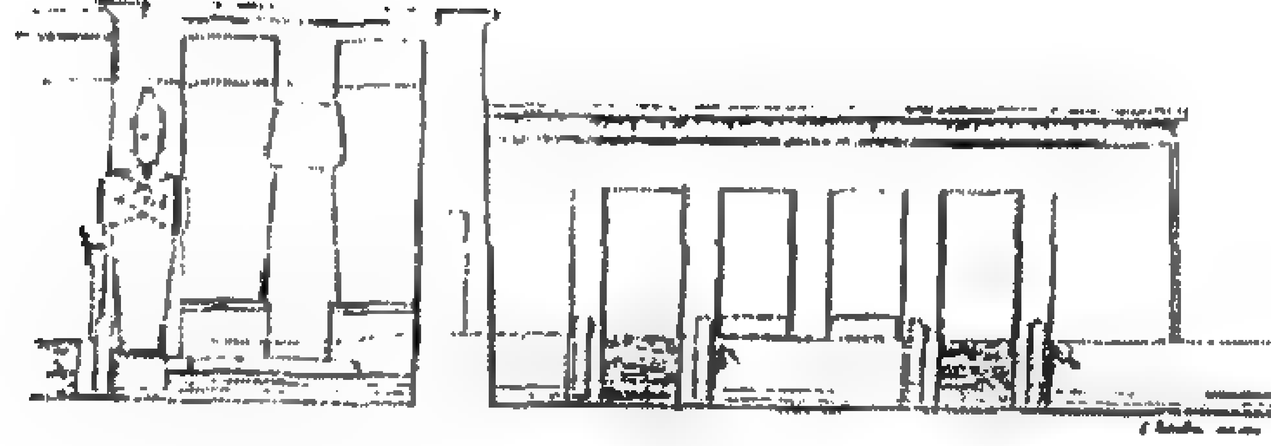
رسم للآثار المتبقية فوق الأرض .



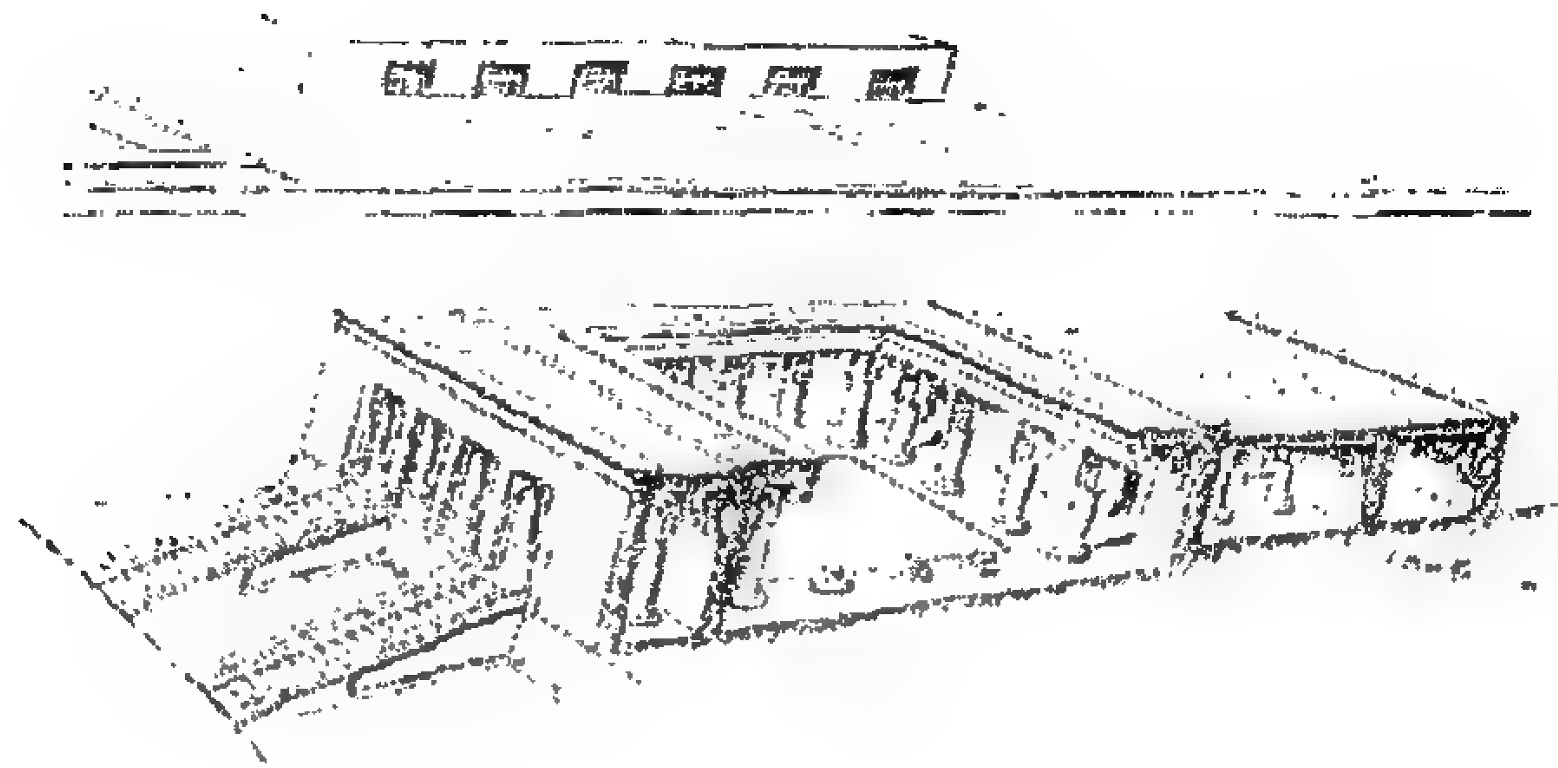
إهداء نص تكريسى من رمسيس لأمه .



بقايا من تيجان بعض الأعمدة الحتحورية .



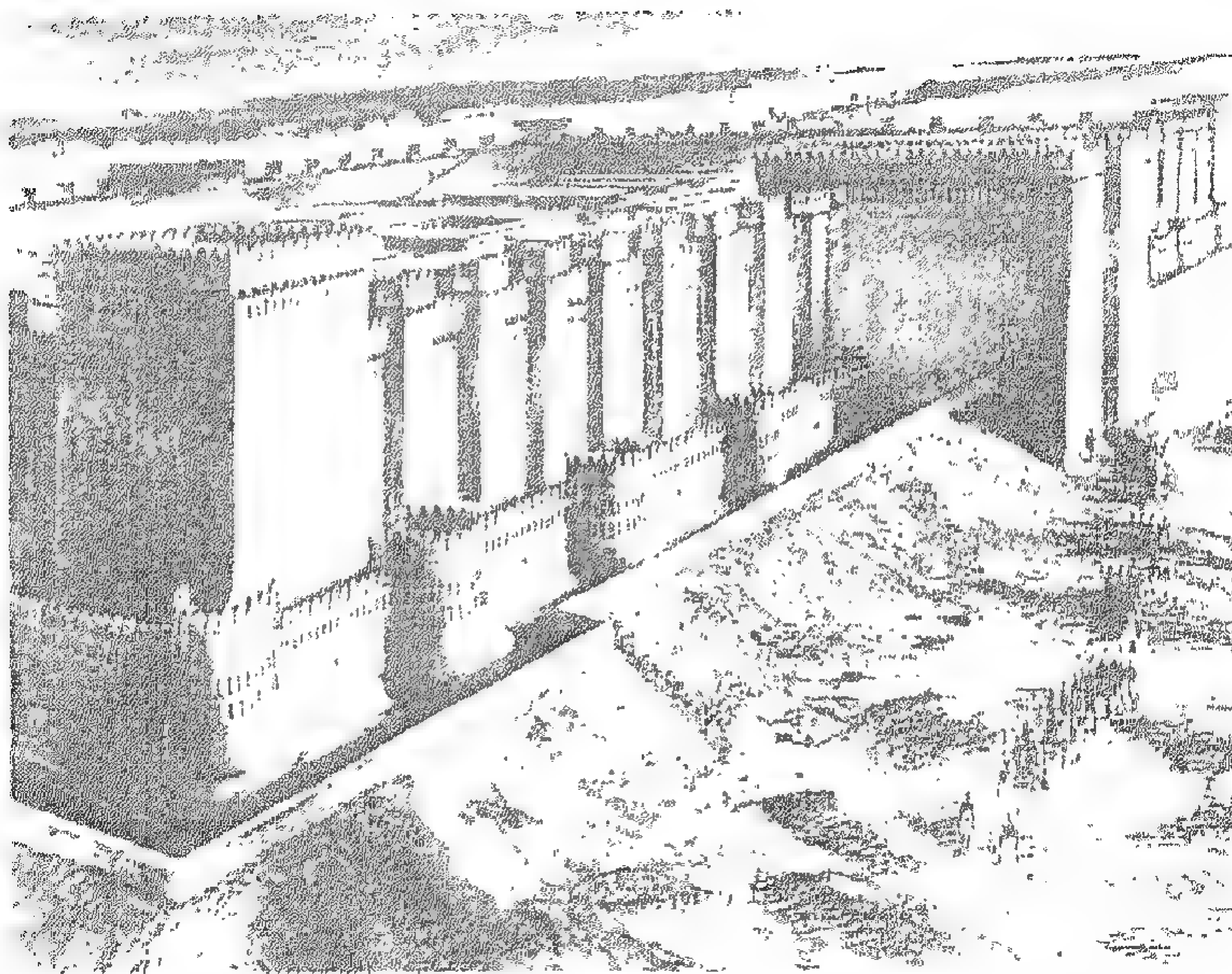
مقطع رأسى لواجهة " بيت الولادة " الخاص برمسيس الثانى وهى متوازية مع واجهة الممر المتصل
بقاعة الأساطين في معبد رمسيس الثانى الهائل الطخامة .



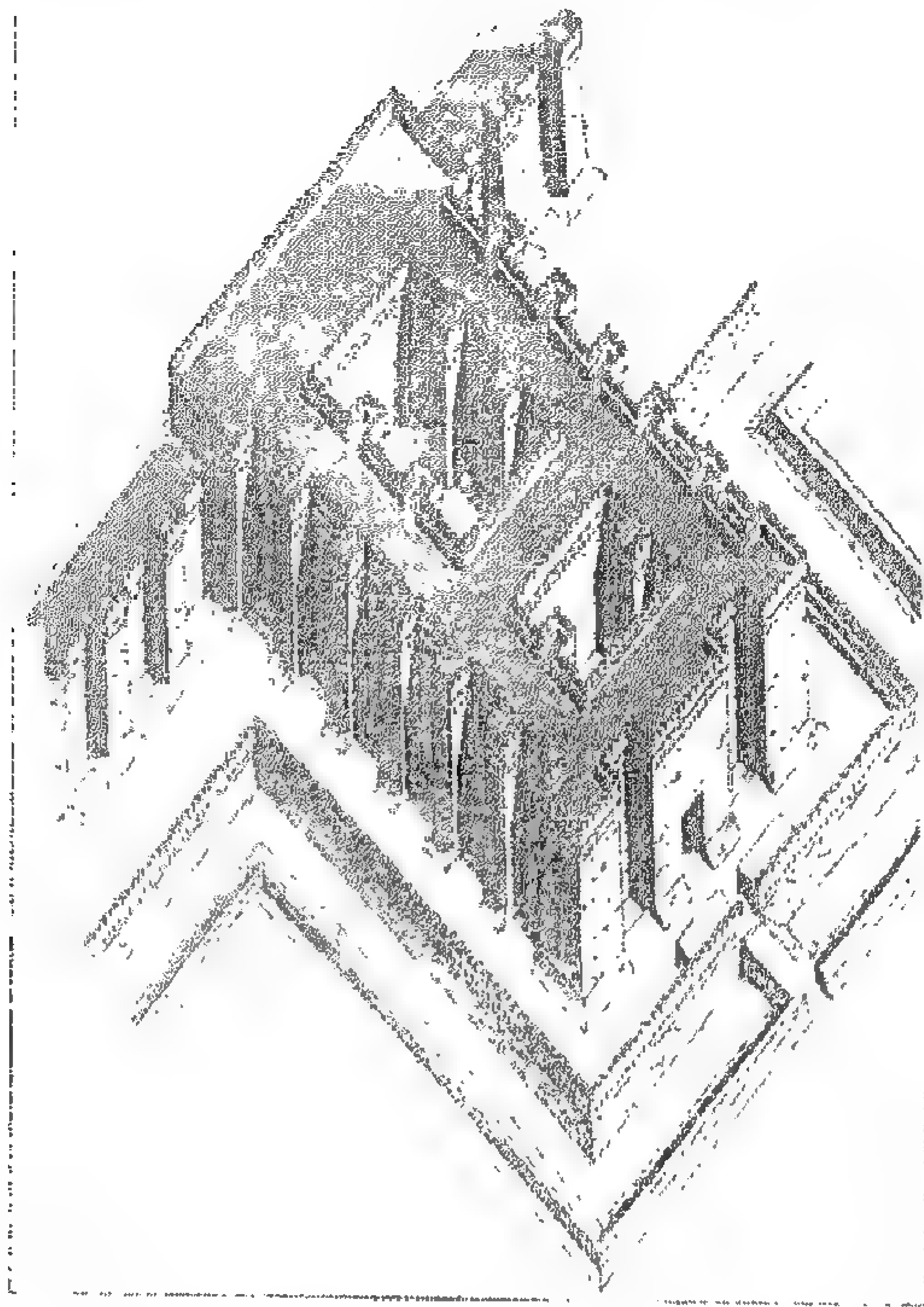
منظر تكوينى لبيت الولادة .



بانوراما أبو سمبل : لقد حفر هذا المعبد الضخم الخاص برمسيس الثانى فيما يشبه حلمة ثدى "جبل" محا " المقدس " أما المعبد الصغير المكرس للملكة نفرتارى فقد تم حفره بالحلمة الثالثة ثدى جبل "إبشك" المقدس .



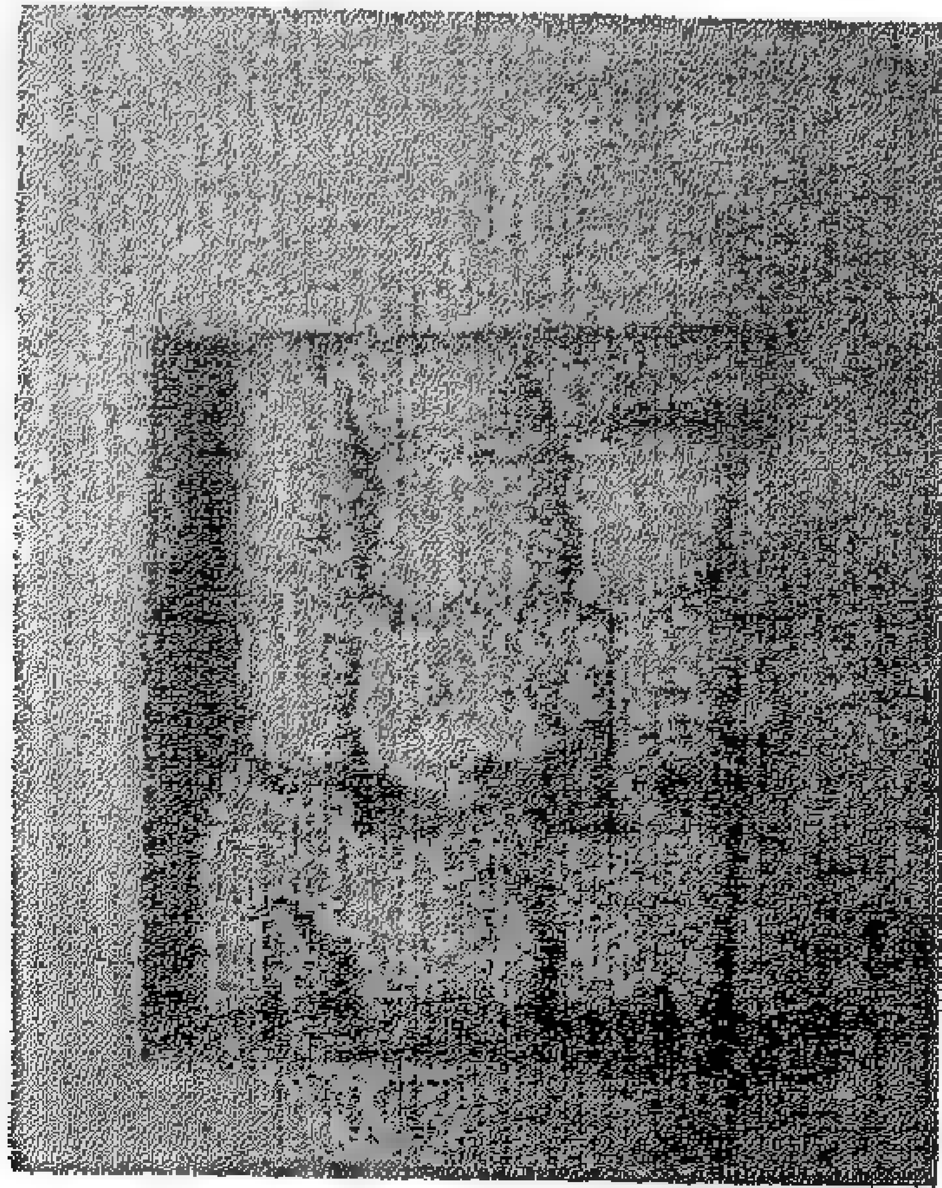
إعادة تكوين حصن بوهن ( وادى حلفا ) .



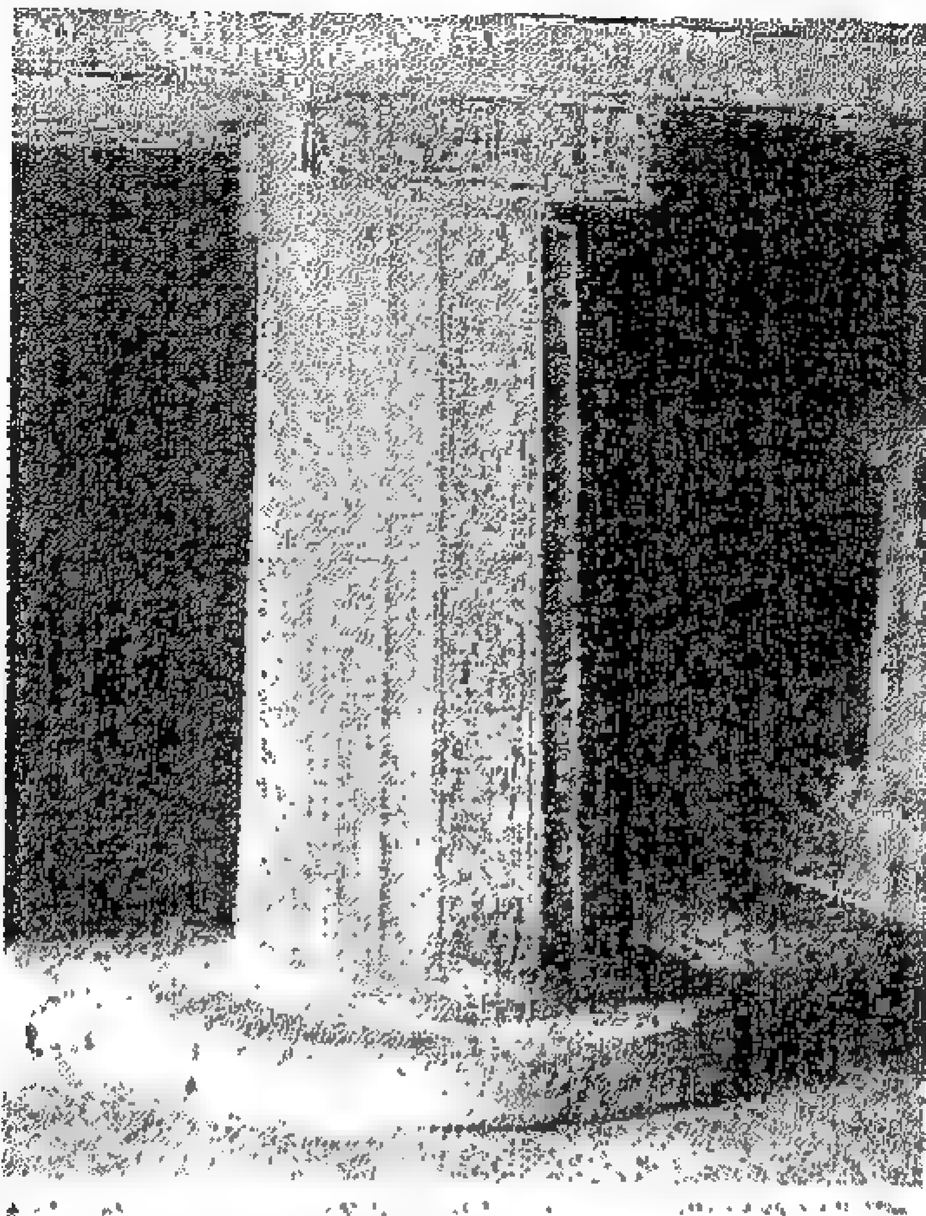
بوابة مزدوجة محصنة : فى الواجهة الشمالية " للحصن ( رسم إمرى ) .



سفينة " نائب الملك فى النوبة " ( مقبرة " حوى فى طيبة " ) .



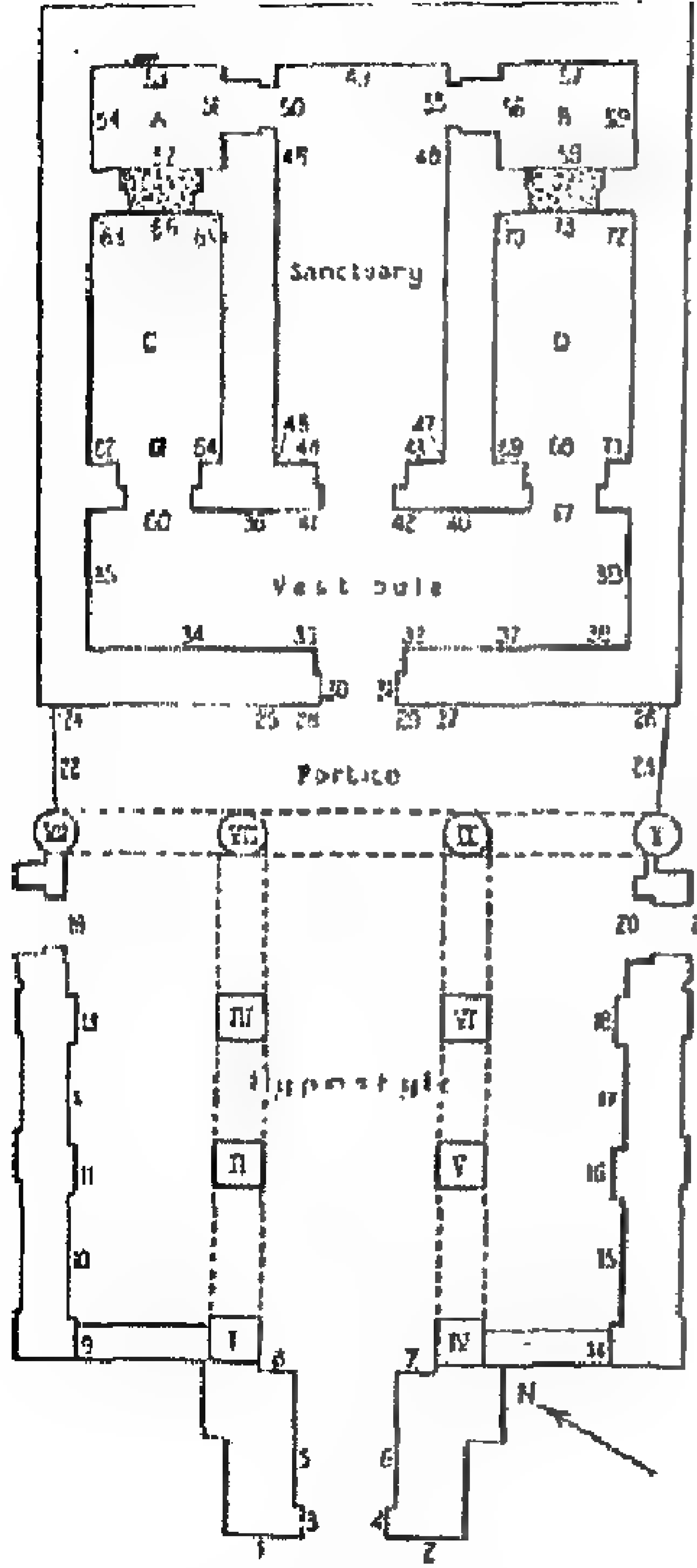
كوة بداخل معبد " بيت الوالى " ، كانت تتضمن تماثيل لرمسيس ، وخنوم .



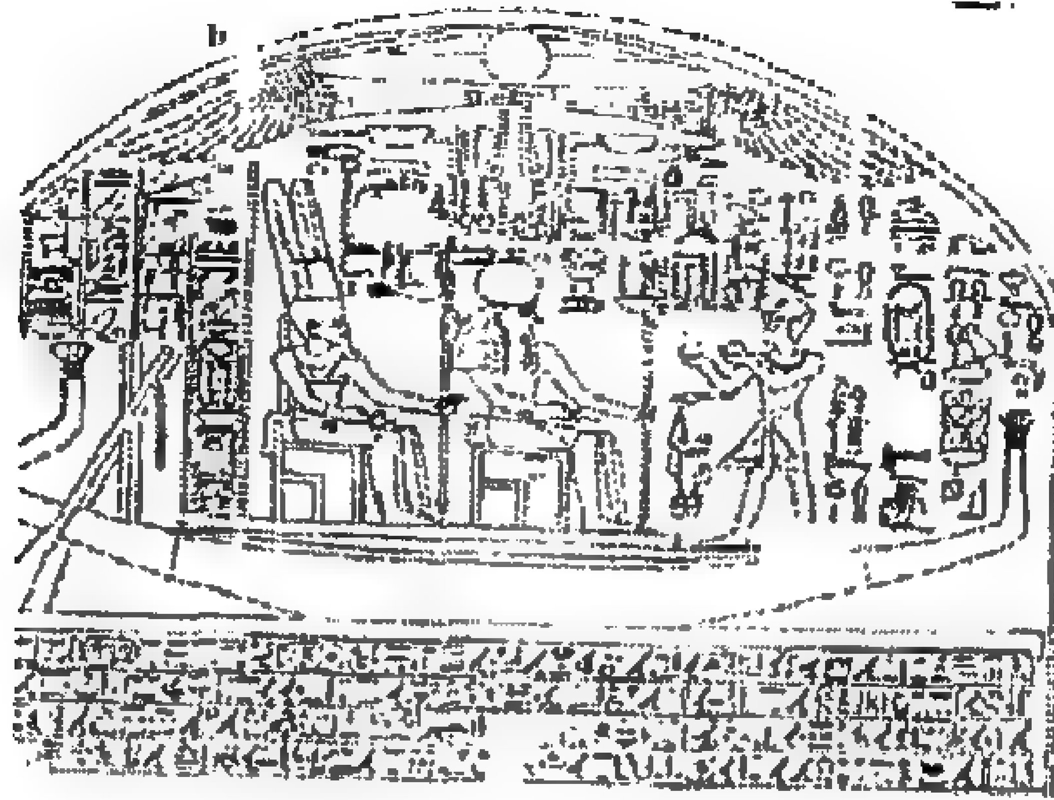
عمود طراز " ما قبل الدورى " بداخل معبد " بيت الوالى " .



" إيزيس العقرب تحتضن الملك تحتمس الرابع – معبد عمدا .



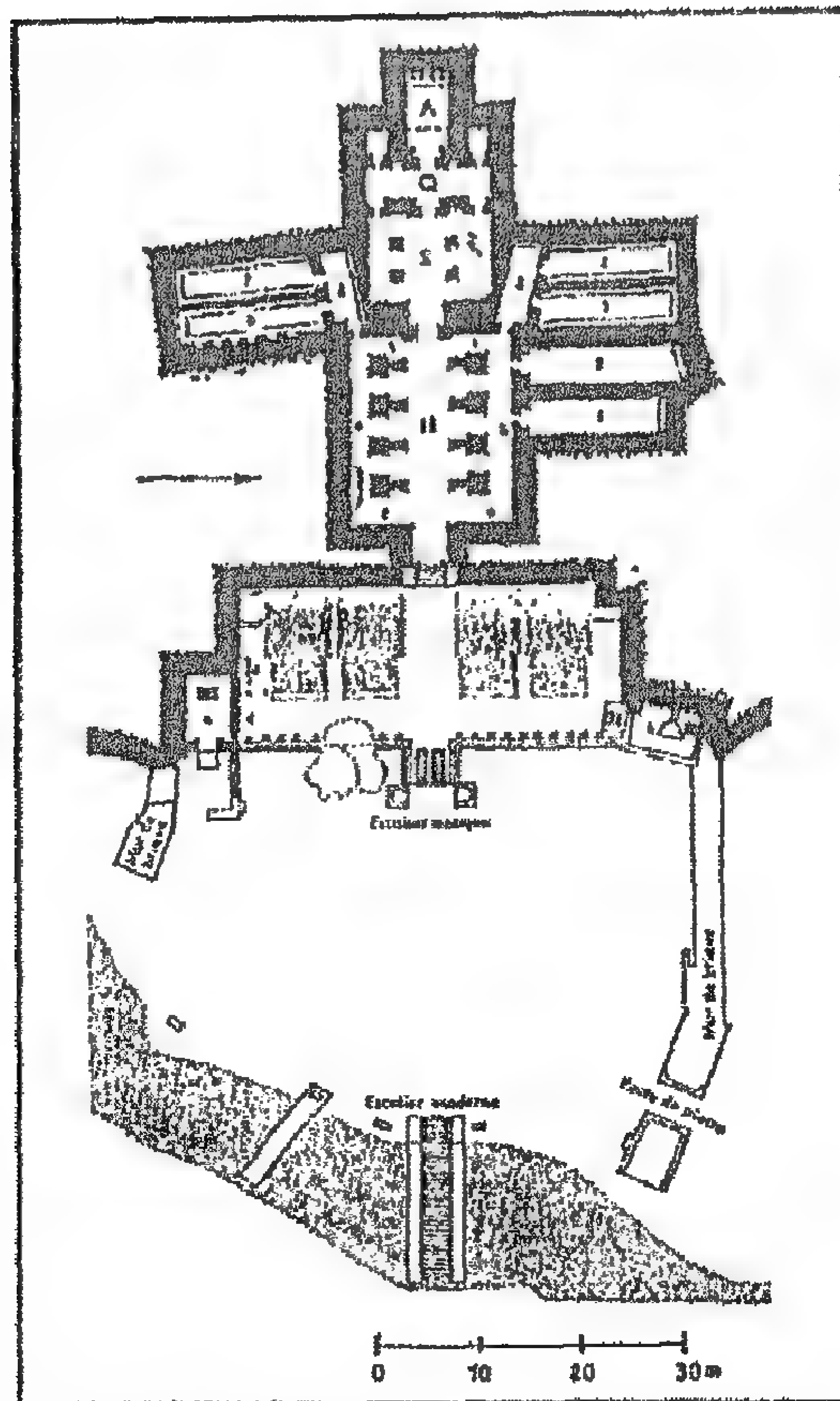

خريطة معبد " عمدا " .



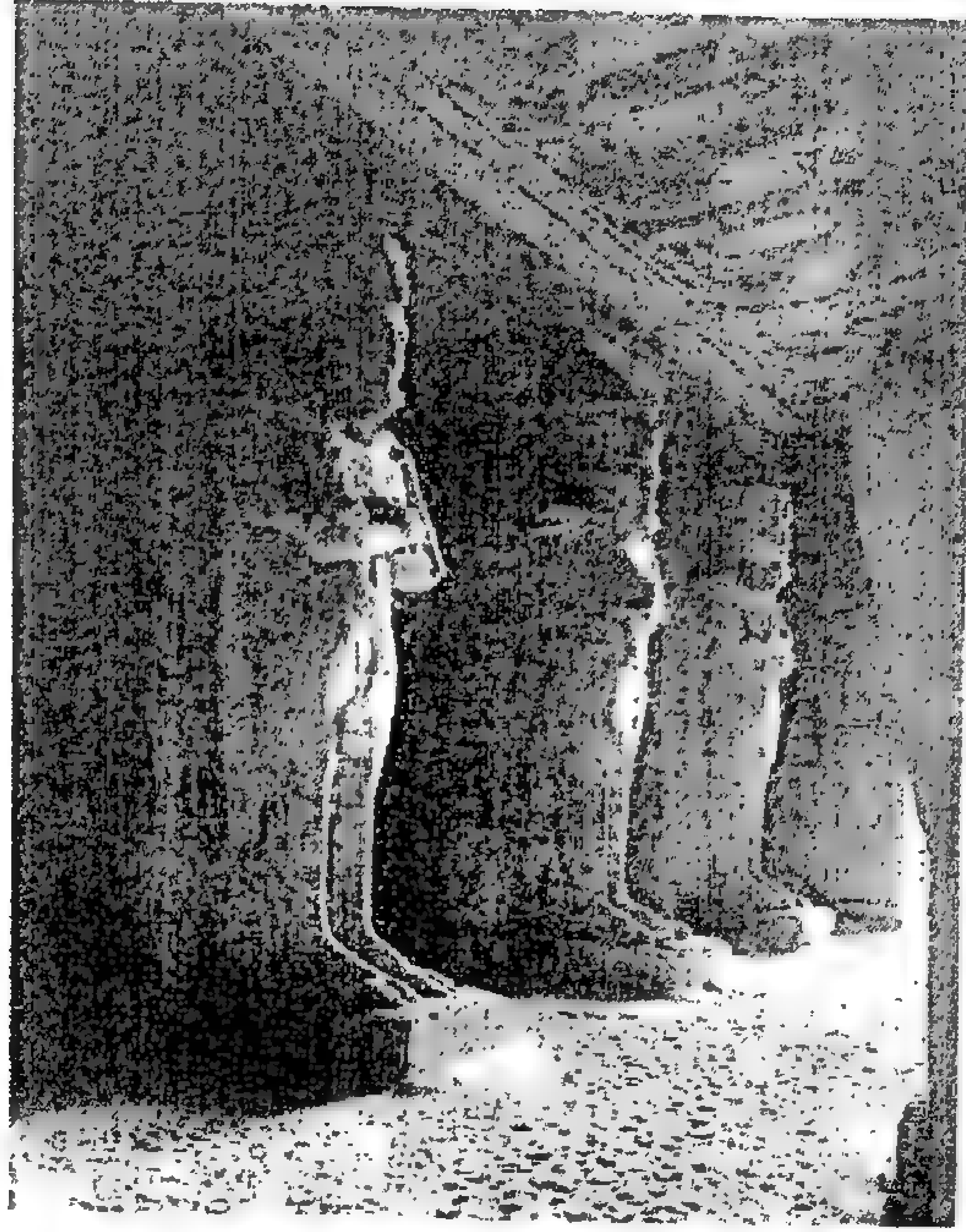
قمة اللوحة التاريخية الضخمة الخاصة بأمنحتب الثانى : الملك على ظهر المركب الإلهية يقدم القرابين لحورس وآمون .



معبد أبو سمبل بداية من بهو الأعمدة وحتى " قدس الأقداس " التى تضم رمسيس جالسا فوق العرش بصحبة الثالوث الإلهى .



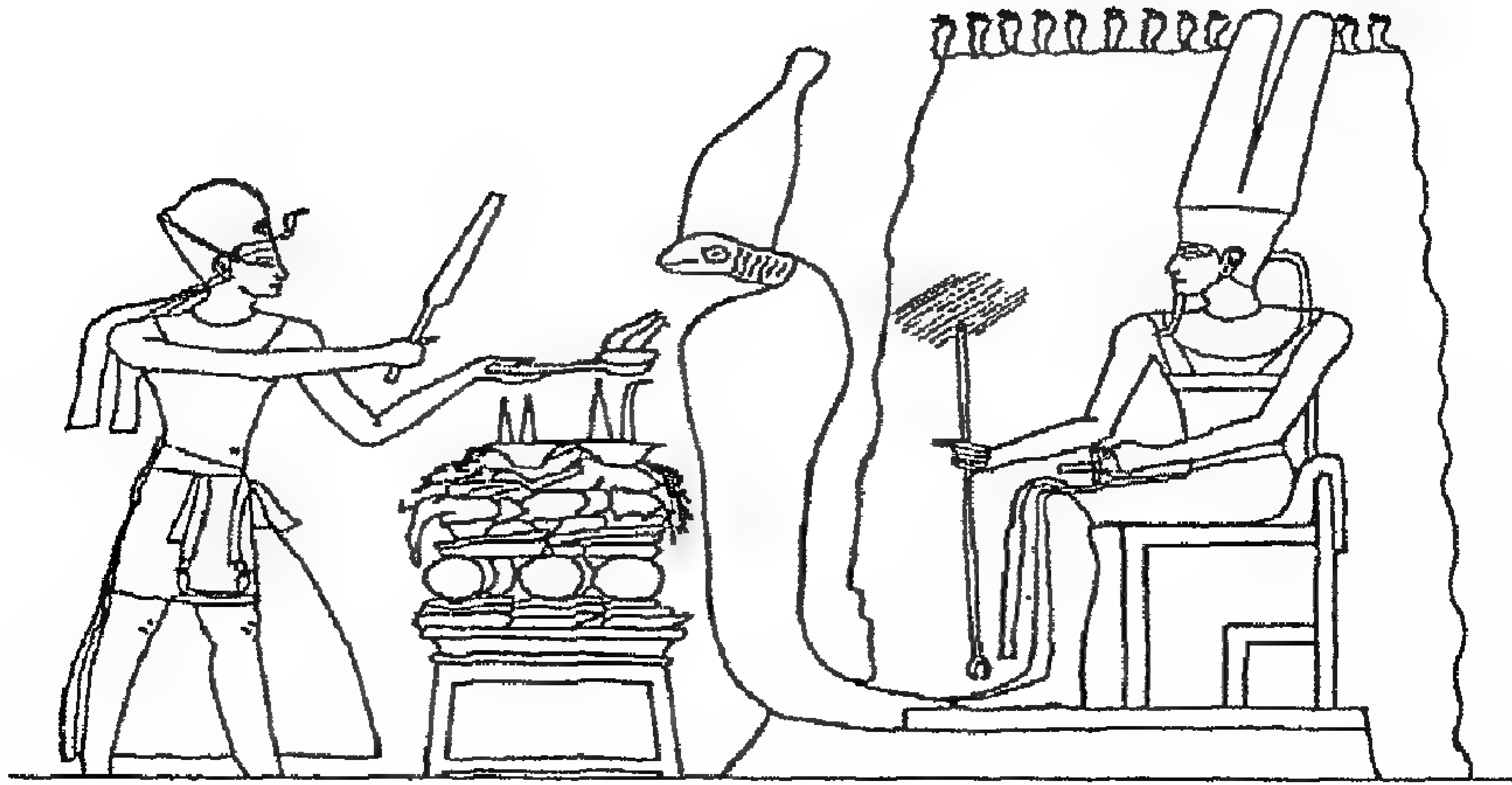

خريطة معبد رمسيس الثانى ( أبو سمبل الكبير )



معبد أبو سمبل الكبير . الأعمدة الأوزيرية الشمسية – الجانب الشمالى من " بهو الأعمدة "



منظر فوق الجدار الشمالى – الشرقى " بهو الأعمدة " نرى رمسيس يقضى على الأعداء الآسيويين
أمام الإله " حور أختى : . وبالجزء السفلى : استعراض لبنات الفرعون .



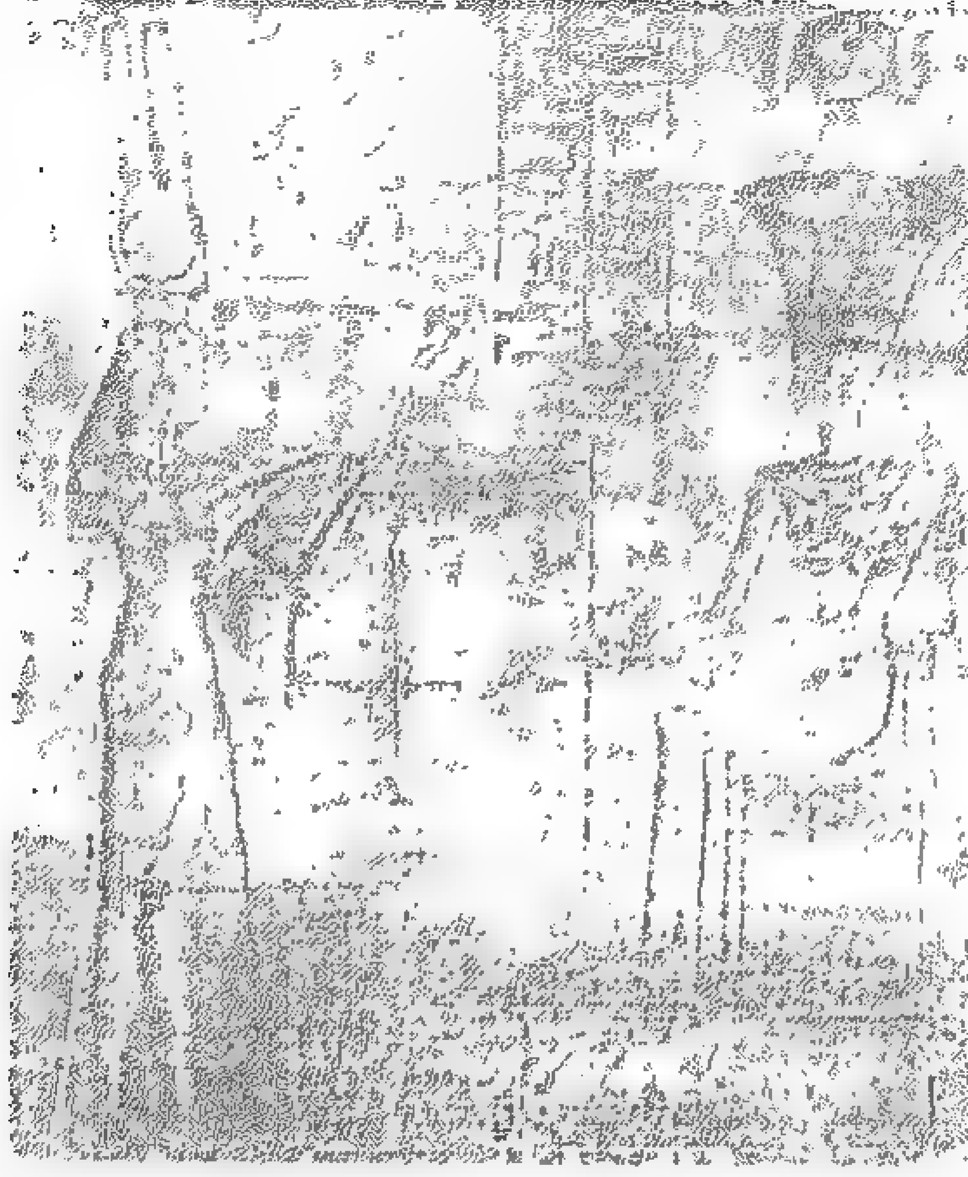
رمسيس يقدم قرابينه " لآمون – النيل " فى نباتا



معبد أبو سمبل الكبير : التماثيل الأربعة بقدس الأقداس : من اليسار إلى اليمين " بتاح ، وآمون ورمسيس الثانى ورع حور أختى



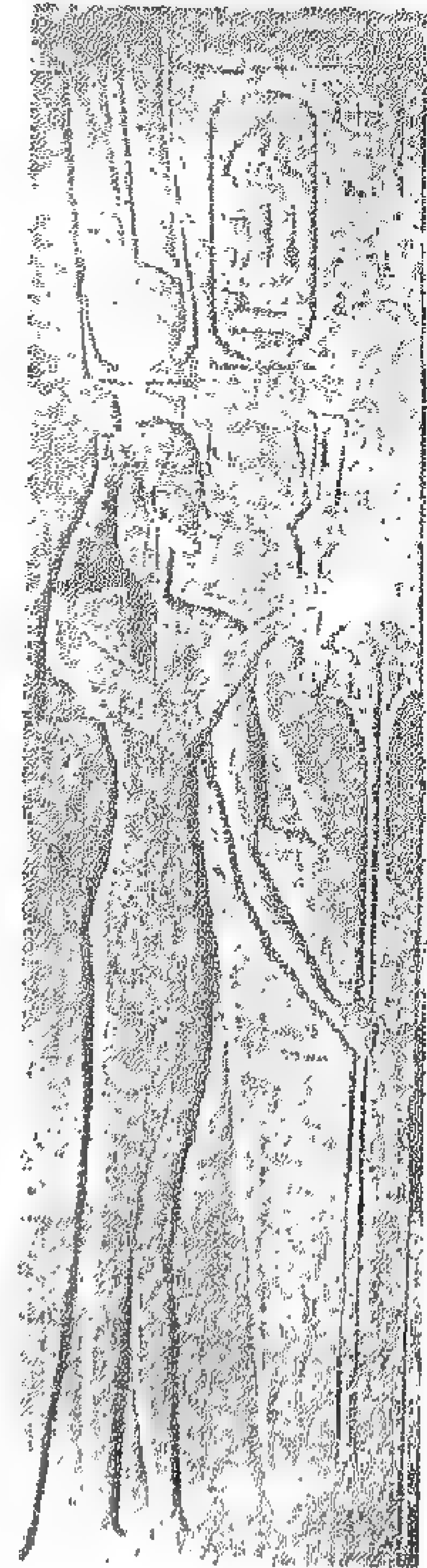
واجهة معبد أبو سمبل الصغير الخاص بنفرتارى



الملكة نفرتارى تقدم قربان البردى وتهز الصلاصل الممثلة على هيئة باب من أجل الإلهة عنقت .



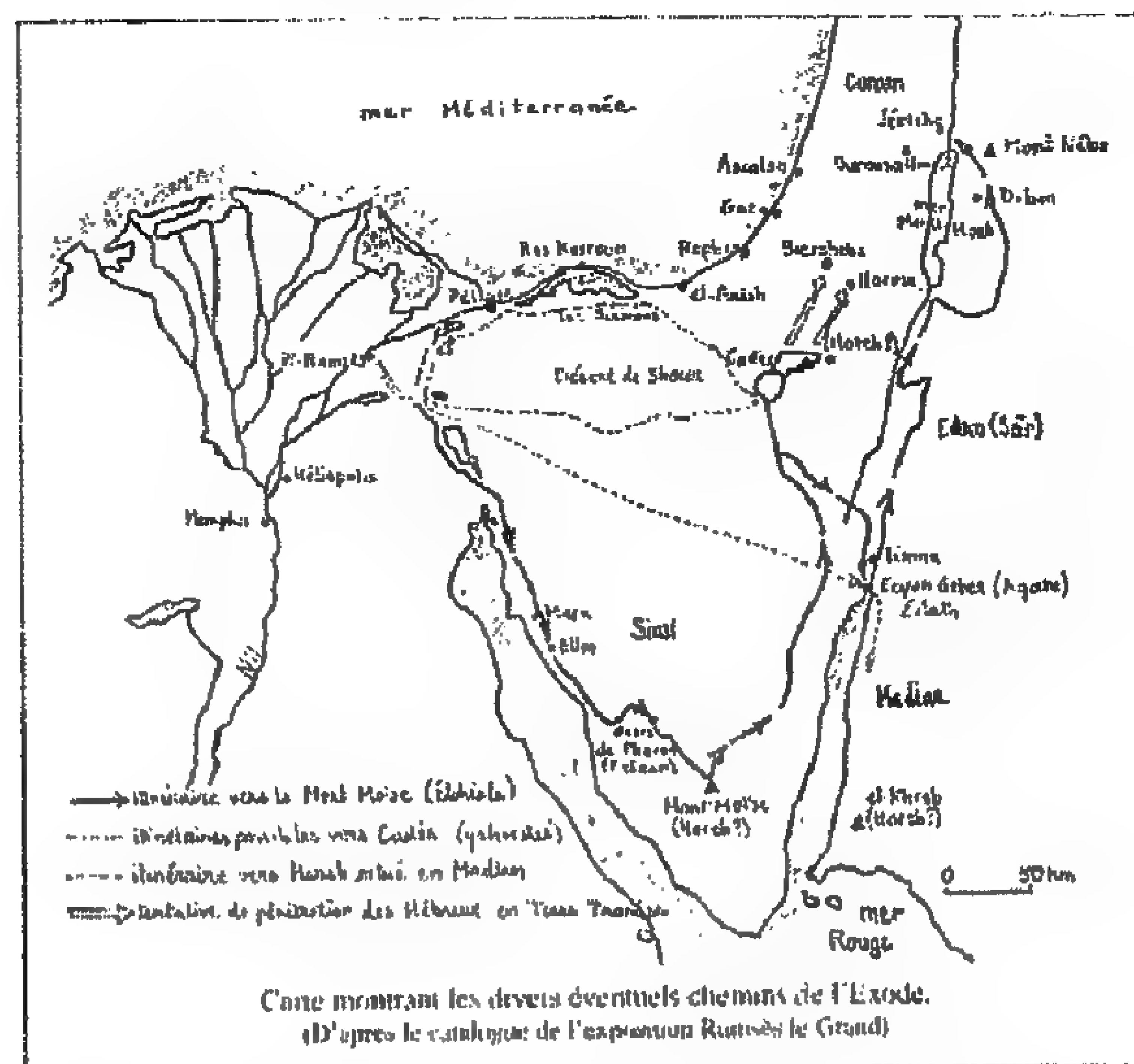
نفرتارى تمسك بالمروحة ، وتهز الصلاصل المقدسة .



نفرتارى تقوم بنفس الشعيرة السابقة .

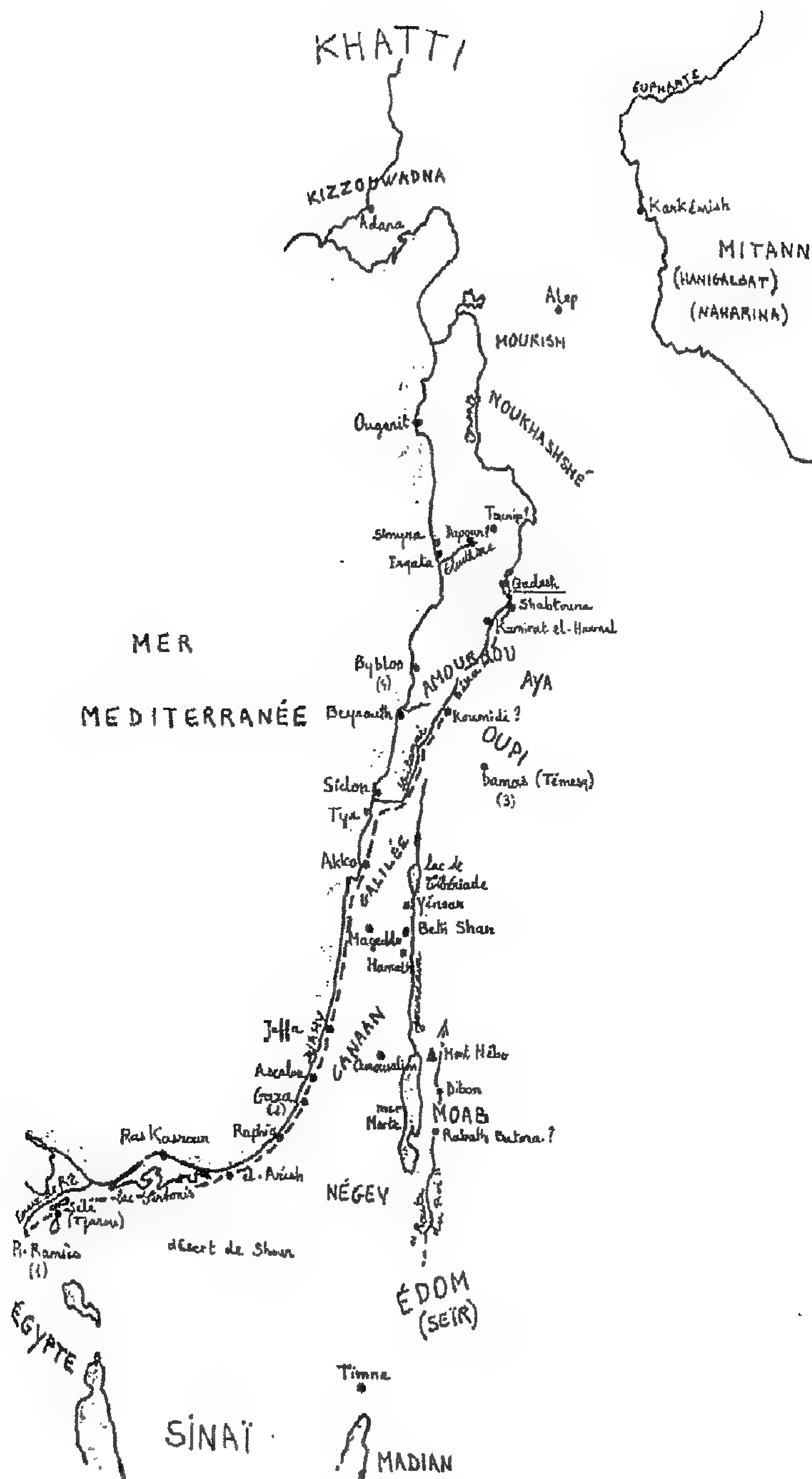



الحرب في بلاد " مؤاب " التحرك الدائري الذي قام به رمسيس الثاني وابنه آمون حرخبش إف : والتقاءهما في رباط : بتراء " .




Carte montrant les divers éventuels chemins de l'Exode.
(D'après le catalogue de l'exposition Ramsès le Grand)

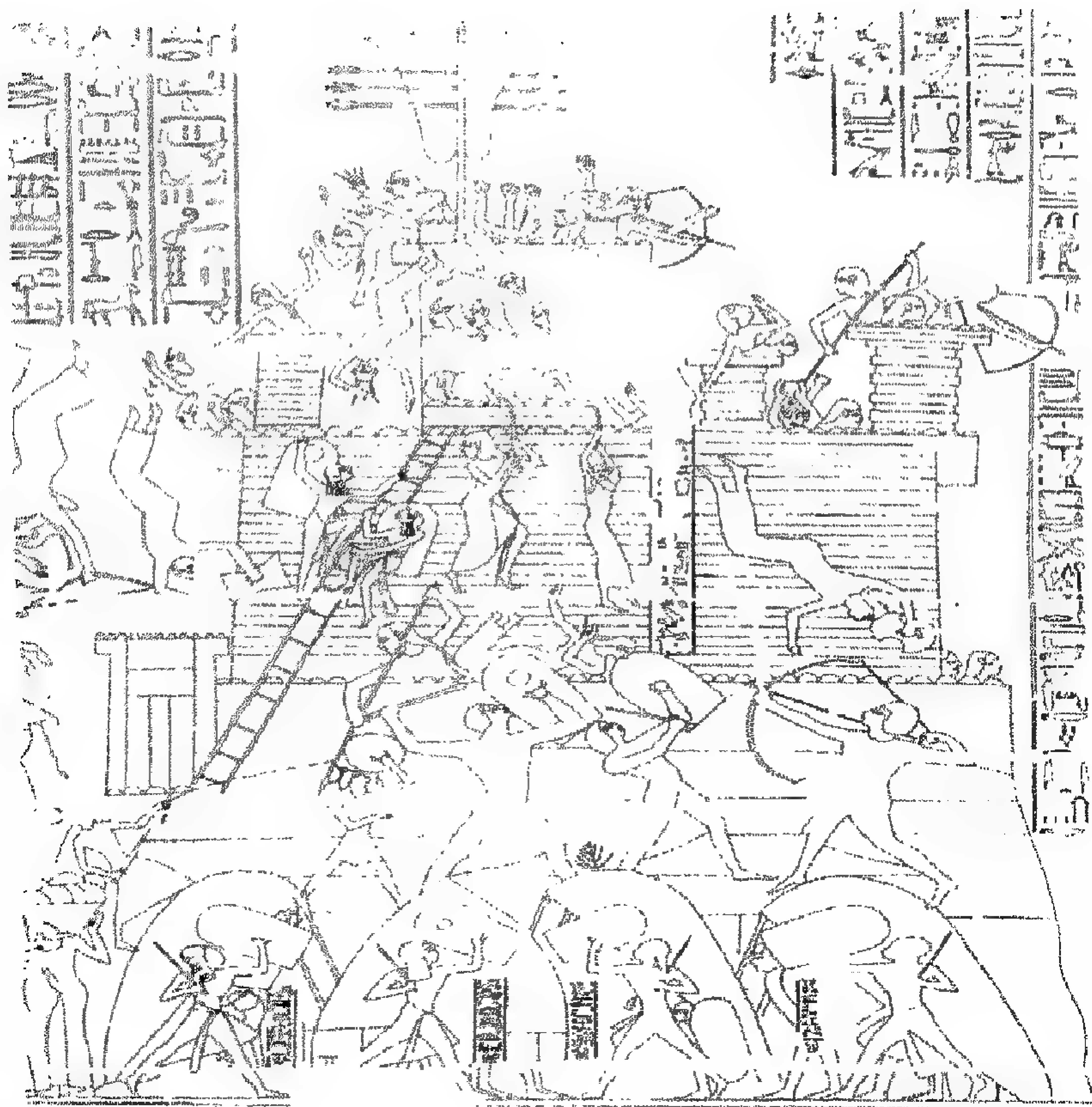
من خلال الكتالوج الخاص بمعرض رمسيس العظيم




خريطة للشرق الأدنى إبان حروب رمسيس الثانى



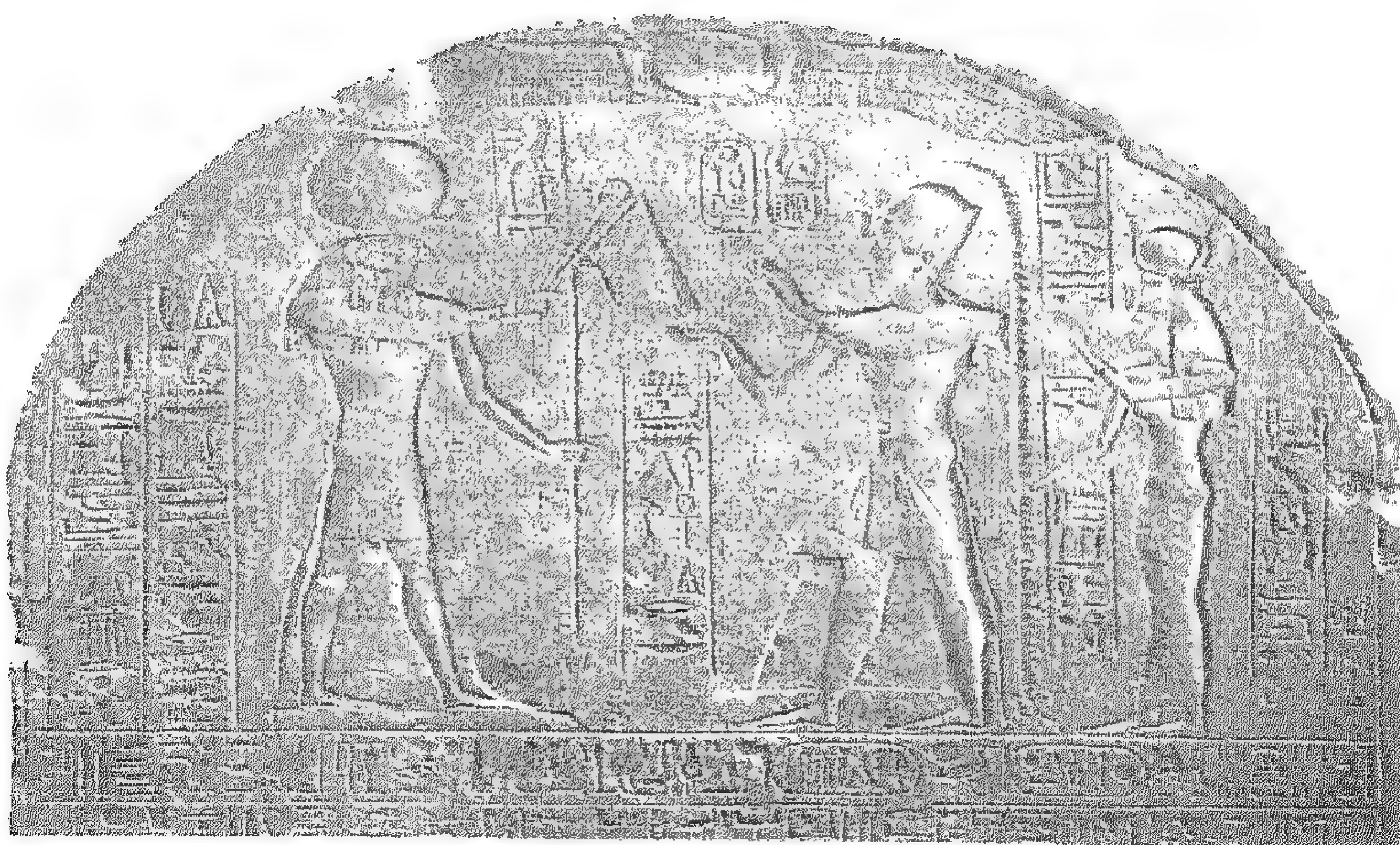
المعركة الأولى فى " دابور " – الرمسيوم ( رسوم أ . صبرى ) .



قلعة " دابور :



رمسيس يصوب سهامه على أحد الزعماء الحيثيين الهاربين .

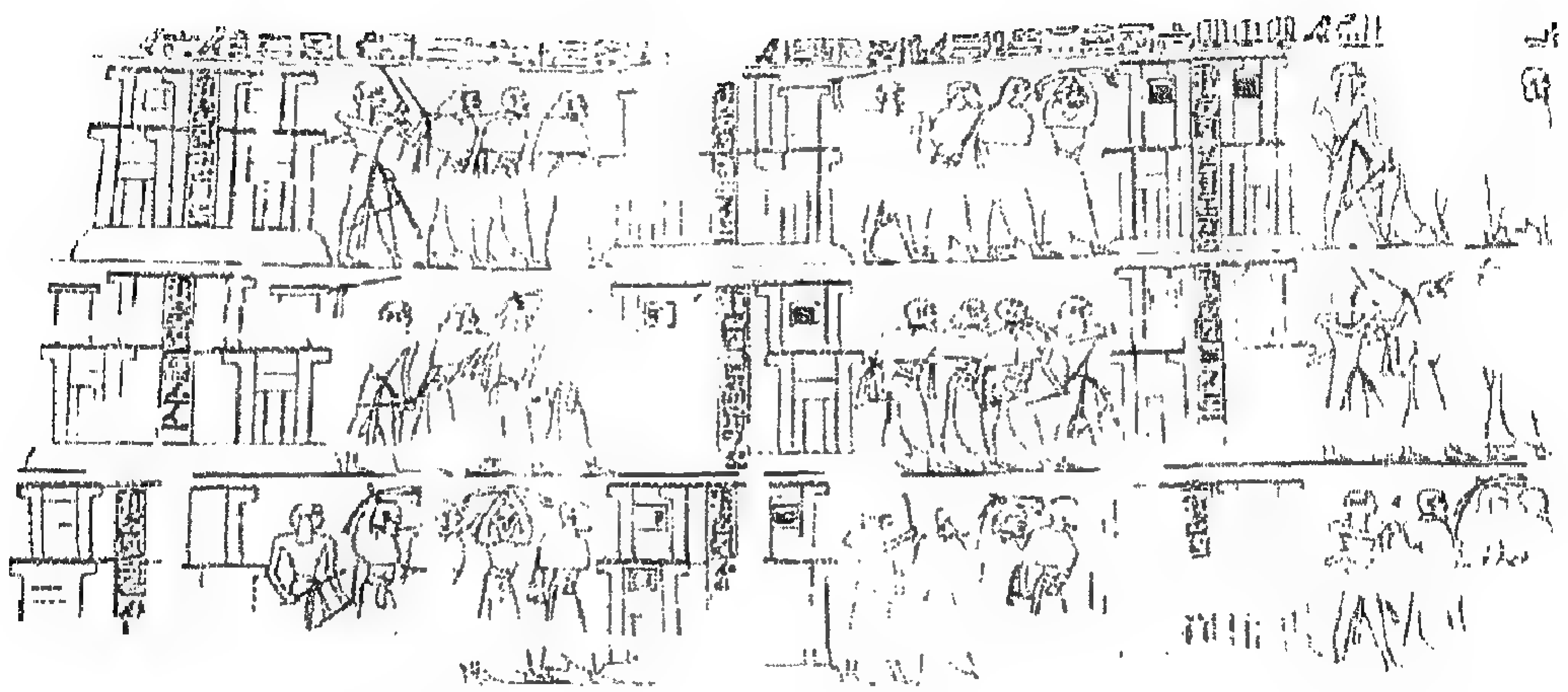


الجزء العلوى للوحة المتعلقة بالعام الثامن من الحكم ( المتحف المصرى بالقاهرة ) .

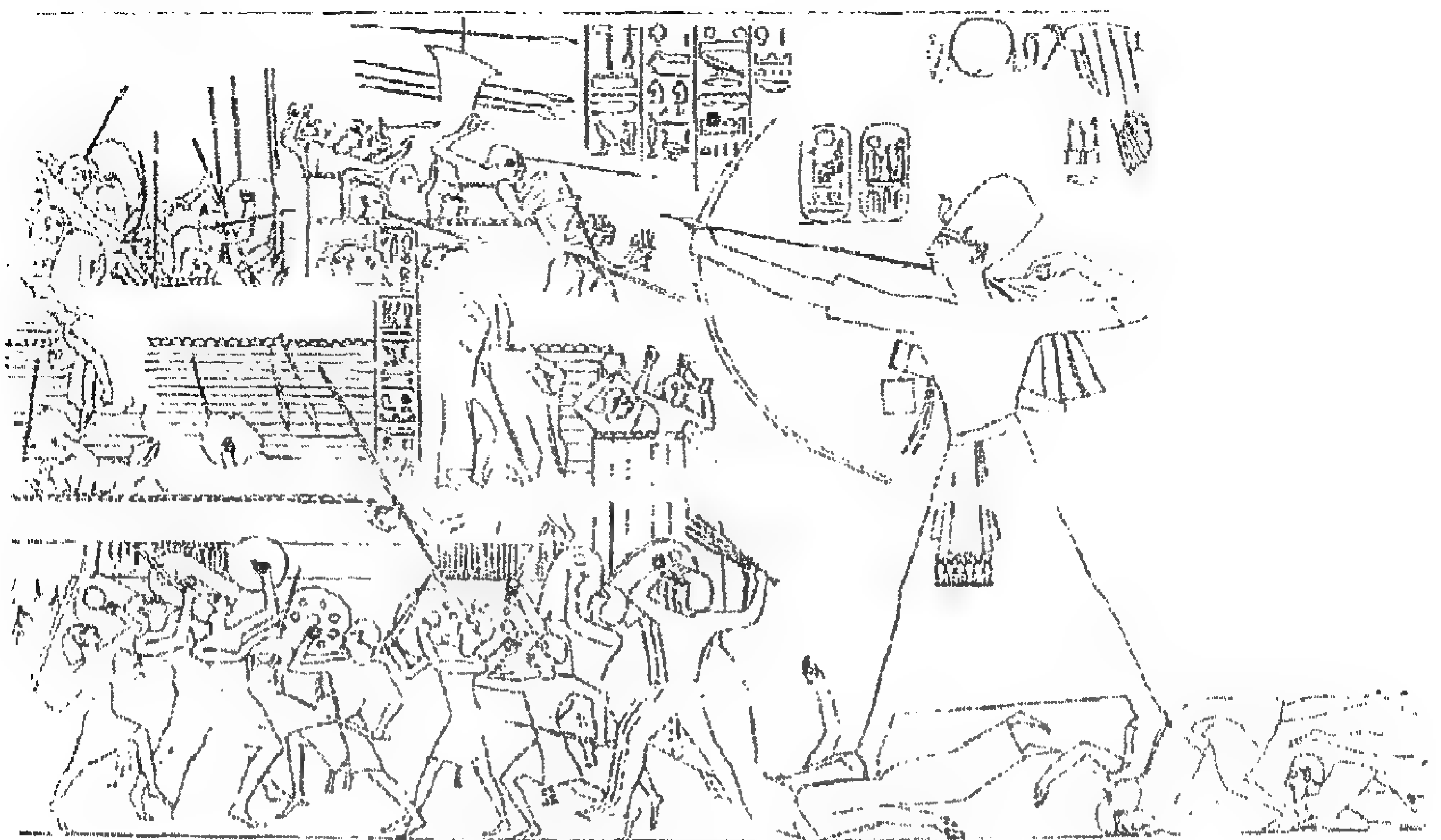


رمسيس واقفا فوق أحد تماثيله العملاقة ، ويلقى بهبات قيمة لضباطه وجنوده

( الجزء السفلى لإحدى اللوحات التى اكتشفت فى " قنطير " ( متحف هيلدسهايم ).



بعض المدن المتمردة التى استعادها الفرعون من الآسيويين .



معركة " دابور " الثانية – معبد الأقصر .



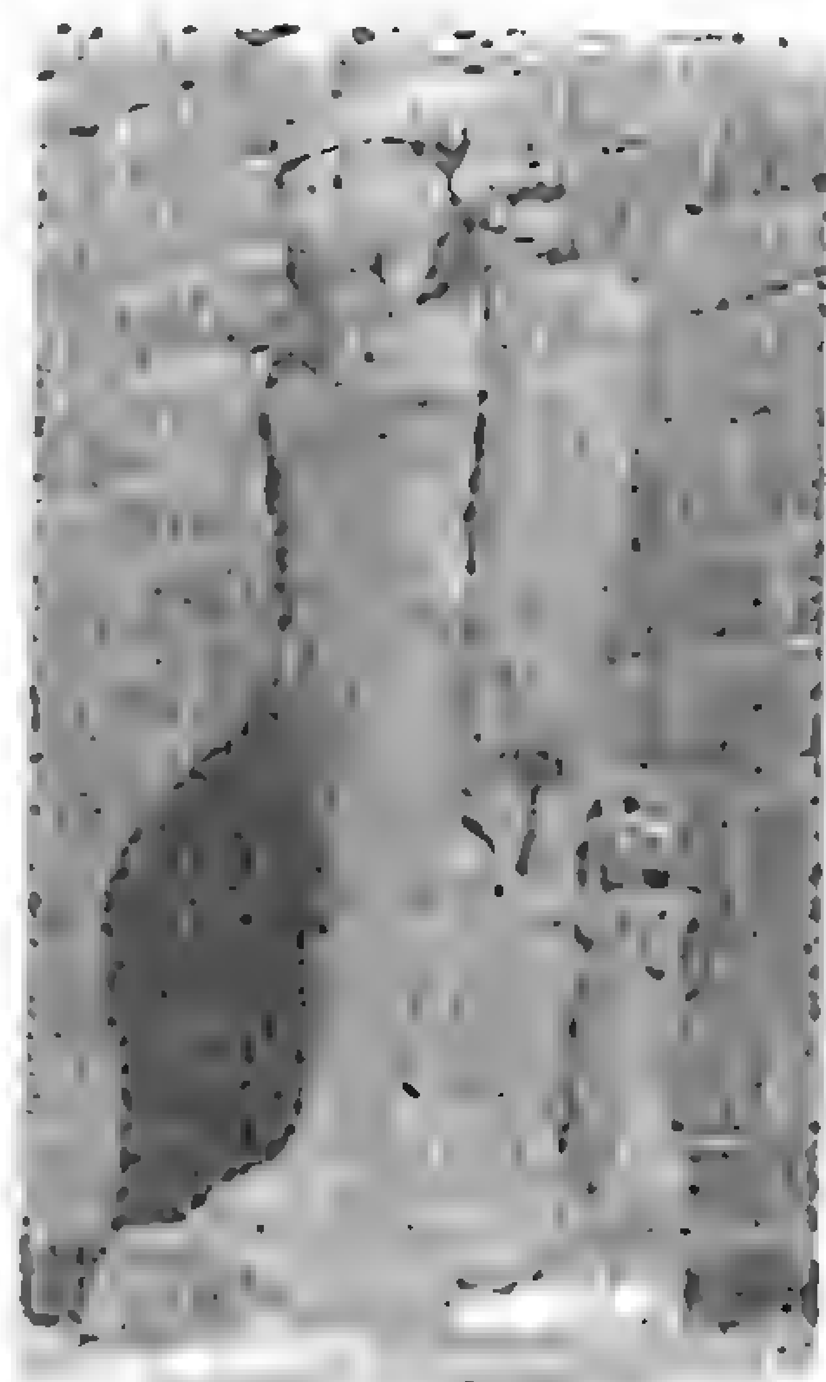
" خع إم واست " ، الكاهن الأكبر للإله " بتاح " : يقدم قرابين للثور " أبيس
" خلال إحيائه المناسبة جنائزية الأدوات الخاصة بـ " فتح الفم والعينين "



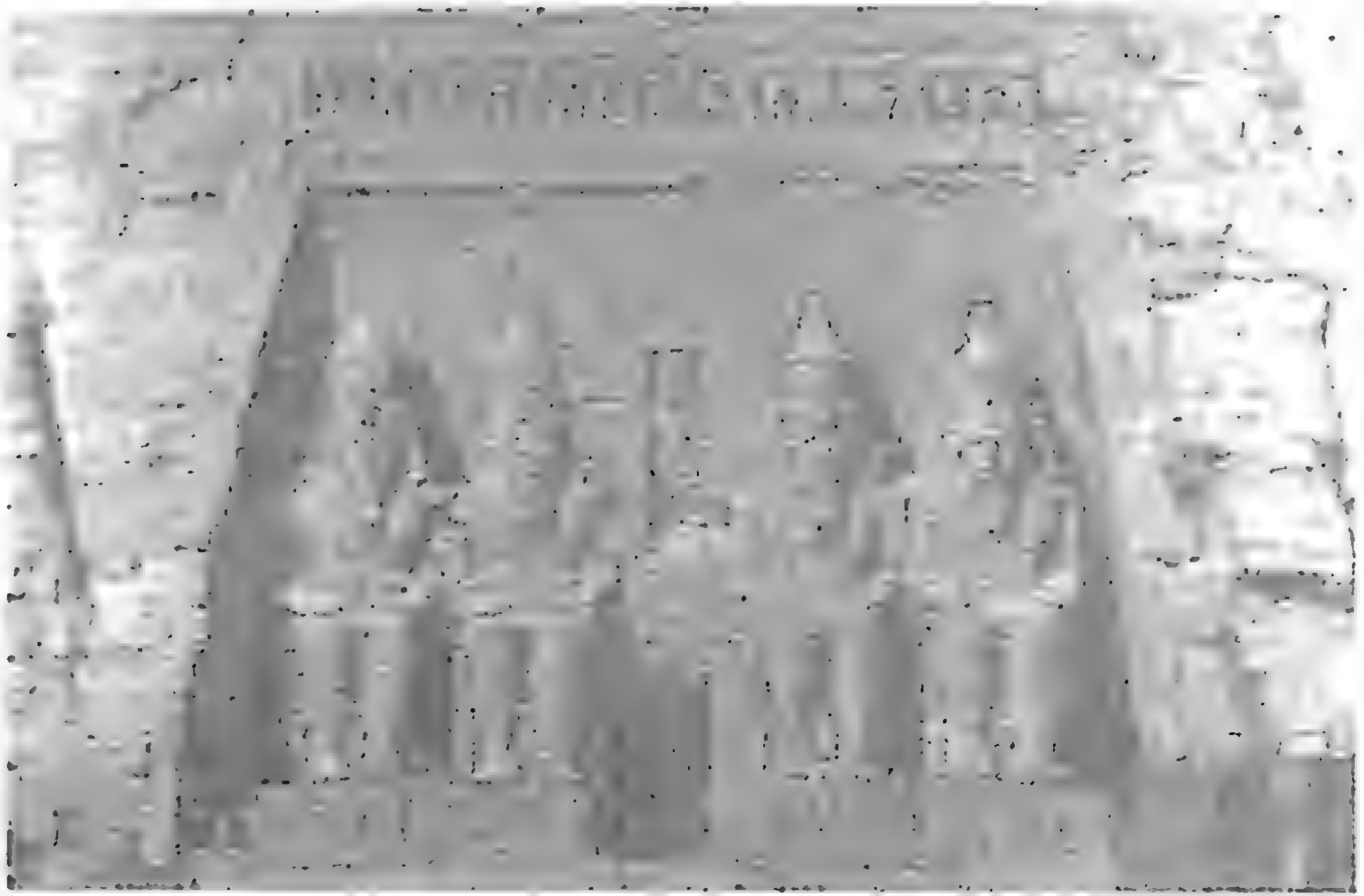
تمثال عملاق للملكة "
مريت " أمون " وقد عثر
عليه مؤخرا فى أخميم
( من الحجر الجيرى
الملون )



تمثال عملاق لرمسيس ، وترى زوجته الملكة المعظمة " مريت
أمون " وقد تزوجها بعد وفاة نفرتارى



تمثال ضخم لرمسيس فى هيئة
حامل الشارة وبجواره تمثال لـ :
بنت – عنان ابنه إيزيس – نفرت .

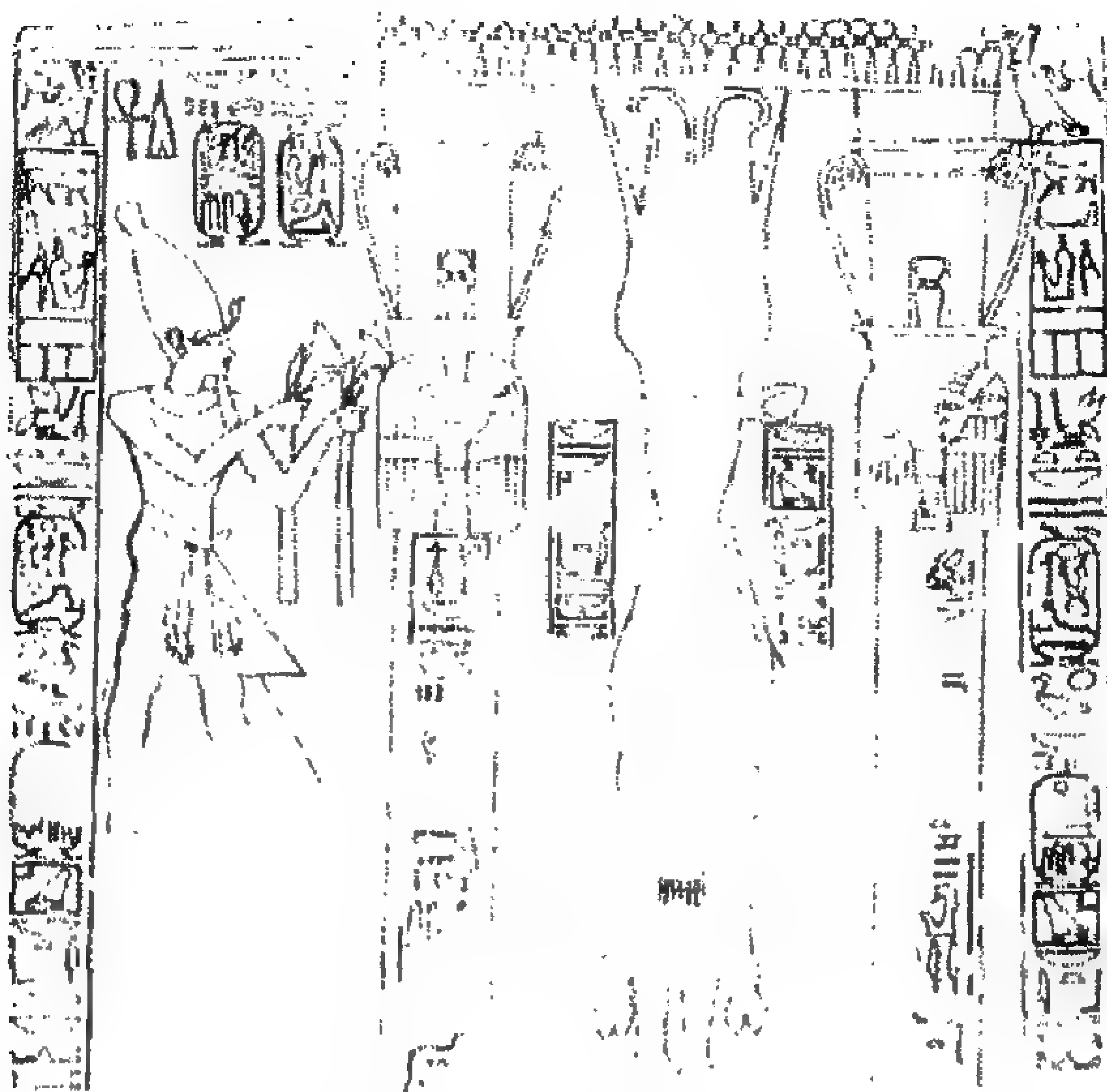


النتوء بجبل " محا " معبد رمسيس الثانى ، وقت افتتاح معبد أبو سمبل الكبير .



تحول نفرتارى إلى سوتيس ، بفضل حتحور وإيزيس ، فى معبد " إبشك " معبد نفرتارى الصغير

( شمال أبو سمبل )

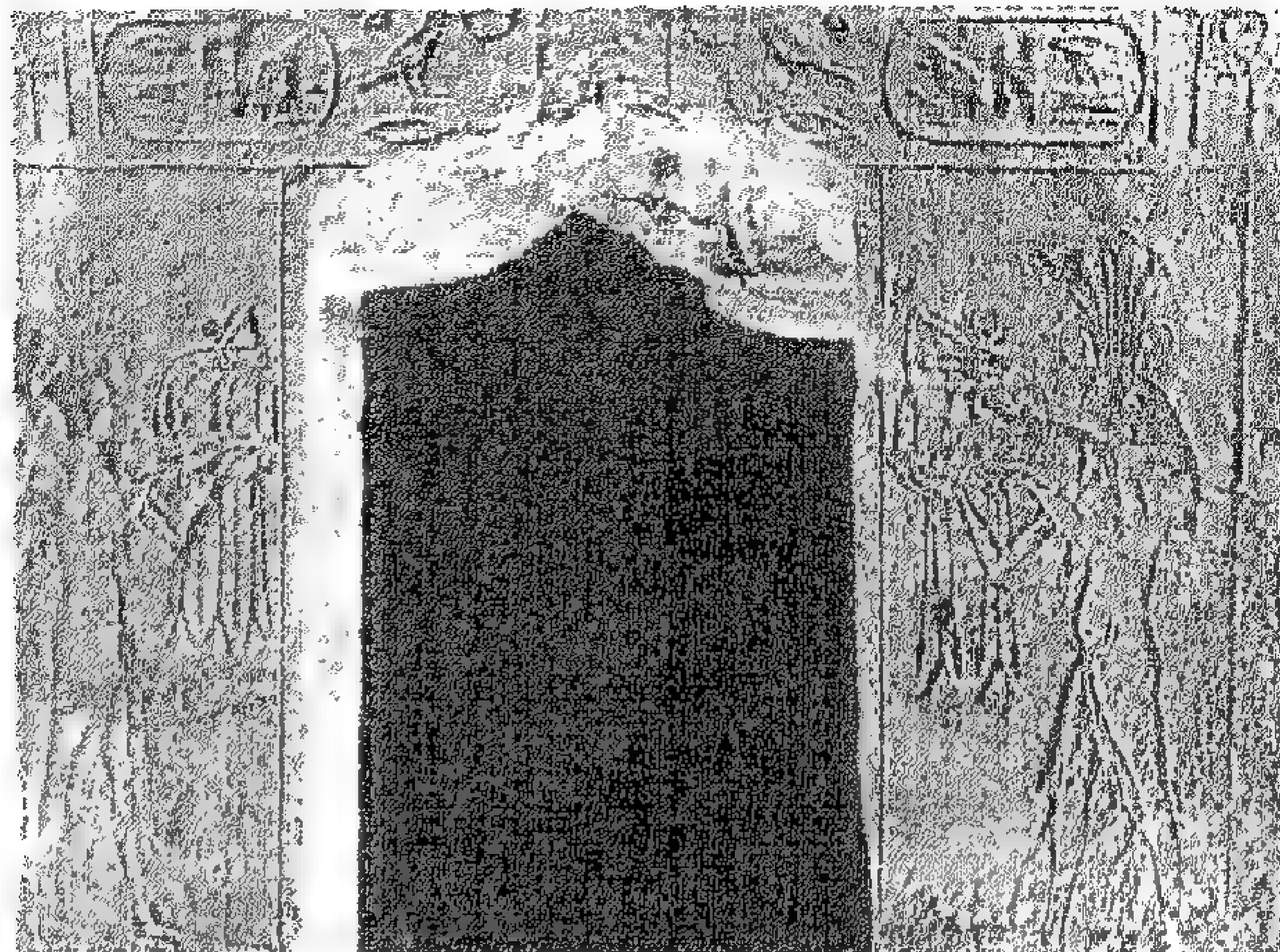


فيما بين عمودين حتحوريين تقدم البقرة حتحور الملك بعد إنعاشه وتجدده

( معبد إبشك )



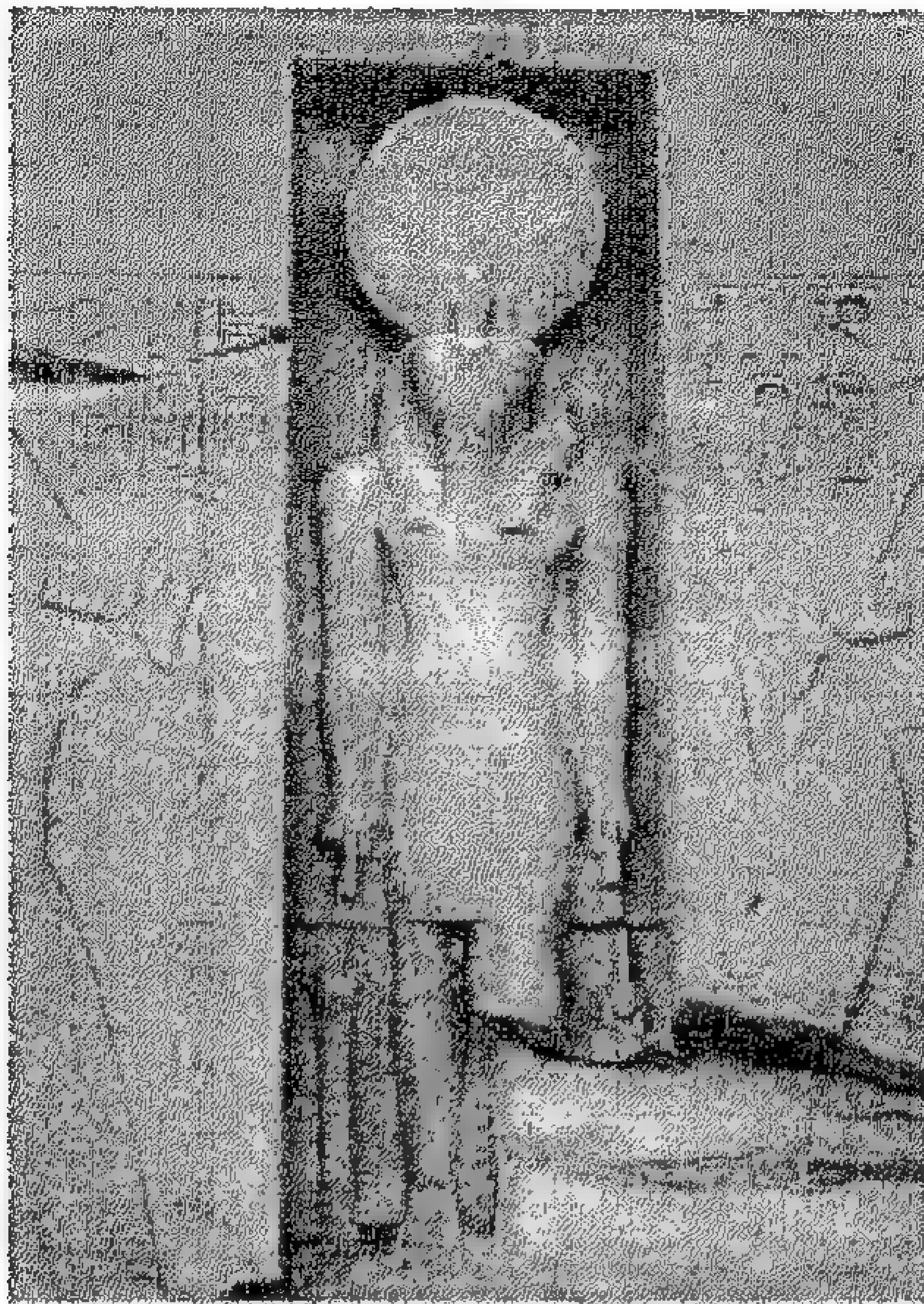
رمسيس الثانى ونفرتارى يقدمان القرابين إلى تاورت العظيمه لتحقق نجددا ( سنويا سعيدا )



" قدس الأقداس " حول بابه يرى أرباب الفيضان خارجون من كهف " إبشك " بعد مقابلة : "إيزيس ، سوبيس ، و " رع – حور أختى ".



نفرتارى زوجة رمسيس الثانى فوق واجهة " إبشك " ( معبد أبو سمبل الصغير ) .



" رمسيس حور أختى " فى واجهة " محا " ( معبد أبو سمبل الكبير ) .



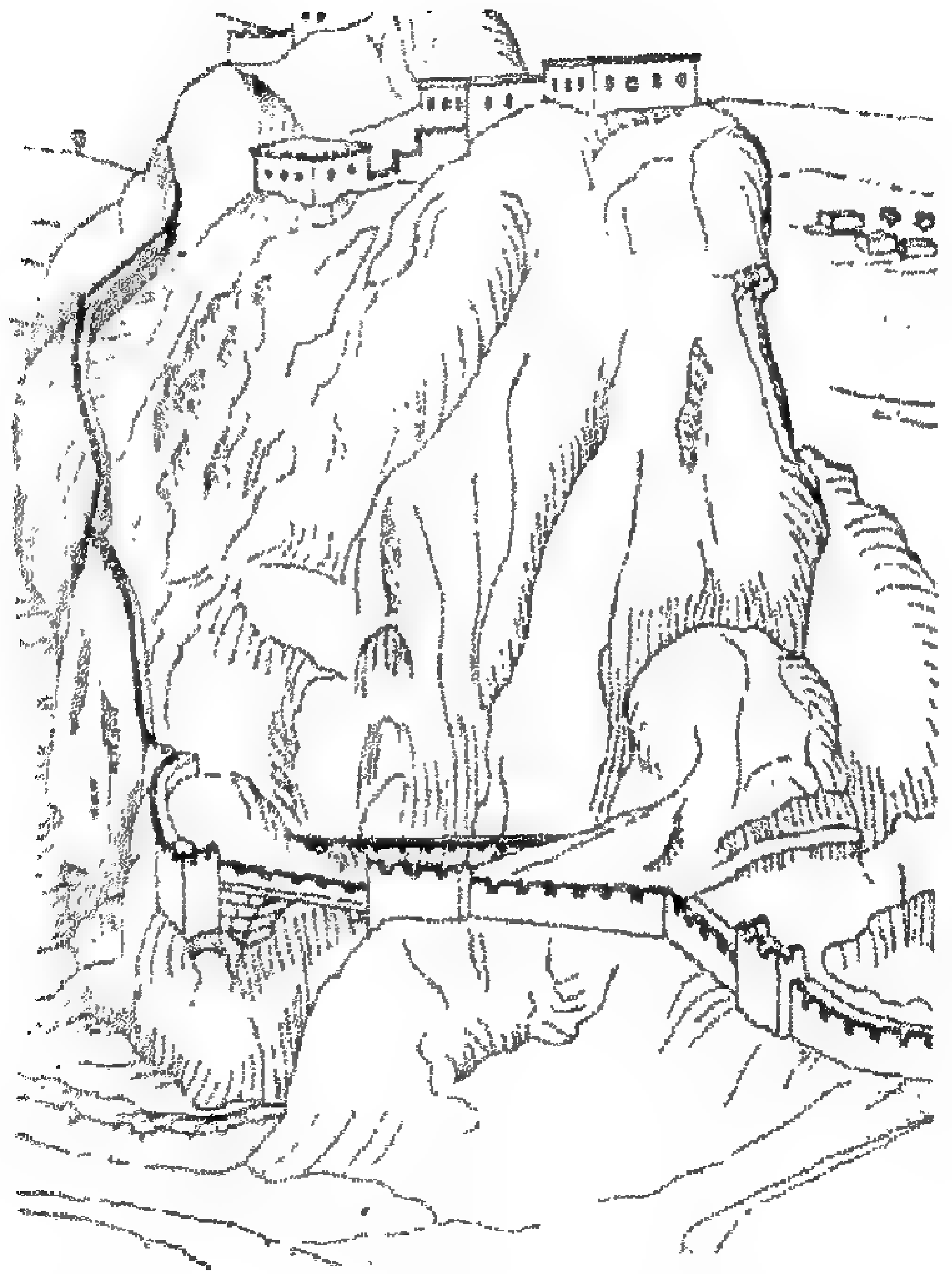
واجهة معبد أبو سمبل الكبير : الصرح الصغير الخاص بالهيكل الشمسى.



بداخل الهيكل نرى المسلتين والقردة الأربعة ، ويمينا يوجد ناووس يتضمن قرداً وجعلا .

هوتوسا " القعلة وأسوارها ( رسم : أكيتشن »

ختمان حيثيان أحدهما ب " مورسيل و الأخر بـ " تودليا الرابع ، ويرى شكل للملك أيضا



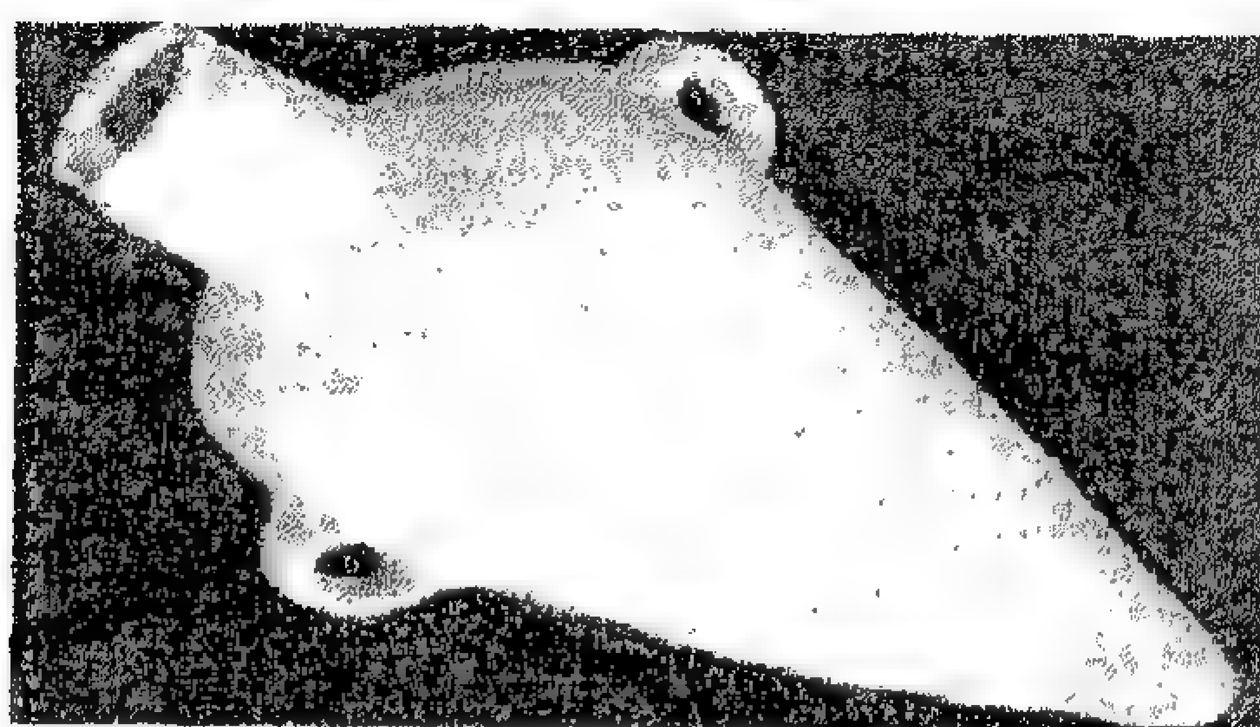
رسم تكوينى " رؤية شاملة أكركوبول هاتوسا



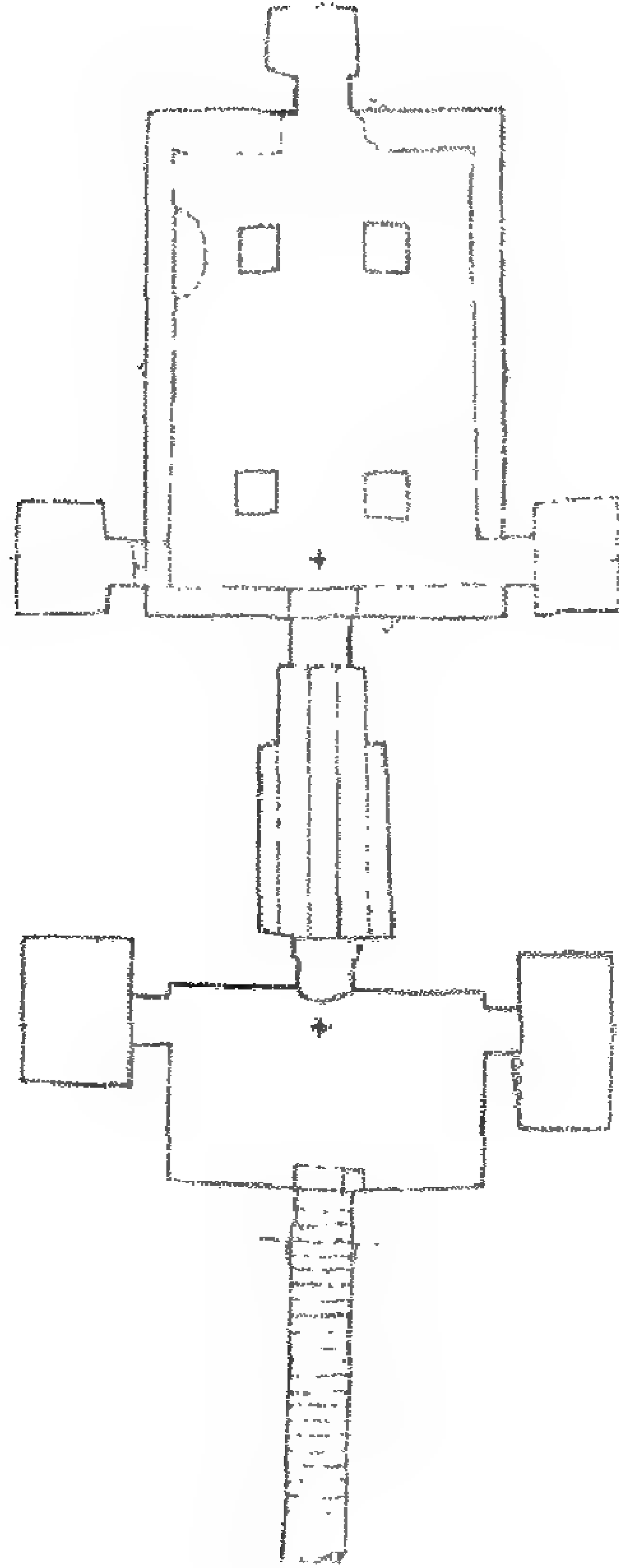
بالكرنك : النسخة الهيروغليفية لمعاهدة السلام مع الحيثيين



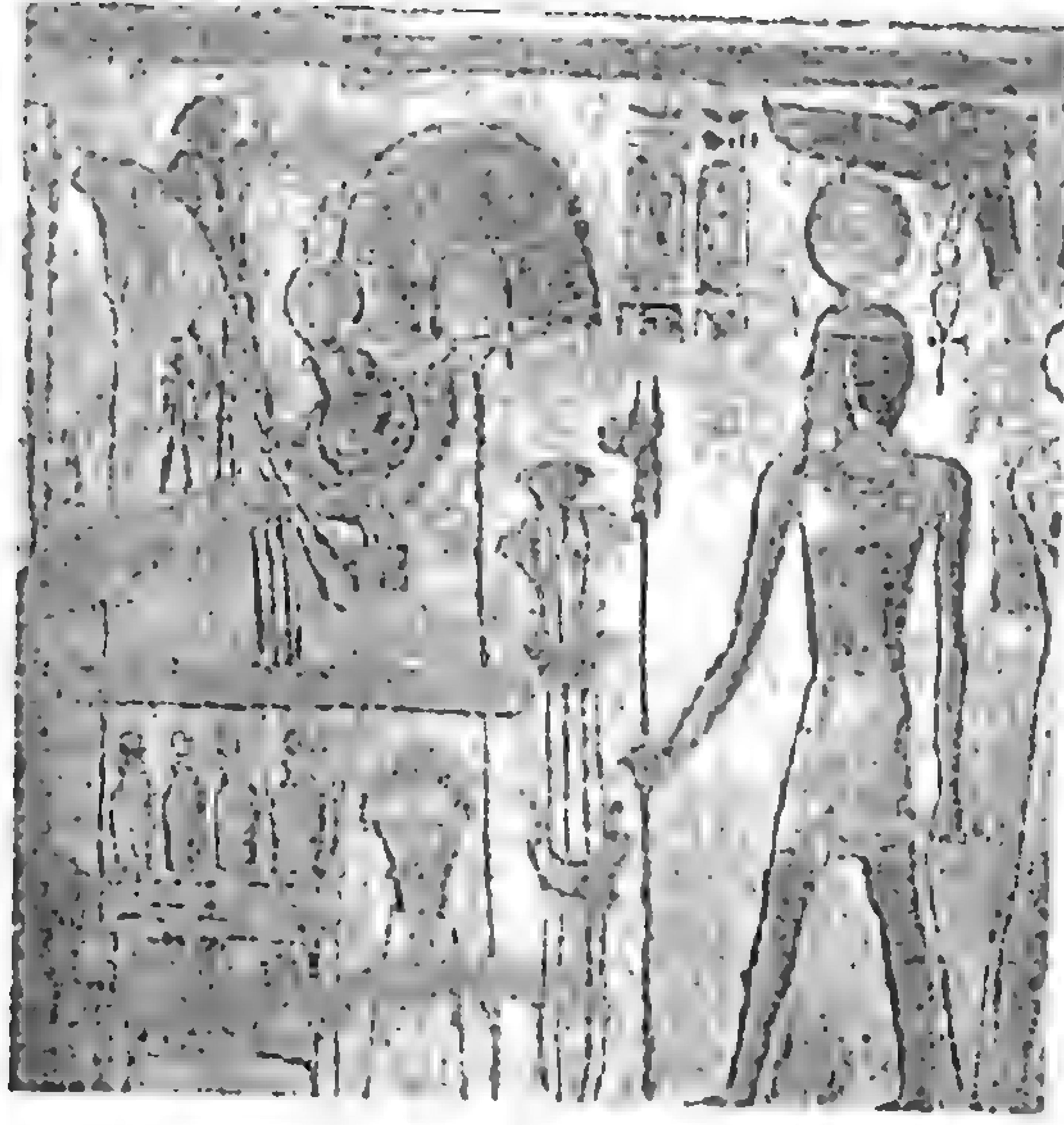
شكل يمثل الملكة " توى " عثر عليه بمقبرتها (سدادة إحدى الأوانى الكانوبية - متحف الأقصر).



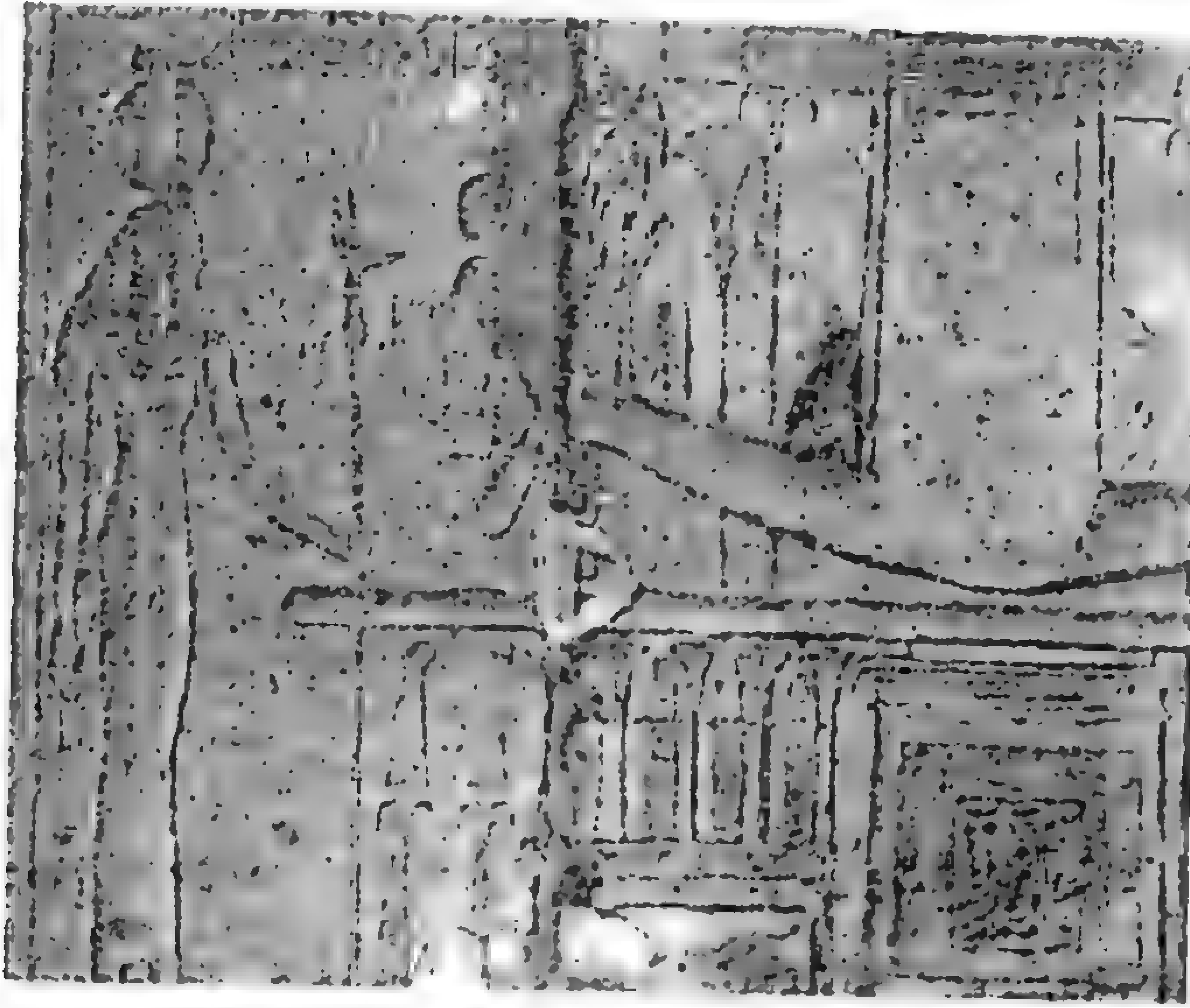
آنية نبيذ بالقبو الخاص برمسيس الثانى عليها كتابات تبين تاريخ العام الثانى والعشرين .



خريطة مقبرة الملكة " توى " .



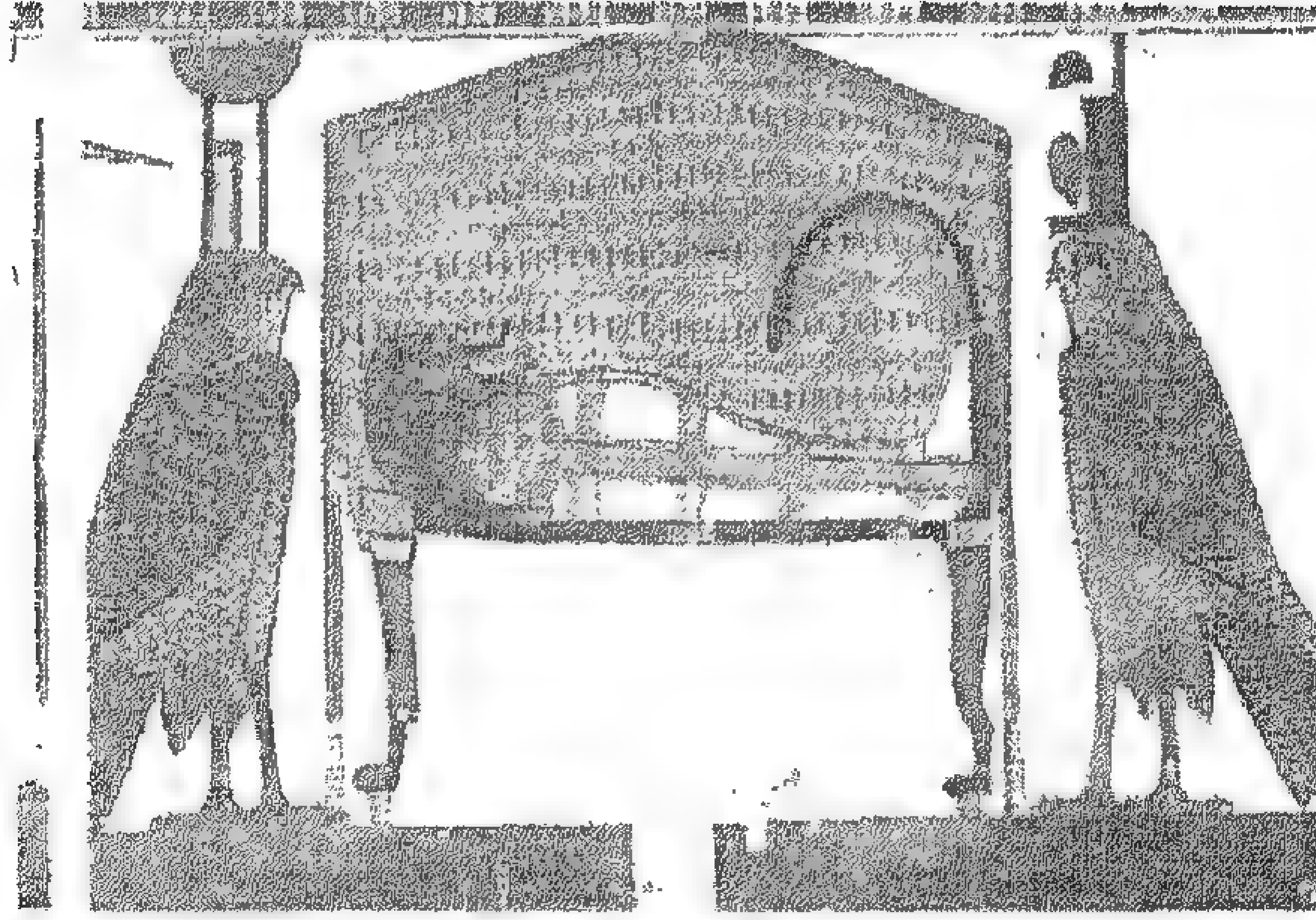
معبد الدر " يمينا ، شكل يمثل رمسيس مجسدا عبارة " أوسر ماعت رع" اسم تتويجه ملكا .



أبو سمبل " معبد تحوت : الربة ماعت تقف أمام المركب الإلهية ، وتعبر " صورتها أيضا عن اسم أوسر ماعت رع .



معبد " الدر " : رمسيس يقف أمام الشجرة " إشد "



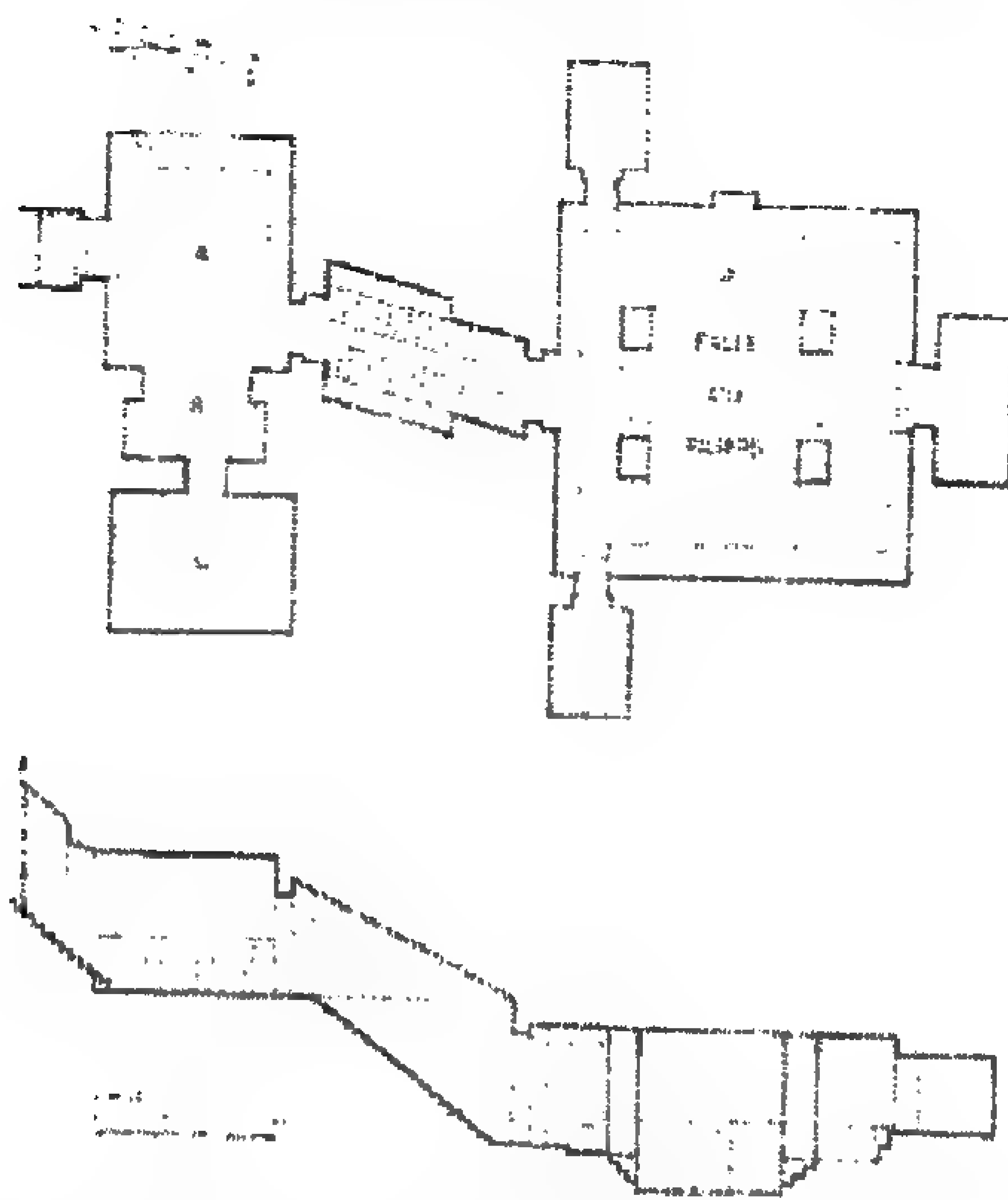
مومياء الملكة فى أثناء مرورها بالتجارب الصعبة بمرحلة التحول . تقف على حمايتها : إيزيس ونفتيس .



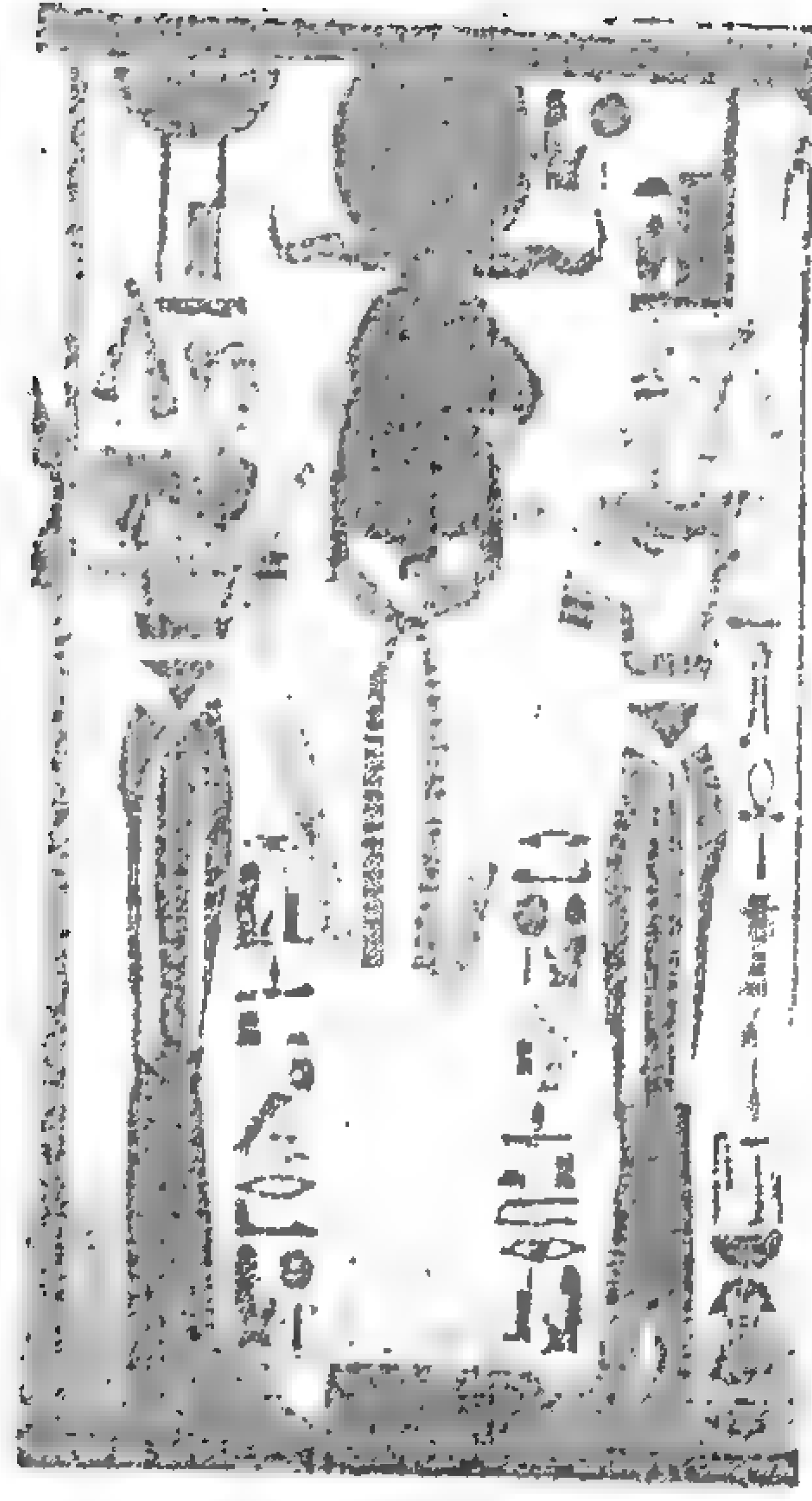
العنقاء التى تجسد البعث الأبدى .



الملكة تلعب " الضامة " إيماء إلى اجتيازها الصعوبات .



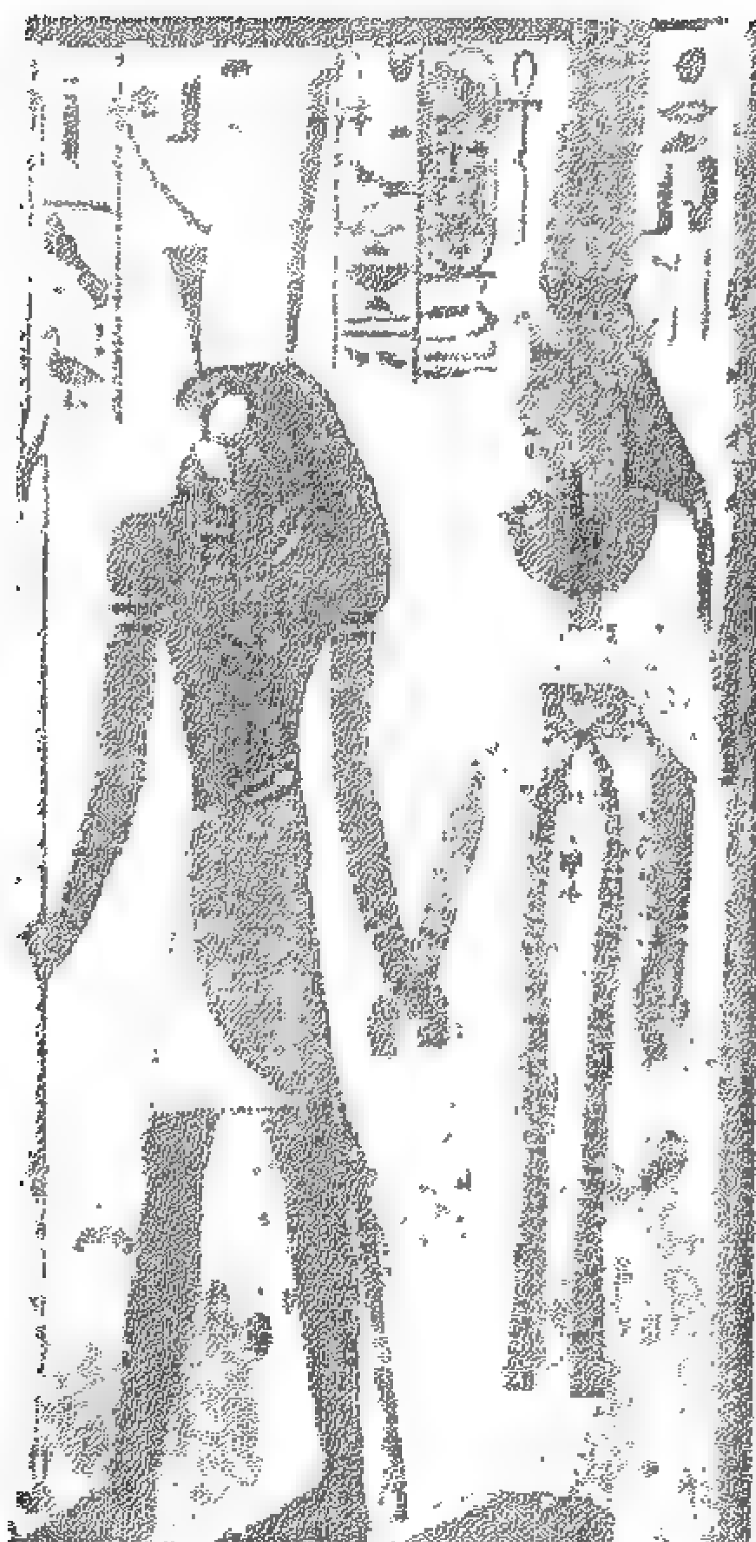
مسقط رأسى وأفقى للقبر الجنائزى الخاص بنفرتارى .



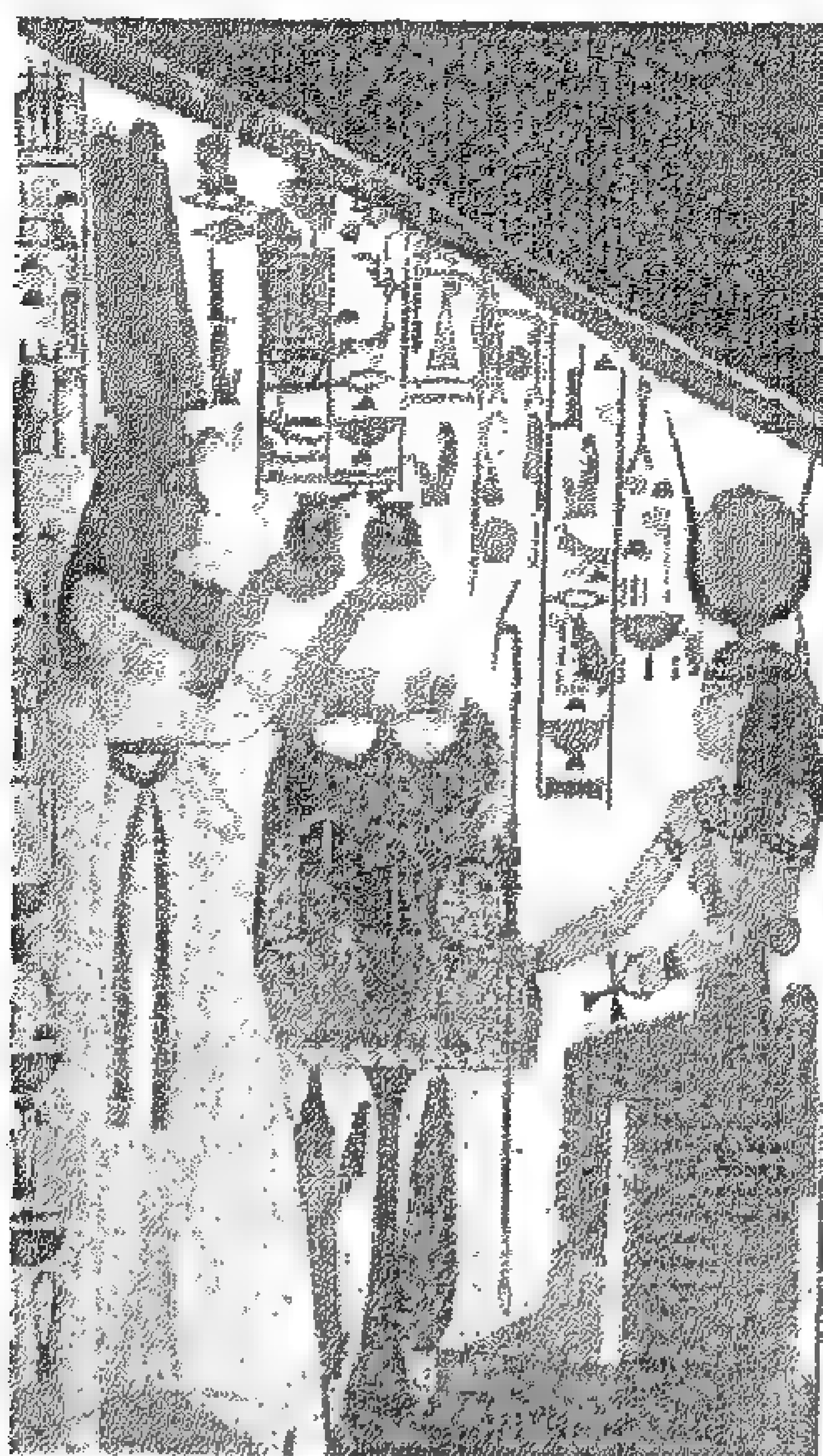
" إيزيس " و " نفتيس " تقومان بتحويل " نفرتارى – أوزيريس " إلى " نفرتارى – الشمس ".



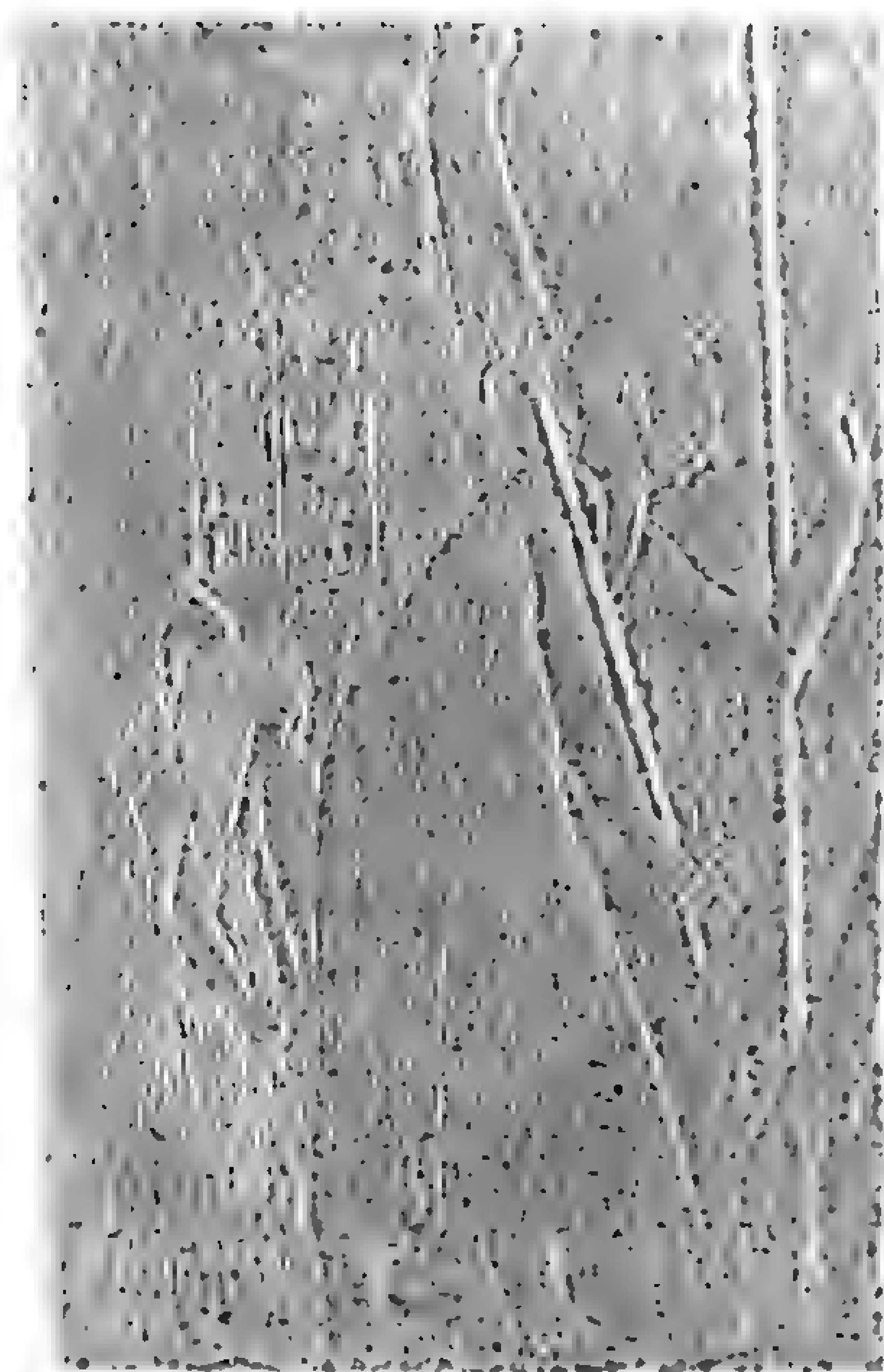
منظر عام لحجرة الدفن بالمستوى الأول : الكهنة المكلفون بأداء الطقوس . وفى العمق اثنان من الأعمدة الأربعة ، مزخرفان بصورة العمود " جد " – مقبرة نفرتارى .



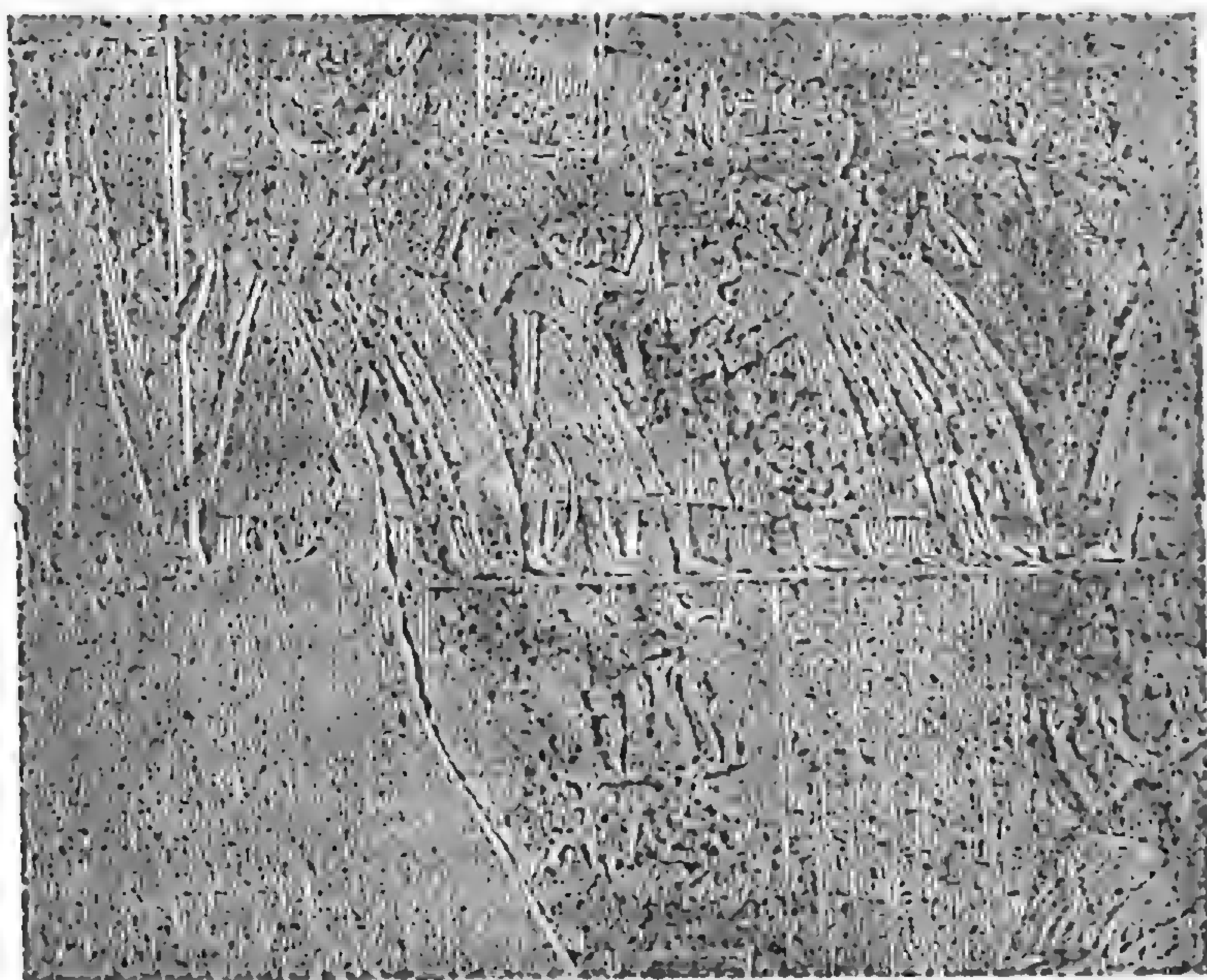
الملكة يقودها " حورس » بن إيزيس .



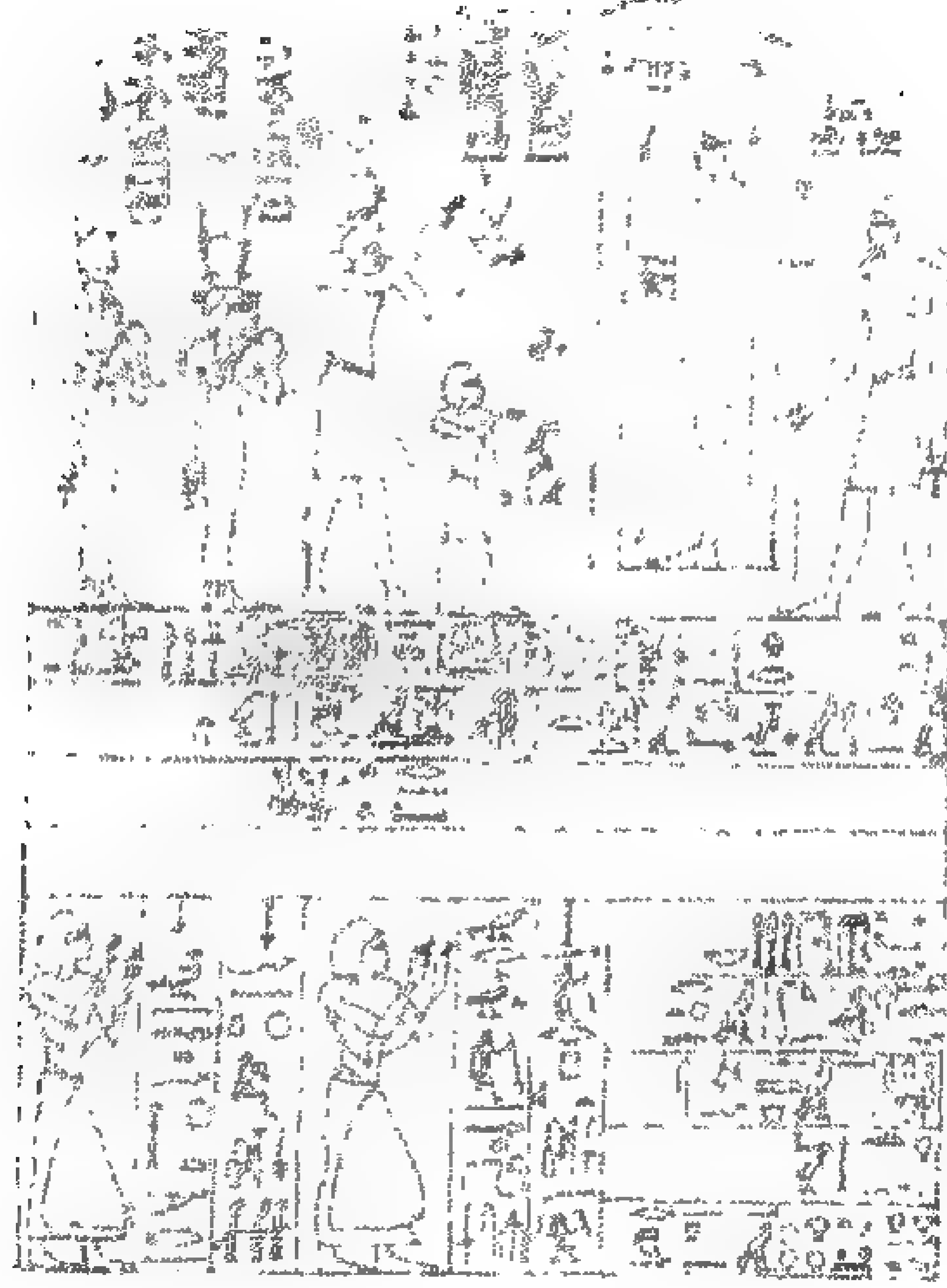
نفرتارى تقدم نبيذ النشوى الإلهية إلى " حتحور " تعبيرا عن المرور من حالة الموت إلى الحياة.



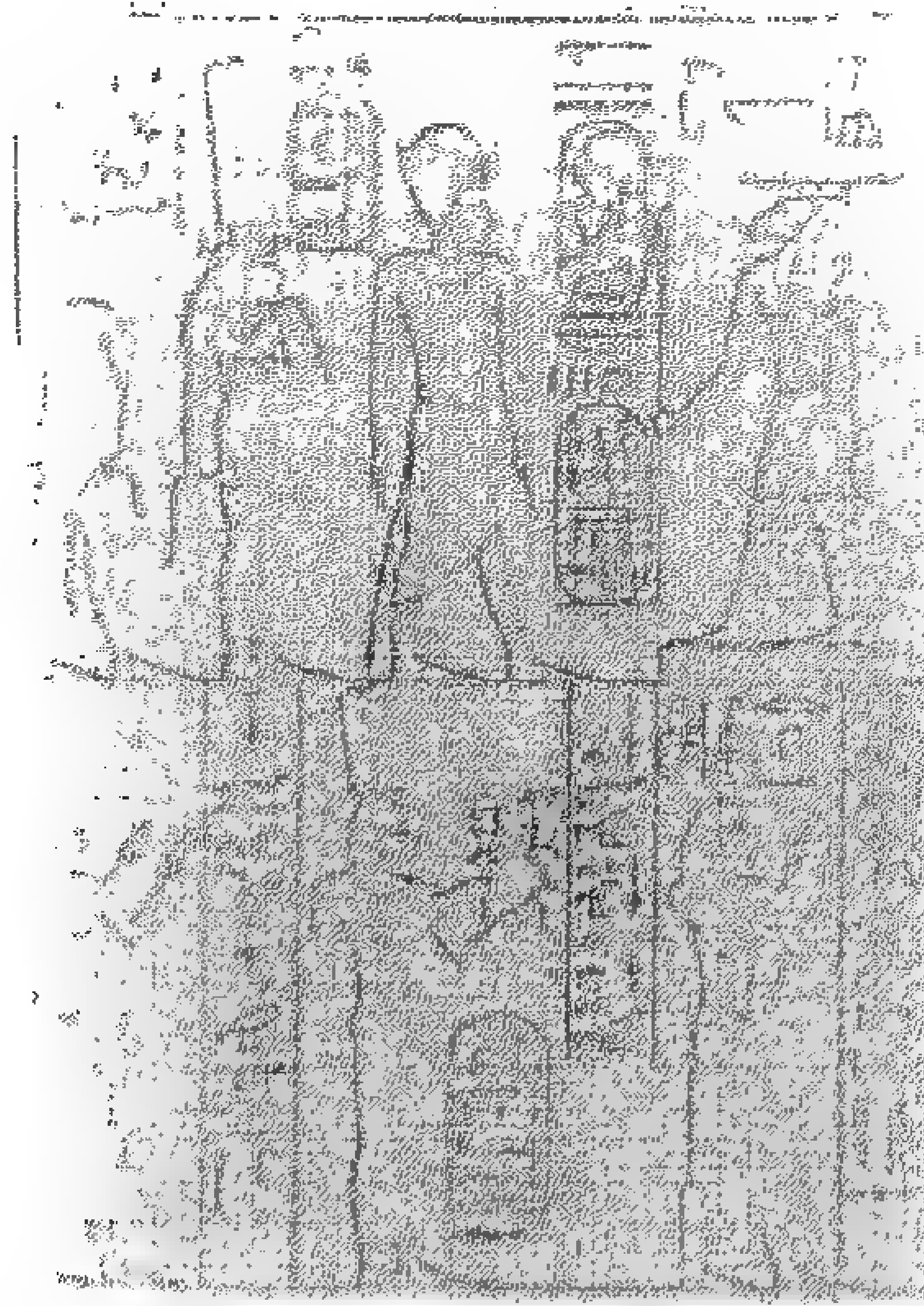
" باسر بصحبة مركب آمون " .



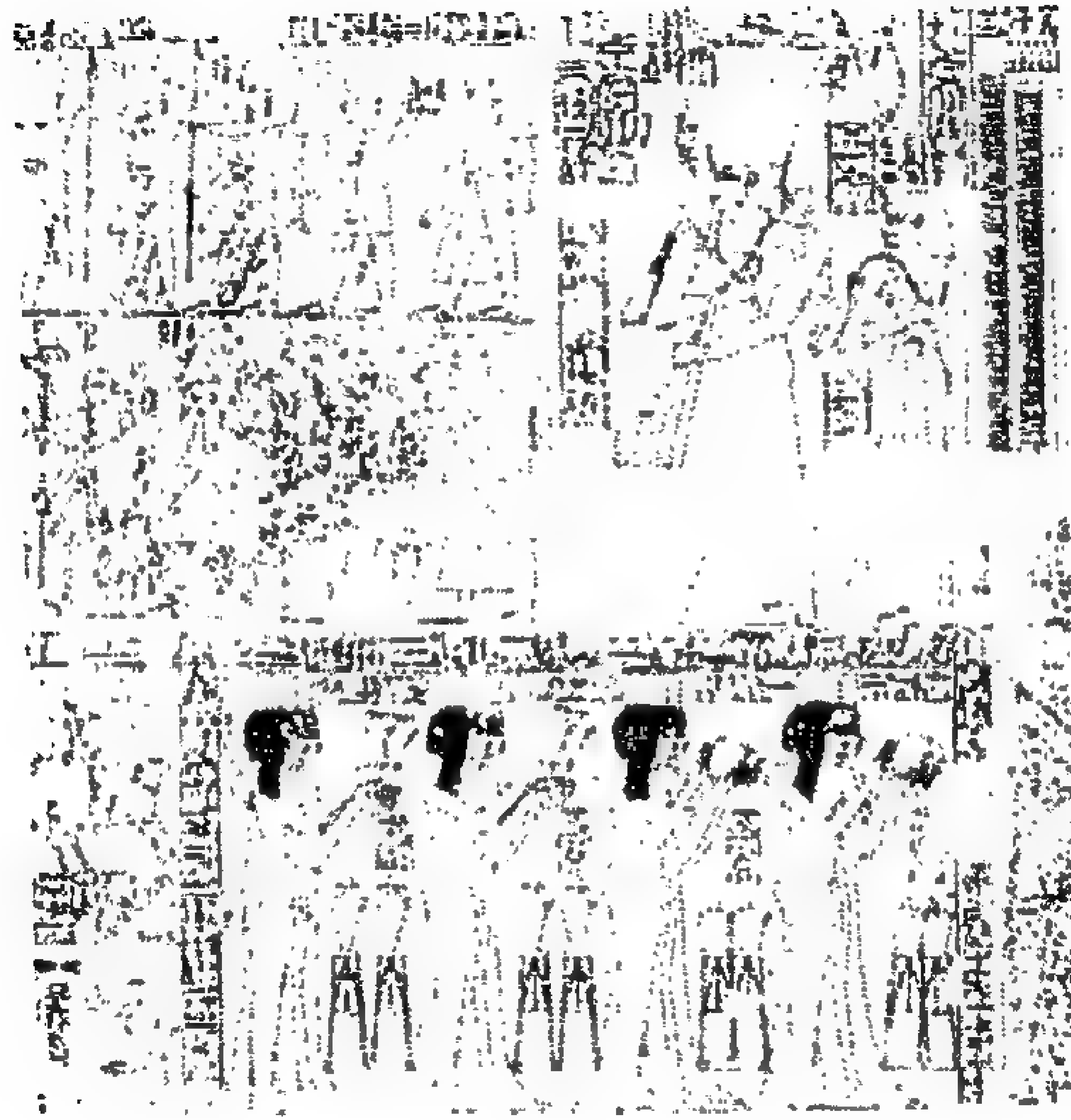
خلال " عيد الوادى الجميل " يقوم رمسيس بتبخير مركب آمون ، يتبعها الوزير " باسر " .



كهف " جبل السلسلة " الملك يقدم لـ " بتاح " قربان على هيئة الإلهة ماعت وأمامه نجد " خع إم واست" . وخلفه تقف الزوجة الملكة المعظمة إيزيس – نفرت والأميرة بنت عنات وفى الصف الأسفل القائد رمسيس ومرنبتاح

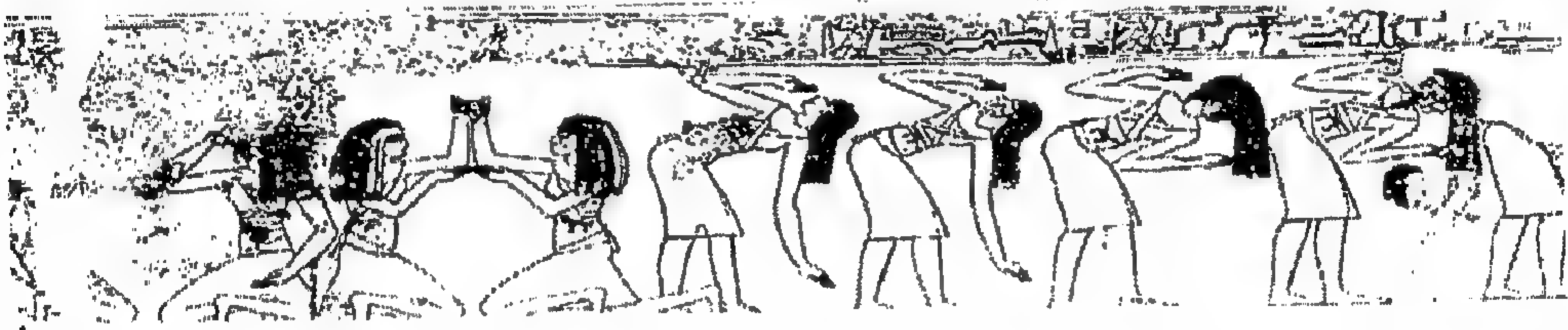


نقوش فوق أحد صخور أسوان تمثل رمسيس ، و" إيزيس – نفرت "و" خع إم واست " والقائد الأعلى رمسيس ، والأميرة بنت – عنان ، والأمير مرنبتاح وهم يؤدون فروض الإجلال " لخونسو " إله الشلال .



" باسر " يبتهل إلى " حتحور " بناحية الغرب " التى تستقبل رمسيس .

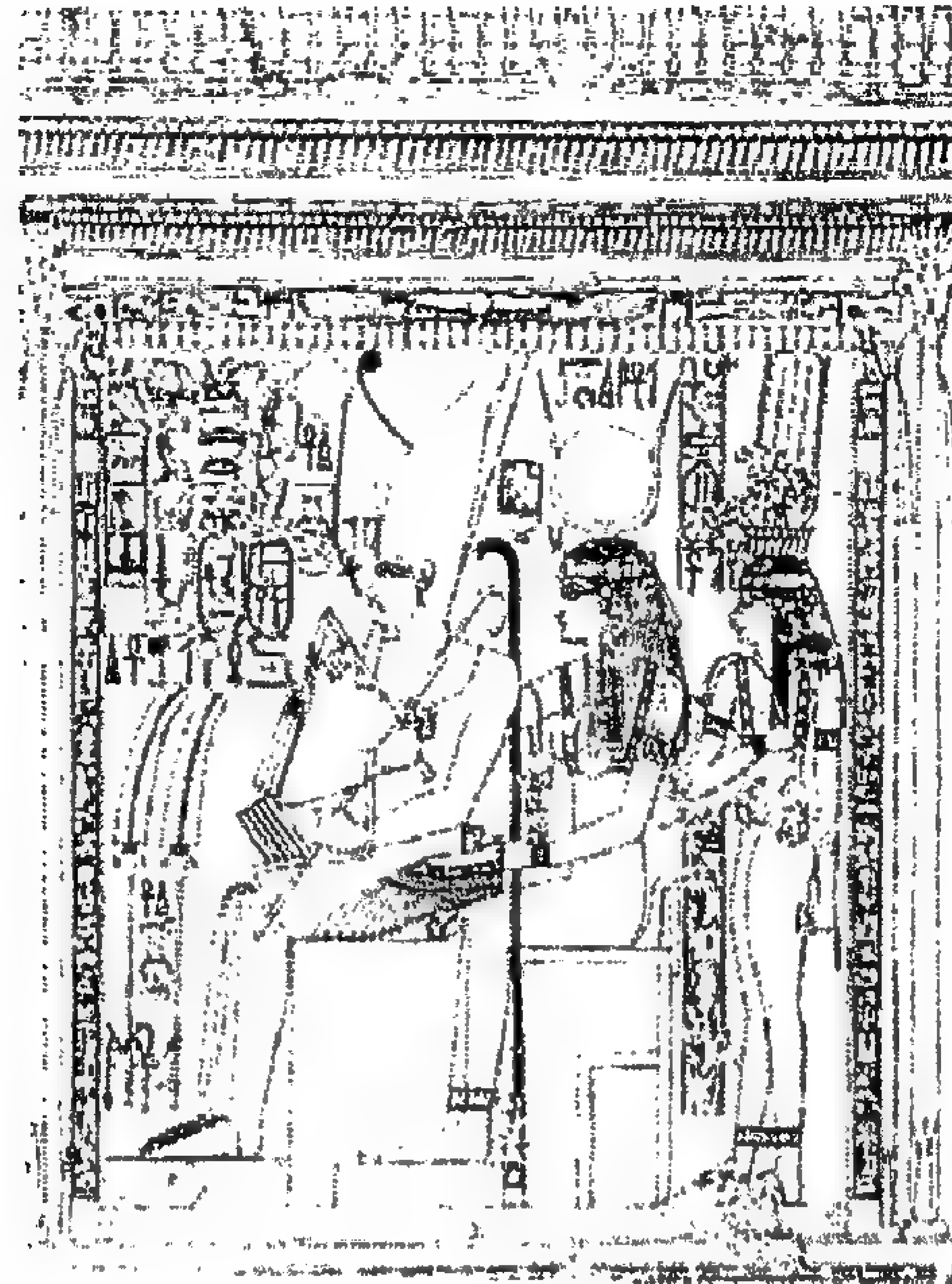




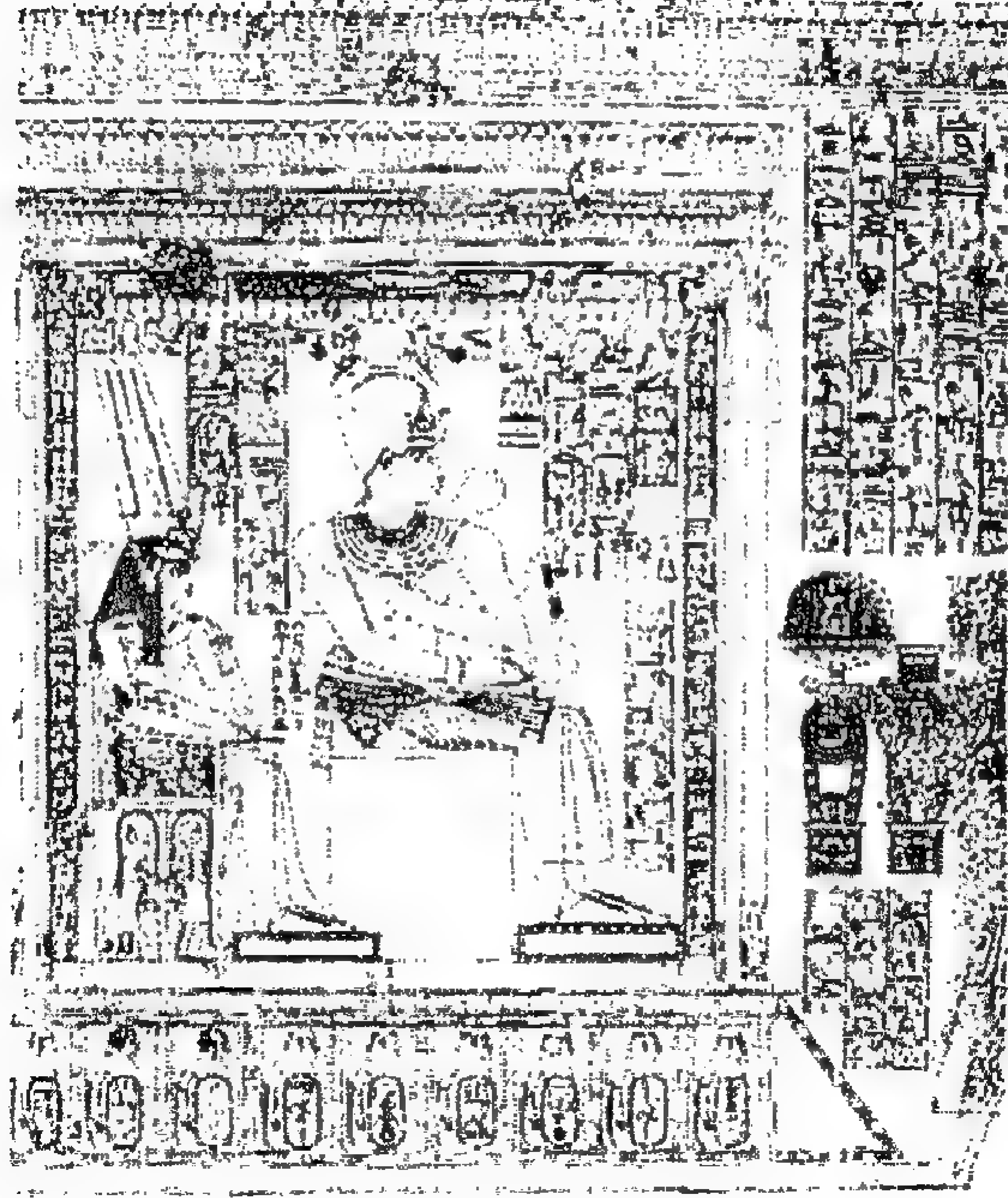
الملك والملكة يغادران موقع مراسم الاحتفال اليوبيلى بعد انتهائها ويستقلان مركب الليل . فى الجزء السفلى : رقص شعائرى لنساء من الواحات .



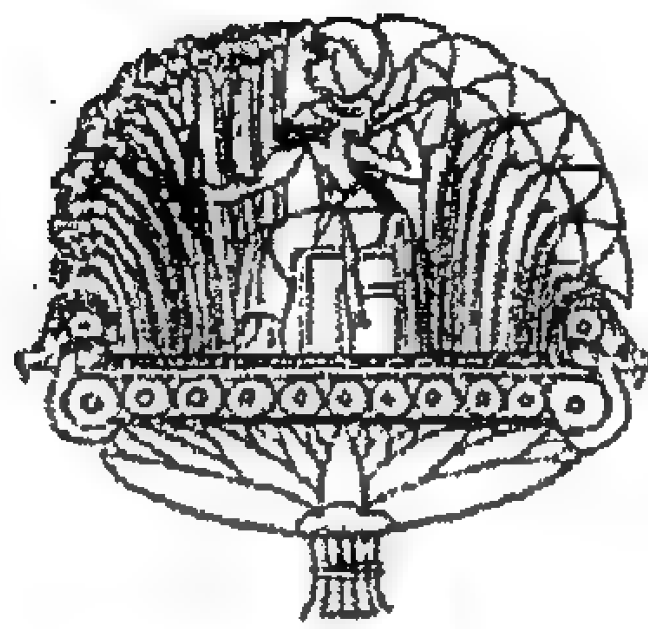
الملك والملكة يتوجهان لحضور المراسم اليوبيلية ، وفى المستوى السفلى : مراسم سكب اللبن : تقوم بها بعض " المنتيو " ( بنات الأمراء والأجانب )



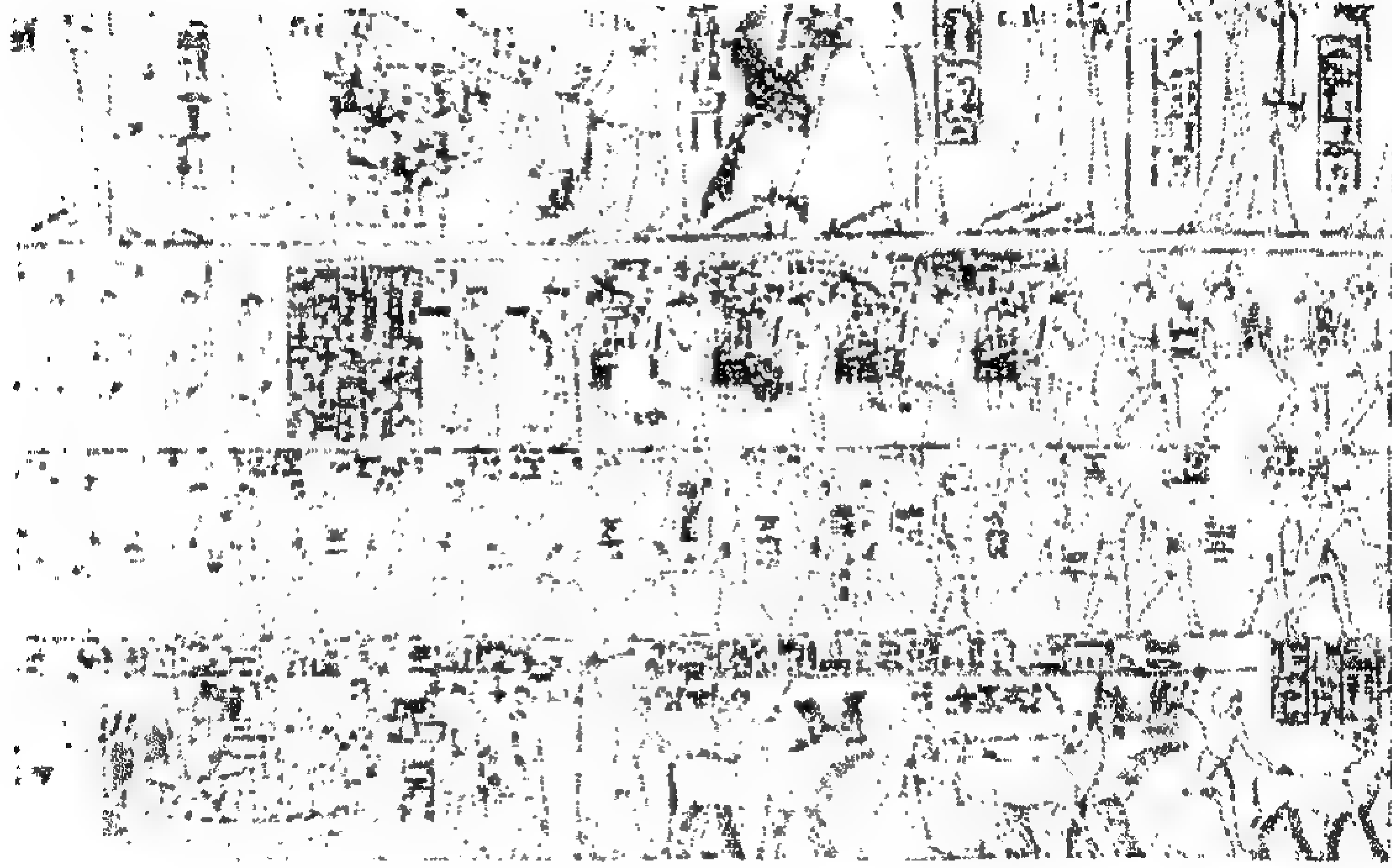
الفرعون مرتديا الملابس اليوبيلية وإلى جواره حتحور "، والملكة فى هيئة " سوتيس " .



الملك والملكة يكرمان بإهدائهما الأواني الشعائرية .



الكأس الشعائرى ، عليه شكل للملك وقد عمل النباتان على إنعاشه وتجديده



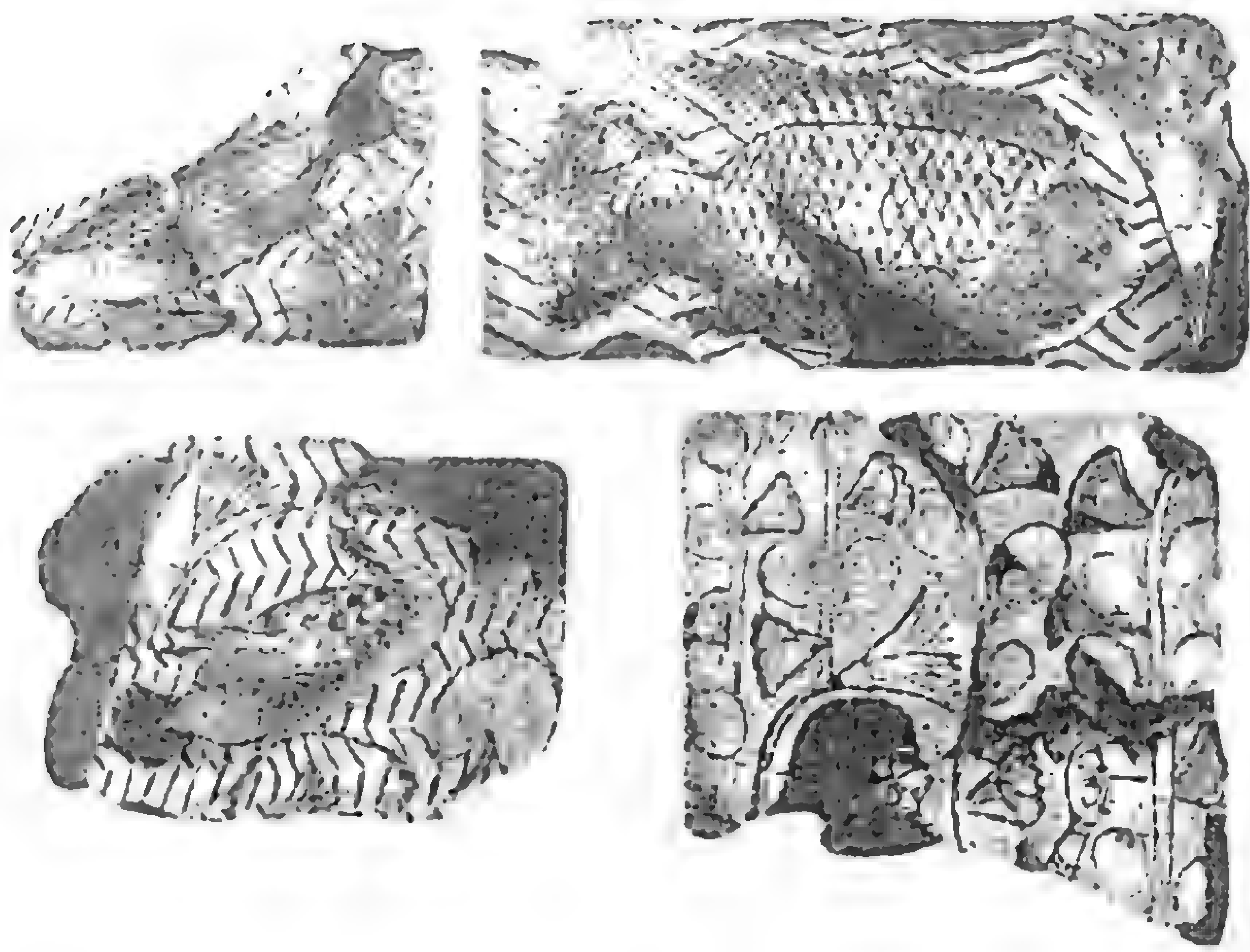
الفرعون بصحبة الملكة يقوم بنصب العمود جد – والأميرات يعزفن بالصلاصل



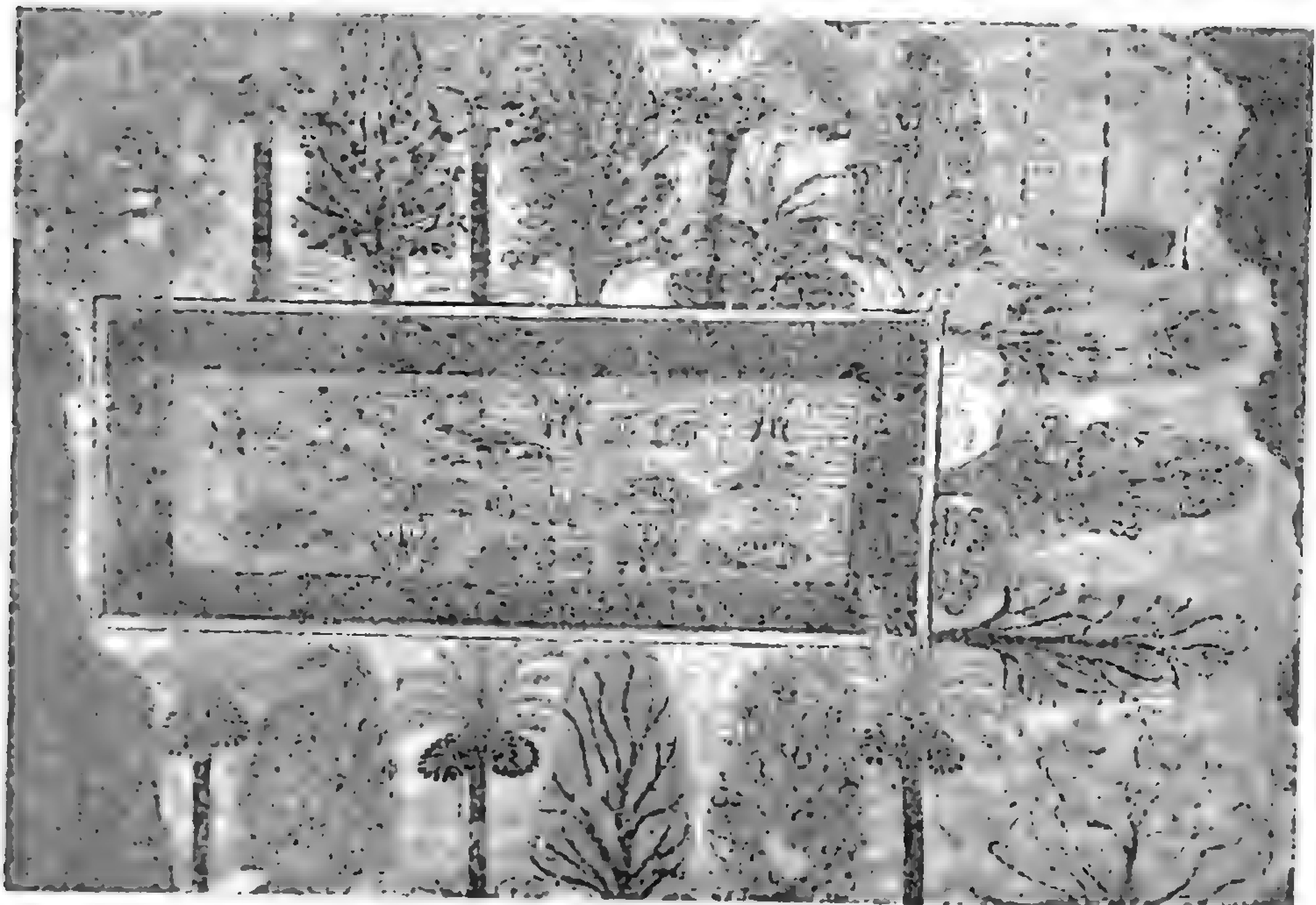
الفرعون يبتهل إلى أوزيريس – دجو .



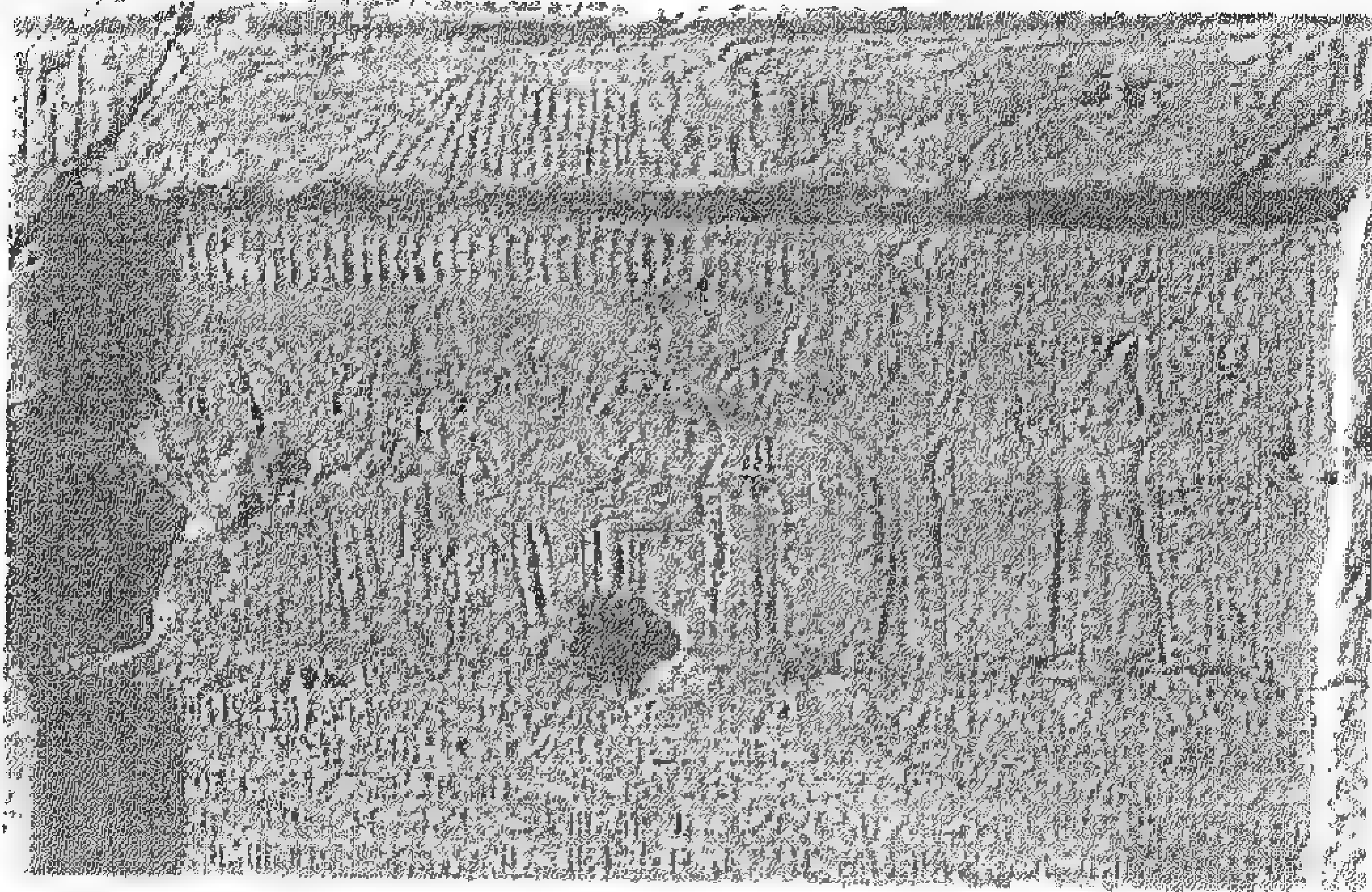
مومياء رمسيس الثانى .



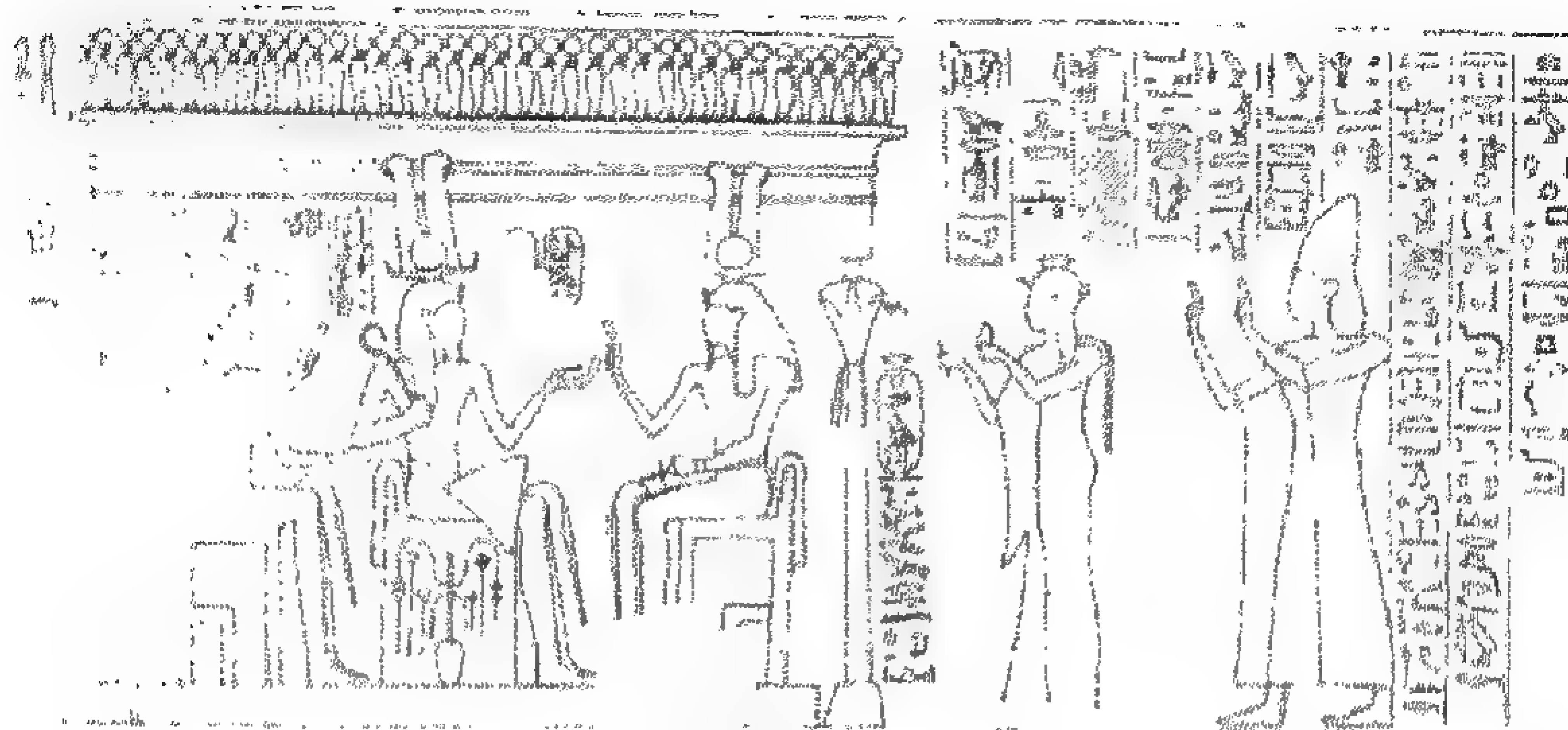
بعض البلاطات عليها رسوم عثر عليها فى " بر – رمسيس ( من الطين المحروق الملون ).



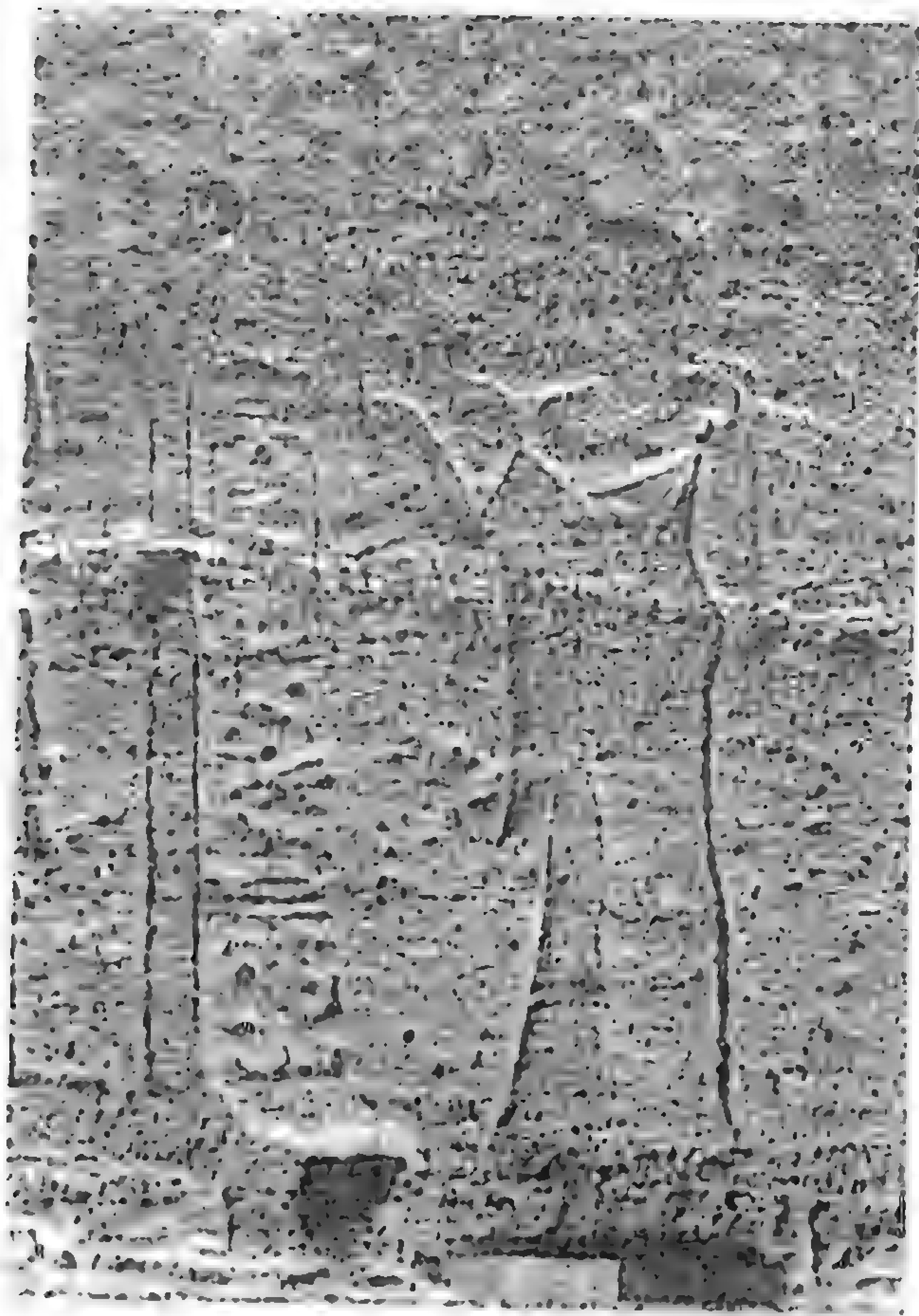
رسوم ترجع إلى « الدولة الحديثة " تمثل حديقة مصرية تقليدية .



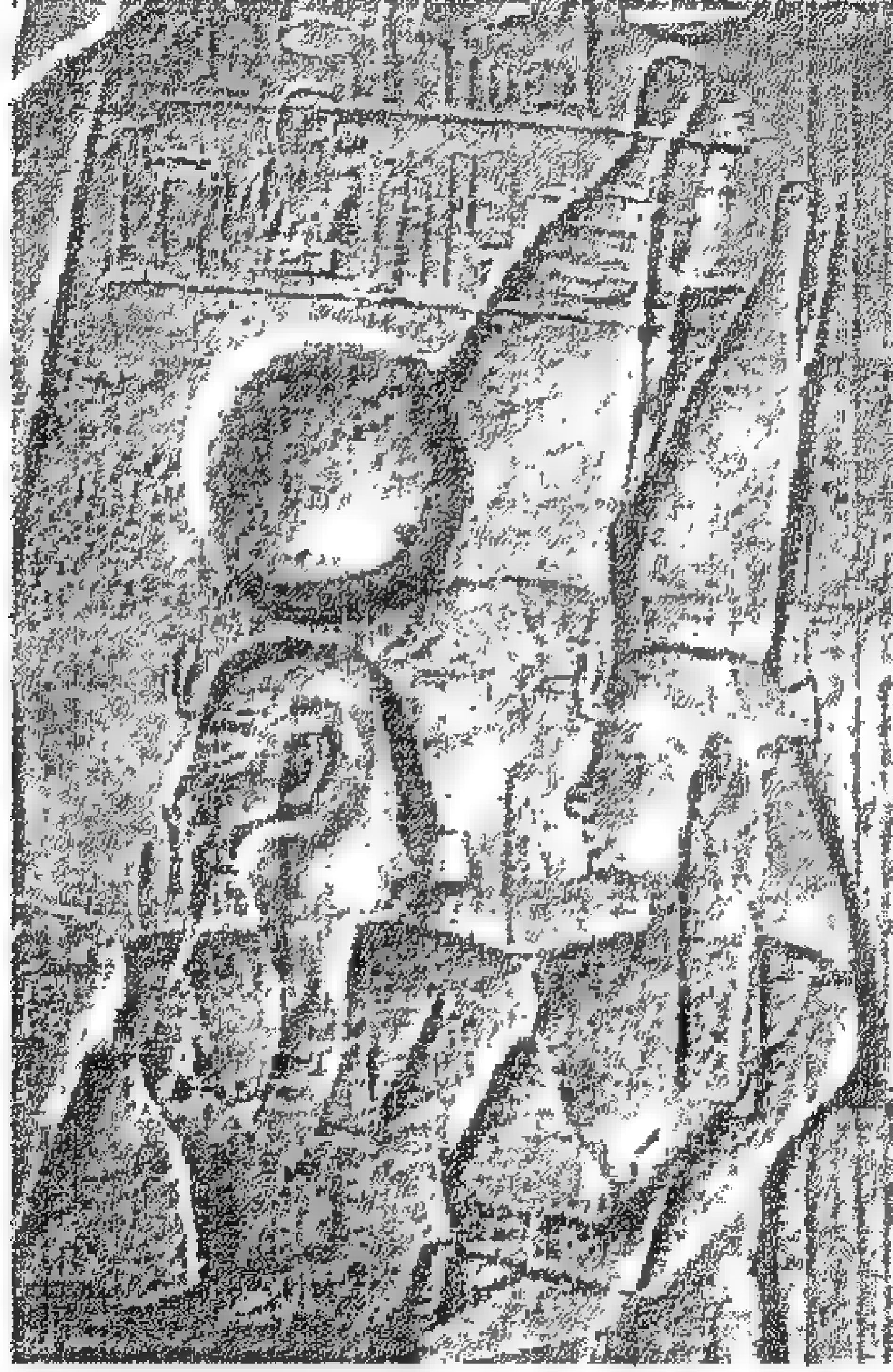
قمة لوحة الزواج بأبو سمبل .



رسم يعبر" عن احتفال الزواج وترى الأميرة الحيثية بصحبة والدها الملك " هاتوسيل وهى تتقدم نحو قاعة العرش حيث جلس رمسيس الثانى وقد أحاط به كل من " ست " وبتاح تاتنن " .



أبو سمبل : المجال الخارجي للمعبد الكبير – ونرى " لوحة الزواج " .



نقش يبين أن الإلهة " موت " قد حُركت من مكانها إلى الخلف لتفسح مكانا للملك رمسيس الثانى ليجلس كإله . " ( معبد أبو سمبل ) .



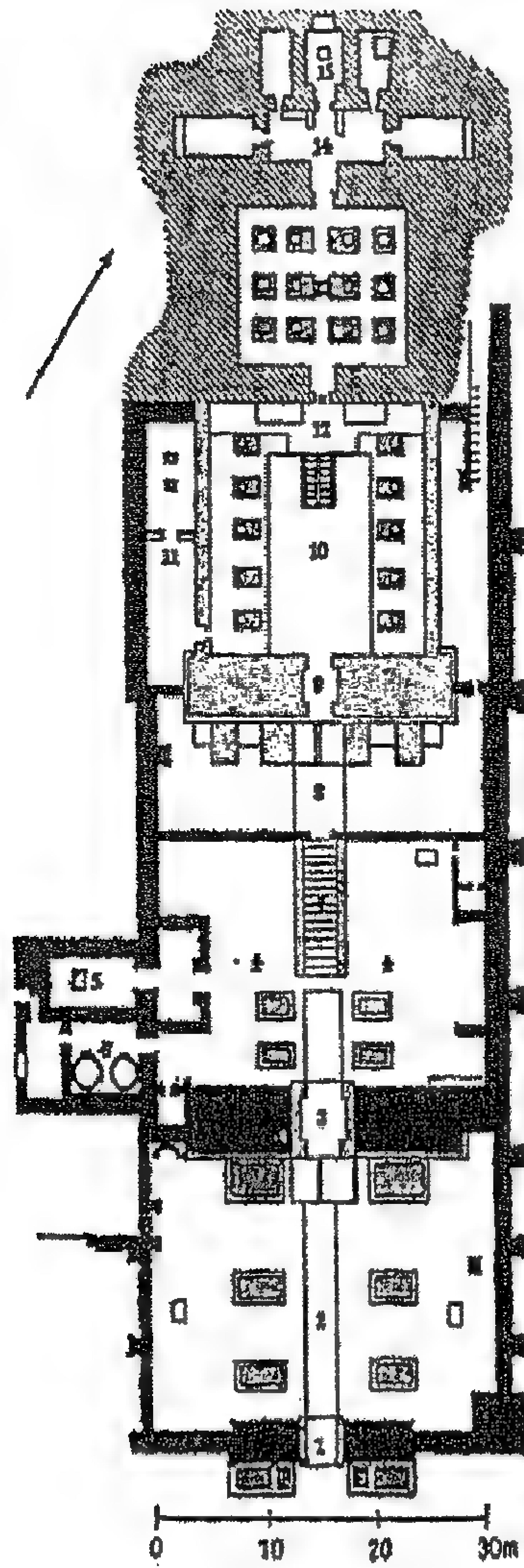
منظر لرمسيس الثانى يجلس بين الآلهة على أحد جدران معبد " وادى السبوع " .



تفصيل الجزء الجنوبى لطريق السبوع .



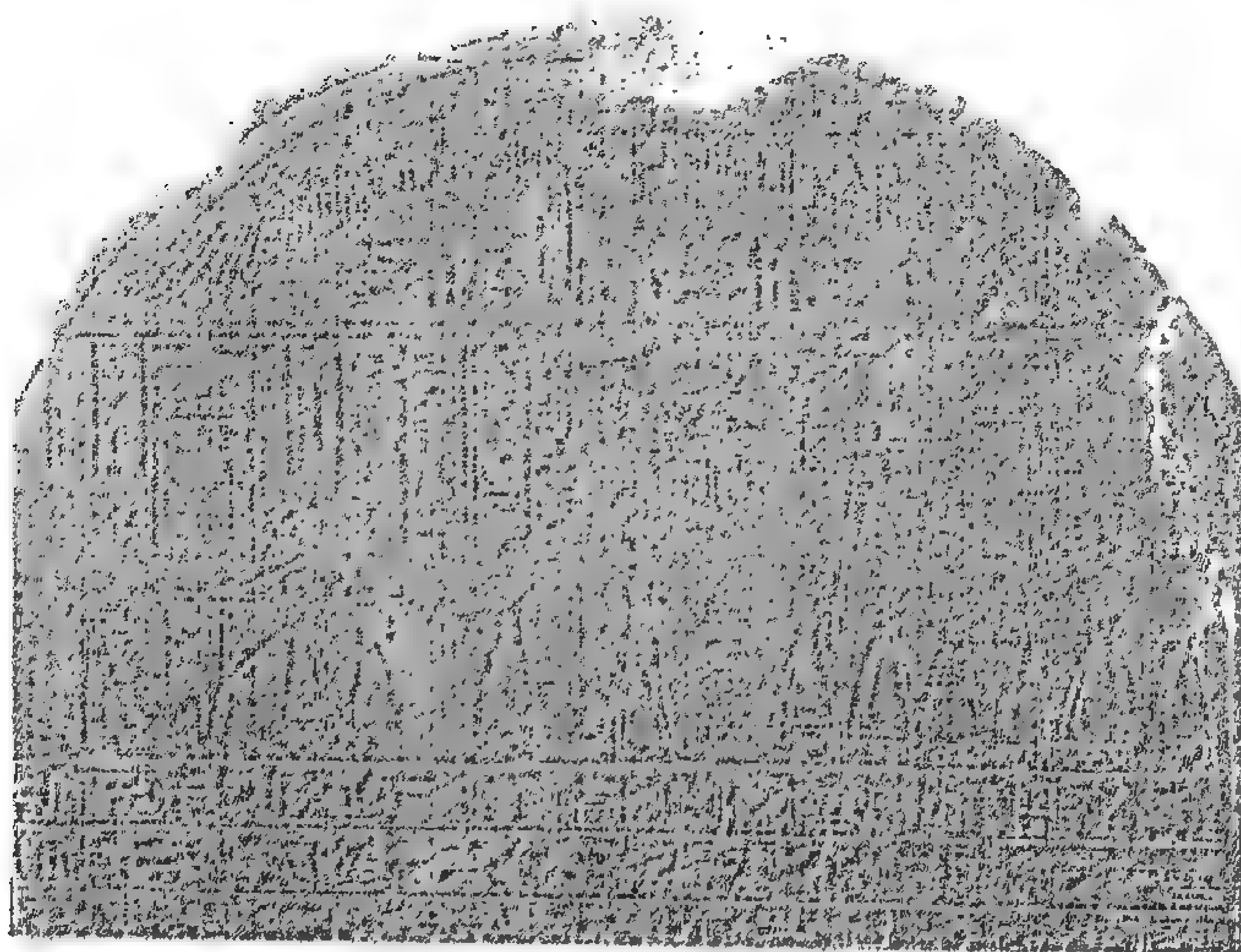
منظر لواجهة معبد " وادى السبوع " .



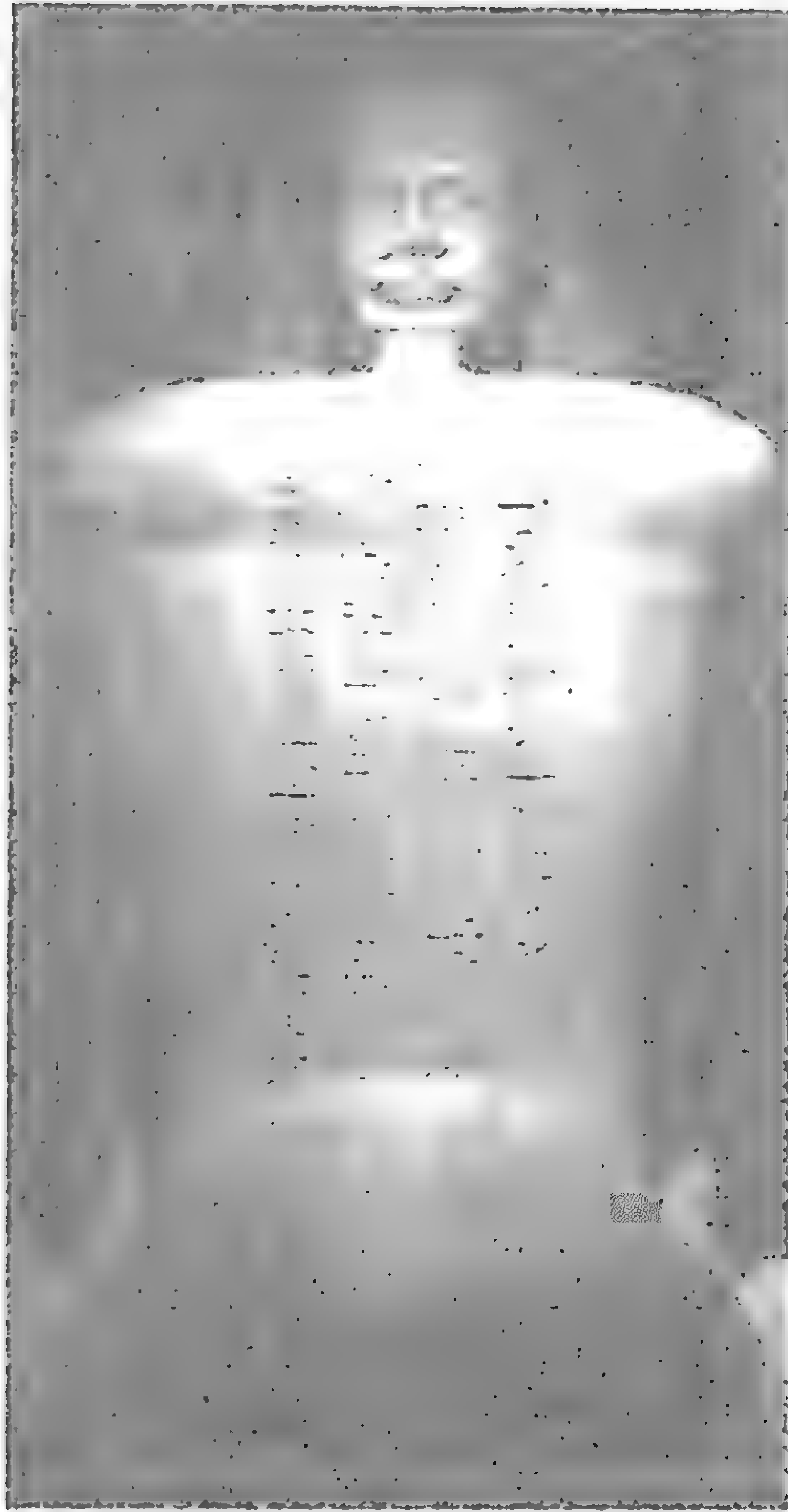

خريطة معبد " وادى السبوع " .



الملك يصطحب القارب المقدس ( معبد : الدر )



الجزء العلوى من لوحة " باختان " ( العصر المتأخر ) .



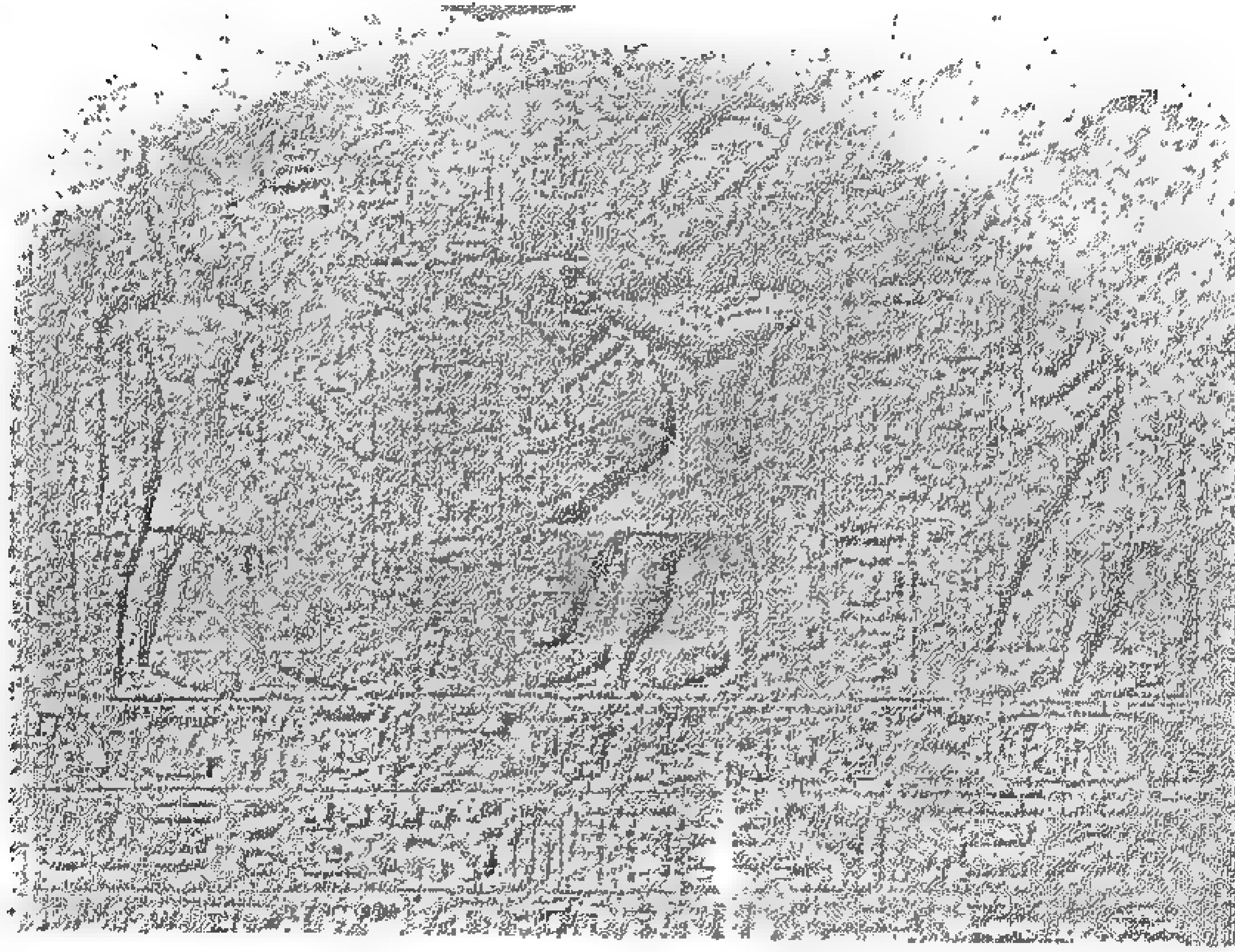
تمثال باك إن خونسو كبير كهنة آمون . ( المتحف المصرى بالقاهرة) .



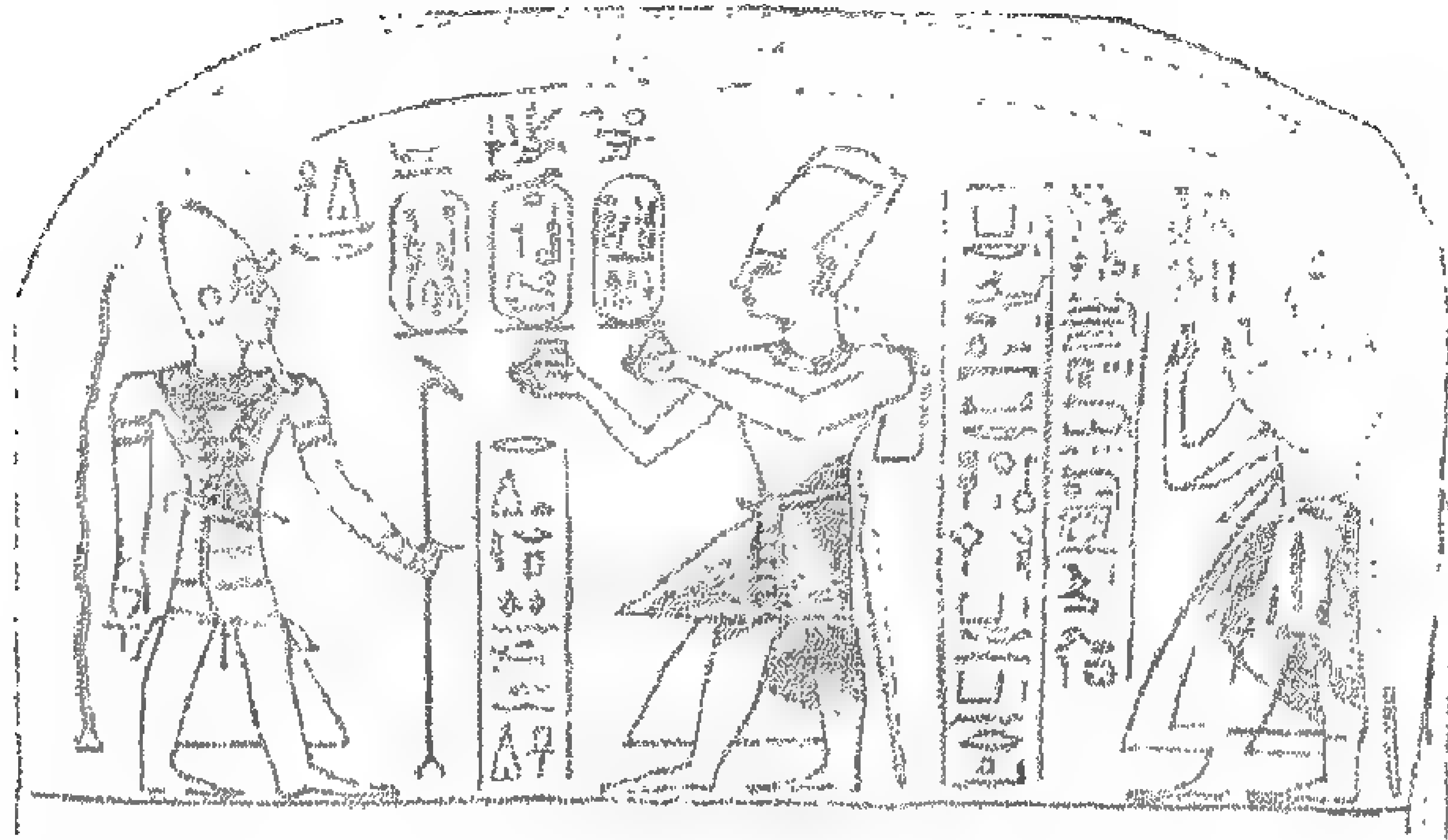
الكتابة الرمزية رع = قرص الشمس ، مس = الابن الملكى ، سو = النبات الذى يمسكه بيده



" حورس خورون " يشمل بحمايته " رعمسو " وقد كتب اسمه رمزيا .



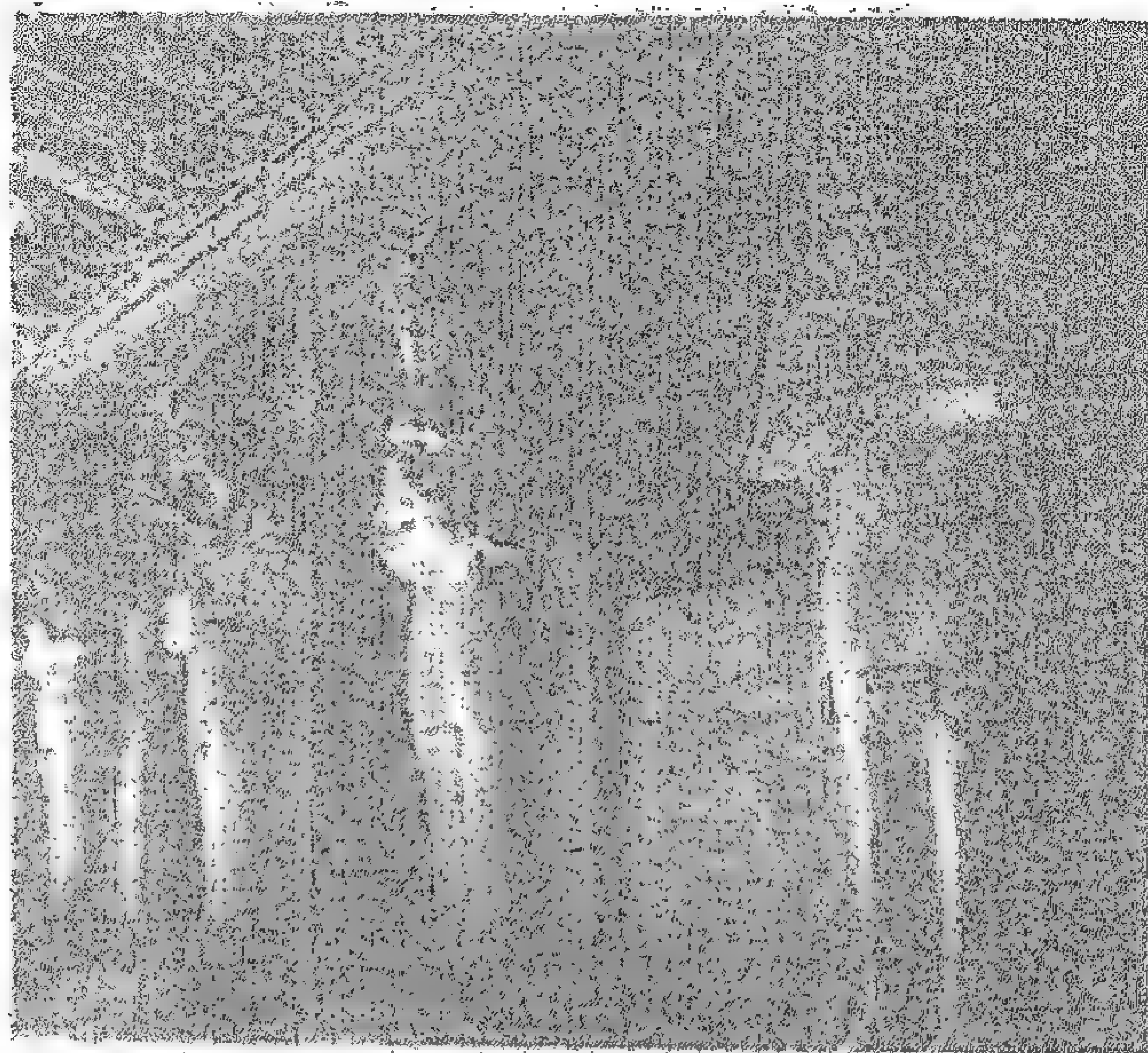
الجزء السفلي من لوحة " العام " ٤٠٠ " .



رمسيس الثاني وقد تبعه أول من لقب باسم : "سيتي " من أولاده ، ويرى الملك متعبداً للإله " ست – بعل " .




خريطة الطريق الذى سلكته الأميرة الحيثية من "حاتوسا : إلى " بر – رمسيس " .



معبد أبو سمبل الكبير من الداخل ويرى مرسوم " بتاح " فيما بين العمودين الأوزيريين الجنوبيين .



بنت عنات تقدم قرابين للإلهة " ماعت "



تمثال نصفي متعدد الألوان للملكة " مريت آمون " .



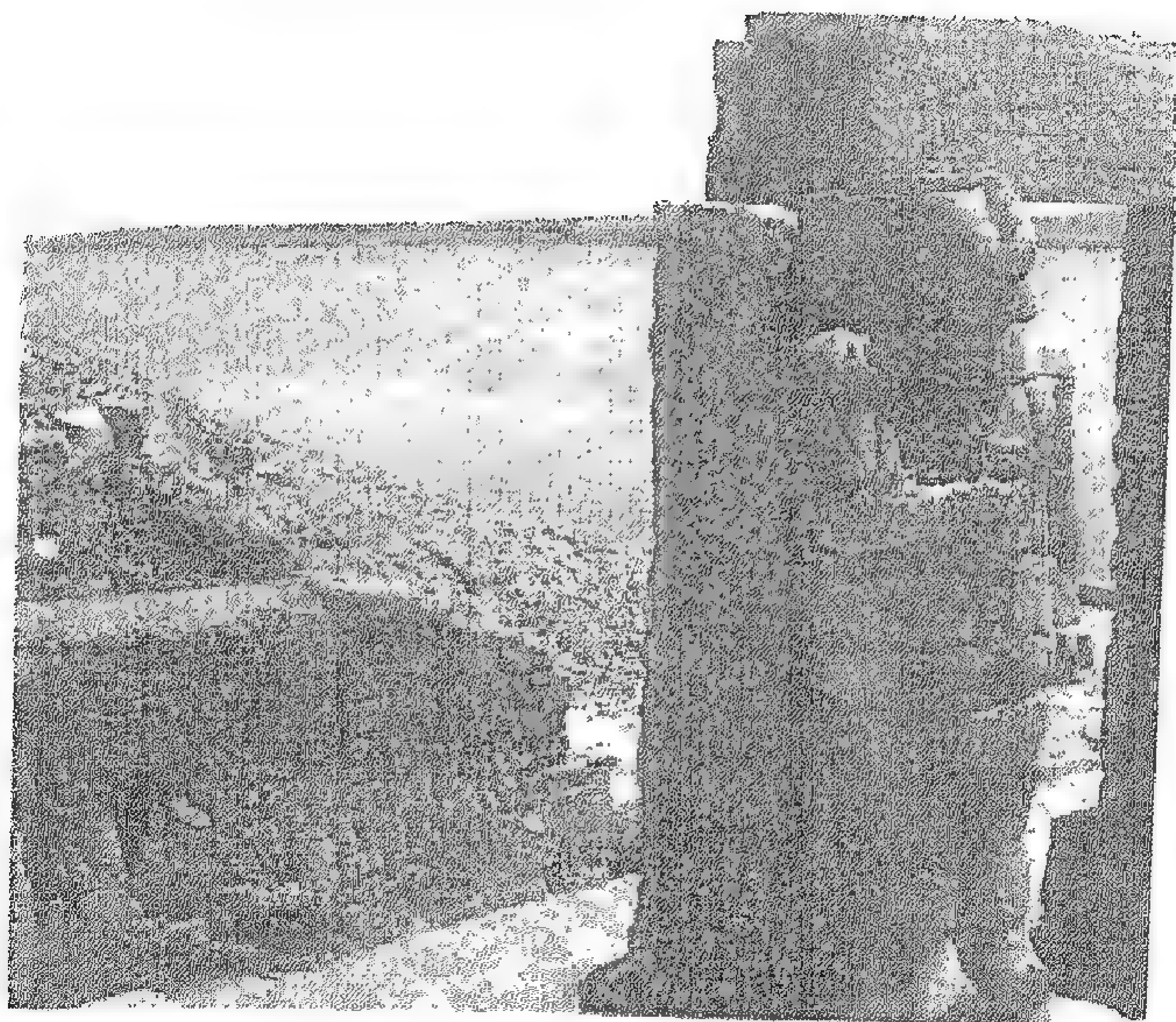
الزوجة الملكية " بنت عنات " وخلفها ابنتها التى أنجبتها من رمسيس الثانى .



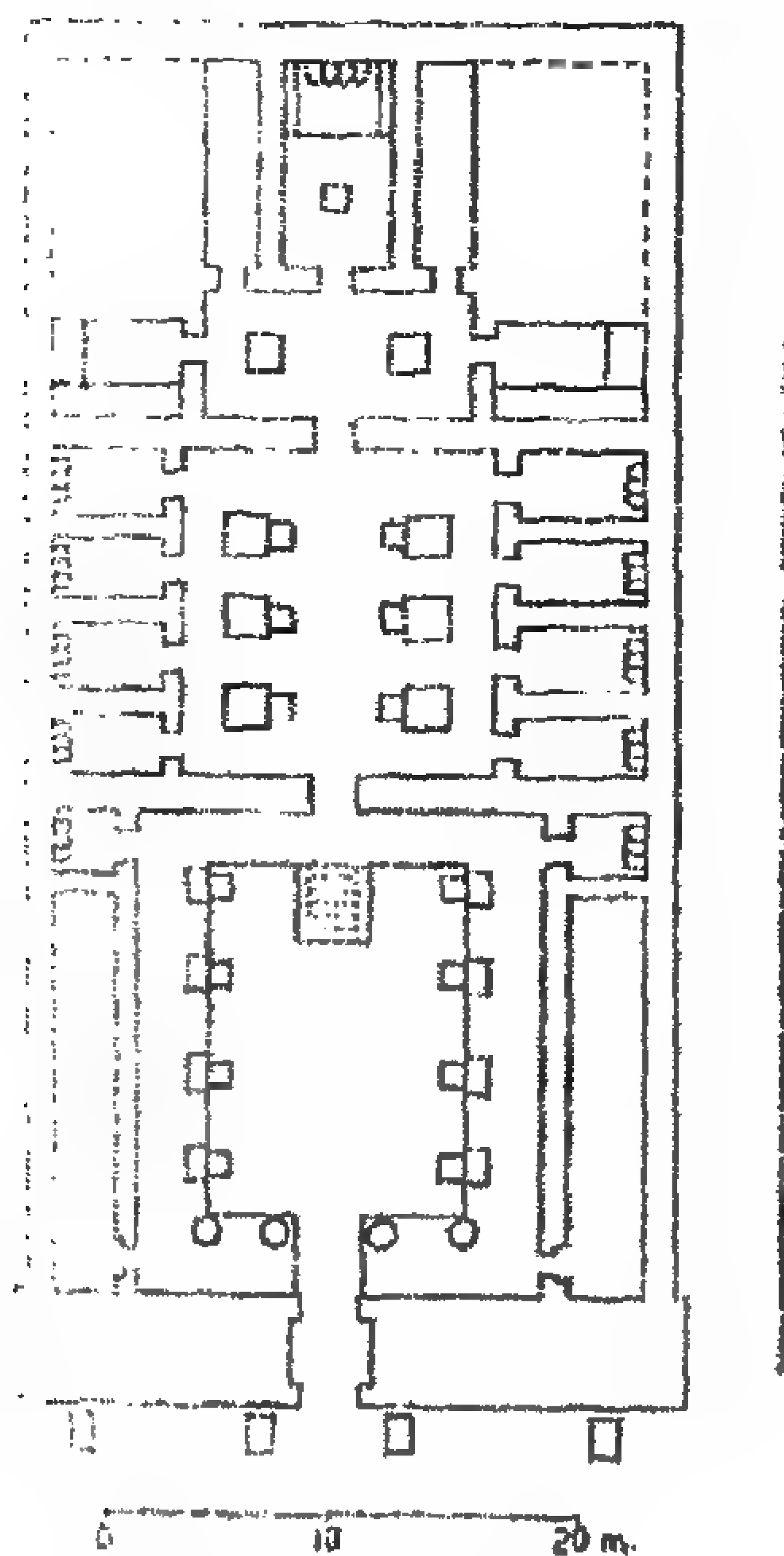
بعض تفاصيل أحد الأعمدة الأوزيرية يمثل الملك رمسيس الثانى - معبد جرف حسين



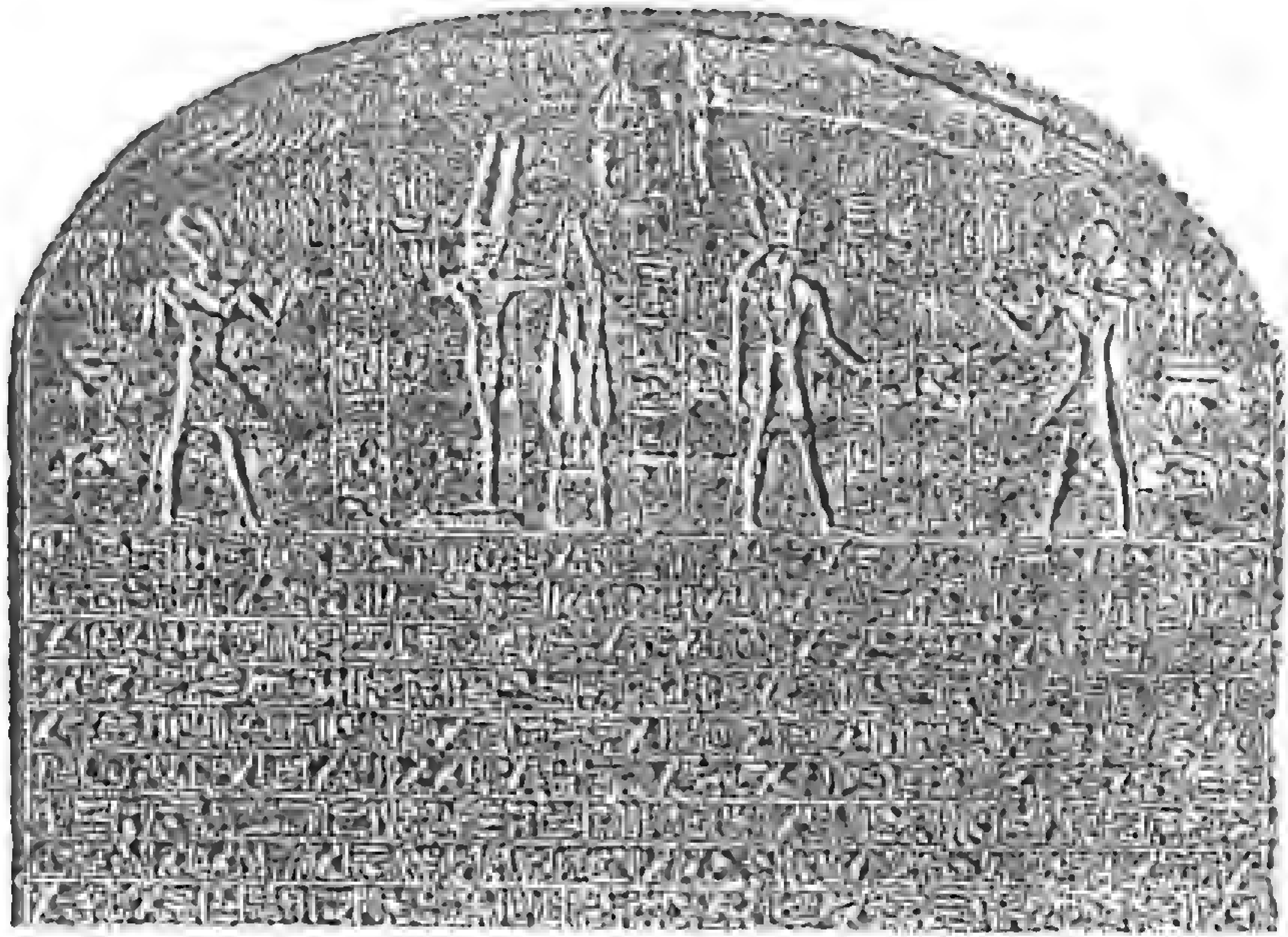
قاعة الأعمدة الأوزيرية بمعبد " جرف حسين "



المقدمة المطلة على النيل من معبد جرف حسين .




خريطة معبد " جرف حسين" .



قمة لوحة كوبان التى تومئ إلى معجزة حفر بئر مياه فى" وادى العلاقى ، المؤدى إلى مناجم الذهب.



ابو سمبل : رمسيس يشن هجوما ضد الآسيويين ( كليشيه: فتحى إبراهيم )



رمسيس الثانى فى مرحلة صباه ، وقد توج شريكا فى الحكم مع أبيه .



وجه التابوت الخاص برعمسيس الأول وقد أعيد به دفن رعمسيس الثانى مرة أخرى . ( متحف القاهرة)



سيتى الأول يصعد إلى مركبته الحديثة – الكرنك . (كليشيه " أبللود )



أربعة تماثيل عملاقة بواجهة معبد أبو سمبل الكبير .

المؤلفة فى سطور :

## كريستيان ديروش نوبلكور

من أشهر علماء المصريات فى العالم .

حاصلة على " نيشان الشرف " ، و" وسام المقاومة " ، " والميدالية الذهبية " من المركز القومى البحوث العلمية الفرنسى "والوسام الفضى الأعلى " من هيئة " اليونسكو " .

تبوأت منصب " رئيس قسم المصريات بمتحف اللوفر بباريس .

قدمت الكثير من الأعمال المهمة ، منها : " المرأة الفرعونية " ؛ " النوبة العظمى" ، "توت عنخ آمون " ؛ حتشبسوت ؛ عظمة وسحر وغموض " ؛ " رمسيس الثانى فرعون المعجزات " ؛ " أسرار معابد النوبة " ؛ " ميراث مصر الأسطورى . ومعظمها ترجمتها بمصر إلى العربية المترجمة فاطمة عبد الله محمود ( إصدار المجلس الأعلى للثقافة ) .. وفى ستة عشر دولة أخرى بأنحاء العالم .

المترجمة فى سطور:

## فاطمة عبد الله محمود

حاصلة على ليسانس آداب لغة فرنسية بدرجة جيد جدا – جامعة القاهرة .

مترجمة أولى لغة فرنسية برئاسة الجمهورية .

ترجمت الكثير من كتب الحضارة الفرعونية العريقة مثل « المرأة الفرعونية " لكرستيان ديروش نوبلكور ، و« السحر والسحرة عند الفراعنة "لإيفان كونج ؛ و "الحياة اليومية للآلهة الفرعونية لأندريه ميكس" ؛ و"غرام الفراعنة لڤيولين ڤانويك ، و"حتشبسوت الملكة الفرعون "لسوزان راتييه" و"رمسيس الثالث قاهر جيوش البحر "، و"الفرعون" لإيڤ "مارى آنج .. وأحدثها الإسكندرية ملكة الحضارات لمجموعة من كبار علماء المصريات الفرنسين . وأخيرا : "موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية ": لچاك تبيُو ، و "حب وبطولات فرعونية لڤيولين فانويك و"الفن والحياة فى مصر الفرعونية . " كلير لالويت " . و"حتشبسوت .. عظمة وسحر وغموض " ، لـ كريستيان ديروش نوبلكور .

المراجع فى سطور:

## محمود ماهر طه

حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليون بفرنسا فى الآثار المصرية عام ١٩٨٢

تولى مناصب علمية عديدة فى المجلس الأعلى للآثار منذ عام ١٩٦٣ منها رئيس مركز المعلومات ورئيس مركز تسجيل الآثار المصرية.

قام بالتدريس بالجامعات المصرية خاصة جامعة حلوان بكلية السياحة والفنادق للتاريخ الفرعونى والديانة المصرية القديمة باللغتين الفرنسية والعربية، وكذلك بكلية الفنون الجميلة وجامعة الزقازيق (المعهد العالى لدراسات الشرق الأدنى القديم).

قام برئاسة بعثات علمية مشتركة يمثل فيها الجانب المصرى مع المركز القومى للبحوث الفرنسى فى تسجيل آثار النوبة والأقصر.

قام بإلقاء العديد من المحاضرات العامة فى باريس ولاهاى وكندا عن الحضارة المصرية.

أشرف على العديد من المعارض الدولية عن الآثار المصرية فى باريس وميونخ وشيكاغو وفينسيا.

كان مقرراً للمؤتمر الدولى الخامس للآثار المصرية المنعقد بالقاهرة عام ١٩٨٦

قام بتأليف وترجمة ومراجعة العديد من الكتب والمقالات عن الآثار المصرية بالعربية والفرنسية والإنجليزية.

# المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

# المشروع القومى للترجمة

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١- | اللغة العليا | چون كوين | أحمد درويش |
| ٢- | الوثنية والإسلام (ط١) | ك. مادهو بانيكار | أحمد فؤاد بلبع |
| ٣- | التراث المسروق | چورچ چيمس | شوقى جلال |
| ٤- | كيف تتم كتابة السيناريو | إنجا كاريتنيكوڤا | أحمد الحضرى |
| ٥- | ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | محمد علاء الدين منصور |
| ٦- | اتجاهات البحث اللسانى | ميلكا إڤيتش | سعد مصلوح ووفاء كامل فايد |
| ٧- | العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | يوسف الأنطكى |
| ٨- | مشعلو الحرائق | ماكس فريش | مصطفى ماهر |
| ٩- | التغيرات البيئية | أندرو. س. جودى | محمود محمد عاشور |
| ١٠- | خطاب الحكاية | چيرار چينيت | محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى |
| ١١- | مختارات شعرية | ڤيسوافا شيمبوريسكا | هناء عبد الفتاح |
| ١٢- | طريق الحرير | ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك | أحمد محمود |
| ١٣- | ديانة الساميين | روبرتسن سميث | عبد الوهاب علوب |
| ١٤- | التحليل النفسى للأدب | چان بيلمان نويل | حسن المودن |
| ١٥- | الحركات الفنية منذ ١٩٤٥ | إدوارد لوسى سميث | أشرف رفيق عفيفى |
| ١٦- | أثينة السوداء (جـ١) | مارتن برنال | بإشراف: أحمد عتمان |
| ١٧- | مختارات شعرية | فيليب لاركين | محمد مصطفى بدوى |
| ١٨- | الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية | مختارات | طلعت شاهين |
| ١٩- | الأعمال الشعرية الكاملة | چورچ سفيريس | نعيم عطية |
| ٢٠- | قصة العلم | ج. ج. كراوثر | يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح |
| ٢١- | خوخة وألف خوخة وقصص أخرى | صمد بهرنجى | ماجدة العنانى |
| ٢٢- | مذكرات رحالة عن المصريين | چون أنتيس | سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣- | تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | سعيد توفيق |
| ٢٤- | ظلال المستقبل | باتريك بارندر | بكر عباس |
| ٢٥- | مثنوى (٦ أجزاء) | مولانا جلال الدين الرومى | إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦- | دين مصر العام | محمد حسين هيكل | أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧- | التنوع البشرى الخلاق | مجموعة من المؤلفين | بإشراف: جابر عصفور |
| ٢٨- | رسالة فى التسامح | چون لوك | منى أبو سنة |
| ٢٩- | الموت والوجود | چيمس ب. كارس | بدر الديب |
| ٣٠- | الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانيكار | أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١- | مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | چان سوفاجيه - كلود كاين | عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب |
| ٣٢- | الانقراض | ديڤيد روب | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣- | التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤- | الرواية العربية | روچر آلن | حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥- | الأسطورة والحداثة | پول ب . ديكسون | خليل كلفت |
| ٣٦- | نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | حياة جاسم محمد |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣٧- | واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | جمال عبد الرحيم |
| ٣٨- | نقد الحداثة | آلن تورين | أنور مغيث |
| ٣٩- | الحسد والإغريق | بيتر والكوت | منيرة كروان |
| ٤٠- | قصائد حب | آن سكستون | محمد عيد إبراهيم |
| ٤١- | ما بعد المركزية الأوروبية | بيتر جران | عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد |
| ٤٢- | عالم ماك | بنجامين باربر | أحمد محمود |
| ٤٣- | اللهب المزدوج | أوكتافيو باث | المهدى أخريف |
| ٤٤- | بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلي | مارلين تادرس |
| ٤٥- | التراث المغدور | روبرت دينا وجون فاين | أحمد محمود |
| ٤٦- | عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | محمود السيد على |
| ٤٧- | تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١) | رينيه ويليك | مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨- | حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ماهر جويجاتي |
| ٤٩- | الإسلام في البلقان | هـ . ت . نوريس | عبد الوهاب علوب |
| ٥٠- | ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي |
| ٥١- | مسار الرواية الإسبانو أمريكية | داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستي | محمد أبو العطا |
| ٥٢- | العلاج النفسي التدعيمي | ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل | لطفي فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣- | الدراما والتعليم | أ . ف . ألنجتون | مرسى سعد الدين |
| ٥٤- | المفهوم الإغريقي للمسرح | ج . مايكل والتون | محسن مصيلحي |
| ٥٥- | ما وراء العلم | چون بولكنجهوم | على يوسف على |
| ٥٦- | الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١) | فديريكو غرسية لوركا | محمود على مكى |
| ٥٧- | الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢) | فديريكو غرسية لوركا | محمود السيد و ماهر البطوطي |
| ٥٨- | مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | محمد أبو العطا |
| ٥٩- | المحبرة (مسرحية) | كارلوس مونييث | السيد السيد سهيم |
| ٦٠- | التصميم والشكل | چوهانز إيتين | صبرى محمد عبد الغنى |
| ٦١- | موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميث | بإشراف : محمد الجوهرى |
| ٦٢- | لذّة النّص | رولان بارت | محمد خير البقاعي |
| ٦٣- | تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢) | رينيه ويليك | مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤- | برتراند راسل (سيرة حياة) | ألان وود | رمسيس عوض |
| ٦٥- | في مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | رمسيس عوض |
| ٦٦- | خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧- | مختارات شعرية | فرناندو بيسوا | المهدى أخريف |
| ٦٨- | نتاشا العجوز وقصص أخرى | ڤالنتين راسبوتين | أشرف الصباغ |
| ٦٩- | العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠- | ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجث | عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١- | السيدة لا تصلح إلا للرمي | داريو فو | حسين محمود |
| ٧٢- | السياسي العجوز | ت . س . إليوت | فؤاد مجلى |
| ٧٣- | نقد استجابة القارئ | چين ب . تومبكنز | حسن ناظم وعلى حاكم |
| ٧٤- | صلاح الدين والمماليك في مصر | ل . ا . سيميونوڤا | حسن بيومى |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٥- | فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | أحمد درويش |
| ٧٦- | جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى | مجموعة من المؤلفين | عبد المقصود عبد الكريم |
| ٧٧- | تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢) | رينيه ويليك | مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٧٨- | العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | أحمد محمود ونورا أمين |
| ٧٩- | شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكى | سعيد الغانمى وناصر حلاوى |
| ٨٠- | بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | مكارم الغمرى |
| ٨١- | الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | محمد طارق الشرقاوى |
| ٨٢- | مسرح ميجيل | ميجيل دى أونامونو | محمود السيد على |
| ٨٣- | مختارات شعرية | غوتفريد بن | خالد المعالى |
| ٨٤- | موسوعة الأدب والنقد (جـ١) | مجموعة من المؤلفين | عبد الحميد شيحة |
| ٨٥- | منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكى أقطاى | عبد الرازق بركات |
| ٨٦- | طول الليل (رواية) | جمال مير صادقى | أحمد فتحى يوسف شتا |
| ٨٧- | نون والقلم (رواية) | جلال آل أحمد | ماجدة العنانى |
| ٨٨- | الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٨٩- | الطريق الثالث | أنتونى جيدنز | أحمد زايد ومحمد محيى الدين |
| ٩٠- | وسم السيف وقصص أخرى | بورخيس وآخرون | محمد إبراهيم مبروك |
| ٩١- | المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربرا لاسوتسكا - بشونباك | محمد هناء عبد الفتاح |
| ٩٢- | أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر | كارلوس ميجيل | نادية جمال الدين |
| ٩٣- | محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | عبد الوهاب علوب |
| ٩٤- | مسرحيتا الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | فوزية العشماوى |
| ٩٥- | مختارات من المسرح الإسبانى | أنطونيو بويرو باييخو | سرى محمد عبد اللطيف |
| ٩٦- | ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى | نخبة | إدوار الخراط |
| ٩٧- | هوية فرنسا (مج١) | فرنان برودل | بشير السباعى |
| ٩٨- | الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى | مجموعة من المؤلفين | أشرف الصباغ |
| ٩٩- | تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠) | ديفيد روبنسون | إبراهيم قنديل |
| ١٠٠- | مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | إبراهيم فتحى |
| ١٠١- | النص الروائى: تقنيات ومناهج | بيرنار فاليط | رشيد بنحدو |
| ١٠٢- | السياسة والتسامح | عبد الكبير الخطيبى | عز الدين الكتانى الإدريسى |
| ١٠٣- | قبر ابن عربى يليه آياء (شعر) | عبد الوهاب المؤدب | محمد بنيس |
| ١٠٤- | أوبرا ماهوجنى (مسرحية) | برتولت بريشت | عبد الغفار مكاوى |
| ١٠٥- | مدخل إلى النص الجامع | جيرارجينيت | عبد العزيز شبيل |
| ١٠٦- | الأدب الأندلسى | ماريا خيسوس روبييرامتى | أشرف على دعدور |
| ١٠٧- | صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر | نخبة من الشعراء | محمد عبد الله الجعيدى |
| ١٠٨- | ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى | مجموعة من المؤلفين | محمود على مكى |
| ١٠٩- | حروب المياه | چون بولوك وعادل درويش | هاشم أحمد محمد |
| ١١٠- | النساء فى العالم النامى | حسنة بيجوم | منى قطان |
| ١١١- | المرأة والجريمة | فرانسس هيدسون | ريهام حسين إبراهيم |
| ١١٢- | الاحتجاج الهادئ | أرلين علوى ماكليود | إكرام يوسف |

| | | |
|---|---|---|
| ١١٣- راية التمرد | سادى پلانت | أحمد حسان |
| ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع | وول شوينكا | نسيم مجلى |
| ١١٥- غرفة تخص المرء وحده | فرچينيا وولف | سمية رمضان |
| ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) | سينثيا نلسون | نهاد أحمد سالم |
| ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام | ليلى أحمد | منى إبراهيم وهالة كمال |
| ١١٨- النهضة النسائية فى مصر | بث بارون | لميس النقاش |
| ١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى | أميرة الأزهرى سنبل | بإشراف: رءوف عباس |
| ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط | ليلى أبو لغد | مجموعة من المترجمين |
| ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية | فاطمة موسى | محمد الجندى وإيزابيل كمال |
| ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان | چوزيف فوجت | منيرة كروان |
| ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية | أنيثل ألكسندرو فنادولينا | أنور محمد إبراهيم |
| ١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية | چون جراى | أحمد فؤاد بلبع |
| ١٢٥- التحليل الموسيقى | سيدرك ثورپ ديڤى | سمحة الخولى |
| ١٢٦- فعل القراءة | ڤولڤانج إيسر | عبد الوهاب علوب |
| ١٢٧- إرهاب (مسرحية) | صفاء فتحى | بشير السباعى |
| ١٢٨- الأدب المقارن | سوزان باسنيت | أميرة حسن نويرة |
| ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة | ماريا دولورس أسيس جاروته | محمد أبو العطا وآخرون |
| ١٣٠- الشرق يصعد ثانية | أندريه جوندر فرانك | شوقى جلال |
| ١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى | مجموعة من المؤلفين | لويس بقطر |
| ١٣٢- ثقافة العولمة | مايك فيذرستون | عبد الوهاب علوب |
| ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) | طارق على | طلعت الشايب |
| ١٣٤- تشريح حضارة | بارى ج. كيمب | أحمد محمود |
| ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت | ت. س. إليوت | ماهر شفيق فريد |
| ١٣٦- فلاحو الباشا | كينيث كونو | سحر توفيق |
| ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر | چوزيف مارى مواريه | كاميليا صبحى |
| ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف | أندريه جلوكسمان | وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٣٩- پارسيڤال (مسرحية) | ريتشارد ڤاچنر | مصطفى ماهر |
| ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار | هربرت ميسن | أمل الجبورى |
| ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية | مجموعة من المؤلفين | نعيم عطية |
| ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل | أ. م. فورستر | حسن بيومى |
| ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى | ديرك لايدر | عدلى السمرى |
| ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) | كارلو جولدونى | سلامة محمد سليمان |
| ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) | كارلوس فوينتس | أحمد حسان |
| ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) | ميجيل دى ليبس | على عبدالرءوف البمبى |
| ١٤٧- مسرحيتان | تانكريد دورست | عبدالغفار مكاوى |
| ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية | إنريكى أندرسون إمبرت | على إبراهيم منوفى |
| ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس | عاطف فضول | أسامة إسبر |
| ١٥٠- التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | منيرة كروان |

| | | |
|---|---|---|
| ١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١) | فرنان برودل | بشير السباعى |
| ١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى | مجموعة من المؤلفين | محمد محمد الخطابى |
| ١٥٣- غرام الفراعنة | فيولين فانويك | فاطمة عبدالله محمود |
| ١٥٤- مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | خليل كلفت |
| ١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر | نخبة من الشعراء | أحمد مرسى |
| ١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى | چى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو | مى التلمسانى |
| ١٥٧- خسرو وشيرين | النظامى الكنجوى | عبدالعزيز بقوش |
| ١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢) | فرنان برودل | بشير السباعى |
| ١٥٩- الأيديولوچية | ديڤيد هوكس | إبراهيم فتحى |
| ١٦٠- آلة الطبيعة | بول إيرليش | حسين بيومى |
| ١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى | أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | زيدان عبدالحليم زيدان |
| ١٦٢- تاريخ الكنيسة | يوحنا الآسيوى | صلاح عبدالعزيز محجوب |
| ١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهرى |
| ١٦٤- شامبوليون (حياة من نور) | چان لاكوتير | نبيل سعد |
| ١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال) | أ. ن. أفاناسيفا | سهير المصادفة |
| ١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل | يشعياهو ليفمان | محمد محمود أبوغدير |
| ١٦٧- فى عالم طاغور | رابندرنات طاغور | شكرى محمد عياد |
| ١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | شكرى محمد عياد |
| ١٦٩- إبداعات أدبية | مجموعة من المؤلفين | شكرى محمد عياد |
| ١٧٠- الطريق (رواية) | ميجيل دليبيس | بسام ياسين رشيد |
| ١٧١- وضع حد (رواية) | فرانك بيجو | هدى حسين |
| ١٧٢- حجر الشمس (شعر) | نخبة | محمد محمد الخطابى |
| ١٧٣- معنى الجمال | ولتر ت. ستيس | إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤- صناعة الثقافة السوداء | إيليس كاشمور | أحمد محمود |
| ١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية | لورينزو فيلشس | وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتنبرج | جلال البنا |
| ١٧٧- أنطون تشيخوف | هنرى ترويا | حصة إبراهيم المنيف |
| ١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث | نخبة من الشعراء | محمد حمدى إبراهيم |
| ١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال) | أيسوب | إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠- قصة جاويد (رواية) | إسماعيل فصيح | سليم عبد الأمير حمدان |
| ١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات | فنسنت ب. ليتش | محمد يحيى |
| ١٨٢- العنف والنبوءة (شعر) | و.ب. ييتس | ياسين طه حافظ |
| ١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما | رينيه جيلسون | فتحى العشرى |
| ١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام | هانز إيندورفر | دسوقى سعيد |
| ١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ | توماس تومسن | عبد الوهاب علوب |
| ١٨٦- معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل إنوود | إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧- الأرضة (رواية) | بُزرج علوى | محمد علاء الدين منصور |
| ١٨٨- موت الأدب | ألفين كرنان | بدر الديب |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٨٩- | العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر | بول دي مان | سعيد الغانمى |
| ١٩٠- | محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | محسن سيد فرجانى |
| ١٩١- | الكلام رأسمال وقصص أخرى | الحاج أبو بكر إمام وآخرون | مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢- | سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١) | زين العابدين المراغى | محمود علاوى |
| ١٩٣- | عامل المنجم (رواية) | بيتر أبراهامز | محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤- | مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث | مجموعة من النقاد | ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥- | شتاء ٨٤ (رواية) | إسماعيل فصيح | محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦- | المهلة الأخيرة (رواية) | ڤالنتين راسبوتين | أشرف الصباغ |
| ١٩٧- | سيرة الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨- | الاتصال الجماهيرى | إدوين إمرى وآخرون | إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩- | تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لانداو | جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد |
| ٢٠٠- | ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل | جيرمى سيبروك | فخرى لبيب |
| ٢٠١- | الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | أحمد الأنصارى |
| ٢٠٢- | تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤) | رينيه ويليك | مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣- | الشعر والشاعرية | ألطاف حسين حالى | جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤- | تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | أحمد هويدى |
| ٢٠٥- | الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى- سفورزا | أحمد مستجير |
| ٢٠٦- | الهيولية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | على يوسف على |
| ٢٠٧- | ليل أفريقى (رواية) | رامون خوتاسندير | محمد أبو العطا |
| ٢٠٨- | شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩- | السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | أشرف الصباغ |
| ٢١٠- | مثنويات حكيم سنائى (شعر) | سنائى الغزنوى | يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١- | فردينان دوسوسير | جوناثان كلر | محمود حمدى عبد الغنى |
| ٢١٢- | قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان | مرزبان بن رستم بن شروين | يوسف عبدالفتاح فرج |
| ٢١٣- | مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر | ريمون فلاور | سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤- | قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | محمد محيى الدين |
| ٢١٥- | سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢) | زين العابدين المراغى | محمود علاوى |
| ٢١٦- | جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | أشرف الصباغ |
| ٢١٧- | مسرحيتان طليعيتان | صمويل بيكيت وهارولد بينتر | نادية البنهاوى |
| ٢١٨- | لعبة الحجلة (رواية) | خوليو كورتاثان | على إبراهيم منوفى |
| ٢١٩- | بقايا اليوم (رواية) | كازو إيشجورو | طلعت الشايب |
| ٢٢٠- | الهيولية فى الكون | بارى پاركر | على يوسف على |
| ٢٢١- | شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | رفعت سلام |
| ٢٢٢- | فرانز كافكا | رونالد جراى | نسيم مجلى |
| ٢٢٣- | العلم فى مجتمع حر | باول فيرابند | السيد محمد نفادى |
| ٢٢٤- | دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | منى عبدالظاهر إبراهيم |
| ٢٢٥- | حكاية غريق (رواية) | جابرييل جارثيا ماركيث | السيد عبدالظاهر السيد |
| ٢٢٦- | أرض المساء وقصائد أخرى | ديڤيد هربت لورانس | طاهر محمد على البربرى |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢٢٧- | المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | خوسيه ماريا ديث بوركى | السيد عبدالظاهر عبدالله |
| ٢٢٨- | علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩- | مأزق البطل الوحيد | نورمان كيجان | أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠- | عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز چاكوب | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١- | الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) | خايمى سالوم بيدال | جمال عبدالرحمن |
| ٢٣٢- | ما بعد المعلومات | توم ستونير | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣- | فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى | آرثر هيرمان | طلعت الشايب |
| ٢٣٤- | الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥- | ديوان شمس تبريزى (جـ١) | مولانا جلال الدين الرومى | إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٣٦- | الولاية | ميشيل شودكيفيتش | أحمد الطيب |
| ٢٣٧- | مصر أرض الوادى | روبين فيدين | عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨- | العولمة والتحرير | تقرير لمنظمة الأنكتاد | ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد |
| ٢٣٩- | العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلا رامراز - رايوخ | نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠- | الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كاى حافظ | صلاح محجوب إدريس |
| ٢٤١- | فى انتظار البرابرة (رواية) | ج . م. كوتزى | ابتسام عبدالله |
| ٢٤٢- | سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | صبرى محمد حسن |
| ٢٤٣- | تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) | ليفى بروفنسال | بإشراف: صلاح فضل |
| ٢٤٤- | الغليان (رواية) | لاورا إسكيبيل | نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥- | نساء مقاتلات | إليزابيتا آديس وآخرون | توفيق على منصور |
| ٢٤٦- | مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركيث | على إبراهيم منوفى |
| ٢٤٧- | الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | والتر أرمبرست | محمد طارق الشرقاوى |
| ٢٤٨- | حقول عدن الخضراء (مسرحية) | أنطونيو جالا | عبداللطيف عبدالحليم |
| ٢٤٩- | لغة التمزق (شعر) | دراجو شتامبوك | رفعت سلام |
| ٢٥٠- | علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ماجدة محسن أباظة |
| ٢٥١- | موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهرى |
| ٢٥٢- | رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | على بدران |
| ٢٥٣- | تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوڤا | حسن بيومى |
| ٢٥٤- | أقدم لك: الفلسفة | ديڤ روبنسون وجودى جروڤز | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥- | أقدم لك: أفلاطون | ديڤ روبنسون وجودى جروڤز | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٦- | أقدم لك: ديكارت | ديڤ روبنسون وكريس جارات | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٧- | تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | محمود سيد أحمد |
| ٢٥٨- | الغجر | سير أنجوس فريزر | عُبادة كُحيلة |
| ٢٥٩- | مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور | نخبة | ڤاروجان كازانجيان |
| ٢٦٠- | موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهرى |
| ٢٦١- | رحلة فى فكر زكى نجيب محمود | زكى نجيب محمود | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٦٢- | مدينة المعجزات (رواية) | إدواردو منديثا | محمد أبو العطا |
| ٢٦٣- | الكشفُ عن حافة الزمن | چون جريبين | على يوسف على |
| ٢٦٤- | إبداعات شعرية مترجمة | هوراس وشلى | لويس عوض |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢٦٥- | روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصمويل جونسون | لويس عوض |
| ٢٦٦- | مدير المدرسة (رواية) | جلال آل أحمد | عادل عبدالمنعم على |
| ٢٦٧- | فن الرواية | ميلان كونديرا | بدر الدين عرودكى |
| ٢٦٨- | ديوان شمس تبريزى (جـ٢) | مولانا جلال الدين الرومى | إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦٩- | وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١) | وليم چيفور بالجريف | صبرى محمد حسن |
| ٢٧٠- | وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢) | وليم چيفور بالجريف | صبرى محمد حسن |
| ٢٧١- | الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ | توماس سى. باترسون | شوقى جلال |
| ٢٧٢- | الأديرة الأثرية فى مصر | سى. سى. والترز | إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ٢٧٣- | الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر | چوان كول | عنان الشهاوى |
| ٢٧٤- | السيدة باربارا (رواية) | رومولو جاييجوس | محمود على مكى |
| ٢٧٥- | ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً | مجموعة من النقاد | ماهر شفيق فريد |
| ٢٧٦- | فنون السينما | مجموعة من المؤلفين | عبدالقادر التلمسانى |
| ٢٧٧- | الچينات والصراع من أجل الحياة | براين فورد | أحمد فوزى |
| ٢٧٨- | البدايات | إسحاق عظيموف | ظريف عبدالله |
| ٢٧٩- | الحرب الباردة الثقافية | ف.س. سوندرز | طلعت الشايب |
| ٢٨٠- | الأم والنصيب وقصص أخرى | بريم شند وآخرون | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٢٨١- | الفردوس الأعلى (رواية) | عبد الحليم شرر | جلال الحفناوى |
| ٢٨٢- | طبيعة العلم غير الطبيعية | لويس ولبرت | سمير حنا صادق |
| ٢٨٣- | السهل يحترق وقصص أخرى | خوان رولفو | على عبد الرءوف اليمبى |
| ٢٨٤- | هرقل مجنوناً (مسرحية) | يوريبيديس | أحمد عتمان |
| ٢٨٥- | رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى | حسن نظامى الدهلوى | سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٢٨٦- | سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣) | زين العابدين المراغى | محمود علاوى |
| ٢٨٧- | الثقافة والعولمة والنظام العالمى | أنتونى كنج | محمد يحيى وآخرون |
| ٢٨٨- | الفن الروائى | ديڤيد لودج | ماهر البطوطى |
| ٢٨٩- | ديوان منوچهرى الدامغانى | أبو نجم أحمد بن قوص | محمد نور الدين عبدالمنعم |
| ٢٩٠- | علم اللغة والترجمة | چورج مونان | أحمد زكريا إبراهيم |
| ٢٩١- | تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١) | فرانشسكو رويس رامون | السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٢- | تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢) | فرانشسكو رويس رامون | السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٣- | مقدمة للأدب العربى | روچر آلن | مجدى توفيق وآخرون |
| ٢٩٤- | فن الشعر | بوالو | رجاء ياقوت |
| ٢٩٥- | سلطان الأسطورة | چوزيف كامبل وبيل مورير | بدر الديب |
| ٢٩٦- | مكبث (مسرحية) | وليم شكسبير | محمد مصطفى بدوى |
| ٢٩٧- | فن النحو بين اليونانية والسريانية | ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى | ماجدة محمد أنور |
| ٢٩٨- | مأساة العبيد وقصص أخرى | نخبة | مصطفى حجازى السيد |
| ٢٩٩- | ثورة فى التكنولوجيا الحيوية | چين ماركس | هاشم أحمد محمد |
| ٣٠٠- | أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١) | لويس عوض | جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال |
| ٣٠١- | أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢) | لويس عوض | جمال الجزيرى و محمد الجندى |
| ٣٠٢- | أقدم لك: فتجنشتين | چون هيتون وجودى جروفز | إمام عبد الفتاح إمام |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣٠٣- | أقدم لك: بوذا | چين هوب وبورن فان لون | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤- | أقدم لك: ماركس | ريوس | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥- | الجلد (رواية) | كروزيو مالابارته | صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦- | الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ | چان فرانسوا ليوتار | نبيل سعد |
| ٣٠٧- | أقدم لك: الشعور | ديڤيد بابينو وهوارد سلينا | محمود مكى |
| ٣٠٨- | أقدم لك: علم الوراثة | ستيف چونز وبورين فان لو | ممدوح عبد المنعم |
| ٣٠٩- | أقدم لك: الذهن والمخ | أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت | جمال الجزيرى |
| ٣١٠- | أقدم لك: يونج | ماجى هايد ومايكل ماكجنس | محيى الدين مزيد |
| ٣١١- | مقال فى المنهج الفلسفى | ر.ج كولنجوود | فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢- | روح الشعب الأسود | وليم ديبويس | أسعد حليم |
| ٣١٣- | أمثال فلسطينية (شعر) | خايير بيان | محمد عبدالله الجعيدى |
| ٣١٤- | مارسيل دوشامب: الفن كعدم | چانيس مينيك | هويدا السباعى |
| ٣١٥- | جرامشى فى العالم العربى | ميشيل برونديتو والطاهر لبيب | كاميليا صبحى |
| ٣١٦- | محاكمة سقراط | أى. ف. ستون | نسيم مجلى |
| ٣١٧- | بلا غد | س. شير لايموڤا- س. زنيكين | أشرف الصباغ |
| ٣١٨- | الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | مجموعة من المؤلفين | أشرف الصباغ |
| ٣١٩- | صور دريدا | جايترى سبيڤاك وكرستوفر نوريس | حسام نايل |
| ٣٢٠- | لمعة السراج لحضرة التاج | مؤلف مجهول | محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١- | تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١) | ليڤى برو ڤنسال | بإشراف: صلاح فضل |
| ٣٢٢- | وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى | دبليو بوچين كلينباور | خالد مفلح حمزة |
| ٣٢٣- | فن الساتورا | تراث يونانى قديم | هانم محمد فوزى |
| ٣٢٤- | اللعب بالنار (رواية) | أشرف أسدى | محمود علاوى |
| ٣٢٥- | عالم الآثار (رواية) | فيليب بوسان | كرستين يوسف |
| ٣٢٦- | المعرفة والمصلحة | يورجين هابرماس | حسن صقر |
| ٣٢٧- | مختارات شعرية مترجمة (جـ١) | نخبة | توفيق على منصور |
| ٣٢٨- | يوسف وزليخا (شعر) | نور الدين عبد الرحمن الجامى | عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩- | رسائل عيد الميلاد (شعر) | تد هيوز | محمد عيد إبراهيم |
| ٣٣٠- | كل شيء عن التمثيل الصامت | مارڤن شبرد | سامى صلاح |
| ٣٣١- | عندما جاء السردين وقصص أخرى | ستيفن جراى | سامية دياب |
| ٣٣٢- | شهر العسل وقصص أخرى | نخبة | على إبراهيم منوفى |
| ٣٣٣- | الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥ | نبيل مطر | بكر عباس |
| ٣٣٤- | لقطات من المستقبل | أرثر كلارك | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣٥- | عصر الشك: دراسات عن الرواية | ناتالى ساروت | فتحى العشرى |
| ٣٣٦- | متون الأهرام | نصوص مصرية قديمة | حسن صابر |
| ٣٣٧- | فلسفة الولاء | چوزايا رويس | أحمد الأنصارى |
| ٣٣٨- | نظرات حائرة وقصص أخرى | نخبة | جلال الحفناوى |
| ٣٣٩- | تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣) | إدوارد براون | محمد علاء الدين منصور |
| ٣٤٠- | اضطراب فى الشرق الأوسط | بيرش بيربروجلو | فخرى لبيب |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٤١- قصائد من رلكه (شعر) | راينر ماريا ريلكه | حسن حلمى |
| ٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر) | نور الدين عبدالرحمن الجامى | عبد العزيز بقوش |
| ٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية) | نادين جورديمر | سمير عبد ربه |
| ٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية) | بيتر بالانجيو | سمير عبد ربه |
| ٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر) | يونه ندائى | يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٤٦- سحر مصر | رشاد رشدى | جمال الجزيرى |
| ٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية) | جان كوكتو | بكر الحلو |
| ٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١) | محمد فؤاد كوبريلى | عبدالله أحمد إبراهيم |
| ٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة | أرثر والدهورن وآخرون | أحمد عمر شاهين |
| ٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية | مجموعة من المؤلفين | عطية شحاتة |
| ٣٥١- مبادئ المنطق | جوزايا رويس | أحمد الانصارى |
| ٣٥٢- قصائد من كفافيس | قسطنطين كفافيس | نعيم عطية |
| ٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى |
| ٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى |
| ٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة | حجت مرتجى | محمود علاوى |
| ٣٥٦- الميراث المر | بول سالم | بدر الرفاعى |
| ٣٥٧- متون هرمس | تيموثى فريك وبيتر غاندى | عمر الفاروق عمر |
| ٣٥٨- أمثال الهوسا العامية | نخبة | مصطفى حجازى السيد |
| ٣٥٩- محاورة بارمنيدس | أفلاطون | حبيب الشارونى |
| ٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة | أندريه جاكوب ونويلا باركان | ليلى الشربينى |
| ٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة | آلان جرينجر | عاطف معتمد وآمال شاور |
| ٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية) | هاينرش شبورل | سيد أحمد فتح الله |
| ٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية | ريتشارد جيبسون | صبرى محمد حسن |
| ٣٦٤- حداثة شكسبير | إسماعيل سراج الدين | نجلاء أبو عجاج |
| ٣٦٥- سأم باريس (شعر) | شارل بودلير | محمد أحمد حمد |
| ٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب | كلاريسا بنكولا | مصطفى محمود محمد |
| ٣٦٧- القلم الجرىء | مجموعة من المؤلفين | البرّاق عبدالهادى رضا |
| ٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات | جيرالد برنس | عابد خزندار |
| ٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ | فوزية العشماوى | فوزية العشماوى |
| ٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية | كليرلا لويت | فاطمة عبدالله محمود |
| ٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢) | محمد فؤاد كوبريلى | عبدالله أحمد إبراهيم |
| ٣٧٢- عاش الشباب (رواية) | وانغ مينغ | وحيد السعيد عبدالحميد |
| ٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه | أومبرتو إيكو | على إبراهيم منوفى |
| ٣٧٤- اليوم السادس (رواية) | أندريه شديد | حمادة إبراهيم |
| ٣٧٥- الخلود (رواية) | ميلان كونديرا | خالد أبو اليزيد |
| ٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات) | جان أنوى وآخرون | إدوار الخراط |
| ٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤) | إدوارد براون | محمد علاء الدين منصور |
| ٣٧٨- المسافر (شعر) | محمد إقبال | يوسف عبدالفتاح فرج |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢٧٩- | ملك فى الحديقة (رواية) | سنيل باث | جمال عبدالرحمن |
| ٢٨٠- | حديث عن الخسارة | جونتر جراس | شيرين عبدالسلام |
| ٢٨١- | أساسيات اللغة | ر. ل. تراسك | رانيا إبراهيم يوسف |
| ٢٨٢- | تاريخ طبرستان | بهاء الدين محمد اسفنديار | أحمد محمد نادى |
| ٢٨٣- | هدية الحجاز (شعر) | محمد إقبال | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٢٨٤- | القصص التى يحكيها الأطفال | سوزان إنجيل | إيزابيل كمال |
| ٢٨٥- | مشترى العشق (رواية) | محمد على بهزادراد | يوسف عبدالفتاح فرج |
| ٢٨٦- | دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى | جانيت تود | ريهام حسين إبراهيم |
| ٢٨٧- | أغنيات وسوناتات (شعر) | جون دن | بهاء چاهين |
| ٢٨٨- | مواعظ سعدى الشيرازى (شعر) | سعدى الشيرازى | محمد علاء الدين منصور |
| ٢٨٩- | تفاهم وقصص أخرى | نخبة | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٢٩٠- | الأرشيفات والمدن الكبرى | إم. فى. روبرتس | عثمان مصطفى عثمان |
| ٢٩١- | الحافلة الليلكية (رواية) | مايف بينشى | منى الدروبى |
| ٢٩٢- | مقامات ورسائل أندلسية | فرناندو دى لاجرانجا | عبداللطيف عبدالحليم |
| ٢٩٣- | فى قلب الشرق | ندوة لويس ماسينيون | زينب محمود الخضيرى |
| ٢٩٤- | القوى الأربع الأساسية فى الكون | بول ديفيز | هاشم أحمد محمد |
| ٢٩٥- | آلام سياوش (رواية) | إسماعيل فصيح | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٢٩٦- | السافاك | تقى نجارى راد | محمود علاوى |
| ٢٩٧- | أقدم لك: نيتشه | لورانس جين وكيتى شين | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٢٩٨- | أقدم لك: سارتر | فيليب تودى وهوارد ريد | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٢٩٩- | أقدم لك: كامى | ديفيد ميروفتش وآلن كوركس | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٠٠- | مومو (رواية) | ميشائيل إنده | باهر الجوهرى |
| ٤٠١- | أقدم لك: علم الرياضيات | زياودن ساردر وآخرون | ممدوح عبد المنعم |
| ٤٠٢- | أقدم لك: ستيفن هوكنج | ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت | ممدوح عبدالمنعم |
| ٤٠٣- | ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان) | تودور شتورم وجوتفرد كولر | عماد حسن بكر |
| ٤٠٤- | تعويذة الحسى | ديفيد إبرام | ظبية خميس |
| ٤٠٥- | إيزابيل (رواية) | أندريه جيد | حمادة إبراهيم |
| ٤٠٦- | المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ | مانويلا مانتاناريس | جمال عبد الرحمن |
| ٤٠٧- | الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه | مجموعة من المؤلفين | طلعت شاهين |
| ٤٠٨- | معجم تاريخ مصر | چوان فوتشركنج | عنان الشهاوى |
| ٤٠٩- | انتصار السعادة | برتراند راسل | إلهامى عمارة |
| ٤١٠- | خلاصة القرن | كارل بوبر | الزواوى بغورة |
| ٤١١- | همس من الماضى | چينيفر أكرمان | أحمد مستجير |
| ٤١٢- | تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢) | ليفى بروفنسال | بإشراف: صلاح فضل |
| ٤١٣- | أغنيات المنفى (شعر) | ناظم حكمت | محمد البخارى |
| ٤١٤- | الجمهورية العالمية للآداب | باسكال كازانوفا | أمل الصبان |
| ٤١٥- | صورة كوكب (مسرحية) | فريدريش دورينمات | أحمد كامل عبدالرحيم |
| ٤١٦- | مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر | أ. أ. رتشاردز | محمد مصطفى بدوى |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤١٧- | تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥) | رينيه ويليك | مجاهد عبدالمنعم مجاهد |
| ٤١٨- | سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية | جين هاثواى | عبد الرحمن الشيخ |
| ٤١٩- | العصر الذهبى للإسكندرية | جون مارلو | نسيم مجلى |
| ٤٢٠- | مكرو ميجاس (قصة فلسفية) | ڤولتير | الطيب بن رجب |
| ٤٢١- | الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول | روى متحدة | أشرف كيلانى |
| ٤٢٢- | رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١) | ثلاثة من الرحالة | عبدالله عبدالرازق إبراهيم |
| ٤٢٣- | إسراءات الرجل الطيف | نخبة | وحيد النقاش |
| ٤٢٤- | لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) | نور الدين عبدالرحمن الجامى | محمد علاء الدين منصور |
| ٤٢٥- | من طاووس إلى فرح | محمود طلوعى | محمود علاوى |
| ٤٢٦- | الخفافيش وقصص أخرى | نخبة | محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب |
| ٤٢٧- | باندراس الطاغية (رواية) | باى إنكلان | ثريا شلبى |
| ٤٢٨- | الخزانة الخفية | محمد هوتك بن داود خان | محمد أمان صافى |
| ٤٢٩- | أقدم لك: هيجل | ليود سپنسر وأندزجى كروز | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٣٠- | أقدم لك: كانط | كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٣١- | أقدم لك: فوكو | كريس هوروكس وزوران جفتيك | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٣٢- | أقدم لك: ماكياڤللى | پاتريك كيرى وأوسكار زاريت | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٣٣- | أقدم لك: جويس | ديڤيد نوريس وكارل فلنت | حمدى الجابرى |
| ٤٣٤- | أقدم لك: الرومانسية | دونكان هيث وجودى بورهام | عصام حجازى |
| ٤٣٥- | توجهات ما بعد الحداثة | نيكولاس زربرج | ناجى رشوان |
| ٤٣٦- | تاريخ الفلسفة (مج١) | فردريك كوبلستون | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٣٧- | رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى | شبلى النعمانى | جلال الحفناوى |
| ٤٣٨- | بطلات وضحايا | إيمان ضياء الدين بيبرس | عايدة سيف الدولة |
| ٤٣٩- | موت المرابى (رواية) | صدر الدين عينى | محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب |
| ٤٤٠- | قواعد اللهجات العربية الحديثة | كرستن بروستاد | محمد طارق الشرقاوى |
| ٤٤١- | رب الأشياء الصغيرة (رواية) | أرونداتى روى | فخرى لبيب |
| ٤٤٢- | حتشبسوت: المرأة الفرعونية | فوزية أسعد | ماهر جويجاتى |
| ٤٤٣- | اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها | كيس فرستيغ | محمد طارق الشرقاوى |
| ٤٤٤- | أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة | لاوريت سيجورنه | صالح علمانى |
| ٤٤٥- | حول وزن الشعر | پرويز ناتل خانلرى | محمد محمد يونس |
| ٤٤٦- | التحالف الأسود | ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير | أحمد محمود |
| ٤٤٧- | ملحمة السيِّد | تراث شعبى إسبانى | الطاهر أحمد مكى |
| ٤٤٨- | الفلاحون (ميراث الترجمة) | الأب عيروط | محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس |
| ٤٤٩- | أقدم لك: الحركة النسوية | نخبة | جمال الجزيرى |
| ٤٥٠- | أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية | صوفيا فوكا وربيكا رايت | جمال الجزيرى |
| ٤٥١- | أقدم لك: الفلسفة الشرقية | ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون | إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٥٢- | أقدم لك: لينين والثورة الروسية | ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت | محيى الدين مزيد |
| ٤٥٣- | القاهرة: إقامة مدينة حديثة | جان لوك أرنو | حليم طوسون وفؤاد الدهان |
| ٤٥٤- | خمسون عاماً من السينما الفرنسية | رينيه بريدال | سوزان خليل |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥) | فردريك كوبلستون | محمود سيد أحمد |
| ٤٥٦- لا تنسنى (رواية) | مريم جعفرى | هويدا عزت محمد |
| ٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى | سوزان مولر أوكين | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون | مرثيديس غارثيا أرينال | جمال عبد الرحمن |
| ٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية | توم تيتنبرج | جلال البنا |
| ٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية | ستوارت هود وليتزا جانستز | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٦١- أقدم لك: لكان | داريان ليدر وجودى جروفز | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون | عبدالرشيد الصادق محمودى | عبدالرشيد الصادق محمودى |
| ٤٦٣- الدولة المارقة | ويليام بلوم | كمال السيد |
| ٤٦٤- ديمقراطية للقلة | مايكل بارنتى | حصة إبراهيم المنيف |
| ٤٦٥- قصص اليهود | لويس جنزبيرج | جمال الرفاعى |
| ٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية | فيولين فانويك | فاطمة عبد الله |
| ٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية | ستيفين ديلو | ربيع وهبة |
| ٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة | جوزايا رويس | أحمد الأنصارى |
| ٤٦٩- جلال الملوك | نصوص حبشية قديمة | مجدى عبدالرازق |
| ٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية | جارى م. بيرزنسكى وآخرون | محمد السيد النة |
| ٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢) | ثلاثة من الرحالة | عبد الله عبد الرازق إبراهيم |
| ٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول) | ميجيل دى ثربانتس سابيدرا | سليمان العطار |
| ٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى) | ميجيل دى ثربانتس سابيدرا | سليمان العطار |
| ٤٧٤- الأدب والنسوية | بام موريس | سهام عبدالسلام |
| ٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم | فرچينيا دانيلسون | عادل هلال عنانى |
| ٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى | ماريلين بوث | سحر توفيق |
| ٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين | هيلدا هوخام | أشرف كيلانى |
| ٤٧٨- الصين والولايات المتحدة | ليوشيه شنج و لى شى دونج | عبد العزيز حمدى |
| ٤٧٩- المقهـــى (مسرحية) | لاو شه | عبد العزيز حمدى |
| ٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية) | كو مو روا | عبد العزيز حمدى |
| ٤٨١- بردة النبى | روى متحدة | رضوان السيد |
| ٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية | روبير جاك تيبو | فاطمة عبد الله |
| ٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية | سارة چامبل | أحمد الشامى |
| ٤٨٤- جمالية التلقى | هانسن روبيرت ياوس | رشيد بنحدو |
| ٤٨٥- التوبة (رواية) | نذير أحمد الدهلوى | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٤٨٦- الذاكرة الحضارية | يان أسمن | عبدالحليم عبدالغنى رجب |
| ٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية | رفيع الدين المراد آبادى | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى | نخبة | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٤٨٩- هُسُرل: الفلسفة علمًا دقيقًا | إدموند هُسُرل | محمود رجب |
| ٤٩٠- أسمار الببغاء | محمد قادرى | عبد الوهاب علوب |
| ٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى | نخبة | سمير عبد ربه |
| ٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة | چى ڤارچيت | محمد رفعت عواد |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤٩٢- | خطابات إلى طالب الصوتيات | هارولد بالمر | محمد صالح الضالع |
| ٤٩٤- | كتاب الموتى: الخروج فى النهار | نصوص مصرية قديمة | شريف الصيفى |
| ٤٩٥- | اللوبى | إدوارد تيفان | حسن عبد ربه المصرى |
| ٤٩٦- | الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١) | إكوادو بانولى | مجموعة من المترجمين |
| ٤٩٧- | العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط | نادية العلى | مصطفى رياض |
| ٤٩٨- | النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث | جوديث تاكر ومارجريت مريودز | أحمد على بدوى |
| ٤٩٩- | تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع | مجموعة من المؤلفين | فيصل بن خضراء |
| ٥٠٠- | فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية | تيتز رووكى | طلعت الشايب |
| ٥٠١- | تاريخ النساء فى الغرب (جـ١) | آرثر جولد هامر | سحر فراج |
| ٥٠٢- | أصوات بديلة | مجموعة من المؤلفين | هالة كمال |
| ٥٠٣- | مختارات من الشعر الفارسى الحديث | نخبة من الشعراء | محمد نور الدين عبدالمنعم |
| ٥٠٤- | كتابات أساسية (جـ١) | مارتن هايدجر | إسماعيل المصدق |
| ٥٠٥- | كتابات أساسية (جـ٢) | مارتن هايدجر | إسماعيل المصدق |
| ٥٠٦- | ربما كان قديساً (رواية) | آن تيلر | عبدالحميد فهمى الجمال |
| ٥٠٧- | سيدة الماضى الجميل (مسرحية) | بيتر شيفر | شوقى فهيم |
| ٥٠٨- | المولوية بعد جلال الدين الرومى | عبدالباقى جلبنارلى | عبدالله أحمد إبراهيم |
| ٥٠٩- | الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك | آدم صبرة | قاسم عبده قاسم |
| ٥١٠- | الأرملة الماكرة (مسرحية) | كارلو جولدونى | عبدالرازق عيد |
| ٥١١- | كوكب مرقّع (رواية) | آن تيلر | عبدالحميد فهمى الجمال |
| ٥١٢- | كتابة النقد السينمائى | تيموثى كوريجان | جمال عبد الناصر |
| ٥١٣- | العلم الجسور | تيد أنتون | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٥١٤- | مدخل إلى النظرية الأدبية | جونثان كولر | مصطفى بيومى عبد السلام |
| ٥١٥- | من التقليد إلى ما بعد الحداثة | فدوى مالطى دوجلاس | فدوى مالطى دوجلاس |
| ٥١٦- | إرادة الإنسان فى علاج الإدمان | آرنولد واشنطون ودونا باوندى | صبرى محمد حسن |
| ٥١٧- | نقش على الماء وقصص أخرى | نخبة | سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٥١٨- | استكشاف الأرض والكون | إسحق عظيموف | هاشم أحمد محمد |
| ٥١٩- | محاضرات فى المثالية الحديثة | جوزايا رويس | أحمد الأنصارى |
| ٥٢٠- | الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع | أحمد يوسف | أمل الصبان |
| ٥٢١- | قاموس تراجم مصر الحديثة | آرثر جولد سميث | عبدالوهاب بكر |
| ٥٢٢- | إسبانيا فى تاريخها | أميركو كاسترو | على إبراهيم منوفى |
| ٥٢٣- | الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى |
| ٥٢٤- | الملك لير (مسرحية) | وليم شكسبير | محمد مصطفى بدوى |
| ٥٢٥- | موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى | دنيس جونسون | نادية رفعت |
| ٥٢٦- | أقدم لك: السياسة البيئية | ستيفن كرول ووليم رانكين | محيى الدين مزيد |
| ٥٢٧- | أقدم لك: كافكا | ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب | جمال الجزيرى |
| ٥٢٨- | أقدم لك: تروتسكى والماركسية | طارق على وفِلْ إيفانز | جمال الجزيرى |
| ٥٢٩- | بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى | محمد إقبال | حازم محفوظ |
| ٥٣٠- | مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية | رينيه جينو | عمر الفاروق عمر |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٢١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟ | جاك دريدا | صفاء فتحى |
| ٥٢٢- المغامرُ والمستشرق | هنرى لورنس | بشير السباعى |
| ٥٢٣- تعلُّم اللغة الثانية | سوزان جاس | محمد طارق الشرقاوى |
| ٥٢٤- الإسلاميون الجزائريون | سيڤرين لابا | حمادة إبراهيم |
| ٥٢٥- مخزن الأسرار (شعر) | نظامى الكنجوى | عبدالعزيز بقوش |
| ٥٢٦- الثقافات وقيم التقدم | صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون | شوقى جلال |
| ٥٢٧- للحب والحرية (شعر) | نخبة | عبدالغفار مكاوى |
| ٥٢٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى | كيت دانيلر | محمد الحديدى |
| ٥٢٩- خمس مسرحيات قصيرة | كاريل تشرشل | محسن مصيلحى |
| ٥٤٠- توجهات بريطانية – شرقية | السير رونالد ستورس | رءوف عباس |
| ٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى | خوان خوسيه مياس | مروة رزق |
| ٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث | نخبة | نعيم عطية |
| ٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية | باتريك بروجان وكريس جرات | وفاء عبدالقادر |
| ٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين | روبرت هنشل وآخرون | حمدى الجابرى |
| ٥٤٥- يا له من سباق محموم | فرانسيس كريك | عزت عامر |
| ٥٤٦- ريموس | ت. ب. وايزمان | توفيق على منصور |
| ٥٤٧- أقدم لك: بارت | فيليب تودى وآن كورس | جمال الجزيرى |
| ٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع | ريتشارد أوزبرن وبورن ڤان لون | حمدى الجابرى |
| ٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات | بول كوبلى وليتاجانز | جمال الجزيرى |
| ٥٥٠- أقدم لك: شكسبير | نيك جروم وبيرو | حمدى الجابرى |
| ٥٥١- الموسيقى والعولمة | سايمون ماندى | سمحة الخولى |
| ٥٥٢- قصص مثالية | ميجيل دى ثربانتس | على عبد الرءوف البمبى |
| ٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر | دانيال لوفرس | رجاء ياقوت |
| ٥٥٤- مصر فى عهد محمد على | عفاف لطفى السيد مارسوه | عبدالسميع عمر زين الدين |
| ٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين | أناتولى أوتكين | أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى |
| ٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار | كريس هوروكس وزوران جيفتك | حمدى الجابرى |
| ٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد | ستوارت هود وجراهام كراولى | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية | زيودين ساردار وبورين ڤان لون | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٥٥٩- الماس الزائف (رواية) | تشا تشاجى | عبدالحى أحمد سالم |
| ٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر) | محمد إقبال | جلال السعيد الحفناوى |
| ٥٦١- جناح جبريل (شعر) | محمد إقبال | جلال السعيد الحفناوى |
| ٥٦٢- بلايين وبلايين | كارل ساجان | عزت عامر |
| ٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية) | خاثينتو بينابينتى | صبرى محمدى التهامى |
| ٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية) | خاثينتو بينابينتى | صبرى محمدى التهامى |
| ٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر | ديبورا ج. جيرنر | أحمد عبدالحميد أحمد |
| ٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى | موريس بيشوب | على السيد على |
| ٥٦٧- الوطن المغتصب | مايكل رايس | إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ٥٦٨- الأصولى فى الرواية | عبد السلام حيدر | عبد السلام حيدر |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٦٩- موقع الثقافة | هومی بابا | ثائر ديب |
| ٥٧٠- دول الخليج الفارسى | سير روبرت هاى | يوسف الشارونى |
| ٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر | إيميليا دى ثوليتا | السيد عبد الظاهر |
| ٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة | برونو أليوا | كمال السيد |
| ٥٧٣- أقدم لك: فرويد | ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى | جمال الجزيرى |
| ٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين | حسن بيرنيا | علاء الدين السباعى |
| ٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة | نجير وودز | أحمد محمود |
| ٥٧٦- فكر ثربانتس | أمريكو كاسترو | ناهد العشرى محمد |
| ٥٧٧- مغامرات بينوكيو | كارلو كولودى | محمد قدرى عمارة |
| ٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت | أيومى ميزوكوشى | محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف |
| ٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى | چون ماهر وچودى جرونز | محيى الدين مزيد |
| ٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١) | چون فيزر وپول سيترجز | بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى |
| ٥٨١- الحمقى يموتون (رواية) | ماريو بوزو | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٥٨٢- مرايا على الذات (رواية) | هوشنك كلشيرى | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٥٨٣- الجيران (رواية) | أحمد محمود | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٥٨٤- سفر (رواية) | محمود دولت آبادى | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية) | هوشنك كلشيرى | سليم عبد الأمير حمدان |
| ٥٨٦- السينما العربية والأفريقية | ليزبيث مالكموس وروى آرمز | سهام عبد السلام |
| ٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى | مجموعة من المؤلفين | عبدالعزيز حمدى |
| ٥٨٨- أمنحوتپ الثالث | أنييس كابرول | ماهر جويجاتى |
| ٥٨٩- تمبكت العجيبة | فيلكس ديبوا | عبدالله عبدالرازق إبراهيم |
| ٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية | نخبة | محمود مهدى عبدالله |
| ٥٩١- الشاعر والمفكر | هوراتيوس | على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد |
| ٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١) | محمد صبرى السوربونى | مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان |
| ٥٩٣- قصائد ساحرة | پول ڤاليرى | بكر الحلو |
| ٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال) | سوزانا تامارو | أمانى فوزى |
| ٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢) | إكوادو بانولى | مجموعة من المترجمين |
| ٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم | روبرت ديجارليه وآخرون | إيهاب عبدالرحيم محمد |
| ٥٩٧- مسلمو غرناطة | خوليو كاروباروخا | جمال عبدالرحمن |
| ٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل | دونالد ريدفورد | بيومى على قنديل |
| ٥٩٩- فلسفة الشرق | هرداد مهرين | محمود علاوى |
| ٦٠٠- الإسلام فى التاريخ | برنارد لويس | مدحت طه |
| ٦٠١- النسوية والمواطنة | ريان ڤوت | أيمن بكر وسمر الشيشكلى |
| ٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية | چيمس وليامز | إيمان عبدالعزيز |
| ٦٠٣- النقد الثقافى | أرثر أيزابرجر | وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى |
| ٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١) | پاتريك ل. أبوت | توفيق على منصور |
| ٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب | إرنست زيبروسكى (الصغير) | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر | ريتشارد هاريس | محمود إبراهيم السعدنى |
| ٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١) | هارى سينت فيلبى | صبرى محمد حسن |
| ٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢) | هارى سينت فيلبى | صبرى محمد حسن |

| | | |
|---|---|---|
| ٦٠٩- الانتخاب الثقافى | أجنر فوج | شوقى جلال |
| ٦١٠- العمارة المدجنة | رفائيل لويث جوثمان | على إبراهيم منوفى |
| ٦١١- النقد والأيديولوجية | تيرى إيجلتون | فخري صالح |
| ٦١٢- رسالة النفسية | فضل الله بن حامد الحسينى | محمد محمد يونس |
| ٦١٣- السياحة والسياسة | كولن مايكل هول | محمد فريد حجاب |
| ٦١٤- بيت الأقصر الكبير( رواية) | فوزية أسعد | منى قطان |
| ٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩ | أليس بسيرينى | محمد رفعت عواد |
| ٦١٦- أساطير بيضاء | روبرت يانج | أحمد محمود |
| ٦١٧- الفولكلور والبحر | هوراس بيك | أحمد محمود |
| ٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة | تشارلز فيلبس | جلال البنا |
| ٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس | ريمون استانبولي | عايدة الباجورى |
| ٦٢٠- السلام الصليبى | توماش ماستناك | بشير السباعى |
| ٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة) | عمر الخيام | محمد السباعى |
| ٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين | أى تشينغ | أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى |
| ٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى | سعيد قانعى | يوسف عبدالفتاح |
| ٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية | نخبة | غادة الحلوانى |
| ٦٢٥- الجرح السرى | چان چينيه | محمد برادة |
| ٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢) | نخبة | توفيق على منصور |
| ٦٢٧- حكايات إيرانية | نخبة | عبدالوهاب علوب |
| ٦٢٨- أصل الأنواع | تشارلس داروين | مجدى محمود المليجى |
| ٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية | نيقولاس جويات | عزة الخميسى |
| ٦٣٠- سيرتى الذاتية | أحمد بللو | صبرى محمد حسن |
| ٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر | نخبة | بإشراف: حسن طلب |
| ٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا | دولورس برامون | رانيا محمد |
| ٦٣٣- الحب وفنونه (شعر) | نخبة | حمادة إبراهيم |
| ٦٣٤- مكتبة الإسكندرية | روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين | مصطفى البهنساوى |
| ٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر | جودة عبد الخالق | سمير كريم |
| ٦٣٦- حج يولندة | جناب شهاب الدين | سامية محمد جلال |
| ٦٣٧- مصر الخديوية | ف. روبرت هنتر | بدر الرفاعى |
| ٦٣٨- الديمقراطية والشعر | روبرت بن وارين | فؤاد عبد المطلب |
| ٦٣٩- فندق الأرق (شعر) | تشارلز سيميك | أحمد شافعى |
| ٦٤٠- ألكسياد | الأميرة أناكومنينا | حسن حبشى |
| ٦٤١- برتراند رسل (مختارات) | برتراند رسل | محمد قدرى عمارة |
| ٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور | چوناثان ميلر وبورين ڤان لون | ممدوح عبد المنعم |
| ٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر) | عبد الماجد الدريابادى | سمير عبدالحميد إبراهيم |
| ٦٤٤- العلوم عند المسلمين | هوارد د.تيرنر | فتح الله الشيخ |
| ٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية | تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف | عبد الوهاب علوب |
| ٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية | سيهر ذبيح | عبد الوهاب علوب |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦٤٧- | رسائل من مصر | چون نينيه | فتحى المشرى |
| ٦٤٨- | بورخيس | بياتريث سارلو | خليل كلفت |
| ٦٤٩- | الخوف وقصص خرافية أخرى | چى دى موباسان | سحر يوسف |
| ٦٥٠- | الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط | روچر أوين | عبد الوهاب علوب |
| ٦٥١- | ديليسبس الذى لا نعرفه | وثائق قديمة | أمل الصبان |
| ٦٥٢- | آلهة مصر القديمة | كلود ترونكر | حسن نصر الدين |
| ٦٥٣- | مدرسة الطغاة (مسرحية) | إيريش كستنر | سمير جريس |
| ٦٥٤- | أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١) | نصوص قديمة | عبد الرحمن الخميسى |
| ٦٥٥- | أساطير وآلهة | إيزابيل فرانكو | حليم طوسون ومحمود ماهر طه |
| ٦٥٦- | خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان) | ألفونسو ساسترى | ممدوح البستاوى |
| ٦٥٧- | محاكم التفتيش والموريسكيون | مرثيديس غارثيا أرينال | خالد عباس |
| ٦٥٨- | حوارات مع خوان رامون خيمينيث | خوان رامون خيمينيث | صبرى التهامى |
| ٦٥٩- | قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية | نخبة | عبداللطيف عبدالحليم |
| ٦٦٠- | نافذة على أحدث العلوم | ريتشارد فايفيلد | هاشم أحمد محمد |
| ٦٦١- | روائع أندلسية إسلامية | نخبة | صبرى التهامى |
| ٦٦٢- | رحلة إلى الجذور | داسو سالديبار | صبرى التهامى |
| ٦٦٣- | امرأة عادية | ليوسيل كليفتون | أحمد شافعى |
| ٦٦٤- | الرجل على الشاشة | ستيفن كوهان وإنا راى هارك | عصام زكريا |
| ٦٦٥- | عوالم أخرى | پول داڤيز | هاشم أحمد محمد |
| ٦٦٦- | تطور الصورة الشعرية عند شكسبير | ولفجانج اتش كليمن | جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب |
| ٦٦٧- | الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى | ألفن جولدنر | على ليلة |
| ٦٦٨- | ثقافات العولمة | فريدريك چيمسون وماساو ميوشى | ليلى الجبالى |
| ٦٦٩- | ثلاث مسرحيات | وول شوينكا | نسيم مجلى |
| ٦٧٠- | أشعار جوستاف أدولفو | جوستاف أدولفو بكر | ماهر البطوطى |
| ٦٧١- | قل لى كم مضى على رحيل القطار؟ | چيمس بولدوين | على عبدالأمير صالح |
| ٦٧٢- | مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال | نخبة | إبتهال سالم |
| ٦٧٣- | ضرب الكليم (شعر) | محمد إقبال | جلال الحفناوى |
| ٦٧٤- | ديوان الإمام الخمينى | آية الله العظمى الخمينى | محمد علاء الدين منصور |
| ٦٧٥- | أثينا السوداء (جـ٢، مج١) | مارتن برنال | بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى |
| ٦٧٦- | أثينا السوداء (جـ٢، مج٢) | مارتن برنال | بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى |
| ٦٧٧- | تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١) | إدوارد جرانفيل براون | أحمد كمال الدين حلمى |
| ٦٧٨- | تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢) | إدوارد جرانفيل براون | أحمد كمال الدين حلمى |
| ٦٧٩- | مختارات شعرية مترجمة (جـ٣) | وليام شكسبير | توفيق على منصور |
| ٦٨٠- | المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة) | كارل ل. بيكر | محمد شفيق غربال |
| ٦٨١- | هل يوجد نص فى هذا الفصل؟ | ستانلى فش | أحمد الشيمى |
| ٦٨٢- | نجوم حظر التجوال الجديد (رواية) | بن أوكرى | صبرى محمد حسن |
| ٦٨٣- | سكين واحد لكل رجل (رواية) | تى. م. ألوكو | صبرى محمد حسن |
| ٦٨٤- | الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١) | أوراثيو كيروجا | رزق أحمد بهنسى |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦٨٥- | الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢) | أوراثيو كيروجا | رزق أحمد بهنسى |
| ٦٨٦- | امرأة محاربة (رواية) | ماكسين هونج كنجستون | سحر توفيق |
| ٦٨٧- | محبوبة (رواية) | فتانة حاج سيد جوادى | ماجدة العنانى |
| ٦٨٨- | الانفجارات الثلاثة العظمى | فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار | فتح الله الشيخ وأحمد السماحى |
| ٦٨٩- | الملف (مسرحية) | تادووش روجيفيتش | هناء عبد الفتاح |
| ٦٩٠- | محاكم التفتيش فى فرنسا | (مختارات) | رمسيس عوض |
| ٦٩١- | ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته | (مختارات) | رمسيس عوض |
| ٦٩٢- | أقدم لك: الوجودية | ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت | حمدى الجابرى |
| ٦٩٣- | أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة) | حاثيم برشيت وآخرون | جمال الجزيرى |
| ٦٩٤- | أقدم لك: دريدا | جيف كولينز وبيل ماييلين | حمدى الجابرى |
| ٦٩٥- | أقدم لك: رسل | ديف روبنسون وجودى جروف | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٦٩٦- | أقدم لك: روسو | ديف روبنسون وأوسكار زاريت | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٦٩٧- | أقدم لك: أرسطو | روبرت ودفين وجودى جروفس | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٦٩٨- | أقدم لك: عصر التنوير | ليود سبنسر وأندرزيجى كروز | إمام عبدالفتاح إمام |
| ٦٩٩- | أقدم لك: التحليل النفسى | إيڤان وارد وأوسكار زارايت | جمال الجزيرى |
| ٧٠٠- | الكاتب وواقعه | ماريو بارجاس يوسا | بسمة عبدالرحمن |
| ٧٠١- | الذاكرة والحداثة | وليم رود ڤيڤيان | منى البرنس |
| ٧٠٢- | مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة) | جوستينيان | عبد العزيز فهمى |
| ٧٠٣- | تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢) | إدوارد جرانڤيل براون | أمين الشواربى |
| ٧٠٤- | فيه ما فيه | مولانا جلال الدين الرومى | محمد علاء الدين منصور وآخرون |
| ٧٠٥- | فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام | الإمام الغزالى | عبدالحميد مدكور |
| ٧٠٦- | الشفرة الوراثية وكتاب التحولات | جونسون ف. يان | عزت عامر |
| ٧٠٧- | أقدم لك: ڤالتر بنيامين | هوارد كاليجل وآخرون | وفاء عبدالقادر |
| ٧٠٨- | فراعنة من؟ | دونالد مالكولم ريد | رءوف عباس |
| ٧٠٩- | معنى الحياة | ألفريد أدلر | عادل نجيب بشرى |
| ٧١٠- | الأطفال والتكنولوچيا والثقافة | إيان هاتشباى وجوموران - إليس | دعاء محمد الخطيب |
| ٧١١- | درة التاج | ميرزا محمد هادى رسوا | هناء عبد الفتاح |
| ٧١٢- | الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة) | هوميروس | سليمان البستانى |
| ٧١٣- | الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة) | هوميروس | سليمان البستانى |
| ٧١٤- | حديث القلوب (ميراث الترجمة) | لامنيه | حنا صاوه |
| ٧١٥- | سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة) | إدمون ديمولان | أحمد فتحى زغلول |
| ٧١٦- | جامعة كل المعارف (جـ٢) | مجموعة من المؤلفين | نخبة من المترجمين |
| ٧١٧- | جامعة كل المعارف (جـ٣) | مجموعة من المؤلفين | نخبة من المترجمين |
| ٧١٨- | جامعة كل المعارف (جـ٥) | مجموعة من المؤلفين | نخبة من المترجمين |
| ٧١٩- | مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة | م. جولدبرج | جميلة كامل |
| ٧٢٠- | مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية | دونام چونسون | على شعبان وأحمد الخطيب |
| ٧٢١- | فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١) | هـ. أ. ولفسون | مصطفى لبيب عبد الغنى |
| ٧٢٢- | الصفيحة وقصص أخرى | يشار كمال | الصفصافى أحمد القطورى |
| ٧٢٣- | تحديات ما بعد الصهيونية | إفرايم نيمنى | أحمد ثابت |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٢٤- اليسار الفرويدى | بول روبنسون | عبده الريس |
| ٧٢٥- الاضطراب النفسى | چون فيتكس | مى مقلد |
| ٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب | غييرمو غوثاليبس بوستو | مروة محمد إبراهيم |
| ٧٢٧- حلم البحر (رواية) | باچين | وحيد السعيد |
| ٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو | موريس آليه | أميرة جمعة |
| ٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران | صادق زيباكلام | هويدا عزت |
| ٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية | آن جاتى | عزت عامر |
| ٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف | مجموعة من المؤلفين | محمد قدرى عمارة |
| ٧٣٢- قصص بسيطة (رواية) | إنجو شولتسه | سمير جريس |
| ٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية) | وليم شيكسبير | محمد مصطفى بدوى |
| ٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى | أحمد يوسف | أمل الصبان |
| ٧٣٥- فن السيرة فى العربية | مايكل كوبرسون | محمود محمد مكى |
| ٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١) | هوارد زن | شعبان مكاوى |
| ٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢) | باتريك ل. أبوت | توفيق على منصور |
| ٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية | چيرار دى چورچ | محمد عواد |
| ٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر | چيرار دى چورچ | محمد عواد |
| ٧٤٠- خطابات السلطة | بارى هندس | مرفت ياقوت |
| ٧٤١- الإسلام وأزمة العصر | برنارد لويس | أحمد هيكل |
| ٧٤٢- أرض حارة | خوسيه لاكوادرا | رزق بهنسى |
| ٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى | روبرت أونجر | شوقى جلال |
| ٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر) | محمد إقبال | سمير عبد الحميد |
| ٧٤٥- المآثر السلطانية | بيك الدنبلى | محمد أبو زيد |
| ٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١) | چوزيف أ. شومبيتر | حسن النعيمى |
| ٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما | تريڤور وايتوك | إيمان عبد العزيز |
| ٧٤٨- تدمير النظام العالمى | فرانسيس بويل | سمير كريم |
| ٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم | ل.ج. كالڤيه | باتسى جمال الدين |
| ٧٥٠- الإلياذة | هوميروس | بإشراف: أحمد عتمان |
| ٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى | نخبة | علاء السباعى |
| ٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف | جمال قارصلى | تمر عاوورى |
| ٧٥٣- التنمية والقيم | إسماعيل سراج الدين وآخرون | محسن يوسف |
| ٧٥٤- الشرق والغرب | أنّا مارى شيمل | عبدالسلام حيدر |
| ٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين | أندرو ب. دبيكى | على إبراهيم منوفى |
| ٧٥٦- ذات العيون الساحرة | إنريكى خارديبل بونثيلا | خالد محمد عباس |
| ٧٥٧- تجارة مكة | باتريشيا كرون | آمال الروبى |
| ٧٥٨- الإحساس بالعولمة | بروس روبنز | عاطف عبدالحميد |
| ٧٥٩- النثر الأردى | مولوى سيد محمد | جلال الحفناوى |
| ٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون | السيد الأسود | السيد الأسود |
| ٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية) | فيرچينيا وولف | فاطمة ناعوت |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٦٢- | المسلم عدواً و صديقاً | ماريا سوليداد | عبدالعال صالح |
| ٧٦٣- | الحياة فى مصر | أنريكو بيا | نجوى عمر |
| ٧٦٤- | ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل) | غالب الدهلوى | حازم محفوظ |
| ٧٦٥- | ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف) | خواجه مير درد الدهلوى | حازم محفوظ |
| ٧٦٦- | الشرق المتخيل | تيبرى هنتش | غازى برو وخليل أحمد خليل |
| ٧٦٧- | الغرب المتخيل | نسيب سمير الحسينى | غازى برو |
| ٧٦٨- | حوار الثقافات | محمود فهمى حجازى | محمود فهمى حجازى |
| ٧٦٩- | أدباء أحياء | فريدريك هتمان | رندا النشار وضياء زاهر |
| ٧٧٠- | السيدة بيرفيكتا | بينيتو بيريث جالدوس | صبرى التهامى |
| ٧٧١- | السيد سيجوندو سومبرا | ريكاردو جويرالديس | صبرى التهامى |
| ٧٧٢- | بريخت ما بعد الحداثة | إليزابيث رايت | محسن مصيلحى |
| ٧٧٣- | دائرة المعارف الدولية (جـ٢) | چون فيزر وبول ستيرجز | بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى |
| ٧٧٤- | الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات | مجموعة من المؤلفين | حسن عبد ربه المصرى |
| ٧٧٥- | مرآة العروس | نذير أحمد الدهلوى | جلال الحفناوى |
| ٧٧٦- | منظومة مصيبت نامه (مج١) | فريد الدين العطار | محمد محمد يونس |
| ٧٧٧- | الانفجار الأعظم | چيمس إ. ليدسى | عزت عامر |
| ٧٧٨- | صفوة المديح | مولانا محمد أحمد ورضا القادرى | حازم محفوظ |
| ٧٧٩- | خيوط العنكبوت وقصص أخرى | نخبة | سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشم |
| ٧٨٠- | من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠ | غلام رسول مهر | سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٧٨١- | الطريق إلى بكين | هدى بدران | نبيلة بدران |
| ٧٨٢- | المسرح المسكون | مارڤن كارلسون | جمال عبد المقصود |
| ٧٨٣- | العولمة والرعاية الإنسانية | ڤيك چورچ وبول ويلدنج | طلعت السروجى |
| ٧٨٤- | الإساءة للطفل | ديڤيد أ. وولف | جمعة سيد يوسف |
| ٧٨٥- | تأملات عن تطور ذكاء الإنسان | كارل ساجان | سمير حنا صادق |
| ٧٨٦- | المذنبة (رواية) | مارجريت أتوود | سحر توفيق |
| ٧٨٧- | العودة من فلسطين | جوزيه بوفيه | إيناس صادق |
| ٧٨٨- | سر الأهرامات | ميروسلاف فرنر | خالد أبو اليزيد البلتاجى |
| ٧٨٩- | الانتظار (رواية) | هاچين | منى الدروبى |
| ٧٩٠- | الفرانكفونية العربية | مونيك بونتو | جيهان العيسوى |
| ٧٩١- | العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة | محمد الشيمى | ماهر جويجاتى |
| ٧٩٢- | دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ | منى ميخائيل | منى إبراهيم |
| ٧٩٣- | ثلاث رؤى للمستقبل | چون جريڤيس | رءوف وصفى |
| ٧٩٤- | التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢) | هوارد زن | شعبان مكاوى |
| ٧٩٥- | مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١) | نخبة | على عبد الرءوف البمبى |
| ٧٩٦- | آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن | نعوم تشومسكى | حمزة المزينى |
| ٧٩٧- | الرؤية فى ليلة معتمة (شعر) | نخبة | طلعت شاهين |
| ٧٩٨- | الإرشاد النفسى للأطفال | كاترين جيلدرد وداڤيد جيلدرد | سميرة أبو الحسن |
| ٧٩٩- | سلم السنوات | آن تيلر | عبد الحميد فهمى الجمال |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٠٠- | قضايا فى علم اللغة التطبيقى | ميشيل ماكارثى | عبد الجواد توفيق |
| ٨٠١- | نحو مستقبل أفضل | تقرير دولى | بإشراف: محسن يوسف |
| ٨٠٢- | مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية | ماريا سوليداد | شرين محمود الرفاعى |
| ٨٠٣- | التغيير والتنمية فى القرن العشرين | توماس باترسون | عزة الخميسى |
| ٨٠٤- | سوسيولوجيا الدين | دانييل هيرڤيه-ليجيه وچان بول ويلام | درويش الحلوجى |
| ٨٠٥- | من لا عزاء لهم (رواية) | كازو إيشيجورو | طاهر البربرى |
| ٨٠٦- | الطبقة العليا المصرية | ماجدة بركة | محمود ماجد |
| ٨٠٧- | يحى حقى: تشريح مفكر مصرى | ميريام كوك | خيرى دومة |
| ٨٠٨- | الشرق الأوسط والولايات المتحدة | ديڤيد دابليو ليش | أحمد محمود |
| ٨٠٩- | تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١) | ليو شتراوس وچوزيف كروپسى | محمود سيد أحمد |
| ٨١٠- | تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢) | ليو شتراوس وچوزيف كروپسى | محمود سيد أحمد |
| ٨١١- | تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢) | جوزيف أ.شومبيتر | حسن النعيمى |
| ٨١٢- | تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية | ميشيل مافيزولى | فريد الزاهى |
| ٨١٣- | لم أخرج من ليلى (رواية) | آنى إرنو | نورا أمين |
| ٨١٤- | الحياة اليومية فى مصر الرومانية | نافتال لويس | آمال الروبى |
| ٨١٥- | فلسفة المتكلمين (مج٢) | هـ. أ. ولفسون | مصطفى لبيب عبدالغنى |
| ٨١٦- | العدو الأمريكى | ڤيليپ روچيه | بدر الدين عرودكى |
| ٨١٧- | مائدة أفلاطون: كلام فى الحب | أفلاطون | محمد لطفى جمعة |
| ٨١٨- | الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١) | أندريه ريمون | ناصر أحمد وباتسى جمال الدين |
| ٨١٩- | الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢) | أندريه ريمون | ناصر أحمد وباتسى جمال الدين |
| ٨٢٠- | هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة) | وليم شكسبير | طانيوس أفندى |
| ٨٢١- | هفت بيكر (شعر) | نور الدين عبد الرحمن الجامى | عبد العزيز بقوش |
| ٨٢٢- | فن الرباعى (شعر) | نخبة | محمد نور الدين عبد المنعم |
| ٨٢٣- | وجه أمريكا الأسود (شعر) | نخبة | أحمد شافعى |
| ٨٢٤- | لغة الدراما | داڤيد برتش | ربيع مفتاح |
| ٨٢٥- | عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة) | ياكوب بوكهارت | عبد العزيز توفيق جاويد |
| ٨٢٦- | عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة) | ياكوب بوكهارت | عبد العزيز توفيق جاويد |
| ٨٢٧- | أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات | دونالد پ.كول وثريا تركى | محمد على فرج |
| ٨٢٨- | النظرية النسبية (ميراث الترجمة) | ألبرت أينشتين | رمسيس شحاتة |
| ٨٢٩- | مناظرة حول الإسلام والعلم | إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى | مجدى عبد الحافظ |
| ٨٣٠- | رق العشق | حسن كريم بور | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٣١- | تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة) | ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد | محمد النادى وعطية عاشور |
| ٨٣٢- | تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣) | چوزيف أ.شومبيتر | حسن النعيمى |
| ٨٣٣- | الفلسفة الألمانية | ڤرنر شميدرس | محسن الدمرداش |
| ٨٣٤- | كنز الشعر | ذبيح الله صفا | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٣٥- | تشيخوف: حياة فى صور | بيتر أوربان | علاء عزمى |
| ٨٣٦- | بين الإسلام والغرب | مرثيدس غارثيا | ممدوح البستاوى |
| ٨٣٧- | عناكب فى المصيدة | ناتاليا ڤيكو | على فهمى عبدالسلام |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٣٨- | فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى | نعوم تشومسكى | لبنى صبرى |
| ٨٣٩- | أقدم لك: النظرية النقدية | ستيوارت سين وبورين ڤان لون | جمال الجزيرى |
| ٨٤٠- | الخواتم الثلاثة | جوتهولد ليسينج | فوزية حسن |
| ٨٤١- | هملت: أمير الدانمارك | وليم شكسبير | محمد مصطفى بدوى |
| ٨٤٢- | منظومة مصيبت نامه (مج٢) | فريد الدين العطار | محمد محمد يونس |
| ٨٤٣- | من روائع القصيد الفارسى | نخبة | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٤٤- | دراسات فى الفقر والعولمة | كريمة كريم | سمير كريم |
| ٨٤٥- | غياب السلام | نيكولاس جويات | طلعت الشايب |
| ٨٤٦- | الطبيعة البشرية | ألفريد آدلر | عادل نجيب بشرى |
| ٨٤٧- | الحياة بعد الرأسمالية | مايكل ألبرت | أحمد محمود |
| ٨٤٨- | تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة) | يوليوس ڤلهاوزن | عبد الهادى أبو ريدة |
| ٨٤٩- | سونيتات شكسبير | وليم شكسبير | بدر توفيق |
| ٨٥٠- | الخيال، الأسلوب، الحداثة | مقالات مختارة | جابر عصفور |
| ٨٥١- | الطب التجريبى (ميراث الترجمة) | كلود برنار | يوسف مراد |
| ٨٥٢- | العلم والحقيقة | ريتشارد دوكنز | مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٨٥٣- | العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١) | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى |
| ٨٥٤- | العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢) | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى |
| ٨٥٥- | فهم الاستعارة فى الأدب | چيرارد ستيم | محمد أحمد حمد |
| ٨٥٦- | القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى | فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا | عائشة سويلم |
| ٨٥٧- | نادچا (رواية) | أندريه بريتون | كامل عويد العامرى |
| ٨٥٨- | جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية | ثيو هرمانز | بيومى قنديل |
| ٨٥٩- | السياسة فى الشرق القديم | إيف شيمل | مصطفى ماهر |
| ٨٦٠- | مصر وأوروبا | ڤان بملن | عادل صبحى تكلا |
| ٨٦١- | الإسلام والمسلمون فى أمريكا | چين سميث | محمد الخولى |
| ٨٦٢- | ببغاء الكاكادو | أرتور شنيتسلر | محسن الدمرداش |
| ٨٦٣- | لقاء بالشعراء | على أكبر دلفى | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٦٤- | أوراق فلسطينية | دورين إنجرامز | عبد الرحيم الرفاعى |
| ٨٦٥- | فكرة الثقافة | تيرى إيجلتون | شوقى جلال |
| ٨٦٦- | رسائل خمس فى الآفاق والأنفس | مجموعة من المؤلفين | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٦٧- | المهمة الاستوائية (رواية) | ديڤيد مايلو | صبرى محمد حسن |
| ٨٦٨- | الشعر الفارسى المعاصر | ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٦٩- | تطور الثقافة | روبن دونبار وآخرون | شوقى جلال |
| ٨٧٠- | عشر مسرحيات (جـ١) | نخبة | حمادة إبراهيم |
| ٨٧١- | عشر مسرحيات (جـ٢) | نخبة | حمادة إبراهيم |
| ٨٧٢- | كتاب الطاو | لاوتسو | محسن فرجانى |
| ٨٧٣- | معلمون لمدارس المستقبل | تقرير صادر عن اليونسكو | بهاء شاهين |
| ٨٧٤- | النهر الخالد (مج١) | جاويد إقبال | ظهور أحمد |
| ٨٧٥- | النهر الخالد (مج٢) | جاويد إقبال | ظهور أحمد |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٧٦- | دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١) | هنرى جورج فارمر | أمانى المنياوى |
| ٨٧٧- | أدب الجدل والدفاع فى العربية | موريتس شتينشنيدر | صلاح محجوب |
| ٨٧٨- | ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١) | تشارلز دوتى | صبرى محمد حسن |
| ٨٧٩- | ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢) | تشارلز دوتى | صبرى محمد حسن |
| ٨٨٠- | الواحات المفقودة | أحمد حسنين بك | عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه |
| ٨٨١- | المستنيرون : خدمة وخيانة | جلال آل أحمد | سلوى عباس |
| ٨٨٢- | أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة) | حافظ الشيرازى | إبراهيم الشواربى |
| ٨٨٣- | أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة) | حافظ الشيرازى | إبراهيم الشواربى |
| ٨٨٤- | تعلم الأطفال الصغار | باربرا تيزار ومارتن هيوز | محمد رشدى سالم |
| ٨٨٥- | روح الإرهاب | جان بودريار | بدر عرودكى |
| ٨٨٦- | الترجمة والإمبراطورية | دوجلاس روبنسون | ثائر ديب |
| ٨٨٧- | غزليات سعدى (شعر) | سعدى الشيرازى | محمد علاء الدين منصور |
| ٨٨٨- | أزهار مسلك الليل (رواية) | مريم جعفرى | هويدا عزت |
| ٨٨٩- | سارتوريس (ميراث الترجمة) | وليم فوكنر | ميخائيل رومان |
| ٨٩٠- | منتخبات أشعار فراغى | مخدومقلى فراغى | الصفصافى أحمد القطورى |
| ٨٩١- | مفاوضات مع الموتى | مارجريت آتوود | عزة مازن |
| ٨٩٢- | تاريخ المسيحية الشرقية | عزيز سوريال عطية | إسحاق عبيد |
| ٨٩٣- | عبادة الإنسان الحر | برتراند راسل | محمد قدرى عمارة |
| ٨٩٤- | الطريق إلى مكة | محمد أسد | رفعت السيد على |
| ٨٩٥- | وادى الفوضى (رواية) | فريدريش دورينمات | يسرى خميس |
| ٨٩٦- | شعر الضفاف الأخرى | نخبة | زين العابدين فؤاد |
| ٨٩٧- | اختراق الجزيرة العربية | ديڤيد چورچ هوجارث | صبرى محمد حسن |
| ٨٩٨- | الإسلام والعلم | برويز أمير على | محمود خيال |
| ٨٩٩- | الدبلوماسية الفاعلة | بيتر مارشال | أحمد مختار الجمال |
| ٩٠٠- | تيارات نقدية محدثة | مقالات مختارة | جابر عصفور |
| ٩٠١- | مختارات من شعر لى جاو شينج | لى جاو شينج | عبد العزيز حمدى |
| ٩٠٢- | آلهة مصر القديمة وأساطيرها | روبرت أرنولد | مروة الفقى |
| ٩٠٣- | أفلام ومناهج (مج١) | بيل نيكولز | حسين بيومى |
| ٩٠٤- | أفلام ومناهج (مج٢) | بيل نيكولز | حسين بيومى |
| ٩٠٥- | تراث الهند | ج. ت. جارات | جلال السعيد الحفناوى |
| ٩٠٦- | أسس الحوار فى القرآن | هيربرت بوسه | أحمد هويدى |
| ٩٠٧- | آرثر.. متعة الحياة (رواية) | فرانسواز چيرو | فاطمة خليل |
| ٩٠٨- | الحلقة النقدية | ديڤيد كوزنز هوى | خالدة حامد |
| ٩٠٩- | الفنون والآداب تحت ضغط العولمة | چووست سمايرز | طلعت الشايب |
| ٩١٠- | بروميثيوس بلا قيود | داڤيد س. ليندس | منى رفعت سلطان |
| ٩١١- | غبار النجوم | جون جريبين | عزت عامر |
| ٩١٢- | ترجمات يحيى حقى (جـ١) (ميراث الترجمة) | روايات مختارة | يحيى حقى |
| ٩١٣- | ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة) | مسرحيات مختارة | يحيى حقى |

| | | |
|---|---|---|
| ٩١٤- ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة) | ديزموند ستيوارت | يحيى حقى |
| ٩١٥- المرأة فى أثينا: الواقع والقانون | روچر چست | منيرة كروان |
| ٩١٦- الجدلية الاجتماعية | أنور عبد الملك | سامية الجندى وعبدالعظيم حماد |
| ٩١٧- موسوعة كمبريدچ (جـ١) | نخبة | إشراف: أحمد عتمان |
| ٩١٨- موسوعة كمبريدچ (جـ٤) | نخبة | إشراف: فاطمة موسى |
| ٩١٩- موسوعة كمبريدچ (جـ٩) | نخبة | إشراف: رضوى عاشور |
| ٩٢٠- خليل جبران: حياته وعالمه | چين جبران و خليل جبران | فاطمة قنديل |
| ٩٢١- لله الأمر (رواية) | أحمدو كوروما | ثريا إقبال |
| ٩٢٢- الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى | ميكيل دى إيبالثا | جمال عبد الرحمن |
| ٩٢٣- ملحمة حرب الاستقلال (شعر) | ناظم حكمت | محمد حرب |
| ٩٢٤- حتشبسوت: عظمة وسحر وغموض | كريستيان دى روش نوبلكور | فاطمة عبد الله |
| ٩٢٥- رمسيس الثانى: فرعون المعجزات | كريستيان دى روش نوبلكور | فاطمة عبد الله |

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٨٤٨ / ٢٠٠٥




# Ramsès II:La Véritable Histoire

**By: Christiane Desroches Noblecourt**

رمسيس العظيم، هذا المقاتل الجسور الشجاع، الذى حوَّل مصر إلى إمبراطورية عظمى مترامية الأطراف، بفضل فتوحاته وانتصاراته، لُقِّب عن جدارة باسم "الملك الشمس"، و"ملك الملوك"، المنتسب إلى الآلهة وممثلها فى الحياة الدنيا.

لقد أحاطت برمسيس العظيم الكثير من الظواهر والأحداث الخارقة للمألوف، بل المعجزات. إنه ضمن فراعنة مصر العظام، الأكثر تميزا، والأقوى شكيمة والأعظم شجاعة. وقد عاش رمسيس العظيم إلى ما يزيد عن مائة عام. واستمر فى حكم مصر، حوالى سبعة وستين عاما!!... وأنجب ما لا يقل من مائة ابن وابنة... من حوالى ستين زوجة ملكية معظمة وثانوية!!

ودانت له شعوب الأرض بالولاء والطاعة التامة. وعرفت مصر خلال فترة حكمه أرقى درجات الازدهار والتطور فى كافة المجالات: الإنشاء والمعمار والاقتصاد والتجارة والزراعة والفنون، التى تميزت بالضخامة الهائلة، والتماثيل العملاقة التى لا يقل ارتفاعها عن ثلاثين أو أربعين مترا!! وكان رمسيس يهدف من ورائها إلى الإيحاء بقوة وشجاعة وعظمة ملوك مصر وقتئذٍ.




الغلاف : مروة أحمد